

التَّسْهِيلُ لِعُلُومِ التَّنْزِيلِ

للشيخ الإمام العلامة المفسر
أبي القاسم محمد بن أحمد بن جزي الكلبّي
المتوفى سنة ٧٤١هـ

ضبطه وصوّمه وخرّج آياته
محمد سالم هاشم

الجزء الثاني

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

جميع الحقوق محفوظة
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى
١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م

دار الكتب العلمية بيروت - لبنان

ص.ب: ٩٤٢٤/١١ - تلکس: Le 41245 Nasher

هاتف: ٣٦٦١٣٥ - ٦٠٢١٣٣ - ٨٦٨٠٥١ - ٨١٥٥٧٣

فاکس: ٦٠٢١٣٣/٩٦١١/٠٠

سورة مريم

مكية إلا آيتي ٥٨ و٧١
فمدنيتان وآياتها ٩٨ نزلت بعد فاطر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كَهَيْعَصَ ﴿١﴾ ذَكَرْ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدُكَ زَكَرِيَّا ﴿٢﴾ إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ﴿٣﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿كهيعص﴾ قد تكلمنا في أول البقرة على حروف الهجاء، وقيل في هذا إن الكاف من كريم أو كبير أو كاف، والهاء من هادي، والياء من عليّ، والعين من عزيز أو عليهم، والصاد من صادق، وكان عليّ بن أبي طالب يقول في دعائه: يا كهيعص، فيحتمل أن تكون الجملة عنده اسمًا من أسماء الله تعالى، أو ينادي بالأسماء التي اقتطعت منها هذه الحروف ﴿ذَكَرُ﴾. تقديره هذا ذكر ﴿عَبْدُهُ زَكَرِيَّا﴾ وصفه بالعبودية تشريفًا له وإعلامًا له بتخصيصه وتقريبه، ونصب عبده على أنه مفعول لرحمة، فإنها مصدر أضيف إلى الفاعل، ونصب المفعول، وقيل هو مفعول بفعل مضمّر، تقديره رحمة عبده وعلى هذا يوقف على ما قبله وهذا ضعيف، وفيه تكلف الإضمار من غير حاجة إليه وقطع العامل عن العمل بعد تهيته له ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ﴾ يعني دعاه ﴿نِدَاءً خَفِيًّا﴾ أخفاه لأنه يسمع الخفي كما يسمع الجهر، ولأن الإخفاء أقرب إلى الإخلاء وأبعد من الإلاء، مثلًا يلدمه الناس على طلب الولد

قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾
 وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾
 يَرِثُنِي وَيَرِثْ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّي رَضِيًّا ﴿٦﴾ يَنْزِكِرُنَا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ
 اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ
 امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْنٍ
 وَقَدْ خَلَقْتكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ﴿٩﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَاتُكَ إِلَّا
 تُكَلِّمُ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ

﴿وَهَنَ الْعَظْمُ﴾ أي ضعف ﴿وَاشْتَعَلَ﴾ استعارة للشيب من اشتعال النار ﴿وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ أي قد سعدت بدعائي لك فيما تقدم، فاستجب لي في هذا فتوسل إلى الله بإحسانه القديم إليه ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ﴾ يعني الأقارب قيل خاف أن يرثوه دون نسله، وقيل خاف أن يضيعوا الدين من بعده ﴿مِنْ وَرَائِي﴾ أي من بعدي ﴿عَاقِرًا﴾ أي عقيمًا ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا﴾ يعني وارثًا يرثني، قيل يعني وراثته المال، وقيل وراثته العلم والنبوة، وهو أرجح لقوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث» وكذلك ﴿يَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾ العلم والنبوة، وقيل الملك، ويعقوب هنا هو يعقوب بن إسحاق على الأصح ﴿رَضِيًّا﴾ أي مرضيًا فهو فعيل بمعنى مفعول ﴿سَمِيًّا﴾ يعني من سمي باسمه، وقيل مثيلاً ونظيرًا، والأول أحسن هنا ﴿أَنِّي يَكُونُ لِي غُلَامٌ﴾ تعجب واستبعاد أن يكون له ولد مع شيخوخته وعقم امرأته فسأل ذلك أولاً لعلمه بقدرة الله عليه، وتعجب منه لأنه نادر في العادة، وقيل سأله وهو في سن من يرجوه، وأجيب بعد ذلك بسنين وهو قد شاخ ﴿عِتِيًّا﴾ قيل ييسا في الأعضاء والمفاصل، وقيل مبالغة في الكبر ﴿كَذَلِكَ﴾ الكاف في موضع رفع أي الأمر كذلك تصديقاً له فيما ذكر من كبره وعقم امرأته، وعلى هذا يوقف على قوله كذلك ثم يتدبىء قال ربك، وقيل إن الكاف في موضع نصب بقال، وذلك إشارة إلى مبهم يفسره: هو عليّ هين ﴿اجْعَلْ لِي آيَةً﴾ أي علامة على حمل امرأته ﴿سَوِيًّا﴾ أي سليماً غير أخرس وانتصابه على الحال من الضمير في تكلم، والمعنى أنه لا يكلم الناس مع أنه سليم من الخرس، وقيل إن سويًّا يرجع إلى الليالي أي مستويات ﴿فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ﴾ أي أشار، وقيل كتبه في التراب إذ كان لا يقدر على الكلام ﴿أَنْ سَبَّحُوا﴾ قيل معناه صلّوا، والسبحة في اللغة الصلاة، وقيل قولوا سبحان الله ﴿يَا يَحْيَى﴾ التقدير قال الله ليحيى بعد

سَيِّحُوا بُكْرَةً وَعَصِيًّا ﴿١١﴾ يَبْحَثُ فِي الْكِتَابِ بِقُوَّةٍ وَاَتَيْنَهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا
 مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَّمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ
 وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾ وَأذْكَرٌ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا
 شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾
 قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا
 زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَلِكَ
 قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾
 فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ

ولادته ﴿خُذِ الْكِتَابَ﴾ يعني التوراة ﴿بِقُوَّةٍ﴾ أي في العلم به والعمل به ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ قيل الحكم معرفة الأحكام، وقيل الحكمة، وقيل النبوة ﴿وَحَنَانًا﴾ قيل معناه رحمة وقال ابن عباس لا أدري ما الحنان ﴿وَزَكَاةً﴾ أي طهارة، وقيل ثناء كما يزكي الشاهد ﴿وَأذْكَرٌ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ﴾ خطاب لمحمد ﷺ والكتاب والقرآن ﴿إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا﴾ أي اعتزلت منهم وانفردت عنهم ﴿مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ أي إلى جهة الشرق ولذلك يصلي النصارى إلى المشرق ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾ يعني جبريل، وقيل عيسى، والأول هو الصحيح لأن جبريل هو الذي تمثل لها باتفاق ﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾ لما رأت المَلَكَ الذي تمثل لها في صورة البشر، قد دخل عليها خافت أن يكون من بني آدم، فقالت له هذا الكلام، ومعناه إن كنت ممن يتقي الله فابعد عني، فإني أعوذ بالله منك، وقيل إن نقيًا اسم رجل معروف بالشرف عندهم وهذا ضعيف وبعيد ﴿لَأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾ الغلام الزكي هو عيسى عليه السلام، وقرىء ليهب بالياء، والفاعل فيه هو ضمير الرب سبحانه وتعالى، وقرىء بهمزة التكلم، وهو جبريل، وإنما نسب الهبة إلى نفسه، لأنه هو الذي أرسله الله بها أو يكون قال ذلك حكاية عن الله تعالى ﴿وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ البغي هي المرأة المجاهرة بالزنا ووزن بغي فعول ﴿وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً﴾ الضمير للولد واللام تتعلق بمحذوف تقديره لنجعله آية فعلنا ذلك ﴿فَحَمَلَتْهُ﴾ يعني في بطنها وكانت مدة حملها ثمانية أشهر، وقال ابن عباس حملته وولده في ساعة ﴿مَكَانًا قَصِيًّا﴾ أي بعيدًا، وإنما بعدت حياء من قومها أن يظنوا بها الشر ﴿فَأَجَاءَهَا﴾ معناه ألجأها وهو منقول من جاء بهمزة التعدية ﴿الْمَخَاضُ﴾ أي التفاسر

يَلْتَنِي مِثُّ قَبْلِ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنَسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَادَّابَهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهَزَيْ إِلَيْكَ الْجُذْعَ النَّخْلَةَ سَقَطَ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرِينَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ﴿٢٦﴾ فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَتَأَخْتَت

﴿قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِثُّ﴾ إنما تمتت الموت خوفًا من إنكار قومها وظنهم بها الشرّ ووقوعهم في دمه وتمني الموت جائز في مثل هذا، وليس هذا من تمني الموت لضرّ نزل بالبدن فإنه منهى عنه ﴿وَكُنْتُ نَسِيًّا﴾ النسي الشيء الحقيق الذي لا يؤبه له، ويقال: بفتح النون، وكسرهما ﴿فَتَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا﴾ قرء من بفتح الميم وكسرهما، وقد اختلف على كلتا القراءتين، هل هو جبريل أو عيسى، وعلى أنه جبريل قيل إنه كان تحتها كالقابلة، وقيل كان في مكان أسفل من مكانها ﴿أَنْ لَا تَحْزَنِي﴾ تفسير للنداء، فإن مفسرة ﴿سَرِيًّا﴾ جدولًا وهي ساقية من ماء كان قريبًا من جذع النخلة، ورُوِيَ أن النبي ﷺ فسره بذلك، وقيل يعني عيسى فإن السريّ الرجل الكريم ﴿وَهَزَيْ إِلَيْكَ الْجُذْعَ النَّخْلَةَ﴾ كان جذعًا يابسًا فخلق الله فيه الرطب كرامة لها وتأنيسًا، وقد استدلل بعض الناس بهذه الآية على أن الإنسان ينبغي له أن يتسبب في طلب الرزق، لأن الله أمر مريم بهزّ النخلة، والياء في جذع زائدة كقوله: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥] ﴿تَسَاقَطَ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا﴾ الفاعل بتساقط النخلة، وقرء بالياء والفاعل على ذلك الجذع، ورطبًا تمييز والعجني معناه الذي طاب وصلح، لأن يجتنى ﴿فَكُلِي وَاشْرَبِي﴾ أي كلي من الرطب، واشربي من ماء الجدول، وهو السريّ ﴿وَقَرِّي عَيْنًا﴾ أي طيبي نفسًا بما جعل الله لك من ولادة نبيّ كريم أو من تيسير المأكول والمشروب ﴿فَأِمَّا تَرِينَ﴾ هي إن الشرطية دخلت عليها ما الزائدة للتأكيد، وترين فعل خوطبت به المرأة ودخلت عليه النون الثقيلة للتأكيد ﴿نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا﴾ أي صمتًا عن الكلام، وقيل يعني الصيام لأن من شرطه في شريعتهم الصمت، وإنما أمرت بالصمت صيانة لها عن الكلام مع المتهمين لها، ولأن عيسى تكلم عنها فأخبارها بأنها نذرت الصمت بهذا الكلام، وقيل بالإشارة، ولا يجوز في شريعتنا نذر الصمت ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا﴾ لما رأيت الآيات: علمت أن الله سيبيّن عذرها فجاءت به من المكان القصيّ إلى قومها ﴿شَيْئًا فَرِيًّا﴾ أي شنيعًا وهو من الفرية ﴿يَا أُخْتِ هَارُونَ﴾ كان هارون عابدًا من بني إسرائيل شبيّهت به مريم في كثرة العبادة فقيل لها أخته بمعنى أنها شبيهه، وقيل كان أخاها من أبيها، وكان رجلًا صالحًا، وقيل هو هارون النبي أخو موسى وكانت من ذرّيته، فأخيت على هذا كقولك

هَرُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوًّا وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْأَمْهِدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَالِدِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنَ بَيْنِهِمْ قَوْلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ

أخو بني فلان أي واحد منهم، ولا يتصور على هذا القول أن تكون أخته من النسب حقيقة، فإن بين زمانهما دهرًا طويلاً ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ﴾ أي إلى ولدها ليتكلم وصمتت هي كما أمرت ﴿كَانَ فِي الْأَمْهِدِ صَبِيًّا﴾ كان بمعنى يكون والمهد هو المعروف، وقيل المهد هنا حجرها ﴿آتَانِيَ الْكِتَابَ﴾ يعني الإنجيل، أو التوراة والإنجيل ﴿مُبَارَكًا﴾ من البركة وقيل نفاعًا، وقيل معلم للخير واللفظ أعم من ذلك ﴿وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ﴾ هما المشروعتان، وقيل الصلاة هنا الدعاء، والزكاة: التطهير من العيوب ﴿وَبَرًّا﴾ معطوف على ﴿مُبَارَكًا﴾، رُوِيَ أَنَّ عِيسَى تَكَلَّمَ بِهَذَا الْكَلَامِ وَهُوَ فِي الْمَهْدِ، ثُمَّ عَادَ إِلَىٰ حَالَةِ الْأَطْفَالِ عَلَىٰ عَادَةِ الْبَشَرِ، وَفِي كَلَامِهِ هَذَا رَدٌّ عَلَىٰ النَّصَارَىٰ، لِأَنَّهُ اعْتَرَفَ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَدَّ عَلَىٰ الْيَهُودِ لِقَوْلِهِ: ﴿وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ﴾ أدخل لام التعريف هنا لتقدم السلام المنكر في قصة يحيى، فهو كقولك: رأيت رجلاً فأكرمت الرجل، وقال الزمخشري: الصحيح أن هذا التعريف تعريض بلغة من اتهم مريم كأنه قال السلام كله علي لا عليكم، بل عليكم ضده ﴿قَوْلُ الْحَقِّ﴾ بالرفع خبر مبتدأ تقديره هذا قول الحق أو بدل أو خبر بعد خبر، وبالنصب على المدح بفعل مضمر أو على المصدرية من معنى الكلام المتقدم ﴿فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ أي يختلفون فهو من المراء، أو يشكون فهو من المرية، والضمير لليهود والنصارى ﴿وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي﴾ من كلام عيسى وقرئ بفتح الهمزة تقديره ولأن الله ربِّي وربكم فاعبدوه، وبكسرهما لابتداء الكلام، وقيل هو من كلام النبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم، والمعنى يا محمد قل لهم ذلك عيسى ابن مريم وأن الله ربِّي وربكم والأول أظهر ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ﴾ هذا ابتداء إخبار، والأحزاب اليهود والنصارى، لأنهم اختلفوا في أمر عيسى اختلفًا شديدًا

يَأْتُونَنَا لَكِنَ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّا نَحْنُ نُرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾ وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لَأُوتِيَنَّكَ نِعْمَةً مِنْ رَبِّي إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴿٤١﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٢﴾ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴿٤٣﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤٤﴾ قَالَ أَرَأَيْبُ أَنْتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ سَلِّمْ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٦﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٧﴾ فَلَمَّا أَعْتَزَلْتَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٨﴾ وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٤٩﴾

بَيْنَهُمْ ﴿ معناه من تلقائهم ومن أنفسهم وأن الاختلاف لم يخرج عنهم ﴾ من مشهد يوم عظيم ﴿ يعني يوم القيامة ﴾ أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا ﴿ أي ما أسمعهم وما أبصرهم يوم القيامة على أنهم في الدنيا في ضلال مبين ﴾ يوم الحسرة ﴿ هو يوم يأتي بالموت في صورة كبش فيذبح ثم يقال يا أهل الجنة خلود لا موت ويا أهل النار خلود لا موت، وقيل هو يوم القيامة وانتصاب يوم على المفعولية، لا على الظرفية ﴾ وهم في غفلة ﴿ يعني في الدنيا فهو متعلق بقوله: ﴿ في ضلال مبين ﴾ أو بـ ﴿ أنذرهم ﴾ ﴿ صديقاً ﴾ بناء مبالغة من الصدق أو من التصديق، ووصفه بأنه صديق قبل الوحي نبي بعده، ويحتمل أنه جمع الوصفين ﴿ ما لا يسمع ولا يبصر ﴾ يعني الأصنام ﴿ صراطاً سويّاً ﴾ أي قويمًا ﴿ لأرجمك ﴾ قيل يعني الرجم بالحجارة وقيل الشتم ﴿ واهجرني ملياً ﴾ أي حيناً طويلاً، وعطف اهجرني على محذوف تقديره احذر رجمي لك ﴿ قال سلام عليك ﴾ وذاع مفارقة، وقيل مسالمة لا تحية لأن ابتداء الكافر بالسلام لا يجوز ﴿ سأستغفر لك ﴾ وعد وهو الذي أشير إليه بقوله: ﴿ عن موعده وعدها إياه ﴾ قال ابن عطية: معناه سادعو الله أن يهديك فيغفر لك بإيمانك، وذلك لأن الاستغفار للكافر لا يجوز، وقيل وعده أن يستغفر له مع كفره، ولعله كان لم يعلم أن الله لا يغفر للكفار حتى أعلمه بذلك، ويقوي هذا القول قوله ﴿ واغفر لأبي إنه كان من الضالين ﴾ [الشعراء: ٨٦]، ومثل هذا قول النبي ﷺ لأبي طالب/ «لأستغفرن لك ما لم أنه عنك» ﴿ حفيّاً ﴾ أي باراً متلطفاً ﴿ وأعتزلكم وما تدعون ﴾ أي ما تعبدون ﴿ إسحق ويعقوب ﴾ هما ابنه وابن ابنة وهبهما الله له عوضاً من أبيه وقومه الذين اعتزلهم ﴿ من رحمتنا ﴾ النبوة، وقيل

وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ وَنَذَيْتُهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ
 وَفَرَّقْتُهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾ وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ
 الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾ وَأَذْكُرُ فِي
 الْكِتَابِ إِدْرِيْسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ
 مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ
 الرَّحْمَنِ خَرَوْا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴿٥٨﴾ ﴿٥٩﴾ خَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ

المال والولد، واللفظ أعم من ذلك لسان صدق يعني الثناء الباقي عليهم إلى آخر الدهر
 ﴿مُخْلَصًا﴾ بكسر اللام أي أخلص نفسه وأعماله لله ويفتحها أي أخلصه الله للنبوة والتقريب
 ﴿وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ النبي أعم من الرسول لأن النبي كل من أوحى الله إليه ولا يكون
 رسولا حتى يرسله الله إلى الناس مع النبوة فكل رسول نبي وليس كل نبي رسولا
 ﴿وَنَادَيْنَاهُ﴾ هو تكليم الله له ﴿الطور﴾ وهو الجبل المشهور بالشام ﴿الأيمن﴾ صفة للجانب
 وكان على يمين موسى حين وقف عليه ويحتمل أن يكون من اليمن ﴿نَجِيًّا﴾ النجى فعيل
 وهو المنفرد بالمناجاة وقيل هو من المناجاة، والأول أصح ﴿مِنْ رَحْمَتِنَا﴾ من سببية أو
 للتبويض وأخاه على الأول مفعول وعلى الثاني بدل ﴿إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ﴾ رُوِيَ أَنَّهُ وَعَدَ
 رجلاً إلى مكان فانتظره فيه سنة، وقيل الإشارة إلى صدق وعده في قصة الذبيح في قوله
 ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ [الصافات: ١٠٢]، وهذا يدل على قول من قال إن
 الذبيح هو إسماعيل ﴿إِدْرِيْسَ﴾ هو أول نبي بعث إلى أهل الأرض بعد آدم، وهو أول من
 خط بالقلم، ونظر في علم النجوم وخط الثياب، وهو من أجداد نوح عليه السلام ﴿وَرَفَعْنَاهُ
 مَكَانًا عَلِيًّا﴾ قال ابن عباس رفعه الله إلى السماء وهناك مات، وفي حديث الإسراء وإنه في
 السماء الرابعة، وقيل يعني رفعة النبوة وتشريف منزلته، والأول أشهر ورجحه الحديث
 ﴿أُولَئِكَ﴾ إشارة إلى كل من ذكر في هذه السورة من زكريا إلى إدريس ﴿مِنَ النَّبِيِّينَ﴾ من
 هنا للبيان، والتي بعدها للتبويض ﴿مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ﴾ يعني نوحاً وإدريس ﴿وَمِمَّنْ حَمَلْنَا﴾ يعني
 إبراهيم ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ﴾ يعني إسماعيل وإسحق ويعقوب ﴿وَإِسْرَائِيلَ﴾ يعني أن من
 ذريته موسى وهارون ومريم وعيسى وزكريا ويحيى ﴿وَمِمَّنْ هَدَيْنَا﴾ يحتمل العطف على من
 الأولى أو الثانية ﴿بُكِيًّا﴾ جمع بك ووزنه فعول ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾ يقال في عقب
 الخير خلف بفتح اللام

يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يظَلَمُونَ شَيْئًا ﴿٦٠﴾ جَنَّاتٍ
عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا ﴿٦١﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَهُمْ
رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةٌ وَعِشْيَا ﴿٦٢﴾ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾ وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ
رَبِّكَ لَهُمْ مَا يَبْتَغُونَ وَمَا خَلَقْنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا
بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾

المراد بذلك، فقيل النصراني لأنهم خلفوا اليهود، وقيل كل من كفر وعصى من بعد بني إسرائيل ﴿أَصَاعُوا الصَّلَاةَ﴾ قيل تركوها، وقيل أخرجوها عن أوقاتها ﴿يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ الغي الخسران، وقد يكون بمعنى الضلال فيكون على حذف مضاف تقديره يلقون جزاء غي ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ﴾ استثناء يحتمل الاتصال والانقطاع ﴿بِالْغَيْبِ﴾ أي أخبرهم من ذلك بما غاب عنهم ﴿مَأْتِيًا﴾ وزنه مفعول، فقيل إنه بمعنى فاعل، لأن الوعد هو الذي يأتي وقيل إنه على بابه لأن الوعد هو الجنة وهم يأتونها ﴿لَغْوًا﴾ يعني ساقط الكلام ﴿إِلَّا سَلَامًا﴾ استثناء منقطع ﴿بُكْرَةٌ وَعِشْيَا﴾ قيل المعنى أن زمانهم يقدر بالأيام والليالي، إذ ليس في الجنة نهار ولا ليل، وقيل المعنى أن الرزق يأتيهم في كل حين يحتاجون إليه، وعبر عن ذلك بالبكرة والعشي على عادة الناس في أكلهم.

﴿وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ حكاية قول جبريل حين غاب عن النبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم فقال له: «أبطأت عني واشتقت إليك» فقال إني كنت أشوق ولكنني عبد مأمور إذا بعثت نزلت وإذا حبست احتبست ونزلت هذه الآية ﴿لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ﴾ أي له ما قدامنا وما خلفنا وما نحن فيه من الجهات والأماكن، فليس لنا الانتقال من مكان إلى مكان إلا بأمر الله، وقيل ما بين أيدينا: الدنيا إلى النفخة الأولى في الصور، وما خلفنا: الآخرة، وما بين ذلك: ما بين النفختين وقيل ما مضى من أعمالنا وما بقي منها، والحال التي نحن فيها، والأول أكثر مناسبة لسياق الآية ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ هو فعيل من النسيان بمعنى الذهول وقيل بمعنى الترك، والأول أظهر ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ أي مثيلاً ونظيراً فهو من المسامي والمضاهي، وقيل من تسمى باسمه، لأنه لم يتسم باسم الله غير الله تعالى ﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا﴾ هذه حكاية قول من أنكز البعث من القبور، والإنسان هنا جنس يراد به الكفار، وقيل إن القائل لذلك أبي بن خلف، وقيل أمة بن خلف والهمزة التي دخلت على أذا ما ميت للإنكار والاستبعاد، واللام هي

أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ﴿١٧﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًا ﴿١٨﴾ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عَيْنًا ﴿١٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًا ﴿٢٠﴾ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًا ﴿٢٢﴾ وَإِذَا نُتِلَّىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٢٣﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثْنًا وَرِيعًا ﴿٢٤﴾ قُلْ مَنْ

قوله لسوف: سيقت على الحكاية لقول من قال بهذا المعنى، والإخراج يراد به البعث ﴿أَوْ لَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ﴾ احتجاج على صحة البعث، ورد على من أنكره، لأن النشأة الأولى دليل على الثانية ﴿لَنُحْضِرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ﴾ يعني قرناءهم من الشياطين الذين أضلّوهم، والواو للعطف أو بمعنى مع فيكون الشياطين مفعول معه ﴿جِثِيًا﴾ جمع جاث، ووزنه مفعول من قولك جثا الرجل إذا جلس جلسة الذليل الخائف ﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ﴾ الشيعة: الطائفة من الناس التي تنفق على مذهب أو اتباع إنسان، ومعنى الآية أن الله ينزع من كل طائفة أعتاها فيقدمه إلى النار، وقال بعضهم المعنى نبدأ بالأكبر جرماً فالأكبر جرماً ﴿أَيُّهُمْ﴾ اختلف في إعرابه، فقال سيبويه هو مبني على الضم لأنه حذف العائد عليه من الصلة، وكان التقدير أيهم أشد فوجب البناء، وقال الخليل هو مرفوع على الحكاية تقديره الذي يقال له أشد، وقال يونس علق عنها الفعل وارتفعت بالابتداء ﴿أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًا﴾ الصلي: مصدر صلي النار، ومعنى الآية: أن الله يعلم من هو أولى بأن يصلى العذاب ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ خطاب لجميع الناس عند الجمهور، فأما المؤمنون فيدخلونها، ولكنها تخدم فلا تضرهم، فالورود على هذا بمعنى الدخول كقوله: ﴿حَضْبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٨]، وأوردتهم النار، وقيل الورد بمعنى القدوم عليها كقوله: ﴿وَرَدَّ مَاءَ مِذْيَنَ﴾ [القصص: ٢٣]، والمراد بذلك جواز الصراط وقيل الخطاب للكفار فلا إشكال ﴿حَتْمًا﴾ أي أمراً لا بد منه ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ إن كان الورد بمعنى الدخول فنجاة الذين اتقوا بكون النار عليهم برداً وسلاماً، ثم بالخروج منها وإن كان بمعنى المرور على الصراط فنجاتهم بالجواز والسلامة من الوقوع فيها ﴿أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ الفريقان هم المؤمنون والكفار، والمقام اسم مكان من قام، وقرىء بالضم من أقام، والندى المجلس، ومعنى الآية: أن الكفار قالوا للمؤمنين: نحن خير منكم مقاماً: أي أحسن حالاً في الدنيا، وأجمل مجلساً فنحن أكرم على الله منكم ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ﴾ كم مفعول بأهلكنا، ومعنى

كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلِمَ دِدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ
 مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا ﴿٧٥﴾ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَيْتِ الصَّالِحَاتِ خَيْرٌ
 عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ
 الْغَيْبَ أَمْ أَخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾
 وَنُرِيهِمْ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾ وَأَخَذُوا مِنَ ذُؤَبِ اللَّهِ إِلَهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا
 سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤْوَهُمْ أَرْأَىٰ ﴿٨٣﴾

الدنيا دليلاً على الكرامة عند الله، لأن الله قد أهلك من كان أحسن حالاً منكم في الدنيا ﴿هُم أَحْسَنُ﴾ قال الزمخشري هذه الجملة في موضع نصب صفة لكم ﴿أَنَاثًا﴾ أي متاع البيت، وقال ابن عطية هو اسم عام في المال العيين والعروض والحيوان، وهو اسم جمع، وقيل هو جمع، واحده أناة ﴿وَرِيًّا﴾ بهمزة ساكنة قبل الياء: معناه منظر حسن، وهو من الرؤية، والرئي اسم المرثي، وقرئ بتشديد الياء من غير همز، وهو تخفيف من الهمز، فالمعنى متفق، وقيل هو من ربي الشارب أي التنعم بالمشارب والمآكل، وقرأ ابن عباس زياً بالزاي ﴿فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا﴾ أي يمهلهم ويملي لهم، واختلف هل هذا الفعل دعاء أو خبر سيق بلفظ الأمر تأكيداً ﴿حَتَّىٰ﴾ هنا غاية للمد في الإضلال ﴿إِمَّا الْعَذَابَ﴾ يعني عذاب الدنيا ﴿شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا﴾ في مقابلة قولهم خيراً مقاماً وأحسن ندباً ﴿وَالْبَيْتَاتِ الصَّالِحَاتِ﴾ ذكر في الكهف ﴿خَيْرٌ مَّرَدًّا﴾ أي مرجعاً وعاقبة ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ﴾ هو العاصي بن وائل ﴿وَقَالَ لَأُوتِيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾ كان قد قال لئن بعثت كما يزعم محمد ليكونن لي هناك مالا وولداً ﴿أَطَّلَعَ الْغَيْبَ﴾ الهمزة للإنكار، والرد على العاصي في قوله ﴿كَلَّا﴾ رد له عن كلامه ﴿سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ﴾ إنما جعله مستقبلاً لأنه إنما يظهر الجزاء والعقاب في المستقبل ﴿وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا﴾ أي نزيد له فيه ﴿وَنُرِيهِمْ مَا يَقُولُ﴾ أي نرث الأشياء التي قال إنه يؤتاها في الآخرة، وهي المال والولد ووراثتها هي بأن يهلك العاصي ويتركها، وقد أسلم ولده هشام وعمرو رضي الله عنهما ﴿وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾ أي بلا مال ولا ولد ولا ولي ولا نصير ﴿سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ﴾ قيل إن الضمير في يكفرون للكفار وفي عبادتهم للمعبودين، فالمعنى كقولهم: ﴿ما كنا مشركين﴾، وقيل إن الضمير في يكفرون للمعبودين، وفي عبادتهم للكفار، فالمعنى كقولهم ما كنتم إيانا تعبدون ﴿وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ معناه يكون لهم خلاف ما أملوه منهم فيصير العز الذي أملوه ذلّه، وقيل معناه أعداء ﴿أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَىٰ

فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٦﴾ يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفَدًّا ﴿٨٥﴾ وَنُسَوِّقُ الْمُجْرِمِينَ
إِلَى جَهَنَّمَ وَرِدًّا ﴿٨٦﴾ لَا يَمْلِكُونَ الشَّفْعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ
وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ
هَذَا ﴿٩٠﴾ أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
فَرْدًا ﴿٩٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ فَإِنَّمَا يَسْرُنَهُ
بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا ﴿٩٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّنْ قَرْنٍ هَلْ يُحِشُّ

الكَافِرِينَ ﴿ تَضْمَنَ مَعْنَى سُلْطَانًا، وَلِذَلِكَ تَعَدَّى بَعْلَى ﴿ تَوَزَّهْمُ أَرْأُ ﴾ أَي تَزْعَجُهُمْ إِلَى الْكُفْرِ
وَالْمَعَاصِي ﴿ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ ﴾ أَي لَا تَسْتَبْطِئْ عَذَابَهُمْ وَتَطْلُبُ تَعْجِيلَهُ ﴿ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ
عَدًّا ﴾ أَي نَعُدُّ مَدَّةَ بَقَائِهِمْ فِي الدُّنْيَا. وَقِيلَ نَعُدُّ أَنْفُسَهُمْ ﴿ وَفَدًّا ﴾ قِيلَ مَعْنَاهُ رِكَبَانًا، وَمَعْنَى
الْوَفْدِ لُغَةٌ الْقَادِمُونَ وَعَادَتُهُمُ الرُّكُوبُ فَلِذَلِكَ قِيلَ ذَلِكَ، وَقِيلَ مُكْرَمُونَ، لِأَنَّ الْعَادَةَ إِكْرَامُ
الْوَفُودِ ﴿ وَوَرَدًا ﴾ مَعْنَاهُ عَطَاشًا لِأَنَّ مَنْ يَرِدُ الْمَاءَ لَا يَرِدُهُ إِلَّا لِلْعَطَشِ ﴿ لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ ﴾
الضَّمِيرُ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ لِلْكَفَّارِ، وَالْمَعْنَى لَا يَمْلِكُونَ أَنْ يَشْفَعُوا لَهُمْ، وَيَكُونُ مَنْ اتَّخَذَ:
اسْتِثْنَاءً مُنْقَطِعًا بِمَعْنَى لَكِنْ، أَوْ يَكُونُ الضَّمِيرُ لِلْمُتَّقِينَ فَالِاسْتِثْنَاءُ مُتَّصِلٌ، وَالْمَعْنَى لَا يَمْلِكُونَ
أَنْ يَشْفَعُوا إِلَّا لِمَنْ اتَّخَذَ عَهْدًا أَوْ لَا يَمْلِكُونَ أَنْ يَشْفَعَ مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ اتَّخَذَ عَهْدًا، أَوْ يَكُونُ
الضَّمِيرُ لِلْفَرِيقَيْنِ إِذْ قَدْ ذَكَرُوا قَبْلَ ذَلِكَ؛ فَالِاسْتِثْنَاءُ أَيْضًا مُتَّصِلٌ، وَمَنْ اتَّخَذَ: يَحْتَمِلُ أَنْ يَرَادَ
بِهِ الشَّافِعُ أَوْ الْمَشْفُوعُ لَهُ ﴿ عَهْدًا ﴾ يَرِيدُ بِهِ الْإِيمَانَ وَالْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَرِيدَ بِهِ
الْإِذْنَ فِي الشَّفَاعَةِ، وَهَذَا أَرْجَحُ لِقَوْلِهِ: ﴿ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ ﴾، وَالظَّاهِرُ أَنَّ
ذَلِكَ إِشَارَةٌ إِلَى شَفَاعَةِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ فِي الْمَوْقِفِ حِينَ يَنْفَرُ بِهَا وَيَقُولُ غَيْرُهُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ
نَفْسِي نَفْسِي ﴿ شَيْئًا إِذَا ﴾ أَي شَيْئًا صَعْبًا ﴿ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ ﴾ أَي يَشْتَقِقْنَ مِنْ قَوْلِ الْكُفَّارِ: اتَّخَذَ
اللَّهُ وَلَدًا ﴿ هَذَا ﴾ أَي انْهَدَامًا ﴿ أَنْ دَعَوْا ﴾ أَي مِنْ أَجْلِ أَنْ دَعَوْا ﴿ لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ﴾ وَقُرِئَ وَلَدًا
بِضْمِ الْوَاوِ وَإِسْكَانِ اللَّامِ، وَهِيَ لُغَةٌ ﴿ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ رَدَّ عَلَى مَقَالَةِ
الْكَفَّارِ، وَالْمَعْنَى أَنَّ الْكُلَّ عَيْبِدُهُ، فَكَيْفَ يَكُونُ أَحَدٌ مِنْهُمْ وَلَدًا لَهُ، وَإِنْ نَافِيَةٌ، وَكُلُّ مُبْتَدَأٍ
وَخَبْرُهُ آتَى الرَّحْمَنِ ﴿ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴾ هِيَ الْمَحَبَّةُ وَالْقَبُولُ الَّذِي يَجْعَلُهُ اللَّهُ فِي
الْقُلُوبِ لِمَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ، وَقِيلَ إِنَّهَا نَزَلَتْ فِي عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ﴿ يَسْرُنَاهُ
بِلِسَانِكَ ﴾ الضَّمِيرُ لِلْقُرْآنِ بِأَنَّكَ أَسْرُنَاهُ بِأَلْسِنَتِكَ ﴿ قَوْمًا لُدًّا ﴾ جَمَعَ أَلْدَ، وَهُوَ الشَّدِيدُ الْخُصُومَةُ

مَتَّعَهُمْ مِنْ آخِذٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴿٩٨﴾

والمجادلة، والمراد بذلك قريش، وقيل معناه فجارًا ﴿أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾ هو الصوت الخفي، والمعنى أنهم لم يبق منهم أثر، وفي ذلك تهديد لقريش.

سورة طه

مكية إلا آيتي ١٣ و ١٣١
فمدنيتين وآياتها ١٣٥ نزلت بعد مريم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طه ﴿١﴾ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴿٢﴾ إِلَّا تَذِكْرَةً لِمَنْ يَخْشَى ﴿٣﴾ تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ
وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى ﴿٤﴾ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴿٥﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قيل في طه إنه من أسماء النبي ﷺ وقيل معناه يا رجل، وانظر الكلام على حروف الهجاء في أول سورة البقرة ﴿مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾ قيل إن النبي ﷺ قام في الصلاة حتى تورمت قدماه، فنزلت الآية تخفيفاً عنه، فالشقاء على هذا إفراط التعب في العبادة، وقيل المراد به التأسف على كفر الكفار، واللفظ عام في ذلك كله، والمعنى أنه نفى عنه جميع أنواع الشقاء في الدنيا والآخرة لأنه أنزل عليه القرآن الذي هو سبب السعادة ﴿إِلَّا تَذِكْرَةً﴾ نصب على الاستثناء المنقطع، وأجاز ابن عطية أن يكون بدلاً من موضع لتشقى إذ هو في موضع مفعول من أجله، ومنع ذلك الزمخشري لاختلاف الجنسيتين، ويصح أن يتصب بفعل مضمّر تقديره أنزلناه تذكراً ﴿تَنْزِيلًا﴾ نصب على المصدرية والعامل فيه مضمّر وما أنزلنا وبدأ السورة بلفظ المتكلم في قوله: ﴿مَا أَنْزَلْنَا﴾ ثم رجع إلى الغيبة في قوله: ﴿تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى﴾ جمع

وَمَا تَحْتِ الثَّرَىٰ ﴿٦﴾ وَإِنْ نَجَّهَرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَىٰ ﴿٧﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ﴿٩﴾ إِذْ رَأَىٰ نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدُ عَلَى النَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّا أَنهَا نُودِيَ بِمُوسَىٰ ﴿١١﴾ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ ﴿١٣﴾ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿١٤﴾ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أَخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا

عليها ﴿عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ تكلمنا عليه في الأعراف ﴿الثرى﴾ هو في اللغة التراب الندي، والمراد به هنا الأرض ﴿وإن تجهز﴾ مطابقة هذا الشرط لجوابه كأنه يقول إن جهرت أو أخفيت فإنه يعلم ذلك لأنه يعلم السر وأخفى ﴿يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ السر الكلام الخفي، والأخفى ما في النفس، وقيل السر ما في نفوس البشر، والأخفى ما انفرد الله بعلمه ﴿الأسماء الحسنى﴾ تكلمنا عليها في الأعراف ﴿وهل أتاك﴾ لفظ استفهام والمراد به التنبية ﴿إذ رأى﴾ العامل في إذ حديث لأن فيه معنى الفعل وكان من قصة موسى أنه رحل بأهله من مدين يريد مصر فسار بالليل واحتاج إلى نار فقدم بزناده فلم يندح، فرأى نارا فقصده إليها فناداه الله، وأرسله إلى فرعون ﴿آنست نارا﴾ أي رأيت ﴿بقبس﴾ هو الجذوة من النار تكون على رأس العود والقصبه ونحوها ﴿أو أجد على النار هدى﴾ يعني هدى إلى الطريق من دليل أو غيره ﴿فاخلع نعليك﴾ قيل إنما أمر بخلع نعليه، لأنهما كانتا من جلد حمار ميت، فأمر بخلع النجاسة، واختار ابن عطية أن يكون أمر بخلعهما ليتأدب ويعظم البقعة المباركة ويتواضع في مقام مناجاة الله وهذا أحسن ﴿بالوادي المقدس﴾ أي المطهر ﴿طوى﴾ في معناه قولان: أحدهما أنه اسم للوادي، وإعرابه على هذا بدل، ويجوز تنوينه على أنه مكان وترك صرفه على أنه بقعة، والثاني أن معناه مرتين، فإعرابه على هذا مصدر: أي قدس الوادي مرة بعد مرة أو نودي موسى مرة بعد مرة ﴿واقم الصلاة للذكرى﴾ قيل المعنى لتذكرني فيها، وقيل لأذكرك بها، فالمصدر على الأول مضاف للمفعول وعلى الثاني مضاف للمفاعل، وقيل معنى للذكرى: عند ذكرى كقوله: ﴿اقم الصلاة ليدلوك الشمس﴾ [الإسراء: 178]: أي عند دلوك الشمس، وهذا أرجح؛ لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم استدلل بالآية: على وجوب الصلاة على الناسي إذا ذكرها ﴿أكاد أخفيها﴾ اضطرب الناس في معناه، فقيل أخفيها بمعنى أظهرها، وأخفيت هذا من الأضداد، وقال ابن عطية: هذا قول مختل، وذلك أن المعروف في اللغة أن يقال: أخفى بالالف من الإخفاء وخفي بغير ألف بمعنى أظهر فلو كان بمعنى الظهور لقال أخفيها بفتح همزة المضارع، وقد قرئ بذلك

تَسَعَى ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدُّنَاكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرَدَّى ﴿١٦﴾ وَمَا تِلْكَ بِبَيْمِينِكَ يَمُوسَى ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا وَأَهشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِي فِيهَا مَنَازِبُ أُخْرَى ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقَهَا يَمُوسَى ﴿١٩﴾ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى ﴿٢١﴾ وَأَضْمَمْنَا يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى ﴿٢٢﴾ لئَلَّيْكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى ﴿٢٣﴾ أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَأَحْلِلْ

في الشاذ، وقال الزمخشري قد جاء في بعض اللغات أخفى بمعنى خفي: أي أظهر، فلا يكون هذا القول مختلاً على هذه اللغة، وقيل أكاد بمعنى أريد، فالمعنى أريد إخفاءها وقيل إن المعنى إن الساعة آتية أكاد، وتم هنا الكلام بمعنى أكاد أنفذهما لقربها، ثم استأنف الإخبار فقال أخفيها، وقيل المعنى أكاد أخفيها عن نفسي فكيف عنكم، وهذه الأقوال ضعيفة، وإنما الصحيح أن المعنى أن الله أبهم وقت الساعة فلم يُطلع عليه أحد، حتى أنه كاد أن يخفي وقوعها لإبهام وقتها، ولكنه لم يخفها إذ أخبر بوقوعها، فالأخفى على معناه المعروف في اللغة، وكاد على معناها من مقاربة الشيء دون وقوعه وهذا المعنى عن اختيار المحققين ﴿لئَلَّيْكَ﴾ يتعلق بآتية ﴿بِمَا تَسَعَى﴾ أي بما تعمل ﴿فَلَا يَصُدُّنَاكَ عَنْهَا﴾ الضمير للساعة: أي لا يصدنك عن الإيمان بها والاستعداد لها، وقيل الضمير للصلاة وهو بعيد، والخطاب لموسى عليه السلام، وقيل لمحمد ﷺ وذلك بعيد ﴿فَتَرَدَّى﴾ معناه تهلك، والردى هو الهلاك وهذا الفعل منصوب في جواب لا يصدنك.

﴿وَمَا تِلْكَ بِبَيْمِينِكَ يَا مُوسَى﴾ إنما سأله لئريه عظيم ما يفعله في العصا من قلبها حية فمعنى السؤال تقرير أنها عصى فيتبين له الفرق بين حالها قبل أن يقلبها، وبعد أن قلبها، وقيل إنما سأله ليؤنسه ويبسطه بالكلام ﴿وَأَهشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي﴾ معناه أضرب بها الشجر لينتشر الورق للغنم ﴿مَنَازِبُ﴾ أي حوائج ﴿حَيَّةٌ تَسْعَى﴾ أي تمشي ﴿سِيرَتَهَا الْأُولَى﴾ يعني أنه لما أخذها عادت كما كانت أول مرة، وانتصب سيرتها على أنه ظرف أو مفعول بإسقاط حرف الجر ﴿وَأَضْمَمْنَا يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ﴾ الجناح هنا الجنب أي تحت الإبط، وهو استعارة من جناح الطائر ﴿تَخْرُجُ بَيْضَاءَ﴾ رُوي أن يده خرجت وهي بيضاء كالشمس ﴿مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ يريد من غير برص ولا عاهة ﴿لئَلَّيْكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى﴾ يحتمل أن تكون الكبرى مفعول لثريك، وأن تكون صفة للآيات ويختلف المعنى على ذلك ﴿اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ إن قيل لِمَ قال اشْرَحْ لِي ويسر لي ولسر

عُقْدَةً مِنْ لَسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٢٨﴾ وَأَجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ أَشَدُّ بِهِ أَرْزِي ﴿٣١﴾
 وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَيْ تَسْبِحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَتَذَكَّرَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ
 سُؤْلَكَ يَمْوَسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ ﴿٣٨﴾ أَنْ اقْذِيفِيهِ فِي
 التَّابُوتِ فَاقْذِيفِيهِ فِي الْيَمِّ فَيَلْقَهُ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوِّي وَعَدُوُّ لَمْ وَالْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ
 عَلَيَّ عَيْتِي ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَنَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَنْ يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا
 وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِتِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَيَّ قَدِيرٍ

وتحقيق للرغبة ﴿واخلل عقدة من لساني﴾ العقدة هي التي اعترته بالجمرة حين جعلها في
 فيه وهو صغير حين أراد فرعون أن يجزبه، وإنما قال عقدة بالتكثير لأنه طلب حل بعضها
 ليفقهوا قوله ولم يطلب الفصاحة الكاملة ﴿وزيراً﴾ أي معيناً، وإعراب هارون بدل أو مفعول
 أول ﴿أزري﴾ أي ظهري والمراد القوة ومنه فازره أي قواه ﴿قال قد أوتيت سؤالك﴾ أي قد
 أعطيناك كل ما طلبت من الأشياء المذكورة ﴿إذ أوحينا إلى أمك﴾ يحتمل أن يكون وحي
 كلام بواسطة ملك، أو وحي إلهام كقوله: ﴿وأوحى ربك إلى النحل﴾ [النحل: ٦٨]، ﴿ما
 يوحى﴾ إبهام يراد به تعظيم الأمر ﴿أن اقذيفيه في التابوت فاقذيفيه في اليم﴾ الضمير الأول
 لموسى والثاني للتابوت أو لموسى واليم البحر، والمراد به هنا النيل، وكان فرعون قد ذكر
 له أن هلاكه وخراب ملكه على يد غلام من بني إسرائيل، فأمر بذبح كل ولد ذكر يولد
 لهم، فأوحى الله إلى أم موسى أن تلقيه في التابوت وتلقي التابوت في البحر ففعلت ذلك،
 وكان فرعون في موضع يشرف على النيل، فرأى التابوت فأمر به فسيق إليه وامراته معه
 ففتحه فاشفت عليه امراته وطلبت أن تتخذه ولداً فأباح لها ذلك ﴿ياخذة عدو لي وعدو له﴾
 هو فرعون ﴿محببة مني﴾ أي أحببتك، وقيل أراد محبة الناس فيه إذ كان لا يراه أحد إلا
 أحبه، وقيل أراد محبة امرأة فرعون ورحمتها له، وقوله مني: يحتمل أن يتعلق بقوله
 ألقى، أو يكون صفة لمحبة فيتعلق بمحذوف ﴿ولتضع على عيني﴾ أي تربي ويحسن
 إليك بمراي مني وحفظ، والعامل في لتصنع محذوف ﴿إذ تمشي أختك﴾ العامل في إذ
 تصنع أو ألقى، أو فعل مضمرة تقديره ومنا عليك ﴿فنتقول هل أدلكم على من يكفله﴾ كان
 لا يقبل ثدي امرأة فطلبوا له مربية، فقالت أخته ذلك ليرد إلى أمه ﴿وقتل نفساً﴾ يعني
 القبطي الذي وكزه فقتل عليه ﴿فنجيناك من الغم﴾ يعني الخوف من أن يطلب بثار المقول
 ﴿وقتلناك فتونا﴾ أي اخترناك اختباراً حتى ظهر منك أنك تصلح للنبوّة والرسالة، وقيل

يَمُوسَى ﴿٤١﴾ وَأَصْطَنَعْتَكَ لِنَفْسِي ﴿٤٢﴾ أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا نَبِيًّا فِي ذِكْرِي ﴿٤٣﴾ أَذْهَبَا إِلَى
 فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿٤٤﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَنَا لَعَلَّهُ يُتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴿٤٥﴾ قَالَ رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرَطَ عَلَيْنَا أَوْ
 أَنْ يَطْغَى ﴿٤٦﴾ قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى ﴿٤٧﴾ فَأَنبَأَهُ فِقُولًا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ
 مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى ﴿٤٨﴾ إِنَّا قَدْ
 أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴿٤٩﴾ قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى
 كُلَّ شَيْءٍ حَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ

خَلصناك من محنة بعد محنة، لأنه خلصه من الذبح ثم من البحر، ثم من القصاص بالقتل،
 والفنون: يحتمل أن يكون مصدرًا أو جمع فتنه ﴿قَلْبَيْتَ سِنِينَ﴾ يعني الأعوام العشرة التي
 استأجره فيها شعيب ﴿جِئْتُ عَلَى قَدَرٍ﴾ أي بميقات محدود قَدَرَهُ اللهُ لِنُبُوتِكَ ﴿وَأَصْطَنَعْتُكَ
 لِنَفْسِي﴾ عبارة عن الكرامة والتقريب أي استخلصتك وجعلتك موضع صنيعتي وإحساني
 ﴿وَلَا تَنْبِيَا﴾ أي لا تضعفا ولا تقصرا، والونى هو الضعف عن الأمور والتقصير فيها ﴿أَنْ
 يُفْرَطَ﴾ أي يعمل بالشر ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ أي سرحهم، وكانوا تحت يد فرعون
 وقومه، فكانت رسالة موسى إلى فرعون بالإيمان بالله وتسريح بني إسرائيل ﴿وَلَا تُعَذِّبْهُمْ﴾
 كان يعذبهم بذبح أبنائهم وتسخيرهم في خدمته وإذلالهم ﴿قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ﴾ يعني قلب العصا
 حية وإخراج اليد بيضاء، وإنما وحدهما وهما آيتان، لأنه أراد إقامة البرهان وهو معنى
 واحد ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى﴾ يحتمل أن يريد التحية أو السلامة ﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا
 مُوسَى﴾ أفرد موسى بالنداء بعد جمعه مع أخيه، لأنه الأصل في النبوة وأخوه تابع له ﴿الَّذِي
 أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ حَلْقَهُ﴾ المعنى أن الله أعطى خلقه كل شيء يحتاجون إليه فخلقه على هذا
 بمعنى المخلوقين، وإعرابه مفعول أول، وكل شيء مفعول ثانٍ، وقيل المعنى أعطى كل
 شيء خلقته وصورته: أي أكمل ذلك وأتقنه فالخلق على هذا بمعنى الخلقة وإعرابه مفعول
 ثانٍ، وكل شيء مفعول أول، والمعنى الأول أحسن ﴿ثُمَّ هَدَى﴾ أي هدى خلقه إلى
 التوصل لما أعطاهم وعلمهم كيف ينتفعون به ﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى﴾ يحتمل أن
 يكون سؤاله عن القرون الأولى محاكاة ومناقضة لموسى: أي ما بالها لم تبعث كما يزعم
 موسى أو ما بالها لم تكن على دين موسى أو ما بالها كذبت ولم يصبها عذاب كما زعم
 موسى في قوله: ﴿أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ [طه: ٤٨]، ويحتمل أن يكون قال
 ذلك قطعًا للكلام الأول

رَبِّي وَلَا يَنْسَى ﴿٥٦﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْ نَّبَاتٍ شَتَّى ﴿٥٧﴾ كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النَّهْيِ ﴿٥٨﴾ وَمِنهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴿٥٩﴾ وَلَقَدْ آرَيْنَهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى ﴿٦٠﴾ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى ﴿٦١﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ فَأَجْعَلْ لِي نَارًا

موسى عن الكلام في شأنها، فقال علمها عند ربي، ثم عاد إلى وصف الله رجوعاً إلى الكلام الأول ﴿فِي كِتَابٍ﴾ يعني اللوح المحفوظ ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا﴾ أي فراشاً، وانظر كيف وصف موسى ربه تعالى بأوصاف لا يمكن فرعون أن يتصف بها لا على وجه الحقيقة ولا على وجه المجاز، ولو قال له هو القادر أو الرازق وشبه ذلك لا يمكن فرعون أن يغالطه ويدعي ذلك لنفسه ﴿وَسَلَّكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾ أي نهج لكم فيها طرقاً تمشون فيها ﴿فَأَخْرَجْنَا﴾ يحتمل أن يكون من كلام موسى على تقدير يقول الله عز وجل فأخرجنا، ويحتمل أن يكون كلام موسى تم عند قوله: ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ ثم ابتداء كلام الله ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْ نَّبَاتٍ شَتَّى﴾ أي أصنافاً مختلفة ﴿كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ﴾ المعنى أنها تصلح لأن تؤكل وترعاها الأنعام، وعبر عن ذلك بصيغة الأمر لأنه أذن في ذلك فكلته أمر به ﴿لِأُولِي النَّهْيِ﴾ أي العقول واحداً نهيمة ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ﴾ الضمير للأرض يريد خلقه آدم من تراب ﴿وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾ يعني بالدفن عند الموت ﴿وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ﴾ يعني عند البعث ﴿أَرْيَيْنَاهُ آيَاتِنَا﴾ يعني الآيات التي رآها فرعون وهي تسع آيات، وليس يريد جميع آيات الله على العموم، فالإضافة في قوله آياتنا تجري مجرى التعريف بالمعهد: أي آياتنا التي أعطينا موسى كلها، وإنما أضافها الله إلى نفسه تشريفاً ﴿فَأَجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا﴾ يحتمل أن يكون الموعد اسم مصدر أو اسم زمان أو اسم مكان ويدل على أنه اسم مكان قوله مكيلنا سؤى، ولكن يضعف بقوله موعدكم يوم الزينة، لأنه أجاب بظرف الزمان، ويدل على أن الموعد اسم زمان قوله يوم الزينة ولكن يضعف بقوله مكاناً سؤى، ويدل على أنه اسم مصدر بمعنى الموعد قوله لا نخلفه، لأن الإخلاف إنما يوصف به الوعد لا للزمان ولا للمكان، ولكن يضعف ذلك بقوله مكاناً وبقوله يوم الزينة فلا بد على كل وجه من تأويل أو إضمار ويختلف إعراب قوله مكاناً باختلاف تلك الوجوه فاما إن كان الموعد اسم مكان فيكون قوله موعداً ومكاناً مفعولين لقوله اجعل، ويطابقه قوله يوم الزينة من طريق المعنى، لا من طريق اللفظ، وذلك أن الاجتماع في المكان يقتضي الزمان ضرورة، وإن كان الموعد اسم زمان فينتصب قوله مكاناً على أنه ظرف زمان، والتقدير موعداً كائناً في مكان وإن كان

وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا تُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ
 ضُحًى ﴿٥٩﴾ فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ
 كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَى ﴿٦١﴾ فَلَنَنْزِعُوا أَمْرَهُم بِبَيْنِهِمْ وَاسْرُوا النَّجْوَى ﴿٦٢﴾
 قَالُوا إِنْ هَذَا إِلَّا لَسِحْرَانِ يَرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَّى ﴿٦٣﴾
 فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ آتُوا صَفًا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ اسْتَعْلَى ﴿٦٤﴾ قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقَى وَإِمَّا أَنْ
 نَكُونَ أَوْلَىٰ مِنْ آلِ قَيْسٍ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا جِآهَلُكُمْ وَعِصِيَّتُهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى ﴿٦٦﴾

الموعِد اسم مصدر فينتصب مكاناً على أنه مفعول بالمصدر وهو الموعِد، أو بفعل من معناه، ويطابقه قوله يوم الزينة على حذف مضاف تقديره موعِدكم وعد يوم الزينة، وقرأ الحسن يوم الزينة بالنصب وذلك يطابق أن يكون الموعِد اسم مصدر من غير تقدير محذوف ﴿مَكَانًا سُوًى﴾ معناه مستوي في القرب منا ومنكم، وقيل معناه مستوي الأرض ليس فيه انخفاض ولا ارتفاع، وقرأ بكسر السين وضمها، والمعنى متفق ﴿يَوْمَ الزَّيْنَةِ﴾ يوم عيد لهم وقيل يوم عاشوراء ﴿وَأَنْ يُحْشَرَ﴾ عطف على الزينة، فهو في موضع خفض أو على اليوم فهو في موضع رفع وقصد موسى أن يكون موعدهم عند اجتماع الناس على رؤوس الأشهاد لتظهر معجزته ويستبين الحق للناس ﴿فَيُسْحِتْكُمْ﴾ معناه يهلككم، يقال سحت وأسحت، وقد قرئ بفتح الياء وضمها، والمعنى متفق ﴿قَالُوا إِنْ هَذَا إِلَّا لَسِحْرَانِ﴾ قرئ إن هذين بالياء ولا إشكال في ذلك، وقرأ بتخفيف إن وهي مخففة من الثقيلة، وارتفع بعدها هذان بالابتداء، وأما قراءة نافع وغيره بتشديد إن ورفع هذان، فقيل إن هنا بمعنى نعم فلا تنصب، ومنه ما روي في الحديث أن الحمد لله بالرفع، وقيل اسم إن ضمير الأمر والشأن تقديره إن الأمر، وهذان لساحران مبتدأ وخبر في موضع خبر إن، وقيل جاء القرآن في هذه الآية ببلغة بني الحارث بن كعب وهو إبقاء التثنية بالألف حال النصب والخفض، وقالت عائشة رضي الله عنها هذا مما لحن فيه كتاب المصحف ﴿وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَّى﴾ أي يذهب بسيرتكم الحسنة ﴿فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ﴾ أي اعزموا وأنفذوه ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾ استدلل بعضهم بهذه الآية على أن السحر تخيل لا حقيقة، وقال بعضهم إن حيلة السحرة في سعي الحبال والعصي هي أنهم حشوها بالزئبق، وأوقدوا تحتها نارا وغطوا النار لئلا يراها الناس، ثم وضعوا عليها حبالهم وعصيتهم، وقل جعلوها للشمس، فلما أحس الزئبق بحر النار سعى سعي الحبال والعصي فحملها فتخيّل

فَأَوْحَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةَ مُوسَى ﴿١٧﴾ فَلَمَّا لَا تَخَفَ إِنَّا أَنْتَ الْأَعْلَى ﴿١٨﴾ وَالْقَى مَا فِي يَمِينِكَ نَلْقَفَ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يَفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴿١٩﴾ فَأَلْقَى السَّحْرَةَ سُجَّدًا قَالُوا ءَأَمَّا رَبِّ هَرُونَ وَمُوسَى ﴿٢٠﴾ قَالَ ءَأَمَنْتُمْ لَمْ قَبْلَ أَنْ ءَأَذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرِكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَأَصْلَبَنَكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ وَلَنَعْلَمَنَّ إِنَّمَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى ﴿٢١﴾ قَالُوا لَنْ نُؤْتِيَنَّكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرْنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٢٢﴾ إِنَّمَا ءَأَمَّا رَبَّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا حَطِينًا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿٢٣﴾ إِنَّهُمْ مِنْ يَأْتِ رَبَّهُمْ جَحِيمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ﴿٢٤﴾ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى ﴿٢٥﴾ جَنَّتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ ءَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرَبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَفْ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى ﴿٢٧﴾ فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٢٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى ﴿٢٩﴾ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَجْجَنَّاكُمْ مِنْ حَدُوكُمْ وَوَعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى ﴿٣٠﴾ كَلُوا لِلنَّاسِ أَنَّهَا تَمْشِي فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَصَارَتْ ثَعْبَانًا فَابْتَلَعْتُمَا ﴿٣١﴾ إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ ﴿٣٢﴾ مَا هُنَا مَوْصُولَةٌ وَهِيَ اسْمٌ إِنْ وَكَيْدٌ خَبَرَهَا ﴿٣٣﴾ ءَأَمَّا رَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى ﴿٣٤﴾ قَدَّمَ هَارُونَ لِتَعَادُلِ رُؤُوسِ الْآيِ ﴿٣٥﴾ مِنْ خَلْفٍ ﴿٣٦﴾ أَيِ قَطَعَ الْيَدَ الْيُمْنَى وَالرَّجْلَ الْيُسْرَى ﴿٣٧﴾ وَالَّذِي فَطَرْنَا ﴿٣٨﴾ مَعْطُوفٌ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ، وَقِيلَ هِيَ وَارِ الْقِسْمِ ﴿٣٩﴾ هَذِهِ الْحَيَاةُ ﴿٤٠﴾ نَصَبٌ عَلَى الظَّرْفِيَّةِ أَيِ إِنَّمَا قَضَاؤُكَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا ﴿٤١﴾ إِنَّهُ مِنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا ﴿٤٢﴾ قِيلَ إِنْ هُنَا وَمَا بَعْدَهُ مِنْ كَلَامِ السَّحْرَةِ لِفِرْعَوْنَ عَلَى وَجْهِ الْمَوْعِظَةِ، وَقِيلَ هُوَ مِنْ كَلَامِ اللَّهِ ﴿٤٣﴾ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي ﴿٤٤﴾ يَعْنِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَأَضَافَهُمْ إِلَى نَفْسِهِ تَشْرِيفًا لَهُمْ، وَكَانُوا فِيهَا قِيلَ سِتْمَاةَ أَلْفٍ ﴿٤٥﴾ يَبَسًا، أَيِ يَابَسًا، وَهُوَ مُصَدَّرٌ وَصَفَ بِهِ ﴿٤٦﴾ لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى ﴿٤٧﴾ أَيِ لَا تَخَافُ أَنْ يَدْرَكَكَ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ، وَلَا تَخْشَى الْغُرُقَ فِي الْبَحْرِ ﴿٤٨﴾ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٤٩﴾ إِيْهَامٌ لِقَصْدِ التَّهْوِيلِ ﴿٥٠﴾ وَمَا هَدَى ﴿٥١﴾ إِنْ قِيلَ إِنْ قَوْلُهُ: ﴿٥٢﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ ﴿٥٣﴾ يُعْنِي عَنْ قَوْلِهِ: ﴿٥٤﴾ وَمَا هَدَى ﴿٥٥﴾، فَالْجَوَابُ أَنَّهُ مَبَالِغَةٌ وَتَأْكِيدٌ، وَقَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ هُوَ تَهَكُّمٌ بِفِرْعَوْنَ فِي قَوْلِهِ: ﴿٥٦﴾ وَمَا أَهْدَيْكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٥٧﴾ [غافر: ٢٩].

﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ خطاب لهم بعد خروجهم من البحر، وإغراق فرعون، وقيل هو خطاب لمن كان منهم في عصر رسول الله ﷺ، والأول أظهر ﴿وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ﴾

مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحِلَّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨٦﴾
 وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ ﴿٨٧﴾ وَمَا أَعْجَلَكُ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَىٰ ﴿٨٧﴾
 قَالَ هُمْ أَوْلَاءُ عَلَىٰ أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٨﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ
 السَّامِرِيُّ ﴿٨٩﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَقُولُونَ لِمَ يَدْعُكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدَا حَسَنًا
 أَفَطَالَ عَلَيْكُمْ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي ﴿٩٠﴾ قَالُوا مَا
 أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا وَلٰكِنَّا حَمَلْنَا آوَارًا مِّنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلَقَى السَّامِرِيُّ ﴿٩١﴾

الأيمن ﴿٨٦﴾ لما أهلك الله فرعون وجنوده أمر موسى وبني إسرائيل أن يسيروا إلى جانب طور
 سيناء ليكلّم فيه ربه، والطور هو الجبل، واختلف هل هذا الطور هو الذي رأى فيه موسى
 النار في أول نبوته، أو هو غيره ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ﴾ ذكر في البقرة ﴿فَقَدْ
 هَوَىٰ﴾ أي هلك، وهو استعارة من السقوط من علو إلى سفلى ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَنْ تَابَ﴾
 المغفرة لمن تاب حاصله ولا بدّ والمغفرة للمؤمن الذي لم يتب في مشيئة الله عند أهل
 السنة، وقالت المعتزلة لا يغفر إلا لمن تاب ﴿ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾ أي استقام ودام على الإيمان
 والتوبة والعمل الصالح، ويحتمل أن يكون الهدى هنا عبارة عن نور وعلم يجعله الله في
 قلب من تاب وآمن وعمل صالحًا، ﴿وَمَا أَعْجَلَكُ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَىٰ﴾ قصص هذه الآية
 أن موسى عليه السلام لما أمره الله أن يسير هو وبني إسرائيل إلى الطور تقدّم هو وحده
 مبادرة إلى أمر الله، وطلبًا لرضاه، وأمر بني إسرائيل أن يسيروا بعده، واستخلف عليهم
 أخاه هارون، فأمرهم السامريّ حينئذ بعبادة العجل، فلما وصل موسى إلى الطور دون قومه
 قال له الله تعالى: ﴿مَا أَعْجَلَكُ عَنْ قَوْمِكَ﴾، وإنما سأل الله موسى عن سبب استعجاله دون
 قومه ليخبره موسى بأنهم يأتون على أثره فيخبره الله بما صنعوا بعده من عبادة العجل، وقيل
 سأله على وجه الإنكار لتقدّمه وحده دون قومه فاعتذر موسى بعذرین: أحدهما أن قومه
 على أثره: أي قريب منه، فلم يتقدّم عليهم بكثير فيوجب العتاب، والثاني أنه إنما تقدّم طلبًا
 لرضا الله ﴿وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾ كان السامريّ رجلاً من بني إسرائيل يقال إنه ابن خال
 موسى، وقيل لم يكن منهم وهو منسوب إلى قرية بمصر يقال لها سامرة، وكان ساحراً
 منافقاً ﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾ يعني رجع من الطور بعد إكمال الأربعين يوماً التي كلّمه
 الله فيها ﴿أَسِفًا﴾ ذكر في الأعراف ﴿لَمَّا تَدْعُكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدَا حَسَنًا﴾ يعني ما وعدهم من
 الوصول إلى الطور ﴿أَفْطًا﴾

فَأَخْرَجَ لَهُمْ عَجَلًا جَسَدًا لَّهُمْ خَوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُ
 يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَقَوْمِ إِنَّكَافَتِنْتُمْ
 بِهِ ۗ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴿٩٠﴾ قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا
 مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ قَالَ يَهْرُونَ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ﴿٩٢﴾ أَلَمْ تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمْ لَا
 تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي ۗ إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿٩٤﴾ قَالَ

قرىء بالفتح والضم والكسر، ومعناه ما أخلفنا موعدك بأن ملكنا أمرنا، ولكن غلبنا بكيد
 السامري فيحتمل أنهم اعتذروا بقلّة قدرتهم وطاقتهم ويناسب هذا المعنى القراءة بضم
 الميم، واعتذروا بقلّة ملكهم لأنفسهم في النظر وعدم توفيقهم للرأي السديد، ويناسب هذا
 المعنى القراءة بالفتح والكسر ﴿حُمَلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ﴾ الأوزار هنا الأحمال سُميت
 أوزارًا لثقلها، أو لأنهم اكتسبوا بسببها الأوزار أي الذنوب وزينة القوم هي حلّي القبط قوم
 فرعون كان بنو إسرائيل قد استعاروه منهم قبل هلاكهم، وقيل أخذوه بعد هلاكهم فقال لهم
 السامري: اجمعوا هذا الحلّي في حفرة حتى يحكم الله فيه، ففعلوا ذلك وأوقد السامري
 نارًا على الحلّي وصاغ منه عجلًا وقيل بل خلق الله منه العجل من غير أن يصنعه السامري،
 ولذلك قال لموسى قد فتنا قومك من بعدك ﴿فَقَدَفْنَاهَا﴾ أي قدفنا أحمال الحلّي في الحفرة
 ﴿فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ﴾ كان السامري قد رأى جبريل عليه السلام، فأخذ من وطء فرسه
 قبضة من تراب وألقى الله في نفسه أنه إذا جعلها على شيء موأتا صار حيوانًا فألقاها على
 العجل فخار العجل أي صاح صياح العجول، فالمعنى أنهم قالوا كما ألقينا الحلّي في
 الحفرة ألقى السامري قبضة التراب ﴿جَسَدًا﴾ أي جسمًا بلا روح، والخوار صوت البقر
 ﴿فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ﴾ أي قال ذلك بنو إسرائيل بعضهم لبعض ﴿فَنَسِيَ﴾ يحتمل وجهين:
 أحدهما أن يكون من كلام بني إسرائيل والفاعل موسى: أي نسي موسى إلهه هنا، وذهب
 يطلبه في الطور، والنسيان على هذا بمعنى الذهول، والوجه الثاني: أن يكون من كلام الله
 تعالى، والفاعل على هذا السامري: أي نسي دينه وطريق الحق، والنسيان على هذا
 المعنى: الترك ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُ يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾ معناه لا يردّ عليهم كلامًا إذا كَلّموه وذلك
 ردّ عليهم في دعوى الربوبية له، وقرىء يرجع بالرفع، وأن مخففة من الثقيلة، وبالنصب
 وهي مصدرية ﴿قَالَ يَا هَارُونَ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا أَلَمْ تَتَّبِعَنِ﴾ لا زائدة للتأكيد،
 والمعنى ما منعك أن تتبعني في المشي إلى الطور، أو تتبعني في الغضب لله وشدة الزجر
 لمن عبد العجل وقتاله بمن لم يعبهه ﴿قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ﴾ ذكر في الأعراف ﴿لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي

فَمَا خَطْبُكَ يَا سَمِيرِيُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴿٩٦﴾ قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسٌ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّنْ تُخْلَفَهُ وَانظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّكَ إِلهُكُمْ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ

وَلَا بِرَأْسِي ﴿٩٨﴾ كان موسى قد أخذ بشعر هارون ولحيته من شدة غضبه لما وجد بني إسرائيل قد عبدوا العجل ﴿إني خشيت أن تقول فرقت بين بني إسرائيل﴾ أي لو قاتلت من عبد العجل منهم بمن لم يعبده لقلت فرقت جماعتهم وأدخلت العداوة بينهم، وهذا على أن يكون معنى قوله تتبعني بالزجر والقتال ولو اتبعتك في المشي إلى الطور لا تبغني بعضهم دون بعض ففرقت جماعتهم وهذا على أن يكون معنى تتبعني في المشي إلى الطور ﴿ولم تزق قولي﴾ يعني قوله له: اخلفني في قومي وأصلح ﴿قال فما خطبك يا ساميري﴾ أي قال موسى ما شأنك ولفظ الخطب يقتضي الانتهاز، لأنه يستعمل في المكاره ﴿قال بصرت بما لم يبصروا به﴾ أي رأيت ما لم يروه يعني جبريل عليه السلام وفرسه ﴿فقبضت قبضة من أثر الرسول﴾ أي قبضت قبضة من تراب من أثر فرس الرسول وهو جبريل، وقرأ ابن مسعود «من أثر فرس الرسول» وإنما سمي جبريل بالرسول، لأن الله أرسله إلى موسى، والقبضة مصدر قبض، وإطلاقها على المفعول من تسمية المفعول بالمصدر كضرب الأمير، ويقال قبض بالضاد المعجمة إذا أخذ بأصابعه وكفه، وبالصاد المهملة: إذا أخذ بأطراف الأصابع وقد قرئ كذلك في الشاذ ﴿فتبذتها﴾ أي ألقيتها على الحلي، فصار عجلاً أو على العجل فصار له خوار ﴿فإن لك في الحياة أن تقول لا مساس﴾ عاقب موسى عليه السلام السامري بأن منع الناس من مخالطته ومجالسته ومؤاكلته، ومكالمته وجعل له مع ذلك أن يقول طول حياته لا مساس: أي لا مماسة ولا إذابة، ورؤي أنه كان إذا مسه أحد أصابت الحمى له وللذي مسه فصار هو يبعد عن الناس وصار الناس يبعدون عنه ﴿وإن لك موعداً﴾ يعني العذاب في الآخرة وهذا تهديد ووعيد ﴿ظلت﴾ أصله ظللت، حذفت إحدى اللامين والأصل في معنى ظل: أقام بالنهار، ثم استعمل في الدأب على الشيء ليلاً ونهاراً ﴿لنحرقنه﴾ من الإحراق بالنار، وقرئ بفتح النون وضم الراء بمعنى نيرده بالمبرد، وقد حمل بعضهم قراءة الجماعة على أنها من هذا المعنى، لأن الذهب لا يفنى بالإحراق بالنار، والصحيح أن المقصود بإحراقه بالنار إذابته وإفساد صورته، فيصح حمل قراءة الجماعة على ذلك ﴿ثم لننسفته في اليم نسفا﴾ الغبار ونحوه ﴿إنما

عَلَّمَ ﴿٩٨﴾ كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾ وَيَسْتَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُمْ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾ يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ

إِلَهُكُمْ اللَّهُ﴾ الآية: من كلام موسى لبني إسرائيل ﴿كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾ مخاطبة من الله تعالى لسيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، وأنباء ما قد سبق: أخبار المتقدمين ﴿ذِكْرًا﴾ يعني القرآن ﴿مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ﴾ يعني إعراض تكذيب به ﴿وِزْرًا﴾ الوزر في اللغة الثقل، ويعني هنا العذاب لقوله: ﴿خَالِدِينَ فِيهِ﴾ أو الذنوب لأنها سبب العذاب ﴿وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا﴾ شبه الوزر بالحمل لثقله، قال الزمخشري ساء تجري مجرى بئس، ففاعلها مضمر يفسره حملاً، وقال غيره فاعلها مضمر يعود على الوزر ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾ أي ينفخ الملك في القرن، وقرئ بالنون أي بأمرنا ﴿زُرْقًا﴾ أي زرق الألوان كالسواد، وقيل زرق العيون من العمى ﴿يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا﴾ أي يقول بعضهم لبعض في السر إن لبثتم في الدنيا إلا عشر ليالٍ وذلك لاستقلالهم مدة الدنيا، وقيل يعنون لبثهم في القبور ﴿يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا﴾ أي يقول أعلمهم بالأمور، فالإضافة إليهم إن لبثتم إلا يوماً واحداً فاستقل المدة أشد مما استقلها غيره ﴿يَنْسِفُهَا رَبِّي﴾ أي يجعلها كالغبار ثم يفرقها ﴿فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا﴾ الضمير في يذرها للجبال، والمراد موضعها من الأرض، والقاع الصفصف: المستوي من الأرض الذي لا ارتفاع فيه ﴿لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا﴾ المعروف في اللغة أن العوج بالكسر في المعاني، وبالفتح في الأشخاص والأرض شخص، فكان الأصل أن يقال فيها بالفتح، وإنما قاله بالكسر مبالغة في نفيه، فإن الذي في المعاني أدق من الذي في الأشخاص، فنفاه ليكون غاية في نفي العوج من كل وجه ﴿وَلَا أَمْتًا﴾ الأمت: هو الارتفاع اليسير ﴿يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ﴾ يعني الذي يدعو الخلق إلى الحشر ﴿لَا عِوَجَ لَهُ﴾ أي لا يعوج أحد عن أتباعه والمشي نحو صوته، أو لا عوج لدعوته لأنها حق ﴿هَمْسًا﴾ هو الصوت الخفي ﴿لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ﴾ يحتمل أن يكون الاستثناء متصلاً، ومن في موضع نصب بتنفع، وهي واقعة على المشفوع له،

وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴿١١٩﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ ۗ عَلِمًا ﴿١٢٠﴾ ۖ وَعَنْتَ الْوُجُوهُ
 لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١٢١﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ
 ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١٢٢﴾ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحَدِّثُ
 لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١٢٣﴾ فَنَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ
 رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١٢٤﴾ وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنَسَىٰ وَلَمْ نُجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا
 لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١٢٦﴾ فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ
 وَلِرِزْقِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١٢٨﴾ وَأَنَّكَ لَا

فالمعنى لا تنفع الشفاعة أحد إلا من أذن له الرحمن في أن يشفع له، وأن يكون الاستثناء منقطعاً ومن واقعة على الشافع، والمعنى لكن من أذن له الرحمن يشفع ﴿وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ إن أريد بمن أذن له الرحمن المشفوع فيه، فاللام في له بمعنى لأجله، أي رضي قول الشافع لأجل المشفوع فيه، وإن أريد الشافع فالمعنى رضي له قوله في الشفاعة ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ الضميران لجميع الخلق، والمعنى ذكر في آية الكرسي ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ قيل المعنى لا يحيطون بمعلوماته كقوله: ﴿ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء﴾ [البقرة: ٢٥٥]، والصحيح عندي أن المعنى لا يحيطون بمعرفة ذاته إذ لا يعرف الله على الحقيقة إلا الله، ولو أراد المعنى الأول لقال ولا يحيطون بعلمه، ولذلك استثنى إلا بما شاء هناك ولم يستثن هنا ﴿وَعَنْتَ الْوُجُوهُ﴾ أي ذلت يوم القيامة ﴿وَلَا هَضْمًا﴾ أي بخساً ونقصاً لحسناته ﴿أَوْ يُحَدِّثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾ أي تذكراً، وقيل شرقاً وهو هنا بعيد ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾ أي إذا أقرأك جبريل القرآن فاستمع إليه واصبر حتى يفرغ وحينئذ تقرأه أنت فالآية: كقوله: ﴿لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ [القيامة: ١٦]، وقيل كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا أوحى إليه القرآن يأمر بكتبه في الحين، فأمر أن يتأتى حتى تُفسر له المعاني، والأول أشهر ﴿عَاهَدْنَا إِلَىٰ آدَمَ﴾ أي وصيناه أن لا يأكل من الشجرة ﴿فَنَسَىٰ﴾ يحتمل أن يكون النسيان الذي هو ضد الذكر، فيكون ذلك عدواً لآدم أو يريد الترك، وقال ابن عطية: لا يمكن غيره، لأن الناسي لا عقاب عليه، وقد تقدم الكلام على قصة آدم وإبليس في البقرة ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ﴾ أي لا تطيعاه فيخرجكما من الجنة فجعل المسبب موضع السبب وخص آدم بقوله: ﴿فَتَشْقَىٰ﴾ لأنه كان المُخاطَبُ أولاً، والمقصد ما مختص بالرجال

تَظْمُؤًا فِيهَا وَلَا تَضْحَى ﴿١١٩﴾ فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَتَّادِمُ هَلْ أَذُكَ عَلَى شَجَرَةِ الْغُلَادِ
 وَمُلِكٍ لَا بَيْلَ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَّتْ لهُمَا سَوْءَ تَهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجِنَّةِ
 وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴿١٢١﴾ ثُمَّ أَجْنَبَهُ رَبُّهُ فَنَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى ﴿١٢٢﴾ قَالَ أَهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ
 لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَمَا يَا بَأْسَكُمْ مَنِ هَدَى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ
 عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي
 أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَنْتَ أَيْنَمَا فَتَسِينَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسى ﴿١٢٦﴾ وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ
 أَشْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى ﴿١٢٧﴾ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مَن
 الْكُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْجِدِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى ﴿١٢٨﴾ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ
 لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾ فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا

﴿لَا تَظْمُؤًا فِيهَا وَلَا تَضْحَى﴾ الظمأ هو العطش، والضحى هو البروز للشمس ﴿يَخْصِفَانِ﴾ ذكر في الأعراف وكذلك الشجرة وأكل آدم منها ذكر ذلك في البقرة ﴿أَهْبِطَا﴾ خطاب لآدم وحواء ﴿فَمَا يَا بَأْسَكُمْ﴾ هي إن الشرطية دخلت عليها ما الزائدة وجوابها فَمَنِ اتَّبَعَ ﴿فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ أي لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة ﴿مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ أي ضيقة، فقيل إن ذلك في الدنيا، فإن الكافر ضيق المعيشة لشدة حرصه وإن كان واسع الحال، وقد قال بعض الصوفية لا يعرض أحد عن ذكر الله إلا أظلم عليه وقته وتكدر عليه عيشه، وقيل إن ذلك في البرزخ، وقيل في جهنم بأكل الزقوم، وهذا ضعيف لأنه ذكر بعد هذا يوم القيامة وعذاب الآخرة ﴿وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ أي يعني أعمى البصر.

﴿فَنَسِينَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسى﴾ من الترك لا من الذهول ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى﴾ أي عذاب جهنم أشد وأبقى من العيشة الضنك ومن الحشر أعمى ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾ معناه أفلم يتبين لهم، والضمير لقريش والفاعل بيهد مقدر تقديره أو لم يهد لهم الهدى أو الأمر، وقال الزمخشري الفاعل الجملة التي بعده، وقيل الفاعل ضمير الله عز وجل، ويدل عليه قراءة أفلم نهدي بالنون، وقال الكوفيون الفاعل كم ﴿يَمْشُونَ فِي مَسْجِدِهِمْ﴾ يريد أن قريشا يمشون في مساكن عاد وثمود، ويعاينون آثار هلاكهم ﴿لِأُولِي النُّهَى﴾ أي ذوي العقول ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا﴾ الكلمة هنا القضاء السابق، والمعنى لولا قضاء الله بتأخير العذاب عنهم لكان العذاب لزاما: أي واقعا بهم ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ معطوف

وَمِنْ آتَايِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى ﴿١٢٦﴾ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٢٧﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَلَقِمَةُ لِلنَّفُوسِ ﴿١٢٨﴾ وَقَالُوا لَوْلَا يَا تَيْنَا بِأَيِّ مَن رَّبِّهِ ؕ أَوْلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةٌ مَا فِي

على كلمة: أي لولا الكلمة والأجل المسمى لكان العذاب لزاماً وإنما أخره لتعتدل رؤوس الآي، والمراد بالأجل المسمى يوم بدر، وبذلك ورد تفسيره في البخاري، وقيل المراد به أجل الموت، وقيل القيامة ﴿وَسَبِّحْ﴾ يحتمل أن يريد بالتسبيح الصلاة، أو قول سبحان الله وهو ظاهر اللفظ ﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ في موضع الحال أي وأنت حامد لربك على أن وفقك للتسبيح، ويحتمل أن يكون المعنى سبح تسبيحاً مقروناً بحمد ربك فيكون أمراً بالجمع بين قوله سبحان الله وقوله الحمد لله، وقد قال رسول الله ﷺ: «وسبحان الله والحمد لله تملآن ما بين السماء والأرض» ﴿قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ إشارة إلى الصلوات الخمس عند من قال إن معنى فسبح: الصلاة، فالتي قبل طلوع الشمس الصبح، والتي قبل غروبها الظهر والعصر، ومن آناء الليل المغرب والعشاء الآخرة وأطراف النهار المغرب والصبح، وكثر الصبح في ذلك تأكيداً للأمر بها، وسُمي الطرفين أطرافاً لأحد وجهين: إما على نحو ﴿فقد صغت قلوبكما﴾، وإما أن يجعل النهار للجنس، فلكل يوم طرف، وآناء الليل ساعاته، واحدها إني ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ ذكر في الحجر ومدّ العينين هو تطويل النظر ففي ذلك دليل على أن النظر غير الطويل معفو عنه ﴿زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ شبه نعم الدنيا بالزهر وهو النوار، لأن الزهر له منظر حسن، ثم يذبل ويضمحل، وفي نصب زهرة خمسة أوجه أن يتصب بفعل مضمر على الذم، أو يضمن متعنا معنى أعطينا، ويكون زهرة مفعولاً ثانياً له، أو يكون بدلاً من موضع الجار والمجرور أو يكون بدلاً من أزواجاً على تقدير ذوي زهرة أو ينتصب على الحال ﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ أي لنختبرهم ﴿لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا﴾ أي لا نسألك أن ترزق نفسك ولا أهلك فتفرغ أنت وأهلك للصلاة فنحن نرزقك، وكان بعض السلف إذا أصاب أهله خصاصة قال قوموا فصلوا بهذا أمركم الله، ويتلو هذه الآية ﴿أَوْ لَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةٌ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ البينة هنا البرهان، والصحف الأولى هي التوراة والإنجيل وغيرهما من كتب الله، والضمير في قالوا وفي أَوْ لَمْ تَأْتِهِمْ لقريش لما اقترحوا آية على وجه العناد والتعنت: أجابهم الله بهذا الجواب، والمعنى قد جاءكم برهان ما في التوراة والإنجيل من ذكر محمد ﷺ، فلائي شيء تطلبون آية أخرى، ويحتمل أن يكون المعنى قد جاءكم القرآن وفيه من العلوم والقصص

الضُّحْفِ الْأُولَى ﴿١٢٦﴾ وَلَوْ أَنَا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا
فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَنْ نُنزِلَ وَنَخْزِي ﴿١٢٧﴾ قُلْ كُلُّ مُتَرَبِّصٍ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَن أَصْحَابُ
الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى ﴿١٢٨﴾

﴿وَلَوْ أَنَا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ﴾ الآية: معناها لو أهلكنا هؤلاء الكفار قبل بعث محمد ﷺ لاحتجوا على الله بأن يقولوا لولا أرسلنا رسولاً، ولولا هنا عرض فقامت عليهم الحجة ببعثه ﷺ ﴿قُلْ كُلُّ مُتَرَبِّصٍ﴾ أي قل كل واحد منا ومنكم منتظر لما يكون من هذا الأمر ﴿فَتَرَبَّصُوا﴾ تهديد ﴿الصِّرَاطِ السَّوِيِّ﴾ المستقيم.

سورة الأنبياء

مكية وآياتها ١١٢ نزلت بعد سورة إبراهيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ إِلَّا أَسْتَمِعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسْرَأَ النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾ الناس لفظ عام، وقال ابن عباس: المراد به هنا المشركون من قريش بدليل ما بعد ذلك، لأنه من صفاتهم، وإنما أخبر عن الساعة بالقرب، لأن الذي مضى من الزمان قبلها أكثر مما بقي لها ولأن كل آت قريب ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ﴾ يعني بالذكر القرآن، ومحدث: أي محدث النزول ﴿وَأَسْرَأَ النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ الواو في أسروا ضمير فاعل يعود على ما قبله، والذين ظلموا: بدل من الضمير، وقيل إن الفاعل هو الذين ظلموا، وجاء ذلك على لغة من قال أكلوني البراغيث، وهي لغة بني الحارث بن كعب، وقال سيويه لم تأت هذه اللغة في القرآن ويحتمل أن يكون الذين ظلموا منصوبًا بفعل مضمر على الذم أو خبر ابتداء مضمر، والأول أحسن ﴿هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ هذا الكلام في موضع نصب بدل من النجوى، لأنه هو الكلام الذي تناجوا به، والبشر المذكور في الآيات السابقة ﴿قَالَ﴾ إخبار بأنه ما

مَثَلِكُمْ مِثْلَكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٤﴾ بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلْ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أَرْسَلْنَا الْأَوَّلُونَ ﴿٥﴾ مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَتَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ﴿٨﴾ ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾ وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّا أَحْسَسُوا بِأَسْنَانَا إِذَا هُمْ مِنْهَا

تناجوا به على أنهم أسروه، فإن قيل هلا قال يعلم السر مناسبة لقوله أسروا النجوى؟ فالجواب: أن القول يشمل السر والجهر فحصل به ذكر السر وزيادة ﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ﴾ أي أخلاط منامات، وحكي عنهم هذه الأقوال الكثيرة ليظهر اضطراب أمرهم وبطلان أقوالهم ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا الْأَوَّلُونَ﴾ أي كما جاء الرسل المتقدمون بالآيات فليأتنا محمد بآية فالتشبيه في الإتيان بالمعجزة ﴿مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا﴾ لما قالوا فليأتنا بآية أخبرهم الله أن الذين من قبلهم طلبوا الآيات فلما رأوها ولم يؤمنوا أهلكوا، ثم قال ﴿أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾ أي أن حالهم في عدم الإيمان وفي الهلاك كحال من قبلهم، ويحتمل أن يكون المعنى: أن كل قرية هلكت لم تؤمن فهؤلاء كذلك ولا يكون على هذا جواباً لقولهم فليأتنا بآية بل يكون إخباراً مستأنفاً على وجه التهديد؛ وأهلكناها في موضع الصفة لقرية، والمراد أهل القرية ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا﴾ رد على قولهم هل هذا إلا بشر مثلكم والمعنى أن الرسل المتقدمين رجالاً من البشر فكيف تنكرون أن يكون هذا الرجل رسولاً ﴿أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ يعني أحبار أهل الكتاب ﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ﴾ أي ما جعلنا الرسل أجساداً غير طاعمين، ووحد الجسد لإرادة الجنس، ولا يأكلون الطعام صفة لجسد، وفي الآية رد على قولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام ﴿وَمَنْ نَشَاءُ﴾ يعني المؤمنين ﴿فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ أي شرفكم وقيل تذكيركم ﴿قَصَمْنَا﴾ أي أهلكنها، وأصله من قصم الظهر أي كسره ﴿مِنْ قَرْيَةٍ﴾ يريد أهل القرية؛ قال ابن عباس: هي قرية باليمن يقال لها حضور بعث الله إليهم نبياً فقتلوه فسأط الله عليهم بختنصر ملك بابل فأهلكهم بالقتل، وظاهر اللفظ أنه على العموم لأن كم للتكثير، فلا يريد قرية معينة ﴿يُزَكُّهُمْ﴾ عبارة عن فرارهم، فيحتمل أن يكونوا ركبوا الدواب وركضوها لتسرع الجري أو شبهوا في سرعة جريهم على أرجلهم بمن

يَرْكُضُونَ ﴿١٧﴾ لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَىٰ مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسْكَنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَسْتَلُونَ ﴿١٨﴾ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا
كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿١٩﴾ فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَتُهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ
وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعِبِينِ ﴿٢١﴾ لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهَوًا لَاتَّخَذْتَهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٢٢﴾ بَلْ
نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا نَصِفُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿٢٤﴾ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا
يَفْتُرُونَ ﴿٢٥﴾ أَمْ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ ﴿٢٦﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا

يركض الدابة ﴿لَا تَرْكُضُوا﴾ أي قيل لهم لا تركضوا والقائل لذلك هم الملائكة قالوه تهكمًا بهم، أو رجال بختنصر إن كانت القرية المعينة قالوا ذلك لهم خداعًا ليرجعوا فيقتلوههم ﴿أُتْرِفْتُمْ﴾ أي نعمتم ﴿لَعَلَّكُمْ تَسْتَلُونَ﴾ تهكم بهم وتوبيخ أي ارجعوا إلى نعيمكم ومساكنكم لعلكم تستلون عما جرى عليكم، ويحتمل أن يكون تستلون بمعنى يطلب لكم الناس معروفكم وهذا أيضًا تهكم ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا﴾ الآية اعتراف وندم حين لم ينفعهم ﴿حَصِيدًا خَامِدِينَ﴾ شهبوا في هلاكهم بالزرع المحصود، ومعنى خامدين: موتى وهو تشبيه بخمود النار ﴿لَاعِبِينَ﴾ حال منفية أي ما خلقنا السموات والأرض لأجل اللعب بل للاعتبار بها، والاستدلال على صانعها ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهَوًا لَاتَّخَذْتَاهُ مِنْ لَدُنَّا﴾ اللهو في لغة اليمن: الولد، وقيل المرأة، ومن لدننا: أي من الملائكة، فالمعنى على هذا لو أردنا أن نتخذ ولدًا لاتخذناه من الملائكة، لا من بني آدم، فهو رد على من قال إن المسيح ابن الله وعزير ابن الله، والظاهر أن اللهو بمعنى اللعب لاتصاله بقوله لاعبين، وقال الزمخشري المعنى على هذا لو أردنا أن نتخذ لهوًا لكان ذلك في قدرتنا ولكن ذلك لا يليق بنا لأنه مناقض للحكمة، وفي كلا القولين نظر ﴿إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ يحتمل أن تكون إن شرطية وجوابها فيما قبلها، أو نافية، والأول أظهر ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ﴾ الحق عام في القرآن والرسالة والشرع وكل ما هو حق، والباطل عام في أضداد ذلك ﴿فَيَدْمَغُهُ﴾ أي يقمعه ويطله، وأصله من إصابة الدماغ ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ﴾ يعني الملائكة ﴿وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ أي لا يعيون ولا يملون ﴿أَمْ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ﴾ أم هنا للإضراب عما قبلها، والاستفهام على وجه الإنكار لما بعدها من الأرض يتعلق بينشرون والمعنى أن الآلهة التي اتخذها المشركون لا يقدر أن ينشروا الموتى من الأرض فليست بآلهة في الحقيقة لأن من صفة الإله القدرة على الإحياء والإماتة ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ أي لو كان فيهما إلهة إلا الله وحداية الله

فَسَبَّحَنَّا اللَّهَ رَبَّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسْتَلْ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْتَلُونَ ﴿٢٣﴾ أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ
 إِلَهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرٌ مِنْ مَعِي وَذِكْرٌ مِنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ
 مُعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾
 وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ

تعالى، والضمير في قوله فيهما للسموات والأرض، وإلا الله صفة لآلهة، وإلا بمعنى غير،
 فاقتضى الكلام أمرين أحدهما نفي كثرة الآلهة، ووجوب أن يكون الإله واحداً، والأمر
 الثاني: أن يكون ذلك الواحد هو الله دون غيره، ودل على ذلك قوله إلا الله، وأما الأول
 فكانت الآية تدل عليه لو لم تذكر هذه الكلمة، وقال كثير من الناس في معنى الآية: إنها
 دليل على التمانع الذي أورده الأصوليون، وذلك أنا لو فرضنا إلهين فأراد أحدهما شيئاً
 وأراد الآخر نقيضه، فإما أن تنفذ إرادة كل واحد منهما وذلك مُحال لأن النقيضين لا
 يجتمعان، وإما أن لا تنفذ إرادة واحد منهما، وذلك أيضاً مُحال، لأن النقيضين لا يرتفعان
 معاً، ولأن ذلك يؤدي إلى عجزهما وقصورهما، فلا يكونان إلهين، وإما أن ينفذ إرادة
 واحد منهما دون الآخر، فالذي تنفذ إرادته هو الإله، والذي لا تنفذ إرادته ليس بإله، فالإله
 واحد. وهذا الدليل إن سلمنا صحته فلفظ الآية لا يطابقه، بل الظاهر من اللفظ استدلال
 آخر أصح من دليل التمانع، وهو أنه لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا، لما يحدث بينهما
 من الاختلاف والتنازع في التدبير وقصد المغالبة، ألا ترى أنه لا يوجد ملكان اثنان لمدينة
 واحدة، ولا وليّان لخطة واحدة ﴿لَا يُسْتَلْ عَمَّا يَفْعَلُ﴾ لأنه مالك كل شيء والمالك يفعل
 في ملكه ما يشاء، ولأنه حكيم، فأفعاله كلها جارية على الحكمة ﴿وَهُمْ يُسْتَلُونَ﴾ لفقد
 العلتين ﴿أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً﴾ كزّر هذا الإنكار استعظاماً للشرك ومبالغة في تقييحه لأن
 قبله من صفات الله ما يوجب توحيده ولينابط به ما ذكر بعده من تعجيز المشركين وأنهم ليس
 لهم على الشرك برهان لا من جهة العقل ولا من جهة الشرع ﴿هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ تعجيز لهم
 وقد تكلمنا على هاتوا في البقرة ﴿هَذَا ذِكْرٌ مِنْ مَعِي وَذِكْرٌ مِنْ قَبْلِي﴾ رد على المشركين
 والمعنى هذا الكتاب الذي معي والكتب التي من قبلي ليس فيهما ما يقتضي الإشراك بالله،
 بل كلها متفقة على التوحيد ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا﴾ الآية: رد على المشركين، والمعنى أن كل
 رسول إنما أتى بلا إله إلا الله ﴿عِبَادٌ مُكْرَمُونَ﴾ يعني الملائكة وهم الذين قال فيهم بعض
 الكفار أنهم بنات الله، فوصفهم بالعبودية لأنها تناقض النبوة، ووصفهم بالكرامة، لأن ذلك
 هو الذي غرّ الكفار حتى قالوا فيهم ما قالوا ﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ﴾ أي لا يتكلمون حتى

بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٧٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِنَ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٧٨﴾ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌُ مِّنْ دُونِهِ فَلَنُجْزِيَهُ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٧٩﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا أَفَلَا يَأْمِنُونَ ﴿٨٠﴾ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيًّا أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٨١﴾ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۗ وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٨٢﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۗ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٨٣﴾ وَمَا جَعَلْنَا لِشَرٍّ مِنْ قَبْلِكَ

يتكلم هو تأدباً معه ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾ أي لمن ارتضى أن يشفع له، ويحتمل أن تكون هذه الشفاعة في الآخرة أو في الدنيا وهي استغفارهم لمن في الأرض ﴿مُشْفِقُونَ﴾ أي خائفون ﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ﴾ الآية على فرض أن لو قالوا ذلك، ولكنهم لا يقولونه، وإنما مقصد الآية الرد على المشركين وقيل إن الذي قال إني إله هو إبليس لعنه الله ﴿كَانَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ الرتق مصدر وصف به، ومعناه الملتصق ببعضه ببعض الذي لا صدع فيه ولا فتح، والفتق الفتح فقيل كانت السموات ملصقة بالأرض ففتقها الله بالهواء، وقيل كانت السموات ملتصقة ببعضها ببعض والأرض كذلك ففتقها الله سبعا سبعا والرؤية في قوله أو لم ير على هذا رؤية قلب، وقيل فتق السماء بالمطر وفتق الأرض بالنبات، فالرؤية على هذا رؤية عين ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا﴾ أي خلقنا من الماء كل حيوان ويعني بالماء المنى وقيل الماء الذي يشرب لأنه سبب لحياة الحيوان، ويدخل في ذلك النبات باستعارة ﴿رَوَاسِيٍّ﴾ يعني الجبال ﴿أَنْ تَمِيدَ﴾ تقديره كراهية أن تميد ﴿فِجَاجًا﴾ يعني الطرق الكبار، وإعرابه عند الزمخشري حال من السبل، لأنه صفة تقدمت على النكرة ﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ يعني في طرقهم وتصرفاتهم ﴿سَقْفًا مَّحْفُوظًا﴾ أي حفظ من السقوط ومن الشياطين ﴿عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ يعني الكواكب والأمطار والرعد والبرق وغير ذلك ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ التنوين في كل عوض عن الإضافة أي كلهم في فلك يسبحون يعني الشمس والقمر دون الليل والنهار، إذ لا يوصف الليل والنهار بالسبح في الفلك فالحجلمة في موضع حال من الشمس والقمر أو مستأنفاً، فإن قيل: لفظ كل يسبحون جمع، فكيف يعني الشمس والقمر وهما اثنان؟ فالجواب: أنه أراد جنس مطالعها كل يوم وليلة وهي كثيرة قاله الزمخشري وقال القزويني: أراد الشمس والقمر وسائر الكواكب السيارة، وعبر عنهما بضمير الجماعة العقلاء في قوله يسبحون، لأنه وصفهم بفعل العقلاء وهو السبح، فإن قيل: كيف قال في فلك، هم أفلاك، فالجواب: أنه أراد الشمس والقمر وسائر الكواكب السيارة، وهو السبح، فإن قيل: كيف قال في فلك،

الْخُلْدُ أَفَايِنٌ مَّتَّ فَهُمْ أَخْلَدُونَ ﴿٢٦﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبَلُوكُمْ بِالْأَسْرِ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٢٧﴾ وَإِذْ رَأَى الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٢٨﴾ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُولُكُمْ عَابَتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٢٩﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٠﴾ لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ

وذلك كقولهم: كساهم الأمير حلّة أي كسا كل واحد منهم حلّة، ومعنى الفلك جسم مستدير، وقال بعض المفسرين إنه من موج، وذلك بعيد، والحق أنه لا يعلم صفته وكيفيته إلا بإخبار صحيح عن الشارع، وذلك غير موجود، ومعنى يسبحون يجرون، أو يدورون، وهو مستعار من السبح بمعنى العوم في الماء، وقوله كل في فلك من المقلوب الذي يقرأ من الطرفين ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ﴾ سببها أن الكفار طعنوا على النبي ﷺ بأنه بشر يموت، وقيل إنهم تمنوا موته ليشتموا به، وهذا أنسب لما بعده ﴿أَفَايِنٌ مَّتَّ فَهُمْ أَخْلَدُونَ﴾ موضع دخول الهمزة فهم الخالدون وتقدمت لأن الاستفهام له صدر الكلام.

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ أي كل نفس مخلوقة لا بد لها أن تذوق الموت، والذوق هنا استعارة ﴿وَنَبَلُوكُمْ بِالْأَسْرِ وَالْخَيْرِ﴾ أي نختبركم بالفقر والغنى والصحة والمرض وغير ذلك من أحوال الدنيا ليظهر الصبر على الشر والشكر على الخير، أو خلاف ذلك ﴿فِتْنَةً﴾ مصدر من معنى نبلوكم ﴿أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ﴾ أي يذكرهم بالذم دلت على ذلك قرينة الحال، فإن الذكر قد يكون بدم أو مدح، والجملة تفسير للهزة أي يقولون أهذا الذي ﴿وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ الجملة في موضع الحال أي كيف ينكرون ذمك لآلهتهم وهم يكفرون بالرحمن، فهم أحق باللام، وقيل معنى بذكر الرحمن تسميته بهذا الاسم، لأنهم أنكروها، والأول أغرق في ضلالهم ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾ خلق شديد الاستعجال وجاءت هذه العبارة للمبالغة: كقولهم خلق حاتم من جود، والإنسان هنا جنس، وسبب الآية: أن الكفار استعجلوا الآيات التي اقترحوها والعذاب الذي طلبوه، فذكر الله هذا توطئة لقوله: ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٧]، وقيل المراد هنا آدم لأنه لما وصلت الروح إلى صدره أراد أن يقوم وهذا ضعيف، وقيل من عجل: أي من طين، وهذا أضعف ﴿سَأُولُكُمْ عَابَتِي﴾ وعيد وجواب على ما طلبوه من التعجيل ﴿وَيَقُولُونَ﴾ الآية: تفسير لاستعجالهم ﴿الْوَعْدُ﴾ القيامة وقيل نزول العذاب بهم ﴿لَوْ يَعْلَمُ﴾ جواب لو محذوف ﴿حِينَ﴾ مفعول به ليعلموا: أي لو يعلمون الوقت الذي يحيط بهم العذاب لآمنوا وما

كَفَرُوا حِينَ لَا يَكْفُوفُونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٨﴾ بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْةٌ فَتَبْتَهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْتُمْ بِرُسُلِنَا مِن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٤٠﴾ قُلْ مَنْ يَكْلُؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِن دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٢﴾ بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءَ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْفُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٤٣﴾ قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٤﴾ وَلَئِن مَّسَّتْهُمُ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٤٥﴾ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ

استعجلوا ﴿بَلْ تَأْتِيهِمْ﴾ الضمير الفاعل للنار، وقيل الساعة ﴿فَتَبْتَهُمْ﴾ أي تفجؤهم ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ أي لا يؤخرون عن العذاب ﴿وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْتُمْ﴾ الآية تسلية بالتأسي ﴿فَحَاقَ﴾ أي أحاط ﴿مَنْ يَكْلُؤُكُمْ﴾ أي مَنْ يحفظكم من أمر الله، ومن استفهامية، والمعنى تهديد، وإقامة حجة، لأنهم لو أجابوا عن هذا السؤال لاعترفوا أنهم ليس لهم مانع ولا حافظ، ثم جاء قوله ﴿بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ﴾ بمعنى أنهم إذا سُئِلُوا عن ذلك السؤال لم يجيبوا عنه لأنهم تقوم عليهم الحجة إن أجابوا، ولكنهم يعرضون عن ذكر الله: أي عن الجواب الذي فيه ذكر الله، وقال الزمخشري معنى الإضراب هنا أنهم معرضون عن ذكره فضلاً عن أن يخافوا بأسه ﴿أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا﴾ أي تمنعهم من العذاب، وأم هنا للاستفهام، والمعنى الإنكار والنفي، وذلك أنه لما سألهم عن من يكلؤهم: أخبر بعد ذلك أن آلهتهم لا تمنعهم ولا تحفظهم ثم احتج عن ذلك بقوله: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ﴾، فإن مَنْ لا ينصر نفسه أولى أن لا ينصر غيره ﴿وَلَا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ﴾ الضمير للكفار: أي لا يصحبون منا ينصر ولا حفظ ﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءَ وَآبَاءَهُمْ﴾ أي متعناهم بالنعم والعافية في الدنيا فطغوا بذلك ونسوا عقاب الله، والإضراب ببل عن معنى الكلام المتقدم: أي لم يحملهم على الكفر والاستهزاء نصر ولا حفظ، بل حملهم على ذلك أنا متعناهم وآباءهم ﴿نَنْفُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ ذكر في الرد ﴿وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ﴾ إشارة إلى الكفار، والصم استعارة في إفراط إعراضهم ﴿نَفْحَةٌ﴾ أي خبطة وفيها تقليل العذاب، والمعنى أنهم لو رأوا أقل شيء من عذاب الله لأذعنوا واعترفوا بذنوبهم ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ﴾ أي العدل، وإنما أفرد القسط وهو صفة الأنبياء والمرسلين كالإمامين والرضا، وعلى تقدير

الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا
وَكُفَىٰ بِنَا حَسِيبٍ ﴿٤٧﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءَ وَذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ الَّذِينَ
يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ
مُنْكَرُونَ ﴿٥٠﴾ * وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا
هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ
وَأَبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ
تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُدَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا

ذوات القسط، ومذهب أهل السنة أن الميزان يوم القيامة حقيقة له كفتان ولسان وعمود
توزن فيه الأعمال، والخفة والثقل متعلقة بالأجسام، إما صحف الأعمال، أو ما شاء الله،
وقالت المعتزلة: إن الميزان عبارة عن العدل في الجزاء ﴿لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾، وقال ابن عطية
تقديره لحساب يوم القيامة، أو لحكمة، فهو على حذف مضاف وقال الزمخشري هو
كقولك كتبت الكتاب لست خلون من الشهر ﴿مِثْقَالَ حَبَّةٍ﴾ أي وزنها والرفع على أن كان
تامة، والنصب على أنها ناقصة واسمها مضمر ﴿الْفُرْقَانَ﴾ هنا التوراة، وقيل التفرقة بين
الحق والباطل بالنصر وإقامة الحجة ﴿وَهَذَا ذِكْرٌ﴾ يعني القرآن ﴿رُشْدَهُ﴾ أي إرشاده إلى
توحيد الله وكسر الأصنام وغير ذلك ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ أي قبل موسى وهارون، وقيل آتيناه رشده
قبل النبوة ﴿وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾ أي علمناه أنه يستحق ذلك ﴿التَّمَاثِيلُ﴾ يعني الأصنام وكانت
على صور بني آدم ﴿وَجَدْنَا آبَاءَنَا﴾ اعتراف بالتقليد من غير دليل ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ﴾ أي
هل الذي تقول حق أم مزاح، وانظر كيف عبر عن الحق بالفعل، وعن اللعب بالجملة
الاسمية، لأنه أثبت عندهم ﴿فَطَرَهُنَّ﴾ أي خلقهن، والضمير للسَّمَوَاتِ والأرض، أو
التماثيل، وهذا أليق بالرد عليهم ﴿بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ﴾ يعني خروجهم إلى عيدهم
﴿جُدَاذًا﴾ أي فتاتا، ويجوز فيه الضم والكسر والفتح، وهو من الجذ بمعنى القطع ﴿إِلَّا
كَبِيرًا لَهُمْ﴾ ترك الصنم الكبير لم يكسره وعلق القدوم في يده ﴿لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾
الضمير للصنم الكبير أي يرجعون إليه فيسألونه فلا يجيبهم، فيظهر لهم أنه لا يقدر على
شيء، وقيل الضمير لإبراهيم عليه الصلاة والسلام، أي يرجعون إليه فيبين لهم الحق ﴿قَالُوا
مَنْ فَعَلَ هَذَا﴾ قبله محذوف تقديره فرجعوا من عيدهم فأروا الأصنام مكسورة، فقالوا من

بِالْهَيْبَتِ أَنْتُمْ لِمَنْ الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا سَمِعْنَا فَتَى يَذُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ ۖ إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا فَاتُوا بِهِ عَلَى عَيْنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوا ۗ أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْتَأْذِنُواهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نَكَسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أَفِي لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٦٨﴾ فَلَمَّا يَنزَلُ

فعل هذا ﴿فَتَى يَذُكُرُهُمْ﴾ أي يذكرهم بالذم ويقوله: ﴿لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ﴾ ﴿يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾ قيل إن إعراب إبراهيم منادى، وقيل خير ابتداء مضمر، وقيل رفع على الإهمال، والصحيح أنه مفعول لم يُسَمَّ فاعله، لأن المراد الاسم لا المسمى وهذا اختيار ابن عطية والزمخشري ﴿لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾ أي يشهدون عليه بما فعل أو يحضرون عقوبتنا له ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ﴾ قصد إبراهيم عليه السلام بهذا القول تبكيتهم وإقامة الحجة عليهم، كأنه يقول إن كان إلها فهو قادر على أن يفعل، وإن لم يقدر فليس بإله ولم يقصد الإخبار المحض، لأنه كذب، فإن قيل: فقد جاء في الحديث أن إبراهيم كذب ثلاث كذبات: أحدها قوله فعله كبيرهم، فالجواب أن معنى ذلك أنه قال قولاً ظاهره الكذب، وإن كان القصد به معنى آخر، وبدل على ذلك قوله: ﴿فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾ لأنه أراد به أيضاً تبكيتهم وبيان ضلالهم ﴿فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾ أي رجعوا إليها بالفكرة والنظر، أو رجعوا إليها بالملامة ﴿فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ﴾ أي الظالمون لأنفسكم في عبادتكم ما لا ينطق ولا يقدر على شيء أو الظالمون لإبراهيم في قولكم عنه إنه لمن الظالمين، وفي تعنيفه على أعين الناس ﴿ثُمَّ نَكَسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ﴾ استعارة لانقلابهم برجعوعهم عن الاعتراف بالحق إلى الباطل والمعاندة فقالوا ﴿لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ﴾ أي فكيف تأمرنا بسؤالهم فهم قد اعترفوا بأنهم لا ينطقون، وهم مع ذلك يعبدونهم فهذه غاية الضلال في فعلهم، وغاية المكابرة والمعاندة في جدالهم، ويحتمل أن يكون نكسوا على رؤوسهم بمعنى رجوعهم من المجادلة إلى الانقطاع فإن قولهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون: اعتراف يلزم منه أنهم مغلوبون بالحجة، ويحتمل على هذا أن يكون نكسوا على رؤوسهم حقيقة: أي أطفقوا من الخجل لما قامت عليهم الحجة ﴿أَفِ لَكُمْ﴾ تقدم الكلام على أف في الإساءة ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ﴾

كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٧٦﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٧٧﴾ وَبَيَّنَّاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٧٨﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴿٧٩﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَبِيدٌ ﴿٨٠﴾ وَلُوطًا إِذْ أَنبَتْهُ حُكْمًا وَعَلَّمَا وَبَيَّنَّاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبِيثَاتِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ ﴿٨١﴾ وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٢﴾ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٨٣﴾ وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٤﴾ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَمُّ الْقَوْمِ

﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا﴾ أي ذات برد وسلام، وجاءت العبارة هكذا للمبالغة، واختلف كيف بردت النار فقليل أزال الله عنها ما فيها من الحر، والإحراق، وقيل دفع عن جسم إبراهيم حرها وإحراقها مع ترك ذلك فيها، وقيل خلق بينه وبينها حائلًا، ومعنى السلام هنا السلامة، وقد روي أنه لو لم يقل سلامًا لهلك إبراهيم من البرد وقد أضربنا عما ذكره الناس في قصة إبراهيم لعدم صحته، ولأن ألفاظ القرآن لا تقتضيه ﴿إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ هي الشام خرج إليها من العراق، وبركتها بخصبها وكثرة الأنبياء فيها ﴿نَافِلَةً﴾ أي عطية، والتنفيل العطاء، وقيل سمّاها نافلة: لأنه عطاء بغير سؤال، فكانه تبرع، وقيل الهبة إسحق، والنافلة يعقوب، لأنه سأل إسحق، بقوله هب لي من الصالحين فأعطي يعقوب زيادة على ما سأل، واختار بعضهم على هذا الوقف على إسحق لبيان المعنى، وهذا ضعيف لأنه معطوف على كل قول ﴿يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ أي يرشدون الناس بإذننا ﴿وَلُوطًا﴾ قيل إنه انتصب بفعل مضمّر يفسره آتيناه والأظهر أنه انتصب بالعطف على موسى وهارون أو إبراهيم وانتصب ونوحًا وداود وسليمان وما بعدهم بالعطف أيضًا، وقيل بفعل تقديره اذكر ﴿آتَيْنَاهُ حُكْمًا﴾ أي حكمًا بين الناس: أو حكمة ﴿مِنَ الْقَرْيَةِ﴾ هي سدوم من أرض الشام ﴿وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا﴾ أي في الجنة أو في أهل رحمتنا ﴿نَادَىٰ مِنْ قَبْلُ﴾ أي دعا قبل إبراهيم ووط ﴿مِنَ الْكَرْبِ﴾ يعني من الغرق ﴿وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ﴾ تعدى نصرناه بمن لأنه مطاوع انتصر المتعدّي بمن، أو تضمن معنى نخبناه أو أجرناه ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ﴾ كان داود نبيًا ملكًا، وكان ابنه سليمان ابن أحد عشر عامًا ﴿فِي الْحَرْثِ﴾ قيل زرع، وقيل كرم، والحرت يقال فيهما ﴿إِذْ نَفَسَتْ﴾ رعت فيه بالليل ﴿لِيَحْكُمَهُمُ﴾ الضمير لداود وسليمان

وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِنُحْصِنَكُمْ مِنْ الْأَرْضِ لِيُصَلِّحَهَا حَتَّى يَعودَ زَرْعُهَا كَمَا كَانَ، وَيَأْخُذُ صَاحِبُ الزَّرْعِ الْغَنَمَ وَيَنْتَفِعَ بِأَلْبَانِهَا وَصُوفِهَا وَنَسْلَهَا، فَإِذَا كَمَلَ الزَّرْعُ رُدَّتِ الْغَنَمُ إِلَى صَاحِبِهَا، وَالْأَرْضُ بِزَرْعِهَا إِلَى رَبِّهَا، فَقَالَ لَهُ دَاوُدُ: وَقَفْتُ يَا بَنِيَّ، وَقَضَى بَيْنَهُمَا بِذَلِكَ، وَوَجَّهَ حُكْمَ سُلَيْمَانَ أَنَّهُ جَعَلَ الْإِنْتِفَاعَ بِالْغَنَمِ بِإِزَاءِ مَا فَاتَ مِنَ الزَّرْعِ، وَوَجِبَ عَلَى صَاحِبِ الْغَنَمِ أَنْ يَعْمَلَ فِي الْحَرْثِ حَتَّى يَزُولَ الضَّررُ وَالنَّقْصَانُ، وَيَحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ إِصْلَاحًا لَا حُكْمًا، وَاخْتَلَفَ النَّاسُ هَلْ كَانَ حُكْمُهُمَا بِوَحْيٍ أَوْ اجْتِهَادٍ فَمَنْ قَالَ كَانَ بِاجْتِهَادٍ أَجَازَ الْاجْتِهَادَ لِلْأَنْبِيَاءِ، وَرُوِيَ أَنَّ دَاوُدَ رَجَعَ عَنْ حُكْمِهِ لَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّ الصَّوَابَ خِلافَهُ، وَقَدْ اخْتَلَفَ فِي جَوَازِ الْاجْتِهَادِ فِي حَقِّ الْأَنْبِيَاءِ، وَعَلَى الْقَوْلِ بِالْجَوَازِ اخْتَلَفَ، هَلْ وَقَعَ أَمْ لَا؟ وَظَاهِرُ قَوْلِهِ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ: أَنَّهُ كَانَ بِاجْتِهَادٍ فَخَصَّ اللَّهُ بِهِ سُلَيْمَانَ فَفَهَمَ الْقَضِيَّةَ، وَمَنْ قَالَ كَانَ بِوَحْيٍ جَعَلَ حُكْمَ سُلَيْمَانَ نَاسِخًا لِحُكْمِ دَاوُدَ، وَأَمَّا حُكْمُ إِسْفَادِ الْمَوَاشِي الزَّرْعِ فِي شَرْعِنَا، فَقَالَ مَالِكٌ وَالشَّافِعِيُّ: يَضْمَنُ أَرْبَابُ الْمَوَاشِي مَا أَفْسَدَتْ بِاللَّيْلِ دُونَ النَّهَارِ لِلْحَدِيثِ الْوَارِدِ فِي ذَلِكَ، وَعَلَى هَذَا يَدُلُّ حُكْمُ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ، لِأَنَّ النَّفْسَ لَا يَكُونُ إِلَّا بِاللَّيْلِ، وَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ: لَا يَضْمَنُ مَا أَفْسَدَتْ بِاللَّيْلِ وَلَا بِالنَّهَارِ، لِقَوْلِهِ ﷺ: «الْعَجْمَاءُ جَرَحَهَا جَبَّارٌ» ﴿وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ قِيلَ يَعْنِي فِي هَذِهِ النَّازِلَةِ، وَأَنَّ دَاوُدَ لَمْ يَخْطِئْ فِيهَا، وَلَكِنَّهُ رَجَعَ إِلَى مَا هُوَ أَرْجَحُ، وَيَدُلُّ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ أَنَّ كُلَّ مَجْتَهِدٍ مُصِيبٌ، وَقِيلَ بَلْ يَعْنِي حُكْمًا وَعِلْمًا فِي غَيْرِ هَذِهِ النَّازِلَةِ، وَعَلَى هَذَا الْقَوْلِ فَإِنَّهُ أَخْطَأَ فِيهَا، وَأَنَّ الْمُصِيبَ وَاحِدٌ مِنَ الْمَجْتَهِدِينَ ﴿وَسَخَرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ﴾ كَانَ هَذَا التَّسْبِيحُ قَوْلَ سُبْحَانَ اللَّهِ، وَقِيلَ الصَّلَاةُ مَعَهُ إِذَا صَلَّى، وَقَدَّمَ الْجِبَالَ عَلَى الطَّيْرِ، لِأَنَّ تَسْبِيحَهَا أَغْرَبَ إِذْ هِيَ جَمَادٌ ﴿وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾ أَي قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نَفْعَلَ هَذَا، وَقَالَ ابْنُ عَطِيَّةٍ: مَعْنَاهُ كَانَ ذَلِكَ فِي حَقِّهِ لِأَجْلِ أَنَّ دَاوُدَ اسْتَوْجَبَ ذَلِكَ مُنَاصِفَةً ﴿صَنْعَةَ لَبُوسٍ﴾ يَعْنِي دَرُوعَ الْحَدِيدِ، وَأَوَّلُ مَنْ صَنَعَهَا دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَقَالَ ابْنُ عَطِيَّةٍ اللَّبُوسُ فِي اللُّغَةِ السَّلَاحُ وَقَالَ الزَّمخَرِيُّ

بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَسَلِمَنَّ الرَّيْحَ عَاصِفَةً تَجْرَى بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا
وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمِينَ ﴿٨١﴾ وَمِنَ الشَّيْطَانِ مَن يَغْوُصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ
ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ ﴿٨٢﴾ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ
الرَّاحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً
مِّنْ عِنْدِنَا وَذَكَرَى لِلْعَالَمِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ ﴿٨٥﴾
وقرىء بالياء والتاء والنون، فالنون لله تعالى، والتاء للصنعة، والياء لداود أو لليوس ﴿فَهَلْ
أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾ لفظ استهنام، ومعناه استدعاء إلى الشكر ﴿وَلَسَلِمَنَّ الرَّيْحَ عَاصِفَةً﴾ عطف
الريح على الجبال، والعاصفة هي الشديدة فإن قيل: كيف يقال عاصفة وقال في ص رخاء
أي لينة؟ فالجواب: أنها كانت في نفسها لينة طيبة، وكانت تسرع في جريها كالعاصف
فجمعت الوصفين، وقيل كانت رخاء في ذهابه، وعاصفة في رجوعه إلى وطنه، لأن عادة
المسافرين الإسراع في الرجوع؛ وقيل كانت تشد إذا رفعت البساط وتلين إذا حملته ﴿إِلَى
الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ يعني أرض الشام وكانت مسكنه وموضع ملكه فخص في الآية
الرجوع إليها لأنه يدل على الانتقال منها ﴿يَغْوُصُونَ لَهُ﴾ أي يدخلون في الماء ليستخرجوا
له الجواهر من البحار ﴿عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ﴾ أقل من الغوص كالبنيان والخدمة ﴿وَكُنَّا لَهُمْ
حَافِظِينَ﴾ أي نحفظهم عن أن يزيغوا عن أمره، أو نحفظهم من إفساد ما صنعوه، وقيل
معناه عالمين بعددهم ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ﴾ كان أيوب عليه السلام نبيًا من الروم، وقيل
من بني إسرائيل، وكان له أولاد ومال كثير فأذهب الله ماله فصبر، ثم أهلك الأولاد فصبر،
ثم سلط البلاء^(١) على جسمه فصبر إلى أن مرّ به قومه فشمتموا به، فحينئذ دعا الله تعالى،
على أن قوله ﴿مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ ليس تصريحًا بالدعاء، ولكنه ذكر نفسه
بما يوجب الرحمة ووصف ربه بغاية الرحمة ليرحمه، فكان في ذلك من حسن التلطف ما
ليس في التصريح بالطلب ﴿فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ﴾ لما استجاب الله له أنبع له عيّنًا من ماء
فشرب منه واغتسل فبرىء من المرض والبلاء ﴿وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَّعَهُمْ﴾ روي أن الله أحيا
أولاده الموتى ورزقهم مثلهم معهم في الدنيا وقيل في الآخرة، وقيل ولدت امرأته مثل عدد
أولاده الموتى ومثلهم معهم، وأخلف الله عليه أكثر مما ذهب من ماله ﴿رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا﴾
أي رحمة لأيوب، وذكرى لغيره من العابدين ليصبروا كما صبر، ويحتمل أن تكون الرحمة
والذكرى معًا للعابدين ﴿وَذَا الْكِفْلِ﴾ قيل هو إلياس وقيل زكريا، وقيل نبي بعث إلى رجل

(١) المراد بالبلاء المرض الذي أصابه وهو مرض باطني لا تنفر منه الطباع البشرية لعصمة الأنبياء من ذلك.

وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٦﴾ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَبَجَّيْنَاهُ مِنَ الْعَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبُّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكَرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَعَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ ﴿٩٠﴾ وَالَّتِي أَحْصَيْنَا فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا

واحد، وقيل رجل صالح غير نبي، وسُمي ذا الكفل: أي ذا الحظ من الله وقيل لأنه تكفل لليسع بالقيام بالأمر من بعده ﴿وَذَا النُّونِ﴾ هو يونس عليه السلام، والنون هو الحوت نسب إليه لأنه التقمه ﴿إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا﴾ أي مغاضبًا لقومه إذ كان يدعوهم إلى الله فيكفرون حتى أدركه ضجر منهم فخرج عنهم، ولذلك قال الله: ﴿وَلَا تَكُنْ كصاحب الحوت﴾، ولا يصح قول مَنْ قال مغاضبًا لربه ﴿فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ أي ظن أن نضيق عليه، فهو من معنى قوله قدر عليه رزقه، وقيل هو من القدر والقضاء: أي ظن أن لن نضيق عليه بعقوبة، ولا يصح قول مَنْ قال إنه من القدرة ﴿فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ﴾ قيل هذا الكلام محذوف لبيانه في غير هذه الآية، وهو أنه لما خرج ركب السفينة فرُمِيَ في البحر فالتقمه الحوت فنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ، وهي ظلمة الليل والبحر وبطن الحوت ويحتمل أنه عبّر بالظلمة عن بطن الحوت لشدة ظلمته كقوله: ﴿وَتَرَكْهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ﴾ ﴿أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ أن مفسرة أو مصدرية على تقدير نادى بأن، والظلم الذي اعترف به كونه لم يصبر على قومه وخرج عنهم ﴿وَبَجَّيْنَاهُ مِنَ الْعَمِّ﴾ يعني من بطن الحوت وإخراجه إلى البر ﴿وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ يحتمل أن يكون مطلقًا أو لَمَنْ دعا بدعاء يونس، ولذلك قال رسول الله ﷺ: «دعوة أخي يونس ذي النون ما دعا بها مكروب إلا استجيب له» ﴿لَا تَذَرْنِي فَرْدًا﴾ أي بلا ولد ولا وارث ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ إن لم ترزقني وارثًا فأنت خير الوارثين، فهو استسلام لله ﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ﴾ يعني ولدت بعد أن كانت عقيمًا، واسم زوجته أشياع، قاله السهيلي ﴿يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ والضمير للأنبياء المذكورين ﴿رَغْبًا وَرَهَبًا﴾ الرغبة الرجاء، والرهب الخوف، وقيل الرغبة أن ترفع إلى السماء بطون الأيدي، والرهب أن ترفع ظهورها ﴿وَالَّتِي أَحْصَيْنَا فَرْجَهَا﴾ هي مريم بنت عمران ومعنى أحصنت من العفة أي أعفته عن

وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿٩١﴾ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُفْلًا إِلَيْنَا رُجُوعًا ﴿٩٣﴾ فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ ﴿٩٤﴾ وَحَرَامٌ عَلَى قَرِيبٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾ حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَأَقْرَبَ الْوَعْدِ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصُرُ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْوِلُنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٩٧﴾ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ

أي أجرينا فيها روح عيسى لما نفخ جبريل في جيب درعها، ونسب الله النفخ إلى نفسه لأنه كان بأمره والروح هنا هو الذي في الجسد، وأضاف الله الروح إلى نفسه للتشريف أو للملك ﴿آيَةً﴾ أي دلالة، ولذلك لم يشن ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ﴾ أي ملتكم ملّة واحدة، وهو خطاب للناس كافة، أو للمعاصرين لسيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم: أي إنما بعث الأنبياء المذكورون بما أمرتم به من الدين، لأن جميع الأنبياء متفقون في أصول العقائد ﴿وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ﴾ أي اختلفوا فيه، وهو استعارة من جعل الشيء قطعاً، والضمير للمخاطبين، قيل فالأصل تقطعتم ﴿فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ﴾ أي لإبطال ثواب عمله ﴿وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ﴾ أي نكتب عمله في صحيفته ﴿وَحَرَامٌ عَلَى قَرِيبٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ قرىء حرام بكسر الحاء وهو بمعنى حرام، واختلف في معنى الآية، فقيل حرام بمعنى ممتنع على قرية أراد الله إهلاكها أن يرجعوا إلى الله بالتوبة، أو ممتنع على قرية أهلكها الله أن يرجعوا إلى الدنيا، ولا زائدة في الوجهين، وقيل حرام بمعنى حتم واقع لا محالة، ويتصوّر فيه الوجهان، وتكون لا نافية فيهما أي حتم عدم رجوعهم إلى الله بالتوبة أو حتم عدم رجوعهم إلى الدنيا وقيل المعنى ممتنع على قرية أهلكها الله أنهم لا يرجعون إليه في الآخرة، ولا على هذا نافية أيضاً، فيه ردّ على من أنكر البعث ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾ حتى هنا حرف ابتداء أو غاية متعلقة بيرجعون، وجواب إذا: فإذا هي شاخِصَةٌ، وقيل الجواب يا ويلنا لأن تقديره يقولون يا ويلنا، وفتحت يأجوج ومأجوج أي فتح سدّها فحذف المضاف مَرَّوَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾ الحدب المرتفع من الأرض، وينسلون: أي يسرعون، والضمير ليأجوج ومأجوج: أي يخرجون من كل طريق لكثرتهم، وقيل لجميع الناس ﴿الْوَعْدِ الْحَقِّ﴾ يعني القيامة ﴿فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ﴾ إذا هنا للمفاجأة، والضمير عند سبويه ضمير القصة، وعند الفراء، للأبصار، وشاخِصَةٌ من الشخوص وهو إحداد النظر من

حَصَبٌ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَتْ هُوْلَاءَ آءِ الْهَيْمَةِ مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ

الخوف ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ هذا خطاب للمشركين، والحصب: ما توقد به النار: كالحطب وقرأ علي بن أبي طالب رضي الله عنه «حطب جهنم» والمراد بما تعبدون الأصنام وغيرها تحرق في النار توبيخاً لمن عبدها ﴿وَارِدُونَ﴾ الورد هنا الدخول ﴿زَفِيرٌ﴾ ذكر في هود ﴿لَا يَسْمَعُونَ﴾ قيل يجعلون في توابيت من نار فلا يسمعون شيئاً، وقيل يصمهم الله كما يعميهم ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ﴾ سبقت أي قضيت في الأزل، والحسنى السعادة، ونزلت الآية لما اعترض ابن الزبير على قوله: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾، فقال إن عيسى وعزير والملائكة قد عبدوا، فالمعنى إخراج هؤلاء من ذلك الوعيد. واللفظ مع ذلك على عمومه في كل من سبقت له السعادة ﴿حَسِيسَهَا﴾ أي صوتها ﴿الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾ أهوال القيامة على الجملة، وقيل ذبح الموت وقيل النفخة الأولى في الصور لقوله: ﴿فَفَزَعَ مَنْ فِي السَّمٰوٰتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ [النمل: ٨٧]، ﴿كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ السجل الصحيفة والكتاب مصدر: أي كما يطوى السجل ليكتب فيه، أو ليصان الكتاب الذي فيه، وقيل السجل رجل كاتب وهذا ضعيف، وقيل هو ملك في السماء الثانية تُرْفَعُ إليه الأعمال، وهذا أيضاً ضعيف ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾ أي كما قدرنا على البداية نقدر على الإعادة، فهو كقوله: ﴿قُلْ يُخَيِّبُهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [يس: ٧٩]، وقيل المعنى نعيدهم على الصورة التي بدأناهم كما جاء في الحديث: «يحشر الناس يوم القيامة حُفَاةَ عُرَاةٍ غُرْلًا»، ثم قرأ كما بدأنا أول خلق نعيده، والكاف متعلقة بقوله نعيده ﴿فَاعِلِينَ﴾ تأكيداً لوقوع البعث.

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ﴾ في الزبور هنا قولان: أحدهما أنه كتاب

داود، والذكر هنا على هذا التوراة التي أنزل الله على موسى، وما في الزبور من ذكر الله تعالى، والقول الثاني أن

الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١١٥﴾ إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِّقَوْمٍ عٰبِدِينَ ﴿١١٦﴾ وَمَا
 أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعٰلَمِينَ ﴿١١٧﴾ قُلْ إِنَّمَا يُوحِي إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدَهُ فَهَلْ
 أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١١٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ ءَاذَنْتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ وَإِن أَدْرِيٓتْ أَقْرَبُٓ أَمْ بَعِيدٌ مَّا
 تُوعَدُونَ ﴿١١٩﴾ إِنَّهُ يَعْزَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١٢٠﴾ وَإِن أَدْرِيٓ لَعَلَّهُ

على هذا هو اللوح المحفوظ: أي كتب الله هذا في الكتاب الذي أفرده له بعد ما كتبه في اللوح المحفوظ حين قضى الأمور كلها، والأول أرجح، لأن إطلاق الزبور على كتاب داود أظهر وأكثر استعمالاً، ولأن الزبور مفرد فدلالته على الواحد أرجح من دلالته على الجمع ولأن النص قد ورد في زبور داود بأن الأرض يرثها الصالحون ﴿أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ الأرض هنا على الإطلاق في مشارق الأرض ومغاربها، وقيل الأرض المقدسة، وقيل أرض الجنة، والأول أظهر، والعباد الصالحون: أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ففي الآية ثناء عليهم، وإخبار بظهور غير مصداقه في الوجود إذ فتح الله لهذه الأمة مشارق الأرض ومغاربها ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعٰلَمِينَ﴾ هذا خطاب لسيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وفيه تشريف عظيم، وانتصب رحمة على أنه حال من ضمير المخاطب المفعول، والمعنى على هذا أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو الرحمة، ويحتمل أن يكون مصدرًا في موضع الحال من ضمير الفاعل تقديره: أرسلناك راحمين للعالمين، أو يكون مفعولاً من أجله، والمعنى على كل وجه: أن الله رحم العالمين بإرسال سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، لأنه جاءهم بالسعادة الكبرى، والنجاة من الشقاوة العظمى، ونالوا على يديه الخيرات الكثيرة في الآخرة والأولى، وعلمهم بعد الجهالة وهداهم بعد الضلالة، فإن قيل: رحمة للعالمين عموم والكفار لم يرحموا به فالجواب من وجهين: أحدهما أنهم كانوا معرضين للرحمة لو آمنوا فهم الذين تركوا الرحمة بعد تعريضها لهم، وبالأخر أنهم رحموا به لكونهم لم يعاقبوا بمثل ما عوقب به الكفار المتقدمون من الطوفان والصيحة وشبه ذلك ﴿ءَاذَنْتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾ أي أعلمتكم بالحق على استواء في الإعلام وتبليغ إلى جميعكم لم يختص به واحد دون آخر ﴿وَإِن أَدْرِيٓ أَقْرَبُٓ أَمْ بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ﴾ إن هنا وفي الموضع الآخر نافية، وأدري فعل علق من مغموله لأنه من أفعال القلوب وما بعده في موضع المعمول من طريق المعنى فيجب وصله معه، والهمزة في قوله أقرب للتسوية لا للمجرد الاستفهام، وقيل يوقف على إن أدري في الموضعين، ويتبدأ بما

﴿١١٧﴾ فَتَنَّا لُكُومًا وَمَنَعْنَا إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١٨﴾ قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٩﴾

بعده، وهذا خطأ لأنه يطلب ما بعده ﴿لَعَلَّهُ فِتْنَةً﴾ الضمير لإمهالهم وتأخير عقوبتهم ﴿وَمَنَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ أي الموت أو القيامة ﴿الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ أي أستعين به على الصبر على ما تصفون من الكفر والتكذيب.

سورة الحج

مدنية إلا الآيات ٥٢ و ٥٣ و ٥٤ و ٥٥
فبين مكة والمدينة وآياتها ٧٨ نزلت بعد النور

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوُنَّهَا تُذْهِلُ
كُلَّ مُرْضِعَةٍ عَنْ مَآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿اتَّقُوا رَبَّكُمُ﴾ تكلمنا على التقوى في أول البقرة ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ﴾ أي شدتها وهولها كقوله: ﴿وزلزلوا﴾ [البقرة: ٢١٤]، أو تحريك الأرض حينئذ كقوله: ﴿إذا زلزلت الأرض زلزالها﴾ [الزلزلة: ١]، والجملة تعليل للأمر بالتقوى، واختلف هل الزلزلة والشدائد المذكورة بعد ذلك في الدنيا بين يدي القيامة، أو بعد أن تقوم القيامة، والأرجح أن ذلك قبل القيامة، لأن في ذلك الوقت يكون ذهول المرضعة ووضع الحامل لا بعد القيامة ﴿يَوْمَ تَرَوُنَّهَا﴾ العامل في الظرف تذهل، والضمير للزلزلة، وقيل الساعة، وذلك ضعيف لما ذكرنا إلا أن يريد ابتداء أمرها ﴿تَذْهِلُ﴾ الذهول هو الذهاب عن الشيء مع دهشة ﴿مُرْضِعَةٍ﴾ إنما لم يقل مرضع، لأن المرضعة هي التي في حال الإرضاع مُلْقِمَةٌ نديها للصبى، والمرضع التي شأنها أن ترضع وإن لم تباشر الإرضاع في حال وصفها به، فقال مرضعة ليكون ذلك أعظم في الذهول إذ تنزع نديها من فم الصبي حينئذ ﴿وَتَرَى النَّاسَ

هُم بِسُكْرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ
 كُلَّ شَيْطَانٍ مُّرِيدٍ ﴿٣﴾ كَتَبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَآتَهُ يَضَلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٤﴾
 يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تَرَابٍ ثُمَّ مِّن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِّن عِلْقَةٍ ثُمَّ
 مِّن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَعَجْرٍ مُّخَلَّقَةٍ لِّنَبِّئَنَّ لَكُمْ وَنُقَرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ
 نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّن يُوَفِّقُ وَمِنْكُمْ مَّن يَرُدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ
 الْعُمْرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَىٰ الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ

سُكْرَىٰ ﴿ تشبيه بالسكارى من شدة الغم ﴿ وَمَا هُمْ بِسُكْرَىٰ ﴾ نفي لحقيقة السكر، وقرىء
 سكرى والمعنى متفق ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ ﴾ نزلت في النضر بن الحارث،
 وقيل في أبي جهل، وهي تناول كل من اتصف بذلك ﴿ شَيْطَانٍ مُّرِيدٍ ﴾ أي شديد الإغواء،
 ويحتمل أن يريد شيطان الجن أو الإنس ﴿ كَتَبَ ﴾ تمثيل لثبوت الأمر كأنه مكتوب، ويحتمل
 أن يكون بمعنى قضى كقولك كتب الله أنه في موضع المفعول الذي لم يسم فاعله وفي أنه
 عطف عليه وقيل تأكيد ﴿ مَن تَوَلَّاهُ ﴾ أي تبعه أو اتخذه وليًا، والضمير في عليه وفي أنه في
 الموضوعين وفي تَوَلَّاهُ للشيطان، وفي يَضَلُّهُ، ويهديه للمتولي له، ويحتمل أن تكون تلك
 الضمائر أولاً لَمَن يجادل ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ ﴾ الآية: معناها إن
 شككتكم في البعث الأخروي فزوال ذلك الشك أن تنظروا في ابتداء خلقتكم فتعلموا أن
 الذي قدر على أن خلقكم أول مرة، قادر على أن يعيدكم ثاني مرة، وأن الذي قدر على
 إخراج النبات من الأرض بعد موتها: قادر على أن يخرجكم من قبوركم ﴿ خَلَقْنَاكُمْ مِّن
 تَرَابٍ ﴾ إشارة إلى خلق آدم، وأسند ذلك إلى الناس لأنهم من ذريته وهو أصلهم ﴿ مِّن
 عِلْقَةٍ ﴾ العلقه قطعة من دم جامدة ﴿ مِّن مُّضْغَةٍ ﴾ أي قطعة من لحم ﴿ مُّخَلَّقَةٍ ﴾ المخلقة التامة
 الخلقه، وغير المخلقة الغير التامة: كالسقط، وقيل المخلقة المساواة السالمة من النقصان
 ﴿ لِّنَبِّئَنَّ لَكُمْ ﴾ اللام تتعلق بمحذوف تقديره ذكرنا ذلك لنبين لكم قدرتنا على البعث ﴿ وَنُقَرُّ ﴾
 فعل مستأنف ﴿ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ يعني وقت وضع الحمل وهو مختلف وأقله ست أشهر
 إلى ما فوق ذلك ﴿ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ﴾ أفرده لأنه أراد الجنس، أو أراد نخرج كل واحد منكم
 طفلاً ﴿ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ﴾ هو كمال القوة والعقل والتمييز، وقد اختلف فيه من ثماني عشرة
 سنة إلى خمس وأربعين ﴿ أَرْدَلِ الْعُمْرِ ﴾ ذكر في النحل ﴿ هَامِدَةً ﴾ يعني لا نبات فيها
 ﴿ اهْتَزَّتْ ﴾ تحركت بالنبات
 Made searchable using ScribeTools.com

وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيحٍ ﴿٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴿٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ﴿٨﴾ ثَلَاثِي عِطْفِهِ، لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَمَّا فِي الدُّنْيَا حِزِيٌّ وَتُنذِقُهُ يَوْمَ الْقَيْمَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٩﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ يَظْلِمُ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٠﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَهُ فِتْنَةٌ أُنْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١١﴾ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَمَا لَا يَنْفَعُهُمْ

بِهِيحٍ ﴿٥﴾ أي صنف عجيب ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾ أي ذلك المذكور من أمر الإنسان والنبات حاصل، بأن الله هو الحق، هكذا قدره الزمخشري، والباء على هذا سببية، وبهذا المعنى أيضًا فسره ابن عطية، ويلزم على هذا أن لا يكون قوله: ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ﴾: معطوفًا على ذلك، لأنه ليس بسبب لما ذكر، فقال ابن عطية قوله أن الساعة ليس بسبب لما ذكر، ولكن المعنى أن الأمر مرتبط ببعضه ببعض، أو على تقدير والأمر أن الساعة وهذان الجوابان اللذان ذكر ابن عطية ضعيفان: أما قوله إن الأمر مرتبط ببعضه ببعض فالارتباط هنا إنما يكون بالعطف، والعطف لا يصح، وأما قوله على تقدير الأمر أن الساعة، فذلك استئناف وقطع للكلام الأول، ولا شك أن المقصود من الكلام الأول: هو إثبات الساعة فكيف يجعل ذكرها مقطوعًا مما قبله، والذي يظهر لي أن الباء ليست بسببية، وإنما يقدر لها فعل تتعلق به ويقتضيه المعنى؛ وذلك أن يكون التقدير ذلك الذي تقدم من خلقه الإنسان والنبات شاهد بأن الله هو الحق، وأنه يحيي الموتى، وبأن الساعة آتية فيصح عطف وأن الساعة على ما قبله بهذا التقدير، وتكون هذه الأشياء المذكورة بعد قوله ذلك مما استدلل عليها بخلق الإنسان والنبات ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ نزلت فيمن نزلت فيه الأولى وقيل في الأخنس بن شريق ﴿ثَلَاثِي عِطْفِهِ﴾ كناية عن المتكبر المعروض ﴿لَهُ﴾ في الدنيا حِزِيٌّ ﴿إِنْ كَانَتْ فِي النَّضْرِ بْنِ الْحَارِثِ﴾ فالخزي أسره ثم قتله، وكذلك قتل أبي جهل ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ﴾ أي يقال له ذلك بما فعلت وبعذل الله. لأنه لا يظلم العباد ﴿مَنْ يَعْْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾ نزلت في قوم من الأعراب كان أحدهم إذا أسلم فاتفق له ما يعجبه في ماله وولده قال هذا دين حسن، وإن اتفق له خلاف ذلك تشاءم به وارتد عن الإسلام، فالحرف هنا كناية عن المقصد، وأصله من الانحراف عن الشيء، أو من الحرف بمعنى الطرف أي أنه في طرف من الدين لا في وسطه ﴿خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ﴾ خسارة الدنيا بما جرى عليه فيها، وخسارة الآخرة بارتداده وسوء اعتقاده ﴿مَا لَا يَضُرُّهُمْ﴾ يعني الأصنام

ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ البَعِيدُ ﴿١١﴾ يَدْعُوا لِمَنْ ضَرَّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لَيْسَ المَوْلَى وَلَيْسَ العَشِيرُ ﴿١٢﴾ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾ مَنْ كَانَتْ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ

ويدعو بمعنى يعبد في الموضوعين ﴿يَدْعُوا لِمَنْ ضَرَّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ﴾ فيها إشكالان: الأول في المعنى وهو كونه وصف الأصنام بأنها لا تضر ولا تنفع، ثم وصفها بأن ضررها أقرب من نفعها فنفي الضر ثم أثبتته، فالجواب أن الضر المنفي أولاً يراد به ما يكون من فعلها وهي لا تفعل شيئاً، والضر الثاني يراد به ما يكون بسببها من العذاب وغيره، والإشكال الثاني دخول اللام على من وهي في الظاهر مفعول واللام لا تدخل على المفعول، وأجاب الناس على ذلك بثلاثة أوجه: أحدها أن اللام مقدّمة على موضعها، كأن الأصل أن يقال يدعو من لضره أقرب من نفعه، فموضعها الدخول على المبتدأ، والثاني أن يدعو هنا كرر تأكيداً ليدعو الأول وتمّ الكلام عنده، ثم ابتداء قوله لِمَنْ ضَرَّهُ، فمن مبتدأ وخبره لبس المولى، وثالثها أن معنى يدعو يقول يوم القيامة هذا الكلام إذا رأى مضرّة الأصنام فدخلت اللام على مبتدأ في أول الكلام ﴿المولى﴾ هنا بمعنى الوليّ ﴿العشير﴾ صاحب فهو من العشيرة ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ الآية: لما ذكر أن الأصنام لا تنفع من عبدها، قابل ذلك بأن الله ينفع من عبده بأعظم النفع، وهو دخول الجنة ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ﴾ السبب هنا الحبل، والسما هنا سقف البيت وشبهه من الأشياء التي تعلق منها الحبال، والقطع هنا يراد به الاختناق بالحبل، يقال قطع الرجل إذا اختنق، ويحتمل أن يراد به قطع الرجل من الأرض بعد ربط الحبل في العنق، وربطه في السقف، والمراد بالاختناق هنا ما يفعله مَنْ اشتدّ غيظه وحسرتة أو طمعاً فيما لا يصل إليه، كقوله للحسود: مت كمدًا، أو اختنق؛ فإنك لا تقدر على غير ذلك، وفي معنى الآية قولان الأول أن الضمير في ينصره لسيدنا محمد ﷺ، والمعنى على هذا مَنْ كان من الكفار يظن أن لن ينصر الله محمدًا فليختنق بحبل، فإن الله ناصره ولا بدّ على غيظ الكفار، فموجب الاختناق هو الغيظ من نصره سيدنا محمد ﷺ، والقول الثاني أن الضمير في ينصره عائد على من، والمعنى على هذا من ظنّ بسبب ضيق صدره وكثرة غمّه أن لن ينصره الله: فليختنق وليمت بغيظه، فإنه لا يقدر على غير ذلك، فموجب الاختناق على هذا القنوط والسخط من القضاء وسوء الظنّ بالله حتى يئس من نصره، ولذلك فسّر بعضهم أن لن ينصره الله بمعنى أن لن

ثُمَّ لَيَقَطَعَنَّ فَيَنْظُرُ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدَهُ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِيَ مَنْ يُرِيدُ ﴿١٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِقِينَ وَالصَّبِرِينَ وَالْمَجْسُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ

القول مناسب لمن يعبد الله على حرف، لأنه إذا أصابته فتنة انقلب وقنط حتى ظن أن الله لن ينصره، فيكون هذا الكلام متصلاً بما قبله: ويدل على ذلك قوله قبل هذه الآية: إن الله يفعل ما يريد: أي الأمور بيد الله فلا ينبغي لأحد أن يتسخط من قضاء الله ولا ينقلب إذا أصابته فتنة، والوجه الثاني، أن الضمير في ينصره على هذا القول يعود على ما تقدمه وأما على القول الأول فلا يعود على مذكور قبله لأن النبي ﷺ لم يذكر قبل ذلك بحيث يعود الضمير عليه ولا يدل سياق الكلام عليه دلالة ظاهرة ﴿فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدَهُ مَا يَغِيظُ﴾ الكيد هنا يراد به اختناقه، وسُمي كيداً لأنه وضعه موضع الكيد، إذ هو غاية حيلته، والمعنى إذا خنق نفسه فلينظر هل يذهب ذلك ما يغيظه من الأمر، أي ليس يذهب ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا﴾ الضمير للقرآن أي مثل هذا أنزلنا القرآن كله ﴿آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِيَ مَنْ يُرِيدُ﴾ قال ابن عطية أن في موضع خبر الابتداء والتقدير الأمر أن الله، وهذا ضعيف، لأن فيه تكلف إضمار وقطع للكلام عن المعنى الذي قبله، وقال الزمخشري التقدير لأن الله يهدي من يريد أنزلناه كذلك آيات بينات، فجعل أن تعليلاً للإنزال، وهذا ضعيف للفصل بينهما بالواو والصحيح عندي أن قوله وأن الله معطوف على آيات بينات، لأنه مقدر بالمصدر، فالتقدير أنزلناه آيات بينات وهدي لمن أراد الله أن يهديه ﴿وَالصَّابِقِينَ﴾ ذكر في البقرة وكذلك الذين هادوا ﴿وَالْمَجْسُوسَ﴾ هم الذين يعبدون النار، ويقولون: إن الخير من النور والشر من الظلمة ﴿وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ هم الذين يعبدون الأصنام من العرب وغيرهم ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ﴾ هذه الجملة هي خبر ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا﴾ الآية، وكررت مع الخبر للتأكيد، وفصل الله بينهم بأن يبين لهم أن الإيمان هو الحق، وسائر الأديان باطلة، وبأن يدخل الذين آمنوا الجنة ويدخل غيرهم النار ﴿يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ﴾ دخل في هذا من في السموات من الملائكة ومن في الأرض من الملائكة والجن ولم يدخل الناس في ذلك لأنه ذكرهم في آخر الآية، إلا أن يكون ذكرهم في آخرها على وجه التجريد، وليس المراد بالسجود هنا السجود المعروف لأنه لا يصح في حق الشمس والقمر وما ذكر بعدهما، وإنما المراد به الانقياد ثم إن الانقياد يكون على وجهين أحدهما

وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿١٨﴾ هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقْتَبِعٌ مِّن حديدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ

الانقياد لطاعة الله طوعاً، والآخر الانقياد لما يجري الله على المخلوقات في أفعاله وتدبيره شأواً أو أبواً ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ﴾ إن جعلنا السجود بمعنى الانقياد لطاعة الله، فيكون كثير من الناس معطوفاً على ما قبله من الأشياء التي تسجد ويكون قوله: ﴿وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾ مستأنفاً يُراد به لا ينقاد للطاعة ويوقف على قوله وكثير من الناس، وهذا القول هو الصحيح: وإن جعلنا السجود بمعنى الانقياد لقضاء الله وتدبيره فلا يصح تفضيل الناس على ذلك إلى مَنْ يسجد وَمَنْ لا يسجد لأن جميعهم يسجد بذلك المعنى، وقيل إن قوله وكثير من الناس معطوف على ما قبله ثم عطف عليه كثيرٌ حَقَّ عليه العذاب فالجميع على هذا يسجد وهذا ضعيف لأن قوله حَقَّ عليه العذاب يقتضي ظاهره أنه إنما حَقَّ عليه العذاب بتركه للسجود، وتأوله الزمخشري على هذا المعنى، بأن إعراب كثير من الناس فاعل بفعل مضمَر تقديره يسجد سجد طاعة أو مرفوع بالابتداء وخبره محذوف تقديره مُثاب وهذا تكلف بعيد.

﴿هَذَانِ خَصْمَانِ﴾ الإشارة إلى المؤمنين والكفار على العموم ويدل على ذلك ما ذكر قبلها من اختلاف الناس في أديانهم، وهو قول ابن عباس، وقيل نزلت في علي بن أبي طالب وحمزة بن عبد المطلب وعبيدة بن الحارث حين برزوا يوم بدر لعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، فالآية على هذا مدنية إلى تمام ست آيات، والخصم يقع على الواحد والاثنيين والجماعة، والمراد به هنا الجماعة؛ والإشارة بهذان إلى الفريقين ﴿اِخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾ أي في دينه وفي صفاته والضمير في اختصموا لجماعة الفريقين ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الآية: حكم بين الفريقين بأن جعل للكفار النار وللمؤمنين الجنة المذكورة بعد هذا ﴿قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ﴾ أي فُصِّلَتْ على قدر أجسادهم، وهو مستعار من تفصيل الثياب ﴿الْحَمِيمُ﴾ الماء الحارّ ﴿يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ﴾ أي يُذاب، وذلك أن الحميم إذا صُبَّ على رؤوسهم وصل حرّه إلى بطونهم فأذاب ما فيها، وقيل معنى يصهر ينضج ﴿مَّقْتَبِعٌ﴾ جمع مقابح. قيل هي السياط ﴿مِّن

اللَّهُ يَدْخُلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ
 فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾ وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ
 الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطٍ الْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ
 الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَكْفِ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحُكْمِ يُظَلَمِ نُدْقَهُ مِنْ
 عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ

عَمَّ بدل من المجرور قبله ﴿وَذُوقُوا﴾ التقدير يقال لهم ذوقوا ﴿مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ﴾ من
 لبيان الجنس أو للتبويض وفسرنا الأساور في الكهف ﴿وَلُؤْلُؤًا﴾ بالنصب مفعول بفعل مضمّر
 أي يعطون لؤلؤًا، أو معطوف على موضع من أساور إذ هو مفعول، وبالخفض معطوف
 على أساور أو على ذهب ﴿الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ قيل هو لا إله إلا الله، واللفظ أعم من ذلك
 ﴿صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾ أي صراط الله، فالحميد اسم الله، ويحتمل أن يريد الصراط الحميد،
 وأضاف الصفة إلى الموصوف كقولك مسجد الجامع ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ خبره محذوف يدل
 عليه قوله نذقه من عذاب أليم، وقيل الخبر يصدّون على زيادة الواو، وهذا ضعيف، وإنما
 يقال يصدّون بلفظ المضارع ليدل على الاستمرار على الفعل ﴿سَوَاءً﴾ بالرفع مبتدأ وخبره
 مقدّر والجملة في موضع المفعول الثاني لجعلنا، وقرىء بالنصب على أنه المفعول الثاني
 والعاكف فاعل به ﴿الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ﴾ العاكف المقيم في البلد والبادي القادم عليه من
 غيره والمعنى أن الناس سواء في المسجد الحرام لا يختص به أحد دون أحد وذلك إجماع،
 وقال أبو حنيفة حكم سائر مكة في ذلك كالمسجد الحرام، فيجوز للقادم أن ينزل منها حيث
 شاء، وليس لأحد فيها ملك، والمراد عنده بالمسجد الحرام جميع مكة، وقال مالك وغيره
 ليست الدور في ذلك كالمسجد، بل هي متملكة ﴿بِالْحَادِ بِظَلَمٍ﴾ الإلحاد الميل عن
 الصواب، والظلم هنا عام في المعاصي من الكفر إلى الصغائر، لأن الذنوب في مكة أشدّ
 منها في غيرها، وقيل هو استحلال الحرام ومفعول يرد محذوف تقديره من يرد أحدًا أو من
 يرد شيئًا، وبالإلحاد بظلم: حالان مترادفان، وقيل المفعول قوله بالإلحاد على زيادة الباء ﴿وَإِذْ
 بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ﴾ العامل في إذ مضمّر تقديره اذكر وبوّأنا أصله من باء بمعنى
 رجع، ثم ضوعف ليتعدى، واستعمل بمعنى أنزلنا في الموضع كقوله تبوء المؤمنون، إلا
 أن هذا المعنى يُشكّل هنا لقوله لإبراهيم لتعدّي الفعل باللام، وهو يتعدّى بنفسه حتى قيل
 اللام زائدة، وقيل معناه هيأنا، وقيل جعلنا، والبيت هنا الكعبة، ورؤي أنه كان آدم يعبد الله

لِلظَّالِمِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعَ السُّجُودَ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى
كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَكَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي
أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعَمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾

فيه، ثم درس بالطوفان، فدلَّ الله إبراهيم عليه السلام على مكانه، وأمره بيناينه ﴿أَنْ لَا تُشْرِكْ﴾ أن مفسرة، والخطاب لإبراهيم عليه السلام، وإنما فسرت تبوئة البيت بالنهي عن الإشراك، والأمر بالتطهير، لأنه التبوئة إنما قصدت لأجل العبادة التي تقتضي ذلك ﴿طَهِّرْ بَيْتِيَ﴾ عام في التطهير من الكفر والمعاصي والأنجاس وغير ذلك ﴿وَالْقَائِمِينَ﴾ يعني المصلين ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ﴾ خطاب لإبراهيم، وقيل لسيدنا محمد ﷺ، والأول هو الصحيح، رُوِيَ أَنَّهُ لَمَّا أَمَرَ بِالْأَذَانِ بِالْحَجِّ: صَعَدَ عَلَىٰ جَبَلِ أَبِي قَبَيْسٍ، وَنَادَى: أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَمَرَكُمْ بِحَجِّ هَذَا الْبَيْتِ فَحَجُّوا، فَسَمِعَهُ كُلُّ مَنْ يَحْجُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِمْ وَأَجَابَهُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ كُلِّ شَيْءٍ مِنْ جَمَادٍ وَغَيْرِهِ. لَيْتَكَ اللَّهُمَّ لَيْتَكَ، فَجَرَتْ التَّلْبِيَةُ عَلَىٰ ذَلِكَ ﴿يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾ جمع راجل أي ماشيًا على رجله ﴿وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ﴾ الضامر يراد به كل ما يُرْكَبُ مِنْ فَرَسٍ وَنَاقَةٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ وَإِنَّمَا وَصَفَهُ بِالضَّمُورِ لِأَنَّهُ لَا يَصِلُ إِلَى الْبَيْتِ إِلَّا بَعْدَ ضَمُورِهِ، وَقَوْلُهُ وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ حَالٌ مَعْطُوفٌ عَلَىٰ حَالِ كَوْنِهِ قَالَ رِجَالًا وَرِكْبَانًا، وَاسْتَدَلَّ بَعْضُهُمْ بِتَقْدِيمِ الرِّجَالِ فِي الْآيَةِ عَلَىٰ أَنْ الْمَشْيَ إِلَى الْحَجِّ أَفْضَلُ مِنَ الرُّكُوبِ، وَاسْتَدَلَّ بَعْضُهُمْ بِسُقُوطِ ذِكْرِ الْبَحْرِ بِهَذِهِ الْآيَةِ، عَلَىٰ أَنَّهُ يَسْقُطُ فَرَضُ الْحَجِّ عَلَى مَنْ يَحْتَاجُ إِلَى رُكُوبِ الْبَحْرِ ﴿يَأْتِينَكَ﴾ صفة لكل ضامر، لأنه في معنى الجمع ﴿مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ أي طريق بعيد ﴿مَنَافِعَ لَهُمْ﴾ أي بالتجارة، وقيل أعمال الحج وثوابه، واللفظ أعم من ذلك ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ﴾ يعني التسمية عند ذبح البهائم ونحرها وفي الهدايا والضحايا، وقيل يعني الذكر على الإطلاق، وإنما قال اسم الله، لأن الذكر باللسان إنما يذكر لفظ الأسماء ﴿فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ﴾ هي عند مالك يوم النحر وثانيه وثالثه خاصة لأن هذه هي أيام الضحايا عنده، ولم يجز ذبحها بالليل لقوله في أيام وقيل الأيام المعلومات عشر ذي الحجة ويوم النحر والثلاثة بعده، وقيل عشر ذي الحجة خاصة، وأما الأيام المعدودات فهي الثلاثة بعد يوم النحر، فيوم النحر من المعلومات لا من المعدودات واليومان بعده من المعلومات والمعدودات ورابع النحر من المعدودات لا من المعلومات ﴿فَكُلُوا مِنْهَا﴾ ندب أو إباحة ويستحب أن يأكل الأقل من الضحايا ويتصدق بالأكثر ﴿الْبَائِسَ﴾ الذي أصابه البؤس وقيل هو المتكفف وقيل الذي

ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلِيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٢٦﴾ ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ
حُرْمَتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُمْ عِنْدَ رَبِّهِ وَأَجَلْتُ لَكُمْ الْأَنْعَمَ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ
فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴿٢٧﴾ خُفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ
وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوَى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٢٨﴾
ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿٢٩﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ

فالمعنى ليقضوا إزالة تفثهم بقص الأظفار والاستحداد وسائر خصال الفطرة والتنظيف بعد أن يحلوا من الحج، وقيل التفث أعمال الحج، وقرىء بكسر اللام وإسكانها، وهي لام الأمر وكذلك وليوفوا وليطوفوا ﴿وَلِيَطَّوَّفُوا﴾ المراد هنا طواف الإفاضة عند جميع المفسرين وهو الطواف الواجب ﴿بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ أي القديم، لأنه أول بيت وضع للناس وقيل العتيق الكريم، كقولهم: فرس عتيق، وقيل أعتق من الجبارة أي منع منهم، وقيل العتيق هو الذي لم يملكه أحد قط ﴿ذَلِكَ﴾ هنا وفي الموضع الثاني مرفوع على تقدير الأمر ذلك كما يقدم الكاتب جملة من كتابه، ثم يقول هذا وقد كان كذا، وأجاز بعضهم التوقف على قوله ذلك في ثلاثة مواضع من هذه السورة وهي هذا ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ شَعَائِرَ اللَّهِ﴾ وذلك ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ﴾ لأنها جملة مستقلة أو هو خبر ابتداء مضمرة، والأحسن وصلها بما بعدها عند شيخنا أبي جعفر بن الزبير، لأن ما بعدها ليس كلاماً أجنبياً، ومثلها ﴿ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ﴾ و﴿ذَلِكَ فَنذُوقُوهُ﴾ في الأنفال [١٤]، و﴿هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِيَتِينَ﴾ في ص [٥٥]، ﴿حُرْمَاتِ اللَّهِ﴾ جمع حرمة، وهو ما لا يحل هتكه من جميع الشريعة، فيحتمل أن يكون هنا على العموم، أو يكون خاصاً بما يتعلق بالحج لأن الآية فيه ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ﴾ أي التعظيم للحرمات خير ﴿إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ يعني ما حرّمه في غير هذا الموضع كالمينة ﴿الرِّجْسِ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾ من لبيان الجنس كأنه قال الرجس الذي هو الأوثان، والفراد النهي عن عبادتها أو عن الذبح تقرباً إليها كما كانت العرب تفعل ﴿قَوْلَ الزُّورِ﴾ أي الكذب، وقيل شهادة الزور ﴿فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ﴾ الآية، تمثيل للمشرك بمن أهلك نفسه أشدّ الهلاك ﴿سَحِيقٍ﴾ أي بعيد ﴿شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ قيل هي الهدايا في الحج وتعظيمها بأن تختار سماناً عظيماً غالبية الأثمان، وقيل مواضع الحج كعرفات ومنى والمزدلفة، وتعظيمها إجلالها وتوقيرها والقصد إليها، وقيل الشعائر أمور الدين على الإطلاق وتعظيمها القيام بها وإجلالها ﴿فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ الضمير عائد على الفعلة التي يتضمنها الكلام وهي مصدر يعظم، وقال الزمخشري: التقدير: فإن تعظيمها من أفعال ذوي تقوى القلوب، فحذفت

مَحَلَّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٢٣﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ
 بَهِيمَةٍ الْأَنْعَامِ فَإِنَّهُمْ إِلَهُ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴿٢٤﴾ الَّذِينَ إِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ
 قُلُوبُهُمْ وَالصَّادِقِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٢٥﴾ وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا
 لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا

هذه المضافات ﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ﴾ مَنْ قَالَ إِنَّ شَعَائِرَ اللَّهِ هِيَ الْهَدَايَا، فَالْمَنَافِعُ بِهَا شَرِبَ
 لَبْنَهَا وَرَكُوبَهَا لَمَنْ اضْطُرَّ إِلَيْهَا، وَالْأَجَلُ الْمَسْمُوعُ نَحْرَهَا. وَمَنْ قَالَ إِنَّ شَعَائِرَ اللَّهِ مَوَاضِعُ
 الْحَجِّ، فَالْمَنَافِعُ التِّجَارَةُ فِيهَا أَوْ الْأَجْرُ، وَالْأَجَلُ الْمَسْمُوعُ: الرَّجُوعُ إِلَى مَكَّةَ لَطَوَافِ الْإِفَاضَةِ
 ﴿ثُمَّ مَحَلَّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ مَنْ قَالَ إِنَّ شَعَائِرَ اللَّهِ الْهَدَايَا فَمَحَلُّهَا مَوْضِعُ نَحْرَهَا وَهِيَ مِنْى
 وَمَكَّةَ، وَخَصَّ الْبَيْتَ بِالذِّكْرِ لِأَنَّهُ أَشْرَفُ الْحَرَمِ وَهُوَ الْمَقْصُودُ بِالْهَدْيِ، وَثُمَّ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ
 لَيْسَتْ لِلتَّرْتِيبِ فِي الزَّمَانِ لِأَنَّ مَحَلَّهَا قَبْلَ نَحْرَهَا، وَإِنَّمَا هِيَ لِتَرْتِيبِ الْجَمَلِ، وَمَنْ قَالَ إِنَّ
 الشَّعَائِرَ مَوَاضِعَ الْحَجِّ، فَمَحَلُّهَا مَأْخُذٌ مِنْ إِحْلَالِ الْمَحْرَمِ: أَيِ آخِرِ ذَلِكَ كُلِّهِ الطَّوَافِ بِالْبَيْتِ
 يَعْنِي طَوَافِ الْإِفَاضَةِ إِذْ بِهِ يَحِلُّ الْمَحْرَمُ مِنْ إِحْرَامِهِ وَمَنْ قَالَ إِنَّ الشَّعَائِرَ أُمُورَ الدِّينِ عَلَى
 الْإِطْلَاقِ فَذَلِكَ لَا يَسْتَقِيمُ مَعَ قَوْلِهِ مَحَلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا﴾ أَيِ لِكُلِّ أُمَّةٍ
 مُؤْمِنَةٍ، وَالْمَنْسَكُ اسْمُ مَكَانٍ أَيِ مَوْضِعِهَا لِعِبَادَتِهِمْ، وَيَحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ اسْمُ مَصْدَرٍ بِمَعْنَى
 عِبَادَةٍ، وَالْمُرَادُ بِذَلِكَ الذَّبَائِحُ لِقَوْلِهِ: ﴿لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾
 بِخِلَافِ مَا يَفْعَلُهُ الْكُفَّارُ مِنَ الذَّبْحِ تَقَرُّبًا إِلَى الْأَصْنَامِ ﴿فَالْهُكْمُ إِلَهُ وَاحِدٌ﴾ فِي وَجْهِ اتِّصَالِهِ بِمَا
 قَبْلَهُ وَجِهَانٌ: أَحَدُهُمَا أَنَّهُ لَمَّا ذَكَرَ الْأَمَمُ الْمَتَقَدِّمَةَ خَاطَبَهَا بِقَوْلِهِ فِالْهُكْمِ إِلَهُ وَاحِدٌ أَيِ هُوَ
 الَّذِي شَرَعَ الْمَنَاسِكَ لَكُمْ وَلَمَنْ تَقَدَّمَ قَبْلَكُمْ، وَالثَّانِي أَنَّهُ إِشَارَةٌ إِلَى الذَّبَائِحِ أَيِ الْهُكْمِ إِلَهُ
 وَاحِدٌ فَلَا تَذْبَحُوا تَقَرُّبًا لِغَيْرِهِ ﴿الْمُخْبِتِينَ﴾ الْخَاشِعِينَ وَقِيلَ الْمَتَوَاضِعِينَ، وَقِيلَ نَزَلَتْ فِي أَبِي
 بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعِثْمَانَ وَعَلِيٍّ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ بَعْدَ ذَلِكَ ﴿وَبَشِّرِ الْمُخْسِنِينَ﴾ وَاللَّفْظُ فِيهِمَا أَعَمٌّ مِنْ
 ذَلِكَ ﴿وَجِلَّتْ﴾ خَافَتْ ﴿وَالْبُدْنَ﴾ جَمْعُ بَدَنَةٍ، وَهُوَ مَا أَشْعَرَ مِنَ الْإِبِلِ، وَاخْتَلَفَ هَلْ يُقَالُ
 لِلْبَقْرَةِ بَدَنَةٌ، وَانْتِصَابُهُ بِفِعْلِ مَضْمَرٍ ﴿مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ وَاحِدُهَا شَعِيرَةٌ، وَمَنْ لِلتَّبَعِيضِ،
 وَاسْتَدَلَّ بِذَلِكَ مَنْ قَالَ إِنَّ شَعَائِرَ اللَّهِ الْمَذْكُورَةَ أَوْ عَلَى الْعَمُومِ فِي أُمُورِ الدِّينِ ﴿لَكُمْ فِيهَا
 خَيْرٌ﴾ قِيلَ الْخَيْرُ هُنَا الْمَنَافِعُ الْمَذْكُورَةُ قَبْلَ، وَقِيلَ الثَّوَابُ، وَالصَّوَابُ الْعَمُومُ فِي خَيْرِ الدُّنْيَا
 وَالْآخِرَةِ ﴿صَوَافٍ﴾ مَعْنَاهُ قَائِمَاتٌ قَدْ صَفَفْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَأَرْجُلَهُنَّ، وَهِيَ مَنْصُوبَةٌ عَلَى الْحَالِ مِنَ
 الضَّمِيرِ الْمَجْرُورِ، وَوزنه فَوَاعِلٌ، وَوَاحِدُهُ صَافَةٌ ﴿وَجِبَتْ جُنُوبُهَا﴾ أَيِ سَقَطَتْ إِلَى الْأَرْضِ
 عِنْدَ مَوْتِهَا، يُقَالُ وَجِبَ وَجِبًا

وَأَطْعَمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَاؤَهَا وَلَكِنَّ يَنَالُهُ النَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتَكْبُرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَيْكُمْ وَيَهْدِي اللَّهُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ

الرجل بفتح النون: إذا سأل، وقيل معناه المتعطف عن السؤال، فهو على هذا من قولك قنع بالكسر إذا رضي بالقليل ﴿وَالْمُعْتَرَّ﴾ المعترض بغير سؤال، ووزنه مفتعل، يقال اعتررت بالقوم إذا تعرّضت لهم، فالمعنى أطعموا من سأل ومن لم يسأل ممن تعرّض بلسان حاله، وأطعموا من تعطف عن السؤال بالكلية، ومن تعرّض للعتاء ﴿كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ﴾ أي كما أمرناكم بهذا كله سخرناها لكم، وقال الزمخشري التقدير مثل التخيير الذي علمتم سخرناها لكم ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَاؤَهَا﴾ المعنى لن تصلوا إلى رضا الله باللحوم ولا بالدماء، وإنما تصلون إليه بالنقوى أي بالإخلاص لله، وقصد وجه الله بما تدبحون وتنجحون من الهدايا، فعبر عن هذا المعنى بلفظ ينال مبالغة وتأكيداً، لأنه قال لن تصل لحومها، ولا دماؤها إلى الله، وإنما تصل بالنقوى منكم، فإن ذلك هو الذي طلب منكم، وعليه يحصل لكم الثواب، وقيل كان أهل الجاهلية يضرجون البيت بالدماء فأراد المسلمون فعل ذلك فنهوا عنه ونزلت الآية ﴿كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ﴾ كزر للتأكيد ﴿لِتَكْبُرُوا اللَّهَ﴾ قيل يعني قول الذابح بسم الله والله أكبر، واللفظ أعم من ذلك ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ كان الكفار يؤذون المؤمنين بمكة، فوعدهم الله أن يدفع عنهم شرهم وأذاهم، وحذف مفعول يدافع ليكون أعظم وأعم، وقرئ يدافع بالألف، ويدفع بسكون الدال من غير الألف، وهما بمعنى واحد أجريت فاعل مجرى فعل من قولك عاقبة الأمر، وقال الزمخشري: يدافع: معناه يبالغ في الدفع عنهم، لأنه للمبالغة، وفعل المغالبة أقوى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ الخوّان مبالغة في خائن، والكفور مبالغة في كافر، قال الزمخشري هذه الآية علة لما قبلها ﴿أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ﴾ هذه أول آية نزلت في الإذن في القتال، ونسخت الموادعة مع الكفار، وكان نزولها عند الهجرة، وقرئ أذن بضم الهمزة على البناء لما لم يُسَمَّ فاعله، وبالفتح على البناء للفاعل وهو الله تعالى، والمعنى أذن لهم في القتال فحذف المأذون فيه لدلالة يقاتلون عليه، وقرئ يقاتلون بفتح التاء وكسرهما ﴿بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا﴾ أي بسبب أنهم ظلموا ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ يعني الصحابة فإن الكفار آذوهم وأضروا بهم حتى اضطروهم إلى الخروج من مكة، فمنهم من هاجر إلى أرض الحبشة، ومنهم من

حَقِّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا لَهَدَمَتِ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ
 وَمَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ
 عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ
 وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عِقَابُ الْأُمُورِ ﴿٤١﴾ وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ
 وَثَمُودٌ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكَذَّبَ مُوسَىٰ فَأَمَلَتْ لِلْكَافِرِينَ نَجْمٌ
 أَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرِيْبَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فِيهَا خَاوِيَةٌ
 عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَبْتَغِي مَعْطَلَةَ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ ﴿٤٥﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُون لَهُمْ قُلُوبٌ

هاجر إلى المدينة ونسب الإخراج إلى الكفار لأن الكلام في معرض إلزامهم الذنب
 ووصفهم بالظلم ﴿إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ قال ابن عطية هو استثناء منقطع لا يجوز فيه
 البدل عند سيبويه، وقال الزمخشري أن يقولوا أن يقولوا: في محل الجر على الإبدال من حق ﴿وَلَوْلَا
 دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ﴾ الآية تقوية للإذن في القتال وإظهار للمصلحة التي فيه كأنه يقول لولا القتال
 والجهاد لاستولى الكفار على المسلمين وذهب الدين، وقيل المعنى: لولا دفع ظلم الظلمة
 بعدل الولاة، والأول أليق بسياق الآية، وقرئ دفاع بالألف مصدر دافع، وبغير ألف مصدر
 دفع ﴿لَهَدَمَتِ﴾ قرئ بالتخفيف والتشديد للمبالغة ﴿صَوَامِعُ﴾ جمع صومعة بفتح الميم
 وهي موضع العبادة وكانت للصابئين ولرهبان النصارى، ثم سمي بها في الإسلام موضع
 الأذان، والبيع جمع بيعة بكسر الباء وهي كنائس النصارى والصلوات كنائس اليهود، وقيل
 هي مشتركة لكل أمة، والمراد بها مواضع الصلوات، والمساجد للمسلمين، فالمعنى لولا
 دفع الله لاستولى الكفار على أهل الجبل المتقدمة في أزمانهم، ولاستولى المشركون على
 هذه الأمة فهدموا مواضع عباداتهم ﴿يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ﴾ الضمير لجميع ما تقدم من
 المتعبدات، وقيل للمساجد خاصة ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ﴾ أي من ينصر دينه وأوليائه،
 وهو وعد تضمن الحَضَّ على القتال.

﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ﴾ الآية: قيل يعني أمة سيدنا محمد ﷺ، وقيل الصحابة، وقيل
 الخلفاء الأربعة لأنهم الذين مكَّنوا في الأرض بالخلافة ففعلوا ما وصفهم الله به ﴿وَإِنْ
 يُكَذِّبُوكَ﴾ الآية ضمير الفاعل لقريش، والخطاب للنبي ﷺ على وجه التسلية له والوعيد
 لهم ﴿نَكِيرٍ﴾ مصدر بمـ Made searchable using ScribeTools.com

يَعْقُلُونَ بِهَا أَوْ آذَانَ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبَ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿١٦﴾
 وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا
 تَعُدُّونَ ﴿١٧﴾ وَكَأَيُّنَ مِنْ قَرْيَةٍ أَمَلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْنَا أُولَئِكَ الْمَصِيرَ ﴿١٨﴾ قُلْ
 يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا كُنُزٌ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿١٩﴾ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ
 كَرِيمٌ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٢١﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ

بخاوية: فالمعنى أن العروش سقطت ثم سقطت الحيطان عليها فهي فوقها، وإن كان الجار
 والمجرور في موضع الحال: فالمعنى أنها خاوية مع بقاء عروشها ﴿بِئْسَ مُعْطَلَةٌ﴾ أي لا
 يستقى الماء منها لهلاك أهلها، ورُوي أن هذه البئر هي الرس، وكانت بعدن لأمة من بقايا
 ثمود، والأظهر أنه لم يرد التعيين، لقوله: ﴿فَكَأَيُّنَ مِنْ قَرْيَةٍ﴾ وهذا اللفظ يراد به التكثير
 ﴿وَقَصْرٍ مَشِيدٍ﴾ أي مبني بالشيد وهو الجص، وقيل المشيد المرفوع البنيان ﴿قُلُوبٌ
 يَعْقُلُونَ﴾ دليل على أن العقل في القلب خلافاً للفلاسفة في قولهم العقل في الدماغ ﴿فَأَنَّهَا
 لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ﴾ أي لا تعمي الأبصار عمى يعتد به، وإنما العمى الذي يعتد به عمى
 القلوب، وإن هؤلاء القوم ما عميت أبصارهم ولكن عميت قلوبهم، فالمعنى الأول لقصد
 المبالغة، والثاني خاصٌ بهؤلاء القوم ﴿الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ مبالغة كقوله يقولون بأفواههم
 ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾ الضمير لكفار قريش ﴿وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ إخبار يتضمن
 الوعيد بالعذاب، وسمّاه وعداً؛ لأن المراد به مفهوم ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا
 تَعُدُّونَ﴾ المعنى أن يوماً من أيام الآخرة مقداره ألف سنة من أعوام الدنيا، ولذلك قال صلى
 الله تعالى عليه وآله وسلم: «يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم وذلك خمسمائة
 سنة» وقيل المعنى إن يوماً واحداً من أيام العذاب كآلف سنة لطول العذاب فإن أيام البؤس
 طويلة، وإن كانت في الحقيقة قصيرة، وفي كل واحد من الوجهين تهديد للذين استعجلوا
 العذاب، إلا أن الأول أرجح، لأن الألف سنة فيه حقيقة، وقيل إن اليوم المذكور في الآية
 هو يوم من الأيام الستة التي خلق الله فيها السموات والأرض ﴿وَكَأَيُّنَ مِنْ قَرْيَةٍ﴾ ذكر أولاً
 القرى التي أهلكتها بغير إهلاك، وذكر هنا التي أهلكتها بعد الإهلاك، والإهلاك هو الإسهال مع
 إرادة المعاقبة فيما بعد، وعطف هذه الجملة بالواو على الجملة المعطوفة قبلها بالواو، وقال
 في الأولى فكأين لأنه بدل من قوله فكيف كان نكير ﴿سَعَوْا فِي آيَاتِنَا﴾ أي سعوا فيها
 بالطعن عليها، وهو من قولك سعى في الأمر إذا جد فيه لقصد إصلاحه أو إفساده

مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٧﴾ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةَ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٨﴾ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ

﴿مُعَاجِزِينَ﴾ بالالف: أي مغالبيين، لأنهم قصدوا عجز صاحب الآيات، والآيات تقتضي عجزهم، فصارت مفاعلة، وقرئ بالتشديد من غير ألف ومعناه أنهم يعجزون الناس عن الإسلام أي يشبطونهم عنه ﴿مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾ النبي أعم من الرسول فكل رسول نبي وليس كل نبي رسولا، فقدّم الرسول لمناسبته لقوله أرسلنا وآخر النبي لتحصيل العموم، لأنه لو اقتصر على رسول لم يدخل في ذلك من كان نبيا غير رسول ﴿إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾ سبب هذه الآية أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قرأ سورة والنجم بالمسجد الحرام بمحضر المشركين والمسلمين فلما بلغ إلى قوله: ﴿أَقْرَأْتُمْ اللَّاتَ وَالْعُزَّى وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى﴾ [النجم: ١٩] ألقى الشيطان، تلك الغرائيق العلى منها الشفاعة ترتجى، فسمع ذلك المشركون ففرحوا به وقالوا هذا محمد يذكر آلهتنا بما نريد واختلف في كيفية إلقاء الشيطان، فقيل إن الشيطان هو الذي تكلم بذلك، وظن الناس أن النبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم هو المتكلم به لأنه قرب صوته من صوت النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم حتى التبس الأمر على المشركين وقيل إن النبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم هو الذي تكلم بذلك على وجه الخطأ والسهو؛ لأن الشيطان ألقاه ووسوس في قلبه حتى خرجت تلك الكلمة على لسانه من غير قصد، والقول الثاني أشهر عند المفسرين والناقلين لهذه القصة، والقول الأول أرجح، لأن النبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم معصوم في التبليغ، فمعنى الآية أن كل نبي وكل رسول قد جرى له مثل ذلك من إلقاء الشيطان، واختلف في معنى تمنى وأمنيته في هذه الآية فقيل تمنى بمعنى تلا، والأمنية: التلاوة: أي إذا قرأ الكتاب ألقى الشيطان من عنده في تلاوته، وقيل هو من التمني بمعنى حب الشيء، وهذا المعنى أشهر في اللفظ: أي تمنى النبي صلى الله عليه وآله وسلم مقاربة قومه واستئلافهم، وألقى الشيطان ذلك في هذه الأمنية ليعجبهم ذلك ﴿فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ﴾ أي يبطله كقولك نسخت الشمس الظل ﴿لِيَجْعَلَ﴾ متعلق بقوله ينسخ ويحكم ﴿لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ أي أهل الشك ﴿وَالْقَاسِيَةَ قُلُوبُهُمْ﴾ المكذبون، وقيل الذين في قلوبهم مرض عامة الكفار، والقاسية قلوبهم أشد كفرا وعتوا كأبي جهل ﴿وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ جعل الظاهر موضع

الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ، فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾ الْمَلَكُ يَوْمَئِذٍ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّزُقِينَ ﴿٥٨﴾ لِيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾ ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَمَفْعُوفٌ عَفُورٌ ﴿٦٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيُذْخِرَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ الْبَلَّ فِي الْبَحْرِ وَالْيَمِينِ

المضمر، ليقضي عليهم بالظلم، والشقاق: العداوة، ووصفه ببعيد، لأنه في غاية الضلالة والبعد عن الخير ﴿الَّذِينَ أُوْتُوا الْعِلْمَ﴾ قيل يعني الصحابة، واللفظ أعم من ذلك ﴿أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ الضمير عائد على القرآن، وقال الزمخشري هو لتمكين الشيطان من الإلقاء ﴿فَتُخْبِتُ﴾ أي تخشع ﴿فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ﴾ الضمير للقرآن، أو للنبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أو للإلقاء ﴿يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾ يعني يوم بدر، ووصفه بالعقيم لأنه لا ليلة لهم بعده ولا يوم، لأنهم يقتلون فيه، وقيل هو يوم القيامة، والساعة مقدماته، ويقوَّى ذلك قوله: ﴿الْمَلَكُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾، ثم قسم الناس إلى قسمين: أصحاب الجحيم وأصحاب النعيم ﴿قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا﴾ رُوِيَ أَن قَوْمًا قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ عَلِمْنَا مَا أَعْطَى اللَّهُ لِمَنْ قَتَلَ مِنَ الْخَيْرَاتِ، فَمَا لِمَنْ مَاتَ مَعَكَ، فنزلت الآية معلمة أن الله يرزق من قتل ومن مات معاً، ولا يقتضي ذلك المساواة بينهم لأن تفضيل الشهداء ثابت ﴿رِزْقًا حَسَنًا﴾ يحتمل أن يريد به الرزق في الجنة بعد يوم القيامة، أو رزق الشهداء في البرزخ، والأول أرجح، لأنه يعتم الشهداء والموتى ﴿مُدْخَلًا﴾ يعني الجنة ﴿ذَلِكَ﴾ تقديره هنا: الأمر ذلك كما يقول الكاتب هذا وقد كان كذا إذا أراد أن يخرج إلى حديث آخر ﴿وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ﴾ سُمِّيَ الْإِبْتِدَاءُ عَقُوبَةً بِاسْمِ الْجَزَاءِ عَلَيْهَا تَجَوُّزًا كَمَا تَسْمَى الْعُقُوبَةُ أَيْضًا بِاسْمِ الذَّنْبِ. ووعد بالنصر لمن بغى عليه ﴿إِنَّ اللَّهَ لَمَفْعُوفٌ عَفُورٌ﴾ إنه قيل ما مناسبة هذين الوصفين للمعاقبة؟ فالجواب من وجهين: أحدهما أن في ذكر هذين الوصفين إشعار بأن العفو أفضل من العقوبة، فكانه حضى على العفو، والثاني أن في ذكرهما إعلاماً بعفو الله عن المعاقب حين عاقب، ولم يأخذ بالعفو الذي هو أولى ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُؤَلِّجُ اللَّيْلَ﴾ أي ذلك النصر بسبب أن الله قادر، ومن آيات

أَيْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿١١﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿١٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ لَمْ يَأْتِ السَّمَكَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفَلَكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٥﴾ وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ ﴿١٦﴾ لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنْزِعُكَ فِي الْأَمْرِ وَأَدْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى

قدرته أنه يولج الليل في النهار، ويولج النهار في الليل، ومعنى الإيلاج هنا أنه يدخل ظلمة هذا في مكان ضوء هذا، ويدخل ضوء هذا مكان ظلمة هذا، وقيل الإيلاج هو ما ينقص من أحدهما ويزيد في الآخر ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾ أي ذلك الوصف الذي وصف الله به هو بسبب أنه الحق.

﴿فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾ تصبح هنا بمعنى تصير، وفهم بعضهم أنه أراد صبيحة ليلة المطر، فقال لا تصبح الأرض مخضرة إلا بمكة، والبلاد الحارة، وأما على معنى تصير فذلك عام في كل بلد، والفاء للعطف، وليست بجواب، ولو كانت جواباً لقوله ألم تر لنصبت الفعل، وكان المعنى نفي خضرتها وذلك خلاف المقصود، وإنما قال تصبح بلفظ المضارعة ليفيد بقاءها كذلك مدة ﴿سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ﴾ يعني البهائم والثمار والمعادن وغير ذلك ﴿أَنْ تَقَعَ﴾ في موضع مفعول على تقدير عن أن تقع، وقال الزمخشري كراهة أن تقع فهو مفعول من أجله ﴿إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ يحتمل أن يريد يوم القيامة، فجعل طي السماء كوقوعها أو يزيد بإذنه لو شاء متى شاء ﴿أَحْيَاكُمْ﴾ أي أوجدكم بعد العدم، وعبر عن ذلك بالحياة لأن الإنسان قبل ذلك تراب فهو جماد بلا روح، ثم أحياه بنفخ الروح ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ يعني الموت المعروف ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ يعني البعث ﴿لَكَفُورٌ﴾ أي جحود للنعمة ﴿مَنْسَكًا﴾ هو اسم مصدر لقوله ناسكوه ولو كان اسم مكان لقال ناسكون فيه ﴿فَلَا يُنْزِعُكَ﴾ ضمير الفاعل للكفار، والمعنى: أنه لا ينبغي منازعة النبي ﷺ، لأن الحق قد ظهر بحيث لا يسع النزاع فيه، فجاء الفعل بلفظ النهي والمراد غير النهي، وقيل إن المعنى لا تنازعهم فينازعوك ف

مُسْتَقِيمٌ ﴿٧﴾ وَإِنْ جَادَلُوكَ فَقُلْ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي
كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٠﴾ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ
عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴿١١﴾ وَإِذَا نُتِلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا
الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَفَأَنْتُمْ تُبَشِّرُونَ
ذَلِكَ النَّارَ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَسَّ الْمَصِيرُ ﴿١٢﴾ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرْبٌ مِثْلُ مَا فَاسْتَمِعُوا
لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْتَأْذِنُوا لَلذُّبَابُ

المنازعة على ظاهر اللفظ ﴿في الأمر﴾ أي في الدين والشريعة أو في الذبائح ﴿وإدع إلى ربك﴾ أي ادع الناس إلى عبادة ربك ﴿وإن جادلوك﴾ الآية: تقتضي موادعة منسوخة بالقتال ﴿إن ذلك في كتاب﴾ يعني اللوح المحفوظ، والإشارة بذلك إلى معلومات الله ﴿إن ذلك على الله يسير﴾ يحتمل أن تكون الإشارة بذلك إلى كتب المعلومات في الكتاب، أو إلى الحكم في الاختلاف والأول أظهر ﴿ما لم ينزل به سلطاناً﴾ يعني الأصنام؛ والسلطان هنا: الحجة والبرهان، وما ليس لهم به علم: قيل إنه يعني ما ليس لهم به علم ضروري، فنفي أولاً البرهان النظري، ثم العلم الضروري، وليس اللفظ بظاهر في هذا المعنى بل الأحسن نفي العلم الضروري والنظري معاً ﴿تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر﴾ أي الإنكار لما يسمعون فالمنكر مصدر: كالمكرم بمعنى الإكرام ويعرف ذلك في وجوههم بعبوسها وإعراضها ﴿يسطون﴾ من السطوة وهي سرعة البطش ﴿النار وعدها الله﴾ يحتمل أن تكون النار مبتدأ، ووعدها الله خبراً أو يكون النار خبر ابتداء مضمرة كأن قائلها قال ما هو؟ فقيل هو النار، ويكون وعدها الله استئنافاً وهذا أظهر ﴿ضرب مثل﴾ أي ضربه الله لإقامة الحجة على المشركين ﴿لئن يخلقوا ذباباً﴾ تنبيه بالأصغر على الأكبر من باب أولى وأخرى والمعنى أن الأصنام التي تعبدونها لا تقدر على خلق الذباب ولا غيره، فكيف تعبد من دون الله الذي خلق كل شيء، ثم أوضح عجزهم بقوله: ﴿ولو اجتمعوا له﴾ أي لو تعاونوا على خلق الذباب لم يقدروا عليه ﴿وإن يسألهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه﴾ بيان أيضاً لعجز الأصنام بحيث لو اخطف الذباب منهم شيئاً لم يقدروا على استنقاذه منه على حال ضعفه، وقد قيل إن المراد بما يسلب الذباب منهم الطيب الذي كانت تجعله العرب على الأصنام واللفظ أعم من ذلك ﴿ضعف الطالب والمطلوب﴾ المراد بالطالب الأصنام وبالمطلوب

شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ ﴿٧٦﴾ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٧﴾ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٧٨﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٧٩﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٨٠﴾ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مَلَّةً أَيْكُمْ إِِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ

الذباب لأن الأصنام تطلب من الذباب ما سلبته منها. وقيل الطالب الكفار والمطلوب الأصنام. لأن الكفار يطلبون الخير منهم و﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ أي ما عظموه حق تعظيمه ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾ رد على من أنكر أن يكون الرسول من البشر ﴿أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا﴾ في هذه الآية سجدة عند الشافعي وغيره للحديث الصحيح الوارد في ذلك خلافاً للمالكية و﴿وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾ عموم في العبادة بعد ذكر الصلاة التي عبر عنها بالركوع والسجود، وإنما قدمها لأنها أهم العبادات و﴿وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ﴾ قيل المراد صلة الرحم، وقال ابن عطية هي في النذب فيما عدا الواجبات، واللفظ أعم من ذلك كله و﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ﴾ يحتمل أن يريد جهاد الكفار، أو جهاد النفس والشيطان أو الهوى، أو العموم في ذلك ﴿حَقَّ جِهَادِهِ﴾ قيل إنه منسوخ كمنسوخ حق تقاته بقوله ما استطعتم، وفي ذلك نظر، وإنما أضاف الجهاد إلى الله ليبين بذلك فضله واختصاصه بالله ﴿اجْتَبَاكُمْ﴾ أي اختاركم من بين الأمم ﴿مِنْ حَرَجٍ﴾ أي مشقة، وأصل الحرج الضيق ﴿مَلَّةً أَيْكُمْ إِِبْرَاهِيمَ﴾ انتصب ملّة بفعل مضمّر تقديره أعني بالدين ملّة إبراهيم، أو التزموا ملّة إبراهيم وقال الفراء انتصب على تقدير حذف الكاف كأنه قال كملّة، وقال الزمخشري انتصب بمضمون ما تقدم: كأنه قال وسع عليكم توسعة ملّة أبيكم إبراهيم، ثم حذف المضاف، فإن قيل: لم يكن إبراهيم أباً للمسلمين كلهم، فالجواب: انه أباً لرسول الله ﷺ، وكان أباً لأُمَّته لأن أمة الرسول في حكم أولاده، ولذلك قرىء وأزواجه أمهاتهم، وهو أب لهم، وأيضاً فإن قريشاً وأكثر العرب من ذرية إبراهيم، وهم أكثر الأمة فاعتبرهم دون غيرهم ﴿هُوَ سَمَّاكُمُ﴾ الضمير لله تعالى ومعنى من قبل في الكتب المتقدمة، وفي هذا أي في القرآن، وقيل الضمير لإبراهيم والإشارة إلى قوله: ﴿وَمِن دُرِّيَّتِنَا أُمَّة مُسْلِمَةً لَّكَ﴾ [البقرة: ١٢٨]، ومعنى من قبل على هذا: من قبل وجو Made searchable using ScribeTools.com كون في قوله: ﴿وَفِي

عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ

النَّصِيرُ ﴿٧٨﴾

هَذَا ﴿مستأنفاً: أي وفي هذا البلاغ، والقول الأول أرجح وأقل تكلفاً، ويدل عليه قراءة أبي بن كعب: اللَّهُ سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ ﴿شَهِدًا عَلَيْكُمْ﴾ تقدم معنى هذه الشهادة في البقرة ﴿فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ الظاهر أنها المكتوبة لاقتراثها مع الزكاة ﴿هُوَ مَوْلَاكُمْ﴾ معناه هنا وليكم وناصركم بدلالة ما بعد ذلك.

سورة المؤمنون

مكية وآياتها ١١٨ نزلت بعد الأنبياء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾
وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ الخشوع حالة في القلب من الخوف والمراقبة والتدلل لعظمة المولى جلّ جلاله ثم يظهر أثر ذلك على الجوارح بالسكون والإقبال على الصلاة وعدم الالتفات والبكاء والتضرع وقد عدّ بعض الفقهاء الخشوع في فرائض الصلاة، لأنه جعله بمعنى حضور القلب فيها، وقد جاء في الحديث «لا يكتب للعبد من صلاته إلا ما عقل منها»، والصواب أن الخشوع أمر زائد على حضور القلب، فقد يحضر القلب ولا يخشع ﴿عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ اللغو هنا الساقط من الكلام كالسب واللهو، والكلام بما لا يعني، وعدد أنواع المنهي عنه من الكلام عشرون نوعاً، ومعنى الإعراض عنه: عدم الاستماع إليه والدخول فيه، ويحتمل أن يريد أنهم لا يتكلمون به، ولكن إعراضهم عن سماعه يقتضي ذلك من باب أولى وأحرى ﴿لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾ أي مؤدّون، فإن قيل: لِمَ قال فاعلون ولم يقل مؤدّون؟

مَلَكَتْ أَيْمَانَهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنْ آتَبَعْنِي وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا

أي أداء ما يجب على المال، والآخر المقدار المُخْرَج من المال كقولك هذه زكاة مالي، والمراد هنا الفعل لقوله: ﴿فَاعِلُونَ﴾ ويصح المعنى الآخر على حذف تقديره هم لأداء الزكاة فاعلون ﴿عَلَى أَزْوَاجِهِمْ﴾ هذا المجرور يتعلق بفعل يدل عليه قوله: ﴿غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ أي لا يُلامون على أزواجهم ويمكن أن يتعلق بقوله: ﴿حَافِظُونَ﴾ على أن يكون على بمعنى عن ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانَهُمْ﴾ يعني النساء المملوكات، قال الزمخشري إنما قال: ما ملكت، ولم يقل من، لأن الإناث يجربن مجرى غير العقلاء ﴿وَرَاءَ ذَلِكَ﴾ يعني ما سوى الزوجات والمملوكات ﴿لَأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ﴾ يحتمل أن يريد أمانة الناس وعهدهم وأمانة الله وعهده في دينه أو العموم، والأمانة أعم من العهد لأنها قد تكون بعهد وبغير عهد متقدم ﴿رَاعُونَ﴾ أي حافظون لها قائمون بها ﴿عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ المحافظة عليها هي فعلها في أوقاتها مع توفية شروطها، فإن قيل: كيف كرز ذكر الصلوات أولاً وآخراً؟ فالجواب: أنه ليس بتكرار، لأنه قد ذكر أولاً الخشوع فيها وذكر هنا المحافظة عليها، فهما مختلفان، وأضاف الصلاة في الموضوعين إليهم دلالة على ثبوت فعلهم لها ﴿الْوَارِثُونَ﴾ أي المستحقون للجنة، فالميراث استعارة، وقيل إن الله جعل لكل إنسان مسكناً في الجنة ومسكناً في النار، فيرث المؤمنون مساكن الكفار في الجنة ﴿الْفِرْدَوْسَ﴾ مدينة الجنة وهي جنة الأعراب، وأعاد الضمير عليها مؤثماً على معنى الجنة ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾ اختلف هل يعني آدم، أو جنس بني آدم ﴿مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾ السلالة: هي ما يسأل من الشيء: أي ما يستخرج منه، ولذلك قيل إنها الخلاصة، والمراد بها هنا القطعة التي أخذت من الطين وحُلق منها آدم، فإن أراد بالإنسان آدم: فالمعنى أنه خلق من تلك السلالة المأخوذة من الطين، ولكن قوله بعد هذا ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً﴾ لا بد أن يُراد به بنو آدم، فيكون الضمير يعود على غير من ذكر أولاً، ولكن يفسره سياق الكلام، وإن أراد بالإنسان ابن آدم فيستقيم عود الضمير عليه، ويكون معنى خلقه من سلالة من طين: أي خلق أصله وهو أبوه آدم ويحتمل عندي أن يراد بالإنسان الجنس الذي يعم آدم وذريته، فأجمل ذكر الإنسان أولاً ثم فصله بعد ذلك إلى الخلقة المختصة بآدم: وهي من طين، وإلى الخلقة المختصة بذريته... وهي النطفة، فإن

الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسُونَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أُنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ
 إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيْتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ
 وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ ﴿١٧﴾ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنْتَهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ
 لَقَادِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِّنْ نَّجِيلٍ وَأَعْنَبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾
 وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ وَصَبِغٍ لِلَّالِئِ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةٌ لِّسَيِّئِكُمْ

قيل: ما الفرق بين من ومن؟ فالجواب على ما قال الزمخشري: أن الأولى للابتداء، والثانية للبيان. كقوله من الأوثان ﴿فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ يعني رحم الأم، ومعنى مكين: متمكن وذلك في الحقيقة من صفة النطفة المستقرّة، لا من صفة المحل المستقرّ فيه، ولكنه كقولك طريق سائر: أي يسير الناس فيه، وقد تقدّم تفسير النطفة والمضغة والعلقة في أول الحجج ﴿خَلَقْنَا آخَرَ﴾ قيل هو نفخ الروح فيه، وقيل خروجه إلى الدنيا، وقيل استواء الشباب وقيل على العموم من نفخ الروح فيه إلى موته ﴿تَبَارَكَ اللَّهُ﴾ هو مشتق من البركة، وقيل معناه تقدس ﴿أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ أي أحسن الخالقين خلقًا، فحذف التمييز للدلالة الكلام عليه، وفسر بعضهم الخالقين بالمقدّرين فرارًا من وصف المخلوق بأنه خالق، ولا يجب أن ينفي عن المخلوق أنه خالق بمعنى صانع كقوله: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ﴾ [المائدة: ١١٠] وإنما الذي يجب أن ينفي عنه معنى الاختراع والإيجاد من العدم، فهذا هو الذي انفرد الله به ﴿سَبْعَ طَرَائِقَ﴾ يعني السموات، وسماها طرائق لأن بعضها طورق فوق بعض كمطارقة النعل، وقيل يعني الأفلاك لأنها طرق للكواكب ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ﴾ يحتمل أن يريد بالخلق المخلوقين أو المصدر ﴿مَاءً بِقَدَرٍ﴾ يعني المطر الذي ينزل من السماء فتكون منه العيون والأنهار في الأرض، وقيل يعني أربعة أنهار وهي النيل، والفرات، ودجلة، وسيحان، ولا دليل على هذا التخصيص، ومعنى بقدر: بمقدار معلوم لا يزيد عليه ولا ينقص منه ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ﴾ يعني الزيتون، وإنما خصّ النخيل والأعناب والزيتون بالذكر: لأنها أكرم الشجر وأكثرها منافع، وطور سيناء جبل بالشام وهو الذي كلم الله عليه موسى عليه السلام وينسب الزيتون إليه لأنها فيه كثيرة وسيناء اسم جبل أضافه إليه كقوله: جبل أحد، وقرىء بفتح السين ولم ينصرف للتأنيث اللازم، وقرىء بالكسر، ولم ينصرف للعجمة أو للتأنيث مع التعريف، لأن فعلاء بالكسر لا تكون ألفه للتأنيث، وقيل معناه مبارك، وقيل ذو شجرة، ويلزم على ذلك صرفه ﴿تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ﴾ يعني الزيت، وقرىء تنبت بفتح الياء، فالجاء زيد بسلاحة،

مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنفَعٌ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴿٢٩﴾ أَفَلَا تَنقُبُونَ ﴿٣٠﴾ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَفْضَلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأُولَىٰ ﴿٣١﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهٖ حِجَّةٌ فترتصوا بهٖ، حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبْتَنِي ﴿٣٣﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا ووَحِينَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطَبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٣٤﴾ فَإِذَا أَسْتَوَيْتِ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَنَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٣٥﴾ وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴿٣٦﴾ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٧﴾ قُرْآنًا مِّن بَعْدِهِمْ قُرْآنًا آخِرِينَ ﴿٣٨﴾ فَارْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ

وقرىء بضم التاء وكسر الباء، وفيه ثلاثة أوجه: الأول أن أنبت بمعنى نبت والثاني حذف المفعول تقديره تنبت ثمرتها بالدهن والثالث زيادة الباء ﴿وَصْنِعَ لِلْأَكَلِينَ﴾ الصبغ الغمس في الإدام ﴿فِي الْأَنْعَامِ﴾ هي الإبل والبقر والغنم والمقصود بالذكر الإبل، لقوله: ﴿وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾ وقد تقدم في النحل ذكر المنافع التي فيها وتذكيرها وتأنيثها ﴿مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ﴾ استبعدوا أن تكون النبوة لبشر؛ فيا عجباً منهم إذ أثبتوا الربوبية لحجر ﴿يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ﴾ أي يطلب الفضل والرياسة عليكم ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا﴾ أي بمثل ما دعاهم إليه من عبادة الله، أو بمثل الكلام الذي قال لهم، وهذا يدل على أنه كان قبل نوح فترة طويلة ﴿بِهِ حِجَّةٌ﴾ أي جنون. فانظر اختلاف قولهم فيه: فتارة نسبوه إلى طلب الرياسة، وتارة إلى الجنون ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ أي إلى وقت لم يعينوه، ولكن أرادوا وقت زوال جنونه على قولهم، أو وقت موته ﴿انصُرْنِي بِمَا كَذَّبْتَنِي﴾ تضمن هذا دعاء عليهم، لأن نصرته إنما هي بإهلاكهم وقد تقدم في هود تفسير بأعيننا ووحينا، وفار التنور، ولا تخاطبني ﴿فَاسْلُكْ فِيهَا﴾ أي ادخل فيها، وقد تقدم تفسير زوجين اثنين ﴿وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾ إن مخففة من الثقيلة، ومبتلين: اسم فاعل من ابتلى، ويحتمل أن يكون بمعنى الاختبار، أو إزال البلاء.

﴿قُرْآنًا آخِرِينَ﴾ قيل إنهم عاد ورسولهم هود، لأنهم الذين يلون قوم نوح، وقيل إنهم ثمود ورسولهم صالح، وهذا أصح لقوله: فأخذتهم الصيحة، وثمود هم الذين أهلكوا بالصيحة، وأما عاد فأهلكوا بالريح ﴿مِنْ قَوْمِهِ﴾ قدم هذا المجرور على قوله: ﴿الَّذِينَ

مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ عِتْرَةً أَفَلَا تَنفِقُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِإِفَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا لَخَسِرُونَ ﴿٣٤﴾ أَيْعِدْكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنْكُمْ تُخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبْتَنِي ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ ﴿٤٠﴾ فَآخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ عُثَاءً فَبَعَدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ ﴿٤٢﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجْلَهَا وَمَا يَسْتَعْرِضُونَ ﴿٤٣﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رَسُولَنَا تَتْرَأُ كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةٌ رَسُولُنَا كَذَّبُوهُ فَاتَّبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ

كَفَرُوا ﴿٣٢﴾ لثلا يومهم أنه متصل بقوله: ﴿الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ بخلاف قوله: قال الملأ الذين كفروا من قومه في غير هذا الموضع ﴿أَتْرَفْنَاهُمْ﴾ أي نعمناهم ﴿بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ يحتمل أنهم قالوا ذلك لإنكارهم أن يكون نبي من البشر، أو قالوه أنفة من اتباع بشر مثلهم، وكذلك قال قوم نوح ﴿أَيْعِدْكُمْ﴾ استفهام على وجه الاستهزاء والاستبعاد ﴿أَنْكُمْ مُخْرَجُونَ﴾ كزر أن تأكيداً للأولى؛ ومخرجون خبر عن الأولى ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾ هذا من حكاية كلامهم، وهيئات اسم فعل بمعنى بعد، وقال الغزنوي هي للتأسف والتأوه، ويجوز فيه الفتح والضم والكسر والإسكان، وتارة يجيء فاعله ذن لام كقوله، فهيهات هيهات العقيق وأهله، وتارة يجيء باللام كهذه الآية، قال الزجاج في تفسيره: البعد لما توعدون، فنزله منزلة المصدر، قال الزمخشري: وفيه وجه آخر وهي أن تكون اللام لبيان المستبعد ما هو بعد التصويت بكلمة الاستبعاد كما جاءت اللام في هيت لك لبيان المهيت به ﴿إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾ أي ما الحياة إلا حياتنا الدنيا، فوضع هي موضع الحياة لدلالة الخبر عليها ﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ أي يموت بعض ويولد بعض، فينقض قرن ويحدث قرن آخر ومرادهم إنكارهم البعث ﴿عَمَّا قَلِيلٍ﴾ ما زائدة، وقيل صفة للزمان والتقدير عن زمان قليل يندمون ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ عُثَاءً﴾ يعني هالكين كالغشاء والغشاء ما يحمله السيل من الورق وغيره مما يبلى ويسود، فشبه به الهالكين ﴿فَبَعَدًا﴾ مصدر وضع موضع الفعل بمعنى بعدوا: أي هلكوا، والعامل فيه مضمير لا يظهر ﴿تَتْرَأُ﴾ مصدر ووزنه فعلى، ومعناه التواتر والتتابع، وهو موضوع موضع الحال: أي متواترين واحداً بعد واحد، فَمَنْ قرأه بالتونين: فألفه للإلحاق، وَمَنْ قرأه بغير تونين: فألفه بالتونين: فألفه للإلحاق، جماعة والتاء الأولى

أَحَادِيثٌ فَبَعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ۖ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عِبَادُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً ۖ وَآوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ فَذَرَهُمْ فِي غَضَبِنَا حَتَّىٰ

فيه بدل من واو هي فاء الكلمة ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثٌ﴾ أي يتحدث الناس بما جرى عليهم ويحتمل أن يكون جمع حديث أو جمع أحداثه، وهذا أليق لأنها تُقال في الشر ﴿قَوْمًا عَالِينَ﴾ أي متكبرين ﴿وَقَوْمُهُمَا لَنَا عِبَادُونَ﴾ أي حامدون متذللون ﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ الضمير لبني إسرائيل لا لقوم فرعون، لأنهم هلكوا قبل إنزال التوراة ﴿وَآوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ﴾ الربوة الموضع المرتفع من الأرض، ويجوز فيها فتح الرء وضمها وكسرها، واختلف في موضع هذه الربوة، فقيل بيت المقدس، وقيل بغوطة دمشق، وقيل بفلسطين ﴿ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ القرار المستوي من الأرض فمعناه أنها بسيطة يمكن فيها الحرث والغراسة، وقيل إن القرار هنا الثمار والحبوب، والمعين الماء الجاري، فقيل إنه مشتق من قولك معن الماء إذا كثر، فالميم على هذا أصلية، ووزنه فعيل، وقيل إنه مشتق من العين، فالميم زائدة، ووزنه مفعول ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ﴾ هذا النداء ليس على ظاهره، لأن الرسل كانوا في أزمئة متفرقة، وإنما المعنى أن كل رسول في زمانه خوطب بذلك، وقيل الخطاب لسيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وأقامه مقام الجماعة وهذا بعيد ﴿كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ أي من الحلال، فالأمر على هذا للوجوب، أو من المستلذات فالأمر للإباحة ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ﴾ قرئ إن بالكسر على الاستئناف وبالفتح على معنى لأن، وهي متعلقة بقوله آخرًا: ﴿فَاتَّقُونِ﴾ وقيل تتعلق بفعل مضمر تقديره واعلموا، والأمة هنا الدين، وهو ما اتفقت عليه الرسل من التوحيد وغيره ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ﴾ أي افترقوا واختلفوا، والضمير لأمم الرسل المذكورين من اليهود والنصارى وغيرهم ﴿زُبُرًا﴾ جمع زبور: وهو الكتاب، والمعنى أنهم افترقوا في اتباع الكتب، فاتبعت طائفة التوراة، وطائفة الإنجيل، وغير ذلك، ووضعوا كتابًا من عند أنفسهم ﴿فَذَرَهُمْ فِي غَضَبِنَا﴾ الضمير لقريش، والغمرة الجهل والضلال، وأصلها من غمرة الماء ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ هنا يوم بدر أو يوم موتهم ﴿أَيَحْسَبُونَ﴾ الآية: رد عليهم فيما

حِينَ ﴿٥٦﴾ اِيْحَسِبُونَ اَنْمَّا نُؤْمِدُهُمْ بِهٖ مِنْ مَّالٍ وَبَنِيْنٍ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾ اِنَّ الَّذِيْنَ هُمْ مِنْ خَشِيَّةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِيْنَ هُمْ بِثَابِتٍ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَالَّذِيْنَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُوْنَ ﴿٥٩﴾ وَالَّذِيْنَ يُؤْتُونَ مَّا آتَوْا وَقُلُوْبُهُمْ وَجِلَةٌ اَنْهُمْ اِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ اُولٰٓئِكَ يُسْرِعُوْنَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴿٦١﴾ وَلَا تَكْلَفُ نَفْسًا اِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتٰبٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ بَلْ قُلُوْبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِنْ هٰذَا وَهُمْ اَعْمَلٌ مِّنْ دُوْنِ ذٰلِكَ هُمْ لَهَا عٰمِلُونَ ﴿٦٣﴾ حَتّٰى اِذَا اَخَذْنَا مَّتْرَفِيْهِمْ

ظنوا من أن أموالهم وأولادهم خير لهم وأنهم سبب لرضا الله عنهم ﴿نُسَارِعُ لَهُمْ﴾ هذا خبر أن، والضمير الرابط محذوف تقديره نسارع به ﴿بَلْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أي لا يشعرون أن ذلك استدراج لهم، ففيه معنى التهديد ﴿يُؤْتُونَ مَا آتَوْا﴾ قيل معناه يعطون ما أعطوا من الزكاة والصدقات وقيل إنه عام في جميع أفعال البر أي يفعلونها وهم يخافون أن لا تقبل منهم وقد رَوَتْ عائشة هذا المعنى عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، إِلَّا أَنَّهَا قَرَأَتْ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا بِالْقَصْرِ، فيحتمل أن يكون الحديث تفسيرًا لهذه القراءة، وقيل إنه عام في الحسنات والسيئات: أي يفعلونها وهم خائفون من الرجوع إلى الله ﴿أَنْهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ أن في موضع المفعول من أجله، أو في موضع المفعول بوجلت، إذ هي في معنى خائفة ﴿أُولٰٓئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ فيه معنيان: أحدهما أنهم يبادرون إلى فعل الطاعات، والآخر أنهم يتعجلون ثواب الخيرات، وهذا مطابق للآية المتقدمة، لأنه أثبت فيهم ما نفي عن الكفار من المسارعة ﴿وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ فيه المعنيان المذكوران في يسارعون للخيرات، وقيل معناه سبقت لهم السعادة في الأزل ﴿لَا تَكْلَفُ نَفْسًا اِلَّا وُسْعَهَا﴾ يعني أن هذا الذي وصف به الصالحون غير خارج عن الوسع والطاقة، وقد تقدم الكلام على تكليف ما لا يطاق في البقرة ﴿وَلَدَيْنَا كِتٰبٌ﴾ يعني صحائف الأعمال، ففي الكلام تهديد وتأمين من الظلم والحيث ﴿فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هٰذَا﴾ أي في غفلة من الدين بجملته ومن القرآن، وقيل من الكتاب المذكور، وقيل من الأعمال التي وصف بها المؤمنون ﴿وَلَهُمْ اَعْمَالٌ مِّنْ دُوْنِ ذٰلِكَ﴾ أي لهم أعمال سيئة دون الغمرة التي هم فيها، فالمعنى أنهم يجمعون بين الكفر وسوء الأعمال، والإشارة بذلك على هذا إلى الغمرة، وإنما أشار إليها بالتأكيد لأنها في معنى الكفر، وقيل الإشارة إلى قوله من هذا: أي لهم أعمال سيئة غير المشار إليه حسبما اختلف فيه ﴿هُمْ لَهَا عٰمِلُونَ﴾ قيل هي إخبار عن أعمالهم في الحال، وقيل عن الاستقبال، وقيل المعنى أنهم يتمادون على عملها حتى يأخذهم الله فجعل ﴿حَتّٰى اِذَا اَخَذْنَا مَّتْرَفِيْهِمْ﴾ غاية لقوله عاملون ﴿مَّتْرَفِيْهِمْ﴾ أي أغنياؤهم

بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْتَرُونَ ﴿١٦﴾ لَا تَجْعَلُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تُنصِرُونَ ﴿١٧﴾ قَدْ كَانَتْ آيَاتِي نُنْتَلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تُنكصُونَ ﴿١٨﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَلِيمًا تَهْجُرُونَ ﴿١٩﴾ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٠﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَمْ مَنكُرُوا ﴿٢١﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَكَرَّهُمَ لِلْحَقِّ كَرِهُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ

بالعذاب قتل المترفين يوم بدر: فالضمير في يجارون لسائر قريش: أي صاحوا وناحوا على القتلى، وإن أراد بالعذاب شدائد الدنيا أو عذاب الآخرة: فالضمير لجميعهم ﴿لَا تَجَارُوا الْيَوْمَ﴾ تقديره يقال لهم يوم العذاب لا تجاروا ويحتمل أن يكون هذا القول حقيقة، وأن يكون بلسان الحال ولفظه نهى، ومعناه: أن الجوار لا ينفعهم ﴿عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تُنكصُونَ﴾ أي ترجعون إلى وراء وذلك عبارة عن إعراضهم عن الآيات وهي القرآن ﴿مُسْتَكْبِرِينَ﴾ قيل إن الضمير عائد على المسجد الحرام وقيل إنه على الحرم وإن لم يذكر؛ ولكنه يفهم من سياق الكلام والمعنى أنهم يستكبرون بسبب المسجد الحرام لأنهم أهله وولاته؛ وقيل إنه عائد على القرآن من حيث ذكرت الآيات، والمعنى على هذا أن القرآن يحدث لهم عتواً وتكبراً، وقيل إنه يعود على النبي ﷺ وهو على هذا متعلق بسامراً ﴿سَامِرًا﴾ مشتق من السمير وهو الجلوس بالليل للحديث، وكانت قريش تجتمع بالليل في المسجد فيتحدثون وكلف أكثر حديثهم سب النبي ﷺ، وسامراً مفرد بمعنى الجمع، وهو منصوب على الحال فمن جعل الضمير في به للنبي صلى الله عليه وآله وسلم. فالمعنى أنهم سامرون بذكره وسبته ﴿تَهْجُرُونَ﴾ من قرأ بضم التاء وكسر الجيم فمعناه تقولون الهجر بضم الهاء وهو الفحش من الكلام، ومن قرأ بفتح التاء وضم الجيم فهو من الهجر بفتح الهاء أي تهجرون الإسلام، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين، أو من قولك هجر المريض إذا هذى أي تقولون اللغو من القول ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ﴾ يعني القرآن، وهذا توخيخ لهم ﴿أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ معناه أن النبوة ليست بيدع فينكرونها بل قد جاءت آباؤهم الأولين فقد كانت النبوة لنوح وإبراهيم وإسماعيل وغيرهم ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ﴾ المعنى أم لم يعرفوا محمداً ﷺ ويعلموا أنه أشرفهم حسباً وأصدقهم حديثاً وأعظمهم أمانة وأرجحهم عقلاً، فكيف ينسبون به الكذب أو إلى الجنون، أو غير ذلك من القرائص، مع أنه جاءهم بالحق الذي لا يخفى على كل ذي عقل سليم، وأنه عين الصواب ﴿وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ الاتباع هنا استعارة، والحق هنا يزداد به للصواب والأمر المستقيم، فالمعنى لو كان الأمر على ما تقتضيه أهواءهم من الشرك بالله واتباع الباطل

وَمَنْ فِيهِمْ بَلْ أَيْنَتْهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ ﴿٧١﴾ أَمَرْتَهُمْ خَرْجًا فَخَرَجَ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّزِقِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنُكَوِّتُ ﴿٧٤﴾ ﴿٧٥﴾ وَلَوْ رَحَّمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرِّ لَلْجُوعِ فِي طُعَيْنِهِمْ يَعْصَهُونَ ﴿٧٥﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا

لفسدت السموات والأرض كقوله: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢٢] وقيل إن الحق في الآية هو الله تعالى، وهذا بعيد في المعنى، وإنما حملة عليه أن جعل الاتباع حقيقة ولم يفهم فيه الاستعارة، وإنما الحق هنا هو المذكور في قوله: ﴿بَلْ جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾ ﴿بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ﴾ يحتمل أن يكون بتذكيرهم ووعظهم أو بفخرهم وشرفهم وهذا أظهر ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا﴾ الخرج هو الأجرة ويقال فيه خراج والمعنى واحد، وقرىء بالوجهين في الموضوعين فهو كقوله: ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ﴾ أي لست تسألهم أجرًا فيثقل عليهم أتباعك ﴿فَخَرَجَ رَبُّكَ خَيْرٌ﴾ أي رزق ربك خير من أموالهم فهو يرزقك ويغنيك عنهم ﴿عَنِ الصِّرَاطِ لَنُكَوِّتُ﴾ أي عادلون ومعرضون عن الصراط المستقيم ﴿وَلَوْ رَحَّمْنَاهُمْ﴾ الآية: قال الأكثرون: نزلت هذه الآية حين دعا رسول الله ﷺ على قريش بالقحط فنالهم الجوع حتى أكلوا الجلود وغيرها، فالمعنى رحمتناهم بالخصب وكشفنا ما بهم من ضر الجوع والقحط: لتمادوا على طغيانهم، وفي هذا عندي نظر، فإن الآية مكية باتفاق، وإنما دعا النبي ﷺ على قريش بعد الهجرة حسبا ورد في الحديث، وقيل المعنى لو رحمتناهم بالرد إلى الدنيا لعادوا لما نُهوا عنه، وهذا القول لا يلزم عليه ما لزم على الآخر، ولكنه خرج عن معنى الآية ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ﴾ قيل إن هذا العذاب هو الجوع بالقحط وأن الباب ذا العذاب الشديد المتوعد به بعد هذا يوم بدر، وهذا مردود بأن العذاب الذي أصابهم إنما كان بعد بدر، وقيل إن العذاب الذي أخذهم هو يوم بدر، والباب المتوعد به هو القحط، وقيل الباب ذو العذاب الشديد: عذاب الآخرة، وهذا أرجح، ولذلك وصفه بالشدة لأنه أشد من عذاب الدنيا، وقال: إذا هم فيه مبلسون: أي يائسون من الخير، وإنما يقع لهم اليأس في الآخرة كقوله: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ﴾ [الروم: ١٢] ﴿فَمَا اسْتَكَانُوا﴾ أي ما تذللوا لله عز وجل، وقد تقدم الكلام على هذه الكلمة في آخر آل عمران ﴿وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ إن قيل: هلا قال فما استكانوا وما تضرعوا، أو فما يستكينون وما يتضرعون باتفاق الفعلين في الماضي أو في الاستقبال؟ فالجواب: أن ما استكانوا

ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَوْنَا لِمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وَعَدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾ قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا نُنْفِئُ قُلْ مَنْ مِنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٧﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴿٨٨﴾ بَلْ أَنْتُمْ بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٨٩﴾ مَا اتَّخَذَ

عذاب شديد فنفى الاستكانة فيما مضى، ونفى التضرع في الحال والاستقبال ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ ما زائدة، وقليلاً صفة لمصدر محذوف تقديره شكراً قليلاً تشكرون، وذكر السمع والبصر والأفئدة - وهي القلوب - لعظم المنافع التي فيها فيجب شكر خالقها ومن شكره: توحيده وأتباع رسوله عليه الصلاة والسلام، ففي ذكرها تعديد نعمة وإقامة حجة ﴿ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ أي نشركم فيها ﴿وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ أي هو فاعله ومختص به فاللام على هذا للاختصاص، وقد ذكر في البقرة معنى اختلاف الليل والنهار ﴿بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ﴾ أي قالت قريش مثل قول الأمم المتقدمة، ثم فسر قولهم بإنكارهم البعث، وإليه الإشارة بقولهم: لقد وعدنا نحن وآبائنا هذا، وقد ذكر الاستفهامان في الرعد، وأساطير الأولين في الأنعام ﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا﴾ هذه الآيات توقيف لهم على أمور لا يمكنهم الإقرار بها، وإذا أقرّوا بها لزمهم توحيد خالقها والإيمان بالدار الآخرة ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ قرىء في الأول لله باللام بإجماع، جواباً لقوله لِمَنِ الْأَرْضُ، وكذلك قرأ الجمهور الثاني والثالث، وذلك على المعنى لأن قوله ﴿مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ﴾ في معنى لِمَنِ هي، وقرأ أبو عمرو الثاني والثالث بالرفع على اللفظ ﴿مَلَكُوتُ﴾ مصدر وفي بئانه مبالغة ﴿يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾ الإجارة المنع من الإهانة، يقال أجرت فلاناً على فلان إذا منعته من مضرتّه وإهانتته، فالمعنى أن الله تعالى يغيث من شاء ممّن شاء ولا يغيث أحد منه أحدًا ﴿فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾ أي تخدعون عن الحق والخادع لهم الشيطان، وذلك تشبيه بالسحر في التخليط والوقوع في الباطل، ورتب هذه التوبيخات الثلاثة بالتدرّج فقال أولاً أفلا تذكرون، ثم قال ثانياً أفلا تتقون، وذلك أبلغ، لأن فيه زيادة تخويف، ثم قال ثالثاً فأنى تسحرون

اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَلَّى عَمَّا يَشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾ قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيئِي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَىٰ أَنْ تُرِيكَ مَا نَعْدُهُمْ لَقَادِرُونَ ﴿٩٥﴾ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونَ ﴿٩٨﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ

وفيه من التوبيخ ما ليس في غيره ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ يعني فيما ينسبون الله من الشركاء والأولاد ولذلك رد عليهم بنفي ذلك ﴿إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ﴾ هذا برهان على الوحدانية، وبيانه أن يقال لو كان مع الله إلهاً آخر لانفرد كل واحد منهما بمخلوقاته عن مخلوقات الآخر، واستبدت كل واحد منهما بملكه وطلب غلبة الآخر والعلو عليه كما ترى حال ملوك الدنيا ولكن لما رأينا جميع المخلوقات مرتبطة بعضها ببعض حتى كأن العالم كله كرة واحدة: علمنا أن مالكة ومدبره واحد، لا إله غيره وليس هذا البرهان بدليل التمانع كما فهم ابن عطية وغيره، بل هو دليل آخر، فإن قيل: إذ لا تدخل إلا على كلام هو جزاء وجواب، فكيف دخلت هنا ولم يتقدم قبلها شرط ولا سؤال سائل؟ فالجواب: أن الشرط محذوف تقديره لو كان معه آلهة وإنما حذف لدلالة قوله وما كان معه من إله، وهو جواب للكفار الذين وقع الرد عليهم ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ﴾ بالرفع خبر ابتداء، وبالخفض صفة لله.

﴿قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيئِي مَا يُوعَدُونَ﴾ الآية: معناه أن الله أمر نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أن يدعو لنفسه بالنجاة من عذاب الظالمين إن قضى أن يرى ذلك، وفيها تهديد للظالمين وهم الكفار، وإن شرطية وما زائدة، وجواب الشرط فلا تجعلني، وكثر قوله رب مبالغة في الدعاء والتضرع ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ﴾ قيل التي هي أحسن لا إله إلا الله، والسيئة الشرك، والأظهر أنه أمر بالصفح والاحتمال وحسن الخلق وهو محكم غير منسوخ، وإنما نسخ ما يقتضيه من مسالمة الكفار ﴿مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ﴾ يعني نزغاته ووساوسه، وقيل يعني الجنون، واللفظ أعم من ذلك ﴿أَنْ يَحْضُرُونَ﴾ معناه أن يكونوا معه، وقيل يعني حضورهم عند الموت ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ﴾ قال ابن عطية: حتى هنا حرف ابتداء: أي ليست غاية لما قبلها، وقال الزمخشري حتى تتعلق بيصفون: أي لا يزالون كذلك حتى يأتي

أَرْجِعُونَ ﴿١١٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٢٠﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿١٢١﴾ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٢٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿١٢٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارَ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴿١٢٤﴾ أَلَمْ تَكُنْ مِنْ آيَاتِنَا مِثْلَى نَائِلٍ عَلَيْهِمْ فَكُنْتُمْ فِيهَا تَكْذِبُونَ ﴿١٢٥﴾ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴿١٢٦﴾ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ

به مخاطبة الجماعة للتعظيم، قال ذلك الزمخشري وغيره، ومثله قول الشاعر:

ألا فارحمون يا آل محمد

وقيل إنه نادى ربه ثم خاطب الملائكة ﴿فِيمَا تَرَكْتُ﴾ قيل يعني فيما تركت من المال، وقيل فيما تركت من الإيمان فهو كقوله: ﴿أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨]، والمعنى أن الكافر رغب أن يرجع إلى الدنيا ليؤمن ويعمل صالحاً في الإيمان الذي تركه أول مرة ﴿كَلَّا﴾ ردع له عما طلب ﴿إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا﴾ يعني قوله: ﴿رَبِّ أَرْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا﴾ فسمى هذا الكلام كلمة وفي تأويل معناه ثلاثة أقوال: أحدها أن يقول هذه الكلمة لا محالة لإفراط ندمه وحسرتة فهو إخبار بقوله، والثاني أن المعنى أنها كلمة يقولها ولا تنفعه ولا تُغني عنه شيئاً، والثالث أن يكون المعنى أنه يقولها كاذباً فيها، ولو رجع إلى الدنيا لم يعمل صالحاً ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ﴾ أي فيما يستقبلونه من الزمان والضمير للجماعة المذكورين في قوله جاء أحدهم ﴿بَرْزَخٌ﴾ يعني المدة التي بين الموت والقيامة، وهي تحول بينهم وبين الرجوع إلى الدنيا وأصل البرزخ الحاجز بين شيئين ﴿فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ﴾ المعنى أنه ينقطع يومئذ التعاطف والشفقة التي بين القرابة لاشتغال كل أحد بنفسه كقوله: ﴿يَوْمَ يَقُفُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ﴾ [عبس: ٣٤] فتكون الأنساب كأنها معدومة ﴿وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ أي لا يسأل بعضهم بعضاً لاشتغال كل أحد بنفسه، فإن قيل: كيف الجمع بين هذا وبين قوله: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ [الصفافات: ٢٧] فالجواب أن ترك التساؤل عند النفخة الأولى ثم يتساءلون بعد ذلك فإن يوم القيامة يوم طويل فيه مواقف كثيرة ﴿تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارَ﴾ أي تصيبهم بالإحراق ﴿كَالِحُونَ﴾ الكلوح انكشاف الشفتين عن الأسنان، وكثيراً ما يجري ذلك للكلاب، وقد يجري للكباش إذا سُويت رؤوسها، وفي الحديث إن شفة الكافر ترتفع في النار حتى تبلغ وسط رأسه، وفي ذلك عذاب وتشويه ﴿غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾ أي ما قدر عليهم من الشقاء، وقرئ شقاوتنا،

عُدْنَا فَإِنَّا ظَلِمُونَ ﴿١١٧﴾ قَالَ أَخْسُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١١٨﴾ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَأَمِنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّحِيمِينَ ﴿١١٩﴾ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِحْرِيًّا حَتَّىٰ أَنْسَوَكُم ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَآئِزُونَ ﴿١٢١﴾ قُلْ كَمْ لَبِئْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١٢٢﴾ قَالُوا لَبِئْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمِ فَسْئَلِ الْعَادِينَ ﴿١٢٣﴾ قُلْ إِنْ لَبِئْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنْتُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٤﴾ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنْتُمْ لَا تَرْجِعُونَ ﴿١٢٥﴾ فَتَعَلَىٰ اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَبِيرِ ﴿١٢٦﴾ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿١٢٧﴾ وَقُلْ رَبِّ أَعْرِفْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّحِيمِينَ ﴿١٢٨﴾

والمعنى واحد ﴿قَالَ أَخْسُوا﴾ كلمة تستعمل في زجر الكلاب، ففيها إهانة وإبعاد ﴿وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ أي لا تكلمون في رفع العذاب فحينئذ يياسون من ذلك، أعاذنا الله من ذلك برحمته ﴿سِحْرِيًّا﴾ بضم السين من السخرة بمعنى التخديم، وبالكسر من السخر بمعنى الاستهزاء، وقد يقال هذا بالضم، وقرئ هنا بالوجهين لاحتمال المعنيين، على أن معنى الاستهزاء هنا أليق بقوله: ﴿وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾ ﴿كَمْ لَبِئْتُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ يعني في جوف الأرض أمواتا، وقيل أحياء في الدنيا، فأجابوا بأنهم لبثوا يوما أو بعض يوم لاستقصارهم المدة أو لما هم فيه من العذاب بحيث لا يعدون شيئا ﴿فَأَسْأَلِ الْعَادِينَ﴾ أي اسأل من يقدر على أن يعدّ، وهو من عوفي مما ابتلوا به أو يعنون الملائكة ﴿إِنْ لَبِئْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ معناه أنه قليل بالنسبة إلى بقائهم في جهنم خالدين أبدا ﴿عَبَثًا﴾ أي باطلاً، والمعنى إقامة حجة على الحشر للثواب والعقاب ﴿لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ﴾ أي لا حجة ولا دليل، والجملة صفة لقوله إليها آخر، وجواب الشرط ﴿فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ الضمير للأمر والشأن، وانظر كيف افتتح السورة بفلاح المؤمنين وختمها بعدم فلاح الكافرين، ليبين البون بين الفريقين والله أعلم.

سورة النور

مدنية وآياتها ٦٤ نزلت بعد الحشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيْشَهِدَ عَدَايَهُمَا طَافِقَةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا﴾ السورة خبر ابتداء مضمرة، أو مبتدأ وخبره محذوف تقديره فيما أنزل عليكم سورة، وأنزلناها صفة للسورة، وفرضناها: أي فرضنا الأحكام التي فيها وقرىء بالتشديد للمبالغة ﴿آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ يعني ما فيها من المواعظ والأحكام والأمثال، وقيل معنى بينات هنا ليس فيها مشكل ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ الزانية والزاني يراد بهما الجنس، وقدم الزانية لأن الزنا كان حينئذ في النساء أكثر، فإنه كان منهن إماء وبغايا يجاهرن بذلك، وإعراب الزاني والزانية كإعراب: ﴿السَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ [المائدة: ٣٨]، وقد ذكر في المائدة، وهذه الآية ناسخة بإجماع لما في سورة النساء من الإمساك في البيوت في الآية الواحدة ومن الأذى في الأخرى، ثم إن لفظ هذه الآية عند مالك ليس على عمومها، فإن جلد المائدة إنما هو حد الزاني والزانية إذا كانا مسلمين حُرَيْنِ غير محصنين، فيخرج منها الكفار، فيردون إلى أهل دينهم، ويخرج منها

العبد والأمة والمحصن والمحصنة، فأما العبد والأمة: فحدهما خمسون جلدة سواء كانا محصنين أو غير محصنين، وأما المحصنان الحران فحدهما الرجم هذا على مذهب مالك، وأما الكلام على الآية بالنظر إلى سائر المذاهب، فاعلم أن لفظ هذه الآية ظاهره العموم في المسلمين والكافرين، وفي الأحرار والعبيد والإماء، وفي المحصن وغير المحصن، ثم إن العلماء خصصوا من هذا العموم أشياء، منها باتفاق، ومنها باختلاف، فأما الكفار فرأى أبو حنيفة وأهل الظاهر أن حدهم جلد مائة أحصنوا أو لم يحصنوا: أخذًا بعموم الآية، ورأى للشافعي أن حدهم كحدّ المسلمين الجلد إن لم يحصنوا، والرجم إن أحصنوا أخذًا بالآية، ويرجم النبي ﷺ لليهودي واليهودية إذ زنيا، ورأى مالك أن يردوا إلى أهل دينهم لقوله تعالى في سورة النساء: ﴿وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ﴾ [النساء: ١٥] فخصّ نساء المسلمين على أنها قد نسختها هذه، ولكن بقيت في محلها، وأما العبد والأمة: فرأى أهل الظاهر أن حدّ الأمة خمسون جلدة لقوله تعالى: ﴿فَعَلَيْنَهُنَّ نِصْفَ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ﴾ [النساء: ٢٥] وأن حدّ العبد الجلد مائة لعموم الآية، وقال غيرهم يجلد العبد خمسين بالقياس على الأمة، إذ لا فرق بينهما، وأما المحصن فقال الجمهور حدّه الرجم فهو مخصوص في هذه الآية، وبعضهم يسمي هذا التخصيص نسخًا، ثم اختلفوا في المخصّص أو الناسخ، فقبل الآية التي ارتفع لفظها وبقي حكمها وهي قوله: «الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم» وقيل الناسخ لها السنة الثابتة في الرجم، وقال أهل الظاهر وعليّ بن أبي طالب: بجلد المحصن بالآية، ثم يرمم بالسنة فجمعوا عليه الحدّين، ولم يجعلوا الآية منسوخة، ولا مخصّصة، وقال الخوارج لا رجم أصلاً فإن الرجم ليس في كتاب الله، ولا يعتدّ بقولهم، وظاهر الآية الجلد دون تغريب، وبذلك قال أبو حنيفة، وقال مالك الجلد والتغريب سنة للحديث، وهو قوله ﷺ: «البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام»، ولا تغريب على النساء ولا على العبيد عند مالك، وصفة الجلد عند مالك في الظهر والمجلود جالس وقال الشافعي يفرّق على جميع الأعضاء والمجلود قائم، وتستر المرأة بثوب لا يقيها الضرب، ويجرّد الرجل عند مالك وقال قوم يجلد على قميص ﴿وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ﴾ قيل يعني في إسقاط الحدّ: أي أقيموه ولا بدّ، وقيل في خفيف الضرب، وقيل في الوجهين. فعلى القول الأول يكون الضرب في الزنا كالضرب في القذف غير مبرح، وهو مذهب مالك والشافعي، وعلى القول الثاني والثالث يكون الضرب في الزنا أشدّ، واختلف هل يجوز أن يجمع مائة سوط يضرب بها مرة واحدة فمنعه مالك وأجازه أبو

مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦﴾ الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرْمٌ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ

للمريض لورود ذلك في الحديث ﴿وَلَيْشَهَدَ عَدَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ المراد بذلك توبيخ الزناة والغلظة عليهم، واختلف في أقل ما يجزىء من الطائفة فقبل أربعة اعتبارًا بشهادة الزنا وهو قول ابن أبي زيد، وقيل عشرة، وقيل اثنين وهو مشهور مذهب مالك، وقيل واحد ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً﴾ الآية: معناها ذم الزناة وتشنيع الزنا، وأنه لا يقع فيه إلا زانٍ أو مشرك ولا يوافق عليه من النساء إلا زانية أو مشركة، وينكح على هذا بمعنى يجامع، وقيل معناها لا يحل لزاني أن يتزوج إلا زانية أو مشركة، ولا يحل لزانية أن تتزوج إلا زانيًا أو مشركًا، ثم نسخ هذا الحكم وأبيح لهما التزوج ممن شأوا، والأول هو الصحيح ﴿وَحُرْمٌ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ الإشارة بذلك إلى الزنا أي حرم الزنا على المؤمنين وقيل الإشارة إلى تزوج المؤمن غير الزاني بزانية، فإن قومًا منعوا أن يتزوجها، وهذا على القول الثاني في الآية قبلها وهو بعيد، وأجاز تزويجها مالك وغيره، وروى عنه كراهته ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً﴾ هذا حدّ القذف وهو الفرية التي عبر الله عنها بالرمي والمحصنات يراد بهنّ هنا العفاف من النساء، وخضهنّ بالذكر لأن قذفهنّ أكثر وأشنع من قذف الرجال، ودخل الرجال في ذلك بالمعنى إذ لا فرق بينهم، وأجمع العلماء على أن حكم الرجال والنساء هنا واحد، وقيل إن المعنى يرمون الأنفس المحصنات فيعمّ اللفظ على هذا النساء والرجال، ويحتاج هنا إلى الكلام في القذف والقاذف والمقذوف والشهادة في ذلك، فأما القذف فهو الرمي بالزنا اتفاقًا. أو بفعل قوم لوط عند مالك والشافعي لعموم لفظ الرمي في الآية، خلافًا لأبي حنيفة، أو النفي من النسب، ومذهب مالك أن التعريض بذلك كله كالصريح خلافًا للشافعي وأبي حنيفة، وأما القاذف فيحدّ: سواء كان مسلمًا أو كافرًا لعموم الآية، وسواء كان حرًا أو عبدًا إلا أن العبد والأمة إنما يحدّان أربعين عند الجمهور فنصفوا حدّهما قياسًا على تنصيفه في الزنا خلافًا للظاهرية، ولا يحدّ الصبي ولا المجنون لكونهما غير مكلفين، وأما المقذوف فمذهب مالك أنه يشترط فيه الإسلام والعقل والبلوغ والحرية والبراءة عمّا رُمي به، والتمكّن من الوطء تحرّزًا من المجبوب وشبهه، فلا يحدّ عنده من قذف صبيًا أو كافرًا أو مجبوبًا أو عبدًا ومن لا يمكنه الوطء وقد قيل يحدّ من قذف واحدًا منهم لعموم الآية واتفقوا على اشتراط البراءة مما رُمي به وأما الشهادة التي تسقط حدّ القذف، فهي أن يشهد شاهدان عدلان بأن

شَهَادَةٌ أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥﴾
وَالَّذِينَ يَزْمُونَ أَرْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شَهَادَةٌ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ
الصَّادِقِينَ ﴿٦﴾ وَالْخَامِسَةَ أَنْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ

المقذوف عبداً أو كافراً ويشهد أربعة شهود ذكور عدول على المعاينة لما قذف به كالمروء في المكحلة، ويؤدون الشهادة مجتمعين ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ تقدم قبل هذا الاستثناء ثلاثة أحكام، وهي الحدّ وردّ شهادة القاذف وتفسيقه، فاتفق على أن الاستثناء راجع إلى التفسيق وأن ذلك يزول عنه بالتوبة، واتفق على أنه لا يرجع إلى الحدّ وأنه لا يسقط عنه بالتوبة، واختلف هل يرجع إلى ردّ الشهادة أم لا؟ فقال مالك إذا تاب قُبِلَتْ شهادته، خلافاً لأبي حنيفة، وتوبته هو صلاح حاله في دينه وقيل إكذاب نفسه ﴿وَالَّذِينَ يَزْمُونَ أَرْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شَهَادَةٌ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ﴾ هذه الآية في قذف الرجل لامرأته فيجب اللعان بذلك، وسببها أن رجلاً قال يا رسول الله الرجل يجد مع امرأته رجلاً أبقته فتقتلونه أم كيف يصنع، فسكت عنه نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم، ثم عاد فقال مثل ذلك، فقال رسول الله ﷺ قد أنزل الله فيك وفي صاحبتك فاتني بها فأتني بها فتلاعنا وفرق رسول الله ﷺ بينهما وموجب اللعان عند مالك شيئان: أحدهما أن يدعي الزوج أنه رأى امرأته تزني، والآخر أن ينفي حملها ويدعي الاستبراء قبله، فإذا تلاعن الزوج تعلقت به ثلاثة أحكام نفي حدّ القذف عنه، وانتفاء سبب الولد منه ووجوب حدّ الزنا عليها إن لم تلاعن، فإذا تلاعت سقط الحدّ عنها، ولفظ الآية عام في الزوجات الحررات والمماليك، والمسلمات والكافرات والعدول وغيرهم، وبذلك أخذ مالك واشترط في الزوج الإسلام واشترط أبو حنيفة أن يكونا مسلمين حُرَيْنِ عدلين ﴿فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ أي يقول الزوج أربع مرّات أشهد بالله لقد رأيت هذه المرأة تزني أو أشهد بالله ما هذا الحمل متي ولقد زنت وإني في ذلك لمن الصادقين، ثم يقول في الخامسة لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين، وزاد أشهب أن يقول أشهد بالله الذي لا إله إلا هو، وانتصب أربع شهادات بالله على المصدرية، والعامل فيه شهادة أحدهم وقرىء بالرفع وهو خبر شهادة أحدهم، وقوله بالله وإنه لمن الصادقين من صلة أربع شهادات أو من صلة شهادة أحدهم ﴿وَالْخَامِسَةَ أَنْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ قرىء بنصب الخامسة هنا وفي الموضع الثاني، وانتصب بفعل مضمّر تقديره ويشهد الخامسة، أو بالعطف على أربع شهادات على قراءة النصب، وقرىء بالر

أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٨﴾ وَالْخَمْسَةَ أَنْ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٩﴾
وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِنْ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا

لعنة، وأن غضب: بتشديد أن، ونصب اسمها وتخفيفها ورفع اللعنة والغضب على الابتداء ﴿وَيَذَرُوا عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ العذاب هنا حدّ الزنا أي يدفعه التعان المرأة، وهي أن تقول أربع مرات أشهد بالله ما زنت، وإنه في ذلك لمن الكاذبين، ثم تقول في الخامسة: غضب الله عليها إن كان من الصادقين، ويتعلق بالتعانها ثلاثة أحكام: دفع الحدّ عنها، والتفريق بينها وبين زوجها، وتأييد الحرمة ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ﴾ جواب لو محذوف هنا وفي الموضوع الآخر تقديره لولا فضل الله عليكم لآخذكم، أو نحو هذا.

﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾ الإفك: أشدّ الكذب، ونزلت هذه الآية وما بعدها إلى تمام ستة عشر آية في شأن سيدتنا عائشة رضي الله عنها وفي براءتها مما رماها به أهل الإفك وذلك أن الله برأ أربعة بأربعة برأ يوسف بشهادة الشاهد من أهلها وبرأ موسى من قول اليهود بالحجر الذي ذهب بثوبه وبرأ مريم بكلام ولدها في حجرها وبرأ عائشة من الإفك بإنزال القرآن في شأنها ولقد تضمنت هذه الآيات الغاية القصوى في الاعتناء بها والكرامة لها والتشديد على من قذفها وقد خرّج حديث الإفك البخاري ومسلم وغيرهما، واختصاره أن عائشة خرجت مع رسول الله ﷺ في غزوة بني المصطلق فضاع لها عقد فتأخرت على التماسه حتى رحل الناس، فجاء رجل يقال له صفوان بن المعطل، فرأها فنزل عن ناقته وتنحى عنها حتى ركبت عائشة، وأخذ يقودها حتى بلغ الجيش، فقال أهل الإفك في ذلك ما قالوا فبلغ ذلك النبي ﷺ، فقال ما بال رجال رماوا أهلي والله ما علمت على أهلي إلا خيراً ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً، وسأل جارية عائشة، فقالت: والله ما علمت عليها إلا ما يعلم الصائغ على تبر الذهب الأحمر، والعصبة الجماعة من العشرة إلى الأربعين، ولم يذكر في الحديث من أهل الإفك إلا أربعة، وهم عبد الله بن أبي ابن سلول رأس المنافقين، وحمئة بنت جحش، ومسطح بن أثانة، وحسان بن ثابت، وقيل إن حساناً لم يكن منهم وارتفاع عصبة لأنه خبر إن، واختار ابن عطية أن يكون عصبة بدلاً من الضمير في جاءوا، ويكون الخبر لا تحسبوه شراً لكم على تقدير إن حديث الذين جاءوا بالإفك، والأول أظهر ﴿بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ خطاب للمسلمين، والخير في ذلك من خمسة أوجه: تبرئة أم المؤمنين، وكرامة الله لها بإنزال الوحي في شأنها، والأجر الجزيل

تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضَّلُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِالسِّنِّتِ كُفِّرُوا وَتَقُولُونَ بَأْفَوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّئًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا

لها في الفرية عليها، وموعظة المؤمنين، والانتقام من المفترين ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ﴾ هو عبد الله بن أبي ابن سلول المنافق، وقيل الذي بدأ بهذه الفرية غير معين والعذاب العظيم هنا يحتمل أن يراد به الحد أو عذاب الآخرة ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ لولا هنا عرض والمعنى أنه كان ينبغي للمؤمنين والمؤمنات أن يقيسوا ذلك الأمر على أنفسهم فإن كان ذلك يبعد في حقهم فهو في حق عائشة أبعد لفضلها، وروي أن هذا النظر وقع لأبي أيوب الأنصاري، فقال لزوجته: أكنت أنت تفعلين ذلك؟ قالت: لا والله، قال: فعائشة أفضل منك؟ قالت: نعم. فإن قيل: لِمَ قال سمعتموه بلفظ الخطاب، ثم عدل إلى لفظ الغيبة في قوله ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ، ولم يقل ظننتم؟ فالجواب أن ذلك التفات قصد به المبالغة والتصريح بالإيمان الذي يوجب أن لا يصدق المؤمن على المؤمن شراً ﴿لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ﴾ لولا هنا عرض، والضمير في جاءوا لأهل الإفك، ثم حكم الله بكذبهم إذ لم يأتوا بالشهداء ﴿أَفَضْتُمْ فِيهِ﴾ يقال أفاض في الحديث وخاض فيه إذا أكثر الكلام فيه ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِالسِّنِّتِ كُفِّرُوا﴾ العامل في إذ قوله مسكم أو أفضتم، ومعنى تلقونه: يأخذه بعضهم من بعض، وفي هذا الكلام وفي الذي قبله وبعده عتاب لهم على خوضهم في حديث الإفك، وإن كانوا لم يصدقوه، فإن الواجب كان الإغضاء عن ذكره والترك له بالكلية، فعاتبهم على ثلاثة أشياء، وهي: تلقيه بالألسنة: أي السؤال عنه وأخذه من المسؤول والثاني قولهم ذلك، والثالث أنهم حسبوه هيئاً وهو عند الله عظيم، وفائدة قوله بالسنتكم وبأفواهكم الإشارة إلى أن ذلك الحديث كان باللسان دون القلب إذ كانوا لم يعلموا حقيقته بقلوبهم ﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا﴾ أي كان الواجب أن يبادروا إلى إنكار هذا الحديث أول سماعهم له، ولولا أيضاً في هذه الآية عرض، وكان حقها أن [Made searchable using ScribeTools.com](http://Made-searchable-using-ScribeTools.com) فصل بينهما بقوله إذ

لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٧﴾ وَيَسِّرُ اللَّهُ لَكُمْ الْأَيْدِيَّ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ
 أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا
 تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا
 لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ
 عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ وَلَا يَأْتِلِ أَوْلُوا
 الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا

سمعتموه لأن الظروف يجوز فيها ما لا يجوز في غيرها، والقصد بتقديم هذا الظرف
 الاعتناء به، وبيان أنه كان الواجب المبادرة إلى إنكار الكلام في أول وقت سمعتموه،
 ومعنى ما يكون لنا ما ينبغي لنا ولا يحل لنا أن نتكلم بهذا ﴿سُبْحَانَكَ﴾ تنزيهه لله عن أن
 تكون زوجة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على ما قال أهل الإفك، وقال
 الزمخشري: هو بمعنى التعجب من عظيم الأمر، والاستبعاد له، والأصل في ذلك أن يسبح
 الله عند رؤية العجائب ﴿بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾ البهتان أن يقال في الإنسان ما ليس فيه والغيبة أن
 يقال ما فيه ﴿أَنْ تَعُوذُوا لِمِثْلِهِ﴾ تقديره يعظكم كراهة أن تعودوا لمثله، ثم عظم الأمر وأكدته
 بقوله إن كنتم مؤمنين ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ﴾ الإشارة بذلك إلى المنافقين
 الذين أحبوا أن يشيع حديث الإفك، ثم هو عام في غيرهم ممن اتَّصف بصفتهم، والعذاب
 في الدنيا الحدّ، وأما عذاب الآخرة، فقد ورد في الحديث أن من عوقب في الدنيا على
 ذنب لم يعاقب عليه في الآخرة فأشكّل اجتماع الحدّ مع عذاب الآخرة في هذا الموضع،
 فيحتمل أن يكون القاذف يعذب في الآخرة ولا يسقط الحدّ عنه عذاب الآخرة بخلاف سائر
 الحدود، أو يكون هذا مختصاً بمن قذف عائشة، فإنه رُوِيَ عن ابن عباس أنه قال: مَنْ
 أذنب ذنباً ثم تاب منه قبلت توبته إلا من خاض في أمر عائشة أو يكون لمن مات مصراً غير
 تائب، أو يكون للمنافقين ﴿خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ ذكر في البقرة ﴿بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ ذكر في
 النحل ﴿زَكَى﴾ أي تطهر من الذنوب، وصلح دينه ﴿وَلَا يَأْتِلِ أَوْلُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ
 يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى﴾ معنى يأتل يحلف، فهو من قولك آليت إذا حلفت، وقيل معناه يقصر
 فهو من قولك ألوت أي قصرت ومنه لا يألونكم خيالاً، والفضل هنا يحتمل أن يريد به
 الفضل في الدين أو الفضل في المال وهو أن يفضل له عن مقدار ما يكفيه، والسعة هي
 اتساع المال، نزلت الآية بسبب أبي بكر الصديق رضي الله عنه حين حلف أن لا ينفق على

وَلِيَصْفَحُوا أَلَّا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَسِنَّتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوفِّهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ الْحَيْثُئِذْ لِلْحَيْثِيْنَ وَالْحَيْثُوتِ وَالْحَيْثِئِذِ وَالطَّيِّبَاتِ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ

مسطح لما تكلم في حديث الإفك وكان ينفق عليه لمسكنته؛ ولأنه قريبه، وكان ابن بنت خالته، فلما نزلت الآية رجع إلى مسطح النفقة والإحسان، وكفر عن يمينه، قال بعضهم هذه أرجى آية في القرآن لأن الله أوصى بالإحسان إلى القاذف، ثم إن لفظ الآية على عمومه في أن لا يحلف أحد على ترك عمل صالح ﴿أَلَّا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ أي كما تحبون أن يغفر الله لكم كذلك اغفروا أنتم لمن أساء إليكم، ولما نزلت قال أبو بكر رضي الله عنه إني لأحب أن يغفر الله لي، ثم رد النفقة إلى مسطح ﴿المحصنات الغافلات﴾ معنى المحصنات هنا العفاف ذوات الصون، ومعنى الغافلات السليمات الصدور، فهو من الغفلة عن الشر ﴿لُعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ هذا الوعيد للقاذفين لعائشة ولذلك لم يذكر فيه توبة، قال ابن عباس كل مذنب تقبل توبته إذا تاب إلا من خاض في حديث عائشة وقيل الوعيد لكل قاذف، والعذاب العظيم يحتمل أن يريد به الحد أو عذاب الآخرة ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ﴾ العامل فيه يوفيههم، وكثر يومئذ توكيدا وقيل العامل فيه عذاب أو فعل مضمرة ﴿دِينَهُمُ الْحَقَّ﴾ أي جزاؤهم الواجب لهم ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ هذه الآية تدل على أن ما قبلها في المنافقين، لأن المؤمن قد علم في الدنيا أن الله هو الحق المبين، ومعنى المبين الظاهر الذي لا شك فيه ﴿الْحَيْثِيَّاتُ لِلْحَيْثِيْنَ﴾ الآية: معناها أن الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال، وأن الطيبات من النساء للطيبين من الرجال، ففي ذلك رد على أهل الإفك، لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو أطيب الطيبين فزوجته أطيب الطيبات، وقيل المعنى أن الخبيثات من الأعمال للخبيثين من الناس، والطيبات من الأعمال للطيبين من الناس فيه أيضا رد على أهل الإفك، وقيل معناه أن الخبيثات من الأقوال للخبيثين من الناس، والإشارة بذلك إلى أهل الإفك: أي أن أقوالهم الخبيثة لا يقولها إلا خبيث مثلهم ﴿أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾ الإشارة بأولئك إلى الطيبين والطيبات والضمير في يقولون للخبيثات والخبيثين والمراد تبرئة

بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٧٧﴾ فَإِنْ لَمْ
تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ آرْجِعُوا فَآرْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ
بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٧٨﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ
مَا تَبَدُّونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٧٩﴾ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ
أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨٠﴾ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ

حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ﴿﴾ هذه الآية أمر بالاستئذان في غير بيت الداخل، فيعم
بذلك بيوت الأقارب وغيرهم، وقد جاء في الحديث الأمر بالاستئذان على الأم خيفة أن
يراها عريانة، ومعنى تستأنسوا: تستأذنون وهو مأخوذ من قولك أنست الشيء إذا علمته،
فلاستئناس: أن يستعلم هل يريد أهل الدار الدخول أم لا؟ وقيل هو مأخوذ من الأنس ضد
الوحشة؛ وقرأ ابن عباس حتى تستأذنون، والاستئذان واجب، وأما السلام فلا ينتهي إلى
الوجوب، واختلف أيهما يقدم، فقيل يقدم السلام ثم يستأذن فيقول السلام عليكم، ثم
يقول أَدْخُلْ، وقيل يقدم الاستئذان لتقدمه في الآية، وليس في الآية عدد الاستئذان، وجاء
في الحديث أن يستأذن ثلاث مرات، وهو تفسير للآية ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا
غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ﴾ سبب هذه الآية أنه لما نزلت آية الاستئذان تعمق قوم فكانوا
يأتون المواضع غير المسكونة فيسلمون ويستأذنون، فأباحت هذه الآية دخولها بغير
استئذان، واختلف في البيوت غير المسكونة في هذه الآية، فقيل هي الفنادق التي في
الطرق ولا يسكنها أحد بل هي موقوفة لياوي إليها كل ابن سبيل، والمتاع على هذا التمتع
بالنزول فيها والمبيت وغير ذلك، وقيل هي الخرب التي تدخل للبول والغائط، والمتاع
على هذا حاجة الإنسان، وقيل هي حوانيت القيسارية والمتاع على هذا الثياب والبسط
وشبهها، وهذا القول خطأ لأن الاستئذان في الحوانيت واجب بإجماع ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ
يَعْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ إعرابها كإعراب يقيموا الصلاة في إبراهيم، وقد
ذكر ومن أبصارهم للتبعيض، والمراد غضّ البصر عما يحرم، والاقتصار به على ما يحل،
وقيل معنى التبعيض فيه أن النظرة الأولى لا حرج فيها، ويمنع ما بعدها، وأجاز الأخفش
أن تكون من زائدة، وقيل هي لابتداء الغاية لأن البصر مفتاح القلب والغضّ المأمور به هو
عن النظر إلى العورة، أو إلى ما لا يحل من النساء أو إلى كتب الغير وشبه ذلك مما يستر
وحفظ الفروج المأمور به: هو عن الزنا، وقيل أراد ستر العورة، والأظهر أن الجميع مراد
﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ﴾ تؤمر المرأة بغضّ بصرها عن عورة الرجل وعن

وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ

عورة المرأة إجماعاً، واختلف هل يجب عليها غض بصرها عن سائر جسد الرجل الأجنبي أم لا، وعن سائر جسد المرأة أم لا، فعلى القول بذلك تشتمل الآية عليه، والكلام في حفظ فروج النساء كحفظ فروج الرجال ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ نهى عن إظهار الزينة بالجملة ثم استثنى الظاهر منها، وهو ما لا بدّ من النظر إليه عند حركتها أو إصلاح شأنها وشبه ذلك، فقليل إلا ما ظهر منها يعني الثياب فعلى هذا يجب ستر جميع جسدها، وقيل الثياب والوجه والكفان، وهذا مذهب مالك لأنه أباح كشف وجهها وكفيها في الصلاة وزاد أبو حنيفة القدمين ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ الجيوب هي التي يقول لها العامة أطواق، وسببها أن النساء كنّ في ذلك الزمان يلبسن ثياباً واسعاً الجيوب يظهر منها صدورهنّ، وكنّ إذا غطين رؤوسهنّ بالأخمرة سد لها من وراء الظهر، فيبقى الصدر والعنق والأذنان لا ستر عليها، فأمرهنّ الله بلبس الأخمرة على الجيوب ليستر جميع ذلك ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ﴾ الآية: المراد بالزينة هنا الباطنة، فلما ذكر في الآية قبلها ما أباح أن يراه غير ذوي المحرم من الزينة الظاهرة، وذكر في هذه ما أباح أن يراه الزوج وذوي المحارم من الزينة الباطنة، وبدأ بالبعولة وهم الأزواج لأن اطلاعهم يقع على أعظم من هذا، ثم ثنى بذوي المحارم وسوى بينهم في إبداء الزينة، ولكن مراتبهم تختلف بحسب القرب، والمراد بالآباء كل من له ولادة من والد وجدّ، وبالآباء كل من عليه ولادة من ولد وولد ولد، ولم يذكر في هذه الآية من ذوي المحارم: العمّ والخال ومذهب جمهور العلماء جواز رؤيتهما للمرأة، لأنهما من ذوي المحارم، وكره ذلك قوم، وقال الشافعيّ إنّما لم يذكر العمّ والخال لثلا يصفان زينة المرأة لأولادهما ﴿أَوْ نِسَائِهِنَّ﴾ يعني جميع المؤمنات، فكأنه قال أو صنفهنّ ويخرج عن ذلك نساء الكفار ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾ يدخل في ذلك الإماء المسلمات والكتائيات، وأما العبيد: ففيهم ثلاثة أقوال: منع رؤيتهم لسيدتهم وهو قول الشافعي، والجواز وهو قول ابن عباس وعائشة، والجواز بشرط أن يكون العبد وغداً وهو مذهب مالك، وإنما أخذ جوازه من قوله: ﴿أَوْ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ﴾ واختلاف

بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٣﴾ وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُعْطِهِمُ اللَّهُ

قولين: ﴿أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْتِبَاءِ مِنَ الرِّجَالِ﴾ شرط في رؤية غير ذوي المحارم شرطين: أحدهما أن يكونا تابعين، ومعناه أن يتبع لشيء يعطاه كالوكيل والمتصرف، ولذلك قال بعضهم هو الذي يتبعك وهمته بطنه، والآخر أن لا يكون لهم إربة في النساء كالخصي والمخنث والشيخ الهرم والأحمق، فلا يجوز رؤيتهم للنساء إلا باجتماع الشرطين، وقيل بأحدهما، ومعنى الإربة الحاجة إلى الوطء ﴿أَوِ الطُّفُلَ الَّذِي لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ﴾ أراد بالطفل الجنس، ولذلك وصفه بالجمع، ويقال طفل ما لم يراهق الحلم ويظهروا معناه يطلعون بالوطء على عورات النساء، فمعناه الذين لم يظؤوا النساء، وقيل الذين لا يدرون ما عورات النساء، وهذا أحسن ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ﴾ زوي أن امرأة كان لها خلخالان، فكانت تضرب بهما ليسمعهما الرجال، فنهى الله عز وجل عن ذلك، قال الزجاج إسماع صوت الزينة أشد تحريكاً للشهوة من إبدائها ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ التوبة واجبة على كل مؤمن مكلف بدليل الكتاب والسنة وإجماع الأمة، وفرائضها ثلاثة: الندم على الذنب من حيث عصى به ذو الجلال، لا من حيث أضرَّ ببدن أو مال، والإقلاع عن الذنب في أول أوقات الإمكان من غير تأخير ولا توان، والعزم أن لا يعود إليها أبداً ومهما قضي عليه بالعود أحدث عزماً مجدداً، وآدابها ثلاثة: الاعتراف بالذنب مقروناً بالانكسار، والإكثار من التضرع والاستغفار، والإكثار من الحسنات لمحو ما تقدم من السيئات، ومراتبها سبع: فتوبة الكفار من الكفر، وتوبة المخلصين من الذنوب الكبائر، وتوبة العدول من الصغائر، وتوبة العابدين من الفترات، وتوبة السالكين من علل القلوب والآفات، وتوبة أهل الورع من الشبهات، وتوبة أهل المشاهدة من الغفلات. والبواعث على التوبة سبعة: خوف العقاب، ورجاء الثواب، والخجل من الحساب، ومحبة الحبيب، ومراقبة الرقيب القريب، وتعظيم بالمقام، وشكر الإنعام.

﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنْكُمْ﴾ الأيامي جمع أيم ومعناه الذين لا أزواج لهم رجالاً كانوا أو نساءً أباكراً أو ثيبات، والخطاب هنا للأولياء والحكام أمرهم الله بتزويج الأيامي، فافتضى ذلك النهي عن عضلهم من التزويج، وفي الآية دليل على عدم استقلال النساء بالإنكاح؛ واشترط الولاية فيه، وهو مذهب مالك والشافعي خلافاً لأبي حنيفة

مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾ وَلَيْسَتَعْفِيفُ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ
وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُمْ مِّنْ مَّالِ اللَّهِ
الَّذِي آتَاكُمْ وَلَا تُكْرَهُوا فَتَيْتِكُمْ عَلَى الْإِغْيَاءِ إِنْ أَرَدْنَا نَحْنُصْنَا لِنَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهَنَّ

﴿وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ﴾ يعني الذين يصلحون للتزويج من ذكور العبيد وإناتهم، وقال الزمخشري: الصالحين بمعنى الصلاح في الدين، قال وإنما خصهم الله بالذكر ليحفظ عليهم صلاحهم والمخاطبون هنا ساداتهم؛ ومذهب الشافعي أن السيد يجبر على تزويج عبيده على هذه الآية خلافاً لمالك، ومذهب مالك أن السيد يجبر عبده وأمته على النكاح خلافاً للشافعي ﴿إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِيهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ وعد الله بالغنى للفقراء الذين يتزوجون لطلب رضا الله، ولذلك قال ابن مسعود التمسوا الغنى في النكاح ﴿وَلَيْسَتَعْفِيفُ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ أمر بالاستعفاف وهو الاجتهاد في طلب العفة من الحرام لمن لا يقدر على التزوج، فقوله لا يجدون نكاحاً معناه لا يجدون استطاعة على التزوج بأي وجه تعذر التزوج، وقيل معناه لا يجدون صداقاً للنكاح، والمعنى الأول أعم، والثاني أليق بقوله حتى يغنيهم الله من فضله ﴿وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ﴾ الكتاب هنا مصدر بمعنى الكتابة، وهي مقاطعة العبد على مال منجم فإذا أذاه خرج حراً، وإن عجز بقي رقيقاً، وقيل إن الآية نزلت بسبب حويطب بن عبد العزى سأل مولاه أن ي كاتبه فأبى عليه، وحكمها مع ذلك عام فأمروا الله سادات العبيد أن يكتبوهم إذا طلبوا الكتابة، وهذا الأمر على الندب عند مالك والجمهور، وقال الظاهرية وغيرهم هو على الوجوب وذلك ظاهر قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأنس بن مالك حين سأله مملوكه سيرين الكتابة فتلکاً أنس فقال له عمر لتكاتبته أو لأوجعتك بالدرّة، وإنما حملة مالك على الندب لأن الكتابة كالبيع، فكما لا يجبر على البيع لا يجبر عليها، واختلف هل يجبر السيد عبده على الكتابة أم لا؟ على قولين في المذهب ﴿إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ الخير هنا القوة على أداء الكتابة بأي وجه كان، وقيل هو المال الذي يؤدي منه كتابته من غير أن يسأل أموال الناس، وقيل هو الصلاح في الدين ﴿وَآتُوهُمْ مِّنْ مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾ هذا أمر بإعانة المكاتب على كتابته واختلف فيمن المخاطب بذلك فقيل هو خطاب للناس أجمعين، وقيل للولاة، والأمر على هذين القولين للندب، وقيل هو خطاب لسادات المكاتبين، وهو على هذا القول ندب عند مالك، وهو عند الشافعي فإن كان الأمر للناس، فالمعنى أن يعطوهم مما نزلت من الرزق، وإن كان للولاة فيعطوهم من الزكاة،

فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِمْ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٣﴾ وَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبِينَاتٍ وَمَثَلًا مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾ ۞ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ

وإن كان للسادات فيحطوا عنهم من كتابتهم، وقيل يعطوهم من أموالهم من غير الكتابة، وعلى القول بالخط من الكتابة اختلف في مقدار ما يحط، فقيل الربع، وزوي ذلك عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وقيل الثلث، وقال مالك والشافعي: لا حد في ذلك، بل أقل ما ينطلق عليه اسم شيء إلا أن الشافعي يجبره على ذلك، ولا يجبره مالك، وزمان الخط عنه في آخر الكتابة عند مالك، وقيل في أول نجم ﴿وَلَا تُكْرَهُوا فَتِيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ﴾ معنى البغاء الزنا، نهى الله المسلمين أن يجبروا مملوكاتهم على ذلك وسبب الآية أن عبد الله بن أبي ابن سلول المنافق كان له جاريتان، فكان يأمرهما بالزنا للكسب منه وللولادة، ويضربهما على ذلك، فشكتا ذلك إلى النبي ﷺ فنزلت الآية فيه وفيمن فعل مثل فعله ﴿إِنْ أَرَدْتُمْ تَحْصِنَا﴾ هذا الشرط راجع إلى إكراه الفتيات على الزنا إذ لا يتصور إكراههن إلا إذا أردن التحصن وهو التعفف، وقيل هو راجع إلى قوله وأنكحوا الأيامى وذلك بعيد ﴿لَتُبْتَغُوا بِقَوْلِهِ لَا تَكْرَهُوا﴾ وَمَنْ يَكْرَهُهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿المعنى غفور لهن رحيم بهن لا يؤاخذهن بالزنا، لأنهم أكرهن عليه، ويحتمل أن يكون المعنى غفور رحيم للسيد الذي يكرهن إذا تاب من ذلك ﴿آيَاتٍ مُّبِينَاتٍ﴾ بفتح الياء: أي بينها الله؛ وبالكسر مبيّنات للأحكام والحلال والحرام ﴿وَمَثَلًا﴾ يعني ضرب لكم الأمثال بمن كان قبلكم في تحريم الزنا، لأنه كان حراماً في كل ملّة أو في براءة عائشة كما برأ يوسف ومريم ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ النور يطلق حقيقة على الضوء الذي يدرك بالأبصار، ومجازاً على المعاني التي تدرك بالقلوب، والله ليس كمثله شيء، فتأويل الآية الله ذو نور السموات والأرض؛ ووصف نفسه بأنه نور كما تقول زيد كرم إذا أردت المبالغة في أنه كريم، فإن أراد بالنور المدرك بالأبصار، فمعنى نور السموات والأرض أنه خلق النور الذي فيهما من الشمس والقمر والنجوم، أو أنه خلقهما وأخرجهما من العدم إلى الوجود، فإنما ظهرت به كما تظهر الأشياء بالضوء، ومن هذا المعنى قرأ علي بن أبي طالب «الله نور السموات والأرض» بفتح النون والواو والراء وتشديد الواو: أي جعل فيهما النور، وإن أراد بالنور المدرك بالقلوب، فمعنى نور السموات والأرض جاعل النور في قلوب أهل السموات والأرض ولهذا قال ابن عباس: معناه هادي أهل السموات والأرض ﴿مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ المشكاة هي الكوة غير النافذة تكون في الحائط ويكون المصباح فيها شديد

أَلْمَصْبَاحُ فِي زُجَاجٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبْرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ

الإضاءة، وقيل المشكاة العمود الذي يكون المصباح على رأسه، والأول أصح وأشهر، والمعنى صفة نور الله في وضوحه كصفة مشكاة فيها مصباح على أعظم ما يتصوره البشر من الإضاءة والإنارة، وإنما شبهه بالمشكاة وإن كان نور الله أعظم، لأن ذلك غاية ما يدركه الناس من الأنوار، فضرب المثل لهم بما يصلون إلى إدراكه وقيل الضمير في نوره عائد على سيدنا محمد ﷺ، وقيل على القرآن، وقيل على المؤمن، وهذه الأقوال ضعيفة لأنه لم يتقدم ما يعود عليه الضمير، فإن قيل: كيف يصح أن يقول الله نور السموات والأرض فأخبر أنه هو النور، ثم أضاف النور إليه في قوله مثل نوره، والمضاف عين المضاف إليه؟ فالجواب أن ذلك يصح مع التأويل الذي قدمناه أي الله ذو نور السموات والأرض، أو كما تقول زيد كرم، ثم تقول ينعش الناس بكرمه ﴿أَلْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ﴾ المصباح هو الفتيل بناره، والمعنى أنه في قنديل من زجاج لأن البضوء فيه أزهى، لأنه جسم شفاف ﴿الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾ شبه الزجاج في إنارتها بكوكب دري، وذلك يحتمل معنيين إما أن يريد أنها تضيء بالمصباح الذي فيها، وإما أن يريد أنها في نفسها شديدة الضوء لصفائها ورقة جوهرها، وهذا أبلغ لاجتماع نورها مع نور المصباح، والمراد بالكوكب الدرّي أحد الدراري المضيئة: كالمشترى، والزهرة، وسهيل، ونحوها، وقيل أراد الزهرة، ولا دليل على هذا التخصيص، وقرأ نافع دري بضم الدال وتشديد الياء بغير همزة ولهذه القراءة وجهان: إما أن ينسب الكوكب إلى الدرّ لبياضه وصفائه، أو يكون مسهلاً من الهمز، وقرئ بالهمز وكسر الدال وبالهمز وضم الدال، وهو مشتق من الدرء بمعنى الدفع ﴿يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبْرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ﴾ من قرأ يوقد بالياء أو توقد بالفعل الماضي فالفعل مسند إلى المصباح، ومن قرأ توقد بالتاء والفعل المضارع فهو مسند إلى الزجاج، والمعنى: توقد من زيت شجرة مباركة، ووصفها بالبركة لكثرة منافعها، أو لأنها تنبت في الأرض المباركة وهي الشام ﴿لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ قيل يعني أنها بالشام فليست من شرق الأرض ولا من غربها، وأجود الزيتون زيتون الشام، وقيل هي منكشفة تصيبها الشمس طول النهار، فليست خالصة للشرق فتسمى شرقية، ولا للغرب فتسمى غربية بل هي غربية شرقية، لأن الشمس تستدير عليها من الشرق والغرب، وقيل إنها في وسط دوحة لا في جهة الشرق من الدوحة ولا في جهة الغرب، وقيل إنها في وسط دوحة لا في جهة الشرق من الدوحة ولا في جهة الغربية ﴿يَكَادُ

الْأَمْثَلِ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ فِي بُيُوتِ أُوْدُنِ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا أَسْمَاءُ بِيَسْبَحَ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٢٦﴾ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٢٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ

زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ﴿٢٥﴾ مبالغة في وصف صفائه وحُسنه ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾ يعني اجتماع نور المصباح وحُسن الزجاجاة وطيب الزيت، والمراد بذلك كمال النور الممثل به ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ﴾ أي يوفق الله مَن يشاء لإصابة الحق ﴿فِي بُيُوتِ﴾ يعني المساجد، وقيل بيوت أهل الإيمان من مساجد أو مساكن، والأول أصح، والجار يتعلق بما قبله: أي كمشكاة في بيوت، أو توقد في بيوت، وقيل بما بعده وهو يسبح، وكوثر الجواز بعد ذلك تأكيداً، وقيل بمحذوف: أي سَبَّحُوا فِي بُيُوتِ أُوْدُنِ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ، والمراد بالإذن الأمر، ورفعها بناؤها، وقيل تعظيمها ﴿بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ أي غدوة وعشية وقيل أراد الصبح والعصر وقيل صلاة الضحى والعصر ﴿رِجَالٌ﴾ فاعل يسبح على القراءة بكسر الباء، وأما على القراءة بالفتح فهو مرفوع بفعل مضمر يدل عليه الأول ﴿لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنِ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ أي لا تشغلهم، ونزلت الآية في أهل الأسواق الذين إذا سمعوا النداء بالصلاة تركوا كل شغل وبادروا إليها، والبيع من التجارة، ولكنه خصه بالذكر تجريداً كقوله: فأكهة ونخل ورمان، أو أراد بالتجارة الشراء ﴿تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ أي تضطرب من شدة الهول والخوف، وقيل تفقه القلوب وتبصر الأبصار بعد العمى، لأن الحقائق تنكشف حينئذ، والأول أصح كقوله: ﴿وَإِذْ زَاغَتْ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾ [الأحزاب: ١٠]، وفي قوله: ﴿تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ﴾ تجنيس ﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ﴾ متعلق بما قبله، أو بفعل من معنى ما قبله ﴿أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا﴾ تقديره جزاء أحسن ما عملوا ﴿وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ﴾ يعني زيادة على ثواب أعمالهم ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ ذكر في البقرة ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ﴾ لما ذكر الله حال المؤمنين أعقب ذلك بمثلين لأعمال الكافرين: الأول يقتضي حال أعمالهم في الآخرة، وأنها لا تنفعهم، بل يضمحل ثوابها كما يضمحل السراب، والثاني يقتضي حال أعمالهم في الدنيا، وأنها في غاية الفساد والضلال كالظلمات التي بعضها فوق بعض، والسراب هو ما يُرَى فِي الْفُلُوتِ مِنْ ضَمُوءِ الشَّمْسِ فِي الْهَجِيرَةِ حتى يظهر كأنه ماء يجري على وجه الأرض والقيعة جمع قاع وهو المنبسط من الأرض، وقيل بمعنى القاع وليس بجمع ﴿يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً﴾ الظمان العطشان: أي يظن العطشان

الظَّمَانُ مَاءٌ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ فَوْقَهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرِ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكِدْ يَرُهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ

أن السراب ماء، فيأتيه ليشربه، فإذا جاء خاب ما أمل، وبطل ما ظن، وكذلك الكافر يظن أن أعماله تنفعه، فإذا كان يوم القيامة لم تنفعه فهي كالسراب ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ﴾ ضمير الفاعل للظمان، وضمير المفعول للسراب أو ضمير الفاعل للكافر وضمير المفعول لعمله ﴿لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾ أي شيئاً ينتفع به أو شيئاً موجوداً على العموم لأنه معدوم، ويحتمل أن يكون ضمير الفاعل للظمان وضمير المفعول للسراب. أو ضمير الفاعل للكافر وضمير المفعول لعمله ﴿وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ﴾ ضمير الفاعل في وجد الكافر، والضمير في عنده لعمله، والمعنى وجد الله عنده بالجزاء، أو وجد زبانية الله ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ﴾ هذا هو المثال الثاني، وهو عطف على قوله كسراب، والمشبّه بالظلمات أعمال الكافر: أي هم من الضلال والحيرة في مثل الظلمات المجتمعة من ظلمة البحر تحت الموج تحت السحاب ﴿فِي بَحْرِ لُجِّيٍّ﴾ منسوب إلى اللج، وهو معظم الماء، وذهب بعضهم إلى أن أجزاء هذا المثال قوبلت به أجزاء الممثل به: فالظلمات أعمال الكافر، والبحر اللجي صدره، والموج جهله، والسحاب الغطاء الذي على قلبه، وذهب بعضهم إلى أنه تمثيل بالجملة من غير مقابلة وفي وصف هذه الظلمات بهذه الأوصاف مبالغة كما أن وصف النور المذكور قبلها مبالغة ﴿إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكِدْ يَرُهَا﴾ المعنى مبالغة في وصف الظلمة، والضمير في أخرج وما بعده للرجل الذي وقع في الظلمات الموصوفة واختلف في تأويل الكلام: فقيل المعنى إذا أخرج يده لم يقارب رؤيتها، فنفي الرؤية ومقاربتها، وقيل بل رآها بعد عسر وشدة، لأن كاد إذا نفيت تقتضي الإيجاب، وإذا أوجبت تقتضي النفي، وقال ابن عطية: إنما ذلك إذا دخل حرف النفي على الفعل الذي بعدها فأما إذا دخل حرف النفي على كاد كقوله لم يكد، فإنه يحتمل النفي والإيجاب ﴿وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا﴾ أي من لم يهده الله لم يهتد، فالنور كناية عن الهدى، والإيمان في الدنيا، وقيل أراد في الآخرة أي من لم يرحمه الله فلا رحمة له، والأول أليق بما قبله ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ الرؤية هنا بمعنى العلم والتسبيح التنزيه والتعظيم وهو من العقلاء بالنطق، وأما تسبيح الطير وغيرها مما لا يعقل، فقال الجمهور إنه حقيقي، ولا يبعد أن يلهمها الله التسبيح، كما يلهمها الأمم الدقيقة التي لا تتكلم باللسان المتكلم. وقيل تسبيحه ظهور

اللَّهُ يَسِيحُ لَهُمْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَفَقَاتٍ كُلِّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُمْ وَتَسْبِيحَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا
يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ
بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ
مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنِ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَرِ ﴿٤٣﴾ يَقْلِبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي
ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٤٤﴾ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي
عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى آرَبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾ لَقَدْ أَنْزَلْنَا
آيَاتٍ مُبِينَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾ وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ
وَأَطَعْنَا ثُمَّ تَوَلَّى فِرْقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ
لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعَبِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ

الحكمة فيه ﴿صَفَقَاتٍ﴾ يصففن أجنحتهن في الهواء ﴿كُلِّ قَدْ عَلِمَ﴾ الضمير في علم الله، أو لكل، والضمير في صلاته وتسيحه لكل ﴿يُزْجِي﴾ معناه يسوق، والإزجاء إنما يستعمل في سوق كل ثقيل كالسحاب ﴿رُكَامًا﴾ متكاثف بعضه فوق بعض ﴿الْوَدْقُ﴾ المطر ﴿مِنْ خِلَالِهِ﴾ أي من بينه، وهو جمع خلل كجبل وجبال ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ﴾ قيل إن الجبال هنا حقيقة وأن الله جعل في السماء جبالاً من برد، وقيل إنه مجاز كقولك عند فلان جبال من مال أو علم: أي هي في الكثرة كالجبال، ومن في قوله: ﴿مِنْ السَّمَاءِ﴾ لابتداء الغاية، وفي قوله: ﴿مِنْ جِبَالٍ﴾ كذلك، وهي بدل من الأولى، وتكون للتبعيض، فتكون مفعول ينزل، ومن في قوله: ﴿مِنْ بَرَدٍ﴾ لبيان الجنس أو للتبعيض فتكون مفعول ينزل، وقال الأخفش هي زائدة، وذلك ضعيف، وقوله: ﴿فِيهَا﴾ صفة للجبال، والضمير يعود على السماء ﴿سَنَا بَرْقِهِ﴾ السنا بالقصر الضوء، وبالمد المعجد والشرف.

﴿يَقْلِبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ أي يأتي بهذا بعد هذا ﴿خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ﴾ يعني بني آدم والبهائم والطيور لأن ذلك كله يدب ﴿مِنْ مَاءٍ﴾ يعني المنى، وقيل الماء الذي في الطين الذي خلق منه آدم وغيره ﴿عَلَى بَطْنِهِ﴾ كالحيات والحوث ﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا﴾ الآية: نزلت في المنافقين، وسببها أن رجلاً من المنافقين كانت بينه وبين يهودي خصومة، فدعاه اليهودي إلى رسول الله ﷺ فأعرض عنه، ودعاه إلى كعب بن الأشرف ﴿مُذْهِبِينَ﴾ أي منقادين طائعين لقصد الوصول إلى حقوقهم ﴿أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ توقيف يراد به التوبيخ، وكذلك

أَرَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحْيِفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٥١﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥٢﴾ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخَشِ اللَّهَ وَيَتَّقِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٥٣﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَنْ أُمرْتُمْ لِيَخْرُجُنَّ قُلْ لَا تُفْسِمُوا طَاعَةً مَعْرُوفَةً إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٥٥﴾ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٦﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٧﴾ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا

ما بعده ﴿أَنْ يَحْيِفَ﴾ معناه أن يجور، والحيف الميل، وأسندته إلى الله، لأن الرسول إنما يحكم بأمر الله وشرعه ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الآية. معناها إنما الواجب أن يقول المؤمنون: سمعنا وأطعنا إذا دعوا إلى الله ورسوله، وجعل الدعاء إلى الله من حيث هو إلى شرعه ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ الآية: قال ابن عباس: معناها من يطع الله في فرائضه ورسوله في سنته ﴿وَيَخَشِ اللَّهَ﴾ فيما مضى من ذنوبه ﴿وَيَتَّقِهِ﴾ فيما يستقبل، وسأل بعض الملوك عن آية كافية جامعة فذكرت له هذه الآية، وسمعتها بعض بطارقة الروم فأسلم، وقال إنها جمعت كل ما في التوراة والإنجيل ﴿وَأَقْسَمُوا﴾ أي حلفوا، والضمير للمنافقين ﴿جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ أي بالغوا في اليمين وأكدوها ﴿لِيَخْرُجُنَّ﴾ يعني إلى الغزو ﴿قُلْ لَا تُفْسِمُوا﴾ نهى عن اليمين الكاذبة لأنه قد عرف أنهم يحلفون على الباطل ﴿طَاعَةً مَعْرُوفَةً﴾ مبتدأ وخبره محذوف أي طاعة معروفة أمثل وأولى بكم، أو خبر مبتدأ محذوف أي المطلوب منكم طاعة معروفة لا يشك فيها ﴿عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ﴾ يعني تبليغ الرسالة ﴿وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ﴾ يعني السمع والطاعة واتباع الشريعة ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ وعد ظهر صدقه بفتح مشارق الأرض ومغاربها لهذه الأمة، وقيل إن المراد بالآية: خلافة أبي بكر وعثمان وعلي رضي الله عنهم لقول رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم: «الخلافة بعدي ثلاثون سنة»، وانتهت الثلاثون إلى آخر خلافة علي، فإن قيل، أين القسم الذي جاء قوله: ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ﴾ جواباً لـ [Made searchable using ScribeTools.com](http://www.ScribeTools.com) أو جعل

مُعْجِزَاتٍ فِي الْأَرْضِ وَمَا وَدَّعْتُهُمُ النَّارُ وَلَيْسَ الْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهْرِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾ وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ الَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ

الوعد بمنزلة القسم لتحققه ﴿لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ قيل المراد بالذين ملكت أيمانكم: الرجال خاصة، وقيل النساء خاصة، لأن الرجال يستأذنون في كل وقت وقيل الرجال والنساء ﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ﴾ يعني الأطفال غير البالغين ﴿ثَلَاثَ مَرَّاتٍ﴾ نصب على الظرفية لأنهم أمروا بالاستئذان في ثلاثة مواطن، فمعنى الآية أن الله أمر المماليك والأطفال بالاستئذان في ثلاثة أوقات، وهي قبل الصبح وحين القائلة وسط النهار، وبعد صلاة العشاء الأخيرة، لأن هذه الأوقات يكون الناس فيها متجردين للنوم في غالب أمرهم، وهذه الآية محكمة؛ وقال ابن عباس: ترك الناس العمل بها، وحملها بعضهم على الندب ﴿تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ﴾ يعني تتجردون ﴿الظَّهْرِ﴾ وسط النهار ﴿ثَلَاثَ عَوْرَاتٍ﴾ جمع عورة من الانكشاف كقوله بيوتنا عورة، ومن رفع ثلاث فهو خبر ابتداء مضمير تقديره هذه الأوقات ثلاث عورات لكم: أي تنكشفون فيها، ومن نصبه فهو بدل من ثلاث مرات ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ﴾ هذا الضمير المؤنث يعود على الأوقات المتقدمة أي ليس عليكم ولا على المماليك والأطفال جناح في ترك الاستئذان في غير المواطن الثلاثة ﴿طَوَافُونَ عَلَيْكُمْ﴾ تقديره المماليك والأطفال طوافون عليكم، لذلك يؤمر بالاستئذان في كل وقت ﴿بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ بدل من طوافون: أي بعضكم يطوف على بعض وقال الزمخشري هو مبتدأ أي بعضكم يطوف على بعض- أو فاعل بفعل مضمير ﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا﴾ لما أمر الأطفال في الآية المتقدمة بالاستئذان في ثلاثة أوقات، وأباح لهم الدخول بغير إذن في غيرها: أمرهم هنا بالاستئذان في جميع الأوقات إذا بلغوا ولحقوا بالرجال ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ﴾ جمع قاعد وهي العجوز، فقيل هي التي قعدت عن الولد، وقيل التي قعدت عن التصرف، وقيل التي إذا رأيتها استقدرتها ﴿فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ﴾ أباح الله لهذا الصنف من العجائز ما لم يباح لغيرهن من وضع الثياب، قال

عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ
 وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٥﴾ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى
 أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ
 إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ
 أَخَوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتُمْ مَفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ

ابن مسعود إنما أبيع لهن وضع الجلباب الذي فوق الخمار والرداء، وقال بعضهم: إنما ذلك في منزلها الذي يراها فيها ذوو محارمها ﴿غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ﴾ إنما أباح الله لهن وضع الثياب بشرط ألا يقصدن إظهار زينة، والتبرج هو الظهور ﴿وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ﴾ المعنى أن الاستعفاف عن وضع الثياب المذكورة خير لهن من وضعها والأولى لهن أن يلتزم ما يلتزم شباب النساء من الستر ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ﴾ الآية اختلف في المعنى الذي رفع الله فيه الحرج عن الأعمى والأعرج والمريض في هذه الآية، فقيل هو في الغزو أي لا حرج عليهم في تأخيرهم عنه، وقوله: ﴿وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ مقطوع من الذي قبله على هذا القول كأنه قال: ليس على هؤلاء الثلاثة حرج في ترك الغزو، ولا عليكم حرج في الأكل، وقيل الآية كلها في معنى الأكل، واختلف الذهابون إلى ذلك، فقيل إن أهل هذه الأعذار كانوا يجتنبون الأكل مع الناس لثلاث يتقدهم الناس، فنزلت الآية مبيحة لهم الأكل مع الناس، وقيل إن الناس كانوا إذا نهضوا إلى الغزو خلفوا أهل هذه الأعذار في بيوتهم، وكانوا يتجنبون أكل مال الغائب، فنزلت الآية في ذلك، وقيل إن الناس كانوا يتجنبون الأكل معهم تقدرًا، فنزلت الآية، وهذا ضعيف، لأن رفع الحرج عن أهل الأعذار لا عن غيرهم، وقيل إن رفع الحرج عن هؤلاء الثلاثة في كل ما تمنعهم عنه أعذارهم من الجهاد وغيره ﴿وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ﴾ أباح الله تعالى للإنسان الأكل في هذه البيوت المذكورة في الآية، فبدأ بيت الرجل نفسه، ثم ذكر القرابة على ترتيبهم ولم يذكر فيهم الابن، لأنه دخل في قوله من بيوتكم، لأن بيت ابن الرجل بيته، لقوله عليه الصلاة والسلام: «أنت ومالك لأبيك»، واختلف العلماء فيما ذكر في هذه الآية من الأكل من بيوت القرابة فذهب قوم إلى أنه منسوخ، وأنه لا يجوز الأكل من بيت أحد إلا بإذنه والناسخ قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ [البقرة: ١٨٨]، وقوله عليه الصلاة والسلام: «لا يحل مال امرئ مسلم إلا عن طيب نفس منه»، وقيل الآية محكمة، ومعناها إباحة الأكل من بيوت

عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً
 مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبْرَكَةٌ طَيِّبَةٌ كَذَلِكَ بَيِّنَاتٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ
 تَعْقِلُونَ ﴿١١﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا
 حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا أَسْتَأْذِنُوكَ لِبَعْضِ
 شَأْنِهِمْ فَأَذَنَ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٢﴾ لَا تَجْعَلُوا
 دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَسْتَلْثُونَ مِنْكُمْ لِيُؤَادُوا

مَفَاتِحَهُ ﴿﴾ يعني الوكلاء والأجراء والعبيد الذين يمسكون مفاتيح مخازن أموال ساداتهم، فأباح
 لهم الأكل منها، وقيل المراد ما ملك الإنسان من مفاتيح نفسه وهذا ضعيف ﴿أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾
 الصديق يقع على الواحد والجماعة، كالعدو، والمراد به هنا جمع ليناسب ما ذكر قبله من
 الجموع في قوله وآبائكم وأمهاتكم وغير ذلك، وقرن الله الصديق بالقرابة، لقرب موثقه، وقال
 ابن عباس: الصديق أوكد من القرابة ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا﴾ إباحة
 للأكل في حال الاجتماع والانفراد، لأن بعض العرب كان لا يأكل وحده أبدًا خيفة من
 البخل، فأباح لهم الله ذلك ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ أي إذا دخلتم بيوتًا
 مسكونة، فسلموا على من فيها من الناس، وإنما قال على أنفسكم بمعنى صنفكم كقوله:
 ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [الحجرات: ١١] وقيل المعنى إذا دخلتم بيوتًا خاليةً فسلموا على
 أنفسكم بأن يقول الرجل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، وقيل يعني بالبيوت
 المساجد، والأمر بالسلام على من فيها، فإن لم يكن فيها أحد فيسلم على النبي صلى الله
 عليه وآله وسلم وعلى الملائكة وعلى عباد الله الصالحين ﴿وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ﴾
 الآية: الأمر الجامع هو ما يجمع الناس للمشورة فيه، أو للتعاون عليه. ونزلت هذه الآية
 في وقت حفر الخندق بالمدينة، فإن بعض المؤمنين كانوا يستأذنون في الانصراف لضرورة،
 وكان المنافقون يذهبون بغير استئذان ﴿لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ﴾ أي لبعض حوائجهم ﴿لَا تَجْعَلُوا
 دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾ في معناها ثلاثة أقوال الأول أن الدعاء هنا يراد
 به دعاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم وإياهم ليجتمعوا إليه في أمر جامع أو في قتال وشبه
 ذلك، فالمعنى أن إجابتهم له إذا دعاكم واجبة عليكم بخلاف إذا دعا بعضكم بعضًا، فهو
 كقوله تعالى: ﴿اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤]، ويقوي هذا القول
 مناسبه لما قبله من الاستئذان والأمر الجامع، والقول الثاني أن المعنى لا تدعوا الرسول

فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٦﴾ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾

عليه السلام باسمه كما يدعو بعضكم بعضاً باسمه بل قولوا يا رسول الله أو يا نبي الله تعظيماً ودعاءً بأشرف أسمائه، وقيل المعنى لا تحسبوا دعاء الرسول عليكم كدعاء بعضكم على بعض: أي دعاؤه عليكم يجاب فاحذروه، ولفظ الآية بعيد عن هذا المعنى على أن المعنى صحيح ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا﴾ الذين ينصرفون عن حفر الخندق، واللواذ الروغان والمخالفة، وقيل الانصراف في خفية ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾ الضمير لله ولرسوله ﷺ، واختلف في عن هنا، فقيل إنها زائدة وهذا ضعيف، وقال ابن عطية: معناه يقع خلافهم بعد أمره كما تقول: كان المطر عن ربح، قال الزمخشري يقال خالفه إلى الأمر إذا ذهب إليه دونه وخالفه عن الأمر إذا صدر الناس عنه، فمعنى يخالفون عن أمره يصدون الناس عنه، فحذف المفعول لأن الغرض ذكر المخالف ﴿فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ الفتنة في الدنيا بالرزايا أو بالفضيحة أو القتل أو العذاب في الآخرة ﴿قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ﴾ دخلت قد للتأكيد، وفي الكلام معنى الوعيد، وقيل معناها التقليل على وجه التهكم والخطاب لجميع الخلق، أو للمنافقين خاصة ﴿وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ﴾ يعني المنافقين، والعامل في الظرف بينهم.

سورة الفرقان

مكية إلا الآيات ٦٨ و ٦٩ و ٧٠
فمدنية وآياتها ٧٧ نزلت بعد يس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلِكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ نَقْدِيرًا ﴿٢﴾ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿تَبَارَكَ﴾ من البركة وهو فعل مختص بالله تعالى لم ينطق له بالمضارع ﴿عَلَى عَبْدِهِ﴾ يعني محمدًا صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وذلك على وجه التشريف له والاختصاص ﴿لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ الضمير لمحمد ﷺ أو للقرآن، والأول أظهر وقوله: ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ عموم يشمل الجن والإنس ممن كان في عصره، وممن يأتي بعده إلى يوم القيامة، وتضمن صدر هذه السورة إثبات النبوة والتوحيد، والردّ على من خالف في ذلك ﴿فَقَدَرَهُ نَقْدِيرًا﴾ الخلق عبارة عن الإيجاد بعد العدم، والتقدير عبارة عن إتقان الصنعة، وتخصيص كل مخلوق بمقداره، وصفته، وزمانه ومكانه، ومصالحته، وأجله، وغير ذلك ﴿وَاتَّخَذُوا﴾ الضمير لقريش وغيرهم ممن أشرك بالله تعالى ﴿وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ﴾ يعنون قومًا من اليهود منهم عداس ويسار وأبو فكيهة الرومي ﴿فَقَدَرَهُ نَقْدِيرًا﴾ أي ظلّموا أي ظلّموا النبي ﷺ فيما نسبوا إليه وكذبوا في ذلك عليه ﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ أي ما سطره

ءَالِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا حِيَوَةً وَلَا نُشُورًا ﴿٤﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا آفَاكُ أَفْتَرْتَهُ وَآعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ ط فَقَدَ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٥﴾ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦﴾ أَكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمَلَّى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٧﴾ قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٨﴾ وَقَالُوا مَا هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا ﴿٩﴾ أَوْ يُنْفِثُ إِلَيْهِ كَنزًا أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴿١٠﴾ أَنْظَرَ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿١١﴾ تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ

الأولون في كتبهم، وكان الذي يقول هذه المقالة النضر بن الحارث ﴿اُكْتَتَبَهَا﴾ أي كتبها له كاتب. ثم صارت تُملَى عليه ليحفظها، وهذا حكاية كلام الكفار، وقال الحسن إنها من قول الله على وجه الرد عليهم، ولو كان ذلك لقال أكتبها بفتح الهمزة لمعنى الإنكار، وقد يجوز حذف الهمزة في مثل هذا وينبغي على قول الحسن أن يوقف على أساطير الأولين ﴿قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ﴾ رد على الكفار في قولهم ويعني بالسر: ما أسرّه الكفار من أقوالهم، أو يكون ذلك على وجه التنصل والبراءة مما نسبته الكفار إليه من الافتراء أي أن الله يعلم سري فهو العالم بأني ما افتريت عليه، بل هو أنزله عليّ، فإن قيل ما مناسبة قوله: ﴿إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ لما قبله؟ فالجواب أنه لما ذكر أقوال الكفار: أعقبها بذلك، لبيان أنه غفور رحيم في كونه لم يعجل عليهم بالعقوبة بل أمهلهم، وإن أسلموا تاب عليهم وغفر لهم ﴿وَقَالُوا مَا هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ﴾ الآية: قالت هذا الكلام قريش طعنًا على النبي ﷺ وقد رد الله عليهم بقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لِيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٢٠]، وقولهم: ﴿هَذَا الرَّسُولُ﴾ على وجه التهكم كقول فرعون إن رسولكم الذي أرسل إليكم، أو يعنون الرسول بزعمه، ثم ذكر ما اقترحوا من الأمور في قولهم: ﴿لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ﴾ وما بعده، ثم وصفهم بالظلم، وقد ذكرنا معنى مسحورًا في سبحان.

﴿ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ﴾ أي قالوا فيك تلك الأقوال ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ أي لا

يقدرّون على الوصول إلى ﴿مَدِينَةَ لَدُنْكَ﴾ [Made searchable using ScribeTools.com](http://www.ScribeTools.com) [التي](#) [إلى](#) [الوصول](#) [إلى](#) [إشارة](#) [إلى](#)

لَكَ قُصُورًا ﴿١٦﴾ بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١٧﴾ إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ
بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٨﴾ وَإِذَا أَلْقَا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٩﴾ لَا
تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَاَدْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿٢٠﴾ قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعدَ
الْمُتَّقُونَ ۗ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا ﴿٢١﴾ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ ۗ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا
مَسْئُولًا ﴿٢٢﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ ۖ أَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ
أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ﴿٢٣﴾ قَالُوا سُبْحٰنَكَ مَا كَانَ يُبٰنِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلٰكِنْ

ما ذكره الكفار من الكنز والجنة في الدنيا ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ يعني جنات الآخرة وقصورها وقيل يعني جنات، وقصورًا في الدنيا، ولذلك قال إن شاء ﴿إِذَا رَأَتْهُمْ﴾ أي إذا رأتهم جهنم وهذه الرؤية يحتمل أن تكون حقيقة أو مجازًا بمعنى صارت منهم بقدر ما يرى على البعد ﴿سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾ التغيط لا يسمع وإنما المسموع أصوات دالة عليه ففي لفظه تجوز، والزفير أول صوت الحمام ﴿مَكَانًا ضَيِّقًا﴾ تضيق عليهم زيادة في عذابهم ﴿مُقَرَّنِينَ﴾ أي مربوط بعضهم إلى بعض، ورؤي أن ذلك بسلاسل من النار ﴿دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ الثبور الويل وقيل الهلاك، ومعنى دعائهم ثبورًا: أنهم يقولون يا ثبوراه كقول القائل واحسرتاه وأسفاه ﴿لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا﴾ تقديره يقال لهم ذلك أو يكون حالهم يقتضي ذلك وإن لم يكن ثم قول وإنما ادعوا ثبورًا كثيرًا لأن عذابهم دائم، فالثبور يتجدد عليهم في كل حين ﴿قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ﴾ إنما جاز هنا التفضيل بين الجنة والنار، لأن الكلام توقيف وتوبيخ، وإنما يمنع التفضيل بين شيئين ليس بينهما اشتراك في المعنى إذا كان الكلام خبرًا ﴿وَعْدًا مَسْئُولًا﴾ أي سأله المؤمنين أو الملائكة في قولهم وأدخلهم جنات عدن، وقيل معناه وعدًا: واجب الوقوع لأنه حتمه ﴿فَيَقُولُ أَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ﴾ القائل لذلك هو الله عز وجل، والمخاطب هم المعبودون مع الله على العموم، وقيل الأصنام خاصة، والأول أرجح لقوله: ﴿ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ [سبأ: ٤٠] وقوله: ﴿أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [المائدة: ١١٦] ﴿أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ﴾ أم هنا معادلة لما قبلها، والمعنى أن الله يقول يوم القيامة للمعبودين أنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا من تلقاء أنفسهم باختيارهم ولم تضلوهم أنتم، ولأجل ذلك بين هذا المعنى بقوله: ﴿هُمْ﴾ ليتحقق إسناد الضلال إليهم، وإنما سألهم الله هذا السؤال مع علمه بالأمور ليوتخ الكفار الذين

مَتَّعْتَهُمْ وَاَبَاءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ﴿١٨﴾ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ بِمَا نَقُولُونَ فَمَا
تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا وَمَنْ يَظْلِمِ مِنْكُمْ نَذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا
قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا
بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢١﴾ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا
لَوْلَا أَنْزَلْ عَلَيْنَا الْمَلَايِكَةَ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًا كَبِيرًا ﴿٢٢﴾ يَوْمَ يَرَوْنَ

عبدوهم ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾ القائلون لهذا هم
المعبودون: قالوه على وجه التبري ممن عبدهم كقولهم أنت ولينا من دونهم، والمراد
بذلك توبيخ الكفار يومئذ، وإقامة الحجة عليهم ﴿وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَأَبَاءَهُمْ﴾ معناه أن إمتاعهم
بالنعم في الدنيا كان سبب نسيانهم لذكر الله وعبادته ﴿قَوْمًا بُورًا﴾ أي هالكين، وهو من
البوار وهو الهلاك، واختلف هل هو جمع بائر أو مصدر وصف به ولذلك يقع على الواحد
والجماعة ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ بِمَا تَقُولُونَ﴾ هذا خطاب خاطب الله به المشركين يوم القيامة أي
قد كذبكم آلهتكم التي عبدتم من دون الله، وتبرؤوا منكم وقيل هو خطاب للمعبودين: أي
كذبكم في هذه المقالة لما عبدوكم في الدنيا، وقيل هو خطاب للمسلمين: أي قد كذبكم
الكفار فيما تقولونه من التوحيد والشريعة، وقرئ بما يقولون بالياء من أسفل، والباء في
قوله بما تقولون على القراءة بالتاء بدل من الضمير في كذبوكم، وعلى القراءة بالياء كقولك
كتبت بالقلم، أو كذبوكم بقولهم: ﴿فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا﴾ قرئ فما تستطيعون
بالتاء فوق، ويحتمل على هذا أن يكون الخطاب للمشركين أو للمعبودين؛ والصرف على
هذين الوجهين صرف العذاب عنهم، أو يكون الخطاب للمسلمين والصرف على هذا رد
التكذيب، وقرئ بالياء وهو مسند إلى المعبودين أو إلى المشركين والصرف صرف العذاب
﴿وَمَنْ يَظْلِمِ مِنْكُمْ﴾ خطاب للكفار وقيل للمؤمنين وقيل على العموم ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ
الْمُرْسَلِينَ﴾ تقديره وما أرسلنا رُسُلًا أو رجالًا قبلك، وعلى هذا المفعول المحذوف يعود
الضمير في قوله: ﴿إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ﴾، وهذه الآية رد على الكفار في استبعادهم
بعث رسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾ هذا خطاب
لجميع الناس لاختلاف أحوالهم، فالغني فتنة للفقير، والصحيح فتنة للمريض، والرسول
فتنة لغيره ممن يحسده ويكفر به ﴿أَتَصْبِرُونَ﴾ تقديره لنظر هل تصبرون ﴿لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾
قيل معناه لا يخافون، والصحيح أنه على بابه لأن لقاء الله يرجى ويخاف ﴿لَوْلَا أَنْزَلْ عَلَيْنَا
الْمَلَايِكَةَ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا﴾

الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٧﴾ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنَّ عَمَلٍ
فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا ﴿٢٨﴾ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٩﴾ وَيَوْمَ تَشَقُّقُ
السَّمَاءُ بِالْغَمَمِ وَنَزَلَ الْمَلَائِكَةُ نَزِيلًا ﴿٣٠﴾ الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ
عَسِيرًا ﴿٣١﴾ وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ يَتَوَلَّىٰ لِيَتَنَبَّأَ
لَمْ أَخَذْ فَلَانًا خَلِيلًا ﴿٣٣﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ

عليهم بقوله: ﴿لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا﴾ الآية: أي طلبوا ما لا ينبغي لهم أن يطلبوه، وقوله في أنفسهم كما تقول فلان عظيم في نفسه أي عند نفسه أو بمعنى أنهم أضمروا الكفر في أنفسهم ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ﴾ لما طلبوا رؤية الملائكة أخبر الله أنهم لا بشرى لهم يوم يرونهم، فالعامل في يوم معنى لا بشرى، ويومئذ بدل ﴿وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ الضمير في يقولون إن كان للملائكة، فالمعنى أنهم يقولون للمجرمين حِجْرًا محجورًا أي حرام عليكم الجنة أو البشري، وإن كان الضمير للمجرمين، فالمعنى أنهم يقولون حِجْرًا بمعنى عودًا لأن العرب كانت تتعوذ بهذه الكلمة مما تكره، وانتصابه بفعل متروك إظهاره نحو معاذ الله ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا﴾ أي قصدنا إلى أفعالهم لفظ القُدوم مجاز، وقيل هو قدوم الملائكة أسنده الله إلى نفسه لأنه عن أمره ﴿فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا﴾ عبارة عن عدم قبول ما عملوا من الحسنات كإطعام المساكين وصلة الأرحام وغير ذلك، وأنها لا تنفعهم لأن الإيمان شرط في قبول الأعمال، والهباء هي الأجرام الدقيقة من الغبار التي لا تظهر إلا حين تدخل الشمس على موضع ضيق كالكوة، والمنثور المتفرق ﴿خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا﴾ جاء هنا التفضيل بين الجنة والنار، لأن هذا مستقر وهذا مستقر ﴿وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ هو مفعول من النوم في القائلة وإن كانت الجنة لا نوم فيها، ولكن جاء على ما تتعارفه العرب من الاستراحة وقت القائلة في الأمكنة الباردة، وقيل إن حساب الخلق يكمل في وقت ارتفاع النهار، فيقبل أهل الجنة في الجنة، وأهل النار في النار ﴿وَيَوْمَ تَشَقُّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ﴾ هو يوم القيامة وانشقاق السماء: انفطارها، ومعنى بالغمم أي يخرج منها الغمام، وهو السحاب الرقيق الأبيض وحيث تنزل الملائكة إلى الأرض ﴿وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ﴾ عصّ اليدين كناية عن الندم والحسرة، والظالم هنا عقبة بن أبي معيط، وقيل كل ظالم والظلم هنا الكفر ﴿مَعَ الرَّسُولِ﴾ هو محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، أو اسم جنس على العموم ﴿لَيْتَنِي لَمْ أَخَذْ فَلَانًا خَلِيلًا﴾ رُوِيَ أن عقبة جنح إلى الإسلام فتناهى أبي بن خلف وأمّية بن خلف فهو فلان، وقيل إن عقبة نهى أبي بن خلف عن الإسلام،

حَدُولًا ﴿٢٩﴾ وَقَالَ الرَّسُولُ يَرَبِّ إِنِّي قَوْمِي أَخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾ الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ سُورًا مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا

فالظالم على هذا أبي وفلان عقبه، وإن كان الظالم على العموم ففلانًا على العموم أي خليل كل كافر ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ حَذُولًا﴾ يحتمل أن يكون هذا من قول الظالم أو ابتداء إخبار من قول الله تعالى، ويحتمل أن يريد بالشیطان إبليس أو الخليل المذكور ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ﴾ قيل إن هذا حكاية قوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في الدنيا، وقيل في الآخرة ﴿مَهْجُورًا﴾ من الهجر بمعنى البعد والترك وقيل من الهجر بضم الهاء أي قالوا فيه الهجر حين قالوا إنه شعر وسحر والأول أظهر ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا﴾ العدو هنا جمع، والمراد تسلية النبي ﷺ بالتأسي بغيره من الأنبياء ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ وعد لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم بالهدى والنصرة ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾ هذا من اعتراضات قريش لأنهم قالوا لو كان القرآن من عند الله لنزل جملة واحدة كما نزلت التوراة والإنجيل ﴿كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ هذا جواب لهم تقديره أنزلناه كذلك مفرقًا لنثبت به فؤاد محمد ﷺ لحفظه: ولو نزل جملة واحدة لتعذر عليه حفظه لأنه أمي لا يقرأ، فحفظ المفروق عليه أسهل، وأيضًا فإنه نزل بأسباب مختلفة تقتضي أن ينزل كل جزء منه عند حدوث سببه، وأيضًا منه ناسخ ومنسوخ ولا يتأتى ذلك فيما نزل جملة واحدة ﴿وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ أي فرقناه تفریقًا فإنه نزل بطول عشرين سنة وهذا الفعل معطوف على الفعل المقدر الذي يتعلق به كذلك وبه يتعلق لنثبت ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ﴾ الآية معناه لا يوردون عليك سؤالاً أو اعتراضاً إلا آتيناك في جوابه بالحق، والتفسير الحسن الذي يذهب اعتراضهم ويُبطل شبهتهم ﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ يعني الكفار، وحشرهم على وجوههم حقيقة لأنه جاء في الحديث قيل يا رسول الله: كيف يُحْشَرُ الكافر على وجهه: «قال أليس الذي أمشاه في الدنيا على رجله قادرًا على أن يمشيه في الآخرة على وجهه» ﴿سُورًا مَكَانًا﴾ يحتمل أن يريد بالمكان المنزلة والشرف أو الدار والمسكن في الآخرة ﴿وَزِيرًا﴾ معينا ﴿إِلَىٰ﴾

أَذْهَبًا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمْزَلْنَهُمْ نَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ
 اغْرَقْنَاهُمْ وَجَمَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودًا وَأَصْحَابَ
 الرِّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ وَكُلًّا تَبَرْنَا تَنْبِيرًا ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَا
 عَلَى الْقُرْيَةِ الَّتِي أَمْطَرْنَا السَّوَاءَ أَفْكَمَ يَكُونُوا يَرُونَهَا بَلِّ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿٤٠﴾
 وَإِذَا رَأَوْكَ إِذَا يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُؤًا أَهْذًا الَّذِي بِعَثَ اللَّهُ رُسُولًا ﴿٤١﴾ إِنْ كَادَ لَيُضِلَّنَا عَنْ
 ءَالِهَتِنَا لَوْلَا أَنَّ صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حَيْثُ يَرْوُونَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾
 أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوْنَهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكَيْلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنْ أَكْثَرُهُمْ
 يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلِّ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ

فكذبوهما فدمرناهم ﴿كذبوا الرُّسُل﴾ تأويله كما ذكر في قوله في هود فعصوا رسله
 ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ﴾ يحتمل أن يريد بالظالمين من تقدم ووضع هذا الاسم الظاهر موضع
 المضمرة لقصد وصفهم بالظلم، أو يريد الظالمين على العموم ﴿وَأَصْحَابَ الرِّسِّ﴾ معنى
 الرس في اللغة البثر، واختلف في أصحاب الرس: ف قيل هم من بقية ثمود وقيل من أهل
 اليمامة، وقيل من أهل أنطاكية، وهم أصحاب يس، واختلف في قصتهم ف قيل بعث الله
 إليهم نبيًا فرموه في بثر فأهلكهم الله، وقيل كانوا حول بثر لهم فانهارت بهم فهلكوا
 ﴿وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا﴾ يقتضي التكثير والإبهام، والإشارة بذلك إلى المذكور قبل من
 الأمم ﴿ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ﴾ أي بينا له ﴿تَبَرْنَا﴾ أي أهلكنا ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَا عَلَى الْقُرْيَةِ﴾ الضمير
 في أنزلنا لقريش وغيرهم من الكفار، والقرية قرية قوم لوط، ومطر السوء الحجارة ثم وقفهم
 على رؤيتهم لها لأنها في طريقهم إلى الشام، ثم أخبر أن سبب عدم اعتبارهم بها كفرهم
 بالنشور ويرجون كقوله: ﴿يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ [يونس: ٧]، وقد ذكر ﴿أَهْذًا الَّذِي﴾ حكاية
 قولهم على وجه الاستهزاء، فالجملة في موضع مفعول لقول محذوف يدل عليه هذا،
 وقوله: ﴿إِنْ كَادَ لَيُضِلَّنَا﴾ [الفرقان: ٤٢]، استئناف جملة أخرى وتم كلامهم، واستأنف
 كلام الله تعالى في قوله: ﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ الآية على وجه التهديد لهم ﴿اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاءً﴾
 أي أطاع هواه حتى صار كأنه له إله ﴿بَلِّ هُمْ أَضَلُّ﴾ لأن الأنعام ليس لها عقول وهؤلاء لهم
 عقول ضيعوها، ولأن الأنعام تطلب ما ينفعها وتجتنب ما يضرها، وهؤلاء يتركون أنفع
 الأشياء وهو الثواب، ولا يخافون أضر الأشياء وهو العقاب ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ﴾ أي إلى
 صنع ربك وقدرته ﴿مَدَّ الظِّلَّ﴾ قيل مده من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس لأن الظل حينئذ

الظَّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾
 وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الَّيْلَ لِيَأْسَوا وَالتَّوَمَّ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ
 بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا
 خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنْآسِيَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا
 كُفُورًا ﴿٥٠﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تَطِيعُ الْكُفْرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ
 جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا

على الأرض كلها، واعترضه ابن عطية لأن ذلك الوقت من الليل، ولا يقال ظلّ بالليل، واختار أن مدّ الظلّ من الإسفار إلى طلوع الشمس وبعد مغيبها بيسير، وقيل معنى مدّ الظلّ: أي جعله يمتدّ وينبسط ﴿وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا﴾ أي ثابتًا غير زائل لكنه جعله يزول بالشمس، وقيل معنى ساكن غير منبسط على الأرض، بل يلتصق بأصل الحائط والشجرة ونحوها ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾ قيل معناه أن الناس يستدلّون بالشمس وبأحوالها في سيرها على الظل متى يتسع ومتى ينقبض ومتى يزول عن مكان إلى آخر فينبون على ذلك انتفاعهم به وجلوسهم فيه، وقيل معناه لولا الشمس لم يعرف أن الظلّ شيء لأن الأشياء لم تعرف إلا بأضدادها ﴿ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا﴾ قبضه نسخه وإزالته بالشمس؛ ومعنى يسيرًا شيئًا بعد شيء لا دفعة واحدة، فإن قيل: ما معنى ثم في هذه المواضع الثلاثة؟ فالجواب أنه يحتمل أن تكون للترتيب في الزمان أي جعل الله هذه الأحوال حالًا بعد حال، أو تكون لبيان التفاضل بين هذه الأحوال الثلاثة وأن الثاني أعظم من الأول، والثالث أعظم من الثاني ﴿اللَّيْلَ لِيَأْسَوا﴾ شبه ظلام الليل باللباس، لأنه يستر كل شيء كاللباس ﴿والتَّوَمَّ سُبَاتًا﴾ قيل راحة وقيل موتًا لقوله: ﴿يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تُمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ [الزمر: ٤٢] وبدلّ عليه مقابلته بالنشور ﴿الرِّيحَ بُشْرًا﴾ ذكر في الأعراف ﴿مَاءً طَهُورًا﴾ مبالغة في طاهر وقيل معناه مطهر للناس في الوضوء وغيره. وبهذا المعنى يقول الفقهاء: ماء طهورًا، أي مطهر، وكل مطهر طاهر، وليس كل طاهر مطهر ﴿أَنْآسِيَّ﴾ قيل جمع إنسي، وقيل جمع إنسان، والأول أصح.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ﴾ الضمير للقرآن، وقيل للمطر وهو بعيد ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا﴾ أي لو شئنا لخففنا عنك أفعال الرسالة ببعث جماعة من الرُّسُلِ ولكننا خصصناك بها كرامة لك فاصبر ﴿وَجَاهِرِ﴾ كلام المتقدم

وَحِجْرًا مَّخْجُورًا ﴿٥٦﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٧﴾
 وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا ﴿٥٨﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ
 إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٥٩﴾ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٦٠﴾
 وَتَوَكَّلْ عَلَىٰ الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَىٰ بِهِ يَذُنُوبَ عِبَادِهِ خَيْرًا ﴿٦١﴾ الَّذِي خَلَقَ

الْبَحْرَيْنِ ﴿٦٢﴾ اضطرب الناس في هذه الآية لأنه لا يعلم في الدنيا بحر مالح وبحر عذب وإنما
 البحار المعروفة ماءها ملح، قال ابن عباس أراد بالبحر المالح الأجاج: البحر الأرض، والبحر
 العذب الفرات بحر السحاب، وقيل البحر المالح البحر المعروف، والبحر العذب مياه
 الأرض، وقيل البحر المالح جميع الماء المالح من الآبار وغيرها، والبحر العذب هو مياه
 الأرض من الأنهار والعيون، ومعنى العذب البالغ العذوبة حتى يضرب إلى الحلاوة،
 والأجاج نقيضه، واختلف في معنى مرجهما، فقيل جعلهما متجاورين متلاصقين، وقيل
 أسال أحدهما في الآخر ﴿وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّخْجُورًا﴾ أي فاصلاً يفصل بينهما
 وهو ما بينهما من الأرض بحيث لا يختلطان، وقيل البرزخ يعلمه الله ولا يراه البشر ﴿خَلَقَ
 مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا﴾ إن أراد بالبشر آدم فالمراد بالماء المني الذي خلق به مع التراب فصار طيناً،
 وإن أراد بالبشر بني آدم، فالمراد بالماء المني الذي يخلقون منه ﴿فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾
 النسب والصهر يعلمان كل قربي: أي كل قرابة، والنسب أن يجتمع إنسان مع آخر في أب
 أو أم قرب ذلك أو بعد، والصهر هو الاختلاط بالنكاح، وقيل أراد بالنسب الذكور أي ذوي
 نسب ينتسب إليهم، وأراد بالصهر الإناث: أي ذوات صهر يضاهر بهن، وهو كقوله:
 ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ الزُّوْجَيْنَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾ [القيامة: ٣٩] ﴿وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا﴾ الكافر
 هنا الجنس، وقيل المراد أبو جهل، والظهير المعين أي يعين الشيطان على ربه بالعداوة
 والشرك، ولفظه يقع للواحد والجماعة كقوله: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحريم: ٤]
 ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ أي لا أسألكم على الإيمان أجرة ولا منفعة ﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ
 يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ معناه إنما أسألكم أن تتخذوا إلى ربكم سبيلاً بالتقرب إليه وعبادته،
 فالاستثناء منقطع، وقيل المعنى أن تتخذوا إلى ربكم سبيلاً بالصدقة، فالاستثناء على هذا
 متصل، والأول أظهر، وفي الكلام محذوف تقديره إلا سؤال من شاء وشبه ذلك ﴿وَتَوَكَّلْ
 عَلَىٰ الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ قرأ هذه الآية بعض السلف فقال لا ينبغي لذي عقل أن يثق
 بعدها بمخلوق فإنه يموت ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ﴾ أي قل سبحان الله وبحمده، والتسبيح التنزيه
 على كل ما لا يليق به، ومعنى بحمده أي بحمد أقول ذلك، ويحتمل أن يكون المعنى

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسَأَلَ بِهِ خَيْرًا ﴿٥٩﴾
 وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴿٦٠﴾ نَبَارَكَ الَّذِي
 جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا ﴿٦١﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً
 لِمَن أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا

سَبَّحَهُ مُتَلَبِّسًا بِحَمْدِهِ، فهو أمر بأن يجمع بين التسبيح والحمد ﴿وَكَفَىٰ بِهِ بَدْنُوبٍ عِبَادِهِ
 خَيْرًا﴾ يحتمل أن يكون المراد بهذا بيان حلمه وشفوه عن عباده مع علمه بذنوبهم أو بكون
 المراد تهديد العباد لعلم الله بذنوبهم ﴿اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ ذكر في الأعراف ﴿الرَّحْمَنُ﴾
 خبر ابتداء مضمرة، أو بدل من الضمير في استوى ﴿فَأَسْأَلَ بِهِ خَيْرًا﴾ فيه معنيان: أحدهما
 وهو الأظهر: أن المراد أسأل عنه من هو خير عارف به، وانتصب خيرًا على المفعولية،
 وهذا الخير المسؤول هو جبريل عليه السلام والعلماء وأهل الكتاب والباء في قوله به:
 يحتمل أن تتعلق بخيرًا، أو تتعلق بالسؤال، ويكون معناها على هذا معنى عن، والمعنى
 الثاني، أن المراد أسأل بسؤاله خيرًا أي إن سألته تعالى تجده خيرًا بكل شيء، فانتصب
 خيرًا على الحال، وهو كقولك لو رأيت فلانًا رأيت به أسدًا: أي رأيت برؤيته أسدًا ﴿قَالُوا
 وَمَا الرَّحْمَنُ﴾ لما ذكر الرحمن في القرآن أنكرته قريش، وقالوا لا نعرف الرحمن، وكان
 مسيلمة الكذاب قد تسمى بالرحمن، فقالوا على وجه المغالطة إنما الرحمن الرجل الذي
 باليمامة ﴿أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا﴾ تقديره لما تأمرنا أن نسجد له ﴿وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾ الضمير
 المفعول في زادهم يعود على المقول وهو اسجدوا للرحمن ﴿بُرُوجًا﴾ يعني المنازل الاثني
 عشر، وقيل الكواكب العظام ﴿سِرَاجًا﴾ يعني الشمس، وقرئ بضم السين والراء على
 الجمع: يعني جميع الأنوار ثم خص القمر بالذكر تشريفًا ﴿جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً﴾ أي
 يخلف هذا هذا، وقيل هو من الاختلاف، لأن هذا أبيض وهذا أسود، والخلفة اسم الهيئة:
 كالركبة والجلسة، والأصل جعلهما ذوي خلفه ﴿لِمَن أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ﴾ قيل معناه يعتبر في
 المصنوعات، وقيل معناه يتذكر لما فاته من الصلوات وغيرها في الليل فيستدركه في النهار
 أو فاته بالنهار فيستذكره بالليل، وهو قول عمر بن الخطاب وابن عباس رضي الله عنهما
 ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ﴾ أي عباده المرضيون عنده، فالعبودية هنا للتشريف والكرامة، وعباد مبتدأ
 وخبره الذين يمشون، أو قوله في آخر السورة أولئك يجزون الغرفة ﴿الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى
 الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ أي رفقا ولينا بحلم ووقار، ويحتمل أن يكون ذلك وصف مشيهم على
 الأرض أو وصف أخلاقهم في جميع أحوالهم، وعت بالمش على الأرض عن جميع

خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَمًا ﴿١٣﴾ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴿١٤﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿١٥﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿١٦﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴿١٧﴾ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿١٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿١٩﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٢٠﴾ وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴿٢١﴾ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ

تصرفهم مدة حياتهم ﴿قَالُوا سَلَامًا﴾ أي قالوا قولاً سديداً ليدفع الجاهل برفق، وقيل معناه قالوا للجاهل سلاماً أي هذا اللفظ بعينه بمعنى سلمنا منكم قال بعضهم هذه الآية منسوخة بالسيف، وإنما يصح النسخ في حق الكفار، وأما الإغضاء عن السفهاء والحلم عنهم فمستحسن غير منسوخ ﴿إِنَّ عَذَابَهَا﴾ وما بعده يحتمل أن يكون من كلامهم أو من كلام الله عز وجل ﴿كَانَ غَرَامًا﴾ أي هلاكاً وخسراناً، وقيل ملازماً ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا﴾ الإقتار هو التضييق في النفقة والشح وضده الإسراف فنهى عن الطرفين وأمر بالتوسط بينهما وهو القوام، وذلك في الإنفاق في المباحات وفي الطاعات، وأما الإنفاق في المعاصي فهو إسراف، وإن قل ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ أي عقاباً، وقيل الأثام الإثم فمعناه يلقي جزاء أثام؛ وقيل الأثام: واد في جهنم، والإشارة بقوله ذلك إلى ما ذكر من الشرك بالله وقتل النفس بغير حق والزنا ﴿وَيُخْلَدُ فِيهِ مُهَانًا﴾ قيل نزلت في الكفار لأنهم المخلدون في النار بإجماع، فكأنه قال الذين يجمعون بين الشرك والقتل والزنا، وقيل نزلت في المؤمنين الذي يقتلون النفس ويزنون، فأما على مذهب المعتزلة فالخلود على بابه، وأما على مذهب أهل السنة فالخلود عبارة عن طول المدة ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ﴾ إن قلنا الآية في الكفار فلا إشكال فيها، لأن الكافر إذا أسلم صحّت توبته من الكفر والقتل والزنا، وإن قلنا إنها في المؤمنين فلا خلاف أن التوبة من الزنا تصح، واختلف هل تصح توبة المسلم من القتل أم لا ﴿يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ قيل يوفقهم الله لفعل الحسنات بدلاً عما عملوا من السيئات، وقيل إن هذا التبديل في الآخرة: أي يبدل عقاب السيئات بثواب الحسنات ﴿يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾ أي متاباً مقبولاً مرضياً عند الله كما تقول لقد قلت يا فلان قولاً أي قولاً حسناً ﴿لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾ أي لا يشهدون بالزور وهو الكذب فهو من الشهادة، وقيل

وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴿٧٦﴾ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٧﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٨﴾ أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْعُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا نَجِيَّةً وَسَلَامًا ﴿٧٩﴾ خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٨٠﴾ قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴿٨١﴾

معناه لا يحضرون مجالس الزور واللغو فهو على هذا من المشاهدة والحضور والأول أظهر ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ اللغو هو الكلام القبيح على اختلاف أنواعه، ومعنى مَرُّوا كرامًا أي عرضوا عنه واستحيوا ولم يدخلوا مع أهله تنزيهاً لأنفسهم عن ذلك ﴿لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ أي لم يعرضوا عن آيات الله بل أقبلوا عليها بأسماعهم وقلوبهم، فالنفي للضمم والعمى لا للخرور عليها ﴿قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ قيل معناه اجعل أزواجنا وذريتنا مطيعين لك، وقيل أدخلهم معنا الجنة، واللفظ أعم من ذلك ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ أي قدوة يقتدي بها المتقون فإمام مفرد يراد به الجنس، وقيل هو جمع أم أي متبع ﴿الْعُرْفَةَ﴾ يعني غرفة الجنة فهي اسم جنس ﴿قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾ يحتمل أن تكون ما نافية أو استفهامية، وفي معنى الدعاء هنا ثلاثة أقوال: الأول: أن المعنى إن الله لا يبالي بكم لولا عبادتكم له فالدعاء بمعنى العبادة وهذا قريب من معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] الثاني: أن الدعاء بمعنى الاستغاثة والسؤال، والمعنى لا يبالي الله بكم، ولكن يرحمكم إذا استغثتم به ودعوتموه ويكون على هذين القولين خطاباً لجميع الناس من المؤمنين والكافرين لأن فيهم من يعبد الله ويدعوه أو خطاباً للمؤمنين خاصة لأنهم هم الذين يدعون الله ويعبدونه، ولكن يضعف هذا بقوله: ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ﴾ الثالث: أنه خطاب للكفار خاصة والمعنى على هذا: ما يعبا بكم ربي لولا أن يدعوكم إلى دينه، والدعاء على هذا بمعنى الأمر بالدخول في الدين، وهو مصدر مضاف إلى المفعول، وأما على القول الأول والثاني فهو مصدر مضاف إلى الفاعل ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ﴾ هذا خطاب لقريش وغيرهم من الكفار دون المؤمنين ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾ أي سوف يكون العذاب لزاماً ثابتاً وأضمر العذاب وهو اسم كان لأنه جزء التكذيب المتقدم، واختلف هل يراد بالعذاب هنا القتل يوم بدر، أو عذاب الآخرة.

سورة الشعراء

مكتبة الآية ١٩٧ ومن آية ٢٢٤
إلى آخر السورة فمدنية وآياتها ٢٢٧ نزلت بعد الواقعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طسّم ﴿١﴾ تَلْكَ ءَايَاتِ الْكِتَابِ الْأَمِينِ ﴿٢﴾ لَعَلَّكَ بِنِعْمِ فَسْكَ الْآيَاتِ الْكُتُبِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ إِنْ نَشَأْ نُزِّلْ عَلَيْهِمْ
مِنَ السَّمَاءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴿٤﴾ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ مُخَدِّثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْتَهُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿طسّم﴾ تكلمنا على حروف الهجاء في أول سورة البقرة، ويخض هذا أنه قيل الطاء من ذي الطول، والسين من السميع أو السلام، والميم من الرحيم أو المنعم ﴿بِأَخَع﴾ ذكر في الكهف ﴿فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ الأعناق جمع عنق وهي الجازحة المعروفة، وإنما جمع خاضعين جمع العقلاء لأنه أضاف الأعناق إلى العقلاء، ولأنه وصفها بفعل لا يكون إلا من العقلاء، وقيل الأعناق الرؤساء من الناس شبهوا بالأعناق كما يقال لهم رؤوس وصدور، وقيل هم الجماعات من الناس، فلا يحتاج جمع خاضعين إلى تأويل ﴿مُخَدِّثٍ﴾ يعني به محدث الإتيان ﴿فَسَيَأْتِيهِمْ﴾ الآية: تهديد ﴿مِنْ كُلِّ رَوْحٍ﴾ أي من كل صنف من النبات فيعم ذلك الأقوات والفواكه والأدوية والمرعى، ووصفه بالكرم لما فيه من الحُسن ومن المنافع ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾ الإشارة إلى ما تقدّم من الثبات وإنما ذكره بلفظ الإفراد لأنه أراد أن في كل واحد آية أو إشارة إلى مصدر قوله: ﴿أَنْبَتْنَا﴾ ﴿وَيَضِيقُ صُدْرِي﴾

مُعْرِضِينَ ﴿٥﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمَا أَنْبَأْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٩﴾ وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنْ أَنْتَ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۗ أَلَا يَنْقُوتُ ﴿١١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَارُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمْ عَلَىٰ ذُنُوبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ قَالَ كَلَّا فَادْهَبَا بِعَائِلَتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأَتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَمَنَّا فِينَا مِنْ عُمَرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعَلْتَاكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ فَعَلْنَاهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ

بالرفع عطف على أخاف، أو استئناف، وقرىء بالنصب عطفًا على يكذبون ﴿فَأَرْسِلْ إِلَيَّ هَارُونَ﴾ أي اجعله معي رسولاً أستعين به ﴿وَلَهُمْ عَلَيَّ ذُنُوبٌ﴾ يعني قتله للقبطي ﴿قَالَ كَلَّا﴾ أي لا تخف أن يقتلوك ﴿إِنَّا مَعَكُمْ﴾ خطاب لموسى وأخيه ومن كان معهما. أو على جعل الاثنين جماعة ﴿مُسْتَمِعُونَ﴾ لفظه جمع، وورد مورد تعظيم الله تعالى، ويحتمل أن تكون الملائكة هي التي تسمع بأمر الله، لأن الله لا يوصف بالاستماع، وإنما يوصف بالسمع والأول أحسن، وتأويله: أن في الاستماع اعتناء واهتمامًا بالأمر ليست في صفة سامعون والخطاب في قوله معكم لموسى وهارون وفرعون وقومه، وقيل لموسى وهارون خاصة على معاملة الاثنين معاملة الجماعة وذلك على قول من يرى أن أقل الجمع اثنان ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ﴾ إن قيل لِمَ أفردته وهما اثنان؟ فالجواب من ثلاثة أوجه: الأول أن التقدير كل واحد من رسول. الثاني أنهما جعلتا كشخص واحد لاتفاقهما في الشريعة، ولأنهما أخوان فكأنهما واحد. الثالث أن رسول هنا مصدر وصف به، فلذلك أطلق على الواحد والاثنين والجماعة، فإنه يقال رسول بمعنى رسالة، بخلاف قوله إنا رسولاً، فإنه بمعنى الرسل ﴿أَنْ أَرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ أي أطلقهم ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا﴾ قصد فرعون بهذا الكلام المنع على موسى والاحتقار له ﴿وَفَعَلْتَ فَعَلْتَاكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ قصد فرعون بهذا الكلام توبيخ موسى عليه السلام ويعني بالفعل: القتل للقبطي، والواو في قوله وأنت إن كانت للحال فقوله من الكافرين معناه كافرًا بهذا لدين الذي جئت به لأن موسى إنما أظهر لهم الإسلام بعد الرسالة، وقد كان قبل ذلك مؤمنًا، ولم يعلم بذلك فرعون، وقيل معناه من الكافرين بنعمتي، وإن كانت الواو للاستئناف: فيحتمل أن يريد من الكافرين بديني، ومن الكافرين

مِنْكُمْ لَمَّا خَفَّكُمْ فَوَهَّبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَئِنْ أَخَذتَّ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوْلَوْ جِثَّتْ بِشْيءٍ مُبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ

السلام، والضمير في قوله فعلتها لقتله القبطي، واختلف في معنى قوله من الضالين، فقيل معناه من الجاهلين بأن وكزني تقتله، وقيل معناه من الناسين، فهو كقوله: ﴿أَنْ تَضَلَّ إِحْدَاهُمَا﴾ [البقرة: ٢٨٢] وقوله: ﴿إِذَا﴾ صلة في الكلام، وكأنها بمعنى حينئذ، قال ذلك ابن عطية ﴿فَفَرَزْتُ مِنْكُمْ﴾ أي من فرعون وقومه، ولذلك جمع ضمير الخطاب بعد أن أفرد في قوله: ﴿تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ معنى عبدت ذللت واتخذتهم عبيداً، فمعنى هذا الكلام أنك عددت نعمة علي تعبيد بني إسرائيل وليست في الحقيقة بنعمة إنما كانت نعمة لأنك كنت تذبح أبناءهم ولذلك وصلت أنا إليك فريبتني، فالإشارة بقوله تلك إلى التربية وأن عبدت في موضع رفع عطف بيان على تلك أو في موضع نصب على أنه مفعول من أجله، وقيل معنى الكلام تربيتك نعمة علي لأنك عبدت بني إسرائيل وتركتني فهي في المعنى الأول إنكار لنعمته وفي الثاني اعتراف بها ﴿قَالَ لَئِنْ أَخَذتَّ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ لما أظهر فرعون الجهل بالله فقال: ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾؛ أجابه موسى بقوله: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، فقال: ﴿أَلَا تَسْتَمِعُونَ﴾: تعجباً من جوابه فزاد موسى في إقامة الحجة بقوله: ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ﴾ لأن وجود الإنسان وآبائه أظهر الأدلة عند العقلاء وأعظم البراهين فإن أنفسهم أقرب الأشياء إليهم فيستدلون بها على وجود خالقهم، فلما ظهرت هذه الحجة حاد فرعون عنها ونسب موسى إلى الجنون مغالطة عنه، وأيد الأزدراء والتهكم في قوله: ﴿رَسُولُكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ﴾ فزاد موسى في إقامة الحجة بقوله: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾، لأن طلوع الشمس وغروبها آية ظاهرة لا يمكن أحداً جحدها ولا أن يدعيها لغير الله، ولذلك أقام إبراهيم الخليل بها الحجة على نمرود، فلما انقطع فرعون بالحجة رجع إلى الاستعلاء والتغلب فهذه بالسجن، فأقام موسى عليه الحجة بالمعجزة، وذكرها له بتلطف طمعا في إيمانه، فقال: ﴿أَوْ لَوْ جِثَّتْ بِشْيءٍ مُبِينٍ﴾ والواو واو الحال دخلت عليها همزة الاستفهام

كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَرَعَ بِدُمُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ
 لِلنَّظِيرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا
 تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَا قُتُوبُ كُلِّ سَحَابٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾
 فَجَمَعَ السَّحَرَةُ لِيَقْدَتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾ لَعَلْنَا نَبْعِثَ السَّحَرَةَ إِنْ
 كَانُوا هُمْ الْغَالِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَإِنَّا لَنَا أَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ
 وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْا جِبَاهَهُمْ وَعَصِيَّهُمْ وَقَالُوا
 بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأَلْقَى السَّحَرَةُ
 سِحْرَهُمْ ﴿٤٦﴾ قَالُوا أَمَّا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ أَمْسِرْ لَمْ يَقْبَلْ أَنْ يَأْذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ
 لَكَبِيرٌ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ نَعْتَمُونَ^٤ لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَأَصْلَبَنَّاكُمْ
 أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُوا لَا ضَيْرٌ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَنَا أَنْ كُنَّا أُولَ
 الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾ وَأَرْجَبْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرَ بِعِبَادِي إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنَ فِي الْمَدَائِنِ
 حَاشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِبُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَادِرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ
 جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٥٩﴾ فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾

وتقديره أتفعل بي ذلك ولو جنتك بشيء مبين، وقد تقدم في الأعراف ذكر العصا واليد،
 وماذا تأمرون، وأرجه، وحاشرين فإن قيل: كيف قال أولاً ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾، ثم قال
 آخرًا: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾؟ فالجواب أنه لاين أولاً طمعاً في إيمانهم، فلما رأى منهم العناد
 والمغالطة: وبخهم بقوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾، وجعل ذلك في مقابلة قول فرعون إن
 رسولكم لمجنون ﴿لِمِيقَاتِ يَوْمٍ﴾ هو يوم الزينة ﴿تَتَّبِعُ السَّحَرَةَ﴾ أي تبعهم في نصره ديننا
 لا في عمل السحر، لأن عمل السحر كان حراماً ﴿بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ﴾ قسم أقسموا به، وقد تقدم
 في الأعراف تفسير ما يأفكون، وما بعد ذلك ﴿لَا ضَيْرٌ﴾ أي لا يضرنا ذلك لأننا نقلب إلى
 الله .

﴿أَسْرَ بِعِبَادِي﴾ يعني بني إسرائيل ﴿إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ﴾ إخبار باتباع فرعون ﴿لَشِرْذِمَةٌ
 قَلِيلُونَ﴾ الشرذمة الطائفة من الناس، وفي هذا احتقار لهم على أنه رُوي أنهم كانوا ستمائة
 ألف، ولكن جنود فرعون

فَلَمَّا تَرَاهُ الْجَمْعَانَ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمَذْرُؤُنَ ﴿١١﴾ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿١٢﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴿١٣﴾ وَأَزَلْفُنَا تَمَّ الْآخِرِينَ ﴿١٤﴾ وَأَجْنَيْنَا مُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ ﴿١٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٨﴾ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٠﴾ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ ﴿٢١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٢٢﴾ أَوْ يَفْعَلُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٢٣﴾ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٢٥﴾

بمصر، والعيون الخلجان الخارجة من النيل، وكانت ثم عيون في ذلك الزمان، وقيل يعني الذهب والفضة وهو بعيد ﴿وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ مجالس الأمراء والحكام، وقيل المنابر، وقيل المساكن الحسان ﴿كَذَلِكَ﴾ في موضع خفض صفة لمقام أو في موضع نصب على تقدير أخرجناهم مثل ذلك الإخراج، أو في موضع رفع على أنه خير ابتداء تقديره الأمر كذلك ﴿وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ أي أورثهم الله مواضع فرعون بمصر على أن التواريخ لم يذكر فيها ملك بني إسرائيل لمصر، وإنما المعروف أنهم ملكوا الشام فتأويله على هذا أورثهم مثل ذلك بالشام ﴿فَاتَّبَعُوهُمْ﴾ أي لحقوهم، وضمير الفاعل لفرعون وقومه، وضمير المفعول لبني إسرائيل ﴿مُشْرِقِينَ﴾ معناه داخلين في وقت الشروق وهو طلوع الشمس، وقيل معناه نحو المشرق وانتصابه على الحال ﴿تَرَاءَا الْجَمْعَانَ﴾ وزن تراءى تفاعل، وهو منصوب من الرؤية، والجمعان جمع موسى وجمع فرعون أي رأى بعضهم بعضاً ﴿فَانْفَلَقَ﴾ تقدير الكلام فضرب موسى البحر فانفلق ﴿كُلُّ فِرْقٍ﴾ أي كل جزء منه والطود الجبل، ورؤي أنه صار في البحر اثني عشر طريقاً لكل سبط من بني إسرائيل طريق ﴿وَأَزَلْفُنَا تَمَّ الْآخِرِينَ﴾ يعني بالآخرين فرعون وقومه، ومعنى أزلفنا قربناهم من البحر ليغرقوا، وثم هنا ظرف يراد به حيث انفلق البحر وهو بحر القلزم ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾ إنما سألهم مع علمه بأنهم يعبدون الأصنام ليبين لهم أن ما يعبدونه ليس بشيء، ويقيم عليهم الحجة ﴿قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا﴾ إن قيل لم صرحوا بقولهم نعبد، مع أن السؤال وهو قوله ما تعبدون يغني عن التصريح بذلك، وقياس مثل هذا الاستغناء بدلالة السؤال كقوله: ما أنزل ربكم؟ قالوا: خيراً، فالجواب أنهم صرحوا بذلك على وجه الافتخار والابتهاج بعبادة الأصنام، ثم زادوا قولهم فنظّل لها عاكفين مبالغة في ذلك ﴿بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا﴾ اعتراف بالتقليد المحض ﴿إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ استثناء منقطع وقيل متصل لأن في آبائهم من عبد الله تعالى ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ﴾

أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾
 وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرَضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾
 وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقِيقِي
 بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَأَغْفِرْ
 لِأَيِّئِ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الصَّالِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ
 بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ إِنَّا مَا كُنْتُمْ
 تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْصُرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكُفِّبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ﴿٩٤﴾ وَحُنُودٌ إِلَّا لَيْسَ
 أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نَسُو كُمْ رَبِّ
 الْعَالَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً

فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿﴾ أسند المرض إلى نفسه وأسند الشفاء إلى الله تأدباً مع الله ﴿﴾ أَنْ يَغْفِرَ لِي
 خَطِيئَتِي ﴿﴾ قيل أراد كذباته الثلاثة الواردة في الحديث وهي قوله في سارة زوجته هِيَ
 أُخْتِي، وقوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصفافات: ٨٩]، وقوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ﴾
 [الأنبياء: ٦٣]، وقيل أراد الجنس على الإطلاق، لأن هذه الثلاثة من المعارض
 فلا إثم فيها ﴿لِسَانَ صِدْقٍ﴾ ثناء جميلاً ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ﴾ وما بعده منقطع عن كلام إبراهيم،
 وهو من كلام الله تعالى، ويحتمل أن يكون أيضاً من كلام إبراهيم ﴿إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ
 سَلِيمٍ﴾، قيل سليم من الشرك والمعاصي، وقيل الذي يلقي ربه وليس في قلبه شيئاً غيره
 وقيل بقلب لديغ من خشية الله، والسليم هو اللديغ لغة، وقال الزمخشري هذا من بدع
 التفاسير، وهذا الاستثناء يحتمل أن يكون متصلاً فيكون من أتى الله مفعولاً بقوله لا ينفع،
 والمعنى على هذا أن المال لا ينفع إلا مَنْ أنفقه في طاعة الله، وأن البنين لا ينفعون إلا مَنْ
 علمهم الدين وأوصاهم بالحق، ويحتمل أيضاً أن يكون متصلاً، ويكون قوله مَنْ آتَى اللَّهَ
 بدلاً من قوله مال ولا بنون على حذف مضاف تقديره إلا مال من أتى الله وبنوه ويحتمل أن
 يكون منقطعاً بمعنى لكن ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ﴾ أي قربت ﴿لِلْغَاوِينَ﴾ يعني المشركين بدلالة ما
 بعده ﴿فَكُفِّبُوا فِيهَا﴾ ككبوا مضاعف من كب كررت حروفه دلالة على تكرير معناه: أي
 كبهم الله في النار مرة بعد مرة، والضمير للأصنام، والغاؤون هم المشركون، وقيل الضمير
 للمشركين، والغاؤون هم الشياطين ﴿نَسُو كُمْ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ أي نجعلكم سواء معه ﴿وَمَا
 أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ﴾ يعر

فَتَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١١٩﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢١﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٢٢﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرْتُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢٣﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٢٤﴾ قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ ﴿١٢٥﴾ قَالَ وَمَا عَلِمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٦﴾ إِنْ حَسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١٢٧﴾ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٨﴾ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿١٢٩﴾ قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنْتَهَ يَنْتُوحْ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴿١٣٠﴾ قَالَ رَبِّ إِنْ قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴿١٣١﴾ فَأَفْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَبِحَنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَجْعَلْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفَلَكَ الْمَشْحُونِ ﴿١٣٣﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدَ الْبَاقِينَ ﴿١٣٤﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣٥﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٣٦﴾ كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٧﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٣٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٤٠﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرْتُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٤١﴾ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٤٢﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٤٣﴾ وَإِذَا بَطِشْتُمْ بَطِشْتُمْ جَبَارِينَ ﴿١٤٤﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٤٥﴾

الود، قال الزمخشري جمع الشفعاء ووجد الصديق لكثرة الشفعاء في العادة، وقلة الأصدقاء ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ أسند الفعل إلى القوم، وفيه علامة التأنيث، لأن القوم في معنى الجماعة والأمة، فإن قيل: كيف قال المرسلين بالجمع وإنما كذبوا نوحًا وحده؟ فالجواب من وجهين: أحدهما أنه أراد الجنس كقولك فلان يركب الخيل وإنما لم يركب إلا فرسًا واحدًا، والآخر أن من كذب نبيًا واحدًا فقد كذب جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، لأن قولهم واحد ودعوتهم سواء، وكذلك الجواب في كذبت عاد المرسلين وغيره ﴿وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾ جمع أرذل، وقد تقدم الكلام عليه في قوله: ﴿أَرَادْنَا﴾ [هود: ٢٧] في هود ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ يعني الذين سمّوهم أرذلين، فإن الكفار أرادوا من نوح أن يطردهم كما أرادت قريش من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يطرد عمار بن ياسر وصهيبًا وبلالًا وأشباههم من الضعفاء ﴿الْمَرْجُومِينَ﴾ يحتمل أن يريدوا الرجم بالحجارة، أو بالقول وهو الشتم ﴿فَأَفْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ﴾ أي احكم بيننا ﴿فِي الْفَلَكَ الْمَشْحُونِ﴾ أي المملوء ﴿بِكُلِّ رِيعٍ﴾ الريع المكان المرتفع وقيل الطريق ﴿آيَةً﴾ يعني المباني الطوال وقيل أبراج الحمام ﴿مَصَانِعَ﴾ جمع مصنع وهو ما أتقن صنعه من المباني، وقيل مأخذ الماء ﴿أَمَدَكُمْ بِأَنْعَامٍ﴾ الآية تفسير لقوله أمدكم بما تعلمون فأبهم أولاً ثم فسره

وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣٦﴾ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَمٍ وَبَيْنَ ﴿١٣٣﴾ وَحَثَّتْ وَعْيُونِ ﴿١٣٦﴾ إِنْ أَحَافَ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنْ لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٤٤﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٤٥﴾ أَتُرْكُونَ فِي مَا هَلَنْتُمْ عَلَيْكُمْ أَمْنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِي جَنَّتِ وَعْيُونِ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلَعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحَتُونَ مِنَ الْجِبَالِ يَوْمًا قَرِيبِينَ ﴿١٤٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٥٠﴾ وَلَا تَطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمْسُوهَا يَسُوءٍ فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾ فَمَقَرُّوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ

﴿خُلُقِ الْأَوَّلِينَ﴾ بضم الخاء واللام أي عاداتهم والمعنى أنهم قالوا ما هذا الذي عليه من ديننا إلا عادة الناس الأولين، وقرىء بفتح الخاء وإسكان اللام، ويحتمل على هذا وجهين: أحدهما أنه بمعنى الخلقة والمعنى ما هذه الخلقة التي نحن عليها إلا خلقة الأولين والآخر أنها من الاختلاق بمعنى الكذب، والمعنى ما هذا الذي جئت به إلا كذب الأولين ﴿أَتُرْكُونَ﴾ تخويف لهم معناه أطمعون أن تتركوا في النعم على كفركم ﴿وَنَخْلٍ طَلَعُهَا هَضِيمٌ﴾ الطلع عنقود التمر في أول نباته قبل أن يخرج من الكم، والهضيم: اللين الرطب، قائم معنى طلوعها يتم ويرطب، وقيل هو الرخص أول ما يخرج، وقيل الذي ليس فيه نوى، فإن قيل: لِمَ ذكر النخل بعد ذكر الجنات والجنات تحتوي على النخل؟ فالجواب: أن ذلك تجريد كقوله فاكهة ونخل ورمآن، ويحتمل أنه أراد الجنات التي ليس فيها نخل ثم عطف عليها النخل ﴿وَتَنْحَتُونَ﴾ ذكر في الأعراف ﴿فَارِهِينَ﴾ قرىء بألف وبغير ألف وهو منصوب على الحال من الفاعل في تنحتون، وهو مشتق من الفراهة وهي النشاط والكيس، وقيل معناه أقوياء وقيل أشرين بطرين ﴿مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾ مبالغة في المسحورين، وهو من السحر بكسر السين، وقيل من السحر بفتح السين وهي الرؤية، والمعنى على هذا إنما أنت بشر ﴿لَهَا شِرْبٌ﴾ أي حظ من الماء الذي لا يشربون منه إلا ما يشربونهم حسبما أخبرهم

الرَّحِيمِ ﴿١٥٩﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا نُنْفِقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَانْفِقُوا لِلَّهِ وَأَطِيعُوا لِلَّهِ ﴿١٦٣﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٤﴾ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَجَنَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَدِيرِ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَرْنَا الْأَخْرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا نَسَاءً مَطَرُ الْمُنذِرِينَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾ كَذَّبَ أَصْحَابُ لَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمُ شُعَيْبٌ أَلَا نُنْفِقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَانْفِقُوا لِلَّهِ وَأَطِيعُوا لِلَّهِ ﴿١٧٩﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٠﴾ ﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾ وَأَتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْحِجْلَةَ الْأُولَىٰ ﴿١٨٤﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ النَّاسِ﴾

صالح عليه السلام ندموا حين لا تنفعهم الندامة ﴿فَأَخَذْتُهُمُ الصَّيْحَةَ﴾ [الحجر: ٧٣ و٨٣] و[المؤمنون: ٤١] التي ماتوا منها وهي العذاب المذكور هنا ﴿مِنَ الْقَالِينَ﴾ أي من المبغضين، وفي قوله قال ومن القالين: ضرب من ضرب التجنيس ﴿مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾ أي نجني من عقوبة عملهم أو اعصمني من عملهم والأول أرجح ﴿إِلَّا عَجُوزًا﴾ يعني امرأة لوط ﴿فِي الْغَدِيرِ﴾ ذكر في الأعراف وكذلك ﴿أَمْطَرْنَا﴾ ﴿أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ﴾ قرئ بالهمز وخفض التاء مثل الذي في الحجر وق، ومعناه الغيضة من الشجر، وقرئ هنا وفي ص: بفتح اللام والتاء، فقليل إنه مسهل من الهمز، وقيل إنه اسم بلدهم، ويقوي هذا: القول بأنه على هذه القراءة بفتح التاء غير منصرف، يدل على ذلك أنه اسم علم، وضعت ذلك الزمخشري، وقال إن الأيكة اسم لا يعرف ﴿إِذْ قَالَ لَهُمُ شُعَيْبٌ﴾ لم يقل هنا أخوهم كما قال في قصة نوح وغيره، وقيل إن شعيبا بعث إلى مدين، وكان من قبيلتهم، فلذلك قال وإلى مدين أخاهم شعيبا، وبعث أيضا إلى أصحاب الأيكة ولم يكن منهم فلذلك لم يقل أخوهم، فكان شعيبا على هذا مبعوثا إلى القبيلتين وقيل إن أصحاب الأيكة مدين ولكنه قال أخوهم حين ذكرهم باسم قبيلتهم، ولم يقل أخوهم حين نسبهم إلى الأيكة التي هلكوا فيها تنزيها لشعيب عن النسبة إليها ﴿مِنَ الْمُخْسِرِينَ﴾ أي من الناقصين للكيل والوزن ﴿بِالْقِسْطَاسِ﴾ الميزان المعتدل ﴿وَالْحِجْلَةَ﴾ يعني القرون المتقدمة ﴿عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ﴾ هي

الْمَسْحَرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَاسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ
 السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّيَ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمَ
 الظُّلَّةِ إِنَّهُمْ كَانَ عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ
 الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾ وَإِنَّهُ لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ
 الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَأْعَمَّهُ عُلَمَاؤُا بَنِي
 إِسْرَائِيلَ ﴿١٩٧﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾ كَذَلِكَ
 سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾ فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً
 وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾ فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ أَفِعْدَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾ أَفَرَأَيْتَ إِنْ

سحابة من نار أحرقتهم، فأهلك الله مدين بالصيحة، وأهلك أصحاب الأيكة بالظلة، فإن قيل: لِمَ كَرَّرَ قوله إن في ذلك آية مع كل قصة؟ فالجواب: أن ذلك أبلغ في الاعتبار، وأشدّ تنبيهاً للقلوب وأيضاً فإن كل قصة منها كأنها كلام قائم مستقل بنفسه، فختمت بما ختمت به صاحبها ﴿وَإِنَّهُ لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الضمير للقرآن ﴿الروح الأمين﴾ يعني جبريل عليه السلام ﴿عَلَى قَلْبِكَ﴾ إشارة إلى حفظه إياه، لأن القلب هو الذي يحفظ ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ﴾ يعني كلام العرب هو متعلق بنزل أو المنذرين ﴿وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ﴾ المعنى أن القرآن مذكور في كتب المتقدمين ففي ذلك دليل على صحته ثم أقام الحجة على قريش بقوله: ﴿أَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَغْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ بأنه من عند الله آية لكم وبرهان، والمراد من أسلم من بني إسرائيل كعبد الله بن سلام وقيل الذين كانوا يبشرون بمبعثه عليه الصلاة والسلام ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ﴾ الآية جمع أعجم، وهو الذي لا يتكلم سواء كان إنساناً أو بهيمة أو جماداً والأعجمي: المنسوب إلى الأعجم، وقيل بمعنى الأعجم، ومعنى الآية: أن القرآن لو نزل على من لا يتكلم، ثم قرأه عليهم لا يؤمنوا لإفراط عنادهم، ففي ذلك تسلية للنبي ﷺ على كفرهم به مع وضوح برهانه ﴿كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾ معنى سلكناه، أدخلناه، والضمير للتكذيب الذي دلّ عليه ما تقدّم من الكلام، أو للقرآن أي سلكناه في قلوبهم مكذباً به، وتقدير قوله: كذلك مثل هذا السلك سلكناه، والمجرمين: يحتمل أن يريد به قريشاً أو الكفار المتقدمين ولا يؤمنون: تفسير للسلك الذي سلكه في قلوبهم ﴿فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ﴾ تمنوا أن يؤخروا حين لم ينفعهم التمني ﴿أَفِعْدَابِنَا يَا﴾

مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٩﴾ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٢١٠﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَمْتَعُونَ ﴿٢١١﴾ وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرِيبَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ ﴿٢١٢﴾ ذَكَرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢١٣﴾ وَمَا نَزَّلْنَا بِهِ الشَّيَاطِينَ ﴿٢١٤﴾ وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١٥﴾ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمْعَرُولُونَ ﴿٢١٦﴾ فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونُ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ ﴿٢١٧﴾ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٨﴾ وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٩﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنَّي بِرِيءٍ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢٠﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٢٢١﴾ الَّذِي يَرِيكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢٢٢﴾ وَتَقَلِّبُكَ فِي السَّجْدِينَ ﴿٢٢٣﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٢٢٤﴾ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَا نَزَّلَ الشَّيَاطِينَ ﴿٢٢٥﴾ نَزَّلُوا عَلَىٰ فُؤَادٍ عَلِيمٍ ﴿٢٢٦﴾ [الأنفال: ٣٢] وشبه ذلك.

﴿أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ﴾ المعنى أن مدة إمهالهم لا تغني مع نزول العذاب بعدها، وإن طالت مدة سنين، لأن كل ما هو آت قريب، قال بعضهم ﴿سِنِينَ﴾ يريد به عمر الدنيا ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرِيبَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ﴾ المعنى أن الله لم يهلك قوماً إلا بعد أن أقام الحجة عليهم بأن أرسل إليهم رسولا فأنذروهم فكذبوه ﴿ذَكَرَى﴾ منصوب على المصدر من معنى الإنذار أو على الحال من الضمير في منذرون، أو على المفعول من أجله، أو مرفوع على أنه خبر ابتداء مضمرة ﴿وَمَا نَزَّلْنَا بِهِ الشَّيَاطِينَ﴾ الضمير للقرآن، وهو رد على من قال إنه كهانة نزلت به الشياطين على محمد ﴿وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ أي ما يمكنهم ذلك ولا يقدر عليهم ولفظ ما ينبغي تارة يستعمل بمعنى لا يمكن وتارة بمعنى لا يليق ﴿إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمْعَرُولُونَ﴾ تعليل لكون الشياطين لا يستطيعون الكهانة لأنهم منعوا من استراق السمع منذ بعث محمد ﷺ، وقد كان أمر الكهان كثيراً متبشراً قبل ذلك ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ عشيرة الرجل هم قرابته الأذنون، ولما نزلت هذه الآية أنذر النبي صلى الله عليه وآله وآله وسلم قرابته فقال يا بني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار، ثم نادى كذلك ابنته فاطمة وعمته صفية، قال الزمخشري في معناه قولان أحدهما أنه أمر أن يبدأ بإنذار أقاربه قبل غيرهم من الناس، والآخر أنه أمر أن لا يأخذه ما يأخذ القريب من الرافة بقريه ولا يخافهم بالإنذار ﴿وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ﴾ عبارة عن لين الجانب والرفق، وعن التواضع ﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ﴾ أي حين تقوم في الصلاة، ويحتمل أن يريد سائر التصرفات ﴿وَتَقَلِّبُكَ فِي السَّجْدِينَ﴾ معطوف على الضمير المفعول في قوله يراك، والمعنى أنه يراك حين تقوم وحين تسجد، وقيل معناه يرى صلاتك مع المصلين، ففي ذلك إشارة إلى الصلاة مع الجماعة، وقيل يرى تقلب بصرك في المصلين

كُلُّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُرُهُمْ كَاذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾

خلفك لأنه عليه الصلاة والسلام كان يراهم من وراء ظهره ﴿تَنْزُلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ هذا جواب السؤال المتقدم وهو قوله هل أنبئكم على من تنزل الشياطين والأفَّاك الكذاب، والأثيم الفاعل للإثم يعني بذلك الكهان، وفي هذا رد على من قال إن الشياطين تنزلت على سيدنا محمد ﷺ بالكهانة، لأنها لا تنزل إلا على أفَّاكٍ أثيم، وكان صلى الله عليه وآله وسلم على غاية الصدق والبر ﴿يُلْقُونَ السَّمْعَ﴾ معناه يستمعون والضمير يحتمل أن يكون للشياطين بمعنى أنهم يستمعون إلى الملائكة، أن يكون للكهان بمعنى أنهم يستمعون إلى الشياطين، وقيل يلقون بمعنى يلقون المسموع، والضمير يحتمل أيضًا على هذا أن يكون للشياطين، لأنهم يلقون الكلام إلى الكهان أن يكون للكهان لأنهم يلقون الكلام إلى الناس ﴿وَأَكْثُرُهُمْ كَاذِبُونَ﴾ يعني الشياطين أو الكهان لأنهم يكذبون فيما يخبرون به عن الشياطين ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ لما ذكر الكهان ذكر الشعراء ليبين أن القرآن ليس بكهانة ولا شعر لتباين ما بين أوصافه وأوصاف الشعر والكهانة، وأراد الشعراء الذين يلقون من الشعر ما لا ينبغي كالهجاء والمدح بالباطل وغير ذلك، وقيل أراد شعراء الجاهلية، وقيل شعراء كفار قريش الذين كانوا يؤذون المسلمين بأشعارهم، والغاؤون قيل هم رواة الشعر وقيل هم سفهاء الناس الذين تعجبهم الأشعار لما فيها من اللغو والباطل، وقيل هم الشياطين ﴿فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾ استعارة وتمثيل أي يذهبون في كل وجه من الكلام الحق والباطل، ويفرطون في التجوز حتى يخرجوا إلى الكذب ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ الآية: استثناء من الشعراء يعني بهم شعراء المسلمين كحسان بن ثابت وغيره ممن أتصف بهذه الأوصاف، وقيل إن هذه الآية مدنية ﴿ذَكَرُوا اللَّهَ﴾ قيل معناه ذكروا الله في أشعارهم، وقيل يعني الذكر على الإطلاق ﴿وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا﴾ إشارة إلى ما قاله حسان بن ثابت وغيره من الشعراء في هجو الكفار بعد أن هجا الكفار النبي ﷺ ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ وعيد للذين ظلموا والظلم هنا بمعنى الاعتداء على الناس لقوله من بعد ما ظلموا وعمل

سورة النمل

مكية وآياتها ٩٣ نزلت بعد سورة الشعراء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طَسَّ تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ ﴿١﴾ هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الصَّلَاةَ
وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زِينَتًا لَّهُمْ أَعْمَلَهُمْ فَهُمْ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ﴾ عطف الكتاب على القرآن كعطف الصفات بعضها على بعض، وإن كان الموصوف واحداً ﴿هُدًى وَبُشْرَى﴾ في موضع نصب على المصدر أو في موضع رفع على أنه خبر ابتداء مضمرة ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ تحتل هذه الجملة أن تكون معطوفة فتكون بقية صلة الذين أو تكون مستأنفة وتمت الصلة قبلها، ورجح الزمخشري هذا ﴿يَعْمَهُونَ﴾ يتحIRON ﴿سُوءَ الْعَذَابِ﴾ يعني في الدنيا وهو القتل يوم بدر، ويحتمل أن يريد عذاب الآخرة، والأول أرجح لأنه ذكر الآخرة بعد ذلك ﴿لَعَلَّي الْقُرْآنِ﴾ أي تعطاه ﴿آتَسْتُ﴾ ذكر في طه، وكذلك ﴿قَبَسٍ﴾، والشهاب النجم شبه القبس به، وقرىء بإضافة شهاب إلى قبس وبالتنوين على البدل أو الصفة، فإن قيل: كيف قال هنا ساتيكم وفي الموضع الآخر لعلّي آتيكم، والفرق بين الترتيبي والتسوييف أن التسوييف متيقن الوقوع بخلاف الترتيبي؟ فالجواب أنه قد يقول الراجي: سيكون كذا: إذا قوي رجاؤه ﴿تَضَطَّلُونَ﴾

يَعْمَهُونَ ﴿٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرَوْا فِي السَّاعَةِ ﴿٥﴾ وَإِنَّكَ لَلَّذِي لِلْقَرْنَٰتِ
 مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآئِرُكُمْ مِنْهَا بِجَبْرِ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ
 لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾ فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحٰنَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨﴾
 يَمْوَسِيٰٓ إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٩﴾ وَأَلْقَىٰ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدِرًّا وَلَمْ يَعْقِبْ
 يَمْوَسِيٰٓ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَى الْمَرْسُولِ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَلْ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١﴾
 وَأَدْخَلَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَسِيقِينَ ﴿١٢﴾
 فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ وَيَحَدِّثُوا بِهَا وَأَسْتَقْبَلَتْنَهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا

معناه تستدفنون بالنار من البرد، ووزنه تفعلون، وهو مشتق من صلي بالنار والطاء بدل من
 التاء ﴿أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ أن مفسرة، وبورك من البركة، ومن في النار:
 يعني من في مكان النار ومن حولها: من حول مكانها: يريد الملائكة الحاضرين وموسى
 عليه السلام، قال الزمخشري: والظاهر أنه عام في كل من كان في تلك الأرض وفي ذلك
 الوادي وما حوله من أرض الشام ﴿وَسُبْحٰنَ اللَّهِ﴾ يحتمل أن يكون مما قيل في النداء
 لموسى عليه السلام، أو يكون مستأنفاً وعلى كلا الوجهين قصد به تنزيه الله مما عسى أن
 يخطر ببال السامع من معنى النداء، أو في قوله: ﴿بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ﴾ لأن المعنى نودي أن
 بورك من في النار، إذ قال بعض الناس فيه ما يجب تنزيه الله عنه ﴿وَأَلْقَىٰ عَصَاكَ﴾ هذه
 الجملة معطوفة على قوله بورك من في النار، لأن المعنى يؤدي إلى أن بورك من في النار،
 وأن ألقى عصاك وكلاهما تفسير للنداء ﴿كَأَنَّهَا جَانٌّ﴾ الجان الحية، وقيل الحية الصغيرة،
 وعلى هذا يشكل قوله فإذا هي ثعبان، والجواب: أنها ثعبان في جرمها، جان في سرعة
 حركتها ﴿وَلَمْ يَعْقِبْ﴾ لم يرجع أو لم يلتفت ﴿إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ استثناء منقطع تقديره لكن من
 ظلم من سائر الناس، لا من المرسلين، وقيل إنه متصل على القول بتجويز الذنوب عليهم
 وهذا بعيد لأن الصحيح عصمتهم من الذنوب وأيضاً فإن تسميتهم ظالمين شنيع على القول
 بتجويز الذنوب عليهم ﴿بَدَلْ حُسْنًا﴾ أي عمل صالحاً ﴿فِي جَيْبِكَ﴾ ذكر في طه ﴿فِي تِسْعِ
 آيٰتٍ﴾ متصل بقوله ألقى وأدخل، تقديره نيسر لك ذلك في جملة تسعة آيات، وقد ذكرت
 الآيات التسع في الإسراء ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾ متعلق بفعل محذوف يقتضيه الكلام تقديره اذهب
 بالآيات التسع إلى فرعون ﴿مُبْصِرَةً﴾ أي ظاهرة واضحة الدلالة وأسند الإبصار لها مجازاً،
 وهو في الحقيقة لمتأمل

فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴿١٨﴾ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطَمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴿٢١﴾ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَأَ أَرَى الْهَيْدَهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ

الحق فكفرهم عناد، ولذلك قال فيه ظلماً، والواو فيه واو الحال، وأضمرت بعدها قد علوا يعني تكبروا ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ﴾ أي ورث عنه النبوة والعلم والملك ﴿عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ﴾ أي فهمنا من أصوات الطير المعاني التي في نفوسها ﴿وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ عموم معناه الخصوص، والمراد بهذا اللفظ التكثير: كقولك فلان يقصده كل أحد، وقوله: ﴿علمنا﴾ ﴿وأوتينا﴾ [النمل: ١٦]: يحتمل أن يريد نفسه وأباه أو نفسه خاصة على وجه التعظيم، لأنه كان ملكاً ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ﴾ اختلف الناس في عدد جنود سليمان اختلافاً شديداً تركنا ذكره لعدم صحته ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ أي يكفون ويراد أولهم إلى آخرهم، ولا بد لكل ملك أو حاكم من وزعة يدفعون الناس ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ﴾ ظاهر هذا أن سليمان وجنوده كانوا مشاة بالأرض أو ركباً حتى خافت منهم النمل، ويحتمل أنهم كانوا في الكرسي المحمول بالريح، وأحسّت النملة بنزولهم في وادي النمل ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ﴾ النمل حيوان فطن قوي الحس يدخر قوته ويقسم الحبة بقسمين. لثلاث تبت، ويقسم حبة الكسبرة على أربع قطع لأنها تنبت إذا قسمت قسمين، ولافراط إدراكها قالت هذا القول، وزوي أن سليمان سمع كلامها، وكان بينه وبينها ثلاثة أميال، وهذا لا يسمعه البشر إلا من خصه الله بذلك ﴿ادْخُلُوا﴾ خاطبتهم مخاطبة العقلاء لأنها أمرتهم بما يؤمر به العقلاء ﴿لَا يَحْطَمَنَّكُمْ﴾ يحتمل أن يكون جواباً للأمر أو نهياً بدلاً من الأمر لتقارب المعنى ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ الضمير لسليمان وجنوده، والمعنى اعتذار عنهم لو حطموا النمل أي لو شعروا بهم لم يحطموهم ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا﴾ تبسم لأحد أمرين: أحدهما سروره بما أعطاه الله؛ والآخر ثناء النملة عليه وعلى جنوده، فإن قولها: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾: وصف لهم بالتقوى والتحفظ من مضرة الحيوان ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ﴾ اختلف الناس في معنى تفقده للطير، ف قيل ذلك

الْعَائِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأَعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَأَذِجْنَهُ أَوْ لِيَأْتِيَنَّ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَتْ
عَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ مَحِطُ بِهِءَ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنِإِ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّي وَجَدْتُ أَمْرًا
تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ
دُونِ اللَّهِ وَزَيْنُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ
الَّذِي يُخْرِجُ الخَبَاءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ
العَرْشِ العَظِيمِ ﴿٢٦﴾ ﴿٢٦﴾ قَالَ سَنُنظِّرُ أَصْدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الكَذِبِينَ ﴿٢٧﴾ أَذْهَبَ يَكْتُمِي هَذَا

لعنايته بأمر ملكه، وقيل لأن الطير كانت تظله فغاب الهدد فدخلت الشمس عليه من موضعه ﴿أَمْ كَانَ مِنَ الْعَائِبِينَ﴾ أم منقطعة فإنه نظر إلى مكان الهدد فلم يبصره، فقال ما لي لا أرى الهدد أي لا أراه ولعله حاضر وستره ساتر، ثم علم بأنه غائب فأخبر بذلك ﴿لَأَعَذِّبَنَّهُ﴾ زوي أن تعذيبه للطير كان بنتف ريشه ﴿بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ أي حجة بيّنة ﴿فَمَكَتْ﴾ أي أقام، ويجوز فتح الكاف وضمها، وبالفتح قرأ عاصم، والفعل يحتمل أن يكون مسندًا إلى سليمان عليه السلام أو إلى الهدد وهو أظهر ﴿عَيْرَ بَعِيدٍ﴾ يعني زمان قريب ﴿أَحَطْتُ﴾ أي أحطت علمًا بما لم تعلمه ﴿مِنْ سَبَإٍ﴾ يعني قبيلة من العرب، وجدهم الذي يعرفون به: سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، ومن صرفه أراد الحي أو الأب، ومن لم يصرفه أراد القبيلة أو البلدة، وقرئ بالتسكين لتوالي الحركات، وعلى القراءة بالتنوين يكون في قوله من سبأ بنيا ضرب من أدوات البيان، وهو التجنيس ﴿وَجَدْتُ أَمْرًا تَمْلِكُهُمْ﴾ المرأة بلقيس بنت شراحيل: كان أبوها ملك اليمن ولم يكن له ولد غيرها، فغلبت بعده على الملك، والضمير في تملكهم يعود على سبأ، وهم قومها ﴿مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ عموم يراد به الخصوص فيما يحتاجه الملك ﴿وَأَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ يعني سرير ملكها، ووقف بعضهم على عرش ثم ابتدأ عظيم وجدتها على تقدير: عظيم أن وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله، وهذا خطأ، وإنما حملة عليه الفرار من وصف عرشها بالعظمة ﴿أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ﴾ من كلام الهدد أو من كلام الله، وقرأ الجمهور بالتشديد، وأن في موضع نصب على البدل من أعمالهم، أو في موضع خفض على البدل من السبيل، أو يكون التقدير لا يهتدون لأن يسجدوا بحذف اللام، وزيادة لا، وقرئ بالتخفيف على أن تكون لا حرف تنبيه وأن تكون الياء حرف نداء فيوقف عليها بالألف على تقدير يا قوم ثم يبتدأ اسجدوا ﴿يُخْرِجُ الخَبَاءَ﴾ الخبء في اللغة الخفي وقيل الخبء هو ما تحت الأرض واللفظ يعم

فَالْقِهَ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوْا إِنِّي أُلْقِيَ الْكِتَابَ كَرِيْمًا ﴿٢٩﴾ إِنَّهُ
 مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَا تَعْلَمُوْنَ عَلَىٰ وَأَتُونِي مَسْلُومِيْنَ ﴿٣١﴾ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوْا
 أَفَتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُوْنَ ﴿٣٢﴾ قَالُوا مَحْنُ أَوْلُوْا قُوَّةً وَأَوْلُوْا بِأَسْسِ شَدِيْدٍ وَالْأَمْرُ
 إِلَيْكَ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِيْنَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوْا أَعْرَآةً أَهْلِهَا آذِلَّةً
 وَكَذٰلِكَ يَفْعَلُوْنَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمِ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُوْنَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ
 قَالَ أَتِمِدُوْا نِي بِمَالٍ فَمَا آتٰنِيَنَّ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتٰتِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُوْنَ ﴿٣٦﴾ أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ
 فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِخُبْرٍ لَّا قَبْلَ لَهِمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا آذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُوْنَ ﴿٣٧﴾ قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوْا أَيُّكُمْ يَأْتِيَنِي

كل خفي، وبه فسره ابن عباس ﴿ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ﴾ أي تنح إلى مكان قريب لتسمع ما يقولون، ورؤي أنه دخل عليها من كوة فلقى إليها الكتاب وتوارى في الكوة؛ وقيل إن التقدير انظر ماذا يرجعون ثم تول عنهم فهر من المقلوب والأول أحسن ﴿مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ من قوله يرجع بعضهم إلى بعض القول ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوْا﴾ قبل هذا الكلام محذوف تقديره: فألقى الهدهد إليها الكتاب فقرأته، ثم جمعت أهل ملكها فقالت لهم يا أيها الملأ ﴿كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾ وصفته بالكرم لأنه من عند سليمان، أو لأن فيه اسم الله، أو لأنه مختوم كما جاء في الحديث كرم الكتاب ختمه ﴿مِنْ سُلَيْمَانَ﴾ يحتمل أن يكون هذا نص الكتاب بدأ فيه بالعنوان، وأن يكون من كلامها: أخبرتهم أن الكتاب من سليمان ﴿وَأَتُونِي مَسْلُومِيْنَ﴾ يحتمل أن يكون من الانقياد بمعنى مستسلمين، أو يكون من الدخول في الإسلام ﴿أَوْلُوْا قُوَّةً﴾ يحتمل أن يريد قوة الأجساد أو قوة الملك والعدد ﴿وَكَذٰلِكَ يَفْعَلُوْنَ﴾ من كلام الله عز وجل تصديقًا لقولها فيوقف على ما قبله، أو من كلام بلقيس تأكيدًا للمعنى الذي أرادتته، وتعني كذلك يفعل هؤلاء بنا ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ﴾ قالت لقومها إني أجزب هذا الرجل بهدية من نفائس الأموال، فإن كان ملكًا دنيويًا: أرضاه المال، وإن كان نبيا لم يرضه المال، وإنما يرضيه دخولنا في دينه فبعثت إليه هدية عظيمة وصفها الناس واختصرنا وصفها لعدم صحته ﴿أَتِمِدُوْا نِي بِمَالٍ﴾ إنكار للهدية لأن الله أغناه عنها بما أعطاه ﴿بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُوْنَ﴾ أي أنتم محتاجون إليها فتفرحون بها وأنا لست كذلك ﴿أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ﴾ خطاب للرسول، وقيل للهدهد، والأول أرجح، لأن قوله فلما جاء سليمان مسند إلى الرسول ﴿لَّا قَبْلَ لَهِمْ بِهَا﴾ أي لا طاقة لهم بها.

بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُوهُ مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا ءَانِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا ءَانِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ قَالَ نَكَرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرُ أَتَنْهَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكَ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوَيْدِنَا الْعَلَمُ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِن

﴿قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ القائل سليمان،

والملأ جماعة من الجن والإنس، وطلب عرشها قبل أن يأتوه مسلمين، لأنه وُصِفَ له بعظمة فأراد أن يأخذه قبل أن يُسَلِّمُوا فيمنع إسلامهم من أخذ أموالهم، فمسلمين على هذا من الدخول في دين الإسلام، وقيل إنما طلب عرشها قبل أن يأتوه مسلمين ليُظهِرَ لهم قوته، فمسلمين على هذا بمعنى منقادين ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ﴾ رُوِيَ عن وهب بن منبه أن اسم هذا العفريت الكودن ﴿قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ﴾ قبل أن تقوم من موضع الحكم، وكان يجلس من بكرة إلى الظهر، وقيل معناه قبل أن تستوي من جلوسك قائماً ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ﴾ هو آصف بن برخيا، وكان رجلاً صالحاً من بني إسرائيل كان يعلم اسم الله الأعظم وقيل هو الخضر، وقيل هو جبريل، والأول أشهر، وقيل سليمان وهذا بعيد ﴿أَتِيكَ بِهِ﴾ في الموضوعين: يحتمل أن يكون فعلاً مستقبلاً أو اسم فاعل ﴿قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ الطرف العين فالمعنى على هذا قبل أن تغض بصرك إذا نظرت إلى شيء وقيل الطرف تحريك الأَجْفَانِ إذا نظرت ﴿فَلَمَّا رآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ﴾ قيل هنا محذوف تقديره: فجاءه الذي عنده علم من الكتاب بعرشها، ومعنى مستقراً عنده حاصلاً عنده وليس هذا بمستقر الذي يقدر النحويون تعلق المجرورات به خلافاً لمن فهم ذلك ﴿يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾ أي منفعة الشكر لنفسه ﴿قَالَ نَكَرُوا لَهَا عَرْشَهَا﴾ تنكيهه تغيير وصفه وستر بعضه، وقيل الزيادة فيه والنقص منه، وقصد بذلك اختبار عقلها وفهمها ﴿أَتَنْهَدِي﴾ يحتمل أن يريد تهتدي لمعرفة عرشها، أو للجواب عنه إذا سئلت أو للإيمان ﴿فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكَ﴾ كان عرشها قد وصل قبلها إلى سليمان فأمر بتنكيهه، وأن يقال لها أهكذا عرشك أي أمثل هذا عرشك لثلاث تظن أنه هو، فأجابته بقولها: كأنه هو جواباً عن السؤال، ولم تقل هو تحزراً من الكذب أو من التحقيق في محل الاحتمال ﴿وَأُوَيْدِنَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا﴾ هذا من كلام سليمان وقومه لما رأوها قد آمنت قالوا ذلك اعترافاً بنعمة الله عليهم في أن آتاهم العلم قبل بلقيس وهداهم للإسلام

دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٤١﴾ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِيهَا
 قَالَتْ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرٍ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ
 الْعَالَمِينَ ﴿٤٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ
 يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٣﴾ قَالَ يَتَقَوَّمُ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ
 لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٤﴾ قَالُوا أَطِيرْنَا بِكَ وَيَمَنُ مَعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ

وعلمت وحدانية الله وصحة النبوة وأوتينا نحن العلم قبلها ﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تُعْبُدُ مِنْ دُونِ
 اللَّهِ﴾ هذا يحتمل أن يكون من كلام سليمان وقومه، أو من كلام الله تعالى، ويحتمل أن
 يكون ﴿مَا كَانَتْ تُعْبُدُ﴾ فاعلاً أو مفعولاً، فإن كان فاعلاً: فالمعنى صدّها ما كانت تعبد عن
 عبادة الله والدخول في الإسلام حتى إلى هذا الوقت، وإن كان مفعولاً: فهو على إسقاط
 حرف الجر، والمعنى صدّها الله أو سليمان عن ما كانت تعبد من دون الله فدخلت في
 الإسلام ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِيهَا﴾ الصرح في
 اللغة هو القصر، وقيل صحن الدار، وروى أن سليمان أمر قبل قدومها فبني له على طريقها
 قصرًا من زجاج أبيض وأجرى الماء من تحته، وألقى فيه دواب البحر من السمك وغيره
 ووضع سريره في صدره فجلس عليه فلما رآته حسبت لهجة، واللجة الماء المجتمع كالبحر،
 فكشفت عن ساقها لتدخله لما أمرت بدخوله، وروى أن الجن كرهوا تزوج سليمان لها،
 فقالوا له إن عقلها مجنون، وإن رجلها كحافر الحمار فاختر عقلها بتشكير العرش فوجدتها
 عاقلة واختر ساقها بالصرح فلما كشفت عن ساقها وجدها أحسن الناس ساقًا فتزوجها
 وأقرها على ملكها باليمن، وكان يأتيها مرة في كل شهر، وقيل أسكنها معه بالشام ﴿قَالَ إِنَّهُ
 صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرٍ﴾ لما ظنت أن الصرح لجة ماء وكشفت عن ساقها لتدخل الماء قال
 لها سليمان إنه صرح ممرد، والممرد الأملس، وقيل الطويل، والقوارير جمع قارورة وهي
 الزجاجية ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ تعني بكفرها فيما تقدم ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ﴾
 هذا ضرب من ضروب التجنيس ﴿فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾ الفريقان من آمن ومن كفر؛
 واختصامهم: اختلافهم وجدالهم في الدين ﴿لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ أي لم تطلبون الغدا قبل
 الرحمة، أو المعصية قبل الطاعة ﴿قَالُوا أَطِيرْنَا بِكَ﴾ أي تشاء منا بك وكانوا قد أصابهم
 القحط ﴿قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي السبب الذي يحدث عنه خيركم أو شركم: هو عند الله
 وهو قضاؤه وقدره، وذلك رد عليهم في تطيّرهم ونسبتهم ما أصابهم من القحط إلى صالح

تَقْتَنُونَ ﴿٤٧﴾ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا
تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٤٩﴾
وَمَكْرُؤُهُمْ مَكْرًا وَمَكْرًا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ
مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا إِيَّاكَ فِي ذَلِكَ
لَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنبِئْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَنفَقُونَ ﴿٥٣﴾ وَلَوْطًا إِذْ
قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَلْحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَيْنُكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ
النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ بِجَهْلُونَ ﴿٥٥﴾ فَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوْنَا آلَ لُوطِ

عليه السلام ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ﴾ يعني مدينة ثمود ﴿يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ قيل إنهم كانوا
يقرضون الدنانير والدراهم ولفظ الفساد أعم من ذلك ﴿تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ﴾ أي حلفوا بالله ،
وقيل إنه فعل ماضٍ وذلك ضعيف ، والصحيح أنه فعل أمر قاله بعضهم لبعض وتعاهدوا عليه
﴿لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ﴾ أي لنقتله وأهله بالليل وهذا هو الفعل الذي تحالفوا عليه ﴿ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ
مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ﴾ أي نتبرأ من دمه إن طلبنا به وليه، ومهلك يحتمل أن يكون اسم
مصدر أو زمان أو مكان فإن قيل إن قولهم ما شهدنا مهلك أهله يقتضي التبري من دم أهله
دون التبري من دمه، فالجواب من ثلاثة أوجه: الأول أنهم أرادوا ما شهدنا مهلكه ومهلك
أهله، وحذف مهلكه لدلالة قولهم لنبيته وأهله، والثاني أن أهل الإنسان قد يراد به هو وهم
لقوله: ﴿وَأَعْرِفْنَا آلَ فِرْعَوْنَ﴾ [البقرة: ٥٠] و[الأنفال: ٥٤] يعني فرعون وقومه، الثالث:
أنهم قالوا مهلك أهله خاصة ليكونوا صادقين، فإنهم شهدوا مهلكه ومهلك أهله معًا،
وأرادوا التعريض في كلامهم لثلاث يكذبوا ﴿وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ يحتمل أن يكون قولهم وإنا
لصادقون مغالطة مع اعتقادهم أنهم كاذبون، ويحتمل أنهم قصدوا وجهًا من التعريض
ليخرجوا به عن الكذب وقد ذكرناه في الجواب الثالث عن مهلك أهله، وهو أنهم قصدوا
أن يقتلوا صالحًا وأهله معًا، ثم يقولون ما شهدنا مهلك أهله وحدهم وإنا لصادقون في ذلك
بل يعنون أنهم شهدوا مهلكه ومهلك أهله معًا وعلى ذلك حمله الزمخشري ﴿أَنَا دَمَّرْنَا هُمْ
وَقَوْمَهُمْ﴾ رُوِيَ أَنَّ الرَّهْطَ الَّذِينَ تَقَاسَمُوا عَلَى قَتْلِ صَالِحٍ اخْتَفَوْا لَيْلًا فِي غَارٍ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِ
ليخرجوا منه إلى داره بالليل فوقع عليهم صخرة فأهلكتهم ثم هلك قومهم بالصيحة ولم
يعلم بعضهم بهلاك بعض، ونجا صالح ومن آمن به ﴿وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ قيل معناه تبصرون
بقلوبكم أنها معصية وقيل

مِّن قَرَبَيْكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَنْظَهُرُونَ ﴿٥٧﴾ فَأَجْمِنْهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أُمَّرَاتَهُ قَدَرْنَهَا مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٥٨﴾
 وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذِرِينَ ﴿٥٩﴾ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ
 ۗ اللَّهُ خَيْرٌ مَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا
 بِهِ حَدَائِقَ ذَاتِ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنبِتُوا شَجَرَهَا ۗ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ بَلٌّ لِّهَٰمْ قَوْمٌ
 يَعْدِلُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيًا وَجَعَلَ بَيْنَ
 الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ بَلٌّ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ
 وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُ لَكُمْ خُلَفَاءَ ۗ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا يَذْكُرُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّنْ
 يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۗ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ
 تَعَلَىٰ اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾ أَمَّنْ يَبْدُوُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُمْ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ
 بعضهم من بعض، وقيل تبصرون آثار الكفار قبلكم وما نزل بهم من العذاب ﴿يَنْظَهُرُونَ﴾
 و﴿الغابرين﴾ و﴿أَمْطَرْنَا﴾ قد ذكر ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ﴾ أمر الله
 رسوله أن يتلو الآيات المذكورة بعد هذا، لأنها براهين على وحدانيته وقدرته، وأن يستفتح
 ذلك بحمده، والسلام على من اصطفاه من عباده كما تستفتح الخطب والكتب وغيرها
 بذلك تيمناً بذكر الله، قال ابن عباس يعني بعباده الذين اصطفى الصحابة، واللفظ يعم
 الملائكة والأنبياء والصحابة والصالحين ﴿اللَّهُ خَيْرٌ مَّا يُشْرِكُونَ﴾ على وجه الرد على
 المشركين فدخلت خير التي يراد بها التفضيل لتبكيتهم وتعنيفهم مع أنه معلوم أنه لا خير
 فيما أشركوا أصلاً، ثم أقام عليهم الحجة بأن الله هو الذي خلق السموات والأرض وبغير
 ذلك مما ذكره إلى تمام هذه الآيات، وأعقب كل برهان منها بقوله أله مع الله على وجه
 التقرير لهم على أنه لم يفعل ذلك كله إلا الله وحده فقامت عليهم الحجة بذلك وفيها أيضاً
 نعم يجب شكرها فقامت بذلك أيضاً وأم في قوله خير أما يشركون متصلة عاطفة، وأم في
 المواضع التي بعده منقطعة بمعنى بل والهمزة ﴿قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ أي يعدلون عن الحق
 والصواب أو يعدلون بالله غيره أي يجعلون له عديلاً ومثيلاً ﴿رَوَاسِيًا﴾ يعني الجبال
 ﴿الْبَحْرَيْنِ﴾ ذكر في الفرقان ﴿يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ﴾ قيل هو المجهود، وقيل الذي لا حول له
 ولا قوة، واللفظ مشتق من الضرر: أي الذي أصابه الضر أو من الضرورة أي الذي أُلْجِئته
 الضرورة إلى الدعاء ﴿خُلَفَاءَ الْأَرْضِ﴾ أي خلفاء فيها تتوارثون سكنها ﴿أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ﴾
 يعني الهداية بالنجوم والطرقات ﴿بُشْرًا﴾ ذكر في الأعراف ﴿مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ الرزق من

أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ قُلُوبٌ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٤﴾ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿١٥﴾ بَلِ أَدْرَاكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ

السماء المطر ومن الأرض النبات ﴿هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ تعجيز للمشركين ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ هذه الآية تقتضي انفراد الله تعالى بعلم الغيب، وأنه لا
يعلمه سواه، ولذلك قالت عائشة رضي الله عنها من زعم أن محمداً يعلم الغيب فقد أعظم
الفرية على الله، ثم قرأت هذه الآية، فإن قيل: فقد كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم
يخبر بالغيوب وذلك معدود في معجزاته، فالجواب: أنه ﷺ قال: «إني لا أعلم الغيب إلا
ما علمني الله»، فإن قيل: كيف ذلك مع ما ظهر من إخبار الكهّان والمنجمين وأشباههم،
بالأمور المغيبية؟ فالجواب أن إخبارهم بذلك عن ظن ضعيف أو عن وهم لا عن علم،
وإنما اقتضت الآية نفي العلم، وقد قيل إن الغيب في هذه الآية يراد به متى تقوم الساعة،
لأن سبب نزولها أنهم سألوا عن ذلك، ولذلك قال وما يشعرون أيان يبعثون، فعلى هذا
يندفع السؤال الأول، والثاني لأن علم الساعة انفراد به الله تعالى لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا
عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [الأعراف: ١٨٧] ولقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «في خمس لا
يعلمها إلا الله»، ثم قرأ ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ [لقمان: ٣٤] إلى آخر السورة، فإن
قيل: كيف قال إلا الله بالرفع على البدل والبدل لا يصح إلا إذا كان الاستثناء متصلًا ويكون
ما بعد إلا من جنس ما قبلها والله تعالى ليس ممن في السموات والأرض باتفاق فإن
القائلين بالجهة والمكان يقولون إنه فوق السموات والأرض، والقائلين بنفي الجهة يقولون
إن الله تعالى ليس بهما ولا فوقهما ولا داخلًا فيهما ولا خارجًا عنهما فهو على هذا استثناء
منقطع، فكان يجب أن يكون منصوبًا؟ فالجواب من أربعة أوجه: الأول أن البدل هنا جاء
على لغة بني تميم في البدل، وإن كان منقطعًا كقولهم ما في الدار إلا حمار بالرفع والحمار
ليس من الأحدين وهذا ضعيف، لأن القرآن أنزل بلغة الحجاز لا بلغة بني تميم، والثاني أن
الله في السموات والأرض بعلمه كما قال: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ﴾ [ال-ديد: ٤] يعني
بعلمه، فجاء البدل على هذا المعنى وهذا ضعيف، لأن قوله في السموات والأرض وقعت
فيه لفظة في الظرفية الحقيقية، وهي في حق الله على هذا المعنى للظرفية المجازية ولا
يجوز استعمال لفظة واحدة في الحقيقة والمجاز في حالة واحدة عند المحققين، الجواب
الثالث أن قوله من في السموات والأرض يراد به كل موجود فكأنه قال من في الوجود
فيكون الاستثناء على هذا Made searchable using ScribeTools.com قال من في السموات

مَنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا وَاَبَاؤُنَا اَيْنَا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَاَبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ اِنْ هَذَا اِلَّا اَسْطِيزُ الْاَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْاَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ اِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٧١﴾ قُلْ عَسَى اَنْ يَكُونَ رَدْفٌ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾ وَاِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ اَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَاِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾ وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْاَرْضِ اِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٧٥﴾ اِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ اَنْ يَقُصَّ عَلَى بَنِي اِسْرَائِيلَ اَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ وَاِنَّهُمْ لَهْدَى وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ اِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّٰهِ اِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ اِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمَعُ الدُّعَاءَ اِذَا وُلُّوا مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَا اَنْتَ بِهَدَى الْعَمَى عَنْ ضَلٰلَتِهِمْ اِنْ تَسْمَعُ اِلَّا

والأرض جرياً على منهاج كلام العرب فهو لفظ خاص يراد به ما هو أعم منه : الجواب الرابع أن يكون الاستثناء متصلاً على أن يتأول من في السموات في حق الله كما يتأول قوله : ﴿أَمِئْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾ [الملك : ١٦] وحديث الجارية وشبه ذلك ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ أي لا يشعرون من في السموات والأرض متى يبعثون ، لأن علم الساعة مما انفرد به الله ، زوي أن سبب نزول هذه الآية أن قريشاً سألوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم متى الساعة ﴿بَلْ اِذَا رَكَ عَلِمْتُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾ وزن اذارك تفاعل ثم سُكِّنَت التاء وأدغمت في الدال واجتلبت ألف الوصل ، والمعنى تتابع علمهم بالآخرة وتناهى إلى أن يكفروا بها ، أو تنهى إلى أن لا يعلموا وقتها وقرىء أدرك بهمزة قطع على وزن أفعل ، والمعنى على هذا يدرك علمهم في الآخرة أي يعلمون فيها الحق ، لأنهم يشاهدون حينئذ الحقائق ، فقوله في الآخرة على هذا ظرف ، وعلى القراءة الأولى بمعنى الباء ﴿عَمُونَ﴾ جمع عم ، وهو من عمى القلوب ﴿رَدْفٌ لَكُمْ﴾ أي تبعكم ، واللام زائدة ، أو ضمن معنى قرب وتعذى باللام ، ومعنى الآية أنهم استعجلوا العذاب بقولهم متى هذا الوعد ، فقيل لهم عسى أن يكون قرب لكم بعض العذاب الذي تستعجلون وهو قتلهم يوم بدر ﴿غَائِبَةٌ﴾ الهاء فيه للمبالغة : أي ما من شيء في غاية الخفاء إلا وهو عند الله في كتاب ﴿اِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى﴾ شبه من لا يسمع ولا يعقل بالموتى في أنهم لا يسمعون وإن كانوا أحياء ، ثم شبههم بالصم وبالعمي وإن كانوا صِحاح الحواس ، وأكد عدم سماعهم بقوله : ﴿اِذَا وُلُّوا مُدْبِرِينَ﴾ لأن الأصم إذا

مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُو قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِطُوا بِهَا أَمْ آدَامًا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ ﴿٨٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لَيْسَكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾ وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَرَأَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ

أدبر وبعد عن الداعي زاد صممه وعدم سماعه بالكلية ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾ أي إذا حان وقت عذابهم الذي تضمنه القول الأزلي من الله في ذلك وهو قضاؤه، والمعنى إذا قربت الساعة أخرجنا لهم دابة من الأرض، وخروج الدابة من أسراط الساعة، ورؤي أنها تخرج من المسجد الحرام، وقيل من الصفا، وأن طولها ستون ذراعاً، وقيل هي الجساسة التي وردت في الحديث ﴿تُكَلِّمُهُمْ﴾ قيل تكلمهم ببطلان الأديان كلها إلا دين الإسلام، وقيل تقول لهم ألا لعنة الله على الظالمين، ورؤي أنها تسم الكافر وتخطم أنفه وتسود وجهه وتبييض وجه المؤمن ﴿أَنَّ النَّاسَ﴾ مَنْ قرأ بكسر الهمزة فهو ابتداء كلام، وَمَنْ قرأ بالفتح فهو مفعول تكلمهم: أي تقول لهم: ﴿أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾، أو مفعول من أجله تقديره تكلمهم، لأن الناس لا يوقنون ثم حذفت اللام، ويحتمل قوله لا يوقنون بخروج الدابة، ولا يوقنون بالآخرة وأمور الدين، وهذا أظهر ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ أي يُساقون بعنف ﴿أَمْ آدَامًا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أم استفهامية، والمعنى إقامة الحجة عليهم كأنه قيل لهم إن كان لكم عمل أو حجة فهاتوها ﴿وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾ أي حق العذاب عليهم أو قامت الحجة عليهم ﴿فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ﴾ إنما يسكتون لأن الحجة قد قامت عليهم وهذا في بعض مواطن القيامة، وقد جاء أنهم يتكلمون في مواطن.

﴿لَيْسَكُنُوا فِيهِ﴾ ذكر في يونس ﴿يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾ ذكر في الكهف ﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ قيل هم الشهداء، وقيل جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل عليهم السلام ﴿دَاخِرِينَ﴾ صاغرين متذللين ﴿تَحْسَبُهَا جَامِدَةً﴾ أي قائمة ثابتة ﴿وَهِيَ تَمُرُّ﴾ يكون مرورها في أول أحوال يوم القيامة، ثم ينسفها الله في خلال ذلك فتكون كالعهن ثم تصير هباءً منبثاً ﴿صُنِعَ اللَّهُ﴾ مصدر، والـ ﴿Made searchable using ScribeTools.com﴾ الإغراء: أي انظروا

صَنَّعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْقَضَ كُلَّ شَيْءٍ إِتْمَانَهُ خَيْرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُتِبَتْ عَلَيْهِمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْرَمُونَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَمْ كُلَّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوا الْقُرْآنَ فَمَنْ أَهْتَدَىٰ فَأِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلْ لِحَمْدِ اللَّهِ سَبِّحُوهُ بِحَمْدِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾

صنع الله ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا﴾ قيل إن الحسنة لا إله إلا الله، واللفظ أعم، ومعنى خير منها أن له بالحسنة الواحدة عشرًا ﴿مَنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ﴾ من نوع فزع فتح الميم من يومئذ ومن أسقط التنوين للإضافة قرأ بفتح الميم على البناء أو بكسرها على الإعراب ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ﴾ السيئة هنا الكفر والمعاصي التي قضى الله بتعذيب فاعلها ﴿هَذِهِ الْبَلَدَةُ﴾ يعني مكة ﴿الَّذِي حَرَّمَهَا﴾ أي جعلها حرماً آمناً لا يقاتل فيها أحد ولا ينتهك حرمتها، ونسب تحريمها هنا إلى الله لأنه بسبب قضائه وأمره، ونسبه النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى إبراهيم عليه السلام في قوله إن إبراهيم حرّم مكة. لأن إبراهيم هو الذي أعلم الناس بتحريمها، فليس بين الحديث والآية تعارض وقد جاء في حديث آخر أن مكة حرّمها الله يوم خلق السموات والأرض ﴿وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ أي إنما عليّ الإنذار والتبليغ ﴿سَبِّحُوكُمْ آيَاتِهِ﴾ وعيد بالعذاب الذي يضطرهم إلى معرفة آيات الله إما في الدنيا أو في الآخرة.

سورة القصص

مكية إلا من آية ٥٢ إلى غاية آية ٥٥ فمدنية
وآية ٨٥ فبالجحفة أثناء الهجرة وآياتها ٨٨ نزلت بعد النمل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طسّم ﴿١﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيْعًا يَسْتَضَعِفُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يُدْبِحُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿عَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ أي تكبر وطغا ﴿شِيْعًا﴾ أي فرقًا مختلفين فجعل فرعون القبط ملوكًا وبني إسرائيل خدامًا لهم، وهم الطائفة الذين استضعفهم، وأراد الله أن يمن عليهم ويجعلهم أئمة: أي ولاة في الأرض أرض فرعون وقومه ﴿هَامَانَ﴾ هو وزير فرعون ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ﴾ اختلف هل كان هذا الوحي بالهام أو منام أو كلام بواسطة الملك، وهذا أظهر لثقتها بما أوحى إليها وامثالها ما أمرت به ﴿فَإِذَا خَفْتِ عَلَيْهِ﴾ أي إذا خفت عليه أن يذبحه فرعون لأنه كان يذبح أبناء بني إسرائيل لما أخبره الكهان أن هلاكه على يد غلام منهم ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ﴾ الالتقاط اللقاء من غير قصد، رُوي أن آسية امرأة فرعون رأت التابوت في البحر وهو النيل فأمرت أن يساق لها ففتحته فوجدت فيه صبيًا فأحبته، وقالت لفرعون؛ هذا قرّة عين لي ولك ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا﴾ اللام لام العاقبة وتسمى أيضًا لام الصبي

أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَزَيْدٌ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا
 فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَيْمَةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمْكِنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ
 وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمَا مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا
 خِفَتْ عَلَيْهِ فَكَالِمِهِ فِي الْمِيمِ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ
 الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَالْقَلْبُطُ هَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ
 وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِبِينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنِي لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ
 يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَرَجًا إِنْ كَادَتْ
 لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَّنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ
 فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ
 عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَصِيبٌ ﴿١٢﴾ فَارْتَدَّ اللَّهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا

إسرائيل، فقالت امرأته لا تقتلوه ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أي لا يشعرون أن هلاكهم يكون على يديه، والضمير الفاعل لفرعون وقومه ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا﴾ أي ذاهلاً لا عقل معها، وقيل فارغاً من الصبر وقيل فارغاً من كل شيء إلا من هم موسى، وقيل فارغاً من وعد الله: أي نسيت ما أوجي إليها، وقيل فارغاً من الحزن إذ لم يغرق وهذا بعيد لما بعده وقيل فارغاً من كل شيء إلا من ذكر الله وقرىء فرغاً بالزاي من الفرع ﴿إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ﴾ أي تظهر أمره، وفي الحديث كادت أم موسى أن تقول والبناه وتخرج صائحة على وجهها ﴿رَبُّنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾ أي رزقناها الصبر ﴿لَتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي من المصدقين بالوعد الذي وعدها الله ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ﴾ أي اتبعيه، والقص طلب الأثر، فخرجت أخته تبحث عنه في خفية ﴿فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ﴾ أي رآته من بعيد ولم تقرب منه لئلا يعلموا أنها أخته، وقيل معنى عن جنب: عن شوق إليه، وقيل معناه أنها نظرت إليه كأنها لا تريده ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أي لا يشعرون أنها أخته ﴿وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ﴾ أي منع منها بأن بغضها الله له، والمراضع جمع مَرَضِعَةٍ، وهي المرأة التي تُرَضِعُ، أو جمع مَرَضِعَ بفتح الميم والضاد: وهو موضع الرضاع يعني الثدي ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ أي من أول مرة ﴿فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَصِيبٌ﴾ الآية: جاءت بأمة فقبل ثديها، فقال لها فرعون ومن

تَحَزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ
 وَأَسْتَوَىٰ ءَأَيْدِيَهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ
 أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَةِ هَذَا مِنْ شِيعَةِ هَذَا عَلَىٰ
 الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ
 إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ ۚ إِنَّكَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ
 أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اَسْتَنْصَرْتُم بِالْأَمْسِ
 يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ إِنَّكَ لَعَوِيُّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّا أَن أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ

أنت منه فما قبل ثدي امرأة إلا نديك؟ فقالت إني امرأة طيبة اللبن، فذهبت به إلى بيتها
 وقرت عينها بذلك وعلمت أن وعد الله حق في قوله: ﴿إِنَّا رَادُوهُ إِلَيْكَ﴾ ﴿بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ ذكر
 في يوسف ﴿وَأَسْتَوَىٰ﴾ أي كمل عقله، وذلك مع الأربعين سنة ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ﴾ يعني
 مصر وقيل قرية حولها، والأول أشهر ﴿عَلَىٰ حِينٍ غَفْلَةٍ﴾ قيل في القائلة وقيل بين
 العشاءين، وقيل يوم عيد، وقيل كان قد جفا فرعون وخاف على نفسه فدخل مختفياً متخوفاً
 ﴿هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ﴾ الذي من شيعته من بني إسرائيل، والذي من عدوه من القبط ﴿فَوَكَزَهُ
 مُوسَىٰ﴾ أي ضربه، والوكز الدفع بأطراف الأصابع وقيل بجمع الكف ﴿فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ أي
 قتله، ولم يُرد أن يقتله ولكن وافقت وكزته الأجل، فندم وقال هذا من عمل الشيطان أي إن
 الغضب الذي أوجب ذلك كان من الشيطان، ثم اعترف واستغفر فغفر الله له، فإن قيل:
 كيف استغفر من القتل وكان المقتول كافراً؟ فالجواب أنه لم يؤذن له في قتله ولذلك يقول
 يوم القيامة إني قتلت نفساً لم أؤمر بقتلها ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا
 لِلْمُجْرِمِينَ﴾ الظهير المعين، والباء سببية، والمعنى بسبب إنعامك علي لا أكون ظهيراً
 للمجرمين، فهي معاهدة عاهد موسى عليها ربّه، وقيل الباء باء القسم وهذا ضعيف لأن
 قوله فلن أكون لا يصلح لجواب القسم، وقيل جواب القسم محذوف تقديره وحق نعمتك
 لأتوبن فلن أكون ظهيراً للمجرمين، وقيل الباء للتحليف: أي اعصمني بحق نعمتك علي
 فلن أكون ظهيراً للمجرمين ويحتج بهذه الآية على المنع من صحبة ولاية الجور ﴿يَتَرَقَّبُ﴾
 في الموضوعين أي يستحس هل يطلبه أحد ﴿يَسْتَصْرِخُهُ﴾ أي يستغيث به، لقي موسى
 الإسرائيلي الذي قاتل القبطي بالأمس يقاتل رجلاً آخر من القبط فاستغاث بموسى لينصره
 كما نصره بالأمس فعظم

يَمُوسَىٰ أَرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِأَلَامَسٍ إِنْ قُرَيْدٌ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا أَرِيدُ أَنْ
تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنَّكَ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ
لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنْ لَكَ مِنَ التَّصْحِيحِ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ
الظَّالِمِينَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ
مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا
خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصَدَرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَىٰ

يَبِطَشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا ﴿الضمير في أراد وفي يبطش لموسى، وفي قال للإسرائيلي، والمعنى لما أراد موسى أن يبطش بالقبطي الذي هو عدو له وللإسرائيلي: ظن الإسرائيلي أنه يريد أن يبطش به إذ قال له: ﴿إِنَّكَ لَعَوِيٌّ مُبِينٌ﴾، فقال الإسرائيلي لموسى: ﴿أتريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس﴾، وقيل الضمير في أراد للإسرائيلي، والمعنى فلما أراد الإسرائيلي أن يبطش موسى بالقبطي ولم يفعل موسى ذلك لندامته على قتله الآخر بالأمس فنصح الإسرائيلي، فقال له أتريد أن تقتلني فاشتهر خبر قتله للآخر إلى أن وصل إلى فرعون ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ﴾ قيل إنه مؤمن آل فرعون، وقيل غيره ﴿يَسْعَى﴾ أي يبلس في مشيه ليدوك موسى فينصحه ﴿إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ﴾ يتشاورون وقيل يأمر بعضهم بعضاً بقتلك كما قتلت القبطي ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدْيَنَ﴾ أي قصد بوجهه ناحية مَدْيَنَ وهي مدينة شعيب عليه السلام ﴿قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ أي وسط الطريق، يعني طريق مَدْيَنَ إذ كان قد خرج فاراً بنفسه، وكان لا يعرف الطريق، وبين مصر ومَدْيَنَ مسيرة ثمانية أيام وقيل أراد سبيل الهدى وهذا أظهر، ويدل كلامه هذا على أنه كان عارفاً بالله قبل نبوته ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ﴾ أي وصل إليه وكان بئراً ﴿يَسْقُونَ﴾ أي يسقون مواشيمهم ﴿امْرَأَتَيْنِ﴾ زَوْجِي أَنْ اسْمُهُمَا لِيَا وَصَفُورِيَا، وقيل صفيرا وصفرا ﴿تَذُودَانِ﴾ أي تمنعان الناس عن غنمهما، وقيل تذودان غنمهما عن الماء حتى يسقي الناس، وهذا أظهر لقولهما: ﴿لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصَدَرَ الرِّعَاءُ﴾: أي كانت عادتهما ألا يسقيا غنمهما إلا بعد الناس لقوة الناس ولضعفهنما، أو لكراهتهما التزاحم مع الناس ﴿يُضَلُّونَ﴾ بضم الياء وكسر الدال فعل متعد، والمفعول محذوف تقديره حتى يصدر الرعاء مواشيمهم، وقرىء بفتح الياء وضم الدال أي ينصرفون عن الماء ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ أي لا يستطيع أن يباشر سقي غنمه، وهذا الشيخ هو شعيب عليه السلام في قول الجمهور، وقيل ابن أخيه، وقيل رجل صالح ليس من شعيب بنسب ﴿فَسَقَى لَهُمَا﴾ أي

الظِّلِ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّكَ أَبَى يَدْعُوكَ لِجِزْيِكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَأْتِيكِ اسْتَعِجْرُهُ إِنَّكَ خَيْرٌ مَنِ اسْتَعِجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَيَّ أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَنِي حِجْحَجٍ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ

أدرسته شفقتة عليهما فسقى غنهما، وروي أنه كان على فم البئر صخرة لا يرفعها إلا ثلاثون رجلاً فرفعها وحده ﴿تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ﴾ أي جلس في الظل، وروي أنه كان ظل سمرة ﴿إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ طلب من الله ما يأكله وكان قد اشتد عليه الجوع ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا﴾ قبل هذا كلام محذوف تقديره فذهبتا إلى أبيهما سريعتين، وكانت عادتهما الإبطاء في السقي فأخبرته بما كان من أمر سقي الرجل لهما فأمر إحداهما أن تدعوه له فجاءته، واختلف هل التي جاءت الصغرى أو الكبرى ﴿عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾ روي أنها سترت وجهها بكم درعها والمجروح يتعلق بما قبله وقيل بما بعده وهو ضعيف ﴿وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ﴾ أي ذكر له قصته ﴿لَا تَخَفْ﴾ أي قد نجوت من فرعون وقومه لأن بلد مدين لم يكن من ملوك فرعون ﴿اسْتَعِجْرُهُ﴾ أي اجعله أجيراً لك ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ هذا الكلام حكمة جامعة بليغة، روي أن أباهما قال لها من أين عرفت قوته وأمانته، قالت أما قوته ففي رفعه الحجر عن فم البئر: وأما أمانته فإنه لم ينظر إليّ ﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ﴾ زوجته التي دعت، واختلف هل زوجه الكبرى أو الصغرى، واسم التي زوجه صفور، وقيل صفوريا، ومن لفظ شعيب حسن أن يقال في عقود الأنكحة: أنكحه إياها أكثر من أن يقال أنكحها إياه ﴿عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَنِي حِجْحَجٍ﴾ أي أزوجك بنتي على أن تخدمني ثمانية أعوام، قال مكّي: في هذه الآية خصائص في النكاح منها أنه لم يعين الزوجة، ولا حد أول الأمد، وجعل المهر إجارة، قلت فأما التعيين فيحتمل أن يكون عند عقد النكاح بعد هذه المراودة، وقد قال الزمخشري إن كلامه معه لم يكن عقد نكاح، وإنما كان مواعدة وأما ذكر أول الأمد، فالظاهر أنه من حين العقد، وأما النكاح بالإجارة فظاهر من الآية، وقد قرره شرعنا حسبما ورد في الحديث الصحيح من قوله ﷺ للرجل قد زوّجتكها على ما معك من القرآن: أي على أن تعلمها ما عندك من القرآن، وقد أجاز النكاح بالإجارة الشافعي وابن حنبل وابن حبيب للآية والحديث، ومنعه مالك ﴿فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ﴾ جمع

الصَّالِحِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلِينَ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ
 وَكِيلٌ ﴿٧٨﴾ ﴿٧٨﴾ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ
 امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧٩﴾
 فَلَمَّا أَنهَاهُنَّ نُورٌ مِّن سُلَيْمٍ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبْرَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَمْوَسَىٰ إِبْرَاهِيمَ
 أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ وَأَن أَلْقَىٰ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تُهَاجِرُ كَانَتْهَا جَانٌّ وَلِي مُدَبَّرًا وَلَرَىٰ يَمُوسَىٰ
 يَمْوَسَىٰ أَقْبَلَ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْأَمِينِ ﴿٨١﴾ أَسْلَمَكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ
 وَأَضْمَمَ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ
 كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٨٢﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٨٣﴾ وَأَخِي هَارُونَ
 هُوَ أَفْضَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٨٤﴾ قَالَ سَنُنَادُّ
 عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَجَجَعَلُ لَكُمَا سُلْطٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيٰتِنَا أَنْتُمْ وَمِمَّنْ آتَبَعَكُمَا
 الْغٰلِبُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَىٰ بِآيٰتِنَا بَيِّنٰتٍ قَالُوا مَا هٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهٰذَا

العشر، وقيل وفي العشرة وعشرًا بعدها، وهذا ضعيف لقوله: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ﴾ أي الأجل المذكور ﴿وَسَارَ بِأَهْلِهِ﴾ الأهل هنا الزوجة مشى بها إلى مصر ﴿جَذْوَةٌ﴾ أي قطعة، ويجوز كسر الجيم وضمها، وقد ذكر أنس، والطور، وتصطلون ﴿شَاطِئِ الْوَادِ﴾ جانبه والأيمن صفة للشاطئ اليمين، ويحتمل أن يكون من اليمن فيكون صفة للوادي ﴿مِن الشَّجَرَةِ﴾ زوي أنها كانت غوسجة ﴿جَانٌّ﴾ ذكر في النمل ﴿أَسْلَمَكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ﴾ أي أدخلها فيه، والجيب هو فتح الجبة من حيث يخرج الإنسان رأسه ﴿وَأَضْمَمَ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ﴾ الجناح اليد أو الإبط أو العضد أمره الله لما خاف من الحية أن يضمه إلى جنبه ليخف بذلك خوفه فإن من شأن الإنسان إذا فعل ذلك في وقت فزعه أن يخف خوفه، وقيل ذلك على وجه المجاز، والمعنى أنه أمر بالعزم على ما أمر به: كقوله اشدد حيازتك واربط جأشك ﴿مِن الرَّهْبِ﴾ أي من أجل الرهب، وهو الخوف، وفيه ثلاثة لغات فتح الرء والهء، وفتح الرء وإسكان الهء، وضم الرء وإسكان الهء ﴿فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ﴾ أي حجتان والإشارة إلى العصا واليد ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾ يتعلق بفعل محذوف يقتضيه الكلام ﴿وَرِدْءًا﴾ أي موعينًا، وقرئ بالهمز وبغير همز على التسهيل من المهموز أو يكون من أردت أي زدت ﴿سَنُنَادُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾ استعارة في المعونة ﴿بِآيٰتِنَا﴾ يحتمل أن يتعلق بقوله نجعل أو يوصلون أو بالغالبون

فِي آبَائِنَا الْأُولِينَ ﴿٢٦﴾ وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَن جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِن عِنْدِهِ وَمَن تَكُونُ لَهُمْ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٧﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَنهَمَنُ عَلَى الطِّينِ فَأَجْعَل لِّي صَرْحًا لَعَلِّي أَطِيعُ إِلَٰهَ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٨﴾ وَأَسْتَكْبِرُ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُم إِلَٰهِنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَحْذَنَّهُ وَجُنُودُهُ فَنَبَذْنَهُمْ فِي الْيَمِّ فَأَنْظَرُ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ آيَةً يَدْعُونَ إِلَى التَّكْوِينِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَاتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ مِن بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَىٰ بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًّا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا عَلَيْهِمْ

﴿فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ﴾ أي اصنع الآجر لبنان الصرح الذي رام أن يصعد منه إلى السماء، ورُوي أنه أول من عمل الآجر، وكان هامان وزير فرعون وانظر ضعف عقولهما وعقول قومهما وجهلهم بالله تعالى في كونهم طمعوا أن يصلوا إلى السماء ببنيان الصرح، وقد رُوي أنه عمله وصعد عليه ورمى بسهم إلى السماء فرجع مخضوبًا بدم وذلك فتنة له ولقومه وتهكم بهم، ثم قال: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ يعني في دعوى الرسالة، والظن هنا يحتمل أن يكون على بابه، أو بمعنى اليقين ﴿أَيُّمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾ أي كانوا يدعون الناس إلى الكفر الموجب للنار ﴿مِّنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾ أي من المطرودين المبعدين، وقيل قبحت وجوههم، وقيل قبح ما يفعل بهم وما يقال لهم ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ﴾ خطاب لسيدنا محمد ﷺ والمراد به إقامة حجة لإخباره بحال موسى وهو لم يحضره والغربي المكان الذي في غربي الطور، وهو المكان الذي كلم الله فيه موسى والأمر المقضي إلى موسى هو النبوة ومن الشاهدين معناه من الحاضرين هنالك ﴿وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ﴾ المعنى لم تحضر يا محمد للاطلاع على هذه الغيوب التي تخبر بها، ولكنها صارت إليك بوحينا فكان الواجب على الناس المسارعة إلى الإيمان بك، ولكن تطاول الأمر على القرون التي أنشأناها فغابت عقولهم واستحكمت جهالتهم فكفروا بك، وقيل المعنى لكننا أنشأنا قرونًا

ءَايَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَتْهُمْ مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْلَا أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌ يَمَّا قَدَّمْت أَيْدِيَهُمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ أَوْلَمْ يَكْفُرُوا يَمَّا أُوتِيَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَافِرٍ ﴿٤٨﴾ قُلْ فَاتُوا بِكِتَابٍ مِّن عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبَعُهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا

فترة من الرسل ﴿ثَاوِيًا﴾ أي مقيماً ﴿إِذْ نَادَيْنَا﴾ يعني تكليم موسى، والمراد بذلك إقامة حجة سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم لإخباره بهذه الأمور مع أنه لم يكن حاضراً حينئذ ﴿وَلَكِنْ رَحْمَةً﴾ انتصب على المصدر، أو على أنه مفعول من أجله والتقدير: ولكن أرسلناك رحمة منا لك ورحمة للخلق بك ﴿وَلَوْلَا أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌ﴾ لو هنا حرف امتناع ولولا الثانية عرض وتحضيض، والمعنى لولا أن تصيبهم مصيبة بكفرهم لم نرسل الرسول، وإنما أرسلناهم على وجه الإعذار وإقامة الحجة عليهم، لثلا يقولوا: ﴿رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ﴾ يعني القرآن ونبوة محمد ﷺ ﴿قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ﴾ يعنون إنزال الكتاب عليه من السماء جملة واحدة، وقلب العصا حية وفتح البحر وشبه ذلك ﴿أَوْ لَمْ يَكْفُرُوا يَمَّا أُوتِيَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ﴾ هذا رد عليهم فيما طلبوه، والمعنى أنهم كفروا بما أُوتِيَ موسى فلو آتينا محمداً مثل ذلك لكفروا به، ومن قبل على هذا يتعلق بقوله أُوتِيَ موسى، ويحتمل أن يتعلق بقوله أو لم يكفروا، إن كانت الآية في بني إسرائيل، والأول أحسن ﴿قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا﴾ يعنون موسى وهارون، أو موسى ومحمداً ﷺ والضمير في أو لم يكفروا وفي قالوا لكفار قريش وقيل لأبائهم، وقيل لليهود والأول أظهر وأصح لأنهم المقصودون بالرد عليهم ﴿فَاتُوا بِكِتَابٍ﴾ أمر على وجه التخصيص لهم ﴿أَهْدَىٰ مِنْهُمَا﴾ الضمير يعود على كتاب موسى وكتاب سيدنا محمد ﷺ ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ﴾ قد علم أنهم لا يستجيبون للإتيان بكتاب هو أهدى منهما أبداً، ولكنه ذكره بحرف إن مبالغة في إقامة الحجة عليهم: كقوله: فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا، فاعلم أنما

يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٠﴾ ﴿٥١﴾ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٢﴾ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٣﴾ وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴿٥٤﴾ أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ سَلَّمْ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ ﴿٥٦﴾ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوا إِنْ تَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُنْخِطَفُ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَمْ تُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا

يتبعون أهواءهم: المعنى إن لم يأتوا بكتاب فاعلم أن كفرهم عناد واتباع أهوائهم لا بحجة وبرهان ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ﴾ الضمير لكفار قريش، وقيل لليهود والأول أظهر؛ لأن الكلام من أوله معهم، والقول هنا القرآن، ووصلنا لهم: أبلغناه لهم، أو جعلناه موصلاً بعضه ببعض ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ﴾ يعني من أسلم من اليهود، وقيل النجاشي وقومه، وقيل نصارى نجران الذين قَدِموا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمكة وهم عشرون رجلاً فآمنوا به، والضمير في قبله للقرآن، وقولهم إنه الحق: تعليل لإيمانهم، وقولهم: ﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ﴾: بيان لأن إسلامهم قديم لأنهم وجدوا ذكر سيدنا محمد ﷺ في كتبهم قبل أن يبعث ﴿أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ﴾ قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين: رجل من أهل الكتاب ثم آمن بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم، ورجل مملوك أذى حق الله وحق مواليه، ورجل كانت له أمة فأعتقها وتزوجها» ﴿بِمَا صَبَرُوا﴾ يعني صبرهم على إذابة قومهم لهم لما أسلموا أو غير ذلك من أنواع الصبر ﴿وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾ أي يدفعون، ويحتمل أن يريد بالسيسة ما يقال لهم من الكلام القبيح، وبالْحَسَنَةِ ما يجاوبون به من الكلام الحسن، أو يريد سيئات أعمالهم وحسناتها كقوله: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُدْهِبُنَ السَّيِّئَاتِ﴾ [هود: ١١٤] ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ﴾ يعني ساقط الكلام ﴿لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾ هذا على وجه التبري والبعد من القائلين للغو ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ معناه هنا المتاركة والمباعدة لا التحية أو كأنه سلام الانصراف والبعد ﴿لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾ أي لا نطلبهم للجدال والمراجعة في الكلام ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ نزلت في أبي طالب إذ دعاه النبي ﷺ أن يقول عند موته لا إله إلا الله فقال لولا أن يعايرني بها قريش لأقررت بها عينك ومات على الكفر، ولفظ الآية مع ذلك على عمومه ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ لفظ ﴿وَقَالُوا إِنْ تَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُنْخِطَفُ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَمْ تُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا﴾

يُجِبِّي إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا فَبَلَكَ مَسْكَنُهُمْ لَمَّا تَشْكَنَ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴿٥٨﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمَمٍ رَّسُولًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا أَوْتَيْنَا مِنْ شَيْءٍ فَتَمَتَّعُ الْحَيَوةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَفَمَن وَعَدَّنَاهُ وَعَدَّا حَسَنًا فَهُوَ لَنَقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآئِيَ

مَعَكَ تُنْخَطَفُ مِنْ أَرْضِنَا ﴿٥٧﴾ القائلون لذلك قريش، ورؤي أن الذي قالها منهم الحارث بن عامر بن نوفل، والهدى هو الإسلام، ومعناه الهدى على زعمك، وقيل إنهم قالوا قد علمنا أن الذي تقول حق، ولكن إن اتبعناك تخطفنا العرب: أي أهلكونا بالقتال لمخالفة دينهم ﴿أَوْ لَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا﴾ هذا ردّ عليهم فيما اعتذروا به من تخطف الناس لهم، والمعنى أن الحرم لا يتعرض له العرب بقتال ولا يمكن الله أحدًا من إهلاك أهله فقد كانت العرب يُغير بعضهم على بعض، وأهل الحرم آمنون من ذلك ﴿يُجِبِّي إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ أي تجلبب إليه الأرزاق مع أنه وادٍ غير ذي زرع ﴿بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا﴾ معنى بطرت طغت وسفقت، ومعيشتها: نصب على التفسير مثل سفه نفسه، أو على إسقاط حرف الجر تقديره بطرت في معيشتها أو يتضمن معنى بطرت كفرت ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ يعني قليلاً من السكنى، أو قليلاً من الساكنين: أي لم يسكنها بعد إهلاكها إلا ما رآ على الطريق ساعة ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمَمٍ رَّسُولًا﴾ أم القرى مكة لأنها أول ما خلق الله من الأرض، ولأن فيها بيت الله، والمعنى أن الله أقام الحجة على أهل القرى بأن بعث سيدنا محمدًا ﷺ في أم القرى، فإن كفروا أهلكهم بظلمهم بعد البيان لهم وإقامة الحجة عليهم ﴿وَمَا أَوْتَيْنَا مِنْ شَيْءٍ﴾ الآية: تحقير للدنيا وتزهيد فيها وترغيب في الآخرة ﴿أَفَمَن وَعَدَّنَاهُ﴾ الآية: إيضاح لما قبلها من البون بين الدنيا والآخرة، والمراد بمن وعدناه المؤمنين، وبمن متعناه الكافرين، وقيل سيدنا محمدًا صلى الله عليه وآله وسلم وأبو جهل، وقيل حمزة وأبو جهل، والعموم أحسن لفظًا، ومعنى من المحضرين أي من المحضرين في العذاب ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾ العامل في الظرف مضمرة وفاعل ينادي الله تعالى، ويحتمل أن يكون نداؤه بواسطة أو بغير واسطة، والمفعول به المشركون ﴿أَيْنَ شُرَكَآئِيَ﴾ توبيخ للمشركين ونسبهم إلى نفسه على زعمهم، ولذلك قال الذين كنتم تزعمون، فحذف

الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿١٢﴾ قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿١٣﴾ وَقِيلَ أَدْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأُوا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ ﴿١٤﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٥﴾ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿١٦﴾ فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَىٰ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ ﴿١٧﴾ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ

المفعول وتقديره تزعمون أنهم شركاء لي أو تزعمون أنهم شفعاء لكم ﴿قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا﴾ معنى حق عليهم القول وجب عليهم العذاب، والمراد بذلك رؤساء المشركين وكبرائهم، والإشارة بقولهم هؤلاء الذين اغويننا: إلى أتباعهم من الضعفاء، فإن قيل: كيف الجمع بين قولهم اغويننا وبين قولهم تبرأنا إليك، فإنهم اعترفوا بإغوائهم، وتبرؤوا مع ذلك منهم؟ فالجواب أن إغواءهم لهم هو أمرهم لهم بالشرك، والمعنى أنا حملناهم على الشرك كما حملنا أنفسنا عليه ولكن لم يكونوا يعبدوننا إنما كانوا يعبدون غيرنا من الأصنام وغيرها فتبرأنا إليك من عبادتهم لنا، فتحصل من كلام هؤلاء الرؤساء أنهم اعترفوا أنهم أغوا الضعفاء وتبرؤوا من أن يكونوا هم آلهتهم فلا تناقض في الكلام، وقد قيل في معنى الآية غير هذا مما هو تكلف بعيد ﴿لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ﴾ فيه أربعة أوجه: الأول أن المعنى لو أنهم كانوا يهتدون في الدنيا لم يعبدوا الأصنام، والثاني لو أنهم كانوا يهتدون لم يعذبوا والثالث لو أنهم كانوا يهتدون في الآخرة لحيلة يدفعون بها العذاب فلعلموا فلو على هذا الأقوال حرف امتناع وجوابها محذوف، والرابع أن يكون لو للتمني: أي تمتوا لو كانوا مهتدين ﴿مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾ أي أهل صدقتم المرسلين أو كذبتموهم ﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ﴾ عميت عبارة عن حيرتهم، والأنباء الأخبار أي أظلمت عليهم الأمور فلم يعرفوا ما يقولون ﴿فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ أي لا يسأل بعضهم بعضاً عن الأنباء لأنهم قد تساوا في الحيرة والعجز عن الجواب ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ قيل سببها استغراب قريش لاختصاص سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالنبوة، فالمعنى أن الله يخلق ما يشاء، ويختار لرسالته من يشاء من عباده، ولفظها أعم من ذلك، والأحسن حملها على عمومها: أي يختار ما يشاء من الأمور على الإطلاق، ويفعل ما يريد ﴿مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾ ما نافية، والمعنى ما كان للعباد اختيار إنما الاختيار والإرادة لله وحده. فالوقف على قوله ويختار، وقيل إن ما مفعولة بيختار، ومعنى الخيرة على هذا الخير والمصلحة، وهذا

عَمَّا يَشْرِكُونَ ﴿٣٨﴾ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٣٩﴾ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِاللَّيْلِ تَسْكُونُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٤٢﴾ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٣﴾ وَيَوْمَ ينادِيهِمْ فيقولُ أَيْنَ شُرَكَاءِ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٤٤﴾ وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٤٥﴾ ﴿٤٦﴾ إِنَّ قُلُوبَنَا كَانَتْ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَإِنَّا لَهُمْ لَكَاوِرٌ مَا يُرَوْنَ مِنْ أَلْفَاظٍ مَعْتَدَةٍ لَتَكُونُنَّ مِنَ الْكَاوِرِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّا لَنَرَاهُمْ فِي صُورِهِمْ حَمَلٌ مُدْبِرٌ عَلَى عَصَايِهِمْ لِيُنقَلُوا فِيهَا بِأَبْصَارِنَا حَمَلٌ مُدْبِرٌ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَرَاهُمْ فِي صُورِهِمْ حَمَلٌ مُدْبِرٌ عَلَى عَصَايِهِمْ لِيُنقَلُوا فِيهَا بِأَبْصَارِنَا حَمَلٌ مُدْبِرٌ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّا لَنَرَاهُمْ فِي صُورِهِمْ حَمَلٌ مُدْبِرٌ عَلَى عَصَايِهِمْ لِيُنقَلُوا فِيهَا بِأَبْصَارِنَا حَمَلٌ مُدْبِرٌ ﴿٥٠﴾

اسم كان، ولو كانت ما مفعولة: لكان اسم كان مضمراً يعود على ما؛ وكانت الخيرة منصوبة على أنها خبر كان، وقد اعتذر عن هذا من قال إن ما مفعولة بأن يقال تقدير الكلام يختار ما كان لهم الخيرة فيه، ثم حذف الجار والمجرور وهذا ضعيف، وقال ابن عطية يتجه أن تكون ما مفعولة إذا قدرنا كان تامّة، ويوقف على قوله ما كان: أي يختار كل كائن، ويكون ﴿لَهُمُ الْخَيْرَةُ﴾ جملة مستأنفة، وهذا بعيد جداً ﴿يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ﴾ أي ما تخفيه قلوبهم وعبر عن القلب بالصدر، لأنه يحتوي عليه ﴿لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ﴾ قيل إن الحمد في الآخرة قولهم الحمد لله الذي صدقنا وعده أو قولهم الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن، وفي ذكر الأولى مع الآخرة مطابقة ﴿سَرْمَدًا﴾ أي دائماً، والمراد بالآيات إثبات الوحدانية وإبطال الشرك، فإن قيل كيف قال يأتيتكم بضياء، وهلا قال يأتيتكم بنهار في مقابلة قوله يأتيتكم بليل؟ فالجواب أنه ذكر الضياء لجملة ما فيه من المنافع والعبر ﴿لَتَسْكُنُوا فِيهِ﴾ أي في الليل ﴿وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ أي في النهار، ففي الآية لف ونشر ﴿وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ أي أخرجنا من كل أمة شهيداً منهم يشهد عليهم بأعمالهم وهو نبينهم، لأن كل نبي يشهد على أمته ﴿هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ أي هاتوا حجتكم على ما كنتم عليه من الكفر، وذلك إعذار لهم وتوبيخ وتعجيز ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى﴾ أي من بني إسرائيل، وكان ابن عم موسى وقيل ابن عمته، وقيل ابن خالته ﴿فَبَغَى عَلَيْهِمْ﴾ أي تكبر وطنى ومن ذلك كفره بموسى عليه السلام ﴿وَأَتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ﴾ المفاتيح هي التي يفتح بها، وقيل هي الخزائن، والأول أظهر، والعصبة جماعة الرجال من

الْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ
 كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَا
 أُوتِيتُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي أُولَمْ يَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً
 وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ

العشرة إلى الأربعين، وتنوء معناه تثقل، يقال ناء به الحمل: إذا أثقله، وقيل معنى تنوء تنهض بتحمل وتكلف والوجه على هذا أن يقال إن العصبية تنوء بالمفتاح لكنه قلب كما جاء قلب الكلام عن العرب كثيرا، ولا يحتاج إلى قلب على القول الأول ﴿لَا تُفْرَحْ﴾ الفرح هنا هو الذي يقود إلى الإعجاب والطمع، ولذلك قال إن الله لا يحب الفرحين، وقيل السرور بالدنيا، لأنه لا يفرح بها إلا من غفل عن الآخرة ويدل على هذا قوله: ﴿وَلَا تُفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ [الحديد: ٢٣] ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ﴾ أي اقصد الآخرة بما أعطاك الله من المال، وذلك بفعل الحسنات والصدقات ﴿وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ أي لا تضع حظك من دنياك وتمتع بها مع عملك للآخرة، وقيل معناه لا تضع عمرك بترك الأعمال الصالحات، فإن حظ الإنسان من الدنيا إنما هو بما يعمل فيها من الخير، فالكلام على هذا وعظ، وعلى الأول إباحة للتمتع بالدنيا لثلاثين عن قبول الموعظة ﴿وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ أي أحسن إلى عباد الله كما أحسن الله إليك بالغنى ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾ لما وعظه قومه أجابهم بهذا على وجه الرد عليهم والروغان عما ألزموه من الموعظة، والمعنى أن هذا المال إنما أعطاه الله لي بالاستحقاق له بسبب علم عندي استوجبه به واختلف في هذا العلم فقيل إنه علم الكيمياء، وقيل التجارب للأموال والمعرفة بالمكاسب، وقيل حفظه التوراة، وهذا بعيد، لأنه كان كافرا، وقيل المعنى إنما أُوتيته على علم من الله وتخصيص خصني به، ثم جعل قوله عندي كما تقول في ظني واعتقادي ﴿أَوْ لَمْ يَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ﴾ هذا رد عليه في اغتراره بالدنيا وكثرة جمعه للمال أو جمعه للخدم، والأول أظهر ﴿وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ في معناه قولان: أحدهما أنه متصل بما قبله، والضمير في ذنوبهم يعود على القرون المتقدمة والمجرمون من بعدهم أي لا يسأل المجرمون عن ذنوب من تقدمهم من الأمم الهالكة لأن كل أحد إنما يسأل عن ذنوبه خاصة، والثاني أنه إخبار عن حال المجرمين في الآخرة؛ وأنهم لا يسألون عن ذنوبهم لكونهم يـ

يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بَلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَدْ رَوْنُ إِنَّهُ لَدُو حَظِّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُفْلِحُ إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيُكَاتِبُ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيُكَاتِبُ لَا يَفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٢﴾ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِمَّا مَنَّ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ

ويسألون عنها لقوله: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسَأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر: ٩٢] وأن هذا السؤال المنفي السؤال على وجه الاختبار وطلب التعريف، لأنه لا يحتاج إلى سؤالهم على هذا الوجه لكن يسألون على وجه التوبيخ، وحيثما ورد في القرآن إثبات السؤال في الآخرة، فهو على معنى المحاسبة والتوبيخ، وحيثما ورد نفيه فهو على وجه الاستخبار والتعريف، ومنه قوله فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ﴾ في ثياب حمر، وقيل في عبيده وحاشيته، واللفظ أعم من ذلك ﴿وَيَلْكُمْ﴾ زجر للذين تمنوا مثل حال قارون ﴿وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾ الضمير عائد على الخصمال التي دل عليها الكلام المتقدم، وهي الإيمان والعمل الصالح، وقيل على الكلمة التي قالها الذين أتوا العلم: أي لا تصدر الكلمة إلا عن الصابرين، والصبر هنا إمساك النفس عن الدنيا وزينتها ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ﴾ زوي أن قارون لما بغى على بني إسرائيل وأذى موسى دعا موسى عليه السلام عليه فأوحى الله إليه أن قد أمرت الله أن تطيعك فيه وفي أتباعه، فقال موسى: يا أرض خذيههم فأخذتهم إلى الركب فاستغاثوا بموسى فقال يا أرض خذيههم حتى تم بهم الخسف ﴿مَكَانَهُ﴾ أي منزلته في المال والعزة ﴿بِالْأَمْسِ﴾ يحتمل أن يريد به اليوم الذي كان قبل ذلك اليوم أو ما تقدم من الزمان القريب ﴿وَيُكَاتِبُ﴾ مذهب سيبويه أن وي حرف تنبيه، ثم ذكرت بعدها كان، والمعنى على هذا أنهم تنبهوا لخطئهم في قولهم يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون، ثم قالوا كأن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر: أي ما أشبه الحال بهذا، وقال الكوفيون ويك هو ويلك حذف منها اللام لكثرة الاستعمال، ثم ذكرت بعدها أن، والمعنى ألم يعلموا أن الله وقيل ويكأن كلمة واحدة معناها ألم تعلم ﴿عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ﴾ أي تكبرًا وطغيانًا لا رفعة المنزلة، فإن إرادتها جائزة.

إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدُكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ
 بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾ وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ
 رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أَنْزَلَتْ إِلَيْكَ وَأَدْعُ إِلَىٰ
 رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ
 هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾

﴿فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ﴾ أي أنزله عليك وأثبتته، وقيل المعنى أعطاك القرآن، والمعنى
 متقارب، وقيل فرض عليك أحكام القرآن، فهي على حذف مضاف ﴿لَرَأْدُكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾
 المعاد الموضع الذي يعاد إليه، فقيل يعني مكة، والآية نزلت حين الهجرة، ففيها وعد
 بالرجوع إلى مكة وفتحها، وقيل يعني الآخرة فمعناها إعلام بالحشر، وقيل يعني الجنة
 ﴿وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ﴾ أي ما كنت تظلم أن تنال النبوة، ولا أن ينزل
 عليك الكتاب ولكن الله رحمك بذلك ورحم الناس بنبوتك، والاستثناء بمعنى لكن فهو
 منقطع. ويحتمل أن يكون متصلاً. والمعنى ما أنزل عليك الكتاب إلا رحمة من ربك لك
 ورحمة للناس، ورحمة على هذا مفعول من أجله أو حال، وعلى الأول منصوب على
 الاستثناء ﴿وَأَدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ يحتمل أن يكون من الدعاء بمعنى الرغبة، أو من دعوة الناس
 إلى الإيمان بالله، فالمفعول محذوف على هذا تقديره ادع الناس ﴿وَلَا تَدْعُ﴾ أي لا تعبد
 ﴿مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ الآية. أي إلا إياه والوجه هنا
 عبارة عن الذات.

سورة العنكبوت

مكية إلا من آية ١ إلى غاية ١١
فمدنية وآياتها ٦٩ نزلت بعد الروم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْم ١ أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يَتْرُكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ
فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ٣ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الم﴾ ذكر في البقرة ﴿أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يَتْرُكُوا﴾ نزلت في قوم من المؤمنين كانوا بمكة مستضعفين منهم عمار بن ياسر وغيره، وكان كفار قريش يؤذونهم ويعذبونهم على الإسلام فضاقت صدورهم بذلك فأنسهم الله بهذه الآية ووعظهم وأخبرهم أن ذلك اختبار ليوطنوا أنفسهم على الصبر على الأذى والثبوت على الإيمان فأعلمهم الله تعالى أن تلك سيرته في عباده يسلط الكفار على المؤمنين ليمحصهم بذلك، ويظهر الصادق في إيمانه من الكاذب، ولفظها مع ذلك عام، فحكمها على العموم في كل من أصابته فتنة من مصيبة أو مضرة في النفس والمال وغير ذلك، ومعنى حسب ظن، وأن يتركوا مفعولها، والهمزة للإنكار وهم لا يفتنون في موضع الحال من الضمير في يتركوا تقديره غير مفتونين، وأن يقولوا: تعليل في موضع المفعول من أجله ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا﴾ أي يعلم صدقهم علمًا ظاهرًا في الوجود، وقد كان علمه في الأزل والصدق والكذب في الآية يعني بهما

سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٤﴾ مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٥﴾ وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ وَوَضِعْنَا الْإِنْسَانَ بُولَدِيهِ حَسَنًا وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنْتَشَرُ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ ﴿٩﴾ وَمَنْ النَّاسُ مَن يَقُولُ ءَأَمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ يَقُولُ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوْ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَأَمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ ﴿١١﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَأَمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلنَحْمِلْ

صحة الإيمان والشبوت عليه، أو ضد ذلك ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَن يَسْبِقُونَا﴾ أم معادلة لقوله أحسب الناس، والمراد بالذين يعملون السيئات الكفار الذين يعذبون المؤمنين، ولفظها مع ذلك عام في كل كافر أو عاص، ومعنى يسبقونا يفوتون من عقابنا ويعجزوننا، فمعنى الكلام نفي سبقهم كما أن معنى الآية قبلها نفي ترك المؤمنين بغير فتنة ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ﴾ الآية: تسلية للمؤمنين، ووعد لهم بالخير في الدار الآخرة، والرجاء هنا على بابه، وقيل هو بمعنى الخوف، وأجل الله هو الموت، ومعنى الآية مَنْ كَانَ يَرْجُوا نُوَابِ اللَّهِ فليصبر في الدنيا على المجاهدة في طاعة الله حتى يلقي الله فيجازهه فإن لقاء الله قريب الإتيان وكل ما هو آت قريب ﴿وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ﴾ أي منفعة جهاده وإنما هي لنفسه، فإن الله لا تنفعه طاعة العباد، والجهاد هنا يحتمل أن يراد به القتال، أو جهاد النفس ﴿حَسَنًا﴾ منصوب بفعل مضمر تقديره ووضينا الإنسان أن يفعل بوالديه حسنًا، أو مصدرًا من معنى وضينا أي وصية حسنة ﴿وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي﴾ الآية نزلت في سعد بن أبي وقاص، وأنه لما أسلم حلفت أمه أن لا تستظل بظل حتى يكفر، وقيل نزلت في غيره ممن جرى له مثل ذلك فأمرهم الله بالثبات على الإسلام وألا يطيعوا الوالدين إذا أمرهم بالكفر، وعبر عن أمر الوالدين بالجهاد مبالغة ﴿وَمَنْ النَّاسُ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ﴾ نزلت في قوم كانوا مؤمنين بألستهم، فإذا عذبهم الكفار رجعوا عن الإيمان، فإذا نصر الله المؤمنين قالوا إنا كنا معكم، فمعنى أُوذِيَ فِي اللَّهِ أُوذِيَ بِسَبَبِ إِيمَانِهِ بِاللَّهِ، وفتنة الناس، تعذيبهم وقيل نزلت في عياش بن أبي ربيعة أخي أبي جهل لأمه ﴿اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا﴾ أي قال الكفار للمؤمنين اكفروا

خَطَايِكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطِيئَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٦﴾ وَلِيَحْمِلُوا أَنْفُسَهُمْ
 وَأَنْفَالَآ مَعَ أَنْفَالِهِمْ وَلِيَسْتَلْنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَقْتُرُونَ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى
 قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ
 وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿١٩﴾ وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ
 ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٠﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ
 إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ
 وَأَشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَإِنْ تَكْذَبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمُورٌ مِنْ بَيْنِكُمْ وَمَا عَلَى الرُّسُلِ
 إِلَّا الْبَلْغُ الْمُبِينُ ﴿٢٢﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ

قائل هذه المقالة الوليد بن المغيرة حكاه المهدوي، وقولهم: ﴿وَلتَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ﴾: جزاء
 قولهم: ﴿اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا﴾، ولكنهم ذكروه على وجه الأمر للمبالغة ولما كان معنى الخبر
 صحة تكذيبهم فيه أخبره الله أنهم كاذبون: أي لا يحملون أوزار هؤلاء، بل يحملون أوزار
 أنفسهم وأوزار أتباعهم من الكفار ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ الظاهر أنه لبث
 هذه المدة بعد بعثه، ويحتمل أن يكون ذلك من أول ولادته، وروى أنه بعث وهو ابن
 أربعين سنة، وأنه عمّر بعد الطوفان ثلاثمائة وخمسين سنة فإن قيل: لم قال ألف سنة، ثم
 قال إلا خمسين عامًا، فاختلف اللفظ مع اتفاق المعنى؟ فالجواب أن ذلك كراهة لتكرار لفظ
 السنة، فإن التكرار مكروه إلا إذا قصد به تفخيم أو تهويل ﴿وَجَعَلْنَاهَا آيَةً﴾ يحتمل أن يعود
 الضمير على السفينة، أو على النجاة، أو على القصة بكمالها ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ هو من
 الخلقه يريد به نحت الأصنام فسمّاه خلقه على وجه التجوز، وقيل هو من اختلاق الكذب
 ﴿لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا﴾ الآية: احتجاج على الوحدانية ونفي الشركاء، فإن قيل: لم نكر
 الرزق أولاً، ثم عرّفه في قوله فابتغوا عن الله الرزق؟ فالجواب: أنه نكره في قوله لا
 يملكون لكم رزقاً لقصد العموم في النفي فإن النكرة في سياق النفي تقتضي العموم ثم عرّفه
 بعد ذلك لقصد العموم في طلب الرزق كله من الله، لأنه لا يقتضي العموم، في سياق
 الإثبات إلا مع التعريف فكانه قال ابتغوا الرزق كله عند الله ﴿وَإِنْ تَكْذَبُوا﴾ الآية يحتمل أن
 تكون من كلام إبراهيم أو من كلام الله تعالى، ويحتمل مع ذلك أن يراد به وعيد الكفار
 وتهديدهم، أو يراد به تسلية النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن تكذيب قومه له بالتأسي
 بغيره من الأنبياء الذين كذبهم قومهم ﴿أَوْ لَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ﴾ يقال بدأ الله

يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يَعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا أَنتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَٰئِكَ يَئِسُوا مِن رَّحْمَتِي وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ ۖ إِلَّا أَن قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾ وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَانَا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٢٥﴾ ﴿فَأَمَّن لَّهُمْ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَءَاتَيْنَاهُ أُجْرًا فِي الدُّنْيَا وَإِنَّا فِي

الخلق وأبداه بمعنى واحد، وقد جاءت اللغتان في هذه السورة، والمعنى أو لم ير الكفار أن الله خلق الخلق فيستدلون بالخلقة الأولى على الإعادة في العشر، فقوله ثم يعيده ليس بمعطوف على يبدأ، لأن المعنى فيهما مختلف لأن رؤية البداية بالمشاهدة، بخلاف الإعادة فإنها تعلم بالنظر والاستدلال، وإنما هو معطوف على الجملة كلها وقد قيل إنه يريد إعادة النبات، وإبدائه، وعلى هذا يكون ثم يعيده عطفًا على يبدىء لاتفاق المعنى، والأول أحسن وأليق بمقاصد الكرم ﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ يعني إعادة الخلق وهي حشرهم ثم أمرهم بالسير في الأرض ليروا مخلوقات الله فيستدلوا بها على قدرته على حشرهم، ولذلك ختمها بقوله إن الله على كل شيء قدير ﴿وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ﴾ أي ترجعون ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ أي لا تفوتون من عذاب الله وليس لكم مهرب في الأرض ولا في السماء ﴿أُولَٰئِكَ يَئِسُوا مِن رَّحْمَتِي﴾ يحتمل أن يكون يأسهم في الآخرة، أو يكون وصف لحالهم في الدنيا، لأن الكافر يائس من رحمة الله، والمؤمن راج خائف، وهذا الكلام من قوله: ﴿أَوْ لَمْ يَرَوْا﴾، إلى هنا: يحتمل أن يكون خطابًا لمحمد ﷺ معترضًا بين قصة إبراهيم، ويحتمل أن يكون خطابًا لإبراهيم وبعد ذلك ذكر جواب قومه له ﴿مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ﴾ نصب مودة على أنها مفعول من أجله أو مفعول ثانٍ لاتخذتم، ورفعها على أنها خبر ابتداء مضمرة أو خبر إن وتكون ما موصولة ونصب بينكم على الظرفية، وخفضه بالإضافة ﴿فَأَمَّن لَّهُ لُوطٌ﴾ تضمن آمن معنى انقاد، ولذلك تعدى باللام ﴿وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾ القائل لذلك إبراهيم، وقيل لوط، وهاجرا من بلادهما بأر

الْآخِرَةَ لِمَنِ الصَّلَاحِينَ ﴿٧٧﴾ وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَأْتُونَ الْفَحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ
 بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٧٨﴾ أَيُنَكُمُ لَأَتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي
 نَكَاحِكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَتَيْنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ
 مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٧٩﴾ قَالَ رَبِّ انصُرني عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨٠﴾ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا
 إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشْرَى قَالُوا إِنَّا مَهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنْ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿٨١﴾ قَالَ
 إِنِّي فِيهَا لَوْطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّه وَأَهْلَهُ إِلَّا أُمَّرَاتَهُ كَأَنْتَ مِنَ
 الْغَابِرِينَ ﴿٨٢﴾ وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِوَىٰ بِهِمْ وَضَافَ بِهِمْ فَرَعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا
 تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجِيكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا أُمَّرَاتَكَ كَأَنْتَ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٨٣﴾ إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَىٰ أَهْلِ
 هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٨٤﴾ وَلَقَدْ رَكَنَّا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً
 لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِن مَدِينٌ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَلْقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ
 الْآخِرَ وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذْتَهُمُ الرِّجْفَةَ فَأَصْبَحُوا فِي
 دَارِهِمْ جِثِيمِينَ ﴿٨٧﴾ وَعَادَا وَنَمُودَا وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسْكَانِهِمْ وَزِينَتِهِمْ
 لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٨٨﴾ وَقُرُوبٌ وَفِرْعَوْنٌ

من ذرية إبراهيم، وعلى ذريته أنزل الله التوراة والإنجيل والزيور والفرقان ﴿وَقَطَّعُوا السَّبِيلَ﴾ قيل أراد قطع الطرق للسلب والقتل، وقيل أراد قطع سبيل النسل بترك النساء وإتيان الرجال ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَكَاحِكُمُ الْمُنْكَرَ﴾ النادي المجلس الذي يجتمع فيه الناس والمنكر فعلهم بالرجال، وقيل إذايتهم للناس ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشْرَى﴾ الرُّسُلُ هنا الملائكة والبشرى بشارة إبراهيم بالولد وهو قوله: ﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ [الذاريات: ٢٨]. أو بشارته بنصر سيدنا لوط والأول أظهر ﴿أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ﴾ يعني قرية سيدنا لوط ﴿قَالَ إِنْ فِيهَا لُوطًا﴾ ليس إخبارًا بأنه فيها وإنما قصد نجاة سيدنا لوط من العذاب الذي يصيب أهل القرية وبرائه من الظلم الذي وصفوه به، فكأنه قال: كيف تهلكون أهل القرية وفيها لوط، وكيف تقولون إنهم ظالمون وفيهم لوط ﴿مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ قد ذكر وكذلك سيء بهم ﴿رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ﴾ أي عذابًا ﴿وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ قيل الرجاء هنا الخوف، وقيل هو على بابته ﴿وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ﴾ يعني نقصهم المكيال والميزان ﴿الرِّجْفَةَ﴾ هي الصيحة ﴿وَقَدْ تَبَيَّنَ﴾

وَهَمَكُمْ ۖ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ ﴿٢٩﴾
فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِمْ فَمِنْهُمْ مَن أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَن أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَن
خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَن أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ
يَظْلِمُونَ ﴿٣٠﴾ مَثَلُ الَّذِينَ أَخَذُوا مِنَ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ
بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٣١﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا
يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ
وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴿٣٣﴾ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً
لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٤﴾ أَتَىٰ مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ
الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرِ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ۞ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ

لَكُمْ مِّن مَّسَاكِينِهِمْ ۖ أَي آثار مساكنهم باقية تدل على ما أصابهم ﴿وكانوا مستبصرين﴾ قيل
معناه لهم بصيرة في كفرهم وإعجاب به، وقيل لهم بصيرة في الإيمان، ولكنهم كفروا
عنادًا، وقيل معنى مستبصرين عقلاً متمكنين من النظر والاستدلال ولكنهم لم يفعلوا ﴿وما
كانوا سابقين﴾ أي لم يفوتونا ﴿فمنهم من أرسلنا عليه حاصبًا﴾ الحاصب الحجارة،
والحاصب أيضًا الريح الشديدة، ويحتمل عندي أنه أراد به المعنيين، لأن قوم سيدنا لوط
أهلكوا بالحجارة، وعاد أهلكوا بالريح، وإن حملناه على المعنى الواحد نقص ذكر الآخر،
وقد أجاز كثير من الناس استعمال اللفظ الواحد في معنيين كقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ
يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: ٥٦] ويقوى ذلك هنا لأن المقصود هنا ذكر عموم أخذ
أصناف الكفار ﴿ومنهم من أخذته الصيحة﴾ يعني ثمود ومدين ﴿ومنهم من خسفنا به
الأرض﴾ يعني قارون ﴿ومنهم من أغرقنا﴾ يعني قوم نوح وفرعون وقومه ﴿مثل الذين
اتخذوا من دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا﴾ شبه الله الكافرين في عبادتهم
للأصنام بالعنكبوت في بنائها بيتًا ضعيفًا، فكان ما اعتمدت عليه العنكبوت في بيتها ليس
بشيء فكذا ما اعتمدت عليه الكفار من آلهتهم ليس بشيء لأنهم لا ينفعون ولا يضرّون
﴿أوهن البيوت﴾ أي أضعفها ﴿لو كانوا يعلمون﴾ أي لو كانوا يعلمون أن هذا مثلهم ﴿إن
الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء﴾ ما موصولة بمعنى الذي مفعولة للفعل الذي قبلها
وقيل هي نافية، والفعل مـ Made searchable using ScribeTools.com ۞ون الله شيئًا له بال،

الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ
إِلَيْكُمْ وَالنُّهْنَا وَالذُّهْمُ وَنَحْنُ لَمْ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ
ءَايَنْتَهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ ﴿٤٧﴾
وَمَا كُنْتَ تَسْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لِآرْتَابِ الْمُبْطِلِينَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ

فلا يصلح أن يسمى شيئاً «بالحق» أي بالواجب لا على وجه العبث واللعب ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ
تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ إذا كان المصلي خاشعاً في صلاته متذكراً لعظمة من وقف بين
يديه حملة ذلك على التوبة من الفحشاء والمنكر فكان الصلاة ناهية عن ذلك ﴿وَلَذِكْرِ اللَّهِ
أَكْبَرُ﴾ قيل فيه ثلاثة معانٍ: الأول أن المعنى أن الصلاة أكبر من غيرها من الطاعات،
وسمّاها بذكر الله، لأن ذكر الله أعظم ما فيها، كأنه أشار بذلك إلى تعليل نهىها عن الفحشاء
والمنكر، لأن ذكر الله فيها هو الذي ينهى عن الفحشاء والمنكر: الثاني أن ذكر الله على
الدوام أكبر في النهي عن الفحشاء والمنكر من الصلاة لأنها في بعض الأوقات دون بعض:
الثالث أن ذكر الله أكبر أجراً من الصلاة ومن سائر الطاعات، كما ورد في الحديث ألا
أثبتكم بخير أعمالكم، قالوا: بلى، قال: ذكر الله ﴿وَلَا تَجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ
أَحْسَنُ﴾ أي لا تجادلوا كفار أهل الكتاب إذا اختلفتم معهم في الدين إلا بالتي هي أحسن،
لا بضرب ولا قتال، وكان هذا قبل أن يفرض الجهاد، ثم نسخ بالسيف، ومعنى إلا الذين
ظلموا: أي ظلموكم، وصرّحوا بإذابة نبيكم محمد ﷺ، وقيل معنى الآية: لا تجادلوا من
أسلم من أهل الكتاب فيما حدثوكم به من الأخبار إلا بالتي هي أحسن، ومعنى إلا الذين
ظلموا على هذا من بقي منهم على كفره، والمعنى الأول أظهر ﴿وَقُولُوا آمَنَّا﴾ هذا وما بعده
يقتضي مواعدة ومسالمة، وهي منسوخة بالسيف، ويقتضي أيضاً الإعراض عن مكالمتهم،
وفي الحديث: لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل
إليكم، فإن كان باطلاً لم تصدقوهم، وإن كان حقاً لم تكذبوهم ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ
الْكِتَابَ﴾ أي كما أنزلنا الكتاب على من قبلك أنزلناه عليك ﴿فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ يعني
عبد الله بن سلام وأمثاله ممن أسلم من اليهود والنصارى ﴿وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ﴾ أراد
بالذين أوتوا الكتاب أهل التوراة والإنجيل وأراد بقوله من هؤلاء من يؤمن به كفار قريش،
وقيل أراد بالذين أوتوا الكتاب المتقدمين من أهل التوراة والإنجيل وأراد بهؤلاء المعاصرين
لمحمد ﷺ منهم كعبد الله بن سلام ﴿وَمَا كُنْتَ تَسْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ﴾ هذا احتجاج على
أن القرآن من عند الله، لأن النبي ﷺ كان لا يقرأ ولا يكتب، ثم جاء بالقرآن، فإن قيل: ما

ءَايَاتُ يَنْتَنُ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوْتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةٌ وَذِكْرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ كَفَى بِاللَّهِ بَيِّنًا وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٥٢﴾ وَسَتَعْلَمُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُسَمًّى لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾ سَتَعْلَمُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٥٤﴾ يَوْمَ يَغْشَاهُمْ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾ يَعْجَبُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِنِّي فَاعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ

فائدة قوله بيمينك؟ فالجواب أن ذلك تأكيد للكلام، وتصوير للمعنى المراد ﴿إِذَا لَازَتَابِ الْمُبْطَلُونَ﴾ أي لو كنت تقرأ أو تكتب لتطرقت الشك إلى الكفار فكانوا يقولون لعله تعلم هذا الكتاب أو قرأه، وقيل وجه الاحتجاج أن أهل الكتاب كانوا يجدون في كتبهم أن النبي ﷺ أمي لا يقرأ ولا يكتب، فلما جعله الله كذلك قامت عليهم الحجة، ولو كان يقرأ أو يكتب لكان مخالفاً للصفة التي وصفه الله بها عندهم، والمذهب الصحيح أن رسول الله ﷺ لم يقرأ قط ولا كتب وقال الباجي وغيره: أنه كتب لظاهر حديث الحديبية، وهذا القول ضعيف ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ﴾ الضمير للقرآن، والإضراب ببل عن كلام محذوف تقديره ليس الأمر كما حسب الظالمون والمبطلون ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ المعنى كيف يطلبون آية والقرآن أعظم الآيات وأوضحها دلالة على صحة النبوة فهلاً اكتفوا به عن طلب الآيات ﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ﴾ ذكر معناه في الرعد وفي الأنعام ﴿وَسَتَعْلَمُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾ الضمير للكفار يعني قولهم اتتنا بما تعدنا، وقولهم فأمطر علينا حجارة من السماء وشبه ذلك ﴿وَلَوْلَا أَجَلٌ مُسَمًّى﴾ أي لولا أن الله قدر لعذابهم أجلاً مسماً لجاءهم به حين طلبوه ﴿وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً﴾ يحتمل أن يريد القتل الذي أصابهم يوم بدر أو الجوع الذي أصابهم بتوالي القحط، أو يريد عذاب الآخرة، وهذا أظهر لقوله: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ ﴿يَوْمَ يَغْشَاهُمْ الْعَذَابُ﴾ أي يحيط بهم، والعامل في الظرف محذوف، أو محيطه.

﴿إِنْ أَرْضِي وَاسِعَةٌ﴾ تحريض على الهجرة من مكة إذ كان المؤمنون يلقون فيها أذى

الكفار، وترغيباً في غير ﴿Made searchable using ScribeTools.com﴾ بشة، ثم إلى المدينة

ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا يُجْرَى مِنْ تَحْتِهَا
 الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعَمَ أَجْرٍ الْعَمَلِينَ ﴿٥٨﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾ وَكَأَن مِّن
 دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَن خَلَقَ السَّمَوَاتِ
 وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ
 وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَن نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ
 بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولَنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾ وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا
 لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ
 دَعَا اللَّهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ فَلَمَّا بَجَّهْتُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَانَبْتَهُمْ
 وَلِيَتَمَنَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُخَاطَفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ
 أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَيَنْعِمَ اللَّهُ بِكَفْرِهِمْ ﴿٦٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ أَفْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ

﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ﴾ أي نزلهم، وقرئ بالباء المثلثة من الشوى وهو الإقامة في المنزل ﴿وَكأَيِّن مِّن
 دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا﴾ أي كم من دابة ضعيفة لا تقدر على حمل رزقها، ولكن الله يرزقها
 مع ضعفها والقصد بالآية تقوية لقلوب المؤمنين إذ خافوا الفقر والجوع في الهجرة إلى بلاد
 الناس: أي كما يرزق الله الحيوانات الضعيفة كذلك يرزقكم إذا هاجرتم من بلدكم ﴿وَلَئِن
 سَأَلْتَهُمْ﴾ في الموضوعين: إقامة حجة عليهم ﴿فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ أي كيف يصرفون عن الحق
 ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ حمداً لله على ظهور الحجة، ويكون المعنى الزامهم أن يحمداوا الله لما
 اعترفوا أنه خلق السموات والأرض ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ إضراب عن كلام محذوف
 تقديره يجب عليهم أن يعبدوا الله لما اعترفوا به ولكنهم لا يعقلون ﴿لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾ أي
 الحياة الدائمة التي لا موت فيها، ولفظ الحيوان مصدر كالحياة ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ﴾
 الآية: إقامة حجة عليهم بدعائهم حين الشدائد، ثم يشركون به في حال الرخاء.
 ﴿لِيَكْفُرُوا﴾ أمر على وجه التهديد أو على وجه الخذلان والتخلية كما تقول لمن تنصحه فلا
 يقبل نصحك اعمل ما شئت ﴿أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا﴾ الضمير لكفار قريش،
 والحرم الآمن: مكة، لأنها كانت لا تُغَيَّرُ عليها العرب كما تُغَيَّرُ على سائر البلاد ولا ينتهك
 أحد حُرمتها ﴿وَيُتَخَاطَفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ عبارة عما يصيب غير أهل مكة من القتال أو
 أخذ الأموال ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا﴾ يعني جهاد النفس من الصبر على إذابة الكفار واحتمال

لَمَّا جَاءَهُمُ الْيَسَّ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴿١٦٨﴾ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ
 الْمُحْسِنِينَ ﴿١٦٩﴾

الخروج عن الأوطان وغير ذلك، وقيل يعني القتال، وذلك ضعيف، لأن القتال لم يكن
 مأمورًا به حين نزول الآية ﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ أي لنوفقنهم لسبيل الخير ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ
 الْمُحْسِنِينَ﴾ المعنى أنه معهم بإعانتة ونصره.

سورة الروم

مكية إلا آية ١٧ فمدنية وآياتها ٦٠ نزلت بعد الانشقاق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْعَلَمِ ۝ غَلَبَتِ الرُّومُ ۝ فِي آدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝ فِي بَضْعِ
سِنِينَ ۝ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ۝ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿غَلَبَتِ الرُّومُ﴾ أي هزم كسرى ملك الفرس جيش ملك الروم، وسُميت الروم باسم جدّهم وهو روم بن عيصو بن إسحاق بن إبراهيم ﴿فِي آدْنَى الْأَرْضِ﴾ قيل هي الجزيرة، وهي بين الشام والعراق وهي أدنى أرض الروم إلى فارس، وقيل في أدنى أرض العرب منهم وهي أطراف الشام ﴿وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾ إخبار بأن الروم سيغلبون الفرس ﴿فِي بَضْعِ سِنِينَ﴾ البضع ما بين الثلاث إلى التسع ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ رُوِيَ أَنَّ غَلَبَ الروم فارس وقع يوم بدر، وقيل يوم الحديدية، ففرح المؤمنون بنصر الله لهم على كفّار قريش وقيل فرح المؤمنون بنصر الروم على الفرس، لأن الروم أهل كتاب فهم أقرب إلى الإسلام، كذلك فرح الكفّار من قريش بنصر الفرس على الروم لأن الفرس ليسوا بأهل كتاب فهم أقرب إلى كفّار قريش، ورُوِيَ أَنَّهُ لَمَّا فَرِحَ الْكُفَّارُ بِذَلِكَ خَرَجَ إِلَيْهِمْ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ إِنْ نَبَّيْنَا ﷺ قَدْ أَخْبَرْنَا عَنْ اللَّهِ تَعَالَى أَنَّهُمْ سَيَغْلِبُونَ وَرَاهَنَهُمْ

مَنْ يَشَاءُ ۗ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعَدَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴿٧﴾ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ ۗ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَائِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ ﴿٨﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ كَانُوا أَشَدَّ مِمَّنْهُم قُوَّةً وَأَنَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ ۗ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ اسْتَوُوا السُّوْءَىٰ ۗ أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ

على عشرة قلاص إلى ثلاث سنين وذلك قبل أن يحرم القمار، فقال له رسول الله ﷺ: «زدهم في الرهن واستردهم في الأجل»، فجعل القلاص مائة، والأجل تسعة أعوام وجعل معه أبي بن خلف مثل ذلك، فلما وقع الأمر على ما أخبر به أخذ أبو بكر القلاص من ذرية أبي بن خلف، إذ كان قد مات وجاء بها إلى النبي ﷺ فقال له تصدق بها ﴿وَعَدَ اللَّهُ﴾ مصدر مؤكد كقوله له علي ألف درهم عرفاً، لأن معناه اعترفت له بها اعترافاً ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا﴾ قيل معناه يعلمون ما يدرك بالحواس دون ما يدرك بالعقول فهم في ذلك مثل البهائم، وقيل الظاهر ما يعلم بأوائل العقول، والباطن ما يعلم بالنظر والدليل، وقيل هو من الظهور بمعنى العلو في الدنيا، وقيل ظاهر بمعنى زائل ذاهب، والأظهر أنه أراد بالظاهر المعرفة بأمور الدنيا ومصالحها لأنه وصفهم بعد ذلك بالغفلة عن الآخرة، وذلك يقتضي عدم معرفتهم بها، وانظر كيف نفى العلم عنهم أولاً، ثم أثبت لهم العلم بالدنيا خاصة، وقال بعض أهل البيان: إن هذا من المطابقة لاجتماع النفي والإثبات، وجعل بعضهم العلم المثبت كالعدم لقلّة منفعتة فهو على هذا بيان للنفي ﴿أَوْ لَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ﴾ يحتمل معنيين: أحدهما أن تكون النفس ظرفاً للفكرة في خلق السموات والأرض كأنه قال أَوْ لَمْ يَتَفَكَّرُوا بعقولهم فيعلموا أن الله ما خلق السموات والأرض إلا بالحق، والثاني أن يكون المعنى أَوْ لَمْ يَتَفَكَّرُوا في ذواتهم وخلقتهم ليستدلوا بذلك على الخالق، ويكون قوله ما خلق الآية: استئناف كلام، والمعنى الأول أظهر ﴿وَأَنَارُوا الْأَرْضَ﴾ أي حرثوها ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ اسَاءُوا السُّوْءَىٰ﴾ معنى السوآى: هلاك الكفار، ولفظ السوآى تأنيث الأسوأ: كما أن الحسنى تأنيث الأحسن، وقرئ عاقبة بالرفع على أنه اسم كان، والسوآى خبرها، وقرئ بنصب عاقبة على

إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءُ
وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ ﴿١٣﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْفِرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ
ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا
وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾ فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ
تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ
الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ
خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ
أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾
وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ أَلْسِنَتِكُمْ وَالْوَاوِنِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ
لِلْعَالَمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاءُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ
لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْرِجُ
بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ

ويحتمل أن تكون السواى مصدر أساءوا ﴿يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ﴾ الإبلاس الكون في شر مع
اليأس من الخير ﴿يُنْفِرُونَ﴾ معناه في المنازل والجزاء ﴿يُخْبِرُونَ﴾ ينعمون من الحبور وهو
السرور والنعيم، وقيل يكرمون ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ﴾ هذا تعليم للعباد أي قولوا سبحان الله حين
تمسون وحين تصبحون ﴿وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ أي حين تدخلون في وقت الظهيرة وهي
وسط النهار، وقوله: ﴿وله الحمد في السموات والأرض﴾: اعتراض بين المعطوفات،
وقيل أراد بذلك الصلوات الخمس، فحين تمسون: المغرب والعشاء، وحين تصبحون:
الصبح، وعشيًّا: العصر، وحين تظهِرون: الظهر، ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ﴾ ذكر في آل عمران
﴿وَيُخْيِي الْأَرْضَ﴾ أي ينبت فيها النبات ﴿وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ أي كما يُخْرِجُ اللهُ النبات من
الأرض كذلك يُخرجكم من الأرض للبعث يوم القيامة ﴿تَنْتَشِرُونَ﴾ أي تنصرفون في الدنيا
﴿مَنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ أي صنفكم وجنسكم، قيل أراد خلقة حواء من ضلع آدم، وخاطب
الناس بذلك لأنهم ذرية آدم ﴿مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ قيل المودة الجماع، والرحمة الولد، والعموم
أحسن وأبلغ ﴿وَأَخْتِلَافِ أَلْسِنَتِكُمْ﴾ أي لغاتكم ﴿وَالْوَاوِنِكُمْ﴾ يعني البياض والسواد، وقيل
يعني أصنافكم، والأول أظهر ﴿خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ ذكر في الرعد ﴿أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾

وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَكُمْ قَانُونٌ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِّنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَن أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِّنْ نَّاصِرِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْرِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ

معناه ثبتت أو يقوم تدبيرها ﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ إذا الأولى شرطية، والثانية فجائية وهي جواب الأولى، والدعوة في هذه الآية قوله للموتى قوموا بالنفخة الثانية في الصور، ومن الأرض يتعلق بقوله مخرجون أو بقوله دعاكم، على أن تكون الغاية بالنظر إلى المدعو كقولك دعوتك من الجبل إذا كان المدعو في الجبل ﴿قَانُونٌ﴾ ذكر في البقرة ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ أي الإعادة يوم القيامة أهون عليه من الخلقة الأولى، وهذا تقريب لفهم السامع وتحقيق للبعث، فإن من صنع صنعة أول مرة كانت أسهل عليه ثاني مرة، ولكن الأمور كلها متساوية عند الله، فإن كل شيء على الله يسير ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ﴾ أي الوصف الأعلى الذي يصفه به أهل السموات والأرض ﴿هَلْ لَكُمْ مِّنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ﴾ هذا هو المثل المضروب معناه أنكم أيها الناس لا يشارككم عبيدكم في أموالكم ولا يستون معكم في أحوالكم، فكذلك الله تعالى لا يشارك عبده في ملكه، ولا يماثله أحد في ربوبيته، فذكر حرف الاستفهام ومعناه التقرير على النفي ودخل في النفي قوله: ﴿فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾: أي لستم في أموالكم سواء مع عبيدكم، ولستم تخافونهم كما تخافون الأحرار مثلكم، لأن العبيد عندكم أقل وأذل من ذلك ﴿بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ الإضراب ببل عما تضمنه معنى الآية المتقدمة كأنه يقول ليس لهم حجة في إشراكهم بالله بل اتبعوا في ذلك أهواءهم بغير علم ﴿فَأَقْرِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ﴾ هو دين الإسلام، وإقامة الوجه في الموضوعين من السورة عبارة عن الإقبال عليه والإخلاص فيه في قوله أقم، والقيم ضرب من ضروب التجنيس ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ﴾ منصوب على المصدر: كقوله صبغة الله أو مفعولاً بفعل مضمّر تقديره الزموا فطرة الله، أو عليكم فطرة الله، ومعناه خلقة الله، والمراد به دين الإسلام، لأن الله خلق الخلق عليه، إذ هو الذي تقتضيه عقولهم السالمة

النَّاسَ عَلَيْهِمْ لَا تَبْدِيلَ لِيَخْلِقَ اللَّهُ ذَلِكَ الَّذِينَ أَلْقَيْتُمْ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣١﴾ ﴿٣٢﴾ مُبِينٍ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣٣﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِعْبًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُبِينٍ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يَشْرِكُونَ ﴿٣٧﴾ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِن تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه ﴿لَا تَبْدِيلَ لِيَخْلِقَ اللَّهُ﴾ يعني يخلق الله الفطرة التي خلق الناس عليها من الإيمان، ومعنى أن الله لا يبدلها أي لا يخلق الناس على غيرها ولكن يبدلها شياطين الإنس والجن بعد الخلقة الأولى، أو يكون المعنى أن تلك الفطرة لا ينبغي للناس أن يبدلوا، قالنفي على هذا حكم لا خبر وقيل إنه على الخصوص في المؤمنين أي لا تبدل لفطرة الله في حق من قضى الله أنه يثبت على إيمانه، وقيل إنه نهي عن تبدل الخلقة كخصاء الفحول من الحيوان وقطع آذانها وشبه ذلك ﴿مُبِينٍ إِلَيْهِ﴾ منصوب على الحال من قوله أقم وجهك لأن الخطاب للنبي ﷺ، والمراد هو وأمه، ولذلك جمعهم في قوله: مبينين، وقيل هو الحال من ضمير الفاعل المستتر في الزموا فطرة الله، وقيل هو حال من قوله فطر الناس وهذا بعيد ﴿وَاتَّقُوهُ﴾ وما بعده معطوف على أقم وجهك أو على العامل في فطرة الله وهو الزموا المضممر ﴿مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ﴾ المجرور بدل من المجرور قبله، ومعنى فرقوا دينهم: جعلوه فرقاً أي اختلفوا فيه، وقرئ: فأرقوا من المفارقة أي تركوه، والمراد بالمشركين هنا أصناف الكفار، وقيل هم المسلمون الذين تفرقوا فرقاً مختلفة، وفي لفظ المشركين هنا تجوز بعيد، ولعل قائل هذا القول إنما قاله في قول الله في الأنعام [١٥٩] ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ﴾ فإنه ليس هناك ذكر المشركين ﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ﴾ الآية: إنحاء على المشركين، لأنهم يدعون الله في الشدائد ويشركون به في الرخاء ﴿لِيَكْفُرُوا﴾ ذكر في النحل ﴿أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا﴾ أم هنا منقطعة بمعنى بل، والسلطان الحجة، وكلامه مجاز كما تقول نطق بكذا، والمعنى ليس لهم حجة تشهد بصحة شركهم ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً﴾ إنحاء على من يفرح وبيطر إذا أصابه الخير، ويقنط إذا أصابه الشر، وانظر كيف قال هنا إذا، وقال في الشر إن تصيبهم سيئة، لأن إذا للقطع بوقوع الشرط، بخلاف إن فإنها للشك في وقوعه، ففي ذلك

يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾ أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾
فَأَتَىٰ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ۗ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ
الْمُقْلِحُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا آتَيْتُم مِّن رَّبًّا لِّرَبُّوٓا۟ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرِيٓوٓا۟ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُم مِّن ذَّكْوٰرٍ
تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ
يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُمْ مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُمْ مِّن شَيْءٍ ۗ سُبْحٰنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾ ظَهَرَ
الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۖ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ
سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ ۗ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾ فَأَقْرِبْ وَجْهَكَ
لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ ۗ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يُصَدِّعُونَ ﴿٤٣﴾ مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ ۖ وَمَن

إشارة إلى أن الخير الذي يصيب به عباده أكثر من الشر ﴿بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيهِمْ﴾ المعنى أن ما يصيب الناس من المصائب، فإنه بسبب ذنوبهم ﴿فَأَتَىٰ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾ يعني صلة رحم القرابة بالإحسان والمودة، ولو بالكلام الطيب ﴿وَمَا آتَيْتُم مِّن رَّبًّا لِّرَبُّوٓا۟ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ﴾ الآية: معناها كقوله: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرُّبَا وَيُرِيهِ الصَّدَقَاتِ﴾ [البقرة: ٢٧٦] أي ما أعطيتم من أموالكم على وجه الربا فلا يزكو عند الله، وما آتيتم من الصدقات: فهو الذي يزكو عند الله وينفعكم به، وقيل المراد أن يهب الرجل الرجل أو يهدي له ليعوض له أكثر من ذلك فهذا وإن كان جائزاً فإنه لا ثواب به وقرىء ﴿وَمَا آتَيْتُم﴾ بالمد بمعنى أعطيتم، وبالقصر يعني جئتم أي فعلتموه، وقرىء لتربوا بالتاء المضمومة وليربوا بالياء مفتوحة ونصب الواو ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾ المضعف ذو الإضعاف من الحسنات، وفي هذه الجملة التفات لخروجه من الغيبة إلى الخطاب، وكان الأصل أن يقال وما آتيتم من زكاة فأنتم المضعفون، وفيه أيضاً حذف، لأنه لا بد من ضمير يرجع إلى ما، وتقديره المضعفون به أو فمؤتوه هم المضعفون ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ قيل البرّ البلاد البعيدة من البحر، والبحر هو البلاد التي على ساحل البحر، وقيل البرّ اللسان والبحر القلب وهذا ضعيف، والصحيح أن البر والبحر المعروفان، فظهور الفساد في البر بالقحط والفتن وشبه ذلك، وظهور الفساد في البحر بالغرق وقلة الصيد وكساد التجارات وشبه ذلك، وكل ذلك بسبب ما يفعله الناس من الكفر والعصيان ﴿لَا مَرَدَّ لَهُ﴾ أي لا رجوع له ولا بد من وقوعه ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ يتعلق بقوله يأتي أو بقوله لا مرد له أي لا يرده الله ﴿يَوْمَئِذٍ يُصَدِّعُونَ﴾ من الصدع وهو الفرقة أي يتفرقون: فريق في الجنة

عَمِلَ صَالِحًا فَلَا نَفْسَ لَهُمْ يَمَّهْدُونَ ﴿٤٤﴾ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ ؕ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ
 الْكَافِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلُوكُ بِأَمْرِهِ
 وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ؕ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِٱلْبَيِّنَاتِ
 فَأَنقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرُمُوهُوَ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا
 فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ ؕ فَإِذَا ءَصَابَ بِهِ مَنْ
 يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنزَلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾
 فَٱنظُرْ إِلَى ءَاتِرِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُعْطِي ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِ ٱلْمَوْتِ ؕ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ
 شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ ﴿٥١﴾ فَإِنَّكَ لَا تَسْمِعُ ٱلْمَوْتِ
 وَلَا تَسْمِعُ الضَّمَّةَ ٱلدُّعَاةَ إِذَا وَلَوْا مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَا أَنْتَ بِهَادٍ ٱلْعَمَىٰ عَنِ ضَلَالِهِمْ ؕ إِنْ تَسْمِعُ إِلَّا مَنْ
 يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾ * اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ

من تمهيد الفراش ونحوه، والمعنى أنهم يعملون ما يتفعلون به في الآخرة ﴿لِيَجْزِيَ﴾ يتعلق
 بيمهدون أو يصدعون، أو بمحذوف ﴿مُبَشِّرَاتٍ﴾ أي تبشر بالمطر ﴿وَلِيُذِيقَكُمْ﴾ عطف على
 مبشرات كأنه قال لبشركم وليذيقكم ويحتمل أن يتعلق بمحذوف تقديره ليذيقكم ﴿مِنْ
 رَحْمَتِهِ﴾ أرسلها ﴿وَكَانَ حَقًّا﴾ انتصب حقًا لأنه خبر كان واسمها نصر المؤمنين، وقيل
 اسمها مضمرة يعود على مصدر انتقمنا: أي وكان الانتقام حقًا، فعلى هذا يوقف على حقًا
 ويكون نصر المؤمنين مبتدأ وهذا ضعيف.

﴿فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾ أي تحركها وتنشرها ﴿كِسْفًا﴾ أي قطعًا، وقرىء بإسكان السين وهما
 بناءان للجمع، وقيل معنى الإسكان أن السحاب قطعة واحدة ﴿ٱلْوَدْقَ﴾ هو المطر ﴿مِنْ
 خِلَالِهِ﴾ الخلال الشقاق الذي بين بعضه وبعض لأنه متخلل الأجزاء والضمير يعود على
 السحاب ﴿مِنْ قَبْلِهِ﴾ كَرَّرَ للتأكيد وليفيد سرعة تقلب قلوب الناس من القنوط إلى الاستبشار
 ﴿لَمُبْلِسِينَ﴾ أي قانطين كقوله ﴿ينزل الغيث من بعد ما قنطوا﴾ [الروم: ٥١] ﴿فَرَأَوْهُ
 مُصْفَرًّا﴾ الضمير للنبات الذي ينبت الله بالمطر، والمعنى لئن أرسل الله ريحًا فاصفر به النبات
 لكفر الناس بالقنوط والاعتراض على الله، وقيل الضمير للريح، وقيل للسحاب والأول
 أحسن في المعنى ﴿فَأِنَّكَ لَا تَسْمِعُ ٱلْمَوْتِ﴾ الآية: استعارة في عدم سماع الكفار للمواعظ
 والبراهين، فشبّه الكفار بالموتى في عدم إحساسهم ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ﴾ الضعف الأول

جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشِبْهَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمَ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مُعْذَرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ فَأَصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾

كون الإنسان من ماء مهين، وكونه ضعيف في حال الطفولية، والضعف الثاني الأخير الهرم، وقرىء بفتح الضاد وضمها وهما لغتان ﴿مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ هذا جواب القسم، ومعناه أنهم يحلفون أنهم ما لبثوا في القبور تحت التراب إلا ساعة أي ما لبثوا في الدنيا إلا ساعة، وذلك لاستقصار تلك المدة ﴿كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ﴾ أي مثل هذا الصرف كانوا يصرفون في الدنيا عن الصدق والتحقيق حتى يروا الأشياء على ما هي عليه ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ﴾ هم الملائكة والأنبياء والمؤمنون ردوا مقالة الكفار التي حلفوا عليها ﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ يعني اللوح المحفوظ أو علم الله، والمجروح على هذا يتعلق بقوله لبثتم، وقيل يعني القرآن، فعلى هذا يتعلق هذا المجروح بقوله أوتوا العلم، وفي الكلام تقديم وتأخير، وتقديره على هذا قال الذين أوتوا العلم في كتاب الله أي العلماء بكتاب الله وقولهم لقد لبثتم: خطاب للكفار، وقولهم فهذا يوم البعث: تقرير لهم، وهو في المعنى جواب الشرط مقدر تقديره إن كنتم تنكرون البعث فهذا يوم البعث ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ من العتبي بمعنى الرضا: أي ولا يرضون وليست استفعل هنا للطلب ﴿إِنْ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ يعني ما وعد من النصر على الكفار ﴿وَلَا يَسْتَخِفَّنَكَ﴾ من الخفة: أي لا تضرب لكلامهم.

سورة لقمان

مكية إلا الآيات ٢٧ و ٢٨ و ٢٩
فمدنية وآياتها ٣٤ نزلت بعد الصافات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْم ﴿١﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾ الَّذِينَ يَقِيمُونَ الصَّلَاةَ
وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

«الْكِتَابِ الْحَكِيمِ» ذكر في يونس «وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ» هو الغناء، وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «شراء المغنيات وبيعهن حرام»، وقرأ هذه الآية، وقيل نزلت في قرشي اشترى جارية مغنية تغني بهجاء رسول الله ﷺ، فالشراء على هذا حقيقة، وقيل نزلت في النضر بن الحارث، وكان قد تعلم أخبار فارس، فذلك هو لهو الحديث، وشراء لهو الحديث استحبابه وسماعه، فالشراء على هذا مجاز، وقيل لهو الحديث: الطبل، وقيل الشرك، ومعنى اللفظ يعم ذلك كله، وظاهر الآية أنه لهو مضاف إلى الكفر بالدين واستخفاف، لقوله تعالى: «لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ» الآية، وأن المراد شخص معين لوصفه بعد ذلك بجملته أوصاف «بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرْوُونَهَا» ذكر في الرعد «أَن تَمِيدَ بِكُمْ» أي لثلا تميد بكم «لُقْمَانَ» رجل ينطق بالحكمة واختلف هل هو نبي أم لا؟ وفي الحديث لم يكن لقمان نبياً، ولكن كان عبداً حسن اليقين أحب الله فأحبه، فمن عليه

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾ وَإِذَا نُنْتَلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَن فِي أُذُنِهِ قُفْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ ﴿٨﴾ خَالِدِينَ فِيهَا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٩﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْفَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيًا أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنَا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفَصَّلَتْهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ ﴿١٤﴾ وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَأَتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَبْسُجِي إِنهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا

بالحكمة، رُوِيَ أَنَّهُ كَانَ ابْنُ أُخْتِ أَيُّوبَ أَوْ ابْنِ خَالَتِهِ، وَرُوِيَ أَنَّهُ كَانَ قَاضِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَاخْتَلَفَ فِي صِنَاعَتِهِ، فَقِيلَ كَانَ نَجَّارًا، وَقِيلَ حَيَّاطًا، وَقِيلَ رَاعِي غَنَمٍ، وَكَانَ ابْنُهُ كَافِرًا فَمَا زَالَ يُوصِيهِ حَتَّى أَسْلَمَ، وَرُوِيَ أَنَّ اسْمَ ابْنِهِ ثَارَانَ ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ﴾ هَذِهِ آيَةُ وَالتِّي بَعْدَهَا اعْتِرَاضٌ فِي أَثْنَاءِ وَصِيَّةِ لُقْمَانَ لِابْنِهِ عَلَى وَجْهِ التَّأَكِيدِ لِمَا فِي وَصِيَّةِ لُقْمَانَ مِنَ النَّهْيِ عَنِ الشِّرْكِ بِاللَّهِ، وَنَزَلَتِ الْآيَةُ فِي سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ وَأُمِّهِ حَسْبَمَا ذَكَرْنَا فِي الْعَنْكَبُوتِ ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنَا عَلَى وَهْنٍ﴾ أَي ضَعْفًا عَلَى ضَعْفٍ، لِأَنَّ الْحَمْلَ كَلِمًا عَظِيمًا زَادَتْ الْحَامِلُ بِهِ ضَعْفًا، وَانْتِصَابٌ وَهَنَا بِفَعْلٍ مُضْمَرٍ تَقْدِيرُهُ تَهَنُّ وَهَنَا ﴿وَفَصَّلَتْهُ﴾ أَي فَطَامَهُ، وَأَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى غَايَةِ مَدَّةِ الرِّضَاعِ ﴿أَنِ اشْكُرْ﴾ تَفْسِيرٌ لِلْوَصِيَّةِ وَاعْتِرَاضٌ بَيْنَهَا وَبَيْنَ تَفْسِيرِهَا بِقَوْلِهِ: ﴿وَفَصَّلَتْهُ فِي عَامَيْنِ﴾ لِيَبَيِّنَ مَا تَكَابَدَ الْأُمُّ بِالْوَلَدِ مِمَّا يُوجِبُ عَظِيمَ حَقِّهَا، وَلِذَلِكَ كَانَ حَقُّهَا أَعْظَمَ مِنْ حَقِّ الْأَبِ ﴿يَا بُنَيَّ﴾ الْآيَةُ: رَجَعَ إِلَى كَلَامِ لُقْمَانَ، وَالتَّقْدِيرُ: وَقَالَ لُقْمَانُ يَا بُنَيَّ ﴿مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ﴾ أَي وَزْنَهَا، وَالمِرَادُ بِذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالْقَلِيلِ وَالكَثِيرِ مِنْ أَعْمَالِ الْعِبَادِ فَعَبَّرَ بِحَبَّةِ الْخَرْدَلِ لِيَدُلَّ عَلَى مَا هُوَ أَكْثَرُ ﴿فِي صَخْرَةٍ﴾ قِيلَ المِرَادُ الصَّخْرَةَ الَّتِي عَلَيْهَا الْأَرْضُ، وَهَذَا ضَعِيفٌ،

اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَبْنِي أَقْرَ الصَّلَاةِ وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ وَإِنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا
 أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرْحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ
 كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ
 الْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً
 وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ
 اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أُولَئِكَ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٢١﴾
 * وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ
 الْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزَنُكَ كُفْرُهُ إِلَّا نَا مَرَجِعُهُمْ فَفَنِّتُهُمْ بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ
 الصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُمْنِعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ عَلَيطِ ﴿٢٤﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ
 وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ
 اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ

كانت في أخفى موضع كجوف صخرة، فإن الله يأتي بها يوم القيامة وكذلك لو كانت في
 السموات أو في الأرض ﴿وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ﴾ أمر بالصبر على المصائب عموماً، وقيل
 المعنى ما يصيب من يأمر بمعروف أو ينهى عن منكر ﴿مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ يحتمل أن يريد
 مما أمر الله به على وجه العزم والإيجاب أو من مكارم الأخلاق التي يعزم عليها أهل الحزم
 والجد ولفظ العزم مصدر يراد به المفعول أي من معزومات الأمور ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ
 لِلنَّاسِ﴾ الصعر في اللغة الميل أي لا تول الناس خدك وتعرض عنهم تكبراً عليهم ﴿مَرْحًا﴾
 ذكر في الإسراء ﴿مُخْتَالٍ﴾ من الخيلاء ﴿وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾ أي اعتدل فيه ولا تتسرع
 إسراعاً يدل على البطش والخفة، ولا تبطيء إبطاء يدل على الفخر والكبر ﴿نِعْمَهُ ظَاهِرَةً
 وَبَاطِنَةً﴾ الظاهرة الصحة والمال وغير ذلك، والباطنة النعم التي لا يطلع عليها الناس ومنها
 ستر القبيح من الأعمال، وقيل الظاهرة نعم الدنيا، والباطنة نعم العقبى، واللفظ أعم من
 ذلك كله ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ﴾ نزلت في النضر بن الحارث وأمثاله ﴿أَوْ لَوْ كَانَ
 الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ معناه أيتبعونهم ولو كان الشيطان يدعوهم إلى النار
 ﴿وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ﴾ يسلم أي يخلص أو يستسلم أو يتقاد، والوجه هنا عبارة عن
 القصد ﴿بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾ ذكر في البقرة ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ وما بعده ذكر في العنكبوت ﴿وَلَوْ

أَبْحَرٍ مَّا نَفَدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَفَنَسٍ
وَاحِدَةً إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ
السَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ
الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَطْلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي
الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ وَإِذَا غَشِيَهُمْ
مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ

أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ ﴿﴾ الآية إخبار بكثرة كلمات الله والمراد اتساع علمه ومعنى
الآية أن شجر الأرض لو كانت أقلاماً، والبحر لو كان مِدَادًا يصب فيه سبعة أبحر صباً دائماً
وكتبت بذلك كلمات الله لنفدت الأشجار والبحار ولم تنفذ كلمات الله، لأن الأشجار
والبحار متناهية، وكلمات الله غير متناهية، فإن قيل: لِمَ لم يقل والبحر مِدَادًا كما قال في
الكهف قل لو كان البحر مِدَادًا؟ فالجواب: أنه أغنى عن ذلك قوله يمدّه لأنه من قولك مدّ
الدّواة وأمدّها، فإن قيل لِمَ قال من شجرة ولم يقل من شجر باسم الجنس الذي يقتضي
العموم؟ فالجواب أنه أراد تفصيل الشجر إلى شجرة شجرة حتى لا يبقى منها واحدة، فإن
قيل: لِمَ قال كلمات الله ولم يقل كَلِمَ الله بجمع الكثرة؟ فالجواب أن هذا أبلغ لأنه إذا لم
تنفذ الكلمات مع أنه جمع قلّة، فكيف ينفذ الجمع الكثير وروي أن سبب الآية أن اليهود
قالوا قد أوتينا التوراة وفيها العلم كله فنزلت الآية لتدلّ أن ما عندهم قليل من كثير، والآية
على هذا مدنية، وقيل إن سببها أن قريشاً قالوا إن القرآن سينفذ ﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا
كَفَنَسٍ وَاحِدَةً﴾ بيان لقدرة الله على بعث الناس وردّ على من استبعد ذلك ﴿يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي
النَّهَارِ﴾ أي يدخل كلاً منهما في الآخر بما يزيد في أحدهما وينقص من الآخر أو بإدخال
ظلمة الليل على ضوء النهار وإدخال ضوء النهار على ظلمة الليل ﴿إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ يعني
يوم القيامة ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ﴾ يحتمل أن تكون الباء سببية، أو يكون المعنى ذلك بأن الله
شاهد هو الحق ﴿بِنِعْمَةِ اللَّهِ﴾ يحتمل أن يريد بذلك ما تحمله السفن من الطعام والتجارات
والباء للإصاق أو للمصاحبة، أو يريد الريح فتكون الباء سببية ﴿صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ مبالغة في
صابر وشاكر ﴿كَالظُّلَلِ﴾ جمع ظلة وهو ما يعلو من فوق شبه الموج بذلك إذا ارتفع
وعظم حتى علا فوق الإنسان ﴿فَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ﴾ المقتصد المتوسط في الأمر، فيحتمل أن
يريد كافراً متوسطاً في كنهانه ففهمه المقتصد في إيمانه، لأن الإخلاص الذي

بِعَائِلِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ آتِفُوا رَبِّكُمْ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدَ عَنْ
 وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّكَ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا فَلَا تَعْرَنِّكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا
 يَعْزَنُّكُمْ بِاللَّهِ الْعُرُورُ ﴿٣٣﴾ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا
 تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾

عليه في البحر كان يزول عنه وقيل معنى مقتصد مؤمن ثبت في البرّ على ما عاهد الله عليه
 في البحر ﴿خَتَّارٍ﴾ أي غدار شديد الغدر، وذلك أنه جحد نعمة الله غدرًا ﴿لَا يَجْزِي وَالِدَ
 عَنْ وَلَدِهِ﴾ أي لا يقضي عنه شيئًا، والمعنى أنه لا ينفعه ولا يدفع عنه مضرة ﴿وَلَا مَوْلُودٌ
 أَي ولد فكما لا يقدر الوالد لولده على شيء كذلك لا يقدر الولد لوالده على شيء
 ﴿الْعُرُورُ﴾ الشيطان وقيل الأمل والتسويق ﴿عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ أي متى تكون، فإن ذلك مما
 انفرد الله بعلمه، ولذلك جاء في الحديث: مفاتيح الغيب خمس وتلا هذه الآية ﴿مَّاذَا تَكْسِبُ
 غَدًا﴾ يعني من خير أو شرّ أو مال أو ولد أو غير ذلك.

سورة السجدة

مكية إلا من آية ١٦ إلى غاية ٢٠
فمدنية وآياتها ٣٠ نزلت بعد المؤمن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَىكَ الْكِتَابَ لَا رَبَّ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَبَهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ
مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ﴾ يعني القرآن ﴿لَا رَبَّ فِيهِ﴾ أي لا شك أنه من عند الله عز وجل،
ونفي الريب على اعتقاد أهل الحق وعلى ما هو الأمر في نفسه لا على اعتقاد أهل الباطل
﴿مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ يتعلق بتنزيل ﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ الضمير لقريش وأم بمعنى بل والهمزة
﴿لِتُنذِرَ﴾ يتعلق بما قبله أو بمحذوف ﴿مَّا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ﴾ يعني من الفترة من زمن عيسى
وقد جاء الرُّسُلُ قبل ذلك إبراهيم وغيره، ولما طالت الفترة على هؤلاء أرسل الله رسولا
ينذرهم ليقيم الحجة عليهم ﴿اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ قد ذكر في الأعراف ﴿مَّا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ
مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ﴾ نفي الشفاعة على وجهين أحدهما الشفاعة للكفار وهي معدومة على
الإطلاق، والآخر: أن الشفاعة للمؤمنين لا تكون إلا بإذن الله كقوله: ﴿مَّا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ
بَعْدِ إِذْنِهِ﴾ [يونس: ٣] ﴿يُدَبِّرُ الْأُمْرَ﴾ أي واحد الأمور، وقيل المأمور به من الطاعات،
والأول أصح ﴿مِنْ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ﴾ أي ينزل ما دبّره وقضاه من السماء إلى الأرض

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا
 شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ
 أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ذَلِكَ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦﴾ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ
 خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّاهُ
 وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾ وَقَالُوا
 أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُم بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ ﴿١٠﴾ قُلْ يَتُوفَّكُم مَّلَكُ
 الْمَوْتِ الَّذِي ذُكِّرَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو أَرْؤُسِهِمْ
 عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ

﴿ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ قال ابن عباس المعنى ينفذ الله ما
 قضاه من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه خبر ذلك في يوم من أيام الدنيا مقداره لو سير
 فيه السير المعروف من البشر ألف سنة لأن ما بين السماء والأرض خمسمائة عالم فالألف
 ما بين نزول الأمر إلى الأرض وعروجه إلى السماء، وقيل إن الله يلقي إلى الملائكة أمور
 ألف سنة من أعوام البشر وهو يوم من أيام الله، فإذا فرغت ألقى إليهم مثلها، فالمعنى أن
 الأمور تنفذ عنده لهذه المدة، ثم تصير إليه آخرًا لأن عاقبة الأمور إليه، فالعروج على هذا
 عبارة عن مصير الأمور إليه ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ الغيب ما غاب عن المخلوقين،
 والشهادة ما شاهده ﴿أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ أي أتقن جميع المخلوقات، وقرىء بإسكان
 اللام على البدل ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ﴾ يعني آدم عليه السلام ﴿نَسْلَهُ﴾ يعني ذريته
 ﴿مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾ يعني المنى، والسلالة مشتقة من سل يسل، فكان الماء يسل من
 الإنسان، والمهين الضعيف ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ﴾ أي قومه ﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ﴾ عبارة عن إيجاد
 الحياة فيه، وأضيفت الروح إلى الله إضافة ملك إلى ملك، وقد يراد بها الاختصاص، لأن
 الروح لا يعلم كنهه إلا الله ﴿إِندًا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ﴾ أي تلفنا وصرنا ترابًا، ومعنى هذا
 الكلام المحكي عن الكفار استبعاد البعث، والعامل في إذا معنى قولهم: ﴿إِنَّا لَفِي خَلْقٍ
 جَدِيدٍ﴾ تقديره نبعث ﴿يَتُوفَّكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ﴾ اسمه عزرائيل وتحت يده ملائكة ﴿وَلَوْ
 تَرَىٰ﴾ يحتمل أن تكون لو للتمني وتأويله في حق الله كتأويل الترجي، وقد ذكر، أو تكون
 للامتناع وجوابها محذوف تقديره ولو ترى حال المجرمين في الآخرة لرأيت أمرًا مهولاً
 ﴿نَاكِسُوا رُؤُوسِهِمْ﴾ عبارة عن الذل والغم والندم ﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا﴾ تقديره يقولون ربنا

نَفْسٍ هَدَيْنَهَا وَلَكِنَّ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ فذوقوا
 بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾
 إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا حُرُوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا
 يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ
 يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا
 كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ ﴿١٨﴾ أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا
 بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَانُهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ
 لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُمْ بِهِ تَكذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَنذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ

قد علمنا الحقائق ﴿لَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾ يعني أنه لو أراد أن يهدي جميع الخلائق
 لفعل، فإنه قادر على ذلك بأن يجعل الإيمان في قلوبهم ويدفع عنهم الشيطان والشهوات،
 ولكن يضل مَنْ يشاء ويهدي مَنْ يشاء ﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ﴾ أي يقال لهم ذوقوا، والنسيان
 هنا بمعنى الترك ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ أي ترتفع والمعنى يتركون مضاجعهم
 بالليل من كثرة صلاتهم النوافل، وَمَنْ صَلَّى الْعِشَاءَ وَالصَّبْحَ فِي جَمَاعَةٍ فَقَدْ أَخَذَ بِحِظِّهِ مِنْ
 هَذَا ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ يعني أنه لا يعلم أحد مقدار ما يعطيهم الله
 من النعيم وقرىء أخفى بإسكان الياء على أن يكون فعل المتكلم وهو الله تعالى ﴿أَفَمَن كَانَ
 مُؤْمِنًا﴾ الآية: يعني المؤمنين والفاسقين على العموم، وقيل يعني علي بن أبي طالب
 وعقبة بن أبي معيط ﴿ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُمْ بِهِ تَكذِّبُونَ﴾ الذي نعت بالعذاب،
 ولذلك أعاد عليه الضمير المذكور في قوله به، فإن قيل: لِمَ وصف هنا العذاب وأعاد عليه
 الضمير، ووصف في سبأ النار وأعاد عليها الضمير، وقال عذاب النار التي كنتم بها
 تكذبون؟ فالجواب من ثلاثة أوجه: الأول أنه خصَّ العذاب في السجدة بالوصف اعتناء به
 لما تكرر ذكره في قوله ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر، والثاني أنه قدَّم
 في السجدة ذكر النار، فكان الأصل أن يذكرها بعد ذلك بلفظ الضمير، لكنه جعل الظاهر
 مكان المضمرة فكما لا يوصف المضمرة لم يوصف ما قام مقامه وهو النار، ووصف العذاب
 ولم يوصف النار، الثالث وهو الأقوى أنه امتنع في السجدة وصف النار فوصف العذاب،
 وإنما امتنع وصفها لتقدّم ذكرها، فإنك إذا ذكرت شيئاً ثم كررت ذكره لم يجز وصفه،
 كقولك رأيت رجلاً فأكرهه Made searchable using ScribeTools.com بیره ﴿وَلَنذِيقَنَّهُمْ مِّنْ

الْعَذَابِ الْأَكْبَرَ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَكَرَ بَيِّنَاتٍ مِنْ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ آيَمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لِمَا صَبَرُوا وَكَانُوا بِبَيِّنَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾ أَوْلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِينِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾ أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا نَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَلُهُمْ وَأَنْفُسَهُمْ أَفَلَا يَبْصُرُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيْمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ وَانظُرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظَرُونَ ﴿٣٠﴾

الْعَذَابِ الْأَذْيِ﴾ يعني الجوع ومصائب الدنيا وقيل القتل يوم بدر، وقيل عذاب القبر وهذا بعيد لقوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ ﴿إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ﴾ هذا وعيد لمن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها، وكان الأصل أن يقول إِنَّا مِنْهُ مُنْتَقِمُونَ، ولكنه وضع المجرمين موضع المضمير ليصفهم بالإجرام، وقدم المجرور على منتقمون للمبالغة ﴿فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ﴾ المرية الشك، والضمير لموسى: أي لا تمتر في لقائك موسى ليلة الإسراء وقيل المعنى لا تشك في لقاء موسى والكتاب الذي أنزل عليه، والكتاب على هذا التوراة، وقيل الكتاب هنا جنس، والمعنى: لقد آتينا موسى الكتاب فلا تشك أنت في لقائك الكتاب الذي أنزل عليك، وعبر باللقاء عن إنزال الكتاب كقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتَلْقَى الْفُرْقَانَ﴾ [النمل: ٦].

﴿يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ﴾ الضمير لجميع الخلق، وقيل لبني إسرائيل خاصة ﴿أَوْ لَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾ ذكر في طه ﴿يَمْشُونَ فِي مَسَاكِينِهِمْ﴾ الضمير في يمشون لأهل مكة: أي يمشون في مساكن القوم المهلكين: كقوله: ﴿وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِينِهِمْ﴾ [طه: ١٢٨] وقيل الضمير للمهلكين: أي أهلكتناهم وهم يمشون في مساكنهم، والأول أحسن، لأن فيه حجة على أهل مكة ﴿الْأَرْضِ الْجُرُزِ﴾ يعني التي لا نبات فيها من شدة العطش ﴿مَتَى هَذَا الْفَتْحُ﴾ أي الحكم بين المسلمين والكفار في الآخرة، وقيل يعني فتح مكة، وهذا بعيد لقوله: ﴿قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيْمَانُهُمْ﴾ وذلك في الآخرة، وقيل يعني فتح مكة، لأن من آمن يوم فتح مكة نفعه إيمانه ﴿فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ﴾ منسوخ بالسيف ﴿وَانظُرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظَرُونَ﴾ أي انتظر هلاكهم إنهم يتظرون هلاكك، وفي هذا تهديد لهم.

سورة الأحزاب

مدنية وآياتها ٧٣ نزلت بعد آل عمران

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَأَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٢﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ نداء فيه تكريم له، لأنه ناداه بالنبوة، ونادى سائر الأنبياء بأسمائهم ﴿اتَّقِ اللَّهَ﴾ أي دُم على التقوى وزد منها ﴿وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ أي لا تقبل أقوالهم وإن أظهروا أنها نصيحة، ويعني بالكافرين المُظهِرِينَ للكفر وبالمنافقين الذين يُظهِرُونَ الإسلام ويخفون الكفر ورُوي أن الكافرين هنا: أبي بن خلف، والمنافقين هنا: عبد الله بن أبي ابن سلول، والعموم أظهر ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾ قال ابن عباس، كان في قريش رجل يقال له ذو القلبين لشده فهمه، فنزلت الآية نفيًا لذلك، ويقال إنه ابن أخطا، وقيل جميل بن معمر، وقيل إنما جاء هذا اللفظ توطئة لما بعده من النفي أي كما لم يجعل الله لرجل من قلبين في جوفه كذلك لم يجعل أزواجكم أمهاتكم ولا أديعاءكم أبناءكم ﴿الَّذِينَ تَظَاهَرُونَ مِنْهُمْ﴾ أي تقولون للزوجة: أنت علي كظهر أمي، وكانت العرب تطلق هذا اللفظ لمن التحببأت حكمه في المجادلة وإنما تعدى هذا

وَكَيْلًا ﴿٣﴾ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفَيْهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَٰلِكُمْ قَوْلِكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴿٤﴾ أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ، وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥﴾ اللَّائِي أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُنَّ وَأُمَّهَاتُهُنَّ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَن تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَّعْرُوفًا كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿٦﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ

الفعل بمن لأنه يتضمن معنى يتباعدون منهم ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ﴾ الأَدْعِيَاءُ جمع دعوي، وهو الذي يدعي ولد فلان وليس بولده، وسببها أمر زيد بن حارثة؛ وذلك أنه كان فتى من كلب فسباه بعض العرب وباعه من خديجة فوهبته للنبي ﷺ فتبناه؛ فكان يقال له زيد بن محمد حتى أنزلت هذه الآية ﴿ذَٰلِكُمْ قَوْلِكُمْ﴾ الإشارة إلى نسبة الدعوي إلى غير أبيه، أو إلى كل ما تقدم من المنفيات، وقوله: ﴿بِأَفْوَاهِكُمْ﴾ تأكيد لبطلان القول ﴿أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ﴾ الضمير للأدعياء أي انسبواهم لأبائهم الذين ولدوهم ﴿اللَّائِي أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ يقتضي أن يحبوه صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم أكثر مما يحبون أنفسهم وأن ينصروا دينه أكثر مما ينصرون أنفسهم ﴿وَأَزْوَاجُهُنَّ وَأُمَّهَاتُهُنَّ﴾ جعل الله تعالى لأزواج النبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم حرمة الأمهات في تحريم نكاحهن ووجوب ميرتهن، ولكن أوجب حجبهن عن الرجال ﴿وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ هذا نسخ لما كان في صدر الإسلام من التوارث بأخوة الإسلام، وبالهجرة وقد تكلمنا عليها في الأنفال ﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ يحتمل أن يريد القرآن أو اللوح المحفوظ ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ يحتمل أن يكون بياناً لأولي الأرحام أو يتعلق بأولي: أي أولو الأرحام أولى بالميراث من المؤمنين الذين ليسوا بذوي أرحام ﴿إِلَّا أَن تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَّعْرُوفًا﴾ يريد الإحسان إلى الأولياء الذين ليسوا بقرابة ونفعهم في الحياة، والوصية لهم عند الموت، فذلك جائز ومدوب إليه، وإن لم يكونوا قرابة، وأما الميراث للقرابة خاصة، واختلف هل يعني بالأولياء المؤمنين خاصة أو المؤمنين والكافرين ﴿فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾ يعني القرآن أو اللوح المحفوظ ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ﴾ هو الميثاق بتبليغ الرسالة والقيام بالشرائع، وقيل هو الميثاق الذي أخذه حين أخرج بني آدم من صلب آدم كالذر، والأول أرجح لأنه هو المختص بالأنبياء ﴿وَمِنكَ

وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ لَيْسْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَّا

وَمِنْ نُوحٍ ﴿٧﴾ قد دخل هؤلاء في جملة النبيين ولكنه خصهم بالذكر تشريفا لهم، وقدم محمداً صلى الله عليه وآله وسلم تفضيلاً له ﴿مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ يعني الميثاق المذكور، وإنما كرره تأكيداً وليصفه بأنه غليظ أو وثيق ثابت يجب الوفاء به ﴿لَيْسْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ اللام تحتل أن تكون لام كي أو لام الصيرورة، والصدق هنا يحتمل أن يكون الصدق في الأقوال أو الصدق في الأفعال والعزائم ويحتمل أن يريد بالصادقين الأنبياء وغيرهم من المؤمنين ﴿اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ﴾ هذه الآية وما بعدها نزلت في قصة غزوة الخندق، والجنود المذكورة هم قريش ومن كان معهم من الكفار، وسماهم الله في هذه السورة الأحزاب وكانوا نحو عشرة آلاف حاصروا المدينة وحفر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الخندق حولها ليمنعهم من دخولها ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا﴾ أرسل الله عليهم ريح الصبا فأطفت نيرانهم وأكفأت قلوبهم ولم يمكنهم معها قرار فانصرفوا خائبين ﴿وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا﴾ يعني الملائكة ﴿إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾ أي حاصروا المدينة من أعلاها ومن أسفلها، وقيل معنى من فوقكم أهل نجد لأن أرضهم فوق المدينة ومن أسفل منكم أهل مكة وسائر تهامة ﴿وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ﴾ أي مالت عن مواضعها وذلك عبارة عن شدة الخوف ﴿وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾ جمع حنجرة وهي الحلق وبلوغ القلب إليها مجاز، وهو عبارة عن شدة الخوف، وقيل بل هي حقيقة لأن الرثة تنتفخ من شدة الخوف فتربو ويرتفع القلب بارتفاعها إلى الحنجرة ﴿وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا﴾ أي تظنون أن الكفار يغلبونكم وقد وعدكم الله بالنصر عليهم، فأما المنافقون فظنوا ظنَّ السوء وصرحوا به، وأما المؤمنون فربما خطرت لبعضهم خطرة مما لا يمكن البشر دفعها ثم استبصروا ووثقوا بوعدهم الله، وقرأ نافع: الظنون، والرسول، والسبيلا، بالألف في الوصل وفي الوقف، وقرئ بإسقاطها في الوصل والوقف، وبإثباتها في الوقف دون الوصل فأما إسقاطها فهو الأصل وأما إثباتها فلتعديل رؤوس الآي لأنها كالقوافي، وتقتضي هذه العلة أن تثبت في الوقف خاصة، وأما من أثبتها

وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١١﴾ وَإِذْ قَالَتْ طَافِئَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا
وَيَسْتَعِذْنَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٢﴾ وَلَوْ دَخَلَتْ
عَلَيْهِمْ مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سَأَلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْنَهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٣﴾ وَلَقَدْ كَانُوا عِنْدَ هَذَا
اللَّهِ مِنْ قَبْلِ لَا يُؤْتُونَكَ الْأَذْبُرَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا ﴿١٤﴾ قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ
الْمَوْتِ أَوْ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تَمْنَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾ قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُم مِّنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا
أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٦﴾ * قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمَعْوِفِينَ مِنْكُمْ
وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَاسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٧﴾ أَشْحَةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ

الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٨﴾ أي اختبروا أو أصابهم بلاء، والعامل في الظرف ابتلى وقيل ما قبله ﴿وَزَلْزَلُوا﴾ أصل الزلزلة شدة التحريك وهو هنا عبارة عن اضطراب القلوب ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ﴾ زوي أنه معتب بن قشير ﴿وَإِذْ قَالَتْ طَافِئَةٌ﴾ قال السهيلي الطائفة تقع على الواحد فما فوقه والمراد هنا أوس بن قبطي ﴿يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا﴾ يثرب اسم المدينة وقيل اسم البقعة التي المدينة في طرف منها، ومقام اسم موضع من القيام أي لا قرار لكم هنا يعنون موضع القتال وقرىء بالضم وهو اسم موضع من الإقامة وقولهم فارجعوا أي إلى منازلكم بالمدينة ودعوا القتال ﴿وَيَسْتَعِذْنَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ النَّبِيَّ﴾ أي يستأذنه في الانصراف والمستأذن أوس بن قبطي وعشيرته وقيل بنو حارثة ﴿إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾ أي منكشفة للغدو وقيل خالية للسراق فكذبهم الله في ذلك ﴿وَلَوْ دَخَلَتْ عَلَيْهِمْ مِّنْ أَقْطَارِهَا﴾ أي لو دخلت عليهم المدينة من جهاتها ﴿ثُمَّ سَأَلُوا الْفِتْنَةَ﴾ يريد بالفتنة الكفر أو قتال المسلمين ﴿لَآتَوْنَهَا﴾ قرىء بالقصر بمعنى جاؤوا إليها وبالمد بمعنى أعطوها من أنفسهم ﴿وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا﴾ الضمير للمدينة ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ﴾ دخلت قد على الفعل المضارع بمعنى التهديد وقيل للتعليل على وجه التهكم ﴿الْمَعْوِفِينَ مِنْكُمْ﴾ أي الذين يعوقون الناس عن الجهاد ويمنعونهم منه بأقوالهم وأفعالهم ﴿وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾ هم المنافقون الذين قعدوا بالمدينة عن الجهاد وكانوا يقولون لقرابتهم أو للمنافقون مثلهم هلم إلى الجلوس معنا بالمدينة وترك القتال، وقد ذكر هلم في الأنعام ﴿وَلَا يَأْتُونَ الْبَاسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ البأس القتال، وقليلاً صفة لمصدر محذوف تقديره إلا إتياناً قليلاً، أو مستثنى من فاعل يأتون: أي إلا قليلاً منهم ﴿أَشْحَةً عَلَيْكُمْ﴾ أشحة جمع شحيح بوزن فعيل معناه يشحون بأنفسهم فلا يقاتلون، وقيل يشحون بأموالهم، وقيل معناه أشحة عليكم وقت الحرب أي يشفقون أن يقتلوا ونصب أشحة على

يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْحَوفُ سَلَفُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٦﴾ يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْتَخْلِفُونَ عَنْ أَنبِيَائِهِمْ وُلُوكًا أُولَئِكَ مَا قُنَلُوا إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٧﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿١٨﴾ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴿١٩﴾ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ

الحال من القائلين، أو على المعوقين، أو من الضمير في يأتون، أو نصب على الذم ﴿فَإِذَا جَاءَ الْحُوفَ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ﴾ أي إذا اشتدَّ الخوف من الأعداء نظر إليك هؤلاء في تلك الحالة ولاذوا بك من شدة خوفهم ﴿تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ عبارة عن شدة خوفهم ﴿فَإِذَا ذَهَبَ الْحُوفُ سَلَفُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾ السلق بالألسنة عبارة عن الكلام بكلام مستكره، ومعنى حداد فصحاء قادرين على الكلام وإذا نصركم الله فزال الخوف رجع المنافقون إلى إذابتكم بالسب وتقيص الشريعة، وقيل إذا غنمتم طلبوا من الغنائم ﴿أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ﴾ أي يشحون بفعل الخير وقيل يشحون بالمغانم، وانتصابه هنا على الحال من الفاعل في سلقوكم ﴿لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ﴾ ليس المعنى أنها حبطت بعد ثبوتها، وإنما المعنى أنها لم تقبل لأن الإيمان شرط في قبول الأعمال، وقيل إنهم نافقوا بعد أن آمنوا، فالإحباط على هذا حقيقة ﴿يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا﴾ الأحزاب هنا هم كفار قريش ومن معهم، فالمعنى أن المنافقين من شدة جزعهم يظنون أن الأحزاب لم ينصرفوا عن المدينة وهم قد انصرفوا ﴿وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ﴾ معنى يودوا يتمنوا، وبادون خارجون في البادية والأعراب هم أهل البوادي من العرب فمعنى الآية أنه إن أتى الأحزاب إلى المدينة مرة أخرى تمنى هؤلاء المنافقون من شدة جزعهم أن يكونوا في البادية مع الأعراب وأن لا يكونوا في المدينة بل غائبين عنها يسألون من ورد عليهم عن أنبيائكم ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ أي قدوة تقتدون به ﷺ في اليقين والصبر وسائر الفضائل، وقرىء أسوة بضم الهمزة والمعنى واحد ﴿هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ قيل إن هذا الوعد ما أعلمهم رسول الله ﷺ حين أمر بحفر الخندق من أن الكفار ينزلون، وأنهم ينصرفون خائبين، وقيل إنه قول الله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ﴾

صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَلُوا تَدْيِيلًا ﴿٢١٤﴾ لِيَجْزِيَ
 اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنْ اللَّهُ كَانَ غَفُورًا
 رَّحِيمًا ﴿٢١٥﴾ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَىٰ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ
 قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢١٦﴾ وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ
 الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢١٧﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ
 تَطَّوَّهْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١٨﴾ يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلُوبًا لَّا تَزُولُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ

[البقرة: ٢١٤] الآية، فعلموا أنهم يبتلون ثم ينصرون ﴿فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَحْبَهُ﴾ يعني قتل شهيدًا قال أنس بن مالك يعني عمي أنس بن النضر، وقيل يعني حمزة بن عبد المطلب، وقضاء النحب عبارة عن الموت عند ابن عباس وغيره، وقيل قضى نجه: وفي العهد الذي عاهد الله عليه، ويدل على هذا ما ورد أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «طلحة ممن قضى نجه» وهو لم يقتل حينئذ ﴿وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ﴾ المفعول محذوف: أي ينتظر أن يقضي نجه، أو ينتظر الشهادة في سبيل الله على قول ابن عباس، أو ينتظر الحصول في أعلى مراتب الإيمان والصلاح على القول الآخر ﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ﴾ الصياصي هي الحصون، ونزلت الآية في يهود بني قريظة، وذلك أنهم كانوا معاهدين لرسول الله ﷺ فنقضوا عهده وصاروا مع قريش فلما انصرفت قريش عن المدينة حصر رسول الله ﷺ بني قريظة حتى نزلوا على حكم سعد بن معاذ فحكم بأن يقتل رجالهم ويسبي نساؤهم وذرّيّتهم ﴿فَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ يعني الرجال وقتل منهم يرمث كل من أنبت وكانوا بين ثمانمائة أو تسعمائة ﴿وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾ يعني النساء والذرّيّة ﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ﴾ يعني أرض بني قريظة قسمها رسول الله ﷺ بين المهاجرين ﴿وَأَرْضًا لَّمْ تَطَّوَّهْهَا﴾ هذا وعد بفتح أرض لم يكن المسلمون قد وطئوها حينئذ وهي مكة واليمن والشام والعراق ومصر، فأورث الله المسلمين جميع ذلك وما وراءها إلى أقصى المشرق والمغرب، ويحتمل عندي أن يريد أرض بني قريظة، لأنه قال أورثكم بالفعل الماضي وهي التي كانوا أخذوها حينئذ، وأما غيرها من الأرضين، فإنما أخذها بعد ذلك فلو أرادها لقال يورثكم إنما كثرها بالعطف ليصفها بقوله لم تطّوها: أي لم تدخلوها قبل ذلك.

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾ الآية: سببها أن

أزواج رسول الله ﷺ تغايرن حتى غمّه ذلك وقيل طلبن منه الملابس ونفقات كثيرة، وكان

الدُّنْيَا وَزِيْنَتَهَا فَتَعَالَيْنِ أُمْتَعِكُنَّ وَأَسْرَحِكُنَّ سَرَاحًا جَمِيْلًا ﴿٢٨﴾ وَإِنْ كُنْتُمْ تَرُدُّنَّ اللَّهُ وَرَسُولُهُ
وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيْمًا ﴿٢٩﴾ يَنْسَاءُ النَّبِيُّ مَنْ يَأْتِي مِنْكُنَّ
بِفَحِيْشَةٍ مُّبِيْنَةٍ يُضَاعَفُ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيْرًا ﴿٣٠﴾ وَمَنْ
يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعَمَلْ صَالِحًا نُؤْتِيْهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيْمًا ﴿٣١﴾
يَنْسَاءُ النَّبِيُّ لِسِتْرٍ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنْ أَنْقَضَتْهُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ

أزواجه يومئذ تسع نسوة خمس من قريش وهن عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنه،
وحفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنه وسودة بنت زمعة، وأم حبيبة بنت أبي سفيان،
وأم سلمة بنت أبي أمية، وأربع من غير قريش وهم ميمونة بنت الحارث الهلالية، وصفية
بنت حبي من بني إسرائيل وزينب بنت جحش الأسدية، وجويرية بنت الحارث من بني
المصطلق ﴿فَتَعَالَيْنِ أُمْتَعِكُنَّ وَأَسْرَحِكُنَّ سَرَاحًا جَمِيْلًا﴾ أصل تعال أن يقوله من كان في
موضع مرتفع لمن في موضع منخفض ثم استعملت بمعنى أقبل في جميع الأمكنة؛
وأمتعنك من المتعة وهي الإحسان إلى المرأة إذا طلقت والسراح الطلاق، فمعنى الآية أن
الله أمر رسوله ﷺ أن يختير نساءه بين الطلاق والمتعة إن أرادوا زينة الدنيا، وبين البقاء في
عصمته إن أرادوا الآخرة، فبدأ ﷺ بعائشة: فاخترت البقاء في عصمته، ثم تبعها سائرهن
في ذلك، فلم يقع طلاق، وقالت عائشة: خيرنا رسول الله ﷺ فاخترناه ولم يعد ذلك
طلاقاً، وإذا اختارت المخيرة الطلاق: فمذهب مالك أنه ثلاث وقيل طلقة بائنة، وقيل طلقة
رجعية ووصف السراح بالجميل: يحتمل أن يريد أنه دون الثلاث، أو يريد أنه ثلاث،
وجماله حُسن الرعي والثناء وحفظ العهد ﴿لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ﴾ من اللبيان لا للتبعيض، لأن
جميعهن محسنات ﴿بِفَاحِشَةٍ مُّبِيْنَةٍ﴾ قيل يعني الزنا، وقيل يعني عصيان زوجهن عليه الصلاة
والسلام، أو تكليفه ما يشق عليه، وقيل عموم في المعاصي ﴿يُضَاعَفُ لَهَا الْعَذَابُ
ضِعْفَيْنِ﴾ أي يكون عذابها في الآخرة مثل عذاب غيرها مرتين، وإنما ذلك لعلو رتبتهن،
لأن كل أحد يطالب على مقدار حاله، وقرئ يضاعف بالياء ورفع العذاب على البناء
للمفعول وبالنون ونصب العذاب على البناء للفاعل ﴿وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ قرئ
بالياء حملاً على لفظ من وبالثاء حملاً على المعنى، وكذلك تعمل، والقنوت هنا بمعنى
الطاعة ﴿نُؤْتِيْهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ﴾ أي يضاعف لها ثواب الحسنات ﴿رِزْقًا كَرِيْمًا﴾ يعني الجنة،
وقيل في الدنيا، والأول هو الصحيح. هَذَا مَوْضِعٌ مِنْ مَوْضِعِ الْقَوْلِ الَّذِي فِيهِ تَقْتَضِي الْقَوْلُ بِالْقَوْلِ
النساء بشرط التقوى، وقد حصل بهن التقوى فحصل التفصيل على جميع النساء، إلا

وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٢١﴾ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ
وَأَتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ
وَيُطَهِّرَكُم تَطْهِيرًا ﴿٢٢﴾ وَأذْكَرْتُ مَا يَثَلُّ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةَ إِنَّ اللَّهَ
كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٢٣﴾ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنِينَ

يُخْرِجُ مِنْ هَذَا الْعَمُومِ فَاطِمَةَ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ومريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون لشهادة رسول الله ﷺ لكل واحدة منهن بأنها سيدة نساء عالمها ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ﴾ نهي عن الكلام اللين الذي يعجب الرجال ويميلهن إلى النساء ﴿فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ أي فجور وميل للنساء، وقيل هو النفاق، وهذا بعيد في هذا الموضع ﴿وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ هو الصواب من الكلام أو الذي ليس فيه شيء مما نهى عنه ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ قرئ بكسر القاف، ويحتمل وجهين: أن يكون من الوقار أو من القرار في الموضع، ثم حذفت الراء الواحدة كما حذفت اللام في ظلت، وأما القراءة بالفتح فمن القرار في الموضع على لغة من يقول قررت بالكسر أقر بالفتح، والمشهور في اللغة عكس ذلك، وقيل هي من قار يقار إذا اجتمع ومعنى القرار أرجح، لأن سودة رضي الله عنها قيل لها لِمَ لا تخرجين فقالت أمرنا الله بأن نقر في بيوتنا، وكانت عائشة إذا قرأت هذه الآية تكي على خروجها أيام الجمل، وحينئذ قال لها عمر: إن الله أمرك أن تقرّي في بيتك ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ﴾ التبرج الزينة ﴿تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ﴾ أي مثل ما كان نساء الجاهلية يفعلن من الانكشاف والتعرض للنظر، وجعلها أولى بالنظر إلى حال الإسلام، وقيل الجاهلية الأولى ما بين آدم ونوح، وقيل ما بين موسى وعيسى ﴿الرِّجْسَ﴾ أصله النجس، والمراد به هنا النقائص والعيوب ﴿أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ منادى أو منصوب على التخصيص، وأهل بيت النبي ﷺ: هم أزواجه وذريته وأقاربه كالعباس وعليّ وكل من حرمت عليه الصدقة، وقيل المراد هنا أزواجه خاصة، والبيت على هذا المسكن، وهذا ضعيف لأن الخطاب بالتذكير، ولو أراد ذلك لقال عنكن وروي أن النبي ﷺ قال نزلت هذه الآية في خمسة: «في ولد عليّ وفاطمة والحسن والحسين» ﴿وَأذْكَرْنَ﴾ خطاب لأزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم خصهن بعد دخولهن مع أهل البيت، وهذا الذكر يحتمل أن يكون التلاوة أو التذكر بالقلب، وآيات الله هي القرآن والحكمة هي السنة ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾ الآية: سببها أن بعض النساء قلن ذكر الله الرجال، ولم يذكرنا، فنزل فيها ذكر النساء ﴿وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ الإسلام هو الانقياد، والإيمان هو التصديق، ثم إنهما يطلقان بثلاثة أوجه باختلاف المعنى كقوله: ﴿لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾

وَالْقَنِينَتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّالِحِينَ وَالصَّالِحَاتِ وَالْخَدِيعِينَ وَالْخَدِيعَاتِ
وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّيِّمِينَ وَالصَّيِّمَاتِ وَالْحَفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَفِظَاتِ
وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ وَمَا كَانَ
لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا لِلْمُؤْمِنَاتِ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ﴿٣٦﴾ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ
اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا

[الحجرات: ١٤] وبالاتفاق لاجتماعهما كقوله: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٣٥] الآية، وبالعموم فيكون الإسلام أعم، لأنه بالقلب والجوارح، والإيمان أخص لأنه بالقلب خاصة، وهذا هو الأظهر في هذا الموضع ﴿وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ﴾ يحتمل أن يكون بمعنى العبادة أو الطاعة ﴿وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ﴾ يحتمل أن يكون من صدق القول أو من صدق العزم ﴿وَمَا كَانَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ الآية: معناها أنه ليس لمؤمن ولا مؤمنة اختيار مع الله ورسوله بل يجب عليهم التسليم والانقياد لأمر الله ورسوله والضمير في قوله من أمرهم: راجع إلى الجمع الذي يقتضيه قوله لمؤمن ولا مؤمنة لأن معناه العموم في جميع المؤمنين والمؤمنات، وهذه الآية توطئة للقصة المذكورة بعدها، وقيل سببها أن رسول الله ﷺ خطب امرأة ليزوجها لمولاه زيد بن حارثة، فكرهت هي وأهلها ذلك فلما نزلت الآية قالوا رضينا يا رسول الله، واختلف هل هذه المخطوبة زينب بنت جحش أو غيرها، وقد قيل إنها أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ هو زيد بن حارثة الكلبي، وإنعام الله عليه بالإسلام وغيره وإنعام النبي ﷺ بالعتق وكانت عند زيد زينب بنت جحش وهي بنت أميمة عمة النبي ﷺ، فشكا زيد إلى رسول الله ﷺ سوء معاشرتها وتعاضمها عليه، وأراد أن يطلقها فقال له رسول الله ﷺ: «أمسك عليك زوجك واتق الله»، يعني فيما وصفها به من سوء المعاشرة واتق الله ولا تطلقها فيكون نهياً عن الطلاق على وجه التنزيه، كما قال عليه الصلاة والسلام: «أبغض المباح إلى الله الطلاق» ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ الذي أخفاه رسول الله ﷺ أمر جائر مباح لا إثم فيه ولا عتب ولكنه خاف أن يسלט الله عليه ألسنتهم وينالوا منه، فأخفاه حياء وحشمة وصيانة لعرضه، وذلك أنه دوى، أن النسب كان حاصلاً على أن يطلق زيد زينب ليتزوجها هو ﷺ لقرابتها منه ول

وَطَرًا زَوْجِنَا كَمَا لَيْكِي لَا يَكُونُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَرْوَاحٍ أَدْعِيَا بِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَتْ
 أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٢٧﴾ مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ
 أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ﴿٢٨﴾ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ
 حَسِيبًا ﴿٢٩﴾ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَحَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ

من كلام الناس لثلاثا يقولوا تزوج امرأة ابنه إذ كان قد تبناه، فالذي أخفاه ﷺ هو إرادة تزوجها فأبدى الله ذلك بأن قضى له بتزوجها، فقالت عائشة: لو كان رسول الله ﷺ كما تمأ شيتًا من الوحي لكتتم هذه الآية لشدتها عليه، وقيل إن الله كان أوحى إلى رسول الله ﷺ أن يتزوج زينب بعد طلاق زيد، فالذي أخفاه رسول الله ﷺ: ما أعلمه الله به من ذلك ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَا كَهَا﴾ لم يذكر أحدًا من الصحابة في القرآن باسمه غير زيد بن حارثة، والوطر الحاجة، قال ابن عطية: ويراد به هنا الجماع، والأحسن أن يكون أعم من ذلك: أي لما لم يبق لزيد فيها حاجة تزوجها الله من نبيه صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم، وأسند الله تزويجها إليه تشريفًا لها، ولذلك كانت زينب تفتخر على نساء النبي ﷺ وتقول إن الله زوجني نبيه من فوق سبع سموات، واستدل بعضهم بقوله زوجناكها على أن الأولى أن يقال في كتاب الصداق أنكحه إياها بتقديم ضمير الزوج على ضمير الزوجة كما في الآية ﴿لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجٍ أَدْعِيَاهُمْ﴾ المعنى أن الله زوج زينب امرأة زيد من رسول الله ﷺ ليعلم المؤمنين أن تزوج نساء أدعيائهم حلال لهم فإن الأدعياء ليسوا لهم بأبناء حقيقة ﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ﴾ المعنى أن تزوج النبي ﷺ لزينب بعد زيد حلال لا حرج فيه ولا إثم ولا عتاب، وفي ذلك رد على من تكلم في ذلك من المنافقين. وفرض هنا بمعنى قسم ﴿لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ﴾ أي عادة الله في الأنبياء المتقدمين أن ينالوا ما أحل الله لهم، وقيل الإشارة بذلك إلى داود في تزوجه للمرأة التي جرى له فيها ما جرى، والعموم أحسن، ونصب سنة على المصدر، أو على إضمار فعل أو على الإغراء ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ﴾ صفة للذين خلوا من قبل، وهم الأنبياء أو رفع على إضمار مبتدأ، أو نصب بإضمار فعل ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ هذا رد على من قال في زيد بن حارثة زيد بن محمد، فاعترض على النبي ﷺ تزوج امرأة زيد، وعموم النفي في الآية لا يعارضه وجود الحسن والحسين، لأنه ﷺ ليس أبا لهما في الحقيقة لأنهما ليسا من صلبه، وإنما كانا ابني بنته، وأما ذكور أولاده فماتوا صغارًا فليسوا من الرجال ﴿وَحَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ أي آخرهم فلا نبي

شَىءٍ عَلَيْهِمْ ﴿٤٠﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ نَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾ يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيَا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَثِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذُنَهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَةٍ تَعُدُّوهَا فَمَتَّعُوهُنَّ وَسَرَّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤٩﴾ يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ

بعده ﷺ وقرىء بكسر التاء بمعنى أنه ختمهم فهو خاتم، وبالفتح بأنهم ختموا به فهو كالخاتم والطابع لهم، فإن قيل إن عيسى ينزل في آخر الزمان فيكون بعده عليه الصلاة والسلام، فالجواب أن النبوة أوتيت عيسى قبله عليه الصلاة والسلام، وأيضا فإن عيسى يكون إذا نزل على شريعته عليه الصلاة والسلام، فكأنه واحد من أمته ﴿أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ اشترط الله الكثرة في الذكر حينما أمر به بخلاف سائر الأعمال، والذكر يكون بالقلب وباللسان وهو على أنواع كثيرة من التهليل والتسبيح والحمد والتكبير وذكر أسماء الله تعالى ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ قيل إن ذلك إشارة إلى صلاة الصبح والعصر، والأظهر أنه أمر بالتسبيح في أول النهار وآخره، وقال ابن عطية أراد في كل الأوقات فحدّ النهار بطرفيه ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم﴾ هذا خطاب للمؤمنين، وصلاة الله عليهم رحمة لهم، وصلاة الملائكة عليهم دعاؤهم لهم، فاستعمل لفظ يصلي في المعنيين على اختلافهما وقيل إنه على حذف مضاف تقديره وملائكته يصلون ﴿نَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ﴾ قيل يعني يوم القيامة، وقيل في الجنة وهو الأرجح لقوله ونحيتهم فيها سلام، ويحتمل أن يريد تسليم بعضهم على بعض أو قول الملائكة لهم سلام عليكم طبتم ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا﴾ أي يشهد على أمته ﴿وَدَاعِيَا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ﴾ أي بأمر الله وإرساله ﴿وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ استعارة للنور الذي يتضمنه الدين ﴿وَدَعْ أَذُنَهُمْ﴾ يحتمل وجهين أحدهما لا تؤذهم فالمصدر على هذا مضاف إلى المفعول ونسخ من الآية على هذا التأويل ما يخص الكافرين بآية السيف، والآخر احتمل إذابتهم لك وأعرض عن أقوالهم، فالمصدر على هذا مضاف للفاعل ﴿إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ﴾ الآية: معناه: سقوط العدة عن المطلقة قبل الدخول فالنكاح في الآيات السابقة من العدد ﴿فَمَتَّعُوهُنَّ﴾

أَزْوَاجَكَ الَّتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا آفَاءَ اللَّهِ عَلَيْكَ وَبَنَاتٍ عَمِكَ وَبَنَاتٍ عَمَّتِكَ وَبَنَاتٍ خَالَكَ وَبَنَاتٍ خَالَتِكَ الَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَأَمْرًا مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي

هذا يقتضي متعة المطلقة قبل الدخول سواء فرض لها أو لم يفرض لها صدق وقوله تعالى في البقرة: ﴿وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٧] يقتضي أن المطلقة قبل الدخول وقد فرض لها يجب لها نصف الصداق ولا متعة لها وقد اختلف هل هذه الآية ناسخة لآية البقرة أو منسوخة بها ويمكن الجمع بينهما بأن تكون آية البقرة مبيّنة لهذه مخصصة لعمومها.

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ﴾ في معناها قولان أحدهما أن المراد أزواجه اللاتي في عصمته حينئذ كعائشة وغيرها، وكان قد أعطاهن مهورهن، والآخر أن المراد جميع النساء، فأباح الله له أن يتزوج كل امرأة يعطي مهرها وهذا أوسع من الأول ﴿وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾ أباح الله له مع الأزواج السراي بملك اليمين ويعني بقوله آفاء الله عليك: الغنائم ﴿وَبَنَاتٍ عَمَّكَ وَبَنَاتٍ عَمَّتِكَ وَبَنَاتٍ خَالَكَ وَبَنَاتٍ خَالَتِكَ﴾ يعني قرابته من جهة أبيه ومن جهة أمه، وكان له عليه الصلاة والسلام أعمام وعمات إخوة لأبيه، ولم يكن لأمه عليه الصلاة والسلام أخ ولا أخت، وإنما يعني بخاله وخالاته عشيرة أمه وهم بنو زهرة، ولذلك كانوا يقولون نحن أخوال رسول الله ﷺ فمن قال إن المراد بقوله أحللنا لك أزواجك: من كانت في عصمته: فهو عطف عليهن، وإباحة لأن يتزوج قرابته زيادة على من كان في عصمته، ومن قال إن المراد جميع النساء فهو تجريد منهن على وجه التشريف بعد دخول هؤلاء في العموم ﴿اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾ تخصيص تحرز به ممن لم يهاجر كالطلاق الذين أسلموا يوم فتح مكة ﴿وَأَمْرًا مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾ أباح الله له ﷺ من وهبت له نفسها من النساء، واختلف هل وقع ذلك أم لا؟ فقال ابن عباس: لم تكن عند النبي ﷺ امرأة إلا بملك أو ملك يمين، لا بهبة نفسها، ويؤيد هذا قراءة الجمهور إن وهبت بكسر الهمزة أي إن وقع، وقيل قد وقع ذلك، وهو على هذا القول قرىء أن وهبت بفتح الهمزة، واختلف على هذا القول فيمن هي التي وهبت نفسها فقيل ميمونة بنت الحارث، وقيل زينب بنت خزيمة أم المساكين، وقيل أم شريك الأنصارية، وقيل أم شريك العامرية ﴿خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي هبة المرأة نفسها مزية خاصة بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم دون غيره، وانظر كيف رجع من العتبية

أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٠﴾ تَرْجِي مَنْ نَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ نَشَاءُ وَمَنْ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلَّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿١١﴾ لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ

إلى الخطاب ليخصّ المخاطب وحده، وقيل إن خالصة يرجع إلى كل ما تقدم من النساء المباحات له ﷺ لأن سائر المؤمنين قصروا على أربع نسوة، وأبيح له عليه الصلاة والسلام أكثر من ذلك، ومذهب مالك أن النكاح بلفظ الهبة لا ينعقد بخلاف أبي حنيفة، وإعراب خالصة مصدر أو حال أو صفة لامرأة ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فُرُسْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ﴾ يعني أحكام النكاح من المصداق والولي والافتقار على أربع وغير ذلك ﴿لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ﴾ يتعلق بالآية التي قبله أي بينا أحكام النكاح لثلا يكون عليك حرج أو لثلا يظن بك أنك فعلت ما لا يجوز، وقال الزمخشري يتعلق بقوله خالصة لك ﴿تَرْجِي مَنْ نَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ نَشَاءُ﴾ معنى ترجي تؤخر وتبعد، ومعنى تؤوي تضم وتقرّب. واختلف في المراد بهذا الإرجاء والإيواء، فقيل إن ذلك في القسمة بينهما: أي تكثر لمن شئت، وتقلل لمن شئت، وقيل إنه في الطلاق أي تمسك من شئت وتطلق من شئت؛ وقيل معناه تتزوج من شئت، وتترك من شئت، والمعنى على كل قول توسعة على النبي ﷺ، وإباحة له أن يفعل ما يشاء، وقد اتفق الناقلون على أنه ﷺ كان يعدل في القسمة بين نسائه: أخذًا منه بأفضل الأخلاق مع إباحة الله له، والضمير في قوله منهن: يعود على أزواجه صلى الله عليه وآله وسلم خاصة أو على كل ما أحل الله له على حسب الخلاف المتقدم ﴿وَمَنْ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾ في معناه قولان: أحدهما من كنت عزلته من نسائك فلا جناح عليك في رده بعد عزله، والآخر من ابتغيت ومن عزلت سواء في إباحة ذلك فمن للتبعيض على القول الأول وأما على القول الثاني فنحو قولك من لقيك ومن لم يلقك سواء ﴿ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ﴾ أي إذا علمن أن هذا حكم الله قررت به أعينهن ورضين به، وزال ما كان بهن من الغيرة، فإن سبب نزول هذه الآية ما وقع لأزواج النبي ﷺ من غيرة بعضهن على بعض ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ﴾ فيه قولان: أحدهما لا يحل لك النساء غير اللاتي في عصمتك الآن ولا تزيد عليهن، قال ابن عباس لما خيهرن رسول الله ﷺ فاخترن الله ورسوله جازاهن الله على ذلك، بأن حرّم غيرهن من النساء كرامة لهن، والقول الثاني لا يحل لك النساء

وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا ﴿٥٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرٍ نَظِيرِينَ إِنَّهُ وَلَٰكِنَ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَسِينِينَ لِجَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيَّ فَيَسْتَعِجِي

المراد بقوله: ﴿إِنَّا أَخْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ﴾: أي لا يحل لك غير من ذكر حسبما تقدم، وقيل معنى ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ﴾: لا يحل لك اليهوديات والنصرانيات من بعد المسلمات المذكورات وهذا بعيد، واختلف في حكم هذه الآية، فقيل إنها منسوخة بقوله: ﴿إِنَّا أَخْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ﴾ على القول بأن المراد جميع النساء، وقيل إن هذه الآية ناسخة لتلك على القول بأن المراد من كان في عصمته، وهذا هو الأظهر لما ذكرنا عن ابن عباس، ولأن التسع في حقه عليه الصلاة والسلام كالأربع في حق أمته ﴿وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ﴾ معناه لا يحل لك أن تطلق واحدة منهن وتزوج غيرها بدلاً منها، وقيل معناه ما كانت العرب تفعله من المبادلة في النساء بأن ينزل الرجل عن زوجته لرجل وينزل الآخر عن زوجته له، وهذا ضعيف ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ﴾ في هذا دليل على تجاوز النظر إلى المرأة إذا أراد الرجل أن يتزوجها ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾ المعنى أن الله أباح له الإماء، والاستثناء في موضع رفع على البدل من النساء أو في موضع نصب على الاستثناء من الضمير في حُسْنُهُنَّ ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ﴾ سبب هذه الآية ما رواه أنس أن رسول الله ﷺ لما تزوج زينب بنت جحش أولم عليها فدعا الناس، فلما طعموا قعد نفر في طائفة من البيت فثقل ذلك على النبي ﷺ فخرج ليخرجوا بخروجه ومز على حجر نسائه ثم عاد فوجدهم في مكانهم، فانصرف فخرجوا عن ذلك، وقال ابن عباس نزلت في قوم كانوا يتحينون طعام النبي ﷺ فيدخلون عليه قبل الطعام فيقعدون إلى أن يطبخ ثم يأكلون ولا يخرجون، فأمروا أن لا يدخلوا حتى يؤذن لهم، وأن ينصرفوا إذا أكلوا، قلت: والقول الأول أشهر، وقول ابن عباس أليق بما في الآية من النهي عن الدخول حتى يؤذن لهم، فعلى قول ابن عباس في النهي عن الدخول حتى يؤذن لهم والقول الأول في النهي عن القعود بعد الأكل، فإن الآية تضمنت الحكيمين ﴿غَيْرِ نَظِيرِينَ إِنَّهُ﴾ أي غير منتظرين لوقت الطعام، والإننا الوقت، وقيل إننا الطعام نضجه وإدراكه، يقال أُنِي يَأْنِي إني ﴿وَلَٰكِنَ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا﴾ أمر بالدخول بعد الدعوة، وفي ذلك تأكيد للنهي عن الدخول قبلها ﴿فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا﴾ أي انصرفوا، قال بعضهم هذا أدب الله به الثقلاء، وقالت عائشة رضي الله عنها: حسبك من الثقلاء أن الله لم يحتملهم ﴿وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِجَدِيثٍ﴾ معطوف على غير

مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي، مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسَأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَكِيدُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ ۚ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٧﴾ إِنْ تَبَدُّوا شَيْئًا أَوْ خُفِّفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٨﴾ لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِيءِ آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَسْنَاءِ أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَأَقْرَبِينَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ

ناظرين، أو تقديره ولا تدخلوا مستأنسين، ومعناه النهي عن أن يطلبوا الجلوس للأنس بحديث بعضهم مع بعض، أو يستأنسوا لحديث أهل البيت، واستثناسهم: سمعهم وتجتسهم ﴿إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ﴾ يعني جلوسهم للحديث أو دخولهم بغير إذن ﴿فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ﴾ تقديره يستحي من إخراجكم، بدليل قوله: والله لا يستحي من الحق: أي أن إخراجكم حق لا يتركه الله ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ المتاع الحاجة من الأثاث وغيره، وهذه الآية نزلت في احتجاب أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وسببها ما رواه أنس من قعود القوم يوم الوليمة في بيت زينب، وقيل سببها أن عمر بن الخطاب أشار على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأن يحجب نساءه فنزلت الآية موافقة لقول عمر، قال بعضهم لما نزلت في أمهات المؤمنين ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ كن لا يجوز للناس كلامهن إلا من وراء حجاب، ولا يجوز أن يراهن متقبات ولا غير متقبات، فخصصن بذلك دون سائر النساء ﴿ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ يريد أنقى من الخواطر التي تعرض للرجال في أمر النساء والنساء في أمر الرجال ﴿وَلَا أَنْ تَكِيدُوا أَزْوَاجَهُ﴾ سببها أن بعض الناس قالوا لو مات رسول الله ﷺ لتزوجت عائشة فحرم الله على الناس تزوج نسائه بعده كرامة له ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ﴾ الآية: لما أوجب الله الحجاب أباح لهن الظهور لذوي محارمهن من القرابة وهم: الآباء، والأبناء، والإخوة، وأولادهم، وأولاد الأخوات ﴿وَلَا نِسَائِهِنَّ﴾ قيل يريد بالنساء القرابة والمصرفات لهن، وقيل يريد نساء جميع المؤمنات، ويقوي الأول تخصيص النساء بالإضافة لهن، ويقوي الثاني أنهن كن لا يحتجبن من النساء على الإطلاق ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾ واختلف فيمن أبيع لهن الظهور له من ملك اليمين، فقيل الإماء دون العبيد، وقيل الإماء والعبيد، وهو أولى بلفظ الآية، ثم اختلف من ذهب إلى هذا فقال قوم من ملكته من العبيد دون من ملكته من النساء، وقال قوم جميع

شَهِيدًا ﴿٥٥﴾ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ أَحْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْفَعُ

العبيد كن في ملكهن أو في ملك غيرهن ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ هذه الآية تشريف للنبي ﷺ، وقد ذكرنا معنى صلاة الله وصلاة الملائكة في قوله يصلي عليكم وملائكته ﴿صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فرض إسلامي فالأمر به محمول على الوجوب، وأقله مرة في العمر، وأما حكمها في الصلاة: فمذهب الشافعي أنها فرض تبطل الصلاة بتركه، ومذهب مالك أنها سنة وصفتها ما ورد في الحديث الصحيح اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وقد اختلفت الروايات في ذلك اختلافًا كثيرًا أما السلام على النبي ﷺ فيحتمل أن يريد السلام عليه في التشهد في الصلاة أو السلام عليه حين لقائه، وأما السلام عليه بعد موته فقد قال ﷺ من سلم علي قريبًا سمعته، ومن سلم علي بعيدًا أبلغته، فإن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ إذاية الله هي بالإشراك به ونسبة الصحابة والولد له، وليس معنى إذايته أنه يضره الأذى لأنه تعالى لا يضره شيء ولا ينفعه شيء، وقيل إنها على حذف مضاف تقديره يؤذون أولياء الله، والأول أرجح، لأنه ورد في الحديث يقول الله تعالى: «يَشْتُمْنِي ابْنُ آدَمَ وَلَيْسَ لَهُ أَنْ يَشْتُمْنِي، وَيَكْذِبُنِي وَلَيْسَ لَهُ أَنْ يَكْذِبُنِي»، أما شتمه إياي فقولُه إن لي صاحبةً وولداً، وأما تكذيبه إياي فقولُه: «لَا يُعِيدُنِي كَمَا بَدَأْنِي» وأما إذاية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فهي التعرض له بما يكره من الأقوال أو الأفعال، وقال ابن عباس، نزلت في الذين طعنوا عليه حين أخذ صفية بنت حبيبي ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا﴾ الآية: في البهتان وهو ذكر الإنسان بما ليس فيه، وهو أشد من الغيبة، مع أن الغيبة محرمة، وهي ذكره ما فيه مما يكره ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ﴾ كان نساء العرب يكشفن وجوههن كما تفعل الإماماء، وكان ذلك داعيًا إلى نظر الرجال لهن فأمرهن الله بإدناء الجلابيب ليسترن بذلك وجوههن ويفهم الفرق بين الحرائر والإماماء، والجلابيب جمع جلباب وهو ثوب أكبر من الخمار، وقيل هو الرداء وصورة إدنائه عند ابن عباس أن تلويه

أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذِنَنَّكَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥٩﴾ لَنْ لَمْ يَنْهَ الْأُمْنَفِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لِنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِلُوا قَتِيلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ يَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾ يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خٰلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تَقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَّا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ ﴿٦٦﴾

على وجهها حتى لا يظهر منها إلا عين واحدة تبصر بها وقيل أن تلويه حتى لا يظهر إلا عيناها، وقيل أن تغطي نصف وجهها ﴿ذَلِكَ أَذْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذِنَنَّكَ﴾ أي ذلك أقرب إلى أن يعرف الحرائر من الإماء فإذا عرف أن المرأة حرة لم تُعَارِضْ بما تُعَارِضُ به الأمة، وليس المعنى أن تعرف المرأة حتى يعلم من هي إنما المراد أن يفرق بينها وبين الأمة لأنه كان بالمدينة إماء يعرفن بالسوء وربما تعرض لهن السفهاء ﴿لَيْتَنَّا لَمْ يَنْتَهَ الْمُنافِقُونَ﴾ الآية: تضمنت وعيد هؤلاء الأصناف إن لم ينتهوا، وقيل إنهم لم ينتهوا: ولم ينفذ الوعيد عليهم ففي ذلك دليل على بطلان القول بوجوب إنفاذ الوعيد في الآخرة، وقيل إن انتهوا وسترُوا أمرهم، فكف عنهم إنفاذ الوعيد، والمنافقون هم الذين يُظهِرُونَ الإيمان ويخفون الكفر، والذين في قلوبهم مرض: قوم كان فيهم ضعف إيمان، وقلة ثبات عليه، وقيل هم الزناة: كقوله فيطمع الذي في قلبه مرض، والمرجفون في المدينة: قوم كانوا يشيعون أخبار السوء ويخوفون المسلمين، فيحتمل أن تكون هذه الأصناف متفرقة، أو تكون داخلية في جملة المنافقين، ثم جردها بالذكر ﴿لِنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ﴾ أي نسلطك عليهم وهذا هو الوعيد ﴿ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا﴾ ذلك لأنه ينفذ عليهم أو يقتلهم، والضمير المجرور للمدينة ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ يحتمل أن يريد إلا جوازًا قليلًا أو وقتًا أو عددًا قليلًا منهم، والإعراب يختلف بحسب هذه الاحتمالات، فقليلًا على الاحتمال الأول مصدر، وعلى الثاني ظرف، وعلى الثالث منصوب على الاستثناء ﴿مَلْعُونِينَ﴾ نصب على الذم، أو بدل من قليلًا على الوجه الثالث: أو حال من ضمير الفاعل في يجاورونك تقديره سينفون ملعونين ﴿أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا﴾ أي حيث ما ظفر بهم أسروا، والأخذ الأسر ﴿سُنَّةَ اللَّهِ﴾ أي عادته ونصب على المصدر ﴿فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ﴾ أي عادته في المنافقين من الأمم المتقدمة وقيل يعني الكفار من بدر، لأنهم أسروا وقتلوا ﴿تَكْرُرًا رِيبًا وَرِيبًا وَرِيبًا﴾ مؤنثة على تقدير شيئًا

وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكِبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا ﴿١٧﴾ رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ
وَالْعَنَهُمُ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿١٨﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَادُوا مُوسَىٰ فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ
عِنْدَ اللَّهِ وَجِبًا ﴿١٩﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ لَوْ قُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٢٠﴾ يُضْلِحَ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ
وَيَغْفِرَ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٢١﴾ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا

قريبًا أو زمانًا قريبًا، أو لأن تأنيثها غير حقيقي ﴿يَوْمَ تَقْلُبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ﴾ العامل في يوم قوله يقولون أو لا يجدون أو محذوف، وتقليب وجوههم: تصريفها في جهة النار كما تدور البضعة في القدر إذا غلت من جهة إلى جهة، أو تغيرها عن أحوالها.

﴿لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آدُوا مُوسَى﴾ هم قوم من بني إسرائيل، وإذابتهم له: ما ورد في الحديث أن بني إسرائيل كانوا يغتسلون عراة وكان موسى يستتر منهم إذا اغتسل فقالوا إنه لآدر، فاعتسل موسى يومًا وحده وجعل ثيابه على حجر ففرّ الحجر بثيابه، وأتبعه موسى وهو يقول ثوبي حجر ثوبي حجر، فمرّ في أتباعه على ملاً من بني إسرائيل فأروه سليمًا مما قالوا، فذلك قوله فبرّاه الله مما قالوا، وقيل إذابتهم له أنهم رموه بأنه قتل أخاه هارون، فبعث الله ملائكة فحملته حتى رآه بنو إسرائيل ليس فيه أثر فبرّأ الله موسى، ورؤي أن الله أحياه فأخبرهم ببراءة موسى، والقول الأول هو الصحيح لوروده في الحديث الصحيح ﴿قَوْلًا سَدِيدًا﴾ قيل يعني لا إله إلا الله، واللفظ أعم من ذلك ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ﴾ الأمانة هي التكاليف الشرعية من التزام الطاعات وترك المعاصي، وقيل هي الأمانة في الأموال، وقيل غسل الجنابة، والصحيح العموم في التكليف، وعرضها على السموات والأرض والجبال يحتمل وجهين: أحدهما: أن يكون الله خلق لها إدراكًا فعرضت عليها الأمانة حقيقة فأشفقت منها وامتنعت من حملها، والثاني أن يكون المراد تعظيم شأن الأمانة، وأنها من الثقل بحيث لو عرضت على السموات والأرض والجبال، لأبين من حملها وأشفقن منها، فهذا ضرب من المجاز كقولك عرضت الحمل العظيم على الدابة فأبت أن تحمله، والمراد أنها لا تقدر على حمله ﴿وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ﴾ أي التزم الإنسان القيام بالتكاليف مع شدة ذلك وصعوبته على الأجرام التي هي أعظم منه، ولذلك وصفه الله بأنه ظلوم جهول، والإنسان هنا جنس، وقيل يعني آدم، وقيل

جَهُولًا ﴿٧٦﴾ لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى
 الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٧﴾

قابيل الذي قتل أخاه ﴿لِيُعَذِّبَ﴾ اللام للصيرورة، فإن حمل الأمانة: كان سبب تعذيب
 المنافقين والمشركين، ورحمة للمؤمنين.

سورة سبأ

مكية إلا آية ٦ فمدنية وآياتها ٥٤ نزلت بعد لقمان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَلْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَلَمْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١﴾
يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ﴾ يحتتمل أن يكون الحمد الأول في الدنيا والثاني في الآخرة، وعلى هذا حملة الزمخشري ويحتتمل عندي أن يكون الحمد الأول للعموم والاستغراق، فجمع الحمد في الدنيا والآخرة، ثم جرد منه الحمد في الآخرة كقوله فأكهة ونخل ورمان، ثم إن الحمد في الآخرة يحتتمل أن يريد به الجنس أو يريد به قوله وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين أو الحمد لله الذي صدقنا وعده ﴿مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ﴾ أي يدخل فيها من المطر والأموات وغير ذلك ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ من النبات وغيره ﴿وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ من المطر والملائكة والرحمة والعذاب وغير ذلك ﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ أي يصعد ويرتفع من الأعمال وغيرها ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ﴾ رُوي أن قائل هذه المقالة هو أبو سفيان بن حرب ﴿لَا يَغْرُبُ﴾ أي لا يغيب ولا يخفى ﴿وَلَا أَصْغَرُ﴾ معطوف على مثقال؛ وقال الزمخشري هو مبتدأ، لأن حرف الاستثناء من حروف العطف، ولا

الْعَفُورِ ﴿٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عِلْمُ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجْزِ أَلِيمٍ ﴿٥﴾ وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِقْتُمْ إِذَا مَرَقْتُمْ كُلُّ مُمْزِقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧﴾ أَفَتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ ﴿٨﴾ أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ

خلاف بين القراء السبعة في رفع أصغر وأكبر في هذا الموضع، وقد حكى ابن عطية الخلاف فيه عن بعض القراء السبعة، وإنما الخلاف في يونس ﴿فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ يعني اللوح المحفوظ ﴿لِيَجْزِيَ﴾ متعلق بقوله: ﴿لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾ أو بقوله: ﴿لَا يَعْزُبُ﴾ أو بمعنى قوله: ﴿فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا﴾ مبتدأ وخبره الجملة بعده، وقال ابن عطية: هو معطوف على الذين الأول، وقد ذكر في الحج معنى سعوا، ومعاجزين ﴿أَلِيمٍ﴾ بالرفع صفة لعذاب، وبالخفض صفة لرجز ﴿وَيَرَى﴾ معطوف على ليجزي أو مستأنف، وهذا أظهر ﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ هم الصحابة أو من أسلم من أهل الكتاب، أو على العموم ﴿الْحَقُّ﴾ مفعول ثانٍ ليرى، لأن الرؤيا هنا بالقلب بمعنى العلم والضمير ضمير فصل. ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي قال بعضهم لبعض هل ندلكم على رجل يعني محمداً ﷺ ﴿يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِقْتُمْ كُلُّ مُمْزِقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ معنى مزقتم أي بليتتم في القبور وتقطعت أوصالكم وكل ممزق مصدر، والخلق الجديد: هو الحشر في القيامة، والعامل في إذا معنى إنكم لفي خلق جديد، لأن معناه تبعثون إذا مزقتم، وقيل العامل فيه فعل مضممر مقدر قبلها وذلك ضعف، وإنكم لفي خلق جديد معمول بنبئكم وكسرت اللام التي في خبرها ومعنى الآية أن ذلك الرجل يخبركم أنكم تبعثون بعد أن بليتتم في الأرض، ومرادهم استبعاد الحشر ﴿أَفَتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ﴾ هذا من جملة كلام الكفار، ودخلت همزة الاستفهام على ألف الوصل فحذفت ألف الوصل وبقيت همزة مفتوحة غير ممدودة ﴿بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ﴾ هذا رد عليهم: أي أنه لم يفتري على الله الكذب وليس به جنة بل هؤلاء الكفار في ضلال وحيرة عن الحق توجب لهم العذاب، ويحتمل أن يريد بالعذاب عذاب الآخرة، أو العذاب في الدنيا بمعاندة الحق.

وَمَا خَلَقَهُمْ مِنْ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنْ نَشَأْ نُخَسِّفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٩﴾ ﴿١٠﴾ وَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِمَّا فُضِّلَ بِهِ جِبَالَ أَوْبِي مُعَلُّو الطَّيْرِ وَالنَّارَ لَهُ الْحَدِيدَ ﴿١١﴾ أَنْ أَعْمَلَ سَبِغَتٍ وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٢﴾ وَلَسَلِيمَانَ الرِّيحَ غُدُوها شَهْرٌ وَرَوَاحُها شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نَذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿١٣﴾ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا

مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴿ الضمير في يروا للكفار المنكرين للبعث، وجعل السماء والأرض بين أيديهم وخلفهم، لأنهما محيطتان بهم، والمعنى ألم يروا إلى السماء والأرض فيعلمون أن الذي خلقهما قادر على بعث الناس بعد موتهم، ويحتمل أن يكون المعنى تهديد لهم ثم فسره بقوله: ﴿إِنْ نَشَأْ نُخَسِّفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ﴾: أي أفلم يروا إلى السماء والأرض أنهما محيطتان بهم فيعلمون أنهم لا مهرب لهم من الله ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ﴾ الإشارة إلى إحاطة السماء بهم أو إلى عظمة السماء والأرض بأن فيهما آية تدل على البعث ﴿يَا جِبَالَ أَوْبِي مَعَهُ﴾ تقديره: قلنا يا جبال، والجملة تفسير للفضل، ومعنى أوبى سبحي، وأصله من التأويب، وهو الترجيع، لأنه كان يرجع التسييح فترجعه معه. وقيل هو من التأويب بمعنى السير بالنهار، وقيل كان ينوح فتساعده الجبال بصداها، والطيور بأصواتها ﴿وَالطَّيْرَ﴾ بالنصب عطف على موضع يا جبال، وقيل مفعول معه، وقيل معطوف على فضلاً، وقوى بالرفع عطف على لفظ يا جبال ﴿وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ﴾ أي جعلناه له ليتنا بغير نار كالطين والعجين، وقيل لان له الحديد لشدة قوته ﴿سَابِغَاتٍ﴾ هي الدروع الكاسية ﴿وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ﴾ معنى السرد هنا نسج الدروع، وتقديرها أن لا يعمل الحلقة صغيرة فتضعف ولا كبيرة فيصاب لابسها من خلالها، وقيل لا يجعل المسمار دقيقاً ولا غليظاً ﴿وَأَعْمَلُوا صَالِحًا﴾ خطاب لداود وأهله ﴿وَلَسَلِيمَانَ الرِّيحَ﴾ بالنصب على تقدير وسخرنا، وقوى بالرفع على الابتداء ﴿غُدُوها شَهْرٌ وَرَوَاحُها شَهْرٌ﴾ أي كانت تسير به بالغداة مسيرة شهر، وبالعشي مسيرة شهر فكان يجلس على سريره وكان من خشب يحمل فيها روي أربعة آلاف فارس فترفعه الريح ثم تحمله ﴿وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ﴾ قال ابن عباس كانت تسيل له باليمن عين من نحاس يصنع منها ما أحب، والقطر النحاس، وقيل القطر الحديد والنحاس وما جرى مجرى ذلك: كان يسيل له منه أربعة عيون، وقيل المعنى أن الله أذاب له النحاس بغير نار كما صنع بالحديد لداود ﴿نَذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ يعني نار الآخرة،

يَشَاءُ مِنْ مَحْرَبٍ وَتَمَثِيلٍ وَجِحْفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَتٍ أَعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشُّكُورِ ﴿١٣﴾ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةٌ أَلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَاتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّو كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿١٤﴾ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَأَشْكُرُوا لِمَ بَلَدَهُ طَيِّبَةً

وقيل كان معه ملك يضربهم بسوط من نار ﴿مَحَارِبٍ﴾ هي القصور، وقيل المساجد وتمثيل قيل إنها كانت على غير صور الحيوان وقيل على صور الحيوان وكان ذلك جائزاً عندهم ﴿كَالْجَوَابِ﴾ جمع جابية وهي البركة التي يجتمع فيها الماء ﴿رَاسِيَاتٍ﴾ أي ثابتات في مواضعها لعظمها ﴿أَعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا﴾ حكاية ما قيل لآل داود، وانتصب شكراً على أنه مفعول من أجله، أو مصدر في موضع الحال تقديره شاكرين أو مصدر من المعنى لأن العمل شكر تقديره اشكروا شكراً أو مفعول به ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشُّكُورِ﴾ يحتمل أن يكون مخاطبة لآل داود أو مخاطبة لمحمد ﷺ ﴿دَابَّةٌ أَلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَاتَهُ﴾ المنسأة هي العصا، وقرىء بهمز وبغير همز، ودابة الأرض هي الأرضة وهي السوسة التي تأكل الخشب وغيره وقصص الآية أن سليمان عليه السلام دخل قبة من قوارير وقام يصلي متكئاً على عصاه فقبض روحه وهو متكئ عليها فبقي كذلك سنة لم يعلم أحد بموته حتى وقعت العصا فخرت إلى الأرض واختصرنا كثيراً مما ذكره الناس في هذه القصة لعدم صحته ﴿تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ﴾ من تبين الشيء إذا ظهر، وما بعدها بدل من الجن، والمعنى ظهر للناس أن الجن لا يعلمون الغيب، وقيل تبينت بمعنى علمت، وأن ما بعدها مفعول به على هذه والمعنى علمت الجن أنهم لا يعلمون الغيب، وتحققوا أن ذلك بعد التباس الأمر عليهم، أو علمت الجن أن كفارهم لا يعلمون الغيب، وأنهم كاذبون في دعوى ذلك ﴿فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ يعني الخدمة التي كانوا يخدمون سليمان وتسخيرهم لهم في أنواع الأعمال، والمعنى لو كانت الجن تعلم الغيب ما خفي عليهم موت سليمان ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ﴾ سبأ قبيلة من العرب سُميت باسم أبيها الذي تناسلت منه، وقيل باسم أمها، وقيل باسم موضعها، والأول أشهر، لأنه ورد في الحديث وكانت مساكنهم بين الشام واليمن ﴿جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾ كان لهم وادٍ وكانت الجنتان عن يمينه وشماله وجنتان بدل من آية أو مبتدأ أو خبر مبتدأ محذوف ﴿كُلُوا﴾ تقديره قيل لهم كلوا من رزق ربكم قالت لهم ذلك الأنبياء، ورؤي أنهم بعث لهم ثلاثة عشر نبياً فكذبوهم ﴿بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ﴾ أي كثيرة الأرزاق طيبة الهواء سليمة من الهوام ﴿فَأَعْرَضُوا﴾ أي

وَرَبِّ غَفُورٍ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرْمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِحَبَّتِهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاقٍ أَكْلٍ خَمِطٍ
وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا
بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرَى ظَاهِرَةً وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا
ءَامِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا رَبَّنَا بَعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَرِّقٍ

الْعَرْمِ ﴿١٥﴾ كان لهم سدّ يمسك الماء ليرتفع فُتُسَقَى به الجنّتان، فأرسل الله على السدّ الجرد وهي دوية خزّيته فيبيست الجنّتان، وقيل لما خرب السدّ حمل السيل الجنّتان وكثير من الناس واختلف في معنى العرم: فقيل هو السدّ، وقيل هو اسم ذلك الوادي بعينه، وقيل معناه الشديد، فكأنه صفة للسيل من العرامة، وقيل هو الجرد الذي خرب السدّ، وقيل المطر الشديد ﴿أَكْلٍ خَمِطٍ وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ الأكل بضم الهمزة المأكول، والخمط شجر الأراك، وقيل كل شجرة ذات شوك، والأثل شجر يشبه الطرفا والسدر شجر معروف، وإعزاب خمط بدل من أكل أو عطف بيان وقرىء بالإضافة وأثل عطف على الأكل لا على خمط، لأن الأثل لا أكل له، والمعنى أنه لما أهلكت الجنّتان المذكورتان قيل أبدلهم الله منها جنّتين بضدّ وصفهما في الحُسن والأرزاق ﴿وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾ معناه لا يناقش ويجازى بمثل فعله إلا الكفور لأن المؤمن قد يسمّح الله له ويتجاوز عنه ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرَى ظَاهِرَةً﴾ هذه الآية وما بعدها وصف حال سبأ قبل مجيء السيل وهلاك جنّاتهم، ويعني بالقرى التي باركنا فيها الشام، والقرى الظاهرة قرى متصلة من بلادهم إلى الشام، ومعنى ظاهرة يظهر بعضها من بعض لاتصالها، وقيل مرتفعة في الآكام، وقال ابن عطية خارجه عن المدن كما تقول بظاهر المدينة أي خارجها ﴿وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ﴾ أي قسمنا مراحل السفر، وكانت القرى متصلة فكان المسافر يبيت في قرية ويصبح في أخرى ولا يخاف جوعاً ولا عطشاً، ولا يحتاج إلى حمل زاد، ولا يخاف من أحد ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ قرىء باعد وبعد بالتخفيف والتشديد على وجه الطلب، والمعنى أنهم بطروا النعمة وملّوا العافية، وطلبوا من الله أن يباعد بين قراهم المتصلة ليمشوا في المفاوز ويتزودوا للأسفار، فعجل الله إجابتهم وقرىء باعد بفتح العين على الخبر والمعنى أنهم قالوا إن الله باعد بين قراهم، وذلك كذب وجحد للنعمة ﴿وَوَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ يعني بقولهم باعد بين أسفارنا أو بذنوبهم على الإطلاق ﴿وَمَرَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَرِّقٍ﴾ أي فرقناهم في البلاد حتى ضرب المثل بفرقتهم، وقيل تفرقوا أيدي سبأ، وفي الحديث إن سبأ أبو عشرة من القبائل، فلما جاء السيل على بلادهم تفرقوا فتيامن منهم ستة وتشاءم

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾ وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُّؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِن شِرْكٍَ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَن أَذِنَ لَهُ حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ

أربعة ﴿وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ﴾ أي وجد ظنه فيهم صادقًا يعني قوله لأغويتهم، وقوله: ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٧].

﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾ تعجيز للمشركين وإقامة حجة عليهم ويعني بالذين زعمتم ألهمتهم، ومفعول زعمتم محذوف أي زعمتم أنهم آلهة أو زعمتم أنهم شفعاء، وروِي أن ذلك نزل عند الجوع الذي أصاب قريشًا ﴿مِن شِرْكٍَ﴾ أي نصيب والظهير المعين ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَن أَذِنَ لَهُ﴾ المعنى لا تنفع الشفاعة عند الله إِلَّا لِمَن أَذِنَ اللهُ له أن يشفع فإنه لا يشفع أحد إِلَّا بإذنه، وقيل المعنى لا تنفع الشفاعة إِلَّا لِمَن أَذِنَ اللهُ أن يشفع فيه، والمعنى أن الشفاعة على كل وجه لا تكون إِلَّا بإذن الله، ففي ذلك رد على المشركين الذين كانوا يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ﴾ تظاهرت الأحاديث عن رسول الله صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أن هذه الآية في الملائكة عليهم السلام فإنهم إذا سمعوا الوحي إلى جبريل يفزعون لذلك فزعًا عظيمًا، فإذا زال الفزع عن قلوبهم قال بعضهم لبعض ماذا قال ربكم فيقولون قال الحق، ومعنى فزع عن قلوبهم زال عنها الفزع والضمير في قلوبهم وفي قالوا للملائكة، فإن قيل: كيف ذلك ولم يتقدم لهم ذكر يعود الضمير عليه؟ فالجواب أنه قد وقعت إليهم إشارة بقوله: ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَن أَذِنَ لَهُ﴾ لأن بعض العرب كانوا يعبدون الملائكة ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله، فذكر الشفاعة يقتضي ذكر الشافعين، فعاد الضمير على الشفعاء الذين دل عليهم لفظ الشفاعة، فإن قيل: بِمَ اتصل قوله حتى إذا فزع عن قلوبهم ولأبي شيء وقعت حتى غائية؟ فالجواب أنه اتصل بما فهم من الكلام من أن ثم انتظارًا للإذن، وفزعًا وتوقفًا حتى يزول الفزع بالإذن في الشفاعة، ويقرب هذا في المعنى من قوله يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون إِلَّا مَن أَذِنَ اللهُ لَهُ الرُحْمَنُ وَلَمْ يَفْهَمْ بَعْضُ النَّاسِ اتِّصَالَ هَذِهِ الْآيَةِ بِمَا قَبْلُهَا فَاضْطَرَبُوا فِيهَا حَتَّىٰ قَالَ

وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٢٧﴾ ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًىٰ أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ ﴿٢٨﴾ ﴿قُلْ لَا تَسْأَلُونَ عَمَّا أُجْرَمْنَا وَلَا نَسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ﴿٢٩﴾ ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتْحُ الْعَلِيمُ﴾ ﴿٣٠﴾ ﴿قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ أَحَقُّم بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿٣١﴾ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٣٢﴾ ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿٣٣﴾ ﴿قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَحْجِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَغِيثُونَ﴾ ﴿٣٤﴾ وَقَالَ الَّذِينَ

الحقيقة، فقيل لهم ماذا قال ربكم فيقولون قال الحق فيقرؤون حين لا ينفعهم الإقرار، والصحيح أنها في الملائكة لورود ذلك في الحديث، ولأن القصد الرد على الكفار، الذين عبدوا الملائكة، فذكر شدة خوف الملائكة من الله وتعظيمهم له ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ﴾ سؤال قصد به إقامة الحجة على المشركين ﴿قُلِ اللَّهُ﴾ جواب عن السؤال بما لا يمكن المخالفة فيه، ولذلك جاء السؤال والجواب من جهة واحدة ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًىٰ أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ هذه ملاطفة وتنزل في المجادلة إلى غاية الإنصاف كقولك الله يعلم أن أحدهما على حق وأن الآخر على باطل ولا تعين بالتصريح أحدهما ولكن تنبه الخصم على النظر حتى يعلم من هو على الحق ومن هو على الباطل، والمقصود من الآية أن المؤمنين على هدى وأن الكفار على ضلال مبين ﴿قُلْ لَا تَسْأَلُونَ عَمَّا أُجْرَمْنَا﴾ إخبار يقتضي مسالمة نسخت بالسيف ﴿يَفْتَحُ بَيْنَنَا﴾ أي يحكم، والفتح الحاكم ﴿قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ أَحَقُّم بِهِ شُرَكَاءَ﴾ إقامة حجة على المشركين، والرؤية هنا رؤية قلب فشركاء مفعول ثالث، والمعنى أروني بالدليل والحجة من هم له شركاء عندكم، وكيف وجه الشركاء، وقيل هي رؤية بصر، وشركاء حال من المفعول في أحقتم كأنه قال أين الذين تعبدون من دونه وفي قوله: ﴿أَرُونِي﴾ تحقيق للشركاء وازدراء بهم، وتعجيز للمشركين، وفي قوله: ﴿كَلَّا﴾ ردهم عن الإشراك، وفي وصف الله بالعزیز الحكيم: رد عليهم بأن شركاءهم ليسوا كذلك ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ﴾ المعنى أن الله أرسل محمدا ﷺ إلى جميع الناس، وهذه إحدى الخصال التي أعطاها الله دون سائر الأنبياء، وإعراب كافة حال من الناس قدمت للاهتمام، هكذا قال ابن عطية، وقال الزمخشري ذلك خطأ لأن تقدم حال المجرور عليه لا يجوز، وتقديره عنده: وما أرسلناك إلا رسالة عامة للناس، فكافة صفة للمصدر المحذوف، وقال الزجاج المعنى أرسلناك جامعا للناس في الإنذار والتبشير، فجعله حالا من الكاف، والتاء على هذا للمبالغة كالتاء في رواية وعلامة ﴿قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ﴾ يعني يوم القيامة، أو نزول

كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوا أَنْحُنُ صَدَدًا نَكُرُّ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَ كُرْبًا بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَلَ فِي آغْثِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُحْزَنُونَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا

العذاب بهم في الدنيا، وهو الذي سألوها عنه على وجه الاستخفاف، فقالوا متى هذا الوعد ﴿وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ يعني الكتب المتقدمة كالنوراة والإنجيل وإنما قال الكفار هذه المقالة حين وقع عليهم الاحتجاج بما في النوراة من ذكر محمد ﷺ، وقيل الذي بين يديه يوم القيامة وهذا خطأ وعكس لأن الذي بين يدي الشيء هو ما تقدم عليه ﴿وَلَوْ تَرَى﴾ جواب لو محذوف تقديره لرأيت أمراً عظيماً ﴿يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ﴾ أي يتكلمون ويجب بعضهم بعضاً ﴿بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ﴾ أي كفرتم باختباركم لا بأمرنا ﴿بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ المعنى أن المستضعفين قالوا للمستكبرين بل مكركم بنا في الليل والنهار سبب كفرنا وإعراب مكر مبتدأ وخبره محذوف، أو خبر ابتداء مضمرة، وأضاف مكر إلى الليل والنهار على وجه الاتساع، ويحتمل أن يكون إضافة إلى المفعول أو إلى الفاعل على وجه المجاز: كقولهم نهاره صيام وليله قيام أي يصام فيه ويقام، ودلت الإضافة على كثرة المكر ودوامه بالليل والنهار، فإن قيل: لِمَ أثبت الواو في قول الذين استضعفوا دون قول الذين استكبروا؟ فالجواب أنه قد تقدم كلام الذين استضعفوا قبل ذلك فعطف عليه كلامهم الثاني، ولم يتقدم للذين استكبروا كلام آخر فيعطف عليه ﴿وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ﴾ أي أخفوها في نفوسهم، وقيل أظهرها فهو من الأضداد، والضمير لجميع المستضعفين والمستكبرين ﴿مُتْرَفُوهَا﴾ يعني أهل الغنى والتنعم في الدنيا وهم الذين يبادرون إلى تكذيب الأنبياء، والقصد بالآية تسليّة النبي ﷺ على تكذيب أكابر قريش له ﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا﴾ الضمير لقريش أو للمتترفين المتقدمين: قاسوا أمر الدنيا على الآخرة، وظنوا أن الله كما أعطاهم الأموال والأولاد في الدنيا لا يعذبهم الآخرة ﴿هَذَا الْقُرْآنُ نَزَّلْنَا لِنُذِرَ بِهِ النَّاسَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ﴾ إخبار

أَوْلَدَكُمْ بِآلِي تَقَرَّبِكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعِيفِ بِمَا عَمِلُوا
وَهُمْ فِي الْعُرْفَتِ ءَامُونَ ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ
مُحْضَرُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ إِنْ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ
فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٣٩﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهْلُوا لِي آيَاتِكُمْ
كَأَنُوعًا يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِسْنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ
مُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ قَالُوا لَمْ يَلِكْ بِبَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا وَقُولُوا لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي
كُنْتُمْ بِهَا تَكْفُرُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِذَا نُنْتَلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا سَيَّئَتْ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانُ
يَعْبُدُونَ ءَابَاؤَكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرٍ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنَّ هَذَا إِلَّا
سِحْرٌ مِثْلُ سِحْرِ مُوسَىٰ وَمَا آيَاتُهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ ﴿٤٣﴾ وَكَذَّبَ

يتضمن الرد عليهم بأن بسط الرزق وقبضه في الدنيا معلق بمشيئة الله، فقد يوسع الله على الكافر وعلى العاصي ويضيق على المؤمن والمطيع، وبالعكس، فليس في ذلك دليل على أمر الآخرة ﴿زُلْفَى﴾ مصدر بمعنى القرب كأنه قال تقربكم قربي ﴿إِلَّا مَنْ آمَنَ﴾ استثناء من المفعول في تقربكم، والمعنى أن الأموال لا تقرب إلا المؤمن الصالح الذي ينفقها في سبيل الله، وقيل الاستثناء منقطع، والأول أحسن ﴿جَزَاءُ الضَّعِيفِ﴾ يعني تضعيف الحسنات إلى عشر أمثالها فما فوق ذلك ﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾ الآية: كررت لاختلاف القصد، فإن القصد بالأول على الكفار، والقصد هنا ترغيب المؤمنين بالإفناق ﴿فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾ الخلف قد يكون بمال أو بالثواب ﴿أَنْتَ وَلِئْنَا مِنْ دُونِهِمْ﴾ براءة من أن يكون لهم رضا بعبادة المشركين لهم، وليس في ذلك نفي لعبادتهم لهم ﴿بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ﴾ عبادتهم للجن طاعتهم لهم في الكفر والعصيان، وقيل كانوا يدخلون في جوف الأصنام فيعبدون بعبادتها، ويحتمل أن يكون قوم عبدوا الجن لقوله: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ﴾ [الأنعام: ١٠٠] ﴿وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا﴾ الآية: في معناها وجهين: أحدهما ليس عندهم كتب تدل على صحة أقوالهم، ولا جاءهم نذير يشهد بما قالوه؛ فأقوالهم باطلة إذ لا حجة لهم عليها، فالقصد على هذا رد عليهم، والآخر أنهم ليس عندهم كتب ولا جاءهم نذير فهم محتاجون إلى من يعلمهم وينذرهم، ولذلك بعث الله إليهم محمدا ﷺ، فالقصد على هذا إثبات نبوة محمد ﷺ ﴿وَمَا بَلَّغُوا مَغْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ﴾ المعشار العشر، وقيل عشر العشر، والأول أصح، والضمير في بلغوا لكفار قريش، وفي آتيناهم للكتب المتقدمة أي إن هؤلاء لم

الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَّغُوا مَعَشَارَ مَا آتَيْنَهُمْ فَكَذَّبُوا رَسُولِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾ ﴿٤٦﴾ قُلْ إِنَّمَا
 أَعْظَمُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَشْنَىٰ وَفِرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُونَ مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا
 نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٧﴾ قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ
 عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنْ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَٰمُ الْغُيُوبِ ﴿٤٩﴾ قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلَ وَمَا
 يُعِيدُ ﴿٥٠﴾ قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فِيمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ

يبلغوا عشر ما أعطى الله المتقدمين من القوة والأموال، وقيل الضمير في بلغوا للمتقدمين،
 وفي آتيانهم لقريش: أي ما بلغ المتقدمون عشر ما أعطى الله هؤلاء من البراهين والأدلة،
 والأول أصح وهو نظير قوله كانوا أشد منهم قوة ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ أي إنكارى يعني
 عقوبة الكفار المتقدمين، وفي ذلك تهديد لقريش ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بِوَاحِدَةٍ﴾ أي بقضية
 واحدة تقريباً عليكم ﴿أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ﴾ هذا تفسير القضية الواحدة وأن تقوموا بدل أو عطف
 بيان أو خبر ابتداء مضمرة، ومعناه أن تقوموا للنظر في أمر محمد صلى الله عليه وآله وسلم
 قياماً خالصاً لله تعالى ليس فيه اتباع هوى ولا ميل، وليس المراد بالقيام هنا القيام على
 الرجلين إنما المراد القيام بالأمر والجد فيه ﴿مَشْنَىٰ وَفِرَادَىٰ﴾ حال من الضمير في تقوموا،
 والمعنى أن تقوموا اثنين اثنين للمناظرة في الأمر وطلب التحقيق وتقوموا واحداً واحداً
 لإحضار الذهن واستجماع الفكرة ثم تتفكروا في أمر محمد صلى الله عليه وآله وسلم
 فتعلموا أن ما به من جنة لأنه جاء بالحق الواضح، ومع ذلك فإن أقواله وأفعاله تدل على
 رجاحة عقله ومثانة علمه، وأنه بلغ في الحكمة مبلغاً عظيماً، فيدل ذلك على أنه ليس
 بمجنون ولا مُفْتَرٍ على الله ﴿مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ﴾ متصل بما قبله على الأصح: أي
 تتفكروا فتعلموا ما بصاحبكم من جنة، وقيل هو استئناف ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ
 لَكُمْ﴾ هذا كما يقول الرجل لصاحبه إن أعطيتني شيئاً فخذ، وهو يعلم أنه لم يعطه شيئاً،
 ولكنه يريد البراءة من عطائه، وكذلك معنى هذا، فهو كقولك قل ما أسألكم عليه من أجر
 ﴿قُلْ إِنْ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ﴾ القذف الرمي ويستعار للإلقاء، فالمعنى يلقي الحق إلى أصنيائه
 أو يرمي الباطل بالحق فيذهب ﴿عَلَامُ الْغُيُوبِ﴾ خبر ابتداء مضمرة أو بدل من الضمير في
 يقذف أو من اسم إن على الموضوع ﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ﴾ يعني الإسلام ﴿وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلَ وَمَا
 يُعِيدُ﴾ الباطل الكفر، ونفي الإبداء والإعادة، على أنه لا يفعل شيئاً ولا يكون له ظهور أو
 عبارة عن ذهابه كقوله: ﴿قُلْ الْبَاطِلُ كَانَ ظَاهِراً أَلْبَسْتُهُ﴾ قبل الباطل الشيطان

قَرِيبٌ ﴿٥٦﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَرَغُوا فَلَا قُوَّةَ وَأُخِذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّىٰ لَهُمُ
التَّنَافُثُ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٥٨﴾ وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَيَقْدِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَّكَانٍ
بَعِيدٍ ﴿٥٩﴾ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾

﴿إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ يعني قربه تعالى بعلمه وإحاطته ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَرَغُوا﴾ جواب لو محذوف تقديره لرأيت أمرًا عظيمًا، أو معنى فرغوا أسرعوا إلى الهروب، والفعل ماضٍ بمعنى الاستقبال، وكذلك ما بعده من الأفعال، ووقت الفرع البعث، وقيل الموت، وقيل يوم بدر ﴿فَلَا قُوَّةَ﴾ أي لا يفوتون الله إذ هربوا ﴿وَأُخِذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ يعني من الموقف إلى النار إذا بعثوا، أو من ظهر الأرض إلى بطنها إذا ماتوا، أو من أرض بدر إلى القليب، والمراد على كل قول سرعة أخذهم ﴿وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ﴾ أي قالوا ذلك عند أخذهم والضمير المجرور لله تعالى أو للنبي ﷺ، أو للقرآن أو للإسلام ﴿وَأَنَّىٰ لَهُمُ التَّنَافُثُ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ التناوش بالواو التناول إلا أن التناوش تناول قريب سهل لشيء قريب، وقوىء بهمز الواو فيحتمل أن يكون المعنى واحدًا ويكون المهموز بمعنى الطلب، ومعنى الآية استبعاد وصولهم إلى مرادهم، والمكان البعيد: عبارة عن تعذر مقصودهم فإنهم يطلبون ما لا يكون، أو يريدون أن يتناولوا ما لا ينالون وهو رجوعهم إلى الدنيا أو انتفاعهم بالإيمان حينئذ ﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ﴾ الضمير يعود على ما عاد عليه قولهم آمنا به ﴿وَيَقْدِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ يقذفون فعل ماضٍ في المعنى معطوف على كفروا، ومعناه أنهم يرمون بظنونهم في الأمور المغيبة فيقولون لا بعث ولا جنة ولا نار، ويقولون في الرسول عليه الصلاة والسلام إنه ساحر أو شاعر. والمكان البعيد هنا عبارة عن بطلان ظنونهم وبُعد أقوالهم عن الحق ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ أي حِيلَ بينهم وبين دخول الجنة، وقيل حِيلَ بينهم وبين الانتفاع بالإيمان حينئذ، وقيل حِيلَ بينهم وبين نعيم الدنيا والرجوع إليها ﴿كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِّن قَبْلُ﴾ يعني الكفار المتقدمين وجعلهم أشياءهم لانفاقهم في مذاهبهم ومن قبل يحتمل أن يتعلق بفعل، أو بأشياءهم على حسب معنى ما قبله ﴿فِي شَكٍّ مُّبِينٍ﴾ هو أقوى الشك وأشدّه إظلامًا.

سورة فاطر

مكية وآياتها ٤٥ نزلت بعد الفرقان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبْعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنْ أَلَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا﴾ أي وسائط بين الله وبين الأنبياء متصرفين في أمر الله ﴿مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبْعَ﴾ صفات للأجنحة ولم ينصرف للعدل والوصف، والمعنى أن الملائكة منهم من له جناحان، ومنهم من له ثلاثة أجنحة، ومنهم من له أربعة أجنحة ﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾ قيل يعني حسن الصوت، وقيل حسن الوجه، وقيل حسن الحظ، والأظهر أنه يرجع إلى أجنحة الملائكة، أو يكون على الإطلاق في كل زيادة من المخلوقين ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾ الفتح عبارة عن العطاء والإمساك عبارة عن المنع، والإرسال الإطلاق بعد المنع، والرحمة كل ما يمن الله به على عباده من خير في الدنيا والآخرة فمعنى الآية: لا مانع لما أعطى الله ولا مُعْطِي لما منع الله، فإن قيل لِمَ أَنْتَ الضمير في قوله فلا ممسك لها وذكره في قوله فلا مرسل له وكلاهما يعود على ما الشرطية، فالجواب: www.ScribeTools.com لتأنيث الرحمة، وترك

مُرْسَلٍ لَهُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَانْفُكُوا ﴿٢﴾ وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٣﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرُّكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّتْكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿٤﴾ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُودٌ فَخُذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٥﴾ الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٦﴾ أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنْ لَمْ يَضِلُّ مِنَ الْبُشْرَى مِنْ شَاءٍ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٌ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٧﴾ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُفْرِئُ السَّحَابَ فَسُقْنَتُهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ ﴿٨﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدِ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ

الآخر على الأصل من التذكير ﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾ أي من بعد إمساكه ﴿هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ﴾ رفع غير على الصفة لخالق على الموضوع وخفضه صفة على الرفع ورزق السماء المطر ورزق الأرض النبات، والمعنى تذكير بنعم الله وإقامة حجة على المشركين، ولذلك أعقبه بقوله لا إله إلا هو ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ﴾ الآية: تسلية للنبي ﷺ على تكذيب قومه كأنه يقول إن يكذبوك فلا تحزن لذلك فإن الله سينصرك عليهم كما كذبت رسل من قبلك فنصرهم الله ﴿الْغُرُورُ﴾ الشيطان، وقيل التسويف ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ﴾ توقيف وجوابه محذوف تقديره: أفمن زُيِّنَ له سوء عمله كمن لم يزين له، ثم بنى على ذلك ما بعده، فالذي زُيِّنَ له سوء عمله هو الذي هداه الله ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٌ﴾ تسلية للنبي ﷺ عن حزنه لعدم إيمانهم، لأن ذلك بيد الله ﴿كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾ أي الحشر، والمعنى كما يحيي الله الأرض بالنبات كذلك يحيي الموتى ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدِ الْعِزَّةَ﴾ الآية تحتل ثلاثة معانٍ: أحدها وهو الأظهر مَنْ كان يريد نيل العزة فليطلبها من عند الله، فإن العزة كلها لله، والثاني مَنْ كان يريد العزة بمغالبة الإسلام فلله العزة جميعًا، فالمغالبة له مغلوب، والثالث مَنْ كان يريد أن يعلم لِمَنْ العزة فليعلم أن العزة لله جميعًا ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ قيل يعني إلا إله إلا الله، واللفظ يعم ذلك وغيره من الذكر، والدعاء، وتلاوة القرآن، وتعليم العليم: فالعموم أولى ﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ فيه ثلاثة أقوال أحدها أن ضمير الفاعل في يرفعه: الله، وضمير المفعول للعمل الصالح، فالمعنى على هذا أن الله يرفع العمل الصالح: أي يتقبله ويثيب عليه، والثاني أن ضمير الفاعل للكلام الطيب، وضمير المفعول للعمل

هُوَ يَبُورُ ﴿١١﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمْرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٢﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلِّ تَاكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا

الصالح، والمعنى على هذا لا يقبل عمل صالح إلا ممن له كلام طيب، وهذا يصحح إن قلنا إن الكلم الطيب لا إله إلا الله، لأنه لا يقبل العمل إلا من موحد، والثالث أن ضمير الفاعل للعمل الصالح، وضمير المفعول للكلم الطيب، والمعنى على هذا أن العمل الصالح هو الذي يرفع الكلم الطيب فلا يقبل الكلم إلا ممن له عمل صالح، رُوِيَ هذا على المعنى عن ابن عباس واستبعده ابن عطية وقال لم يصح عنه لأن اعتقاد أهل السنة أن الله يتقبل من كل مسلم قال وقد يستقيم بأن يتأول أن الله يزيد في رفعه وحسن موقعه ﴿يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ لا يتعدى مكر فتأويله يمكرون المكورات السيئات فتكون السيئات مصدرًا أو تضمنن يمكرون معنى يكتسبون فتكون السيئات مفعولاً والإشارة هنا إلى مكر قريش برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين اجتمعوا في دار الندوة وأرادوا أن يقتلوه أو يحبسوه أو يخرجوه ﴿وَمَكَرَ أَوْلَيْكَ هُوَ يَبُورُ﴾ البوار الهلاك أو الكساد ومعناه هنا أن مكرهم يبطل ولا ينفعهم ﴿ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا﴾ أي أصنافًا وقيل ذكرانًا وإناثًا وهذا أظهر ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمْرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ التعمير طول العمر والنقص قصره والكتاب اللوح المحفوظ فإن قيل إن التعمير والنقص لا يجتمعان لشخص واحد فكيف أعاد الضمير في قوله ولا ينقص من عمره على الشخص المعمر فالجواب من ثلاثة أوجه الأول وهو الصحيح أن المعنى ما يعمر من أحد ولا ينقص من عمره إلا في كتاب فوضع من معمر موضع من أحد وليس المراد شخصًا واحدًا وإنما ذلك كقولك لا يعاقب الله عبدًا ولا يشبهه إلا بحق والثاني أن المعنى لا يُزاد في عمر إنسان ولا ينقص من عمره إلا في كتاب وذلك أن يكتب في اللوح المحفوظ أن فلانًا إن تصدق فعمره ستون سنة وإن لم يتصدق فعمره أربعون، وهذا ظاهر قول رسول الله ﷺ: «صلة الرحم تزيد في العمر»، إلا أن ذلك مذهب المعتزلة القائلين بالأجلين وليس مذهب الأشعرية، وقد قال كعب حين طعن عمر: لو دعا الله لزداد في أجله، فأنكر الناس عليه فاحتج بهذه الآية والثالث أن التعمير هو كتب ما يستقبل من العمر والنقص هو كتب ما مضى منه في اللوح المحفوظ وذلك حق كل شخص ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ﴾ قد فسرنا البحرين الفرات والأجاج في الفرقان، وسائغ في النحل، والقصد بالآية التنبيه على

وَتَسْتَخْرِجُونَ حَلِيَّةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفَلَكَ فِيهِ مَوَآخِرَ لَبَنَاتٍ مِّنْ فُضُولِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾
يُؤَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلًّا يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾
إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دَعَاءَكُمْ وَلَا يَسْمَعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾ ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ ﴿١٥﴾
إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ جِوَاهِرِهَا لَا يَحْمِلُ مِنْهُ شَيْئًا وَلَوْ كَانَتْ ذَا قُرْبَىٰ إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ

أن الله ضرب للبحرين الملح والعذب مثلين للمؤمن والكافر وهذا بعيد ﴿لَحْمًا طَرِيًّا﴾ يعني الحوت ﴿حَلِيَّةً تَلْبَسُونَهَا﴾ يعني الجواهر والمرجان، فإن قيل: إن الحلية لا تخرج إلا من البحر الملح دون العذب فكيف قال ومن كل أي من كل واحد منهما؟ فالجواب من ثلاثة أوجه: الأول أن ذلك تجوز في العبارة كما قال: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ [الأنعام: ١٣٠] والرسول إنما هي من الإنس الثاني أن المرجان إنما يوجد في البحر الملح حيث تنصب أنهار الماء العذب أو ينزل المطر فلما كانت الأنهار والمطر وهي البحر العذب تنصب في البحر الملح كان الإخراج منهما جميعًا. الثالث زعم قوم أنه يخرج اللؤلؤ والمرجان من الملح والعذب وهذا قول يبطله الحسن ﴿مَوَآخِرَ﴾ ذكر في النحل ﴿يُؤَلِّجُ﴾ ذكر في لقمان ﴿قِطْمِيرٍ﴾ هو القشر الرقيق الأبيض الذي على نوى التمر والمعنى أن الأصنام لا يملكون أقل الأشياء فكيف أكثرها ﴿يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾ أي بإشراككم فالمصدر مضاف للفاعل وكفر الأصنام بالشرك يحتمل أن يكون بكلام يخلقه الله عندها أو بقرينة الحال ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ أي لا يخبرك بالأمر مثل مخبر عالم به يعني نفسه تعالى في إخباره أن الأصنام يكفرون يوم القيامة بمن عبدتهم ﴿أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ﴾ خطاب لجميع الناس وإنما عرّف الفقر بالألف واللام ليدل على اختصاص الفقر بجنس الناس وإن كان غيرهم فقراء ولكن فقراء الناس أعظم ثم وصف نفسه بأنه الغني في مقابلة وصفهم بالفقر ووصفه بأنه الحميد ليدل على جوده وكرمه الذي يوجب أن يحمده عباده ﴿وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ جِوَاهِرِهَا لَا يَحْمِلُ مِنْهُ شَيْئًا﴾ الحمل عبارة عن الذنوب والمثقلة الثقيلة الحمل أو النفس الكثيرة الذنوب والمعنى أنها لو دعت أحدًا إلى أن يحمل عنها ذنوبها لم يحمل عنها وحذفت مفعول إن تدع لدلالة المعنى وقصد العموم وهذه الآية بيان وتكميل لمعنى قوله: ﴿وَلَا تَزِرُ

يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾
 وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا الظُّلُّ وَلَا الْحُرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي
 الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَن فِي الْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾
 إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ

وازره وزر أخرى ﴿﴾ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى ﴿﴾ المعنى ولو كان المدعو ذا قربي ممن دعاه إلى حمل ذنوبه لم يحمل منه شيئاً لأن كل واحد يقول نفسي نفسي ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم﴾ المعنى أن الإنذار لا ينفع إلا الذين يخشون ربهم وليس المعنى اختصاصهم بالإنذار ﴿بِالْغَيْبِ﴾ في موضع حال من الفاعل في يخشون أي يخشون ربهم وهم غائبون عن الناس فخشيتهم حق لا رياء ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾ تمثيل للكافر والمؤمن ﴿وَالظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ﴾ تمثيل للكفر والإيمان ﴿وَالظُّلُّ وَلَا الْحُرُورُ﴾ تمثيل للشواب والعقاب وقيل الظل الجنة والحرور النار. والحرور في اللغة شدة الحرّ بالنهار والليل والسموم بالنهار خاصة ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾ تمثيل لمن آمن فهو كالحَيِّ وَمَنْ لم يؤمن فهو كالميت ﴿إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ﴾ عبارة عن هداية الله لمن يشاء ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾ عبارة عن عدم سماع الكفار للبراهين والمواعظ فشبههم بالموتى في عدم إحساسهم وقيل المعنى أن أهل القبور وهم الموتى حقيقة لا يسمعون فليس عليك أن تسمعهم وإنما بعثت للأحياء وقد استدلّت عائشة بالآية على أن الموتى لا يسمعون وأنكرت ما ورد في خطاب النبي ﷺ لقتلى بدر حين جعلوا في القليب ولكن يمكن الجمع بين قولها وبين الحديث بأن الموتى في القبور إذا رُدّت إليهم أرواحهم إلى أجسادهم سمعوا وإن لم ترد لم يسمعوا ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ معناه أن الله قد بعث إلى كل أمة نبياً يقيم عليهم الحجة، فإن قيل: كيف ذلك وقد كان بين الأنبياء فترات وأزمنة طويلة ألا ترى أن بين عيسى ومحمداً صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلّم ستمائة سنة لم يبعث فيها نبي؟ فالجواب أن دعوة عيسى ومن تقدمه من الأنبياء كانت قد بلغتهم فقامت عليهم الحجة. فإن قيل: كيف الجمع بين هذه الآية وبين قوله لتنذر قوماً ما أتاهم من نذير من قبلك؟ فالجواب أنهم لم يأتهم نذير معاصر لهم فلا يعارض ذلك من تقدّم قبل عصرهم وأيضاً فإن المراد بقوله: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ أن نبوة محمد ﷺ ليست ببدع فلا ينبغي أن تنكر لأن الله أرسله كما أرسل من قبله والمراد بقوله: ﴿لَتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾ [السجدة: ٣] أنهم محمداً

الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيْضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَعَرَبِيُّ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِمَّنْ النَّاسِ وَالذِّوَابِ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُؤْتِيَهُمْ أَجْرَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾ وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ

الكلام فلا تعارض بينهما ﴿وَأَن يَكْذُبُونَ﴾ الآية تسلية للنبي ﷺ للتأسي ﴿نَكِيرٌ﴾ ذكر في سبأ ﴿ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا﴾ يريد الصُّفْرَةَ والحمره وغير ذلك من الألوان وقيل يريد الأنواع والأول أظهر لذكره البيض والحمر والسود بعد ذلك وفي الوجهين دليل على أن الله تعالى فاعل مختار، يخلق ما يشاء ويختار وفيه رد على الطبايعيين لأن الطبيعة لا تصدر عنها إلا نوع واحد ﴿جُدَدٌ﴾ جمع جده وهي الخطط والطرائق في الجبال ﴿وَعَرَبِيُّ﴾ جمع غريب وهو الشديد السواد وقدم الوصف الأبلغ وكان حقه أن يتأخر لقصد التأكيد ولأن ذلك كثيرًا ما يأتي في كلام العرب ﴿كَذَلِكَ﴾ يتعلق بما قبله فيتم الوقف عليه والمعنى أن من الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه مثل الجبال المختلف ألوانها والثمرات المختلف ألوانها وذلك كله استدلال على قدرة الله وإرادته ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ يعني العلماء بالله وصفاته وشرائعه علمًا يوجب لهم الخشية من عذابه وفي الحديث أعلمكم بالله أشدكم له خشية لأن العبد إذا عرف الله خاف من عقابه وإذا لم يعرفه لم يخف منه فلذلك خص العلماء بالخشية ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ﴾ أي يقرؤون القرآن وقيل معنى يتلون يتبعون والخبر يرجون تجارة أو محذوف ﴿لَنْ تَبُورَ﴾ أي لن تكسد ويعني بالتجارة طلب الثواب ﴿وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ توفية الأجور وهو ما يستحقه المطيع من الثواب والزيادة التضعيف فوق ذلك، وقيل الزيادة النظر إلى وجه الله ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ تقدم في البقرة ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا﴾ يعني أمة محمد ﷺ والتوريت عبارة عن أن الله أعطاهم الكتاب بعد غيرهم من الأمم ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾ قال عمر وابن مسعود وابن عباس وكعب وعائشة وأكثر المفسرين هذه الأصناف الثلاثة في

مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذِنَ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّتٌ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نُصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فِيمَوْتُورًا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِّحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ

أمة محمد ﷺ فالظالم لنفسه العاصي والسابق التقي والمقتصد بينهما وقال الحسن: السابق من رجحت حسناته على سيئاته، والظالم لنفسه من رجحت سيئاته والمقتصد من استوت حسناته وسيئاته وجميعهم يدخلون الجنة ورؤي أن رسول الله ﷺ قال: «سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له»، وقيل الظالم الكافر والمقتصد المؤمن والعاصي والسابق التقي فالضمير في منهم على هذا يعود على العباد وأما على القول الأول فيعود على الذين اصطفينا وهو أرجح وأصح لوروده في الحديث، وجلالة القائلين به، فإن قيل: لِمَ قَدَّمَ الظالم ووسط المقتصد وآخر السابق؟ فالجواب: أنه قَدَّمَ الظالم لنفسه رفقا به لثلاث يئس وآخر السابق لثلاث يعجب بنفسه، وقال الزمخشري: قَدَّمَ الظالم لكثرة الظالمين وآخر السابق لقلة السابقين ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ إشارة إلى الاصطفاء ﴿جَنَّاتٌ عَدْنٌ﴾ بدل من الفضل أو خبر مبتدأ تقديره ثوابهم جنات عدن أو مبتدأ تقديره لهم جنات عدن ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾ ضمير الفاعل يعود على الظالم، والمقتصد، والسابق، على القول بأن الآية في هذه الأمة: وأما على القول بأن الظالم هو الكافر فيعود على المقتصد والسابق خاصة وقال الزمخشري: إنه يعود على السابق خاصة وذلك على قول المعتزلة في الوعيد ﴿أَسَاوِرَ﴾ ذكر في الحج ﴿أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ﴾ قيل هو عذاب النار، وقيل أهوال القيامة وقيل هموم الدنيا والصواب العموم في ذلك كله ﴿دَارَ الْمُقَامَةِ﴾ هي الجنة والمقامة هي الإقامة، والموضع وإنما سميت الجنة دار المقامة، لأنهم يقومون فيها ولا يخرجون منها ﴿نُصَبٌ﴾ النصب تعب البدن واللغوب تعب النفس اللازم عن تعب البدن ﴿يَصْطَرِّحُونَ﴾ يفتعلون من الصراخ أي يستغيثون فيقولون ربنا أخرجنا وفي قولهم غير الذي كنا نعمل اعتراف بسوء عملهم وتنذم عليه ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم﴾ الآية توسخ لهم وإقامة حجة عليهم وقيل إن مدة التذكير ستون سنة وقيل أربعين سنة ﴿سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾ سبق رسول الله ﷺ من عمره

فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴿٣٧﴾ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٣٨﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَكَ خَلْقًا فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ نَدَعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَمْ آتَيْنَهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّنْهُ بَلْ إِن يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾ إِنَّ اللَّهَ يَمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ اسْتَكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا

الله ستين سنة فقد أعدر إليه في العمر ﴿وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ﴾ يعني النبي ﷺ، وقيل يعني الشيب لأنه نذير بالموت والأول أظهر.

﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ أي بما تضمرة الصدور وتعتقده، وقيل الزمخشري ذات هنا تأنيث ذو بمعنى صاحب لأن المضمورات تصحب الصدور ﴿خَلْقًا﴾ ذكر في الأنعام ﴿مَقْتًا﴾ المقت احتقار الإنسان وبنغضه لأجل عيوبه أو ذنوبه ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ﴾ الآية احتجاج على المشركين وإبطال لمذهبهم ﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ﴾ أي نصيب ﴿هَلْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾ أي على أمر جلبي والضمير في آتيانهم يحتمل أن يكون للأصنام أو للمشركين وهذا أظهر في المعنى والأول أليق بما قبله من الضمائر ﴿أَنْ تَزُولَا﴾ في موضع مفعول من أجله تقديره كبراهة أن تزولا أو مفعول به لأن يمسك بمعنى يمنع ﴿وَلَئِن زَالَتَا﴾ أي لو فرض زوالهما لم يمسكهما أحد وقيل أراد زوالهما يوم القيامة عند طي السماء وتبديل الأرض ونسف الجبال ﴿مَنْ بَعْدِهِ﴾ أي من بعد تركه الإمساك ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ﴾ الضمير لقريش وذلك أنهم قالوا لعن الله اليهود والنصارى جاءتهم الرسل فكذبوهم والله لئن جاءنا رسول لنكونن أهدى منهم ﴿إِحْدَى الْأُمَمِ﴾ يعني اليهود والنصارى ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ﴾ يعني محمداً صلى الله عليه وآله وسلم ﴿اسْتَكْبَارًا﴾ بدل من نفورا أو مفعول من أجله ﴿وَمَكْرَ السَّيِّئِ﴾ هذا من إضافة الصفة إلى الموصوف كقولك مسجد الجامع وجانب الغربي والأصل أن يقال المكر السييء ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ أي لا يحيط وبال المكر السييء إلا بمن مكره ودبره، وقال كعب لابن عباس إن في التوراة من حفر حفرة لأخيه وقع فيها فقال ابن عباس

سُنَّتِ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكُنُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُمْ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾ وَلَوْ يَأْخُذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَأَنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا ﴿٤٥﴾

أنا أجد هذا في كتاب الله: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّةَ الْأَوَّلِينَ﴾ أي هل ينتظرون إلا عادة الأمم المتقدمة في أخذ الله لهم وإهلاكهم بتكذيبهم للرسول ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ أي لا يفوته شيء ولا يصعب عليه ﴿مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾ الضمير للأرض والدابة عموم في كل ما يدب وقيل أراد بني آدم خاصة ﴿إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ يعني يوم القيامة وباقي الآية وعد ووعد.

سورة يس

مكية إلا آية ٤٥ فمدنية وآياتها ٨٣ نزلت بعد الجن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَسَّ ١ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ٢ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ٣ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ٤ تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ٥ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ ٦ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قد تكلمنا في البقرة على حروف الهجاء وقيل في يس إنه من أسماء النبي ﷺ وقيل معناه يا إنسان ﴿تَنْزِيلَ﴾ بالرفع خبر ابتداء مضمرة وبالنصب مصدر أو مفعول بفعل مضمرة ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا﴾ هم قريش ويحتمل أن يدخل معهم سائر العرب وسائر الأمم ﴿مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ﴾ ما نافية والمعنى لم يرسل إليهم ولا لآبائهم رسول ينذرهم، وقيل المعنى لتنذر قَوْمًا مثل ما أنذر آبائهم. فما على هذا موصولة بمعنى الذي أو مصدرية والأول أرجح لقوله ﴿فَهُمْ غَافِلُونَ﴾ يعني أن غفلتهم بسبب عدم إنذارهم وتكون بمعنى قوله ما أتاهم من نذير من قبلك ولا يعارض هذا بعث الأنبياء المتقدمين فإن هؤلاء القوم لم يدركوهم ولا آبائهم الأقربون ﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ﴾ أي سبق القضاء ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا﴾ الآية: فيها ثلاثة أقوال: الأول أنها عبارة عن تماديهم على الكفر ومنع الله لهم من الإيمان، فشبَّههم بمن جعل في عنقه غل يمنعه من الالتفات وغطى على بصره فصار لا يرى، والثاني

يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ إِنَّا جَعَلْنَا فِيْ أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾ وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ

أنها عبارة عن كفهم عن إذاية النبي ﷺ حين أراد أبو جهل أن يرميه بحجر فرجع عنه فرعاً مرعوباً، والثالث أن ذلك حقيقة في حالهم في جهنم، والأول أظهر وأرجح لقوله قبلها ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ وقوله بعدها: ﴿وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ﴾ الذقن هي طرف الوجه حيث تنبت اللحية، والضمير للأغلال، وذلك أن الغل حلقة في العنق، فإذا كان واسعاً عريضاً وصل إلى الذقن فكان أشد على المغلول، وقيل الضمير للأيدي على أنها لم يتقدم لها ذكر، ولكنها تفهم من سياق الكلام، لأن المغلول تضم يده في الغل إلى عنقه، وفي مصحف ابن مسعود: إنا جعلنا في أيديهم أغلالاً إلى الأذقان. وهذه القراءة تدل على هذا المعنى، وقد أنكره الزمخشري ﴿فَهُمْ مُّقْمَحُونَ﴾ يقال قمح البعير إذا رفع رأسه، وأقمحه غيره إذا فعل به ذلك، والمعنى أنهم لما اشتدت الأغلال حتى وصلت إلى أذقانهم اضطرت رؤوسهم إلى الارتفاع، وقيل معنى مقمحون ممنوعون من كل خير ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا﴾ الآية: السد الحائل بين الشيئين، وذلك عبارة عن منعهم من الإيمان ﴿فَأَغْشَيْنَاهُمْ﴾ أي غطينا على أبصارهم وذلك أيضاً مجاز يراد به إضلالهم ﴿وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ﴾ الآية: ذكرنا معناها وإعرابها في البقرة ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ﴾ المعنى أن الإنذار لا ينفع إلا من اتبع الذكر وهو القرآن ﴿وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ﴾ معناه كقولك إنما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب وقد ذكرناه في فاطر ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى﴾ أي نبعثهم يوم القيامة، وقيل إحياءهم إخراجهم من الشرك إلى الإيمان، والأول أظهر ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ﴾ أي ما قدموا من أعمالهم وما تركوه بعدهم كعلم علموه أو تحبب حبسوه، وقيل الأثر هنا: الخطأ إلى المساجد، وجاء ذلك في الحديث ﴿إِمَامٌ مُّبِينٌ﴾ أي في كتاب وهو اللوح المحفوظ أو صحائف الأعمال ﴿وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا﴾ الضمير لقريش، ومثلاً وأصحاب القرية مفعولان باضرب على القول بأنها تتعدى إلى مفعولين، وهو الصحيح

فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكِيدُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٧﴾ قَالُوا إِنَّا نَطَّيِّرُنَا بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾ وَجَاءَ مِنَ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَنْفَوْرٍ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْئَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِي عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُفْقِدُونَ ﴿٢٣﴾ إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا عَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ

أرسلهم عيسى عليه الصلاة والسلام يدعون الناس إلى عبادة الله، وقيل: بل هم رسل أرسلهم الله، ويدل على هذا قول قومهم ما أنتم إلا بشر مثلنا، فإن هذا إنما يقال لمن ادعى أن الله أرسله ﴿فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾ أي قوينا الاثنين برسول ثالث، قيل اسمه شمعون ﴿رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾ إنما أكدوا الخبر هنا باللام لأنه جواب المنكرين بخلاف الموضع الأول فإنه إخبار مجرد ﴿قَالُوا إِنَّا نَطَّيِّرُنَا بِكُمْ﴾ أي تشاء منا بكم، وأصل اللفظ من زجر الطير ليستدل على ما يكون من شر أو خير، وإنما تشاءوا بهم لأنهم جاؤوا وهم بدين غير دينهم وقيل وقع فيهم الجذام لما كفروا، وقيل قحطوا ﴿قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ﴾ أي قال الرُّسُل لأهل القرية شوؤمكم معكم: أي إنما الشؤم الذي أصابكم بسبب كفركم لا بسببنا ﴿أَتِنِ ذُكِّرْتُمْ﴾ دخلت همزة الاستفهام على حرف الشرط وفي الكلام حذف تقديره أنطويرون أن ذكرتم ﴿يَسْعَى﴾ أي يسرع بجده ونصيحته، وقيل اسمه حبيب النجار ﴿اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْئَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ أي هؤلاء المرسلون لا يسألونكم أجرًا على الإيمان فلا تخسرون معهم شيئًا من دنياكم وترجعون معهم الاهتداء في دينكم ﴿وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي﴾ المعنى أي شيء يمنعي من عبادة ربي وهذا توقيف وإخبار عن نفسه قصد به البيان لقومه، ولذلك قال وإليه ترجعون فخطبهم ﴿إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِي عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ﴾ هذا وصف للآلهة، والمعنى كيف أتخذ من دون الله آلهة لا يشفعون ولا ينقذونني من الضر ﴿إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ أي إن اتخذت آلهة غير الله فإني لفي ضلال مبين ﴿إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ﴾ خطاب لقومه أي اسمعوا قولي وإعملوا بنصيحتي، وقيل خطاب للرسل ليشهدوا له ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ﴾ قيل هنا محذوفه يدل عليه الكلام، ورؤي في الأثر وهو أن الرجل

الْمُكْرِمِينَ ﴿٢٧﴾ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِنْ كَانَتْ
 إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ ﴿٢٩﴾ يَحْسَرَةُ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ
 يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾ وَإِنْ كُلُّ لَمَّا
 جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٣٢﴾ وَعَايَةُ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَوْتَةُ أَحْيَيْتُهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ
 يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَجِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا
 مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا
 تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَعَايَةُ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ

لما نصح قومه قتلوه فلما مات قيل له ادخل الجنة، واختلف هل دخلها حين موته كالشهداء
 أو هل ذلك بمعنى البشارة بالجنة ورؤيته لمقعده منها ﴿قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ
 لِي رَبِّي﴾ تمنى أن يعلم قومه بغفران الله له على إيمانه فيؤمنون، ولذلك ورد في الحديث
 أنه نصح لهم حيًا وميتًا، وقيل أراد أن يعلموا ذلك فيندموا على فعلهم معه وينفعهم ذلك
 ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ﴾ المعنى أن الله أهلكتهم بصيحة صاحبا
 جبريل ولم يحتج في تعذيبهم إلى إنزال جند من السماء لأنهم أهون من ذلك، وقيل المعنى
 ما أنزل الله على قومه ملائكة رُسُلًا كما قالت قریش لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيرًا
 ولفظ الجند أليق بالمعنى الأول، وكذلك ذكر الصيحة بعد ذلك ﴿وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ﴾ ما كنا
 لننزل جنداً من السماء إلى أحد ﴿فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ﴾ أي ساكنون لا يتحركون ولا ينطقون
 ﴿يَا حَسْرَةَ عَلَى الْعِبَادِ﴾ نداء للحسرة كأنه قال يا حسرة احضري فهذا وقتك، وهذا التفجع
 عليهم استعارة في معنى التهويل والتعظيم لما فعلوا من استهزائهم بالرسول، ويحتمل أن
 يكون من كلام الملائكة أو المؤمنين من الناس، وقيل المعنى يا حسرة العباد على أنفسهم
 ﴿أَلَمْ يَرَوْا﴾ الضمير لقریش أو للعباد على الإطلاق والرؤية هنا بمعنى العلم ﴿وَإِنْ كُلُّ لَمَّا
 جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ قرىء لما بالتخفيف وهي لام التأكيد دخلت على ما المزيدة وإن
 على هذا مخففة من الثقيلة، وقرىء بالتشديد وهي بمعنى إلا، وإن على هذا نافية ﴿وَمَا
 عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾ ما معطوفة على ثمره أي لياكلوا من الثمر وما عملته أيديهم بالحرث
 والزراعة والغراسة، وقيل ما نافية وقرىء ما عملت من غير هاء وما على هذا معطوفة
 ﴿الْأَزْوَاجِ﴾ يعني أصناف المخلوقات ثم فسرها بقوله مما تنبت الأرض وما بعده، فمن في
 المواضع الثلاثة للبيان ﴿وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ يعني أشياء لا يعلمها بنو آدم كقوله ويخلق ما لا

مُظْلِمُونَ ﴿٢٧﴾ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٢٨﴾ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ
مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿٢٩﴾ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ
النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٠﴾ وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفَلَكِ الْمَشْحُونِ ﴿٣١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُمْ

تعلمون ﴿تَسْلُخُ مِنْهُ النَّهَارُ﴾ أي نجرده منه وهي استعارة ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾ أي
لحد موقت تنتهي إليه من فلکها وهي نهاية جريها إلى أن ترجع في المنقلبين الشتاء
والصيف، وقيل مستقرها وقوفها كل وقت زوال، بدليل وقوف الظل حينئذ، وقيل مستقرها
يوم القيامة حين تكوّر، وفي الحديث مستقرها تحت العرش تسجد فيه كل ليلة بعد غروبها،
وهذا أصح الأقوال لوروده عن النبي ﷺ في الحديث الصحيح، وقرئ لا مستقر لها أي لا
تستقر عن جريها ﴿وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ﴾ قرئ بالرفع على الابتداء أو عطف على الليل،
وبالنصب على إضمار فعل، ولا بد في قدرناه من حذف تقديره قدرنا سيره منازل، ومنازل
القمر ثمانية وعشرون ينزل القمر كل ليلة واحدة منها من أول الشهر ثم يستقر في آخر الشهر
ليلة أو ليلتين، وقال الزمخشري وهذه المنازل هي مواضع النجوم: وهي السرطان،
البطين، الشريا، الدبران، الهقعة، الهنعة، الذراع، النثرة، الطرف، الجبهة، الزبرة،
الصرقة، العوى، السماك، الغفر، الزباني، الإكليل، القلب، الشولة، الثعائم، البلدة، سعد
بلع، سعد الذابح، سعد السعود، سعد الأخبية، فرغ الدلو المقدم، فرغ الدلو المؤخر،
بطن الحوت ﴿حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ العرجون هو غصن النخلة شبه القمر به إذا
انتهى في نقصانه والتشبيه في ثلاثة أوصاف: وهي الرقة، والانحناء، والصفرة، ووصفه
بالقديم لأنه حينئذ تكون له هذه الأوصاف ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ﴾ المعنى
لا يمكن للشمس أن تجتمع مع القمر بالليل فتمحو نوره، وهكذا قال بعضهم ويحتمل أن
يزيد أن سير الشمس في الفلك بطيء فإنها تقطع الفلك في سنة وسير القمر سريع، فإنه
يقطع الفلك في شهر والبطيء لا يدرك السريع ﴿وَاللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ﴾ يعني أن كل واحد
منهما جعل الله له وقتا موقتا واحدا معلوما لا يتعداه فلا يأتي الليل حتى ينفصل النهار، كما
لا يأتي النهار حتى ينفصل الليل، ويحتمل أن يريد أن آية الليل وهي القمر لا تسبق آية
النهار وهي الشمس: أي لا تجتمع معه فيكون المعنى كالذي قيل في قوله ﴿لَا الشَّمْسُ
يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ﴾ فحصل من ذلك أن الشمس لا تجتمع مع القمر وأن القمر لا
يجتمع مع الشمس ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ ذكر في الأنبياء ﴿وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ
فِي الْفَلَكِ الْمَشْحُونِ﴾ معنى المشحون المملوء، والفلك هنا يحتمل أن يريد به جنس الشفق

مِنْ مَثَلِهِ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٣﴾ وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيحَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَدُونَ ﴿٤٤﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْطَعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٤٨﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا

أو سفينة نوح عليه السلام، وأما الذرية فليل إنه يعني الآباء الذين حملهم الله في سفينة نوح عليه السلام، وسمى الآباء ذرية لأنها تناسلت منهم، وأنكر ابن عطية ذلك، وقال إنه يعني النساء، وهذا بعيد، والأظهر أنه أراد بالفلك جنس السفن، فيعني جنس بني آدم، وإنما خص ذريتهم بالذكر لأنه أبلغ في الامتنان عليهم، ولأن فيه إشارة إلى حمل أعقابهم إلى يوم القيامة، وإن أراد بالفلك سفينة نوح فيعني بالذرية من كان في السفينة، وسماهم ذرية، لأنهم ذرية آدم ونوح، فالضمير في ذريتهم على هذا النوع بني آدم كأنه يقول الذرية منهم ﴿وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ﴾ إن أراد بالفلك سفينة نوح فيعني بقوله من مثله سائر السفن التي يركبها سائر الناس، وإن أراد بالفلك جنس السفن فيعني بقوله من مثله الإبل وسائر المركوبات، فتكون المماثلة على هذا في أنه مركوب لا غير، والأول أظهر، لقوله وإن نشأ نغرقهم، ولا يتصور هذا في المركوبات غير السفن ﴿فَلَا صَرِيحَ لَهُمْ﴾ أي لا مغيث لهم ولا منقذ لهم من الغرق ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا﴾ قال الكسائي نصب رحمة على الاستثناء كأنه قال إلا أن نرحمهم، وقال الزجاج نصب رحمة على المفعول من أجله كأنه قال إلا لأجل رحمتنا إياهم ﴿وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾ يعني آجالهم ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ﴾ الضمير لقريش، وجواب إذا محذوف تقديره أعرضوا يدل عليه إلا كانوا عنها معرضين، والمراد بما بين أيديهم وما خلفهم ذنوبهم المتقدمة والمتأخرة، وقيل ما بين أيديهم عذاب الأمم المتقدمة، وما خلفهم عذاب الآخرة ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْطَعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ﴾ كان النبي ﷺ والمؤمنون يحضون على الصدقات وإطعام المساكين فيجيبهم الكفار بهذا الجواب، وفي معناه قولان: أحدهما أنهم قالوا كيف نطعم المساكين ولو شاء الله أن يطعمهم لأطعمهم ومن حرمهم الله نحن نحرّمهم، وهذا كقولهم كن مع الله على المدبر، والآخر أن قولهم ردّ على المؤمنين، وذلك أن المؤمنين كانوا يقولون إن الأمور كلها بيد الله، فكان الكفار يقولون لهم لو كان كما تزعمون لأطعم الله هؤلاء فما بالكم تطلبون إطعامهم منا، ومقصدهم في الوجهين احتجاج لبحلهم ومنعهم الصدقات واستهزاء بمن

الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٨﴾ مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهَمٌّ بِخِصْمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا يَا بُولَاقْنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَالْيَوْمَ لَا تُظَلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا يُتْحَزُونَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَكِيهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَىٰ الْأَرَائِكِ مُتَكُونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَنَكِهَةٌ وَهُمْ مَا يَدْعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ

من بقية كلامهم خطاباً للمؤمنين أو يكون من كلام الله خطاباً للكافرين ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ﴾ يعنون يوم القيامة أو نزول العذاب بهم .

﴿مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ أي ما ينتظرون إلا صيحة واحدة وهي النفخة الأولى في الصور وهي نفخة الصعق ﴿تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ أي يتكلمون في أمورهم وأصل يخصمون يختصمون، ثم أدغم، وقرئ بفتح الخاء وبكسرهما واختلاس حركتها ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً﴾ أي لا يقدر أن يوصوا بما لهم وما عليهم لسرعة الأمر ﴿وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾ أي لا يستطيعون أن يرجعوا إلى منازلهم لسرعة الأمر ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾ هذه النفخة الثانية وهي نفخة القيام من القبور، والأجداث هي القبور، وينسلون يسرعون المشي، وقيل يخرجون ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا﴾ الويل منادى أو مصدر ﴿مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾ المرقد يحتمل أن يكون اسم مصدر أو اسم مكان قال أبي بن كعب ومجاهد: إن البشر ينامون نومة قبل الحشر، قال ابن عطية هذا غير صحيح الإسناد، وإنما الوجه في معنى قولهم من مرقدنا: أنها استعارة وتشبيه به يعني أن قبورهم شُبِّهت بالمضاجع لكونهم فيها على هيئة الرقاد، وإن لم يكن رقاد في الحقيقة ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ هذا مبتدأ وما بعده خبر وقيل إن هذا صفة لمرقدنا وما وعد الرحمن مبتدأ محذوف الخبر وهذا ضعيف، ويحتمل أن يكون هذا الكلام من بقية كلامهم أو من كلام الله أو الملائكة أو المؤمنين يقولونها للكفار على وجه التقرير ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ يعني النفخة الثانية وهي نفخة القيام ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ﴾ قيل هو افتضاض الأبقار، وقيل سماع الأوتار، والأظهر أنه عام في الاشتغال باللذات ﴿فَاكِهُونَ﴾ فرىء بالألف ومعناه أصحاب فاكهة، وبغير ألف وهو من الفكاهة بمعنى الراحة والسرور ﴿فِي ظِلَالٍ﴾ جمع ظل، وبالضم جمع ظلّة، ﴿عَلَىٰ الْأَرَائِكِ﴾ جمع

رَبِّ رَحِيمٍ ﴿٥٨﴾ وَأَمْتَرُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾ أَلَمْ نَأْخِذْ بِاللَّيْلِ لَيْلًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ قَائِلِينَ ﴿٦٠﴾ إِنَّا نَعْبُدُونَكَ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ أَصَلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَنَشْهَدُ أَرْجُلَهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ

أريكة وهي السرير ﴿وَلَهُمْ مَا يَدْعُونَ﴾ أي ما يتمنون، وقيل معناه أن ما يدعون به يأتيهم ﴿سَلَامٌ﴾ مبتدأ، وقيل بدل مما يدعون ﴿قَوْلًا﴾ مصدر مؤكد، والمعنى: أن السلام عليهم قول من الله بواسطة الملك أو بغير واسطة ﴿وَأَمْتَرُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ أي انفردوا عن المؤمنين، وكونوا على حدة ﴿جِبِلًّا كَثِيرًا﴾ الجبل الأمة العظيمة، وقال الضحاك: أقلها عشرة آلاف ولا نهاية لأكثرها، وقرئ بكسر الجيم والباء وتشديد اللام، وبضمهما مع التخفيف، وبضم الجيم وإسكان الباء، وهي لغات بمعنى واحد ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ﴾ أي نمنهم من الكلام فتتطق أعضاؤهم يوم القيامة ﴿وَلَوْ أَنشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ﴾ هذا تهديد لقريش، والطمس على الأعين هو العمى، والصراط الطريق وأتى استفهام يراد به النفي. فمعنى الآية لو نشاء لأعميناهم فلو راموا أن يمشوا على الطريق لم يبصروه، وقيل يعني عمى البصائر أي لو نشاء لختمنا على قلوبهم فالطريق على هذا استعارة بمعنى الإيمان والخير ﴿وَلَوْ أَنشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ﴾ هذا تهديد بالمسخ، فقيل معناه المسخ قردة وخنازير وحجارة، وقيل معناه لو نشاء لجعلناهم مقعدين مبطلين لا يستطيعون تصرفًا، وقيل إن هذا التهديد كله بما يكون يوم القيامة، والأظهر أنه في الدنيا ﴿عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ﴾ المكانة المكان، والمعنى لو نشاء لمسخناهم مسخًا يُقْعِدُهُمْ فِي مَكَانِهِمْ ﴿فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ﴾ أي إذا مسخوا في مكانهم لم يقدروا أن يذهبوا ولا أن يرجعوا ﴿وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ﴾ أي نحول خلقته من القوة إلى الضعف، ومن الفهم إلى البله وشبه ذلك كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾ [الروم: ٥٤]، وإنما قصد بذكر ذلك هنا للاستدلال على قدرته تعالى على مسخ الكفار كما قدر على تنكيس الإنسان إذا هرم ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾

مُبِينٌ ﴿٦٦﴾ لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٦٧﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ﴿٦٨﴾ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٦٩﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبٌ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ وَأَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ إِلَهًا لَعَلَّهُمْ يُنصُرُونَ ﴿٧١﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُنْحَضُونَ ﴿٧٢﴾ فَلَا يَخْزِنَاكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ وَمَا

وذلك رد على الكفار في قولهم إنه شاعر، وكان صلى الله تعالى عليه وآله وسلم لا ينظم الشعر ولا يزنه، وإذا ذكر بيت شعر كسر وزنه، فإن قيل: قد روي عنه صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم أنه قال: أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب وروي أيضا عنه ﷺ: هل أنت إلا أصعب دميت، وفي سبيل الله ما لقيت، وهذا الكلام على وزن الشعر فالجواب أنه ليس بشعر وأنه لم يقصد به الشعر، وإنما جاء موزونًا بالاتفاق لا بالقصد، فهو كالكلام المنثور، ومثل هذا يقال في مثل ما جاء في القرآن من الكلام الموزون ويقضي قوله: ﴿وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾ تنزيه النبي ﷺ عن الشعر لما فيه من الأباطيل وإفراط التجاوز حتى يقال إن الشعر أطيبه أكذبه، وليس كل الشعر كذلك فقد قال صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: «إن من الشعر لحكمة» وقد أكثر الناس في ذم الشعر ومدحه، وإنما الإنصاف قول الشافعي الشعر كلام والكلام منه حسن ومنه قبيح ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ﴾ الضمير للقرآن يعني أنه ذكر الله أو تذكير للناس أو شرف لهم ﴿لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا﴾ أي حي القلب والبصيرة ﴿وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ أي يجب عليهم العذاب ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا﴾ مقصد الآية تعديد النعم وإقامة الحجة، والأيدي هنا عند أهل التأويل عبارة عن القدرة، وعند أهل التسليم من المتشابه الذي يجب الإيمان به وعلمه عند الله ﴿فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ﴾ الركوب بفتح الراء هو المركوب ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ﴾ يعني الأكل منها والحمل عليها والاتفاع بالجلود والصوف وغيره ﴿وَمَشَارِبٌ﴾ يعني الألبان ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ﴾ الضمير في يستطيعون للأصنام، وفي نصرهم للمشركين، ويحتمل العكس، ولكن الأول أرجح فإنه لما ذكر أن المشركين اتخذوا الأصنام لينصروهم: أخبر أن الأصنام لا يستطيعون نصرهم فخاب أملهم ﴿وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُنْحَضُونَ﴾ الضمير الأول للمشركين والثاني للأصنام يعني أن المشركين يخدمون الأصنام ويتعصبون لهم حتى أنهم لهم كالجند وقيل بالعكس بمعنى أن الأصنام جند محضرون لعذاب المشركين في الآخرة والأول أرجح لأنه تقييد لحال المشركين ﴿فَلَا يَخْزِنَاكَ قَوْلُهُمْ﴾ تسلية للنبي ﷺ معللة لما بعدها ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ

يُعَلِّمُونَ ﴿٧٦﴾ أَوْلَمْ يَرَ الْإِنْسَانَ إِذَا خَلَقْتَهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُعْجِبُ الْعِظَمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِّنْهُ تُوقَدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَا

أَنَا خَلَقْتَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ ﴿﴾ هذه الآية وما بعدها إلى آخر السورة براهين على الحشر يوم القيامة وردة على مَنْ أنكر ذلك، والنطفة هي نطفة المني التي خلق الإنسان منها ولا شك أن الإله الذي قدر على خلق الإنسان من نطفة قادر على أن يخلقه مرة أخرى عند البعث، وسبب الآية أن العاصي بن وائل جاء إلى النبي ﷺ بعظم رميم فقال يا محمد مَنْ يُحْيِي هَذَا؟ وقيل إن الذي جاء بالعظم أمية بن خلف وقيل أبي بن خلف فقال له رسول الله ﷺ: «الله يُحْيِيهِ وَيُمِيتُكَ ثُمَّ يُحْيِيكَ وَيُدْخِلُكَ جَهَنَّمَ» ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ أي متكلم قادر على الخصام يبين ما في نفسه بلسانه ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا﴾ إشارة إلى قول الكافرين مَنْ يُحْيِي هَذَا الْعِظَمَ ﴿وَنَسِيَ خَلْقَهُ﴾ أي نسي الاستدلال بخلقه الأولى على بعثه والنسيان هنا يحتمل أن يكون بمعنى الذهول أو الترك ﴿وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ أي بالية متفتتة ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ استدلال بالخلقة الأولى على البعث ﴿وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ أي يعلم كيف يخلق كل شيء فلا يصعب عليه بعث الأجساد بعد فنائها والخلق هنا يحتمل أن يكون مصدرًا أو بمعنى المخلوق ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا﴾ هذا دليل آخر على إمكان البعث وذلك أن الذين أنكروه من الكفار والطبائعيين قالوا طبع الموت يضاد طبع الحياة فكيف تصير العظام حية. فأقام الله عليهم الدليل من الشجر الأخضر الممتلىء ماء مع مضادة طبع الماء للنار ويعني بالشجر زناد العرب وهو شجر المرخ والعفرار فإنه يقطع من كل واحد منهما غصنًا أخضر يقطر منه الماء فيسحق المرخ على العفار فتندفع النار بينهما قال ابن عباس ليس من شجرة إلا وفيها نار إلا العناب ولكنه في المرخ والعفرار أكثر ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾ هذا دليل آخر على البعث بأن الإله الذي قدر على خلق السموات والأرض على عظمهما وكبر أجرامهما قادر على أن يخلق أجساد بني آدم بعد فنائها والضمير في مثلهم يعود على الناس ﴿وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ ذكر في هذين الاسمين أيضًا استدلال على البعث وكذلك في قوله: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ لأن ما علمت بعقبتهما من الأفعال ولا شك أن الخلاق

أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

العليم القدير لا يصعب عليه إعادة الأجساد ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ في هذا استدلال على البعث وتنزيه الله عما نسبته الكفار إليه من العجز عن البعث فإنهم ما قدروا الله حق قدره وكلّ مَنْ أنكر البعث فإنما أنكره لجهله بقدرة الله سبحانه وتعالى.

فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

سورة الصافات

مكية وآياتها ١٨٢ نزلت بعد الأنعام

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ﴿١﴾ فَالزَّجْرَاتِ زَجْرًا ﴿٢﴾ فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا ﴿٣﴾ إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ ﴿٤﴾ رَبُّ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشْرِقِ ﴿٥﴾ إِنَّا زَيْنَا أَسْمَاءَ الدُّنْيَا زَيْنَةَ الْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا مِّنْ كُلِّ شَيْطَانٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا﴾ تقديره والجماعات الصافات ثم اختلف فيها فقيل هي الملائكة التي تصف في السماء صفوفًا لعبادة الله وقيل هو من يصف من بني آدم في الصلوات والجهاد والأول أرجح لقوله حكاية عن الملائكة وإنا لنحن الصافون ﴿فَالزَّجْرَاتِ زَجْرًا﴾ هي الملائكة تزجر السحاب وغيرها وقيل الزاجرون بالمواعظ من بني آدم وقيل هي آيات القرآن المتضمنة للزجر عن المعاصي ﴿فالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا﴾ هي الملائكة تتلو القرآن والذكر وقيل هم التالون للقرآن والذكر من بني آدم وهي كلها أشياء أقسم الله بها على أنه واحد ﴿وَرَبُّ الْمَشَارِقِ﴾ يعني مشارق الشمس وهي ثلاثمائة وستون مشرقًا وكذلك المغارب فإنها تشرق كل يوم من أيام السنة في مشرق منها وتغرب في مغرب، واستغنى بذكر المشارق عن ذكر المغارب لأنها معادلة لها فتفهم من ذكرها ﴿بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ﴾ قرىء بإضافة الزينة إلى الكواكب والزينة تكون

مَارِدٍ ﴿٧﴾ لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَيُقَذِفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا وَهُمْ عَذَابٌ وَأَصِيبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾ فَاسْتَفْتِهِمْ أَهْمُ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ

تقديره بأن زينة الكواكب اسمًا أو مضاف إلى المفعول تقديره بأن زينا الكواكب وإن كانت اسمًا فالإضافة بيان للزينة وقرىء بتنوين زينة وحفض الكواكب على البدل ونصب الكواكب على أنها مفعول بزينة أو بدل من موضع زينة ﴿وَحِفْظًا﴾ منصوب على المصدر تقديره وحفظناها حفظًا أو مفعول من أجله والواو زائدة أو محمول على المعنى لأن المعنى إننا جعلنا الكواكب زينة للسماء وحفظًا ﴿مَارِدٍ﴾ أي شديد الشر ﴿لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى﴾ الضمير في يسمعون للشياطين والملأ الأعلى هم الملائكة الذين يسكنون في السماء والمعنى أن الشياطين منعت من سماع أحاديث الملائكة وقرىء يسمعون بتشديد السين والميم ووزنه يتفعلون والسمع طلب السماع فنفى السماع على القراءة الأولى ونفى طلبه على القراءة بالتشديد والأول أرجح لقوله: ﴿إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعَزُولُونَ﴾ [الشعراء: ٢١٢] ولأن ظاهر الأحاديث أنهم يستمعون لكنهم لا يسمعون شيئًا منذ بعث محمد صلى الله عليه وآله وسلم لأنهم يرمون بالكواكب ﴿وَيُقَذِفُونَ﴾ أي يرحمون يعني بالكواكب وهي التي يراها الناس تنقض قال النقاش ومكي ليست الكواكب الراجمة للشياطين بالكواكب الجارية في السماء لأن تلك لا ترى حركتها وهذه الراجمة ترى حركتها لقربها منّا قال ابن عطية وفي هذا نظر ﴿دُحُورًا﴾ أي طردًا وإبعادًا وإهانة لأن الدحر الدفع بعنف وإعرابه مفعول من أجله أو مصدر من يقذفون على المعنى أو مصدر في موضع الحال تقديره مدحورين ﴿عَذَابٌ وَأَصِيبٌ﴾ أي دائم لأنهم يرحمون بالنجوم في الدنيا ثم يقذفون في جهنم، ﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ﴾ من في موضع رفع بدل من الضمير في قوله: ﴿لَا يَسْمَعُونَ﴾ والمعنى لا تسمع الشياطين أخبار السماء إلا الشيطان الذي خطف الخطفة ﴿شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ أي شديد الإضافة ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَهْمُ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا﴾ الضمير لكفار قريش والاستفتاء نوع من السؤال وكأنه سؤال من يعتبر قوله ويجعل حجة لأن جوابهم عن السؤال مما تقوم به الحجة عليهم ومن خلقنا يراد به ما تقدّم ذكره من الملائكة والسموات والأرض والمشارك والكواكب وقيل يراد به ما تقدّم من الأمم والأول أرجح لقراءة ابن مسعود أم من عددنا ومقصد الآية إقامة الحجة عليهم في إنكارهم البعث في الآخرة كأنه يقول هذه المخلوقات أشدّ خلقًا منكم فكما قدرنا على خلقهم كذلك نقدر على إعادتهم بعد فنائكم ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ﴾ اللازب اللازم أي يلزم ما جاوره ويلصق به ووصفه بذلك يراد به ضعف خلقه بني

طِينٍ لَّازِبٍ ﴿١١﴾ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ذُكِرُوا لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخَرُونَ ﴿١٤﴾ وَقَالُوا إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَوَّاهٌ مِّنَّا وَكُنَّا نُرَابًا وَعِظْمًا أَوَّاهٌ لِّمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوْ أَبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَمَّا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا يَا بُولَئِكَ هَذَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿٢٠﴾ هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾ أَخْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَأَهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقَفَّوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ ﴿٢٤﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمْ الْيَوْمَ

آدم، ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾ أي عجبت يا محمد من ضلالهم وإعراضهم عن الحق أو عجبت من قدرة الله على هذه المخلوقات العظام المذكورة وقرىء عجبت بضم التاء وأشكل ذلك على من يقول إن التعجب مستحيل على الله فتأولوه بمعنى أنه جعله على حال يتعجب منها الناس وقيل تقديره قل يا محمد عجبت وقد جاء التعجب من الله في القرآن والحديث كقوله ﷺ يعجب ربك من شاب ليس له صبوة وهو صفة فعل وإنما جعلوه مستحيلاً على الله لأنهم قالوا إن التعجب استعظام خفي سببه والصواب أنه لا يلزم أن يكون خفي السبب بل هو لمجرد الاستعظام فعلى هذا لا يستحيل على الله ﴿وَيَسْخَرُونَ﴾ تقديره وهم يسخرون منك أو من البعث ﴿وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخَرُونَ﴾ الآية هنا العلامة كانشقاق القمر ونحوه وروى أنها نزلت في مشرك اسمه ركانة أراه النبي ﷺ آيات فلم يؤمن ويستسخرون معناه يسخرون فيكون فعل واستعمل بمعنى واحد وقيل معناه يستدعي بعضهم بعضاً لأن يسخر وقيل يبالغون في السخرية ﴿أِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا﴾ الآية: معناها استبعادهم البعث وقد تقدم الكلام على الاستفهامين في الرعد ﴿أَوْ أَبَاؤُنَا﴾ بفتح الواو دخلت همزة الإنكار على واو العطف وقرىء بالإسكان عطفًا بأو ﴿قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ﴾ أي قل تبعثون والداخر الصاغر الذليل ﴿زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ هي النفخة في الصور للقيام من القبور ﴿فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ﴾ يحتمل أن يكون من النظر بالأبصار أو من الانتظار أي ينتظرون ما يفعل بهم.

﴿هَذَا يَوْمُ الدِّينِ﴾ يحتمل أن يكون من كلامهم مثل الذي قبله أو مما يقال لهم مثل الذي بعده ﴿أَخْشَرُوا﴾ الآية: خطاب للملائكة خاطبهم به الله تعالى أو خاطب به بعضهم بعضاً ﴿وَأَزْوَاجَهُمْ﴾ يعني نساؤهم المشركات وقيل يعني أصنامهم وقرناءهم من الجن والإنس ﴿وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ يعني الأصنام والآدميين الذين كانوا يرضون بذلك ﴿فَأَهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾ أي دلّوهم على طريق جهنم ليدخلوها ﴿إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ يعني إنهم يسألون عن أم

مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾ وَأَجْبَلْ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَسَاءَ لَوْ ﴿٢٧﴾ قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُوا بَلْ لَمْ
تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا
لَدَائِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَعْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ ﴿٣٢﴾ فَأَنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ
بِالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ إِنَّا لَتَارِكُوا آلَ الْهِتَابِ
لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَقَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّكُمْ لَدَائِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُحْزِنُونَ
إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ ﴿٤٠﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَكَّلَهُمْ

أرجح لأنه أهم ويحتمل أن يسألوا عن عدم تناصرهم على وجه التهكم بهم فيكون
مسؤولون عاملاً فيما بعده والتقدير يقال لهم ما لكم لا ينصر بعضكم بعضاً وقد كنتم في
الدنيا تقولون نحن جميع منتصر ﴿مُسْتَسْلِمُونَ﴾ أي منقادون عاجزون: عن الانتصار ﴿قَالُوا
إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ﴾ الضمير في قالوا للضعفاء من الكفار خاطبوا الكبراء منهم في
جهنم أو للإنس خاطبوا الجن واليمين هنا يحتمل ثلاث معانٍ الأولى أن يراد بهما طريق
الخير والصواب وجاءت العبارة عن ذلك بلفظ اليمين كما أن العبارة عن الشرّ بالشمال
والمعنى أنهم قالوا لهم إنكم كنتم تأتوننا عن طريق الخير فتصدوننا عنه والثاني أن يراد به
القوة والمعنى على هذا أنكم كنتم تأتوننا بقوةكم وسلطانكم فتأمروننا بالكفر وتمنعوننا من
الإيمان والثالث أن يراد بها اليمين التي يحلف بها أي كنتم تأتوننا بأن تحلفوا لنا أنكم على
الحق فنصدقكم في ذلك ونتبعكم ﴿قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ الضمير في قالوا للكبراء
من الكفار أو للشياطين والمعنى أنهم قالوا لأتباعهم ليس الأمر كما ذكرتم بل كفرتم
باختياركم ﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَدَائِقُونَ﴾ أي وجب العذاب علينا وعليكم، وإنا
لدائقون: معمول القول وحذف معمول ذائقون تقديره وجب القول بأننا ذائقون العذاب
﴿فَأَعْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ﴾ أي دعوناكم إلى الغي، لأننا كنا على غي ﴿فَأَنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي
الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ أي إن المتبوعين والأتباع مشتركون في عذاب النار ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّا
لَتَارِكُوا آلَ الْهِتَابِ لَشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾ الضمير في يقولون لكفار قريش، ويعنون شاعر مجنون:
محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فردّ الله عليهم بقوله ﴿بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ﴾ أي جاء بالتوحيد
والإسلام، وهو الحق ﴿وَصَدَقَ الْمُرْسَلِينَ﴾ الذين جاؤوا قبله: لأنه جاء بمثل ما جاؤوا به،
ويحتمل المعنى أن يكون صدقهم لأنهم أخبروا بنبوته فظهر صدقهم لما بعث عليه الصلاة
والسلام ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ﴾ استثناء منقطع بمعنى لكن، وقرىء مخلصين بفتح اللام

مُكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِي جَنَّتِ النَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بِيَضَاءَ لَدَّةٍ
لِّلشَّرِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ
مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾ فَأَقْبَل بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَتِنَّكَ
لِمَن الْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ إِذَا مِنَّا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا إِذْنَا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَأَطَّلَعَ فَرَأَاهُ

وكسرهما في كل موضع، وقد تقدم تفسيره ﴿عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ السُّرُر جمع سرير، وتقابلهم في بعض الأحيان للسرور بالأنس، وفي بعض الأحيان ينفرد كل واحد بقصره ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾ الذين يطوفون عليهم الولدان، حسبما ورد في الآية الأخرى، والكأس الإناء الذي فيه خمر قاله ابن عباس، وقيل كأس إناء واسع الفم، ليس له مقبض، سواء كان فيه خمر أم لا، والمعين: الجاري الكثير، ووزنه فاعيل، والميم فيه أصلية، وقيل هو مشتق من العين، والميم زائدة، ووزنه مفعول ﴿لَدَّةٌ﴾ أي ذات لذة، فوصفها بالمصدر اتساعاً ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ الغول: اسم عام في الأذى والضير، ومنه يقال غاله يغوله: إذا أهلكه: وقيل الغول وجع في البطن، وقيل صداع في الرأس، وإنما قدم المجرور هنا تعريضاً بخمر الدنيا، لأن الغول فيها ﴿وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾ أي لا يسكرون من خمر الجنة، ومنه النزيف، وهو السكران، وعن هنا سببية، كقولك فعلته عن أمرك، أي لا ينزفون بسبب شربها ﴿قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ﴾ معناه أتتهن قصرن أعينهن على النظر إلى أزواجهن، فلا ينظرن إلى غيرهن ﴿عِينٌ﴾ جمع عيناء، وهي الكبيرة العينين في جمال ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾ قيل شبهتهن في اللون ببيض النعام، فإنه بياض خالطه صفرة حسنة، وكذلك قال امرئ القيس:

كَبُكَر مَقْنَاءَ الْبِيَاضِ بِصَفْرَةٍ

وقيل إنما التشبيه بلون قشر البيضة الداخلي الرقيق، وهو المكنون المصون تحت القشرة الأولى، وقيل أراد الجوهر المصون ﴿فَأَقْبَل بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ هذا إخبار عن تحدث أهل الجنة قال الزمخشري هذه الجملة معطوفة على يطاف عليهم، والمعنى أنهم يشربون فيتحدثون على الشراب، بما جرى لهم في الدنيا ﴿إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ﴾ قيل إن هذا القائل وقريته من البشر، مؤمن وكافر وقيل إن قريته كان من الجن ﴿يَقُولُ أَتِنَّكَ لِمَن الْمُصَدِّقِينَ﴾ معناه أنه كان يقول له على وجه الإنكار أتصدق بالدنيا والآخرة ﴿لَمَدِينُونَ﴾ أي

فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدَتْ لَتُرْدِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَمَّا
نَحْنُ بِمَبِيتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَوْمُ الْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِيُمِثِلَ هَذَا
فَلْيَعْمَلَ الْعَامِلُونَ ﴿٦١﴾ أَذَلِكَ خَيْرٌ تُزَلُّوا أَمْ شَجَرَةُ الزُّقُومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا
شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴿٦٥﴾ فَأَنَّهُمْ لَا يَكُونُونَ مِنْهَا قَمَارُونَ
مِنهَا الْبَطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾ إِنَّهُمْ أَلْفَاؤُا

بمعنى الجزاء والحساب ﴿قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلَعُونَ﴾ أي قال ذلك القائل لرفقائه في الجنة، أو للملائكة أو لخدامه، هل أنتم مطلعون على النار لأريكم ذلك العزيز فيها، وروى أن في الجنة كوى ينظرون أهلها منها إلى النار ﴿فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾ أي في وسطها ﴿قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدَتْ لَتُرْدِينَ﴾ أي تهلكني بإغوائك، والردي الهلاك، وهذا خطاب خاطب به المؤمن قرينه الذي في النار ﴿مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾ في العذاب ﴿أَمَّا نَحْنُ بِمَبِيتِينَ﴾ هذا من كلام المؤمن، خطاب لقرينه أو خطاباً لرفقائه في الجنة ولهذا قال نحن فأخبر عن نفسه وعنهم ويحتمل أن يكون من كلامه وكلامهم جميعاً ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَوْمُ الْعَظِيمُ﴾ يحتمل أن يكون من كلام المؤمن، أو من كلامه وكلام رفقائه في الجنة أو من كلام الله تعالى، وكذلك يحتمل هذه الوجوه في قوله: ﴿لِيُمِثِلَ هَذَا فَلْيَعْمَلَ الْعَامِلُونَ﴾ والأول أرجح فيه أن يكون من كلام الله تعالى لأن الذي بعده من كلام الله فيكون متصلاً به، ولأن الأمر بالعمل إنما هو حقيقة في الدنيا ففيه تحضيض على العمل الصالح ﴿أَذَلِكَ خَيْرٌ تُزَلُّوا أَمْ شَجَرَةُ الزُّقُومِ﴾ الإشارة بذلك إلى نعيم الجنة، وكل ما ذكر من وصفها، وقال الزمخشري الإشارة إلى قوله رزق معلوم، والتزل الضيافة، وقيل الرزق الكثير وجاء التفضيل هنا بين شيئين، ليس بينهما اشتراك، لأن الكلام تقرير وتوبيخ ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ﴾ قيل سببها أن أبا جهل وغيره لما سمعوا ذكر شجرة الزقوم، قالوا كيف يكون في النار شجرة، والنار تحرق الشجر، فالفتنة على هذا الابتلاء في الدنيا وقيل معناه، عذاب الظالمين في الآخرة، والمراد بالظالمين هنا الكفار ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾ أي تنبت في قعر جهنم وترتفع أغصانها إلى دركاتها ﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾ الطلع ثمر النخل فاستعير لشجرة الزقوم وشبهه برؤوس الشياطين مبالغة في قبحة وكرامته، لأنه قد تقرر في نفوس الناس كراهتها وإن لم يروها، ولذلك يقال للقبیح المنظر وجه شيطان وقيل رؤوس الشياطين شجرة معروفة باليمن، وقيل هو صنف من الحيات ﴿لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ﴾ أي مزاجاً من ماء حار، فإن قيل: لِمَ عطف هذه

ءَابَاءَهُمْ ضَالِّينَ ﴿١٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰ آثَرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَقَدْ صَلَّىٰ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأُولَٰئِينَ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنذِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ ﴿٢٣﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوْحًا فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ ﴿٢٥﴾ وَبَيَّجْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٢٦﴾ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴿٢٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿٢٨﴾ سَلَّمَ عَلَىٰ نُوْحٍ فِي الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٠﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ ثُمَّ أَعْرَفْنَا الْآخِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لِإِبْرَاهِيمَ ﴿٣٣﴾ إِذْ جَاءَ رَبُّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٣٥﴾ أَفَبِكُلِّ عِبَادَةِ دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٣٦﴾ فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٧﴾ فَنظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ﴿٣٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٣٩﴾ فَتَوَلَّوْا

الجملة بضم، فالجواب من وجهين: أحدهما أنه لترتيب تلك الأحوال في الزمان، فالمعنى أنهم يملؤون البطون من شجر الزقوم، وبعد ذلك يشربون الحميم، والثاني أنه لترتيب مضاعفة العذاب فالمعنى أن شربهم للحميم أشد مما ذكر قبله ﴿يُهْرَعُونَ﴾ الإهراع الإسراع الشديد ﴿وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ﴾ أي دعانا فالمعنى دعاؤه بإهلاك قومه ونصرته عليهم ﴿مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ يعني الغرق ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ﴾ أهل الأرض كلهم من ذرية نوح لأنه لما غرق الناس في الطوفان ونجا نوح ومن كان معه في السفينة، تناسل الناس من أولاده الثلاثة، سام وحام وياث ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ معناه أبقينا عليه ثناءً جميلاً في الناس إلى يوم القيامة ﴿سَلَّمَ عَلَىٰ نُوْحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾ هذا التسليم من الله على نوح عليه السلام، وقيل إن هذه الجملة مفعول تركنا وهي محكية أي تركنا هذه الكلمة، تقال له يعني أن الخلق يسلّمون عليه فيبتدأ بالسلام على القول الأول، لا على الثاني والأول أظهر ومعنى في العالمين على القول الأول تخصيصه بالسلام عليه بين العالمين، كما تقول أحب فلاناً في الناس أي أحبه خصوصاً من بين الناس ومعناه على القول الثاني: أن السلام عليه ثابت في العالمين، وهذا الخلاف يجري حيث ما ذكر ذلك في هذه السورة ﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لِإِبْرَاهِيمَ﴾ الشيعة الصنف المتفق، فمعنى من شيعته من على دينه في التوحيد، والضمير يعود على نوح وقيل على سيدنا محمد ﷺ والأول أظهر ﴿إِذْ جَاءَ رَبُّهُ﴾ عبارة عن إخلاصه وإقباله على الله تعالى، بكليته وقيل المراد المجيء بالجسد ﴿بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ أي سليم من الشرك، والشك وجميع العيوب ﴿أَفَبِكُلِّ عِبَادَةِ دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ﴾ الإفك الباطل وإعراجه هنا مفعول من أجله، وآلهة مفعول مقول أنفكاً من آلهة الأصنام. وقيل أنفكاً مصدر في موضع الحال، تقديره آفكين أي كاذبين والأول أحسن ﴿فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ المعنى

عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿١٦﴾ فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهِمُ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿١٧﴾ مَا لَكُمْ لَا نَنْطِقُونَ ﴿١٨﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ صَرْبًا
بِالْيَمِينِ ﴿١٩﴾ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزْفُونَ ﴿٢٠﴾ قَالَ أَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٢١﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالُوا اتَّبِعُوا

أي شيء تظنون برب العالمين، أن يعاقبكم به وقد عبدتم غيره أو أي شيء تظنون أنه هو حتى عبدتم غيره كما تقول ما ظنك بفلان إذا قصدت تعظيمه، فالمقصد على المعنى الأول نهديد وعلى الثاني تعظيم لله وتوبيخ له ﴿فَنَنْظُرُ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾ رُوي أن قومه كان لهم عيد يخرجون إليه فدعوه إلى الخروج معهم، فحينئذ قال إني سقيم ليمتنع عن الخروج معهم، فيكسر أصنامهم إذا خرجوا لعيدهم وفي تأويل ذلك ثلاثة أقوال الأول أنها كانت تأخذة الحمى في وقت معلوم، فنظر في النجوم ليرى وقت الحمى، واعتذر عن الخروج لأنه سقيم من الحمى، والثاني أن قومه كانوا منجمين وكان هو يعلم أحكام النجوم فأوهمهم أنه استدلل بالنظر في علم النجوم أنه يسقم، فاعتذر بما يخاف من السقم عن الخروج معهم والثالث أن معنى نظر في النجوم أنه نظر وفكر فيما يكون من أمره معهم فقال إني سقيم والنجوم على هذا ما ينجم من حاله معهم، وليست بنجوم السماء، وهذا بعيد وقوله إني سقيم على حسب هذه الأقوال يحتمل أن يكون حقاً لا كذب فيه ولا تجوز أصلاً، ويعارض هذا ما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن إبراهيم كذب ثلاث كذبات، أحدها: قوله إني سقيم، ويحتمل أن يكون كذباً صراحاً، وجاز له ذلك لهذا الاحتمال لأنه فعل ذلك من أجل الله إذ قصد كسر الأصنام، ويحتمل أن يكون من المعارض فإن أراد أنه سقيم فيما يستقبل لأن كل إنسان لا بد له أن يمرض، أو أراد أنه سقيم النفس من كفرهم وتكذيبهم له وهذان التأويلان أولى، لأن نفي الكذب بالجملة معارض للحديث، والكذب الصراح لا يجوز على الأنبياء، عند أهل التحقيق، أما المعارض فهي جائزة ﴿فَقَتَلُوا عَنْهُ مُدْبِرِينَ﴾ أي تركوه إعراضاً عنه وخرجوا إلى عيدهم، وقيل إنه أراد بالسقم الطاعون وهو داء يعدي فخافوا منه وتباعداً عنه مخافة العدوى ﴿فَرَاغَ﴾ أي مال ﴿فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ إنما قال ذلك على وجه الاستهزاء بالذين يعبدون تلك الأصنام ﴿صَرْبًا بِالْيَمِينِ﴾ أي يمين يديه وقيل بالقوة وقيل بالحلف، وهو قوله: ﴿تَاللَّهِ لَا كِيدَ لَأَصْنَامِكُمْ﴾ [الأنبياء: ٥٧]، والأول أظهر وأليق بالضرب وضرماً مصدر في موضع الحال ﴿يَزْفُونَ﴾ أي يسرعون ﴿قَالَ أَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾ أي تنجرون والنحت النجارة إشارة إلى صنعهم للأصنام من الحجارة والخشب ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ ذهب قوم إلى أن ما مصدرية، والمعنى الله خلقكم وأعمالكم وهذه الآية عندهم قاعدة في خلق أفعال العباد،

لَمْ يُبْنِئًا فَالْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيِّئِينَ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَبْنِيْٓ إِتِيَّ أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّيٰ أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۗ قَالَ يَتَأْتٍ أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِيٰ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ

وقيل إنها موصولة بمعنى الذي والمعنى الله خلقكم وخلق أصنامكم التي تعملونها وهذا أليق بسياق الكلام وأقوى في قصد الاحتجاج على الذين عبدوا الأصنام، وقيل إنها نافية، وقيل إنها استفهامية، وكلاهما باطل ﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا﴾ قيل البنيان في موضع النار، وقيل بل كان للمنجنيق، الذي رُمي عنه ﴿فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا﴾ يعني حرقه بالنار ﴿فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ﴾ أي المغلوبين ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيِّئِينَ﴾ قيل إنه قال هذا بعد خروجه من النار، وأراد أنه ذاهب أي مهاجر إلى الله فهاجر إلى أرض الشام، وقيل إنه قال ذلك قبل أن يطرح في النار وأراد أنه ذاهب إلى ربه بالموت لأنه ظن أن النار تحرقه وسيهدين على القول الأول يعني الهدى إلى صلاح الدين والدنيا، وعلى القول الثاني إلى الجنة، وقالت المتصوفة معناه إني ذاهب إلى ربي بقلبي أي مقبل على الله بكليتي تاركًا سواه ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ يعني ولدًا من الصالحين ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ أي عاقل واختلف الناس في هذا الغلام المبشّر به في هذا الموضع وهو الذبيح، هل هو إسماعيل أو إسحاق فقال ابن عباس وابن عمر وجماعة من التابعين هو إسماعيل وحثّتهم من ثلاثة أوجه الأول أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «أنا ابن الذبيحين» يعني إسماعيل عليه السلام ووالده عبد الله حين نذر والده عبد المطلب أن ينحره إن يسّر الله له أمر زمزم ففداه بمائة من الإبل والثاني أن الله تعالى قال بعد تمام قصة الذبيح وبشّرناه بإسحاق فدل ذلك على أن الذبيح غيره والثالث أنه زوي أن إبراهيم جرت له قصّة الذبح بمكة وإنما كان معه بمكة إسماعيل وذهب علي بن أبي طالب وابن مسعود وجماعة من التابعين إلى أن الذبيح إسحاق وحثّتهم من وجهين الأول أن البشارة المعروفة لإبراهيم بالوادي إنما كانت بإسحاق لقوله فبشّرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب، والثاني أنه زوي أن يعقوب كان يكتب من يعقوب إسرائيل الله ابن إسحاق ذبيح الله.

﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ﴾ يريد بالسعي هنا العمل والعبادة، وقيل المشي وكان حينئذ ابن ثلاث عشرة سنة ﴿قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ﴾ يحتمل أن يكون رأى في المنام الذبيح وهو الفعل

الصَّابِرِينَ ﴿١١٤﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١١٥﴾ وَقَدَّيْنَاهُ أَنْ يَتَّيْرَهُمُ ﴿١١٦﴾ فَذَصَّدَقَتِ الرَّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ
 نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٧﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١١٨﴾ وَقَدَّيْنَاهُ بِذَبِيحٍ عَظِيمٍ ﴿١١٩﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي
 الْآخِرِينَ ﴿١٢٠﴾ سَلَّمَ عَلَٰى إِبْرَاهِيمَ ﴿١٢١﴾ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٢﴾ إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٣﴾
 وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٢٤﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ
 لِنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴿١٢٥﴾ وَلَقَدْ مَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١٢٦﴾ وَبَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ
 الْعَظِيمِ ﴿١٢٧﴾ وَصَمَّرْنَاهُمْ فَمَا كَانُوا هُمْ الْفَالِغِينَ ﴿١٢٨﴾ وَءَاتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ ﴿١٢٩﴾ وَهَدَيْنَاهُمَا

أظهر في قول افعل ما تؤمر ورؤيا الأنبياء حق فوجب عليه الامتثال على الوجهين ﴿فانظر
 ماذا ترى﴾ إن قيل لم شاوره في أمر هو حتم من الله؟ فالجواب: أنه لم يشاوره ليرجع إلى
 رأيه ولكن ليعلم ما عنده فيثبت قلبه ويوطن نفسه على الصبر فأجابه بأحسن جواب ﴿فَلَمَّا
 أَسْلَمَا﴾ أي استسلما وانقادا لأمر الله ﴿وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾ أي صرعه بالأرض على جبينه
 وللإنسان جبينان حَوْلَ الجبهة، وجواب لما محذوف عند البصريين تقديره، فلما أسلما كان
 ما كان من الأمر العظيم، وقال الكوفيون جوابه تله والواو زائدة، وقال بعضهم جوابها:
 ناديناه والواو زائدة ﴿قَدْ صَدَّقَتِ الرَّؤْيَا﴾ يحتمل أنه يريد بقلبك أي كانت عندك رؤيا صادقة
 فعملت بحسبها ويحتمل أن يريد صدقتها بعملك أو وقيت حقها من العمل، فإن قيل إنه أمر
 بالذبح ولم يذبح، فكيف قيل له صدقت الرؤيا؟ فالجواب أنه قد بذل جهده إذ قد عزم على
 الذبح ولو لم يفده الله لذبحه ولكن الله هو الذي منعه من ذبحه لما فداه فامتناع ذبح الولد
 إنما كان من الله وبأمر الله وقد قضى إبراهيم ما عليه ﴿الْبَلَاءُ الْمُبِينُ﴾ أي الاختبار البين
 الذي يُظهِر به طاعة الله أو المحنة البيّنة الصعوبة ﴿وَقَدَّيْنَاهُ بِذَبِيحٍ عَظِيمٍ﴾ الذبح اسم لما يذبح
 وأراد به هنا الكبش الذي فدي به، ورؤي أنه من كباش الجنة، وقيل إنه الكبش الذي قرب
 به ولد آدم ووصفه بعظيم لذلك أو لأنه من عند الله أو لأنه متقبل، ورؤي في القصص أن
 الذبيح قال لإبراهيم اشدد رباطي لثلاث أضطرب، واصرف بصرك عني لثلاث ترحمني وأنه أمر
 الشفرة على حلقة فلم تقطع فحينئذ جاءه الكبش من عند الله وقد أكثر الناس في قصص هذه
 الآية وتركناه لعدم صحته ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ إن قيل لم قال هنا في قصة إبراهيم
 كذلك دون قوله إنا، وقال في غيرها إنا، فالجواب أنه قد تقدّم في قصة إبراهيم نفسها: إنا
 كذلك فأغنى عن تكرار إنا ﴿وَلَقَدْ مَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾ يعني بالنبوة وغير ذلك ﴿مِنَ
 الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ يعني الغرق أو تعذيب فرعون وإذلاله لهم ﴿وَصَمَّرْنَاهُمْ﴾ الصمير يعود على

الصِرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْأَخْرَبِ ﴿١١٩﴾ سَلَّمْ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا
كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾ وَإِنَّ إِيَّاسَ لِمَنْ
الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴿١٢٥﴾ اللَّهُ
رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولَىٰ ﴿١٢٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأْتَهُمْ لَمُخْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾
وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْأَخْرَبِ ﴿١٢٩﴾ سَلَّمْ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا
الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ وَإِنَّ لُوطًا لِمَنْ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ جَاءَتْهُ وَأَهْلُهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَدِيرِ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ
دَمَرْنَا الْأَخْرَبَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنَّكُمْ لَمُتْرُونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِالْأَيْتِ الْفُلِّ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾ وَإِنَّ يُوسُفَ لِمَنْ
الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلِّ الْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ

موسى وهارون وقومهما وقيل على موسى وهارون خاصة وعاملهما معاملة الجماعة للتعظيم وهذا ضعيف ﴿وَأَتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ﴾ يعني التوراة ومعنى المستبين البين، وفي هذه الآية وما بعدها نوع من أدوات البيان وهو الترصيع ﴿وَإِنَّ إِيَّاسَ لِمَنْ الْمُرْسَلِينَ﴾ إياس من ذرية هارون وقيل إنه إدريس، وقد أخطأ من قال إنه إياس المذكور في أجداد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا﴾ البعل في اللغة الرب بلغة أهل اليمن وقيل بعل اسم صنم يقال له بعلبك ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ ال هنا على هذه القراءة بمعنى أهل ياسين اسم لإياس، وقيل لأبيه، وقيل لسيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وقرئ إياسين بكسر الهمزة ووصل اللام ساكنة على هذا جمع إياس أو منسوب لإياس حذف منه الياء كما حذف من أعجمين، وقيل سمي كل واحد من آل ياسين إياس ثم جمعهم وقيل هو لغة في إياس ﴿عَجُوزًا فِي الْغَدِيرِ﴾ قد ذكر ﴿وَإِنَّ يُوسُفَ لِمَنْ الْمُرْسَلِينَ﴾ قد ذكرنا قصته في يونس والأنبياء ﴿إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلِّ الْمَشْحُونِ﴾ أي هرب إلى السفينة والفلك هنا واحد والمشحون المملوء، وسبب هروبه غضبه على قومه حين لم يؤمنوا، وقيل إنه أخبرهم أن العذاب يأتيهم في يوم معين حسبما أعلمه الله، فلما رأوا قومه مخايل العذاب آمنوا، فرجع الله عنهم العذاب فخاف أن ينسبوه إلى الكذب فهرب ﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ﴾ معنى ساهم ضارب القرعة والمدحض المغلوب في القرعة والمحاجة وسبب مقارعة أنه لما ركب السفينة، وقفت ولم تجر، فقالوا إنما وقفت من حدث أحدثه فنقترح لنرى على من تخرج القرعة فنطرحه فاقترحوا فخرجت القرعة على يونس فطرحوه في البحر ﴿فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ أي فعل ما يلازمه ذلك من أجل ما كان عليه من البرج ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ

مُلِيمٌ ﴿١٤٧﴾ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٦﴾ لَلَيْتَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٥﴾ ﴿فَنبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَتَأَمَّنُوا فَمَرَّغْتَهُمْ إِلَى جِيبٍ ﴿١٤٨﴾ فَاسْتَفْتَاهُمُ الرَّبُّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبُتُونُ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَا إِنَّهُمْ مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ اللَّهُ وَإِلَهُمَّ

مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾ تسيحه هو قوله لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين حسما حكى الله عنه في الأنبياء وقيل هو قوله سبحان الله وقيل هو الصلاة، واختلف على هذا هل يعني صلاته في بطن الحوت أو قبل ذلك واختلف في مدة بقائه في بطن الحوت فقيل ساعة وقيل ثلاثة أيام وقيل سبعة أيام وقيل أربعون يوماً ﴿فَنبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ﴾ العراء الأرض الفضاء التي لا شجر فيها، ولا ظل وقيل يعني الساحل ﴿وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ رُوِيَ أَنَّهُ كَانَ كَالطِّفْلِ الْمَوْلُودِ بَضْعَةَ لَحْمٍ ﴿وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَقْطِينٍ﴾ أي أنبتنا فوقه لتظله وتقيه حرَّ الشمس، واليقطين، القرع وإنما خصه الله به لأنه يجمع برد الظلِّ ولين الشمس وكبر الورق وأن الذباب لا يقربه فإن لحم يونس لما خرج من البحر كان لا يحتمل الذباب وقيل اليقطين كل شجرة لا ساق لها كالبقول والقرع والبطيخ، والأول أشهر ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ﴾ يعني رسالته الأولى التي أبق بعدها وقيل هذه رسالة ثانية بعد خروجه من بطن الحوت والأول أشهر ﴿أَوْ يَزِيدُونَ﴾ قيل أو هنا بمعنى بل، وقرأ ابن عباس، بل يزيدون، وقيل هي بمعنى الواو وقيل هي للإبهام وقيل المعنى أن البشر إذا نظر إليهم يتردد فيقول هم مائة ألف أو يزيدون واختلف في عددهم فقيل مائة وعشرون ألفاً وقيل مائة وثلاثون ألفاً وقيل مائة وأربعون ألفاً وقيل مائة وسبعون ألفاً ﴿فَأَمَّنُوا فَمَرَّغْتَهُمْ إِلَى جِيبٍ﴾ رُوِيَ أَنَّهُمْ خَرَجُوا بِالْأَطْفَالِ وَأَوْلَادِ الْبَهَائِمِ، وَفَرَّقُوا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْأَمْهَاتِ وَنَاحُوا وَتَضَرَّعُوا إِلَى اللَّهِ وَأَخْلَصُوا فَرَفَعَ اللَّهُ الْعَذَابَ عَنْهُمْ إِلَى حِينٍ: يعني لانقضاء آجالهم وقد ذكر الناس في قصة يونس أشياء كثيرة أسقطناها لضعف صحتها ﴿فَاسْتَفْتَاهُمُ الرَّبُّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبُتُونُ﴾ قال الزمخشري إن هذا معطوف على قوله فاستفتهم الذي في أول السورة وإن تباعد ما بينهما والضمير المفعول لقريش وسائر الكفار أي أسألهم على وجه التقرير والتوبيخ عما زعموا من أن الملائكة بنات الله فجعلوا الله الإناث ولأنفسهم الذكور وتلك قسمة ضيزى ثم قرأهم على ما زعموا من أن الملائكة إناث وردَّ عليهم بقوله وهم شاهدون، ويحتمل أن يكون بمعنى الشهادة، أو بمعنى الحضور أي أنهم لم يحضروا ذلك ولم يعلموه ثم أخبر عن كذبهم في قولهم ولد الله ثم قرأهم على ما زعموا من أن الله اصطفى لنفسه البنات؛ وذلك كله ردُّ

لَكَذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا نَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطٰنٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾ فَأَتُوا بِكِتَابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٥٧﴾ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسْبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحٰنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إَلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ ﴿١٦٠﴾ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إَلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾ وَمَا مَنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّٰفِرُونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا

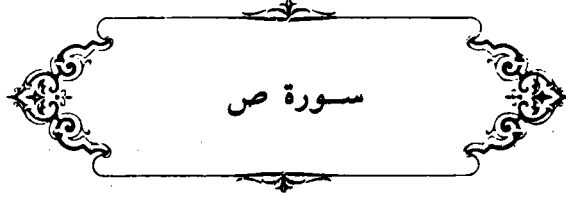
عليهم وتوبيخ لهم، تعالى الله عن أقوالهم علواً كبيراً ﴿أصطفى﴾ دخلت همزة التقرير والتوبيخ على ألف الوصل فحذفت ألف الوصل ﴿مَا لَكُمْ﴾ هذا استفهام معناه التوبيخ وهي في موضع رفع بالابتداء والمجرور بعدها خبرها فينبغي الوقف على قوله ما لكم ﴿أَمْ لَكُمْ سُلْطٰنٌ مُّبِينٌ﴾ أي برهان بين ﴿فَأَتُوا بِكِتَابِكُمْ﴾ تعجيز لهم لأنهم ليس لهم كتاب يحتاجون به ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسْبًا﴾ الضمير في جعلوا لكفار العرب وفي معنى الآية قولان: أحدهما أن الجنة هنا الملائكة وسميت بهذا الاسم لأنه مشتق من الاجتنان وهو الاستتار والملائكة مستورين عن أعين بني آدم كالجنّ والنسب الذي جعلوه بينهم وبين الله قولهم إنهم بنات الله، والقول الثاني أن الجن هنا الشياطين، وفي النسب الذي جعلوه بينه وبينهم قولان: أحدهما أن بعض الكفار قالوا إن الله والشياطين أخوان، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً والآخر أن بعضهم قال إن الله نكح في الجن فولدت له الملائكة سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً ﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ مَنْ قَالَ إِنْ الْجَنّ الْمَلَائِكَةُ فَالضَّمِيرُ فِي قَوْلِهِ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ يَعُودُ عَلَى الْكُفَّارِ أَيْ قَدْ عَلِمَتِ الْمَلَائِكَةُ أَنَّ الْكُفَّارَ مُحْضَرُونَ فِي الْعَذَابِ وَمَنْ قَالَ إِنْ الْجَنّ الشَّيَاطِينُ فَالضَّمِيرُ يَعُودُ عَلَيْهِمْ أَيْ قَدْ عَلِمَتِ الشَّيَاطِينُ أَنَّهُمْ مُحْضَرُونَ فِي الْعَذَابِ ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ﴾ استثناء منقطع من المحضرين أو من الفاعل في يصفون والمعنى لكن عباد الله المخلصين لا يحضرون في العذاب أو لكن عباد الله المخلصين يصفونه بما هو أهله ﴿فَأِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ إَلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ﴾ هذا خطاب للكفار والمراد بما تعبدون الأصنام وغيرها وما تعبدون عطف على الضمير في إنكم ويجوز أن تكون الواو بمعنى مع ومعنى فاتنين مُضِلِّينَ والضمير في عليه يعود على ما تعبدون وعلى سببية معناها التعليل ومن هو مفعول بفاتنين والمعنى إنكم أيها الكفار وكل ما تعبدونه لا تضلونّ أحداً إَلَّا مَنْ قَضَى اللَّهُ أَنَّهُ يَصْنِي الْجَحِيمِ أَيْ لَا تَقْدِرُونَ عَلَى إِغْوَاءِ النَّاسِ إِلَّا بِقِضَاءِ اللَّهِ وَقَالَ الزَّمْخَشَرِيُّ الضَّمِيرُ فِي عَلَيْهِ يَعُودُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى ﴿وَمَا مَنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ هذا حكاية كلام الملائكة عليهم السلام، تقديره ما منّا ملك إَلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ وَالْمَقَامُ الْمَعْلُومُ: الام، والمقام المعقول:

لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴿١١٦﴾ وَإِنْ كَانُوا لَيَقُولُونَ ﴿١١٧﴾ لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأُولِينَ ﴿١١٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ ﴿١١٩﴾ فَكَفَرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٢٠﴾ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْفَرَسَلِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ﴿١٢٢﴾ وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿١٢٣﴾ فَنُؤَلِّهِمْ هَهُنَا بَعْثَ الْأُولِينَ ﴿١٢٤﴾ أَفِعْدَابُنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٢٥﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنذِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ ﴿١٢٧﴾ وَأَبْصُرْ فَسَوْفَ

يحتمل أن يراد به المكان الذي يقومون فيه، لأن منهم من هو في السماء الدنيا، وفي الثانية، وفي السموات، وحيث شاء الله، ويحتمل أن يراد به المنزلة من العبادة والتقريب والتشريف ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ﴾ أي الواقفون في العبادة صفوفًا، ولذلك أمر المسلمون بتسوية الصفوف في صلاتهم ليقعدوا بالملائكة، وليس أحد من أهل الجمل يصلون صفوفًا إلا المسلمون ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾ قيل معناه المصلون، لأن الصلاة يقال لها تسبيح، وقيل معناه القائلون سبحان الله، وفي هذا الكلام الذي قالته الملائكة رد على من قال إنهم بنات الله وشركاء له، لأنهم اعترفوا على أنفسهم بالعبودية والطاعة لله والتزبه له، وبدل هذا الكلام أيضًا على أن المراد بالجن قبل هذا الملائكة، وقيل إن هذا كله من كلام سيدنا محمد ﷺ وكلام المسلمين، والأول أشهر ﴿وَإِنْ كَانُوا لَيَقُولُونَ لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأُولِينَ﴾ الضمير لكفار قريش وسائر العرب، والمعنى أنهم كانوا قبل بعث محمد ﷺ يقولون لو أرسل الله إلينا رسولاً وأنزل علينا كتاباً لكننا عباد الله المخلصين ﴿فَكَفَرُوا بِهِ﴾ الضمير للذكر أو لسيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، لأن المعنى يقتضي ذلك وإن لم يتقدم له ذكر ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ تهديد ووعيد لهم على كفرهم ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ﴾ المعنى سبق القضاء بأن المرسلين منصورون على أعدائهم ﴿وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ هذا النصر والغلبة بظهور الحجة والبرهان، وبهزيمة الأعداء في القتال، وبالسعادة في الآخرة ﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ﴾ أي أعرض عنهم، وذلك موادة منسوخة بالسيف، والحين هنا يراد به يوم بدر، وقيل حضور آجالهم، وقيل يوم القيامة ﴿وَأَبْصُرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ هذا وعد للنبي ﷺ ووعيد لهم ﴿أَفِعْدَابُنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ إشارة إلى قولهم متى هذا الوعد وأمطر علينا حجارة من السماء وشبه ذلك ﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ﴾ الساحة الفناء حول الدار، والعرب تستعمل هذه اللفظة فيما يرد على الإنسان من محظور وسوء ﴿فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنذِرِينَ﴾ الصبح مستعمل في ورود الغارات والرزايا، ومقصد الآية التهديد بعذاب يحل بهم بعد أن أنذروا فلم ينفعهم الإنذار، وذلك تمثيل بقوم أنذروهم ناصح بأن جيشاً يحل بهم فلم يقبلوا نصحه حتى جاءهم الجيش وأهلكهم ﴿وَأَبْصُرْ﴾ كثر الأمر

يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ
الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾

بالتوَلَّى عنهم والوعد والوعيد على وجه التأكيد، وقيل أراد بالوعد الأول عذاب الدنيا، وبالثاني عذاب الآخرة، فإن قيل: لِمَ قال أولاً أبصرهم، وقال هنا أبصر، فحذف الضمير المفعول؟ فالجواب من وجهين: أحدهما أنه اكتفى بذكره أولاً عن ذكره ثانياً فحذفه اقتصاراً، والآخر أنه حذفه ليفيد العموم فيمن تقدم وغيرهم كأنه قال أبصر جميع الكفار بخلاف الأول، فإنه في قريش خاصة ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ نزه الله تعالى نفسه عما وصفه به الكفار مما لا يليق به، فإنه حكى عنهم في هذه السورة أقوالاً كثيرة شنيعة، والعزة إن أراد بها عزة الله: فمعنى رب العزة، ذو العزة وأضافها إليه لاختصاصه بها، وإن أراد بها عزة الأنبياء والمؤمنين: فمعنى رب العزة مالكها وخالقها، ومن هذا قال محمد بن سحنون: مَنْ حلف بعزة الله، فإن أراد صفة الله فهي يمين، وإن أراد العزة التي أعطى عباده فليست بيمين، ثم ختم هذه السورة بالسلام على المرسلين ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فأما السلام على المرسلين فيحتمل أن يريد به التحية أو سلامتهم من أعدائهم، ويكون ذلك تكميلاً لقوله إنهم لهم المنصورون، وأما الحمد لله، فيحتمل أن يريد به الحمد لله على ما ذكر في هذه السورة من تنزيه الله ونصرة الأنبياء وغير ذلك ويحتمل أن يريد الحمد لله على الإطلاق.



مكية وآياتها ٨٨ نزلت بعد القمر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ﴿١﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴿٢﴾ كَرِهْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مَن قَرْنٍ فَنَادَوا
وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴿٣﴾ وَعَجِبُوا أَن جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكُفْرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجْعَلُ الْأَلْهَةَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ص﴾ تكلمنا على حروف الهجاء في البقرة ويختص بهذا أنه قال فيه معناه صدق محمد، وقيل هو حرف من اسم الله الصمد أو صادق الوعد، أو صانع المصنوعات ﴿وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾ هذا قسم جوابه محذوف تقديره إن القرآن من عند الله، وإن محمداً لصادق وشبه ذلك. وقيل جوابه في قوله: ﴿ص﴾ إذ هو بمعنى صدق محمد، وقيل جوابه إن كل إلا كذب الرسل وهذا بعيد، وقيل جوابه إن ذلك لحق تخاصم أهل النار وهذا أبعد، ومعنى ذي الذكر ذي الشرف، والذكر بمعنى الموعظة أو ذكر الله وما يحتاج إليه من الشريعة ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾ الذين كفروا يعني قريشاً، وبل للإضراب عن كلام محذوف وهو جواب القسم أي إن كفرهم ليس ببرهان بل هو بسبب العزة والشقاق، والعزة التكبر، والشقاق العداوة وقصد المخالفة، وتنكيرهما للدلالة على شدتهما وتفاخم الكفار فيهما ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِّن قَرْنٍ﴾ إخبار يتضمن تهديداً لقريش ﴿فَنَادَوا وَلَاتَ

إِلَٰهَا وَحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ ﴿٥﴾ وَأَنْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ آمَسُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهِتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَافٌ ﴿٧﴾ أَمْ نَزَّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي

حِينَ مَنَاصٍ ﴿٥﴾ المعنى أن القرون الذين هلكوا دعوا واستغاثوا حين لم ينفعهم ذلك، ولات بمعنى ليس وهي لا النافية زيدت عليها علامة التأنيث، كما زيدت في ربت وثمت، ولا ندخل لات إلا على زمان واسمها مضمرة، وحين مناص خبرها، والتقدير ليس الحين الذي دعوا فيه حين مناص، والمناص المفتر والنجاة من قولك ناص ينوص إذا فرز ﴿٦﴾ وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِنْهُمْ ﴿٧﴾ الضمير لقريش والمنذر سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم أي استبعدوا أن يبعث الله رسولا منهم، ويحتمل أن يريد من قبيلتهم أو يريد من البشر مثلهم ﴿وَقَالَ الْكَاْفِرُونَ﴾ كان الأصل وقالوا ولكن وضع الظاهر موضع المضمرة قصداً لوصفهم بالكفر ﴿أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا﴾ هذا إنكار منهم للتوحيد، وسبب نزول هذه الآيات أن قريشاً اجتمعوا وقالوا لأبي طالب: كُفَّ ابن أخيك عتاً فإنه يعيب ديننا ويذم آلهتنا ويسفه أعلامنا فكلّمه أبو طالب في ذلك، فقال ﷺ إنما أريد منهم كلمة واحدة يملكون بها العجم، وتدين لهم بها العرب، فقالوا نعم وعشر كلمات معها فقال قوا: لا إله إلا الله، فقاموا وأنكروا ذلك وقالوا: أجعل الآلهة إلهاً واحداً ﴿وَأَنْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ آمَسُوا وَاصْبِرُوا﴾ انطلق الملاء عبارة عن خروجهم عن أبي طالب وقيل عبارة عن تفرقتهم في طرق مكة وإشاعتهم للكفر، وأن أمسوا: معناه يقول بعضهم لبعض أمسوا واصبروا على عبادة آلهتكم ولا تطيعوا محمداً فيما يدعو إليه من عبادة الله وحده ﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾ هذا أيضاً مما حكى الله من كلام قريش وفي معناه وجهان: أحدهما أن الإشارة إلى الإسلام والتوحيد أي إن هذا التوحيد شيء يراد منا الانقياد إليه، والآخر أن الإشارة إلى الشرك والصبر على آلهتهم أي إن هذا لشيء ينبغي أن يراد ويتمسك به أو أن هذا شيء يريد الله منا لما قضى علينا به والأول أرجح لأن الإشارة فيما بعد ذلك إليه فيكون الكلام على نسق واحد ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ﴾ هذا أيضاً مما حكى الله عنهم من كلامهم أي ما سمعنا بالتوحيد في الملة الآخرة، والمراد بالملة الآخرة ملة النصارى لأنها بعد ملة موسى وغيره وهم يقولون بالتثليث لا بالتوحيد، وقيل المراد ملة قريش أي ما سمعنا بهذا في الملة التي أدركنا عليها آباءنا، وقيل المراد الملة المنتظرة إذ كانوا يسمعون من الأخبار والكهّان أن رسولاً يبعث يكون آخر الأنبياء ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَافٌ﴾ هذا أيضاً مما حكى من كلامهم والإشارة إلى التوحيد والإسلام مع: الاختلاف الكذب ﴿أَنْزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا﴾

شَكِّ مِّنْ ذِكْرِي بَلْ لَّمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ ﴿٨﴾ أَمْرٌ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ ﴿٩﴾ أَمْ لَهُمْ مُتَّكٍ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ ﴿١٠﴾ جُنْدٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ الْأَحْزَابِ ﴿١١﴾
كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ وَتَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لَيْكَةِ أُولَئِكَ
الْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾ إِنْ كُلُّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾ وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَّا

الهمزة للإنكار، والمعنى أنهم أنكروا أن يخص الله محمدًا صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بإنزال القرآن عليه دونهم ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكِّ مِّنْ ذِكْرِي﴾ هذا رد عليهم والمعنى أنهم ليست لهم حجة ولا برهان بل هم في شك من معرفة الله وتوحيده، فلذلك كفروا، ويحتمل أن يريد بالذكر القرآن ﴿بَلْ لَّمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ﴾ هذا وعيد لهم وتهديد، والمعنى أنهم إنما حملهم على الكفر كونهم لم يذوقوا العذاب فإذا ذاقوه زال عنهم الشك وأذعنوا للحق ﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ﴾ هذا رد عليهم فيما أنكروا من اختصاص محمد ﷺ بالنبوة، والمعنى أنهم ليس عندهم خزائن رحمة الله حتى يعطوا النبوة من شاؤوا، ويمنعوا من شاؤوا بل يعطيها الله لمن يشاء ثم وصف نفسه بالعزیز الوهاب، لأن العزیز يفعل ما يشاء، والوهاب ينعم على من يشاء فلا حجة لهم فيما أنكروا ﴿أَمْ لَهُمْ مُتَّكٍ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ هذا أيضًا رد عليهم، والمعنى أم لهم الملك فيتصرفون فيه كيف شاؤوا، بل مالك الملك يفعل في ملكه ما يشاء وأم الأولى منقطعة بمعنى بل وهمزة الإنكار، وأما أم الثانية فيحتمل أن تكون كذلك أو تكون عاطفة معادلة لما قبلها ﴿فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ﴾ هذا تعجيز لهم، وتهكم بهم، ومعنى يرتقوا يصعدوا، والأسباب هنا السلالم والطرق وشبه ذلك مما يوصل به إلى العلو، وقيل هي أبواب السماء، والمعنى إن كان لهم ملك السموات والأرض فليصعدوا إلى العرش ويدبروا الملك ﴿جُنْدٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ الْأَحْزَابِ﴾ هذا وعيد بهزيمتهم في القتال وقد هزموا يوم بدر وغيره، وما هنالك صفة لجند وفيها معنى التحقير لهم، والإشارة بهنالك إلى حيث وصفوا أنفسهم من الكفر والاستهزاء، وقيل الإشارة إلى الارتقاء في الأسباب وهذا بعيد؛ وقيل الإشارة إلى موضع بدر، ومن الأحزاب معناه من جملة الأحزاب الذين تعصبوا للباطل فهلكوا ﴿وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ﴾ قال ابن عباس كانت له أوتاد وخشب يلعب بها وعليها، وقيل كانت له أوتاد يسمرها في الناس لقتلهم، وقيل أراد المباني العظام الثابتة، ورجحه ابن عطية، وقال الزمخشري إن ذلك استعارة في ثبات الملك كقول القائل: في ظل ملك ثابت الأوتاد ﴿وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ﴾ قد ذكر ﴿وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ ينظر هنا بمعنى ينتظر، وهؤلاء يعني قريشًا

لَهَا مِنْ فَوَاقٍ ﴿١٥﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا مَجِّلْ لَنَا قِطْنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ﴿١٦﴾ أَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَرْنَا آجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحُنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ

والصيحة الواحدة النفخة في الصور وهي نفخة الصعق، وقيل الصيحة عبارة عما أصابهم من قتل أو شدة، والأول أظهر، وقد روي تفسيرها بذلك عن النبي ﷺ ﴿مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ﴾ فيه ثلاثة أقوال: الأول ما لها رجوع أي لا يرجعون بعدها إلى الدنيا وهو على هذا مشتق من الإفاقة، الثاني ما لها من ترداد: أي إنما هي واحدة لا ثانية لها. الثالث ما لها من تأخير ولا توقف مقدار فواق ناقة وهي ما بين حلبتي اللبن، وهذا القول الثالث إنما يجري على قراءة فواق بالضم لأن فواق الناقة بالضم، والقولان الأولان على الفتح والضم ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا عَجَلْ لَنَا قِطْنَا﴾ القط في اللغة له معنيان: أحدهما الكتاب، والآخر النصيب، وفي معناه هنا ثلاثة أقوال: أحدها نصيبنا من الخير: أي دعوا أن يعجله الله لهم في الدنيا والآخرة نصيبهم من العذاب، فهو كقولهم أمطر علينا حجارة من السماء. الثالث صحائف أعمالنا ﴿أَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ الأيد القوة، وكان داود جمع قوة البدن وقوة الدين والملك والجنود، والأواب: الرجاع إلى الله، فإن قيل: ما المناسبة بين أمر الله لسيدنا محمد ﷺ بالصبر على أقوال الكفار وبين أمره بذكر داود؟ فالجواب عندي أن ذكر داود ومن بعده من الأنبياء في هذه السورة فيه تسلية للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، ووعد له بالنصر وتفريج الكرب وإعانة له على ما أمر به من الصبر، وذلك أن الله ذكر ما أنعم به على داود من تسخير الطير والجبال، وشدة ملكه، وإعطائه الحكمة وفصل الخطاب، ثم الخاتمة له في الآخرة بالزلفى وحسن المآب، فكأنه يقول يا محمد كما أنعمنا على داود بهذه النعم كذلك ننعم عليك، فاصبر ولا تحزن على ما يقولون، ثم ذكر ما أعطى سليمان من الملك العظيم وتسخير الريح والجن والخاتمة بالزلفى وحسن المآب، ثم ذكر من ذكر بعد ذلك من الأنبياء والمقصد ذكر الإنعام عليهم لتقوية قلب النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وأيضاً فإن داود وسليمان وأيوب أصابتهم شدائد ثم فرجها الله عنهم، وأعقبها بالخير العظيم، فأمر سيدنا محمداً صلى الله عليه وآله وسلم بذكرهم ليُعلم أنه يفرج عنه ما يلقي من إذابة قومه ويعقبها بالنصر والظهور عليهم، فالمناسبة في ذلك ظاهرة وقال ابن عطية: المعنى: اذكر داود ذا الأيدي في الدين فتأس به وتأيد كما تأيد، وأجاب الزمخشري عن السؤال فإنه قال كأن الله قال لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم اصبر على ما يقولون، وعظم أمر المعصية في أم الكتاب إذ تمت بها ذلك الأندلس كريم عند الله ثم زل زلة

لَهُ أَوَابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَكُمْ وَءَاتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ ﴿٢٠﴾ وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَضَمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَحْطَفْ خَضَمَانِ بَعِي بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ

فوتخه الله عليها فاستغفر وأتاب، فما الظن بكم مع كفركم ومعاصيكم، وهذا الجواب لا يخفى ما فيه من سوء الأدب مع داود عليه السلام حيث جعله مثالا يهتدى الله به الكفار وصرح بأنه زل وأن الله وبخه على زلته، ومعاذ الله من ذكر الأنبياء بمثل هذا ﴿والإشراق﴾ يعني وقت الإشراق وهو حين تشرق الشمس: أي تضيء ويصفر شعاعها وهو وقت الضحى وأما شروقها فطلوعها ﴿مخشورة﴾ أي مجموعة ﴿كلُّ لهُ أَوَابٌ﴾ أي كلُّ مُسَبِّحٍ لِأَجْلِ تَسْبِيحِ دَاوُدَ، ويحتمل أن يكون أواب هنا بمعنى رجاء أي ليرجع إلى أمره ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ﴾ قيل يعني النبوة، وقيل العلم والفهم وقيل الزبور ﴿وَفَصَّلَ الْخِطَابِ﴾ قال ابن عباس هو أفصل القضاء بين الناس بالحق، وقال علي بن أبي طالب هو إيجاب اليمين على المدعى عليه والبيّنة على المدعي، وقيل أراد قول أما بعد فإنه أول من قالها، وقال الزمخشري: معنى فصل الخطاب البيّن من الكلام الذي يفهمه من يخاطب له، وهذا المعنى اختاره ابن عطية، وجعله من قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَضْلٌ﴾ [الطارق: ١٣] ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَضَمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴾ جاءت هذه القصة بلفظ الاستفهام تبييناً للمخاطب ودلالة على أنها من الأخبار العجيبة التي ينبغي أن يلقي البال لها والخصم يقع على الواحد والاثنين والجماعة كقولك عدل وزور واتفق الناس على أن هؤلاء الخصم كانوا ملائكة، وزوي أنها جبريل وميكائيل بعثهما الله ليضرب بهما المثل لداود في نازلة وقع هو في مثلها، فأفتى بقيا هي واقعة عليه في نازلته ولما شعر وفهم المراد أتاب واستغفر، وسنذكر القصة بعد هذا، ومعنى تسوّروا المحراب علواً على سوره ودخلوه، والمحراب الموضع الأرفع من القصر أو المسجد وهو موضع التعبد، ويحتمل أن يكون المتسوّر المحراب اثنين فقط، لأن نفس الخصومة إنما كانت بين اثنين فقط فتجيء الضمائر في تسوّروا، ودخلوا، وفزع منهم: على وجه التجويز والعبارة عن الاثنين بلفظ الجماعة، وذلك جائز على مذهب من يرى أن أقل الجمع اثنان، ويحتمل أنه جامع كل واحد من الخصمين جماعة فيقع على جميعهم خصم، وتجيء الضمائر المجموعة حقيقة، وعلى هذا عوّل الزمخشري ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ﴾ العامل في إذ هنا تسوّروا، وقيل هي بدل من الأولى، وأما إذ الأولى فالعامل فيها أتابك أو تسوّروا ورد الزمخشري ذلك، وقال إن العامل فيها محذوف تقديره: هل أتابك نبأ تخاكم الخصم إذ تسوّروا، وإنما فزع داود منهم لأنهم دخلوا عليه بغير إذن ودخلوا من غير

فَأَحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴿٢٦﴾ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَجْعَةً وَلِي نَجْعَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْمِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا

الباب، وقيل إن ذلك كان ليلاً ﴿خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ﴾ تقديره نحن خصمان، ومعنى بغى تعدى ﴿وَلَا تُشْطِطْ﴾ أي لا تجز علينا في الحكم، يقال شطَّ الحاكم إذا جاز، وقرئ في الشاذ لا تشطط بفتح التاء: أي لا تبعد عن الحق، يقال شطَّ إذا بعد ﴿سَوَاءِ الصِّرَاطِ﴾ أي وسط الطريق، ويعني القصد والحق الواضح ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَجْعَةً وَلِي نَجْعَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾ هذه حكاية كلام أحد الخصمين، والأخوة هنا أخوة الدين، والنعجة في اللغة تقع على أنثى بقر الوحش وعلى أنثى الضأن، وهي هنا عبارة عن المرأة، ومعنى أكفلنيها أملكها لي وأصله اجعلها في كفالتي، وقيل اجعلها كفلي أي نصيبي، ومعنى عزني في الخطاب أي غلبني في الكلام والمحاورة يقال عز فلان إذا غلبه وهذا الكلام تمثيل للقصة التي وقع داود فيها. وقد اختلف الناس فيها وأكثروا القول فيها قديماً وحديثاً حتى قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: من حدث بما يقول هؤلاء القصاص في أمر داود عليه السلام جلدته حدين لما ارتكب من حُرمة من رفع الله محله، ونحن نذكر من ذلك ما هو أشهر وأقرب إلى تنزيه داود عليه السلام: رُوِيَ أن أهل زمان داود عليه السلام كان يسأل بعضهم بعضاً أن ينزل له عن امرأته فيتزوجها إذا أعجبت، وكانت لهم عادة في ذلك لا ينكرونها، وقد جاء عن الأنصار في أول الإسلام شيء من ذلك، فاتفق أن وقعت عين داود على امرأة رجل فأعجبت فساله النزول عنها ففعل وتزوجها داود عليه السلام فولد له منها سليمان عليه السلام، وكان لداود تسع وتسعون امرأة فبعث الله إليه ملائكة مثلاً لقصته، فقال أحدهما إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة إشارة إلى التسع والتسعين امرأة التي كانت لداود، ولي نعجة واحدة إشارة إلى أن ذلك الرجل لم تكن له إلا تلك المرأة الواحدة، فقال أكفلنيها إشارة إلى سؤال داود من الرجل النزول عن امرأته فأجابته داود عليه السلام بقوله لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه، فقامت الحججة عليه بذلك، فقبس الملكان عند ذلك وذهما ولم يرهما، فشر داود أن ذلك عتاب من الله له على ما وقع فيه ﴿فَاسْتَعْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ ولا تقتضي هذه القصة على هذه الرواية أن داود عليه السلام وقع فيما لا يجوز شرعاً، وإنما عوتب على أمر جائز كان ينبغي له أن يتزَّه عنه لعلَّ مرتبته ومثانته دينه، فإنه قد يعاتب الفضلاء على ما لا يعاتب عليه غيرهم كما

مِنَ الْخُلَطَاءِ لِيَبْغِيَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٢٦﴾ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَّآبٍ ﴿٢٧﴾ يٰدَاوُدُ

وتسعون امرأة فكان غنيًا عن هذه المرأة فوقع العتاب على الاستكثار من النساء، وإن كان جائزًا، وروِيَ هذا الخبر على وجه آخر، وهو أن داود انفرد يومًا في محرابه للتعبد فدخل عليه طائر من كوة فوق بين يديه فأعجبه فمدَّ يده ليأخذه فطار على الكوة فصعد داود ليأخذه فرأى من الكوة امرأة تغتسل عريانة فأعجبه ثم انصرف فسأل عنها فأخبر أنها امرأة رجل من جنده وأنه خرج للجهاد مع الجند فكتب داود إلى أمير تلك الحرب أن يقدم ذلك الرجل يقاتل عند التابوت وهو موضع قل ما تخلص أحد منه فقدم ذلك الرجل فقاتل حتى قتل شهيدًا فتزوج داود امرأته فعوتب على تعريضه ذلك الرجل للقتل وتزوجه امرأته بعده مع أنه كان له تسع وتسعون امرأة سواها، وقيل إن داود هم بذلك كله ولم يفعله، وإنما وقعت المعاتبة على همه بذلك، وروِيَ أن السبب فيما جرى له مثل ذلك أنه أعجب بعلمه وظهر منه ما يقتضي أنه لا يخاف الفتنة على نفسه ففتن بتلك القصة، وروِيَ أيضًا أن السبب في ذلك أنه تمنى منزلة آباءه إبراهيم وإسحق ويعقوب، والتزم أن يتلى كما ابتلوا فابتلاه الله بما جرى له في تلك القصة.

﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالٍ نَعَجْتكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ﴾ سؤال مصدر مضاف إلى المفعول،

وإنما تعدى بإلى لأنه تضمن معنى الإضافة كأنه قال بسؤال نعجتك مضافة أو مضمومة إلى نعاجه، فإن قيل: كيف قال له داود لقد ظلمك قبل أن يثبت عنده ذلك فالجواب أنه روي أن الآخر اعترف بذلك وحذف ذكر اعترافه اختصارًا، ويحتمل أن يكون قوله لقد ظلمك على تقدير صحة قوله، وقد قيل إن قوله لأحد الخصمين لقد ظلمك قبل أن يسمع حجة الآخر كانت خطيئته التي استغفر منها وأتاب ﴿وَأَنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لِيَبْغِيَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ الخلطاء هم الشركاء في الأموال، ولكن الخلطة أعم من الشركة، ألا ترى أن الخلطة في المواشي ليست بشركة في رقابها وقصد داود بهذا الكلام البوعظ للخصم الذي بقي، والتسلية بالتأسي للخصم الذي بقي عليه ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ ما زائدة للتأكد ﴿وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ﴾ ظن هنا بمعنى شعر بالأمر، وقيل بمعنى أيقن، وفتناه اختبرناه ﴿وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ معنى خرّ ألقى بنفسه إلى الأرض، وإنما حقيقة ذلك في السجود، فقيل إن الركوع هنا بمعنى السجود، وقيل خرّ من ركوعه ساجدًا بعد أن ركع، ومعنى أناب تاب، وروِيَ أنه بقي ساجدًا أربعين يومًا يبكي حتى نبت البقل من دموعه، وهذا الموضع فيه سجدة عند

إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ يَمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ كَذَّبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبْرَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٩﴾ وَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ

مالك خلافاً للشافعي، إلا أنه اختلف في مذهب مالك هل يسجد عند قوله وأتاب، أو عند قوله وحسن مآب ﴿وَأَنَّ لَهُ عِنْدَنَا لِرُفْيَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ﴾ الزلفى الفرية والمكانة الرفيعة، والمآب المرجع في الآخرة ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾ تقديره قال الله يا داود، وخلافة داود بالنبوة والملك، قال ابن عطية: لا يقال خليفة الله إلا لنبي، وأما الملوك والخلفاء فكل واحد منهم خليفة الذي قبله، وقول الناس فيهم خليفة الله تجوز ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا﴾ أي عبثاً بل خلقهما الله بالحق للاعتبار بهما والاستدلال على خالقهما ﴿ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ المعنى أن الكفار لما أنكروا الحشر والجزاء كانت خلقه السموات والأرض عندهم باطلاً بغير الحكمة، فإن الحكمة في ذلك إنما تظهر في الجزاء الأخروي ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ أم هنا استفهامية يراد بها الإنكار: أي أن الله لا يجعل المؤمنين والمتقين كالمفسدين والفجار، بل يجازي كل واحد بعمله لتظهر حكمة الله في الجزاء، ففي ذلك استدلال على الحشر والجزاء وفيه أيضاً وعد ووعد ﴿إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتِ الْجِيَادُ﴾ الصافنات جمع صافن وهو الفرس الذي يرفع إحدى رجليه أو يديه ويقف على طرف الأخرى، وقيل الصافن هو الذي يسوي يديه، والصفن علامة على فراهة الفرس، والجياد السريعة الجري واختلف الناس في قصص هذه الآية، فقال الجمهور إن سليمان عليه السلم عرضت عليه خيل كان ورثها عن أبيه وقيل أخرجتها له الشياطين من البحر، وكانت ذوات أجنحة، وكانت ألف فرس، وقيل أكثر فتشاغل بالنظر إليها حتى غربت الشمس وفاتته صلاة العشي «العصر» فأسف لذلك، وقال رُدْوَا عَلِيَّ الخيل وطفق يضرب أعناقها وعراقبيها بالسيف حتى عقرها لما كانت سبب فوات الصلاة ولم يترك منها إلا اليسير فأبدله الله أسرع منها وهي الريح، وأنكر بعض العلماء هذه الرواية، وقال تفويت الصلاة ذنب لا يفعله سليمان وعقر الخيل لغير فائدة لا يجوز، فكيف يفعله سليمان عليه السلام؟ وأي ذنب للخيل في تفويت الصلاة فقال بعضهم: إجماع فقهاءنا على أن من عقرها تقرباً إلى

بِالْعِشِيِّ الصَّافِنَاتُ لِيَأَدُّ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴿٣٢﴾
رُدُّوَهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ

الله، وقال بعضهم لم تفته الصلاة ولا عقر الخيل، بل كان يصلي فعرضت عليه الخيل فأشار إليهم فأزالوها حتى دخلت اصطبلاتها فلما فرغ من صلاته قال رُدُّوَهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ يمسح عليها بيده كرامة لها ومحبة، وقيل إن المسح عليها كان وَسْمًا في سوقها وأعناقها بوسم حبس في سبيل الله ﴿فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي﴾ معنى هذا يختلف على حسب الاختلاف في القصة، فأما الذين قالوا إن سليمان عقر الخيل لما اشتغل بها حتى فاتته الصلاة فاختلّفوا في هذا على ثلاثة أقوال: أحدها أن الخير هنا يراد به الخيل، وزعموا أن الخيل يقال لها خير، وأحببت بمعنى آثرت أو بمعنى فعل يتعدى بعن كأنه قال آثرت حبّ الخيل فشغلني عن ذكر ربّي، والآخر أن الخير هنا يراد به المال لأن الخيل وغيرها مال فهو كقوله تعالى: ﴿إِنْ تَرَكْ خَيْرًا﴾ [البقرة: ١٨٠] أي مالا، والثالث أن المفعول محذوف، وحبّ الخير مصدر والتقدير أحببت هذه الخيل مثل حبّ الخير فشغلني عن ذكر ربّي وأما الذين قالوا كان يصلي فعرضت عليه الخيل فأشار بإزالتها فالمعنى أنه قال إني أحببت حبّ الخير الذي عند الله في الآخرة بسبب ذكر ربّي، وشغلني ذلك عن النظر إلى الخيل ﴿حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ الضمير للشمس وإن لم يتقدّم ذكرها، ولكنها تفهم من سياق الكلام وذكر العشي يقتضيها، والمعنى حتى غابت الشمس، وقيل إن الضمير للخيل، ومعنى توارت بالحجاب دخلت اصطبلاتها والأول أشهر وأظهر ﴿رُدُّوَهَا عَلَيَّ﴾ أي قال سليمان رُدُّوا الخيل عليّ ﴿فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾ السوق جمع ساق يعني سوق الخيل وأعناقهم: أي جعل يمسحها مسحا، وهذا المسح يختلف على حسب الاختلاف المتقدم، هل هو قطعها وعقرها أو مسحها باليد محبة لها، أو وسمها للتحبّيس ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾ تفسير هذه الآية يختلف على حسب الاختلاف في قصتها، وفي ذلك أربعة أقوال: الأول أن سليمان كان له خاتم ملكه وكان فيه اسم الله، فكان ينزعه إذا دخل الخلاء توقيرا لاسم الله تعالى، فنزعه يوما ودفعه إلى تجارية فتمثل لها جني في صورة سليمان وطلب منها الخاتم فدفعته له، روي أن اسمه صخر فقتل على كرسى سليمان يأمر وينهى والناس يظنون أنه سليمان، وخرج سليمان فارا بنفسه فأصابه الجوع فطلب حوتا ففتح بطنه فوجد فيه خاتمه، وكان الجني قد رماه في البحر فلبس سليمان الخاتم وعاد إلى ملكه ففتنة سليمان على هذا هي ما جرى له من سلب

أَنَابَ ﴿٢٦﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٢٧﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٢٨﴾ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَعَوَّاصٍ ﴿٢٩﴾ وَآخِرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٣٠﴾

ملكه، والجسد الذي ألقى على كرسيه هو الجنّي الذي قعد عليه وسمّاه جسداً، لأنه تصوّر في صورة إنسان، ومعنى أناب رجوع إلى الله بالاستغفار والدعاء أو رجوع إلى ملكه، والقول الثاني أن سليمان كان له امرأة يحبّها وكان أبوها ملكاً كافراً قد قتله سليمان فسألته أن يضع لها صورة أبيها فأطاعها في ذلك فكانت تسجد للصورة ويسجد معها جواربها وصار صنماً معبوداً في داره وسليمان لا يعلم حتى مضت أربعون يوماً، فلما علم به كسره فالفتنه على هذا عمل الصورة، والجسد هو الصورة والقول الثالث أن سليمان كان له ولدًا وكان يحبه حباً شديداً فقالت الجن إن عاش هذا الولد ورث ملك أبيه فبقينا في السخرة أبداً فلم يشعر إلا وولده ميت على كرسيه فالفتنة على هذا حبّه الولد، والجسد هو الولد لما مات وسمّي جسداً لأنه جسد بلا روح، القول الرابع أنه قال لأطوفنّ الليلة على مائة امرأة تأتي كل واحدة منهنّ بفارس يجاهد في سبيل الله، ولم يقل إن شاء الله، فلم تحمل إلا واحدة جاءت بشقّ إنسان فالفتنة على هذا كونه لم يقل إن شاء الله، والجسد هو شقّ الإنسان الذي ولد له، فأما القول الأول فضعيف من طريق النقل مع أنه يبعد ما ذكر فيه من سلب ملك سليمان وتسليط الشياطين عليه، وأما القول الثاني فضعيف أيضاً مع أنه يبعد أنه يعبد صنم في بيت نبي، أو يأمر نبي بعمل صنم، وأما القول الثالث فضعيف أيضاً، وأما القول الرابع فقد رُوِيَ في الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ لكنه لم يذكر في الحديث أن ذلك تفسير الآية ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي﴾ قدّم الاستغفار على طلب الملك لأن أمور الدين كانت عندهم أهم من الدنيا فقدّم الأولى والأهم، فإن قيل: لأي شيء قال لا ينبغي لأحد من بعدي، وظاهر هذا طلب الانفراد به حتى قال فيه الحجّاج إنه كان حسوداً؟ فالجواب من وجهين: أحدهما أنه إنما قال ذلك لثلاثي يجري عليه مثل ما جرى من أخذ الجنّي لملكه، فقصده أن لا يسلب ملكه عنه في حياته ويصير إلى غيره، والآخر أنه طلب ذلك ليكون معجزة ودلالة على نبوته ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ﴾ معنى رخاء لينة طيبة، وقيل طائعة له، وقد ذكرنا الجمع بين هذا وبين قوله عاصفة في الأنبياء، وحيث أصاب: أي حيث قصد وأراد ﴿وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَعَوَّاصٍ﴾ الشياطين معطوف على الريح وكل بناء بدل من الشياطين أي سخّرنا له الريح والشياطين من بيني منهم ومن يغوص في البحر

هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٥﴾ وَإِن لَّمْ عِنْدَنَا لُزْفَىٰ وَحُسْن مَّتَابٍ ﴿٢٦﴾ وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٢٧﴾ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٢٨﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُولَى الْأَلْبَابِ ﴿٢٩﴾ وَخَذَ بِيَدِكَ ضَعْفًا فَأَضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا

القيود والأغلال ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ﴾ الإشارة إلى الملك الذي أعطاه الله له، والمعنى أن الله قال له أعط من شئت وامنع من شئت، وقيل المعنى امنن على من شئت من الجن بالإطلاق من القيود، وأمسك من شئت منهم في القيود، والأول أحسن وهو قول ابن عباس ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ يحتمل ثلاثة معانٍ: أحدها أنه لا يحاسب في الآخرة على ما فعل، والآخر بغير تضييق عليك في الملك، والثالث بغير حساب ولا عدد بل خارج عن الحصر ﴿وَإِن لَّمْ عِنْدَنَا لُزْفَىٰ وَحُسْن مَّتَابٍ﴾ قد ذكر في قصة داود ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ قد ذكرنا قصة أيوب عليه السلام في الأنبياء والنصب يقال بضم النون وإسكان الصاد، ويفتح النون وإسكان الصاد وبضم النون والصاد ويفتحهما، ومعناه واحد وهو المشقة، فإن قيل: لِمَ نسب ما أصابه من البلاء إلى الشيطان فالجواب من أربعة أوجه: أحدها أن سبب ذلك كان من الشيطان، فإنه رُوِيَ أنه دخل على بعض الملوك فرأى منكراً فلم يغيّره، وقيل إنه كانت له شاة فذبحها وطبخها، وكان له جار جائع فلم يُعْطِ جاره منها شيئاً، والثاني أنه أراد ما وسوس له الشيطان في مرضه من الجزع وكرهه البلاء، فدعا إلى الله أن يدفع عنه وسوسة الشيطان بذلك، والثالث أنه رُوِيَ أن الله سلط الشيطان عليه ليفتنه فأهلك ماله فصبر وأهلك أولاده فصبر وأصابه الجذام^(١) والمرض الشديد فصبر فنسب ذلك إلى الشيطان لتسليط الشيطان عليه، والرابع رُوِيَ أن الشيطان لقي امرأته فقال لها قولي لزوجك إن سجد لي سجدة أذهبت ما به من المرض فذكرت المرأة ذلك لأيوب، فقال لها ذلك عدو الله الشيطان وحيث دعا ﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ التقدير قلنا له اركض برجلك فضرب الأرض برجله فنبعت له عين ماء صافية باردة فشرب منها فذهب كل مرض كان داخل جسده واغتسل منها فذهب ما كان في ظاهر جسده، ورُوِيَ أنه ركض الأرض مرتين فنبع له عينان فشرب من أحدهما واغتسل من الأخرى ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ﴾ ذكر في الأنبياء ﴿وَخَذَ بِيَدِكَ ضَعْفًا فَأَضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ﴾ الضغث القبضة من القضبان، وكان أيوب عليه السلام قد حلف أن يضرب امرأته مائة سوط

(١) الحق أن سيدنا أيوب لم يصبه الجذام وإنما أصابه مرض باطني لا ينفر منه الناس لعصمة الأنبياء من ذلك.

وَجَدْتَهُ صَابِرًا يَنعَمُ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٤٧﴾ وَأَذْكَرَ عِدْنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي
وَالْأَبْصَارِ ﴿٤٨﴾ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذُكِّرَى الدَّارِ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّمْ عِدْنَا لِمَنْ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ﴿٥٠﴾
وَأَذْكَرَ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ ﴿٥١﴾ هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لِحُسْنَ مَثَابٍ ﴿٥٢﴾
جَنَّتْ عَدْنٍ مُّفْتَحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ ﴿٥٣﴾ مُتَّكِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَنَكِهِمْ كَثِيرَةً وَشَرَابٍ ﴿٥٤﴾ وَعِنْدَهُمْ

إذا برىء من مرضه، وكان سبب ذلك ما ذكرته من لقاء الشيطان، وقوله لها إن سجد لي
زوجك أذهبت ما به من المرض، فأمره أن يأخذ ضغثًا فيه مائة قضيب فيضربها به ضربة
واحدة فيبر في يمينه، وقد ورد مثل هذا عن نبينا ﷺ في حدّ رجل زنى وكان مريضًا فأمر
رسول الله ﷺ بعذق نخلة فيه شماريخ مائة فضرب به ضربة واحدة ذكر ذلك أبو داود
والنسائي، وأخذ به بعض العلماء، ولم يأخذ به مالك ولا أصحابه ﴿أُولَى الْأَيْدِي
وَالْأَبْصَارِ﴾ الأيدي جمع يد وذلك عبارة عن قوتهم في الأعمال الصالحات، وإنما عبر عن
ذلك بالأيدي، لأن الأعمال أكثر ما تعمل بالأيدي، وأما الأبصار فعبارة عن قوة فهمهم
وكثرة علمهم من قولك أبصر الرجل إذا تبينت له الأمور، وقيل الأيدي جمع يد بمعنى
النعمة ومعناه أولو النعم التي أسداها الله إليهم من النبوة والفضيلة، وهذا ضعيف لأن اليد
بمعنى النعمة أكثر ما يجمع على أيادي، وقرأ ابن مسعود أولو الأيدي بغير ياء، فيحتمل أن
تكون الأيدي محذوفة الياء، أو يكون الأيدي بمعنى القوة: كقوله: ﴿دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ﴾
[ص: ١٧] ﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذُكِّرَى الدَّارِ﴾ معنى أخلصناهم جعلناهم خالصين لنا،
أو أخلصناهم دون غيرهم، وخالصة صفة حذف موصوفها تقديره بخالصة خالصة، وأما الباء
في قوله بخالصة، فإن كان أخلصناهم بمعنى جعلناهم خالصين، فالباء سببية للتعليل، وإن
كان أخلصناهم بمعنى خصصناهم فالباء لتعدية الفعل، وقرأ نافع بإضافة خالصة إلى ذكر من
غير تنوين، وقرأ غيره بالتنوين على أن تكون ذكر بدلاً من خالصة على وجه البيان والتفسير
لها، والدار يحتمل أن يريد به الآخرة أو الدنيا، فإن أراد به الآخرة ففي المعنى ثلاثة أقوال:
أحدها أن ذكرى الدار يعني به ذكرهم للآخرة وجهنم فيها والآخر أن معناه تذكيرهم للناس
بالآخرة، وترغيبهم للناس فيها عند الله، والثالث أن معناه ثواب الآخرة: أي أخلصناهم
بأفضل ما في الآخرة، والأول أظهر، وإن أراد بالدار الدنيا فالمعنى حُسن الثناء والذكر
الجميل في الدنيا كقوله لسان صدق ﴿الْأَخْيَارِ﴾ جمع خير بتشديد الياء أو خير المخفف من
خير كميّ مخفف من ميت ﴿وَذَا الْكِفْلِ﴾ ذكر في الأنبياء ﴿هَذَا ذِكْرٌ﴾ الإشارة إلى ما تقدّم
في هذه السورة من ذكر الأنبياء، وقيل الإشارة إلى القرآن بجملة، والأول أظهر وكان قوله

قَصْرَتْكَ الطَّرْفُ أَنْزَابٍ ﴿٥٧﴾ هَذَا مَا تُوَعِدُونَ لِتُورِ الْحِسَابِ ﴿٥٨﴾ إِنَّ هَذَا الرِّزْقُ مَا لَكُمْ مِنْ تَفَادٍ ﴿٥٩﴾ هَذَا
 وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَأَبٍ ﴿٦٠﴾ جَهَنَّمَ يَصَلُّونَهَا فَيَنْسُ الْمَهَادُ ﴿٦١﴾ هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٦٢﴾
 وَآخِرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ ﴿٦٣﴾ هَذَا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ كِبَالُوا النَّارِ ﴿٦٤﴾ قَالُوا بَلْ
 أَنْتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنْتُمْ قَدْ مَتَمَّمْتُمْ لَنَا فَيَنْسُ الْقَرَائِ ﴿٦٥﴾ قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَرَدَّهُ عَلَيْنَا مَصِيفًا

هذا ذكر ختام للكلام المتقدم، ثم شرع بعده في كلام آخر كما يتم المؤلف باباً ثم يقول
 فهذا باب ثم يشرع في آخر «قاصرات الطرف» ذكر في الصافات «أنزاب» يعني أسنانهن
 سواء يقال فلان ترب فلان إذا كان مثله في السن، وقيل إن أسنانهن وأسنان أزواجهن
 سواء.

«مَا لَهُ مِنْ تَفَادٍ» أي ما له من فناء ولا انقضاء «هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَأَبٍ» تقديره
 الأمر هذا: لما تم ذكر أهل الجنة ختمه بقوله هذا ثم ابتداء وصف أهل النار، ويعتني
 بالطاغين الكفار «هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ» هذا مبتدأ وخبره حميم، فليذوقوه اعتراف
 بينهما، والحميم الماء الحار والغساق قرىء بتخفيف السين وتشديدها وهو صديد أهل
 النار، وقيل ما يسيل من عيونهم، وقيل هو عذاب لا يعلمه إلا الله «وآخِرُ مِنْ شَكْلِهِ
 أَزْوَاجٌ» آخر معطوف على حميم وغساق تقديره وعذاب آخر قيل يعني الزمهرير، ومعنى
 من شكلة من مثله وتووعه أي من مثل العذاب المذكور، وأزواج معناه أصناف وهو صفة
 للحميم والغساق والعذاب الآخر والمعنى أنهما أصناف من العذاب، وقال ابن عطية: آخر
 مبتدأ، واختلف في خبره، فقيل تقديره ولهم عذاب آخر وقيل أزواج مبتدأ ومن شكله خبر
 أزواج، والجملة خبر آخر، وقيل أزواج خبر الآخر، ومن شكلة في موضع الصفة وقرىء
 آخر بالجمع وهو اليق أن يكون أزواج خبره لأنه جمع مثله «هَذَا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ» الفوج
 جماعة من الناس والمقتحم الداخل في زحام وشدة وهذا من كلام خزنة النار خاطبوا به
 رؤساء الكفار الذين دخلوا النار أولاً ثم دخل بعدهم أتباعهم وهو الفوج المشار إليه، وقيل
 هو كلام أهل النار بعضهم لبعض والأول أظهر «لَا مَرْحَبًا بِهِمْ» أي لا يلقون رحباً ولا
 خيراً، وهو دعاء من كلام رؤساء الكفار: أي لا مرحباً بالفوج الذين هم أتباع لهم «قَالُوا
 بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ» هذا حكاية كلام الأتباع للرؤساء لما قالوا لهم: لا مرحباً بهم،
 أجابوهم بقولهم: بل أنتم لا مرحباً بكم «أَنْتُمْ قَدْ مَتَمَّمْتُمْ لَنَا» هذا أيضاً من كلام الأتباع
 خطاباً للرؤساء، وهو تعليل لقولهم بل أنتم لا مرحباً بكم، والضمير في قدمتموه للعذاب

النَّارِ ﴿١١﴾ وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ ﴿١٢﴾ أَخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ
الْأَبْصَارُ ﴿١٣﴾ إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ ﴿١٤﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِنِّي إِلَّا اللَّهُ الْوَحِيدُ الْقَهَّارُ ﴿١٥﴾
رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿١٦﴾ قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿١٨﴾ مَا كَانَ
لِي مِن عِلْمٍ بِالْمَلَائِكَةِ الْأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿١٩﴾ إِن يُوحَىٰ إِلَىٰ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٠﴾ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي

ومعنى قدتموه أوجبتموه لنا بما قدتمتم في الدنيا من إغوائنا وأمركم لنا بالكفر ﴿قَالُوا رَبَّنَا
مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَرِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ﴾ هذا أيضًا من كلام الأتباع دعوا إلى الله تعالى أن
يضاعف العذاب لرؤسائهم الذين أوجبوا لهم العذاب فهو كقولهم ربنا هؤلاء أضلونا فاتهم
عذابًا ضعفًا في النار والضعف زيادة المثل ﴿قَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِّنَ
الْأَشْرَارِ﴾ الضمير في قالوا لرؤساء الكفار، وقيل للطاغين والرجال منهم ضعفاء المؤمنين،
وقيل إن القائلين لذلك أبو جهل لعنه الله وأمّية بن خلف وعتبة بن ربيعة وأمثالهم وأن
الرجال المذكورين هم عمار وبلال وصهيب وأمثالهم واللفظ أعم من ذلك والمعنى أنهم
قالوا في جهنم ما لنا لا نرى في النار رجالاً كُنَّا في الدنيا نعدُّهم من الأشرار ﴿أَخَذْنَاَهُمْ
سِخْرِيًّا﴾ قرئ أخذناهم بهمزة قطع ومعناها توبيخ أنفسهم على اتخاذهم المؤمنين سخريًا،
وقرى بألف وصل على أن يكون الجملة صفة لرجال وقرئ سخريًا بضم السين من
التسخير بمعنى الخدمة وبالكسر بمعنى الاستهزاء ﴿أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ﴾ هذا يحتمل
ثلاثة أوجه: أحدها أن يكون معادلاً لقولهم ما لنا لا نرى رجالاً، والمعنى ما لنا لا نراهم
في جهنم فهم ليسوا فيها أم هم فيها ولكن زاغت عنهم أبصارنا ومعنى زاغت عنهم مالت
فلم نرهم. الثاني أن يكون معادلاً لقولهم اتخذناهم سخريًا والمعنى اتخذناهم سخريًا. وأم
زاغت الأبصار على هذا: مالت عن النظر إليهم احتقارًا لهم. الثالث أن تكون أم منقطعة
بمعنى بل والهمزة فلا تعادل شيئًا مما قبلها ﴿إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ﴾ الإشارة إلى ما تقدم من حكاية
أقوال أهل النار ثم فسره بقوله: ﴿تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾ وإعراب تخاصم بدل من حق أو خير
مبتدأ مضمرة ﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ﴾ النبأ الخبر ويعني به ما تضمنته الشريعة من التوحيد
والرسالة والدار الآخرة، وقيل هو القرآن، وقيل هو يوم القيامة والأول أعم وأرجح ﴿مَا
كَانَ لِي مِن عِلْمٍ بِالْمَلَائِكَةِ الْأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ الملائكة هم الملائكة ومقصد الآية
الاحتجاج على نبوة محمد ﷺ لأنه أخبر بأمر لم يكن يعلمها قبل ذلك، والضمير في
يختصمون للملائكة الأعلى واختصاصهم هو في قصة آدم حين قال لهم إني جاعل في الأرض
خليفة حسبما تضمنته قص

خَلَقُ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُم سَجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَا بَلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ يَدَيَّ اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ خَلْقِنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتُم مِّن طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَأَخْرِجْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِن أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾

فقال يا محمد فيم يختصم الملائكة الأعلی فقال: «لا أدري قال في الكفارات وهي إسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا إلى المساجد» الحديث بطوله، وقيل الضمير في يختصمون للكفار: أي يختصمون في الملائكة الأعلی فيقول بعضهم هم بنات الله، ويقولون آخرون هم آلهة تعبد، وهذا بعيد ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾ إذ بدل من إذ يختصمون، وقد ذكرنا في البقرة معنى سجود الملائكة لآدم، ومعنى كفر إبليس وذكرنا في الحجر معنى قوله تعالى: ﴿مِن رُّوحِي﴾ ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي﴾ الضمير في قال الله عز وجل، وبإيدي من المتشابه الذي ينبغي الإيمان به وتسليم علم حقيقته إلى الله، وقال المتأولون هو عبارة عن القدرة، وقال القاضي أبو بكر بن الطيب: إن اليد والعين والوجه صفات زائدة على الصفات المتقررة، قال ابن عطية وهذا قول مرغوب عنه، وحكى الزمخشري أن معنى خلقت بيدي خلقت بغير واسطة ﴿اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ دخلت همزة الاستفهام على ألف الوصل فحذفت ألف الوصل، وأم هنا معادلة، والمعنى استكبرت الآن أم كنت قديمًا ممن يعلو ويستكبر، وهذا على جهة التوبيخ له ﴿رَجِيمٌ﴾ أي لعين مطرود ﴿إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ يعني القيامة، وقد تقدم الكلام على ذلك في الحجر ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ الياء للقسم، أقسم إبليس بعزة الله أن يغوي ابن آدم ﴿قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ الضمير في قال هنا الله تعالى، والحق الأول مقسم به وهو منصوب بفعل مضمَر كقولك الله لأفعلن، وجوابه لأملائك جهنم، وقرىء بالرفع وهو مبتدأ، أو خبر مبتدأ مضمَر تقديره الحق يميني، وأما الحق الثاني فهو مفعول بأقول، وقوله والحق أقول جملة اعتراض بين القسم وجوابه على وجه التأكيد للقسم ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ أي الذين

وَلَتَعْلَمَنَّ نَبَأُ بَعْدَ حِينٍ ﴿٨٨﴾

يتصنعون ويتحيلون بما ليسوا من أهله ﴿وَلَتَعْلَمَنَّ نَبَأُ بَعْدَ حِينٍ﴾ هذا وعيد أي لتعلمن صدق خبره بعد حين والحين يوم القيامة أو موتهم أو ظهور الإسلام يوم بدر وغيره.

سورة الزمر

مكية إلا الآيات ٥٢ و ٥٤

فمدنية وآياتها ٧٥ نزلت بعد سبأ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ﴾ تنزيل مبتدأ وخبره من الله أو خبر ابتداء مضمرة تقديره هذا تنزيل، ومن الله على هذا الوجه يتعلق بتنزيل أو يكون خبراً بعد خبر أو خبر مبتدأ آخر محذوف والكتاب هنا القرآن أو السورة واختار ابن عطية أن يراد به جنس الكتب المنزلة وأما الكتاب الثاني فهو القرآن باتفاق ﴿بِالْحَقِّ﴾ يحتمل معنيين أحدهما أن يكون معناه متضمنًا الحق، والثاني أن يكون معناه بالاستحقاق والوجوب ﴿مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ أي لا يكون فيه شرك أكبر ولا أصغر وهو الرياء ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ قيل معناه من حقه ومن واجبه أن يكون له الدين الخالص ويحتمل أن يكون معناه إن الدين الخالص هو دين الله وهو الإسلام الذي شرعه لعباده ولا يقبل غيره ومعنى الخالص الصافي من شوائب الشرك، وقال قتادة الدين الخالص شهادة أن لا إله إلا الله، وقال الحسن هو الإسلام وهذا أرجح لعمومه ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ يريد بالأولياء الشركاء المعبودين، ويحتمل أن يريد بالذين اتخذوا

لِيَقْرَبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَأَصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۗ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٤﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ۗ يَكُونُ أَيْلًا عَلَى النَّهَارِ وَيَكُونُ

الكفار العابدين لهم أو الشركاء المعبودين والأول أظهر لأنه يحتاج على الثاني إلى حذف الضمير العائد على الذين تقديره الذين اتخذوهم ويكون ضمير الفاعل في اتخذوا عائداً على غير المذكور وارتفاع الذين على الوجهين بالابتداء وخبره إما قوله إن الله يحكم بينهم أو المحذوف المقدر قبل قوله ما نعبدهم لأن تقديره يقولون ما نعبدهم والأول أرجح لأن المعنى به أكمل ﴿مَا تَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقْرَبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ هذه الجملة في موضع معمول قول محذوف والقول في موضع الحال أو في موضع بدل من صلة الذين، وقرأ ابن مسعود قالوا ما نعبدهم بإظهار القول أي يقول الكفار ما نعبد هؤلاء الآلهة إلا ليقربونا إلى الله ويشفعوا لنا عنده ويعني بذلك الكفار الذين عبدوا الملائكة أو الذين عبدوا الأصنام أو الذين عبدوا عيسى أو عزير فإن جميعهم قالوا هذه المقالة ومعنى زلفى قُربى فهو مصدر من يقربونا ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ إشارة إلى كذبهم في قولهم ليقربونا إلى الله وقوله لا يهدي في تأويله وجهان: أحدهما لا يهديه في حال كفره والثاني أن ذلك مخصص بمن قضى عليه بالموت على الكفر أعاذنا الله من ذلك وهذا تأويل: لا يهدي القوم الظالمين والكافرين حيثما وقع ﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَأَصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ الولد يكون على وجهين أحدهما بالولادة الحقيقية وهذا مُحال على الله تعالى لا يجوز في العقل والثاني التَّبَنِّي بمعنى الاختصاص والتقريب كما يتخذ الإنسان ولد غيره ولذا لإفراط محبته له وذلك ممتنع على الله بإخبار الشرع فإن قوله وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولداً يعلم نفي الوجهين فمعنى الآية على ما أشار إليه ابن عطية: لو أراد الله أن يتخذ ولداً على وجه التَّبَنِّي لاصطفى لذلك مما يخلق من موجوداته ومخلوقاته ولكنه لم يرد ذلك ولا فعله، وقال الزمخشري معناه: لو أراد الله اتخاذ الولد لامتنع ذلك ولكنه يصطفي من عباده ما يشاء على وجه الاختصاص والتقريب لا على وجه اتخاذه ولذا فاصطفى الملائكة وشرّفهم بالتقريب فعسب الكفار أنهم أولاده ثم زادوا على ذلك أن جعلوهم إناثاً فأفراطوا في الكفر والكذب على الله وملائكته ﴿سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ نزه تعالى نفسه من اتخاذ الولد ثم وصف نفسه بالواحد لأن الوحدانية تنافى اتخاذ الولد لأنه له كان له ولد لكان من جنسه ولا جنس له لأنه واحد ووصف نفسه بالعهَّار يبين على شيء من كل شيء مقهور تحت

النَّهَارَ عَلَى آتِلٍ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ
الْعَفُورُ ﴿٦﴾ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ
يَخْلُقْكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ۗ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمَلَكُ
لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآفَى تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾ ۚ إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ عَنَىٰ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ

قهره تعالى فكيف يكون شريكاً له ثم أتبع ذلك بما ذكره من خلقه السموات والأرض وما بينهما ليدل على وحدانيته وقدرته وعظمته ﴿يُكْوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ﴾ التكوير اللف واللفي ومنه كور العمامة التي يلتوي بعضها على بعض وهو هنا استعارة، ومعناه: على ما قال ابن عطية يعيد من هذا على هذا، فكان الذي يُطيل من النهار أو الليل يصير منه على الآخر جزءاً فيستره وكان الذي ينقص يدحل في الذي يطول فيستتر فيه ويحتمل أن يكون المعنى أن كل واحد منهما يغلب الآخر إذا طرأ عليه فشبهه في ستره له بثوب يلف على الآخر ﴿لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ يعني يوم القيامة ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ يعني آدم عليه السلام. ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ يعني حواء خلقها من ضلع آدم، فإن قيل: كيف عطف قوله ثم جعل على خلقكم بثم التي تقتضي الترتيب والمهلة ولا شك أن خلقه حواء كانت قبل خلقه بني آدم؟ فالجواب من ثلاثة أوجه: الأول وهو المختار أن العطف إنما هو على معنى قوله واحدة لا على خلقكم كأنه قال خلقكم من نفس كانت واحدة ثم خلق منها زوجها بعد وحدتها الثاني أن ثم لترتيب الأخبار لا لترتيب الوجود. الثالث أنه يعني بقوله خلقكم إخراج بني آدم من صلب أبيهم كالذر وكان ذلك قبل خلقه حواء ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾ يعني المذكورة في الأنعام من الضأن اثنين ومن المعز اثنين ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين وسمأها أزواجاً لأن الذكر زوج الأنثى والأنثى زوج الذكر وأما أنزل ففيه ثلاثة أوجه: الأول أن الله خلق أول هذه الأزواج في السماء ثم أنزلها. الثاني أن معنى أنزل قضى وقسم، فالإنزال عبارة عن نزول أمره وقضائه. الثالث أنه أنزل المطر الذي ينبت به نبات فتعيش منه هذه الأنعام فعبّر بإنزالها عن إنزال أرزاقها وهذا بعيد ﴿خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ﴾ يعني أن الإنسان يكون نطفة ثم علقه ثم مضغه إلى أن يتم خلقه ثم ينفخ فيه الروح ﴿فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾ هي البطن والرحم والمشيمة، وقيل صلب الأب والرحم والمشيمة والأول أرجح لقوله بطون أمهاتكم ولم يذكر الصلب ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ عَنَىٰ عَنْكُمْ﴾ أي لا يضربكم كفركم ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ تأول الأشعرية هذه الآية على وجهين: أحدهما أن الرضا بمعنى الإرادة ويعني بعباده من قضى الله له بالإيمان والوفاء عليه، فهو كقوله: ﴿إِنْ عِبَادِي

تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوًا إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِّيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ۗ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۗ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ﴿٨﴾ أَمَّنْ هُوَ قَانِثٌ ءَأَنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾ قُلْ يَعْبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى

لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ﴿[الحجر: ٤٢]﴾ والآخر أن الرضا غير الإرادة والعباد على هذا على العموم أي لا يرضى الكفر لأحد من البشر وإن كان قد أراد أن يقع من بعضهم فهو لم يرضه دينًا ولا شرعًا وأراده وقوعًا ووجودًا وأما المعتزلة فإن الرضا عندهم بمعنى الإرادة والعباد على العموم جريًا على قاعدتهم في القدر وأفعال العباد ﴿وَأَنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ هذا عموم والشكر الحقيقي يتضمن الإيمان ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ﴾ ذكر في الإسراء ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ﴾ الآية: يراد بالإنسان هنا الكافر بدليل قوله: ﴿وَتَجَعَلَ لَهُ أَنْدَادًا﴾ [سبأ: ٣٣]، والقصد بهذه الآية عتاب وإقامة حجة، فالعتاب على الكفر وترك دعاء الله وإقامة الحجّة على الإنسان بدعائه إلى الله في الشدائد، فإن قيل لِمَ قال هنا وإذا مسّ بالواو وقال بعدها فإذا مسّ بالفاء؟ فالجواب: أن الذي بالفاء مسبب عن قوله اشمازت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة فجاء بفاء السببية قاله الزمخشري وهو بعيد ﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ﴾ خوله أعطاه والنعمة هنا يحتمل أن يريد بها كشف الضرّ المذكور أو أيّ نعمة كانت ﴿نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوًا إِلَيْهِ مِن قَبْلُ﴾ يحتمل أن تكون ما مصدرية أي نسي دعاء أو تكون بمعنى الذي والمراد بها الله تعالى ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِثٌ﴾ بتخفيف الميم على إدخال همزة الاستفهام على من وقيل هي همزة النداء والأول أظهر، وقرئ بتشديدها على إدخال أم على من ومن مبتدأ وخبره محذوف وهو المعادل للاستفهام تقديره أم من هو قانت كغيره وإنما حذف لدلالة الكلام عليه وهو ما ذكر قبله وما ذكر بعده وهو قوله: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ﴾ والقنوت هنا بمعنى الطاعة والصلاة بالليل، وآتاء الليل ساعاته.

﴿قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ الآية نزلت في جعفر بن أبي طالب وأصحابه حين عزموا على الهجرة إلى أرض الحبشة ومعناها التانس لهم والتنشيط على الهجرة ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾ في هذه الدنيا حسنة ﴿يَحُلِّمْ﴾

الصَّابِرُونَ أَجْرُهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٥﴾ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿١٦﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ
 الْمُسْلِمِينَ ﴿١٧﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨﴾ قُلِ اللَّهُ أَعْبَدُ مُخْلِصًا لِذِي النِّبِيِّ ﴿١٩﴾ فَأَعْبُدُوا
 مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخَسِرَانُ
 الْمُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ هُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُمْ يَتَوَجَّهُونَ
 فَمَا تَقُولُونَ ﴿٢١﴾ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَمَنْ عَابِدِ ﴿٢٢﴾ الَّذِينَ
 يَسْمَعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمْ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿٢٣﴾ أَفَحَسْبُ

الدنيا لهم حسنة في الآخرة، أو يتعلق بحسنة والحسنة على هذا حسن الحال والعافية في الدنيا والأول أرجح ﴿وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ﴾ يراد البلاد المجاورة للأرض التي هاجروا منها والمقصود من ذلك الحض على الهجرة ﴿إِنَّمَا يُوقَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ هذا يحتمل وجهين أحدهما أن الصابر يوقى أجره ولا يحاسب على أعماله فهو من الذين يدخلون الجنة بغير حساب والثاني أن أجر الصابرين بغير حصر بل أكثر من أن يحصر بعدد أو وزن وهذا قول الجمهور ﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾ التلام هنا يجوز أن تكون زائدة أو للتعليل ويكون المفعول على هذا محذوف، فإن قيل: كيف عطف أمرت على أمرت والمعنى واحد؟ فالجواب أن الأول أمر بالعبادة والإخلاص والثاني أمر بالسبق إلى الإسلام فهما معنيان اثنان وكذلك قوله: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْبَدُ﴾ [الزمر: ١٤] ليس تكراراً لقوله أمرت أن أعبد الله لأن الأول إخبار بأنه مأمور بالعبادة والثاني إخبار بأنه يفعل العبادة وقدم اسم الله تعالى للحصر واختصاص العبادة به وحده ﴿فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ﴾ هذا تهديد ومبالغة في الخذلان والتخلية لهم على ما هم عليه ﴿ظُلَلٌ﴾ جمع ظل بالضم وهو ما غشي من فوق كالسقف فقوله من فوقهم بين وأما من تحتهم فسماء ظلّة لأنه سقف لمن تحتهم فإن جهنم طبقات وقيل سماء ظلّة لأنه يلتهب ويصعد من أسفلهم إلى فوقهم ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا﴾ قيل إنها نزلت في عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وسعد وسعيد وطلحة والزبير إذ دعاهم أبو بكر الصديق إلى الإيمان فآمنوا وقيل نزلت في أبي ذر وسلمان وهذا ضعيف لأن سلمان إنما أسلم بالمدينة والآية مكية والأظهر أنها عامة، والطاغوت كل ما عبد من دون الله، وقيل الشياطين ﴿الَّذِينَ يَسْمَعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ قيل يسمعون القول على العموم فيتبعون القرآن لأنه أحسن الكلام وقيل يسمعون القرآن فيتبعون بأعمالهم أحسنه من العفو الذي هو أحسن من الانتصار وشبه ذلك وقيل هو

حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنقِذُ مَنْ فِي النَّارِ ﴿١٩﴾ لَكِنَّ الَّذِينَ أَنْفَقُوا رِزْقَهُمْ لَهُمْ عُرْفٌ مِّنْ قَوْفِهَا
 عُرْفٌ مَّبْنِيَةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَّ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ
 مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعٌ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ
 يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٢١﴾ أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى
 نُورٍ مِّنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾ اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ
 الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِي تَفْشَعُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ

الذي يستمع حديثًا فيه حسن وقييح فيتحدث بالحسن ويكف عما سواه وهذا قول ابن عباس وهو الأظهر وقال ابن عطية هو عام في جميع الأقوال والقصد الثناء على هؤلاء ببصائر ونظر سديد يفرقون به بين الحق والباطل وبين الصواب والخطأ، فيتبعون الأحسن من ذلك، وقال الزمخشري مثل هذا المعنى ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنقِذُ مَنْ فِي النَّارِ﴾ فيها وجهان: أحدهما أن يكون الكلام جملة واحدة تقديره: أفمن حق عليه كلمة العذاب أنت تنقذه، فموضع من في النار موضع المضمرة، والهمزة في قوله أفأنت هي الهمزة التي في قوله أفمن وهي همزة الإنكار كررت للتأكيد، والثاني أن يكون التقدير أفمن حق عليه كلمة العذاب تتأسف عليه فحذف الخبر ثم استأنف قوله أفأنت تنقذ من في النار، وعلى هذا يوقف على العذاب، والأول أرجح لعدم الإضمار ﴿فَسَلَكَهُ يَنَابِيعٌ فِي الْأَرْضِ﴾ معنى سلكه أدخله وأجراه والينابيع جمع ينبوع وهو العين، وفي هذا دليل على أن ماء العيون من المطر ﴿مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ﴾ أي أصنافه كالقمح والأرز والبقول وغير ذلك، وقيل ألوانه الخضرة والحمرة وشبه ذلك، وفي الوجهين دليل على الفاعل المختار ورد على أهل الطبائع ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ تقديره أفمن شرح الله صدره كالقاسي قلبه، ورؤي أن الذي شرح الله صدره للإسلام علي بن أبي طالب وحمزة، والمراد بالقاسية قلوبهم أبو لهب وأولاده، واللفظ أعم من ذلك ﴿مَنْ ذَكَرَ اللَّهَ﴾ قال الزمخشري من هنا سببية أي قلوبهم قاسية من أجل ذكر الله، وهذا المعنى بعيد، ويحتمل عندي أن يكون قاسية تضمن معنى خالية، فلذلك تعدى بمن، والمعنى أن قلوبهم خالية من ذكر الله ﴿اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾ يعني القرآن ﴿كِتَابًا﴾ بدل من أحسن أو حال منه ﴿مُتَشَابِهًا﴾ معناه هنا أنه يشبه بعضه بعضًا في الفصاحة والنظم والاحتشاش في ألفه تناقض ولا اختلاف

﴿مَّثَانِي﴾ جمع مثان أي نسي فيه العصص وكررها، ويحتمل أن يكون مشتقًا من الثناء، لأنه

وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكِ اللَّهُ يَهْدِي بِهٖ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضَلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ ﴿٢٧﴾
 أَفَمَن يَتَّبِعِ بَوَّجِهَهُ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٨﴾ كَذَّبَ
 الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَنذَرْنَاهُمُ الْعَذَابَ مَن حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَذَانَهُمُ اللَّهُ لَخِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
 وَالْعَذَابِ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ
 لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٣١﴾ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ

يشني فيه على الله، فإن قيل: مثاني جمع فكيف وصف به المفرد؟ فالجواب: أن القرآن ينقسم فيه إلى سور وآيات فهو جمع بهذا الاعتبار، ويجوز أن يكون كقولهم برمة أعشار، وثوب أخلاق، أو يكون تمييزاً من أمثابها كقولك حسن شمائل ﴿ثُمَّ تَلِينَ جُلُودَهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ إن قيل: كيف تعدى تلين بالي؟ فالجواب أنه تضمن معنى فعل تعدى بالي كأنه قال تميل أو تسكن أو تطمنن قلوبهم إلى ذكر الله. فإن قيل: لِمَ ذَكَرْتَ الْجُلُودَ أَوْلَىٰ وَحدها ثم ذكرت القلوب بعد ذلك معها؟ فالجواب: أنه لما قال أولاً تقشعرت ذكر الجلود وحدها، لأن القشعريرة من وصف الجلود لا من وصف غيرها، ولما قال ثانياً تلين ذكر الجلود والقلوب، لأن اللين توصف به الجلود والقلوب: أما لين القلوب فهو ضد قسوتها وأما لين الجلود فهو ضد قشعريرتها فاقشعرت أولاً من الخوف، ثم لانت بالرجاء ﴿ذَلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ﴾ يحتمل أن تكون الإشارة إلى القرآن أو إلى الخشية واقشعرار الجلود ﴿أَفَمَن يَتَّبِعِ بَوَّجِهَهُ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ الخبر محذوف كما تقدم في نظائره تقديره أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب كمن هو آمن من العذاب، ومعنى يتقي يلقي النار بوجهه ليكفها عن نفسه، وذلك أن الإنسان إذا لقي شيئاً من المخاوف استقبله بيديه، وأيدي هؤلاء مغلولة، فاتقوا النار بوجوههم ﴿ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ أي ذوقوا جزاء ما كنتم تكسبون من الكفر والعصيان ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ نصب على الحال أو بفعل مضمرة على المدح ﴿غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾ أي ليس فيه تضاد ولا اختلاف ولا عيب من العيوب التي في كلام البشر، وقيل معناه غير مخلوق وقيل غير ذي لحن، فإن قيل: لِمَ قال غير ذي عوج ولم يقل غير معوج؟ فالجواب: أن قوله غير ذي عوج أبلغ في نفي العوج عنه كأنه قال ليس فيه شيء من العوج أصلاً ﴿رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ﴾ أي متنازعون متظالمون، وقيل متشاجرون وأصله من قولك رجل شكس إذا كان ضيق الصدر، والمعنى ضرب هذا المثل لبيان حال من يشرك بالله ومن يوحد، فشبّه المشرك بمملوك بين جماعة من الشركاء يتنازعون فيه، والمملوك بينهم في أسوأ حال وشبه من يوحد الله بمملوك لرجل واحد، فمعنى قوله: ﴿سَالِمًا

مُتَشَكِّمُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّكَ مِثٌّ
وِلَهُمْ مِثُّونَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٢٣﴾ * فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ
كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ ۗ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَالَّذِي جَاءَ
بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ۖ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٢٥﴾ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ جَزَاءُ
الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٦﴾ لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي
كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ۗ وَمَنْ يُضْلِلِ
اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٢٨﴾ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ ﴿٢٩﴾ وَلَئِنْ
سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ
أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّيهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَتُ رَحْمَتِهِ ۗ قُلْ

لِرَجُلٍ ﴿٢١﴾ أي خالصًا له وقرىء سلمًا بغير ألف والمعنى واحد ﴿إِنَّكَ مِثٌّ وَإِنَّهُمْ مِثُّونٌ﴾ في
هذا وعد للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ووعيد للكفار فإنهم إذا ماتوا جميعًا وصاروا إلى
الله فاز من كان على الحق وهلك من كان على الباطل وفيه أيضًا إخبار بأنه ﷺ سيموت
لثلاثا يختلف الناس في موته كما اختلفت الأمم في غيره وقد جاء أنه لما مات ﷺ أنكروا
عمر بن الخطاب رضي الله عنه موته حتى احتج عليه أبو بكر الصديق بهذه الآية فرجع إليها
﴿تَخْتَصِمُونَ﴾ قيل يعني الاختصام في الدماء وقيل في الحقوق والأظهر أنه اختصام
النبي ﷺ مع الكفار في تكذيبهم له فيكون من تمام ما قبله ويحتمل أن يكون على العموم
في اختصام الخلائق فيما بينهم من المظالم وغيرها ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ﴾
المعنى لا أحد أظلم ممن كذب على الله ويريد بالكذب على الله هنا ما نسبوا إليه من
الشركاء والأولاد ﴿وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ﴾ أي كذب بالإسلام والشريعة ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ
وَصَدَّقَ بِهِ﴾ قيل الذي جاء بالصدق النبي ﷺ والذي صدق به أبو بكر وقيل الذي جاء
بالصدق جبريل والذي صدق به محمد ﷺ وقيل الذي جاء بالصدق الأنبياء والذي صدق به
المؤمنون واختار ابن عطية أن يكون على العموم وجعل الذي للجنس كأنه قال الفريق الذي
لأنه في مقابلة من كذب على الله وكذب بالصدق والمراد به العموم ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ
عَبْدَهُ﴾ تقوية لقلب محمد صلى الله عليه وآله وسلم وإزالة للخوف الذي كان الكفار
يخوفونه ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ﴾ الآية احتجاج على التوحيد وردة على المشركين ﴿هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ
ضُرِّيهِ﴾ الآية ردة على المشركين

حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ يَا قَوْمِ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَاتِبِكُمْ إِنِّي عَمِلْتُ
 فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ
 الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَا أَنْتَ
 عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فِيمَسْكُ
 الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأَخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ
 يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوْلُو كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا
 يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا ۗ اللَّهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾
 وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ

رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم من ألتهم فنزلت الآية مبينة أنهم لا يعقدون
 على شيء، فإن قيل: كيف قال كاشفات ومحسكات بالثاني؟ فالجواب أنها لا تعقل
 فعاملها معاملة المؤنثة وأيضا ففي ثانيها تحقير لها وتهكم بمن عبدها ﴿اعملوا على
 مكاتبتكم﴾ تهديد ومسالمة منسوخة بالسيف ﴿بالحق﴾ ذكر في أول السورة ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى
 الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ هذه الآية اعتبار ومعناها أن الله يتوفى النفوس
 على وجهين: أحدهما وفاة كاملة حقيقية وهي الموت، والآخر وفاة النوم لأن التكلم
 كالصمت في كونه لا يبصر ولا يسمع ومنه قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ﴾
 [الأنعام: ٦٠] وتقديرها ويتوفى الأنفس التي لم تمت في منامها ﴿فِي مَسْكٍ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا
 الْمَوْتَ﴾ أي يمسك الأنفس التي قضى عليها الموت الحقيقي ومعنى إمساكها أنه لا يردّها
 إلى الدنيا ﴿وَيُرْسِلُ الْأَخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أي يرسل الأنفس النائمة وإرسالها هو ردها
 إلى الدنيا، والأجل المسمى هو أجل الموت الحقيقي، وقد تكلم الناس في النفس والروح
 وأكثروا القول في ذلك بالظن دون تحقيق، والصحيح أن هذا مناسأله الله يعلمه القولة:
 ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الإسراء: ٨٥] ﴿أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ﴾ أم هنا بمعنى
 بل وهمزة الإنكار والشفعاء هم الأصنام وغيرها، لقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله ﴿قُلْ أَوْلُو
 كَانُوا﴾ دخلت همزة الاستفهام على واو الحال تقديره يشفعون وهم لا يملكون شيئا ولا
 يعقلون ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾ أي هو مالكها، فلا يشفع أحد إلا بإذنه وفي هذا رد
 على الكفار في قولهم إن الأصنام تشفع لهم ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ﴾ الآية: معناه أن الكفار

إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾ قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلِيمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ
 بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ
 مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَأَ لَهُمْ مِنْ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ وَبَدَأَ
 لَهُمْ سَيِّئَاتٍ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٤٨﴾ فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا
 ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّا أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ قَدْ
 قَالُوا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَمَا أَعْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ
 ظَلَمُوا مِنْ هَتُولَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا لَهُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ
 يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ قُلْ يَتَّبِعُوا الَّذِينَ

يكرهون توحيد الله ويحبون الإشراك به، ومعنى اشمازت انقبضت من شدة الكراهة، وزوي ان هذه الآية نزلت حين قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سورة النجم، فالقى الشيطان في أمنيته حسبما ذكرنا في الحج، فاستبشر الكفار بما ألقى الشيطان من تعظيم اللات والعزى، فلما أذهب الله ما ألقى الشيطان استكبروا واشمازوا ﴿وَبَدَأَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ أي ظهر لهم يوم القيامة خلاف ما كانوا يظنون ظنوناً كاذبة. قال الزمخشري: المراد بذلك تعظيم العذاب الذي يصيبهم أي ظهر لهم من عذاب الله ما لم يكن في حسابهم فهو كقوله في الوعد: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧] وقيل معناه عملوا أعمالاً حسبوها حسناً، فإذا هي سيئات وقال الحسن: ويل لأهل الربا من هذه الآية وهذا على أنها في المسلمين والظاهر أنها في الكفار ﴿وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ معنى حاق حل ونزل وقال ابن عطية وغيره إن هذا على حذف مضاف تقديره حاق بهم جزاء ما كانوا به يستهزئون، ويحتمل أن يكون الكلام دون حذف وهو أحسن، ومعناه حاق بهم العذاب الذي كانوا به يستهزئون لأنهم كانوا في الدنيا يستهزئون، إذا خوفوا بعذاب الله، ويقولون متى هذا الوعد ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ يحتمل وجهين أحدهما وهو الأظهر: أن يريد على علم مني بالمكاسب والمنافع، والآخر على علم الله باستحقاقه لذلك وإنما هنا تحتمل وجهين: أحدهما وهو الأظهر: أن تكون ما كافة وعلى علم في موضع الحال، والآخر أن تكون ما اسم إن وعلى علم خبرها وإنما قال أوتيته بالضمير المذكور وهو عائد على النعمة للحمل على المعنى ﴿بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ﴾ رد على الذي قال إنما أوتيته على

أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ
 الرَّحِيمُ ﴿٥٦﴾ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ ﴿٥٧﴾
 وَأَتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا
 تَشْعُرُونَ ﴿٥٨﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتٍ عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّخِرِينَ ﴿٥٩﴾

﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾ قال علي بن أبي طالب وابن مسعود هذه أرجى آية في القرآن، ورؤي أن رسول الله صلى الله تعالى عليه واله وسلم قال: «ما أحب أن لي الدنيا وما فيها» بهذه الآية، واختلف في سببها فقيل نزلت في وحشي قاتل حمزة، لما أراد أن يسلم وخاف أن لا يغفر له ما وقع فيه من قتل حمزة وقيل نزلت في قوم آمنوا ولم يهاجروا، ففتنوا فافتتنوا ثم ندموا وظنوا أنهم لا توبة لهم، وهذا قول عمر بن الخطاب: وقد كتب بها إلى هشام بن العاصي، لما جرى له ذلك وقيل نزلت في قوم من أهل الجاهلية، قالوا: ما ينفعنا الإسلام لأننا قد زينا، وقتلنا النفوس فنزلت الآية فيهم ومعناها مع ذلك على العموم في جميع الناس إلى يوم القيامة على تفصيل نذكره وذلك أن الذين أسرفوا على أنفسهم إن أراد بهم الكفار فقد اجتمعت الأمة على أنهم إذا أسلموا غفر لهم كفرهم وجميع ذنوبهم لقوله صلى الله عليه وآله وسلم الإسلام يجب ما قبله، وأنهم إن ماتوا على الكفر فإن الله لا يغفر لهم بل يخلدهم في النار وإن أراد به العصاة من المسلمين فإن العاصي إذا تاب غفر له ذنوبه، وإن لم يتب فهو في مشيئة الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له فالمغفرة المذكورة في هذه الآية، يحتمل أن يريد بها المغفرة للكفار إذا أسلموا أو للعصاة إذا تابوا أو للعصاة وإن لم يتوبوا إذا تفضل الله عليهم بالمغفرة، والظاهر أنها نزلت في الكفار وأن المغفرة المذكورة هي لهم إذا أسلموا والدليل على أنها في الكفار ما ذكر بعدها إلى قوله: ﴿قَدْ جَاءكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ يعني اتبعوا القرآن وليس المعنى أن بعض القرآن من بعض لأنه حسن كله. إنما المعنى أن يتبعوا بأعمالهم ما فيه من الأوامر، ويجتنبوا ما فيه من النواهي فالتفضيل الذي يقتضيه أحسن إنما هو في الاتباع وقيل يعني اتبعوا الناسخ دون المنسوخ وهذا بعيد ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ﴾ في موضع مفعول من أجله تقديره كراهة أن تقول نفس وإنما ذكر النفس لأن المراد بها بعض الأنفس وهي نفس الكفار ﴿فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾ أي في حق الله وقيل في أمر الله وأصله من الجنب بمعنى الجانب ثم استعير لهذا المعنى ﴿السَّخِرِينَ﴾ أي المستهزئين ﴿بَلَى﴾ جواب للنفس التي حكى كلامها

أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَاءَ نَكَأً يَتِي فَكَذَّبَتْ بِهَا وَاسْتَكْبَرَتْ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٥٩﴾ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٣﴾ قُلْ أَغْفِرَ اللَّهُ تَأْمُرُونَنِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِن أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ

ولا يجاوب ببلى إلا النفي وهي هنا جواب لقوله لو أن الله هداني لكنت من المتقين لأنه في معنى النفي لأن لو حرف امتناع وتقرير والجواب بل قد جاءك الهدى من الله بإرساله الرُّسُل وإنزاله الكتب وقال ابن عطية هي جواب لقوله لو أن لي كَرَّةً فإن معناه يقتضي أن العمر يتسع للنظر فقيل له بلى على وجه الردّ عليه والأول أليق بسياق الكلام لأن قوله قد جاءتك آياتي تفسير لما تضمنته بلى ﴿وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾ يحتمل أن يريد سواد اللون حقيقة أو يكون عبارة عن شدة الكرب ﴿بِمَفَازَتِهِمْ﴾ أصله من الفوز والتقدير بسبب فوزهم وقيل معناه بفضائلهم ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ أي قائم بتدبير كل شيء ﴿مَقَالِيدُ﴾ مفاتيح وقيل خزائن واحدها مقلد وقيل إقليد وقيل لا واحد لها من لفظها وأصلها كلمة فارسية. وقال عثمان بن عفان سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن مقاليد السموات والأرض فقال هي لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله وأستغفر الله هو الأول والآخر والظاهر والباطن بيده الخير يُحيي ويميت وهو على كل شيء قدير فإن صح هذا الحديث فمعناه أن من قال هذه الكلمات صادقاً مخلصاً نال الخيرات والبركات من السموات والأرض لأن هذه الكلمات توصل إلى ذلك فكأنها مفاتيح له ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الآية قال الزمخشري إنها متصلة بقوله ويُنجي الله الذين اتقوا بمفازتهم وما بينهما من الكلام اعتراض ﴿أَغْفِرَ اللَّهُ﴾ منصوب ﴿تَأْمُرُونَنِي﴾ حذفت إحدى النونين تخفيفاً وقرىء بإدغام إحدى النونين في الأخرى ﴿لئن أشركت ليحبطن عملك﴾ دليل على إحباط عمل المرتد مطلقاً خلافاً للشافعي في قوله لا يحبط عمله إلا إذا مات على الكفر فإن قيل الموحى إليهم جماعة والخطاب بقوله لئن أشركت لواحد: فالجواب أنه أوحى إلى كل واحد منهم على حدّته،

مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٥﴾ بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٦﴾ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٧﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نَفَخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴿١٨﴾ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِئَتْ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَوَقَّيْتُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهَا فَتَحَتْ أَبْوَابَهَا

فالجواب أن ذلك على وجه الفرض والتقدير أي لو وقع منهم شرك لحبطت أعمالهم لكنهم لم يقع منهم شرك بسبب العصمة ويحتمل أن يكون الخطاب لغيرهم وخوطبوا هم ليبدل المعنى على غيرهم بالطريق الأولى ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ أي ما عظموه حق تعظيمه ولا وصفوه بما يجب له ولا تزوهه عما لا يليق به والضمير في قدروا لقريش وقيل لليهود ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ المقصود بهذا تعظيم جلال الله والرد على الكفار الذين ما قدروا الله حق قدره ثم اختلف الناس فيها كاختلافهم في غيرها من المشكلات فقالت المتأولة إن القبض واليمين عبارة عن القدرة وقال ابن الطيب إنها صفة زائدة على صفات الذات وأما السلف الصالح فسلموا علم ذلك إلى الله ورأوا أن هذا من المتشابه الذي لا يعلم علم حقيقته إلا الله وقد قال ابن عباس ما معناه إن الأرض في قبضته والسموات مطويات كل ذلك بيمينه، وقال ابن عمر ما معناه: إن الأرض في قبضة اليد الواحدة والسموات مطويات باليمين الأخرى لأن كلتا يديه يمين ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ هو القرن الذي ينفخ فيه إسرافيل وهذه النفخة نفخة الصبغ وهو الموت وقد قيل إن قبلها نفخة الفزع ولم تذكر في هذه الآية ﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ قيل يعني جبريل وإسرافيل وميكائيل وملك الموت ثم يُميتهم الله بعد ذلك وقيل استثناء الأنبياء وقيل الشهداء ﴿ثُمَّ نَفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ﴾ هي نفخة القيام ﴿قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ قيل إنه من النظر وقيل من الانتظار أي ينتظرون ما يفعل بهم ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ﴾ يعني صحائف الأعمال وإنما وحدها لأنه أزاها الجنس وقيل هو اللوح المحفوظ ﴿وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ﴾ ليشهدوا على قومهم ﴿وَالشُّهَدَاءَ﴾ يحتمل أن يكون جمع شاهد أو جمع شهيد في سبيل الله والأول أرجح لأن فيه الوعيد معنى ولأنه أليق بالذكر الأنبياء الشاهدين والمراد على هذا أمة محمد ﷺ لأنهم يشهدون على الناس وقيل يعني الملائكة الحفظة ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ الضمير لجميع الخلق ﴿زُمَرًا﴾ في الموضوعين جمع زمرة

وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلِّمُوا عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدُّهُ وَأَوْثَقْنَا الْأَرْضَ نَتَّبِعُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنَعَمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٧٤﴾ وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٥﴾

وهي الجماعة من الناس وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أول زمرة يدخلون الجنة وجوههم على مثل القمر ليلة البدر والزمرة الثانية على مثل أشد نجم في السماء إضاءة ثم هم بعد ذلك منازل ﴿خَزَنَتُهَا﴾ جمع خازن حيث وقع ﴿كَلِمَةُ الْعَذَابِ﴾ يعني القضاء السابق بعذابهم ﴿وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ إنما قال في الجنة وفتحت أبوابها بالواو وقال في النار فتحت بغير واو لأن أبواب الجنة كانت مفتحة قبل مجيء أهلها والمعنى حتى إذا جاؤوها وأبوابها مفتحة فالواو واو الحال وجواب إذا على هذا محذوف وأما أبواب النار فإنها فتحت حين جاؤوها فوقع قوله فتحت جواب الشرط فكأنه بغير واو وقال الكوفيون الواو في أبواب الجنة واو الثمانية لأن أبواب الجنة ثمانية وقيل الواو زائدة وفتحت هو الجواب ﴿وَأَوْثَقْنَا الْأَرْضَ﴾ يعني أرض الجنة والوراثه هنا استعارة كأنهم ورثوا موضع من لم يدخل الجنة ﴿نَتَّبِعُ﴾ أي ننزل من الجنة حيث نشاء ونتخذ مسكنًا ﴿حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ﴾ أي محققين به دائرين حوله ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ الضمير لجميع الخلق كالموضع الأول، ويحتمل هنا أن يكون للملائكة والقضاء بينهم توفية أجورهم على حسب منازلهم ﴿وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ يحتمل أن يكون القائل لذلك الملائكة أو جميع الخلق أو أهل الجنة: لقوله ﴿وَأَخْرَجُواهُمْ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ﴾ [يونس: ١٠].

سورة غافر

مكية إلا آيتي ٥٦ و ٥٧
فمدنيتان وآياتها ٨٥ نزلت بعد الزمر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمَّ ١ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ٢ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطُّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهُ الْمَصِيرِ ٣ مَا يُجَدَّلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرَكَ تَقَلُّبُهُمْ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿حم﴾ تقدّم الكلام على حروف الهجاء، وتختص حم بأن معناها: حم الأمر، أي قضي، وقال ابن عباس «الر» و«حم» و«ن» هي حروف الرحمن ﴿تنزيل الكتاب﴾ ذكر في الزمر ﴿ذي الطول﴾ أي ذي الفضل والإنعام، وقيل الطول الغنى والسعة ﴿فلا يغررك تقلبهم في البلاد﴾ جعل لا يغررك بمعنى لا يحزنك ففيه تسلية للنبي ﷺ ووعيد للكفار ﴿والأحزاب﴾ يراد بهم عاد وثمود وغيرهم ﴿ليأخذوه﴾ أي ليقتلوه ﴿ليذحضوا﴾ أي ليطلوا به الحق ﴿حقت كلمت ربك﴾ أي وجب قضاؤه ﴿ومن حوله﴾ عطف على الذين يحملون ﴿ويؤمنون به﴾ إن قيل ما فائدة قوله ويؤمنون به، ومعلوم أن حملة العرش ومن حوله يؤمنون بالله؟ فالجواب أن ذلك إظهار لفضيلة الإيمان وشرفه، قال ذلك الزمخشري، وقال إن فيه فائدة أخرى وهي أن معرفة حملة العرش بالله تعالى من طريق النظر والاستدلال كسائر الخلق لا بالرؤية، وهذه نزعت إلى مذهب المعتزلة في استحالة رؤية الله ﴿وسعت كل﴾

فِي الْيَلْدِ ﴿٤﴾ كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْرَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَدَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٥﴾ وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٦﴾ الَّذِينَ يَجْمَلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ ءَابَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا ينادونَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾ قَالُوا رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَأَخْيَبْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى

شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا ﴿٤﴾ أصل الكلام وسعت رحمتك وعلمك كل شيء، فالسعة في المعنى مسندة إلى الرحمة والعلم وإنما أسندتا إلى الله تعالى في اللفظ لقصد المبالغة في وصف الله تعالى بهما كان ذاته رحمة وعلم واسعان كل شيء ﴿٥﴾ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ ﴿٥﴾ يحتتمل أن يكون المعنى قِهِمُ السَّيِّئَاتِ نفسها بحيث لا يفعلونها أو يكون المعنى قِهِمُ جِزَاءِ السَّيِّئَاتِ فلا تؤاخذهم بها ﴿٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا ينادونَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ ﴿٨﴾ المقْتُ البغض الذي يوجبه ذنب أو عيب وهذه الحال تكون للكفار عند دخولهم النار فإنهم إذا دخلوها مقتوا أنفسهم أي مقت بعضهم بعضاً ويحتتمل أن يمقت كل واحد منهم نفسه فتناديهم الملائكة وتقول لهم مقت الله لكم في الدنيا على كفركم أكبر من مقتكم أنفسكم اليوم فقله لمقت الله مصدر مضاف إلى الفاعل وحذف المفعول لدلالة مفعول مقتكم عليه وقوله إذ تدعون ظرف العامل فيه مقت الله عاماً من طريق المعنى ويمتنع أن يعمل فيه من طريق قوانين النحو لأن مقت الله مصدر فلا يجوز أن يفصل بينه وبين بعض صلته فيحتاج أن يقدر للظرف عامل وعلى هذا أجاز بعضهم الوقف على قوله أنفسكم والابتداء بالظرف وهذا ضعيف لأن المراعى المعنى وقد جعل الزمخشري مقت الله عاماً في الظرف ولم يعتبر الفصل ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَأَخْيَبْتَنَا اثْنَتَيْنِ﴾ هذه الآية كقوله: ﴿وَكُنْتُمْ أََمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨] فالموتة الأولى عبارة عن كونهم عدماً أو كونهم في الأصلاب أو في الأرحام، والموتة الثانية الموت المعروف والحياة الأولى حياة الدنيا، والحياة الثانية حياة الباطن في القيامة وفي الحياة الأولى حياة الدنيا والثانية الحياة في القبر،

خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَلِن يُّشْرِكَ بِهِ يُؤْمِنُونَ
فَلْيَكْفُرُوا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ﴿١٢﴾ هُوَ الَّذِي يُرِيكُم آيَاتِهِ وَيُنَزِّل لَكُم مِّن السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا
يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿١٤﴾ رَفِيعُ
الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِن أَمْرِهِ عَلَى مَن يَشَاءُ مِن عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُمْ
بَبْرُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ الْيَوْمَ نُخْرِجُ كُلَّ نَفْسٍ
والموتة الأولى الموت المعروف، والموتة الثانية بعد حياة القبر، وهذا قول فاسد لأنه لا بد
من الحياة للبعث فتجيء الحياة ثلاث مرات فإن قيل كيف اتصال قولهم أمثنا اثنتين وأحييتنا
اثنتين بما قبله فالجواب أنهم كانوا في الدنيا يكفرون بالبعث فلما دخلوا النار مقتوا أنفسهم
على ذلك فأقروا به حينئذ ليرضوا الله بإقرارهم حينئذ فقولهم أمثنا اثنتين وأحييتنا اثنتين إقرار
بالبعث على أكمل الوجوه طمعاً منهم أن يخرجوا عن المقت الذي مقتهم الله إذ كانوا
يدعون إلى الإسلام فيكفرون ﴿فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا﴾ الفاء هنا رابطة معناها التسبب، فإن قيل
كيف يكون قولهم أمثنا اثنتين وأحييتنا اثنتين سبباً لاعترافهم بالذنوب؟ فالجواب أنهم كانوا
كافرين بالبعث فلما رأوا الإمامة والإحياء قد تكرّر عليهم علموا أن الله قادر على البعث
فاعترفوا بذنوبهم وهي إنكار البعث وما أوجب لهم إنكاره من المعاصي فإن من لم يؤمن
بالآخرة لا يبالي بالوقوع في المعاصي ﴿ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ﴾ الباء سببية
للتعليل والإشارة بذلك يحتمل أن تكون للعذاب الذي هم فيه أو إلى مقت الله لهم أو مقتهم
لأنفسهم والأحسن أن تكون إشارة إلى ما يقتضيه سياق الكلام وذلك أنهم لما قالوا فهل إلى
خروج من سبيل كأنهم قيل لهم لا سبيل إلى الخروج فالإشارة بقوله ذلكم إلى عدم
خروجهم من النار ﴿يُرِيكُم آيَاتِهِ﴾ يعني العلامات الدالة عليه من مخلوقاته ومعجزات رُسُلِهِ
﴿وَيُنَزِّل لَكُم مِّن السَّمَاءِ رِزْقًا﴾ يعني المطر ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ﴾ يحتمل أن يكون المعنى
مرتفع الدرجات فيكون بمعنى العالي أو رافع درجات عباده في الجنة وفي الدنيا ﴿يُلْقِي
الرُّوحَ﴾ يعني الوحي ﴿مِن أَمْرِهِ﴾ يحتمل أن يريد الأمر الذي هو واحد الأمور أو الأمر
بالخبر فعلى الأول تكون من للتبعيض أو لابتداء الغاية وعلى الثاني تكون لابتداء الغاية أو
بمعنى الباء ﴿يَوْمَ التَّلَاقِ﴾ يعني يوم القيامة وسمي بذلك لأن الخلائق يلتقون فيه وقيل لأنه
يلتقي فيه أهل السموات والأرض وقيل لأنه يلتقي الخلق مع ربهم، والفاعل في ينذر ضمير
يعود على مَن يشاء أو على الروح أو على الله ﴿لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾ هذا من كلام الله تعالى
تقريباً للخلق يوم القيامة فيجيئونه ويقولون لله الواحد القهار وقيل بل هو الذي يجيب نفسه

بِمَا كَسَبَتْ لَأُظْلَمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٧﴾ وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْأَرْزَاقِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى
الْحَنَاجِرِ كَظْمِينَ مِمَّا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعَ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي
الضُّدُورُ ﴿١٩﴾ وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ
الْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ
أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَعَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ﴿٢١﴾
ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ
الْعِقَابِ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَمْعَانَ وَقَارُونَ
فَقَالُوا سَحَرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا
مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي
أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴿٢٦﴾ وَقَالَ

لأن الخلق يسكتون هيبة له وقيل إن القائل لمن الملك اليوم ملك ﴿يَوْمَ الْأَرْزَاقِ﴾ يعني
القيامة ومعناه القربة ﴿إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ﴾ معناه أن القلوب قد صعدت من الصدور
لشدة الخوف حتى بلغت الحناجر فيحتمل أن يكون ذلك حقيقة أو مجاز عبر به عن شدة
الخوف والحناجر جمع حنجرة وهي الحلق ﴿كَآظِمِينَ﴾ أي محزونين حزناً شديداً كقوله
فهو كظيم وقيل معناه يكظمون حزنهم أي يطمعون أن يخفوه والحال تغلبهم وانتصابه على
الحال من أصحاب القلوب لأن معناه قلوب الناس أو من المفعول في أنذرهم أو من
القلوب وجمعها جمع المذكور لما وصفها بالكظم الذي هو من أفعال العقلاء ﴿مِمَّا لِلظَّالِمِينَ
مِنْ حَمِيمٍ﴾ أي صديق مشفق ﴿وَلَا شَفِيعَ يُطَاعُ﴾ يحتمل أن يكون نفي الشفاعة وطاعة
الشفيع أو نفي طاعة الشفيع خاصة، كقولك ما جاءني رجل صالح فنفيت الصلاح وإن كان
قد جاءك رجل غير صالح، والأول أحسن لأن الكفار ليس لهم من يشفع فيهم ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ
الْأَعْيُنِ﴾ أي استراق النظر والخائنة مصدر بمعنى الخيانة أو وصف للنظرة وهذا الكلام
متصل بما تقدم من ذكر الله واعتراض في أثناء ذلك بوصف القيامة لما استترد إليه من قوله
لينذر يوم التلاق ﴿وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ حجة ظاهرة وهي المعجزات ﴿قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ
آمَنُوا مَعَهُ﴾ هذا القتل غير القتل الذي كانوا يقتلون أولاً قبل ميلاد موسى ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ
ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ﴾ ولا يخاف من ذلك

مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِّنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٧٧﴾ وَقَالَ رَجُلٌ
 مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ
 مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ
 اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَابٌ ﴿٧٨﴾ يَقَوْمُ لَكُمْ الْمَلَكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ
 يَنْصُرُنَا مِنَ بَاسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ
 الرَّشَادِ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ يَقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ﴿٨٠﴾ مِثْلَ دَابِ قَوْمِ نُوحٍ

إن قتله، ويظهر من قوله ذروني أنه كان في الناس من ينازعه في قتل موسى، وذلك يدل
 على أن فرعون كان قد اضطرب أمره بظهور معجزات موسى ﴿أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ
 الْفَسَادَ﴾ يعني فساد أحوالهم في الدنيا، وقرىء وأن يظهر بالواو وبأو ويظهر بفتح الياء ورفع
 الفساد على الفاعلية وبضم الياء ونصب الفساد على المفعولية ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ﴾
 الآية لما سمع موسى ما هم به فرعون من قتله استعاذ بالله فعصمه الله منه، وقال من كل
 متكبر ليشمل فرعون وغيره وليكون فيه وصف لغير فرعون بذلك الوصف القبيح ﴿وَقَالَ
 رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ قيل اسم هذا الرجل حبيب وقيل حزقيل، وقيل شمعون بالشين
 المعجمة، ورؤي أن هذا الرجل المؤمن كان ابن عم فرعون، فقوله من آل فرعون صفة
 للمؤمن، وقيل كان من بني إسرائيل، فقوله من آل فرعون على هذا يتعلق بقوله يكتم
 إيمانه، والأول أرجح لأنه لا يحتاج فيه إلى تقديم وتأخير، ولقوله: ﴿فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَاسِ
 اللَّهِ﴾ لأن هذا كلام قريب شفيق، ولأن بني إسرائيل حينئذ كانوا أذلاء بحيث لا يتكلم أحد
 منهم بمثل هذا الكلام، و﴿أَنْ يَقُولَ﴾ في موضع المفعول من أجله تقديره أتقتلونه من أجل
 أن يقول ربّي الله ﴿وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ﴾ أي إن كان موسى كاذبًا في دعوى الرسالة
 فلا يضرّكم كذبه، فلاي شيء تقتلونه، فإن قيل: كيف قال وإن يك كاذبًا بعد أن كان قد
 آمن به؟ فالجواب أنه لم يقل ذلك على وجه التكذيب له وإنما قاله على وجه الفرض
 والتقدير، وقصد بذلك المحاجة لقومه، فقسم أمر موسى إلى قسمين، ليقيم عليه الحجّة
 في ترك قتله على كل وجه من القسمين ﴿وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾ قيل
 إن بعض هنا بمعنى كل وذلك بعيد، وإنما قال بعض ولم يقل كل مع أن الذي يصيبهم هو
 كل ما يعدهم ليلاطفهم في الكلام، ويبعد عن التعصّب لموسى، ويظهر النصيحة لفرعون
 وقومه، فیرتجى إجابتهم للحق ﴿وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ﴾ هو المؤمن المذكور. أولاً وقيل هو موسى

وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظَلْمًا لِلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَقَوْمٍ إِتِيَّ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ
التَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُنَادُونَ مُذْرِبِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ
جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكِّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ
يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ
يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ كَبْرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ
يَطِيعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَتَّخِذُونَ آبِي لِي صِرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ
الْأَسْبَابَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَاطَّلَعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لِأُظُنُّهُ كَذِبًا وَكَذَلِكَ زَيْنُ

عليه السلام وهذا بعيد، وإنما توهموا ذلك لأنه صرح هنا بالإيمان وكان كلام المؤمن أولاً غير صريح بل كان فيه تورية وملاطفة لقومه، إذ كان يكتُم إيمانه، والجواب: أنه كتُم إيمانه أول الأمر ثم صرح به بعد ذلك، وجاهرهم مجاهرة ظاهرة، لما وثق بالله حسبما حكى الله من كلامه إلى قوله: ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفَوضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ﴾ [غافر: ٤٤] ﴿يَوْمَ التَّنَادِ﴾ يعني يوم القيامة وسُمي بذلك لأن المُنادي ينادي الناس، وذلك قوله: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أَنَاسٍ﴾ [الإسراء: ٧١] وقيل لأن بعضهم ينادي بعضًا، أي ينادي أهل الجنة أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقًا وينادي أهل النار أن أفيضوا علينا من الماء ﴿يَوْمَ تُنَادُونَ مُذْرِبِينَ﴾ أي منطلقين إلى النار وقيل هاربين من النار ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ قيل هو يوسف بن يعقوب وقيل هو يوسف بن إبراهيم بن إبراهيم بن يوسف بن يعقوب والبيّنات التي جاء بها يوسف لم تعين لنا، واختلف هل أدركه فرعون موسى أو فرعون آخر قبله لأن كل من ملك مصر يقال له فرعون ﴿قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا﴾ كلامهم هذا لا يدل على أنهم مؤمنون برسالة يوسف، وإنما مرادهم لم يأت أحد يدعي الرسالة بعد يوسف، قاله ابن عطية، وقال الزمخشري: إنما هو تكذيب لرسالة من بعده مضموم إلى تكذيب رسالته ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ﴾ بدل من مسرف مرتاب وإنما جاز إبدال الجمع من المفرد، لأنه في معنى الجمع كأنه قال كل مسرف ﴿كَبْرَ مَقْتًا﴾ فاعل كَبُرَ مصدر يجادلون، وقال الزمخشري: الفاعل ضمير من هو مسرف ﴿الْأَسْبَابَ﴾ الأسباب هنا الطرق وقيل الأبواب، وكثرها للتفخيم والبيان ﴿فَاطَّلَعَ﴾ بالرفع عطف على أبلغ وبالنصب بإضمار أن في جواب لعل لأن الترجي غير واجب، فهو كالتمني في انتصاب جوابه، ولا نقول إن لعل أُشْرِبَتْ معنى ليت كما قال بعض النحاة قليلاً، فإن قيل لِمَ كَرَّرَ

لِفِرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ وَصَدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴿٧٧﴾ وَقَالَ الَّذِينَ
 آمَنَ يَقَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٧٨﴾ يَلْقَوْنَ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ
 وَإِنَّ الآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴿٧٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْرَىٰ إِلَّا بِمِثْلِهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِمَّنْ
 ذَكَرَ أَوْ اتَّقَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْفَعُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٨٠﴾
 ﴿٨١﴾ وَيَلْقَوْنَ مَا لَمْ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ النَّارِ ﴿٨٢﴾ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ
 وَأُشْرِكُ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفِيرِ ﴿٨٣﴾ لَا جُرمَ إِنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَىٰ
 لَيْسَ لَكَ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الآخِرَةِ وَأَنْ مَرَدْنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ
 النَّارِ ﴿٨٤﴾ فَسَتَذَكَّرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفْوِضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٨٥﴾
 فَوَقَّاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكْرُوهًا وَحَاقَ بِعَالِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٨٦﴾ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا
 غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٨٧﴾ وَإِذْ يَتَحَاجُّونَكَ فِي
 النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُمْ مُعْتَدُونَ عَنَّا

المؤمن نداء قومه مرارًا؟ فالجواب أن ذلك لقصد التنبيه لهم وإظهار الملاطفة والنصيحة،
 فإن قيل لِمَ جاء بالواو في قوله ويا قوم في الثالث دون الثاني؟ فالجواب: أن الثاني بيان
 للأول وتفسير فلم يصح عطفه عليه بخلاف الثالث فإنه كلام آخر فصح عطفه عليه ﴿ما ليس
 لي به علم﴾ أي ليس لي علم بربوبيته والمراد بنفي العلم بنفي المعلوم كأنه قال وأشرك به ما
 ليس بياله وإذا لم يكن إلها لم يصح علم ربوبيته ﴿لا جرم﴾ أي لا بد ولا شك ﴿ليس له
 دعوة﴾ قال ابن عطية ليس له قدر ولا حق، يجب أن يدعى إليه كأنه قال أتدعونني إلى
 عبادة ما لا خطر له في الدنيا، ولا في الآخرة، ويحتمل اللفظ أن يكون معناه ليس له دعوة
 قائمة أي لا يدعى أحد إلى عبادته ﴿فوقاه الله سيئات ما مكروا﴾ دليل على أن من فوض
 أمره إلى الله عز وجل كان الله معه ﴿النار يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾ النار بدل من سوء العذاب، أو
 مبتدأ أو خبر مبتدأ مضمرة، وعرضهم عليها من حين موتهم إلى قوم القيامة، وذلك مدة
 البرزخ بدليل قوله ويوم القيامة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب، واستدل أهل السنة بذلك
 على صحة ما ورد من عذاب القبر، وروي أن أرواحهم في أجواف الطيور سود تروح بهم
 وتغدو إلى النار ﴿غدوًا وعشيًا﴾ قيل معناه في كل غدوة وعشية من أيام الدنيا وقيل المعنى
 على تقدير ما بين الغدوة والعشية لأن الآخرة لا غدوة فيها ولا عشية ﴿لخزنة جهنم﴾ إن

نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ ﴿٤٦﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّكَ اللَّهُ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ﴿٤٧﴾ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَتِهِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ ﴿٤٨﴾ قَالُوا أَوْلَمْ تَكُنْ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فادْعُوا وَمَا دُعَاؤُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٤٩﴾ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴿٥٠﴾ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعذرتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٥١﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ ﴿٥٢﴾ هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُولَى الْأَلْبَابِ ﴿٥٣﴾ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴿٥٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي ءَايَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِيَلْعِغِيهِ فَاستَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّكَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٥٥﴾

قيل هلاً قال الذين في النار لخزنتها فلم صرح باسمها؟ فالجواب أن في ذكر جهنم تهويلاً ليس في ذكر الضمير ﴿وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ يحتمل أن يكون من كلام خزنة جهنم فيكون متصلاً بقوله فادعوا أو يكون من كلام الله تعالى استثناءً ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا﴾ قيل إن هذا خاص فيمن أظهره الله على الكفار وليس بعام لأن من الأنبياء من قتله قومه كزكريا ويحيى، والصحيح أنه عام، والجواب عما ذكره أن زكريا ويحيى لم يكونا من الرسل إنما كانا من الأنبياء الذين ليسوا بمرسلين وإنما ضمن الله نصر الرسل خاصة لا نصر الأنبياء كلهم ﴿وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ يعني يوم القيامة والأشهاد جمع شاهد أو شهيد ويحتمل أن يكون بمعنى الحضور أو الشهادة على الناس أو الشهادة في سبيل الله والأظهر أنه بمعنى الشهادة على الناس لقوله فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعذرتُهُمْ﴾ يحتمل أنهم لا يعتذرون أو يعتذرون ولكن لا تنفعهم معذرتهم والأول أرجح لقوله ولا يؤذن لهم فيعتذرون فنفي الاعتذار والانتفاع به ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ يعني وعده لسيدنا محمد ﷺ بالنصر والظهور على أعدائه الكفار ﴿بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ قيل العشي صلاة العصر والإبكار صلاة الصبح وقيل العشي بعد العصر إلى الغروب والإبكار من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ﴾ يعني كفار قريش ﴿إِنَّ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ﴾ أي تكبر وتعظم يمنعهم من أن يتبعوك أو ينقادوا إليك وقيل كبرهم أنهم أرادوا النبوة لأنفسهم ورأوا أنهم أحق بها والأول أظهر لأن إرادتهم النبوة لأنفسهم حسد والأول هو الكبر ﴿مَّا هُمْ بِيَلْعِغِيهِ﴾ أي لا يبلغون

لَخَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾
 وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ ۗ قَلِيلًا مَّا
 نَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ إِنَّ السَّاعَةَ لَأْتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾ وَقَالَ
 رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ
 دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَدُوٌّ
 فَضِيلٌ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَلَقَ
 كُلَّ شَيْءٍ ۗ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۗ فَآئِن تُوَفَّكُونَ ﴿٦٢﴾ كَذَٰلِكَ يُؤَفِّكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ
 يَجْحَدُونَ ﴿٦٣﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً ۖ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ
 صُورَكُمْ ۖ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ۗ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ

بالله أي استعد من شرهم لأنهم أعداء لك واستعد من مثل حالهم في الكبر والحسد
 واستعد بالله في جميع أمورك على الإطلاق ﴿لَخَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ
 النَّاسِ﴾ الخلق هنا مصدر مضاف إلى المفعول والمراد به الاستدلال على البعث لأن الإله
 الذي خلق السموات والأرض على كبرها قادر على إعادة الأجسام بعد فنائها وقيل المراد
 توبيخ الكفار المتكبرين كأنه قال خلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس فما بال
 هؤلاء يتكبرون على خالقهم وهم من أصغر مخلوقاته وأحقرهم والأول أرجح لوروده في
 مواضع من القرآن لأنه قال بعده إن الساعة آتية لا ريب فيها فقدم الدليل ثم ذكر المدلول .

﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ الدعاء هنا هو الطلب والرغبة وهذا وعد مقيد
 بالمشيئة وهي موافقة القدر لمن أراد أن يستجيب له وقيل ادعوني هنا بمعنى اعبدوني بدليل
 قوله بعده إن الذين يستكبرون عن عبادتي وقوله ﷻ: «الدعاء هو العبادة» ثم تلا الآية
 وأستجب لكم على هذا القول بمعنى أغفر لكم أو أعطيتكم أجوركم والأول أظهر ويكون
 قوله ويستكبرون عن عبادتي بمعنى يستكبرون عن الرغبة إلي كما قال صلى الله عليه وآله
 وسلّم: «من لم يسأل الله يغضب عليه»، وأما قوله صلى الله عليه وآله وسلّم: «هو العبادة»
 فمعناه أن الدعاء والرغبة إلى الله هي العبادة لأن الدعاء يُظهر فيه افتقار العبد وتضرعه إلى
 الله ﴿دَاخِرِينَ﴾ أي صاغرين ﴿لِتَسْكُنُوا فِيهِ﴾ ذكر في يونس ﴿وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ يعني
 المستلذات لأنه إذا جاء ذكر الطيبات في معرض الإنعام فيراد به المستلذات وإذا جاء في

الْعَالَمِينَ ﴿١١﴾ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ
 الْعَالَمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَ فِي الْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّي
 وَأُمِرْتُ أَنْ أُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَنُفْسٍ مِنْ نَفْسٍ ثُمَّ يَخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِنَبِّغُوا أَشْدَّكُمْ ثُمَّ لِنَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ
 وَلِنَبِّغُوا أَجْلاً مُسَمًّى وَعَلَّكُمْ تَعْلُوتَ ﴿١٤﴾ هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا
 يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿١٥﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَجْعِدُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنْ يُصْرِفُونَهَا ﴿١٦﴾ الَّذِينَ كَذَبُوا
 بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧﴾ إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلْسِلُ
 يُسْحَبُونَ ﴿١٨﴾ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ آيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٢٠﴾ مِنْ
 دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ﴿٢١﴾ ذَلِكَ
 بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٢٢﴾ أَدْخَلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ
 فِيهَا فَيَنسَكُ مَتَوًى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٣﴾ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَكَيْمَا نُرِيدُكَ بَعْضَ الَّذِي نَعْلَمُ

معرض التحليل والتحريم فيراد به الحلال والحرام ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ هذا متصل
 بما قبله قال ذلك ابن عطية والزمخشري وتقديره ادعوه مخلصين قائلين الحمد لله رب
 العالمين ولذلك قال ابن عباس من قال لا إله إلا الله فليقل الحمد لله رب العالمين ويحتمل
 أن يكون الحمد لله استثناءً ﴿ثُمَّ يَخْرِجُكُمْ طِفْلاً﴾ أراد الجنس ولذلك أفرد لفظه مع أن
 الخطاب لجماعة ﴿ثُمَّ لِنَبِّغُوا أَشْدَّكُمْ﴾ ذكر الأشد في سورة يوسف عليه السلام واللام
 تتعلق بفعل محذوف تقديره ثم يبيدكم لتبلغوا وكذلك لتكونوا وأما لتبلغوا أجلاً مسمى
 فمتعلق بمحذوف آخر تقديره فعل ذلك بكم لتبلغوا أجلاً مسمى وهو الموت أو يوم القيامة
 ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَجْعِدُونَ﴾ يعني كفار قريش وقيل هم أهل الأهواء كالتقديرية وغيرهم
 وهذا مردود بقوله: ﴿الَّذِينَ كَذَبُوا بِالْكِتَابِ﴾ إلا إن جعلته منقطعاً مما قبله وذلك بعيد ﴿إِذِ
 الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ﴾ العامل في إذ يعلمون وجعل الظرف الماضي من الموضوع المستقبل
 لتحقق الأمر ﴿يُسْحَبُونَ فِي الْحَمِيمِ﴾ أي يجزون والحميم الماء الشديد الحرارة ﴿ثُمَّ فِي
 النَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ هذا من قولك سجرت التنور إذا ملأته بالنار، فالمعنى أنهم يدخلون فيها
 كما يدخل الحطب في التنور، ولذلك قال مجاهد في تفسيره توقد بهم النار ﴿تَمْرَحُونَ﴾
 من المرح وهو الأشر وا

أَوْ تَتُوفِّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يَرْجِعُونَ ﴿٧٧﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِبَيِّنَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوهَا وَنَهَاكُمْ أَنْ تَكُلُوا مِنْهَا ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبَلَّغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفَالِكِ تَحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَتُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ ﴿٨١﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرُ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَأَثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا عَصَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ

النظم أن يقول بش مدخل الكافرين لأنه تقدم قبله ادخلوا. فالجواب: أن الدخول المؤقت بالخلود في معنى الثوى ﴿فَأَيُّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ﴾ أصل إما نرينك إن نريك ودخلت ما الزائدة بعد إن الشرطية، وجواب الشرط محذوف تقديره إن آرينك بعض الذي تعدهم من العذاب قرت عينك بذلك وإن توفيناك قيل ذلك فالينا يرجعون، فننتقم منهم أمشد الانتقام ﴿مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ﴾ روي عن النبي ﷺ أن الله تعالى بعث ثمانية آلاف رسول وفي حديث آخر أربعة آلاف، وفي حديث أبي ذر إن الأنبياء مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً منهم الرسل ثلاثمائة وثلاثة عشر: فذكر الله بعضهم في القرآن، فهم الذين قصص عليه ولم يذكر سائرهم فهم الذين لم يقصص عليه ﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ﴾ قال الزمخشري: أمر الله القيامة، وقال ابن عطية: المعنى إذا أراد الله إرسال رسوله قضي ذلك ويحتمل أن يريد بأمر الله إهلاك المكذبين للرسل لقوله: ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾ هنالك في الموضوعين يُراد به الوقت والزمان وأصله ظرف مكان ثم وضع موضع ظرف الزمان ﴿الْأَنْعَامِ﴾ هي الإبل والبقر والضأن والمعز، فقوله: ﴿لِتَرْكَبُوا مِنْهَا﴾ يعني الإبل ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ يعني اللحوم والمنافع منها اللبن والصوف وغير ذلك ﴿وَلِتَبَلَّغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً﴾ يعني قطع المسافة البعيدة وحمل الأثقال على الإبل، وتحميلون يريد الركوب عليها وإنما كثره بعد قوله: ﴿لِتَرْكَبُوا مِنْهَا﴾ لأنه أراد الركوب الأول المتعارف في القرى والبلدان وبالحمل عليها الأسفار البعيدة، قاله ابن عطية ﴿وَتُرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾ هذا عموم بعد ما قدم من الآيات المخصوصة ولذلك ويخهم بقوله: ﴿فَأَيُّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ﴾ ﴿فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنْ الْعِلْمِ﴾ الضمير يعود على الأمم المكذبين وفي تفسير علمهم وجوه: أحدها أنه ما كانوا يعتدون من أنهم لا يبعثون ولا يحاسبون، والثاني أنه علمهم بمنافع الدنيا ووجوه كسبها،

وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ وَكَفَرْنَا بِمَا
 كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴿٤٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسًا سُنَّتَ اللَّهُ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ
 وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴿٤٥﴾

والثالث أنه علم الفلاسفة الذين يحتقرون علوم للشرائع وقيل الضمير يعود على الرسل، أي فرحوا بما أعطاهم الله من العلم بالله وشرائعه أو بما عندهم من العلم بأن الله ينصرهم على من يكذبهم وأما الضمير في وحاق بهم فيعود على الكفار باتفاق ولذلك ترجح أن يكون الضمير في فرحوا يعود عليهم ليتسق الكلام ﴿سُنَّةَ اللَّهِ﴾ انتصب على المصدرية والله سبحانه أعلم.

سورة فصلت

مكية وآياتها ٥٤ نزلت بعد غافر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ ﴿١﴾ تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾
بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا نَدْعُونَكَ إِلَيْهِ وَفِي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿فُصِّلَتْ﴾ أي بينت وقيل قطعت إلى سور وآيات ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ منصوب بفعل مضمَر على التخصيص أو حال أو مصدر ﴿لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ معناه يعلمون الأشياء ويعقلون الدلائل إذا نظروا فيها وذلك هو العلم الذي يوجب التكليف وقيل معناه يعلمون الحق والإيمان فالأول عامٌ وهذا خاصٌ، والأول أولى لقوله: فأعرض أكثرهم لأن الإعراض ليس من صفة المؤمنين، وقيل يعلمون لسان العرب يفهمون القرآن إذ هو بلغتهم، وقوله لقوم يتعلق بتنزيل أو فصلت والأحسن أن يكون صفة لكتاب ﴿فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ أي لا يقبلون ولا يطيعون وعبر عن ذلك بعدم السماع على وجه المبالغة ﴿فِي أَكِنَّةٍ﴾ جمع كنان وهو الغطاء، ﴿وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾ عبارة عن بعدهم عن الإسلام ﴿فَاعْمَلْ إِنَّا عَامِلُونَ﴾ قيل معناه اعمل على دينك إننا عاملون على ديننا فهي متاركة، وقيل اعمل في إبطال أمرنا إننا عاملون في إبطال أمرك، فهو تهديد ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ هي زكاة

ءَاذَانِنَا وَقُرْءٍ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ جِجَابٌ فَأَعْمَلْ إِنَّا عَمِلُونَ ﴿٥﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَىٰ
 أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ
 الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ
 مَمْنُونٍ ﴿٨﴾ قُلْ أَيُّكُمْ لَكَفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَيَتَحَلَّوْنَ لَهُ ۗ أَلَا أَدَاكَ ذَٰلِكَ رَبُّ
 الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رِوَاسِيًۭا مِنْ فَوْقِهَا وَيَبْرُكُ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً
 لِّلسَّائِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا

المال وإنما خصها بالذكر لصعوبتها على الناس ولأنها من أركان الإسلام وقيل يعني بالزكاة التوحيد وهذا بعيد وإنما حملة على ذلك لأن الآيات مكية، ولم تفرض الزكاة إلا بالمدينة والجواب أن المراد النفقة في طاعة الله مطلقاً وقد كانت مأموراً بها بمكة ﴿أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ أي غير مقطوع من قولك، مننت الحبل إذا قطعته وقيل غير منقوص، قيل غير محصور، وقيل لا يمن عليهم به لأن المن يكدر الإحسان ﴿أَنَدَادًا﴾ أي أمثالاً وأشباهاً من الأصنام وغيرها ﴿رِوَاسِيًۭا﴾ يعني الجبال ﴿وَبَارِكُ فِيهَا﴾ أكثر خيرها ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾ أي أرزاق أهلها ومعاشهم وقيل يعني أقوات الأرض من المعادن وغيرها من الأشياء التي بها قوام الأرض والأول أظهر ﴿فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾ يريد أن الأربعة كملت باليومين الأولين فخلق الأرض في يومين وجعل فيها ما ذكر في يومين، فتلك أربعة أيام وخلق السموات في يومين فتلك ستة أيام حسبما ذكر في مواضع كثيرة ولو كانت هذه الأربعة الأيام زيادة على اليومين المذكورين قبلها لكانت الجملة ثمانية أيام بخلاف ما ذكر في المواضع الكثيرة ﴿سَوَاءً﴾ بالنصب مصدر تقديره استواء قاله الزمخشري، وقال ابن عطية انتصب على الحال ﴿لِّلسَّائِلِينَ﴾ قيل معناه لمن سأل عن أمرها وقيل معناه للطلابين لها، ويعني بالطلب على هذا حاجة الخلق إليها، وحرف الجر يتعلق بمحذوف على القول الأول تقديره يبين ذلك لمن سأل عنه ويتعلق بقدر على القول الثاني ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ﴾ أي قصد إليها، ويقضي هذا الترتيب: أن الأرض خلقت قبل السماء، فإن قيل كيف الجمع بين ذلك وبين قوله: ﴿وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَٰلِكَ دُخَانًا﴾ [النازعات: ٣٠] فالجواب أنها خلقت قبل السماء، ثم دحيت بعد ذلك ﴿وَهِيَ دُخَانٌ﴾ زوي أنه كان العرش على الماء فأخرج إليه من الماء دخان فارتفع فوق الماء فأبيس الماء فصار أرضاً، ثم خلق السموات من الدخان المرتفع ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَوْعًا﴾

طَائِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَنَّهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا ﴿١٢﴾ وَرَبَّنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١٣﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ مِصْبَحَةِ عَادٍ وَنُمُودٍ ﴿١٤﴾ إِذْ جَاءَهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿١٥﴾ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ

يده افعال كذا شئت أو آبيت أي لا بد لك من فعله، وقيل تقديره اتتيا طوعاً وإلا أتيتما كرها ومعنى هذا الإتيان تصويرهما على الكيفية التي أرادها الله وقوله لهنما أتتيا مجاز وهو عبارة عن تكوينه لهما وكذلك قولهما أتينا طائعين عبارة عن أنهما لم يمتنعا عليه حين أراد تكوينهما وقيل بل ذلك حقيقة وأنطق الله الأرض والسماء بقولهما أتينا طائعين وإنما جمع طائعين جمع العقلاء لوصفهما بأوصاف العقلاء ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾ أي صنعهن والضمير للسموات السبع وانتصابها على التمييز تفسير للضمير وأعاد عليها ضمير الجماعة المؤنثة لأنها لا تعقل فهو كقولك الجدوع انكسرت وجمعهما جمع المفكر العاقل في قوله طائعين لأنه وصفهما بالطوع وهو فعل العقلاء فعاملهما معاملتهم فهو كقولك وأيتهم الي ساجدين وأعاد ضمير التثنية في قوله قالتا أتينا لأنه جعل الأرض فرقة والسماء الأخرى ﴿وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾ أي أوحى إلى سكانها من الملائكة وإليها نفسها ما شاء من الأمور التي بها قوامها وصلاحتها وأضاف الأمر إليها لأنه فيها ﴿وَرَبَّنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ﴾ يعني الشمس والقمر والنجوم وهي زينة للسماء الدنيا سواء كانت فيها أو فيما فوقها من السموات ﴿وَحِفْظًا﴾ تقديره وحفظناها حفظاً ويجوز أن يكون مفعولاً من أجله على المعنى كأنه قال وخلقنا المصابيح زينة وحفظاً ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا﴾ الضمير لقريش ﴿صَاعِقَةً﴾ يعني واقعة واحدة شديدة وهي مستعارة من صاعقة النار وقرىء صعقة بإسكان العين وهي الواقعة من قولك صعق الرجل ﴿إِذْ جَاءَهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ معنى ما بين الأيدي المتقدم، ومعنى ما خلف المتأخر، فمعنى الآية: أن الرُّسُلَ جاؤوهم في الزمان المتقدم واتصلت نذارتهم إلى زمان عاد وثمود حتى قامت عليهم الحجة بذلك من بين أيديهم ثم جاءتهم رُسُلُ آخرون عند اكتمال أعمارهم فذلك من خلفهم قاله ابن عطية وقال الزمخشري معناه أتوهم من كل جانب فهو عبارة عن اجتهادهم في التبليغ إليهم وقيل أخبروهم بما أصاب من قبلهم فذلك ما بين أيديهم وأنذروهم ما يجري عليهم من الزمان المستقبل وفي الآخرة فذلك من خلفهم ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾ أن حرف عبارة وتفسير أو مصدرية على تقدير بأن لا تعبدوا إلا الله ﴿فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ ليس فيه اعتراف

وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْرَىٰ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٦﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمُ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَبَجَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَنْقُوتُونَ ﴿١٨﴾ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءَ مَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمِعَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ وَجَلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا لَئِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تَرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَدْتُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ

الكفار بالرسالة وإنما معناه بما أرسلتم على قولكم ودعواكم وفيه تهكم ﴿ريحا صرصرًا﴾ قيل إنه من الصر وهو شدة البرد فمعناه باردة وقيل إنه من قولك صرصر إذا صوت فمعناه لها صوت هائل ﴿في أيام نحسات﴾ معناه من النحس وهو ضد السعد وقيل شديدة البرد وقيل متتابعة والأول أرجح، وزوي أنها كانت آخر شوال من الأربعاء إلى الأربعاء وقرىء نحسات بإسكان الحاء وكسرهما فأما الكسر فهو جمع نحس وهو صفة وأما الإسكان فتخفيف من الكسر على وزن فعل أو وصف بالمصدر ﴿وأما ثمود فهديناهم﴾ أي بيّنا لهم فهو بمعنى البيان لا بمعنى الإرشاد ﴿فهم يوزعون﴾ أي يدفعون بعنف ﴿وجلودهم﴾ يعني الجلود المعروفة وقيل هو كناية عن الفروج والأول أظهر ﴿وما كنتم تستترون﴾ الآيات يحتمل أن تكون من كلام الجلود أو من كلام الله تعالى أو الملائكة، وفي معناه وجهان: أحدهما لم تقدرُوا أن تستتروا من سمعكم وأبصاركم وجلودكم لأنها ملازمة لكم فلم يمكنكم احتراس من ذلك فشهدت عليكم، والآخر لم تتحفظوا من شهادة سمعكم وأبصاركم وجلودكم، لأنكم لم تبالوا بشهادتها ولم تظنوا أنها تشهد عليكم، وإنما استترتم لأنكم ظننتم أن الله لا يعلم كثيرًا مما تعملون، وهذا أرجح لاتساق ما بعده معه ولما جاء في الحديث الصحيح عن ابن مسعود: أنه قال اجتمع ثلاثة نفر قرشيان وثقفي قليل فقه قلوبهم كثير شحم بطونهم، فتحدثوا بحديث فقال أحدهم أترى الله يسمع ما قلنا، فقال: الآخر إنه يسمع إذا جهر

مَثْوَى لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا لَهُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾ * وَقَيِّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ نَمَائِينَ
 أَيْدِيَهُمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أَمْرِ قَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا
 خَسِرِينَ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ
 كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا
 دَارٌ أَلْخَلَدُ جَزَاءً يَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَمْجِدُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرْنَا الَّذِينَ ضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ
 وَالْإِنْسِ يَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا
 تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشُرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ

يسمعه كله فنزلت الآية ﴿أُرْدَاكُمْ﴾ أي أهلككم من الردى بمعنى الهلاك ﴿وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا
 لَهُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ﴾ هو من العتب بمعنى الرضا أي إن طلبوا العتبى ليس فيهم من يعطأها
 ﴿وَقَيِّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ﴾ أي يسرنا لهم قرناء سوء من الشياطين وغواة الإنس ﴿فَزَيَّنُّوا لَهُمْ مَا
 بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ ما بين أيديهم ما تقدم من أعمالهم، وما خلفهم ما هم اعازمون
 عليه أو ما بين أيديهم من أمر الدنيا وما خلفهم من أمر الآخرة، والتكذيب بها ﴿وَحَقَّ
 عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ أي سبق عليهم القضاء بعذابهم ﴿فِي أَمْرٍ﴾ أي في جملة أمم، وقيل في
 بمعنى مع ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ﴾ رُوي أن فائل هذه المقالة أبو
 جهل بن هشام لعنه الله ﴿وَالْغَوَا فِيهِ﴾ المعنى لا تسمعوا إليه، وتشاغلوا عند قراءته برفع
 الأصوات وإنشاد الشعر وشبه ذلك حتى لا يسمعه أحد، وقيل معناه قعوا فيه وعيروه ﴿أَرْنَا
 الَّذِينَ ضَلَّانَا﴾ يقولون هذا إذا دخلوا جهنم، فقولهم مستقبل ذكر بلفظ الماضي، لتحققه،
 ومعنى اللذين ضلانا: كل من أغوانا من الجن والإنس، وقيل المراد ولد آدم الذي سن
 القتل وإبليس الذي أمر بالكفر والعصيان وهذا باطل لأن ولد آدم مؤمن عاصي وإنما طلب
 هؤلاء من أضلهم بالكفر ﴿تَحْتَ أَقْدَامِنَا﴾ أي في أسفل طبقة من النار ﴿ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ قال
 أبو بكر الصديق رضي الله عنه، استقاموا على قولهم: ربنا الله، فصح إيمانهم ودام
 توحيدهم وقال عمر بن الخطاب المعنى استقاموا على الطاعة وترك المعاصي وقول عمر
 أكمل وأحوط وقول أبي بكر أرجح لما روى أنس أن رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية وقال قد
 قالها قوم ثم كفروا فمن مات عليها فهو ممن استقام، وقال بعض الصوفية: معنى استقاموا
 أعرضوا عما سوى الله وهذه حالة الكمال على أن اللفظ لا يقتضيه ﴿تَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾
 يعني عند الموت ﴿وَلَكُمْ فِيهَا﴾ الضمير للآخرة ﴿مَا تَدْعُونَ﴾ أي ما تطلبون ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ

تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلَىٰ أَوْلَامِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا نَشْتَهِي أَنفُسَكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣١﴾ نَزَّلْنَا مِن عَفْوَرٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّمَا يَنزَعَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْتَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً إِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفُونَ عَلَيْنَا أَفَمَن يُلْقَىٰ فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَن يَأْتِي بآمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ ۖ أَي لَا أَحَدٌ أَحْسَنُ أَقْوَالًا مِنْهُ وَيَدْخُلُ فِي ذَلِكَ كُلِّ مَنْ دَعَا إِلَى عِبَادَةِ

الله أو طاعته على العموم، وقيل: المراد سيدنا محمد ﷺ، وقيل المؤذنون وهذا بعيد لأنها مكية، وإنما شرع الأذان بالمدينة ولكن المؤذنون يدخلون في العموم ﴿وَمَا يُلْقَاهَا﴾ الضمير يعود على الخلق الجميل الذي يتضمنه قوله: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ ﴿ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ أي حظ من العقل والفضل وقيل حظ عظيم في الجنة ﴿وَإِنَّمَا يَنزَعَنَّكَ﴾ إن شرطية دخلت عليها ما الزائدة ونزع الشيطان وساوسه وأمره بالسوء.

﴿الَّذِي خَلَقَهُنَّ﴾ الضمير يعود على الليل والنهار والشمس والقمر، لأن جماعة ما لا يعقل كجماعة الموث أو كالواحدة المؤنثة، وقيل إنما يعود على الشمس والقمر وجمعهما لأن الاثنين جمع وهذا بعيد، ﴿فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ﴾ الملائكة ﴿لَا يَسْتَمُونَ﴾ أي لا يملون ﴿الْأَرْضُ خَاشِعَةٌ﴾ عبارة عن قلة النبات ﴿اهْتَزَّتْ﴾ ذكر في الحج ﴿إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتِ﴾ تمثيل واحتجاج على صحة البعث ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا﴾ أي يطعنون عليها وهذا الإلحاد هو بالتكذيب وقيل باللغو فيه حسبما تقدم في السورة ﴿أَفَمَن يُلْقَىٰ فِي النَّارِ﴾ الآية: قيل إن المراد بالذي يلقي في النار أبو جهل وبالذي يأتي آمناً عثمان بن عفان وقيل عمار بن ياسر واللفظ

وَإِنَّهُمْ لَكُتِّبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ مَا يَقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا صَٰكِلَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ

بِالذِّكْرِ ﴿٤١﴾ الذكر هنا القرآن باتفاق وخبر إن محذوف تقديره ضلوا أو هلكوا، وقيل خبرها أولئك ينادون من مكان بعيد، وذلك بعيد ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾ أي كريم على الله، وقيل منيع من الشيطان ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ﴾ أي ليس فيما تقدمه ما يبطله ولا يأتي بعده ما يبطله والمراد على الجملة أنه لا يأتيه الباطل من جهة من الجهات ﴿مَا يَقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ﴾ في معناه قولان: أحدهما ما يقول الله لك من الوحي والشرائع، إلا مثل ما قال للرسل من قبلك، والآخر ما يقول لك الكفار من التكذيب والأذى إلا مثل ما قالت الأمم المتقدمون لرسولهم فالمراد على هذا تسلية النبي ﷺ بالتأسي، والمراد على القول الأول أنه عليه الصلاة والسلام أتى بما جاءت به الرسل فلا تنكر رسالته ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ﴾ يحتمل أن يكون مستأنفاً، أو يكون هو المقول في الآية المتقدمة وذلك على القول الأول، وأما على القول الثاني فهو مستأنف منقطع مما قبله، ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ﴾ الأعجمي الذي لا يفصح ولا يبين كلامه سواء كان من العرب أو من العجم والعجمي الذي ليس من العرب فصيحاً كان أو غير فصيح، ونزلت الآية بسبب طعن قريش في القرآن، فالمعنى أنه لو كان أعجمياً لطنعوا فيه وقالوا هلاً كان مبيناً فظهر أنهم يطعنون فيه على أي وجه كان ﴿أَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾ هذا من تمام كلامهم والهمزة للإنكار، والمعنى: أنه لو كان القرآن أعجمياً لقالوا قرآن أعجمي ورسول عربي، أو مرسل إليه عربي، وقيل إنما طعنوا فيه لما فيه من الكلمات العجمية، كسجين وإستبرق فقالوا قرآن أعجمي وعربي، أي مختلط من كلام العرب والعجم، وهذا يجري على قراءة أعجمي بفتح العين ﴿فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ﴾ عبارة عن إغراضهم عن القرآن فكانهم صُم لا يسمعون وكذلك ﴿وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾ عبارة عن قلة فهمهم له ﴿أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ فيه قولان: أحدهما عبارة عن قلة فهمهم فشبهم بمن ينادى من مكان بعيد فهو لا يسمع الصوت ولا يفقه ما يقال، والثاني أنه حقيقة في يوم القيامة، أي ينادون من مكان بعيد لسمعوا أهل الموقف توبيخهم، والأول أليق بالكنيات التي قبلها ﴿كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾ يعني القدر ﴿إِلَيْهِ يُرْدُ عِلْمٌ

لَفِي شَكِّ مَنَّهُ مُرِيبٌ ﴿٤٥﴾ مَن عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَن أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ۖ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾
 ﴿٤٥﴾ إِلَيْهِ يَرُدُّ عِلْمَ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ ۚ
 وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَاءِى قَالُوا ءَأَدَّاتْنَاكَ مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾ وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ
 مِن قَبْلُ وَظَنُوا مَا لَهُمْ مِن نَّجِيسٍ ﴿٤٨﴾ لَا يَسْمَعُ الْإِنسَانُ مِن دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ الشَّرُّ فَيَعْتُوسُ
 قَنُوطًا ﴿٤٩﴾ وَلَئِن أذَقْتَهُ رَحْمَةً مِنَّا مِن بَعْدِ ضِرَاءٍ مَّسَّهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً
 وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَيَّ رَبِّى إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَىٰ فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِّنْ
 عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ
 عَرِيضٍ ﴿٥١﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنَ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ ۖ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقِ

السَّاعَةِ ﴿٤٥﴾ أي علم زمان وقوعها، فإذا سُئِلَ أحد عن ذلك قال: الله هو الذي يعلمها ﴿٤٦﴾ مَنْ
 أَكْمَامِهَا ﴿٤٦﴾ جمع كم بكسر الكاف وهو غلاف الثمرة قبل ظهورها ﴿٤٧﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ
 شُرَكَائِي ﴿٤٧﴾ العامل في يوم محذوف والمراد به يوم القيامة، والضمير للمشركين وقوله أين
 شركائي توبيخ لهم، وأضاف الشركاء إلى نفسه على زعم المشركين، كأنه قال الشركاء
 الذين جعلتم لي ﴿٤٨﴾ قَالُوا آدَّاتْنَاكَ مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ ﴿٤٨﴾ المعنى: أنهم قالوا أعلمناك ما منا من يشهد
 اليوم بأن لك شريكاً لأنهم كفروا يوم القيامة بشركائهم ﴿٤٩﴾ وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ
 قَبْلُ ﴿٤٩﴾ أي ضل عنهم شركاؤهم بمعنى أنهم لا يروهم حينئذ فما على هذا موصولة أو ضل
 عنهم قولهم الذي كانوا يقولون من الشرك، فما على هذا مصدرية ﴿٥٠﴾ وَظَنُوا مَا لَهُمْ مِنْ
 مَّجِيسٍ ﴿٥٠﴾ الظن هنا بمعنى اليقين، والمحيص المهرب: أي علموا أنهم لا مهرب لهم من
 العذاب وقيل يوقف على ظنوا، ويكون ما لهم: استئنافاً، وذلك ضعيف ﴿٥١﴾ لَا يَسْأَمُ الْإِنسَانُ
 مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ ﴿٥١﴾ أي لا يمل من الدعاء بالمال والعافية وشبه ذلك، ونزلت الآية في
 الوليد بن المغيرة، وقيل في غيره من الكفار واللفظ أعم من ذلك ﴿لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي﴾ أي
 هذا حقِّي الواجب لي، وليس تفضلاً من الله ولا يقول هذا إلا كافر، وبدل على ذلك قوله:
 ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً﴾ وقوله: ﴿وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَىٰ﴾ معناه إن
 بعثت تكون لي الجنة وهذا تخرص وتكبر، ورؤي أن الآية نزلت في الوليد بن المغيرة
 ﴿وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ﴾ ذكر في الإسراء ﴿دُعَاءٍ عَرِيضٍ﴾ أي كثير، وذكر الله هذه الأخلاق على
 وجه الذم لها ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنَ عِنْدِ اللَّهِ﴾ الآية معناها أخبروني إن كان القرآن من عند
 الله ثم كفرتم به أستم في

بَعِيدٍ ﴿٥٦﴾ سُرِّيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٧﴾ أَلَا إِنَّهُمْ فِي مَرِيَّةٍ مِّنْ لِّقَاءِ رَبِّهِمْ ءَلَا إِنَّهُمْ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ ﴿٥٨﴾

آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ ﴿ الضمير لقريش وفيها ثلاثة أقوال: أحدها أن الآيات في الآفاق هي فتح الأقطار للمسلمين والآيات في أنفسهم هي فتح مكة فجمع ذلك وعداً للمسلمين بالظهور، وتهديداً للكفار، واحتجاجاً عليهم بظهور الحق وخمول الباطل، والثاني أن الآيات في الآفاق هي ما أصاب الأمم المتقدمة من الهلاك وفي أنفسهم يوم بدر. الثالث أن الآيات في الآفاق: هي خلق السماء وما فيها من العبر والآيات، وفي أنفسهم خلقة بني آدم وهذا ضعيف لأنه قال سُرِّيهِمْ بسين الاستقبال، وقد كانت السموات وخلقة بني آدم مرثية. والأول هو الراجح ﴿أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ الضمير للقرآن أو للإسلام ﴿مُحِيطٌ﴾ أي محيط بعلمه وقدرته وسلطانه.

بَعِيدٍ ﴿٥٦﴾ سُرِّيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٧﴾ أَلَا إِنَّهُمْ فِي مَرِيَّةٍ مِّنْ لِّقَاءِ رَبِّهِمْ ءَلَا إِنَّهُمْ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ ﴿٥٨﴾

بَعِيدٍ ﴿٥٦﴾ سُرِّيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٧﴾ أَلَا إِنَّهُمْ فِي مَرِيَّةٍ مِّنْ لِّقَاءِ رَبِّهِمْ ءَلَا إِنَّهُمْ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ ﴿٥٨﴾

بَعِيدٍ ﴿٥٦﴾ سُرِّيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٧﴾ أَلَا إِنَّهُمْ فِي مَرِيَّةٍ مِّنْ لِّقَاءِ رَبِّهِمْ ءَلَا إِنَّهُمْ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ ﴿٥٨﴾

سورة الشورى

مكية إلا الآيات ٢٣ و ٢٤ و ٢٥ و ٢٧
فمدنية وآياتها ٥٣ نزلت بعد فصلت

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمَّ ١ عَسَقَ ٢ كَذَلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ٣ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ
وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ٤ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حم عسق الكلام فيه كسائر حروف الهجاء حسبما تقدم في سورة البقرة، وقد حكى الطبري أن رجلاً سأل ابن عباس عن ﴿حم عسق﴾ فأعرض عنه، فقال حذيفة إنما كرهها ابن عباس لأنها نزلت في رجل من أهل بيته اسمه عبد الله يبنى مدينة على نهر من أنهار المشرق ثم يخسف الله بها في آخر الزمان، والرجل على هذا أبو جعفر المنصور والمدينة بغداد وقد ورد في الحديث الصحيح أنها يخسف بها ﴿كَذَلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ﴾ الكاف نعت لمصدر محذوف والإشارة بذلك إلى ما تضمنه القرآن أو السورة، وقيل الإشارة لقوله: ﴿حم عسق﴾ فإن الله أنزل هذه الأحرف بعينها في كل كتاب أنزله، وفي صحة هذا نظر ﴿اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ اسم الله فاعل يوحى، وأما على قراءة يوحى بالفتح فهو فاعل بفعل مضمّر دلّ عليه يوحى كأن قائلًا قال مَنْ الذي أوحى فقيل الله ﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ﴾ أي يتشققن من خوف الله عظم جلاله، مقابلاً للكفا، اتخذ الله ولدًا، فهي كالأية

بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴿٦﴾ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجُمُعِ لَا رَبَّ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴿٧﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾ أَرِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَإِنَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٩﴾ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾ فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ

التي في مريم قال ابن عطية: وما وقع للمفسرين هنا من ذكر الثقل ونحوه: مردود لأن الله تعالى لا يوصف به ﴿مِنْ قَوْمِهِنَّ﴾ الضمير للسماوات والمعنى يتشققن من أعلاهن، وذلك مبالغة في التهويل، وقيل الضمير للأرضيين وهذا بعيد، وقيل الضمير للكفار كأنه قال من فوق الجماعات الكافرة التي من أجل أقوالها تكاد السماوات يتفطرن، وهذا أيضا بعيد ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ عموم يراد به الخصوص لأن الملائكة إنما يستغفرون للمؤمنين من أهل الأرض، فهي كقوله: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ [غافر: ٧]. وقيل إن يستغفرون للذين آمنوا نسخ هذه الآية، وهذا باطل، لأن النسخ لا يدخل في الأخبار، ويحتمل أن يريد بالاستغفار طلب الحلم عن أهل الأرض مؤمنهم وكافرهم، ومعناه الإمهال لهم وأن لا يعاجلوا بالعقوبة فيكون عامًا، فإن قيل: ما وجه اتصال قوله والملائكة يستبحون الآية: بما قبلها؟ فالجواب أننا إن فسرنا تفطر السماوات بأنه من عظمة الله فإنه يكون تسييح الملائكة أيضا تعظيما له فينتظم الكلام، وإن فسرنا تفطرها بأنه من كفر بني آدم فيكون تسييح الملائكة تنزيها لله تعالى عن كفر بني آدم وعن أقوالهم القبيحة ﴿أُمَّ الْقُرَى﴾ هي مكة، والمراد أهلها، ولذلك عطف عليه من حولها يعني من الناس ﴿يَوْمَ الْجُمُعِ﴾ يعني يوم القيامة وسمي بذلك لأن الخلائق يجتمعون فيه ﴿أُمَّ اتَّخَذُوا﴾ أم منقطعة، والأولياء هنا المعبودون من دون الله ﴿فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ أي ما اختلفتم فيه أنتم والكفار من أمر الدين فحكمه إلى الله بأن يعاقب المبطل ويثيب المحق أو ما اختلفتم فيه من الخصومات فتحاكموا فيه إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم كقوله: «فردوه إلى الله والرسول» ﴿مَنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ يعني الإناث ﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا﴾ يحتمل أن يريد الإناث أو الأصناف ﴿يَذُرُّكُمْ فِيهِ﴾ معنى يذروكم يخلقكم نسلا بعد نسل وقرنا بعد قرن، وقيل يكشركم، والضمير

شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۗ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴿١٣﴾ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا نَدَعُوهُمْ ۗ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٤﴾ وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعِيًا بَيْنَهُمْ ۗ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ ۗ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٥﴾ فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا

المجرور يعود على الجعل الذي يتضمنه قوله: ﴿جَعَلَ لَكُمْ﴾، وهذا كما تقول كلمت زيذاً كلاماً أكرمته فيه، وقيل الضمير للتزويج الذي دلّ عليه قوله أزواجاً، وقال الزمخشري تقديره يذروكم في هذا التدبير، وهو أن جعل الناس والأنعام أزواجاً، والضمير في يذروكم خطاب للناس والأنعام غلب فيه العقلاء على غيرهم، فإن قيل: لِمَ قال يذروكم فيه وهلاً قال يذروكم به؟ فالجواب: أن هذا التدبير جعل كالمنع والمعدن للبت والتكثير قاله الزمخشري ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ تنزيه لله تعالى عن مشابهة المخلوقين، قال كثير من الناس الكاف زائدة للتأكيد، والمعنى ليس مثله شيء، وقال الطبري وغيره ليست بزائدة، ولكن وضع مثله موضع هو، والمعنى ليس كهو شيء قال الزمخشري: وهذا كما تقول مثلك لا يبخل، والمراد أنت لا تبخل، فنفى البخل عن مثله والمراد نفيه عن ذاته ﴿مَقَالِيدُ﴾ قد ذكر ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا﴾ اتفق دين سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم مع جميع الأنبياء في أصول الاعتقادات، وذلك هو المراد هنا، ولذلك فسره بقوله أن أقيموا الدين يعني إقامة الإسلام الذي هو توحيد الله وطاعته، والإيمان برسله وكتبه وبالدار الآخرة، وأما الأحكام الفروعية فاختلفت فيها الشرائع فليست تُراد هنا ﴿أَنْ أَقِيمُوا﴾ يحتمل أن تكون أن في موضع نصب بدلاً من قوله ما وصى أو في موضع خفض بدلاً من به أو في موضع رفع على خبر ابتداء مضمرة أو تكون مفسرة لا موضع لها من الإعراب ﴿كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ أي صعب الإسلام على المشركين ﴿اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ﴾ الضمير في إليه يعود على الله تعالى وقيل على الدين ﴿وَمَا تَفَرَّقُوا﴾ يعني أهل الأديان المختلفة من اليهود والنصارى وغيرهم ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ﴾ يعني القضاء السابق بأن لا يفصل بينهم في الدنيا ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ﴾ يعني المعاصرين لسيدنا محمد ﷺ من اليهود والنصارى، وقيل يعني

نَنْبَعِ أَهْوَاءِهِمْ وَقُلْ مَا آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا
 أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٥٩﴾ وَالَّذِينَ
 يَحَابُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُمْ مَحَبَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ عَذَابٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ
 شَدِيدٌ ﴿١٦٠﴾ اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ يَسْتَعْجِلُ
 بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ
 يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَبِئْسَ صَافِرِينَ ﴿١٨﴾ اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ

للكتاب، أو للدين أو لسيدنا محمد ﷺ ﴿فَلِلَّذَلِكَ فَادُغٌ﴾ أي إلى ذلك الذي شرع الله فادع
 الناس فاللام بمعنى إلى والإشارة بذلك إلى قوله شرع لكم من الدين أو إلى قوله ما
 تدعوهم إليه وقيل إن اللام بمعنى أجل والإشارة إلى التفرق والاختلاف أي لأجل ما حدث
 من التفرق ادع إلى الله وعلى هذا يكون قوله: ﴿وَأَسْتَقِمُّ﴾ معطوفاً وعلى الأول يكون
 مستأنفاً فيوقف على فادع واستقم ﴿كَمَا أُمِرْتُ﴾ أي دُم على ما أمرت به من عبادة الله
 وطاعته وتبليغ رسالته ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ الضمير للكفار وأهوائهم ما كانوا يحبون من
 الكفر والباطل كله ﴿وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ﴾ قيل يعني العدل في الأحكام إذا تخاصموا إليه،
 ويحتمل أن يريد العدل في دعائهم إلى دين الإسلام أي أمرت أن أحذلكم على الحق ﴿لَا
 حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ أي لا جدال ولا مناظرة، فإن الحق قد ظهر وأنتم تعاندون ﴿وَالَّذِينَ
 يَحَابُّونَ فِي اللَّهِ﴾ أي يجادلون المؤمنين في دين الإسلام، ويعني كفاراً قريش، وقيل لليهود
 ﴿مَنْ بَعْدَ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ﴾ الضمير يعود على الله أي من بعد ما استجاب الناس له ودخلوا
 في دينه، وقيل يعود على الدين وقيل على محمد ﷺ، والأول أظهر وأحسن ﴿حُبَّتْهُمْ
 دَاحِضَةٌ﴾ أي واهقة باطلة ﴿أَنْزَلَ الْكِتَابَ﴾ يعني جنس الكتاب ﴿بِالْحَقِّ﴾ أي بالواجب أو
 متضمناً الحق ﴿وَالْمِيزَانَ﴾ قال ابن عباس وغيره يعني العدل، ومعنى إنزال العدل، إنزال
 الأمر به في الكتب المنزلة، وقيل يعني الميزان المعروف، فإن قيل: ما وجه اتصال ذكر
 الكتاب والميزان بذكر الساعة؟ فالجواب أن الساعة يوم الجزاء والحساب، فكانت قالوا: اعشوا
 وافعلوا الصواب قبل اليوم الذي تحاسبون فيه على أعمالكم ﴿لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ جاء
 قريب، بالتذكير لأن تأنيث الساعة غير حقيقي، ولأن المراد به وقت الساعة ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا﴾
 أي يظلمون تعجيلها استهزاء بها وتعجيزاً للمؤمنين ﴿يُمَارُونَ﴾ أي يجادلون ويخالفون
 ﴿يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ﴾ يعني الرزق الزائد على المضمون لكل حيوان في قوله: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ﴾

الْعَزِيزُ ﴿١٩﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُمْ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ ﴿٢٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَضْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾ تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾ ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَنْ يَقْرَفْ

في الأرض إلا على الله رزقها﴾ [هود: ٦]: أي ما تقوم به الحياة، فإن هذا على العموم لكل حيوان طول عمره ولزائد خاص بمن شاء الله ﴿حَرْثَ الْآخِرَةِ﴾ عبارة عن العمل لها وكذلك حرث الدنيا وهو مستعار من حرث الأرض لأن الحراث يعمل وينتظر المنفعة بما عمل ﴿نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ﴾ عبارة عن تضعيف الثواب ﴿نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾ أي نؤته منها ما قدر له لأن كل أحد لا بد أن يصل إلى ما قسم له ﴿وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾ هذا للكفار، أو لمن كان يريد الدنيا خاصة، ولا رغبة له في الآخرة ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ﴾ أم منقطعة للإنكار والتوبيخ، والشركاء الأصنام وغيرها، وقيل الشياطين ﴿شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ الضمير في شرعوا للشركاء، وفي لهم للكفار، وقيل بالعكس والأول أظهر ولم يأذن بمعنى لم يأمر، والمراد بما شرعوا من البواطل في الاعتقادات وفي الأعمال كالبهيرة والوصيلة وغير ذلك ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَضْلِ﴾ أي لولا القضاء السابق بأن لا يقضي بينهم في الدنيا لقضى بينهم فيها ﴿تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ﴾ يعني في الآخرة.

﴿ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ﴾ تقديره يبشر به وحذف الجار والمجرور ﴿إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ فيه أربعة أقوال: الأول أن القربى بمعنى القرابة، وفي بمعنى من أجل، والمعنى لا أسألكم عليه أجراً إلا أن تودوني لأجل القرابة التي بيني وبينكم فالمقصد على هذا استعطاف قريش ولم يكن فيهم بطن إلا وبينه وبين النبي ﷺ قرابة. الثاني أن القربى بمعنى الأقارب، أو ذوي القربى والمعنى إلا أن تودوا أقاربي وتحفظوني فيهم، والمقصد على هذا وصية بأهل البيت. الثالث أن القربى قرابة الناس بعضهم من بعض، والمعنى أن تودوا أقاربكم، والمقصود على هذا وصية بصلة الأرحام. الرابع أن القربى التقرب إلى الله، والمعنى إلا أن تتقربوا

حَسَنَةً نَّزِدْ لَهَا حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٦﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشِئِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلَيْهَا بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٣٧﴾ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا فَعَلْتُمْ ﴿٣٨﴾ وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

على الأول والثاني فيحتمل الانقطاع لأن المودة ليست بأخر، ويحتمل الاتصال على المجاز كأنه قال لا أسألكم عليه أجزاء إلا المودة فجعل المودة كالأخر «يُفْتَرَى» أي يكتب «نَزِدْ لَهَا فِيهَا حَسَنًا» يعني مضاعفة الثواب «أَمْ يَقُولُونَ» أم منقطعة للإنكار، والتوبيخ «فَإِنْ يَشِئِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ» فالمقصد بهذا قولان: أحدهما أنه رد على الكفار في قولهم: «افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا»: أي لو افتريت على الله كذباً لختم على قلبك ولكنك لم تفتري على الله كذباً فقد هداك وسدّدك، والآخر أن المراد إن يشأ الله يختم على قلبك بالصبر على أقوال الكفار وتحمل أذاهم «وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ» هذا فعل مستأنف غير معطوف على ما قبله لأن الذي قبله مجزوم وهذا مرفوع فيوقف على ما قبله ويبدأ به، وفي المراد وجهان أحدهما أنه من تمام ما قبله: أي لو افتريت على الله كذباً لختم على قلبك ومحا الباطل الذي كنت تفتريه لو افتريت، والآخر أنه وعد لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأن يمحو الله الباطل وهو الكفر ويحق الحق وهو الإسلام «وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ» عن هنا بمعنى من، وكأنه قال التوبة الصادرة من عباده وقبول التوبة على ثلاثة أوجه: أحدها التوبة من الكفر فهي مقبولة قطعاً والثاني التوبة من مظالم العباد فهي غير مقبولة حتى تردّ المظالم أو يستحلّ منها والثالث التوبة من المعاصي التي بين العبد وبين الله فالصحيح أنها مقبولة بدليل هذه الآية وقيل إنها في المشيئة «وَيَعْفُوا عَنِ السَّيِّئَاتِ» العفو مع التوبة على حسب ما ذكرنا وأما العفو دون التوبة فهو على أربعة أقسام الأول العفو عن الكفر وهو لا يكون أصلاً والثاني العفو عن مظالم العباد وهو كذلك والثالث العفو عن الذنوب الصغائر إذا اجتنبت الكبائر وهو حاصل باتفاق الرابع العفو عن الكبائر فمذهب أهل السنة في المشيئة ومذهب المعتزلة أنها لا تغفر إلا بالتوبة «وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا» فيه ثلاثة أقوال أحدها أن معنى يستجيب يجيب والذين آمنوا مفعول والفاعل ضمير يعود على الله تعالى أي يجيبهم فيما يطلبون منه وقال الزمخشري أي أصله يستجيب للذين آمنوا فحذف اللام والثاني أن معناه يجيب والذين آمنوا فاعل أي يستجيب المؤمنون لربهم باتباع دينه والثالث أن معناه يطلب المؤمنون الإجابة من ربهم واستفعل على هذا على بابيه من الطلب والأول أرجح لدلالة قوله ويزيدهم من فضله ولأنه قول ابن عباس ومعاذ بن جبل «وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ»

وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾ ﴿٢٥﴾ وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ
وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾ وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا
وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ ۖ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ
وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا
عَنْ كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٣١﴾ وَمِنْ
آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴿٣٢﴾ إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِ ۗ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ
لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ أَوْ يُوقِفَهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾ وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا

أي يزيدهم ما لا يطلبون زيادة على الاستجابة فيما طلبوا وهذه الزيادة زوي عن النبي صلى
الله عليه وآله وسلم أنها الشفاعة والرضوان ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ﴾
أي بغى بعضهم على بعض وطفخوا لأن الغنى يوجب الطغيان وقال بعض الصحابة فينا نزلت
لأننا نظرنا إلى أموال الكفار فتمنينها ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا﴾ قيل لعمر
رضي الله عنه اشتد القحط وقت الناس فقال الآن يمطرون وأخذ ذلك من هذه الآية ومنه
قوله ﷺ: «اشتدي أزمة تنفرجي» ﴿وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ﴾ قيل يعني المطر فهو تكرر للمعنى
الأول بلفظ آخر وقيل يعني الشمس وقيل بالعموم ﴿وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ﴾ لا إشكال لأن
الدواب في الأرض وأما في السماء فقيل يعني الملائكة وقيل يمكن أن تكون في السماء
دواب لا نعلمها نحن وقيل المعنى أنه بث في أحدهما فذكر الاثنين كما تقول في بني فلان
كذا وإنما هو في بعضهم ﴿وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾ يريد جمع الخلق في الحشر
يوم القيامة ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ المعنى أن المصائب التي تصيب
الناس في أنفسهم وأموالهم إنما هي بسبب الذنوب قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله
وسلم لا يصيب ابن آدم خدش عود أو عثرة قدم ولا اختلاج عرق إلا بذنب وما يعفو الله
عنه أكثر وقرىء بما كسبت بغير فاء على أن يكون ما أصابكم بمعنى الذي وقرىء بالفاء
على أن يكون ما أصابكم شرطاً ﴿بِمُعْجِزِينَ﴾ قد ذكر ﴿الْجَوَارِ﴾ جمع جارية وهي السفينة
﴿كَالْأَعْلَامِ﴾ جمع علم وهو الجبل ﴿إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِ﴾
الضمير في يظللن للجواري وفي ظهره للجزر، أي لو أراد الله أن يسكن الرياح لبقيت السفن
واقفة على ظهر البحر فالمقصود تعدد النعمة في إرسال الرياح أو تهديد بإسكانه ﴿أَوْ
يُوقِفَهُنَّ بِمَا كَسَبُوا﴾ على يسكن الرياح على يريهن بالكنه بالغرق من شدة

لَهُمْ مِنْ مَّحِصِينَ ﴿٢٥﴾ فَمَا أُوَيْدْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَنَعْنُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَيْبٍ
يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢٦﴾ وَالَّذِينَ يَحْتَسِبُونَ كِبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٢٧﴾ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا
لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٢٨﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ

الرياح العاصفة والضمير فيه للسفن، وفي كسبوا لركابها من الناس والمعنى أنه لو شاء
لأغرقها بذنوب الناس ﴿وَيَعْلَمُ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَّحِصٍ﴾ أي يعلمون أنه
لا مهرب لهم من الله وقرىء يعلم بالرفع على الاستئناف، وبالنصب واختلف في إعرابه
على قولين: أحدهما أنه نصب بإضمار أن بعد الواو لما وقعت بعد الشرط والجزاء لأنه غير
واجب وأنكر ذلك الزمخشري وقال إنه شاذ فلا ينبغي أن يحمل القرآن عليه، والثاني قول
الزمخشري إنه معطوف على تعليل محذوف تقديره، لينتقم منهم ويعلم، قال ونحوه من
المعطوف على التعليل المحذوف في القرآن كثير، ومنه قوله ولنجعله آية للناس ﴿كِبَائِرَ
الْإِثْمِ﴾ ذكرنا الكبائر في النساء وقيل كبائر الإثم: هو الشرك، والفواحش: هي الزنا واللفظ
أعم من ذلك ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ﴾ قيل يعني الأنصار لأنهم استجابوا لما دعاهم النبي
صلى الله عليه وآله وسلم إلى الإسلام، ويظهر لي أن هذه الآية إشارة إلى ذكر الخلفاء
الراشدين رضي الله عنهم، لأنه بدأ أولاً بصفات أبي بكر الصديق، ثم صفات عمر بن
الخطاب ثم صفات عثمان بن عفان ثم صفات علي بن أبي طالب، فكونه جمع هذه
الصفات ورتبها على هذا الترتيب يدل على أنه قصد بها من اتصف بذلك فأما صفات أبي
بكر فقوله: الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون، وإنما جعلناها صفة أبي بكر وإن كان جميعهم
متصفاً بها لأن أبا بكر كانت له فيها مزية لم تكن لغيره قال رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم: «لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان الأمة لرجحهم»، وقال ﷺ: «أنا مدينة الإيمان وأبو
بكر بابها»، وقال أبو بكر لو كشف الغطاء لما ازددت إلا يقيناً والتوكل إنما يقوى بقوة
الإيمان. أما صفات عمر فقوله: والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش لأن ذلك هو
التقوى، وقد قال ﷺ: «أنا مدينة التقوى وعمر بابها»، وقوله: ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ
يَغْفِرُونَ﴾، وقوله: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ﴾ [الجاثية: ٤٥]
نزلت في عمر، وأما صفات عثمان فقوله: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ﴾ لأن عثمان لما دعاه
رسول الله ﷺ إلى الإيمان تبعه وبادر إلى الإسلام وقوله وأقاموا الصلاة، لأن عثمان كان
كثير الصلاة بالليل، وفيه نزلت ﴿أَمْنَ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا﴾ [الزمر: ٤٩] الآية:
وروي أنه كان يُحيي الليل بركة يقرأ فيها القرآن كله، وقوله وأمرهم شورى بينهم لأن

يَنْصُرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾
 وَلَمَنْ أَنْصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْعُونَ فِي
 الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿٤٣﴾
 وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِنْ

عثمان وليّ الخلافة بالشورى، وقوله: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾، لأن عثمان كان كثير النفقة في سبيل الله ويكفيك أنه جهّز جيش العسرة، وأما صفة عليّ فقوله: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ﴾، لأنه لما قاتلته الفئة الباغية قاتلها انتصاراً للحق، وانظر كيف سُمّي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المقاتلين لعليّ الفئة الباغية حسبما ورد في الحديث الصحيح أنه قال لعمر بن ياسر تقتلك الفئة الباغية فذلك هو البغي الذي أصابه وقوله: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ إشارة إلى فعل الحسن بن عليّ حين بايع معاوية، وأسقط حق نفسه ليُصلح أحوال المسلمين، ويحقن دماءهم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليه وعلى آله وسلم في الحسن إن ابني هذا سيد ولعلّ الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين وقوله: ﴿وَلَمَنْ أَنْصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ﴾ إشارة إلى انتصار الحسين بعد موت الحسن، وطلبه للخلافة وانتصاره من بني أمية، وقوله: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ﴾ إشارة إلى بني أمية، فإنهم استطالوا على الناس كما جاء في الحديث عنهم، أنهم جعلوا عباد الله خولاً ومال الله دولاً ويكفيك من ظلمهم أنهم كانوا يلعنون عليّ بن أبي طالب على منابهم، وقوله: ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ﴾ الآية إشارة إلى صبر أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم على ما نالهم من الضرّ والذلّ، طول مدة بني أمية ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ سُمّي العقوبة باسم الذنب وجعلها مثلها تحرزاً من الزيادة عليها ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ هذا يدلّ على أن العفو عن الظلمة أفضل من الانتصار، لأنه ضمن الأجر في العفو، وذكر الانتصار بلفظ الإباحة في قوله: ﴿وَلَمَنْ أَنْصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ﴾ وقيل إن الانتصار أفضل، والأول أصحّ فإن قيل كيف ذكر الانتصار في صفات المدح في قوله: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ﴾ والمباح لا مدح فيه ولا ذمّ، فالجواب: من ثلاثة أوجه أحدها أن المباح قد يمدح لأنه قيام بحق لا بباطل، والثاني أن مدح الانتصار لكونه كان بعد الظلم تحرزاً ممّن بدأ بالظلم فكان المدح إنما هو بترك الابتداء بالظلم، والثالث إن كانت الإشارة بذلك إلى عليّ بن أبي طالب حسبما ذكرنا فانتصاره

سَيَلِيلٍ ﴿٤٤﴾ وَرَبَّهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَشَعِينَ مِنَ الذَّلِيلِ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ
 ءَامَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ
 مُقِيمٍ ﴿٤٥﴾ وَمَا كَانَتْ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾
 اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ
 نَكِيرٍ ﴿٤٧﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا
 الْإِنْسَانَ مِتْرَ رَحْمَةٍ فَرِحَ بِهَا وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيَهُمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾
 لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنْ شَاءَ إِنَّ شَاءَ لِمَنْ يَشَاءُ
 الذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنثَاءً وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ وَمَا كَانَ
 لِيُشِيرَ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَائِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِي بآذَانِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُمْ

تَبَغِي ﴿[الحجرات: ٩]﴾ «يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا» أي على النار «خاشعين من الذل» عبارة عن
 الذل والكآبة، ومن الذل يتعلق بخاشعين «يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ» فيه قولان: أحدهما أنه
 عبارة عن الذل، لأن نظر الذليل بمهابة واستكانة والآخر أنهم يحشرون عميًا فلا ينظرون
 بأبصارهم، وإنما ينظرون بقلوبهم واستبعد هذا ابن عطية والزمخشري والظرف يحتمل أن
 يريد به العين أو يكون مصدرًا «يَوْمَ الْقِيَامَةِ» يتعلق بقال أو بخسروا «أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ»
 يحتمل أن يكون من كلام الذين آمنوا أو مستأنفًا من كلام الله تعالى «لَا مَرَدَّ لَهُ» ذكر في
 الروم «مَنْ نَكِيرٍ» أي إنكار يعني لا تنكرون أعمالكم «يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنثَاءً» قدم الإناث
 اعتناءً بهن وتأنيساً لمن وهبهن له. قال واثلة بن الأسقع من يُمن المرأة تكبيرها بأشئ قيل
 الذَّكْرُ، لأن الله بدأ بالإناث وقال بعضهم: نزلت هذه الآية في الأنبياء عليهم السلام فاشييب
 ولوط كان لهما إناث دون ذكور وإبراهيم كان له ذكور دون إناث، ومحمد صلى الله عليه
 وآله وسلم جمع الإناث والذكور ويحییى كان عقيماً والظاهر أنها على العموم في جميع
 الناس، إذ كل واحد منهم لا يخلو عن قسم من هذه الأقسام الأربعة التي ذكرها وفي الآية من
 أدوات البيان التقسيم «وَمَا كَانَ لِيُشِيرَ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا» الآية بين الله تعالى فيها
 كلامه لعباده وجعله على ثلاثة أوجه أحدها الوحي المذكور أولاً وهو الذي يكون بالهام أو
 منام والآخر أن يسمعه كلامه من وراء حجاب الثالث الوحي بواسطة الملك وهو قوله أو
 يرسل رسولاً يعني ملكاً فيوحي بإذنه ما يشاء إلى النبي وهذا خاص بالأنبياء والثاني خاص

عَلَىٰ حَكِيمٍ ﴿٥٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنكَ لَتَهْدَىٰ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٧﴾ صِرَاطَ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴿٥٨﴾

بموسى وبمحمد صلى الله عليه وآله وسلم إذ كلمه الله ليلة الإسراء وأما الأول فيكون للأنبياء والأولياء كثيرًا وقد يكون لسائر الخلق ومنه ﴿وأوحى ربك إلى النحل﴾ ومنه منامات الناس ﴿أو يُرْسِلْ رَسُولًا﴾ قرىء يرسل، ويوحى بالرفع على تقدير أو هو يرسل وبالنصب عطفًا على وحيا لأن تقديره أن يوحى عطف على أن المقدرة ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ الروح هنا القرآن والمعنى مثل هذا الوحي وهو بإرسال ملك أوحينا إليك القرآن والأمر هنا يحتمل أن يكون واحد الأمور أو يكون من الأمر بالشيء ﴿مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾ المقصد بهذا شيان أحدهما تعداد النعمة عليه ﷺ بأن علمه الله ما لم يكن يعلم والآخر احتجاج على نبوته لكونه أتى بما لم يكن يعلمه ولا تعلمه من أحد، فإن قيل أما كونه لم يكن يدري الكتاب فلا إشكال فيه وأما الإيمان ففيه إشكال لأن الأنبياء مؤمنون بالله قبل مبعثهم. فالجواب أن الإيمان يحتوي على معارف كثيرة وإنما كمل له معرفتها بعد بعثه وقد كان مؤمنًا بالله قبل ذلك فالإيمان هنا يعني به كمال المعرفة وهي التي حصلت له بالنبوة ﴿وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا﴾ الضمير للقرآن.

سورة الزخرف

مكية إلا آية ٥٤ فمدنية وآياتها ٨٩ نزلت بعد الشورى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمِّ ۝ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝ وَإِلَيْهِ فِي أَمْرِ
الْكِتَابِ لَدِينَا لَعَلِّي حَكِيمٌ ۝ أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ يعني القرآن والمبين يحتمل أن يكون بمعنى البين، أو المبين لغيره ﴿وَإِنَّهُ فِي أَمْرِ الْكِتَابِ لَدِينَا لَعَلِّي حَكِيمٌ﴾ أم الكتاب، اللوح المحفوظ والمعنى أن القرآن وصف في اللوح بأنه عليّ حكيم، وقيل الثماني أن القرآن نسخ بجملته في اللوح المحفوظ ومنه كان جبريل ينقله فوصفه الله بأنه عليّ حكيم لكونه مكتوب في اللوح المحفوظ والأول أظهر وأشهر ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا﴾ الهمزة للإنكار والمعنى أنتمسك عنكم الذكر ونضرب من قولك أضربت عن كذا إذا تركته والذكر يراد به القرآن أو التذكير والوعظ وصفحاً فيه وجهان: أحدهما أنه بمعنى الإعراض، تقول صفحت عنه إذا أعرضت عنه فكأنه قال أنتركم تذكيركم إعراضاً عنكم وإعراب صفحاً على هذا مصدر من المعنى أو مفعول من أجله أو مصدر في موضع الحال والآخر أن يكون بمعنى العفو والغفران، فكأنه يقول أنتمسك عنكم الذكر عفواً عنكم وغفراناً لذنوبكم وإعراب صفحاً على

مُسْرِفِينَ ﴿٥﴾ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيِّ فِي الْأَوَّلِينَ ﴿٦﴾ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيِّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٧﴾ فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَمَضَى مَثَلُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾ وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾ وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفَلَكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرْنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ﴿١٤﴾ وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ

هذا مفعول من أجله أو مصدر في موضع الحال ﴿أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ﴾ قرىء بكسر الهمزة على الشرط والجواب في الكلام الذي قبله وقرىء بالفتح على أنه مفعول من أجله ﴿أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا﴾ الضمير لقريش وهم المخاطبون بقوله أن كنتم قوماً مسرفين، فإن قيل كيف قال إن كنتم على الشرط بحرف إن التي معناها الشك ومعلوم أنهم كانوا مسرفين، فالجواب أن في ذلك إشارة إلى توبيخهم على الإسراف وتجهيلهم في ارتكابه فكأنه شيء لا يقع من عاقل فلذلك وضع حرف التوقع في موضع الواقع ﴿وَمَضَى مَثَلُ الْأَوَّلِينَ﴾ أي تقدم في القرآن ذكر حال الأولين وكيفية إهلاكهم لما كفروا ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ﴾ الآية احتجاج على قريش لأنهم كانوا يعترفون أن الله هو الذي خلق السموات والأرض وكانوا مع اعترافهم بذلك يعبدون غيره، ومقتضى جوابهم أن يقولوا خلقهن الله، فلما ذكر هذا المعنى جاءت العبارة عن الله بالعزیز العليم لأن اعترافهم بأنه خلق السموات والأرض يقتضي أن يعترفوا بأنه عزيز عليم، وأما قوله الذي جعل لكم فهو من كلام الله لا من كلامهم ﴿مَهْدًا﴾ أي فرائساً على وجه التشبيه ﴿سُبُلًا﴾ أي طرقاً تمشون فيها ﴿مَاءً بِقَدَرٍ﴾ أي بمقدار ووزن معلوم وقيل معناه بقضاء ﴿كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ تمثيل للخروج من القبور بخروج النبات من الأرض ﴿الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا﴾ يعني أصناف الحيوان والنبات وغير ذلك ﴿لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ﴾ الضمير يعود على ما تركبون ﴿ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ﴾ يحتمل أن يكون هذا الذكر بالقلب أو باللسان، ويحتمل أن يريد النعمة في تسخير هذا المركوب أو النعمة على الإطلاق، وكان بعض السلف إذا ركب دابة يقول الحمد لله الذي هدانا للإسلام، ثم يقول سبحان الذي سخر لنا هذا ﴿وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾ أي مطيقين وغالبين ﴿وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ﴾ اعتراف بالحشر فإن قيل ما ما

الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَمْ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَنَكُمْ بِالْبَنِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بَشَّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَوْ مَن يَنْشَأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبْدُ الرَّحْمَنِ إِنثًا أَشْهَدُوا خَلْقَهُمْ

للهلاك بما يخاف من غرق السفينة أو سقوطه عن الدابة، فأمر بذكر الحشر ليكون مستعداً للموت الذي قد يعرض له وقيل يذكر عند الركوب ركوب الجنابة، ﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا﴾ الضمير في جعلوا لكفار العرب، وفي له الله تعالى وهذا الكلام متصل بقوله ولئن سألتهم الآية والمعنى أنهم جعلوا الملائكة بنات الله فكانهم جعلوا جزءاً من عباده نصيباً له وحظاً دون سائر عباده وقال الزمخشري معناه أنهم جعلوا الملائكة جزءاً منه وقال بعض اللغويين الجزء في اللغة الإناث واستشهد على ذلك بيت شعر قال الزمخشري وذلك كذب على اللغة والبيت موضوع ﴿أَمْ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ﴾ أم للإنكار والرد على الذين قالوا إن الملائكة بنات الله ومعنى أصفاكم خصكم أي كيف يتخذ لنفسه البنات وهن أدنى وأصفاكم بالبني وهم أعلا ﴿وَإِذَا بَشَّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا﴾ أي إذا بشر بالأنثى وقد ذكر هذا المعنى في النحل والمراد أنهم يكرهون البنات فكيف ينسبونها إلى الله تعالى عن قولهم ﴿أَوْ مَن يَنْشَأُ فِي الْحِلْيَةِ﴾ المراد بمن ينشأ في الحلية النساء والحلية هي الحلي من الذهب والفضة وشبه ذلك ومعنى ينشأ فيها يكبر وينبت في استعمالها وقرئ ينشأ بضم الياء وتشديد الشين بمعنى يربى فيها والمقصد الرد على الذين قالوا الملائكة بنات الله كأنه قال أجعلتم الله من ينشأ في الحلية وذلك صفة النقص ثم أتبعها بصفة نقص أخرى وهي قوله وهو في الخصام غير مبين يعني أن الأنثى إذا خاصمت أو تكلمت لم تقدر أن تبين حاجتها لنقص عقلها وقل ما تجد امرأة إلا تفسد الكلام وتخلط المعاني فكيف ينسب الله من يتصف بهذه النقائص وإعراب ينشأ مفعول بفعل مضمّر تقديره أجعلتم الله من ينشأ أو مبتدأ وخبره محذوف تقديره أو من ينشأ في الحلية خصصتم به الله ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنثًا﴾ الضمير في جعلوا لكفار العرب فحكى عنهم ثلاثة أقوال شتى أحدها أنهم نسبوا إلى الله الولد، والآخر أنهم نسبوا إليه البنات دون البنين، والثالث أنهم جعلوا الملائكة المكرمين إناثاً، وقرئ عند الرحمن بالنون، والمراد به قرب الملائكة وتشريفهم كقوله والذين عند ربك، وقرئ عباد بالباء جمع عبد والمراد به أيضاً الاختصاص والتشريف ﴿أَشْهَدُوا خَلْقَهُمْ﴾ هذا رد على العرب في قولهم إن الملائكة إناثاً، والمعنى هم لم يشهدوا خلق الملائكة، فكيف يقولون ما ليس لهم به علم؟ ﴿سَتَكْتَبُ شَهَادَتَهُمْ

سَخَّكُنْبُ شَهَدَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَّا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ ﴿قُلْ أُولُو جِحْتِكُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَانقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَنْظِرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴿٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ

وَيُسْأَلُونَ ﴿١٩﴾ أي تكتب شهادتهم التي شهدوا بها على الملائكة، ويسألون عنها يوم القيامة ﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ﴾ الضمير في قالوا للكفار، وفي عبدناهم للملائكة، وقال ابن عطية للأصنام والأول أظهر وأشهر، والمعنى احتجاج احتج به الذين عبدوا الملائكة، وذلك أنهم قالوا لو أراد الله أن لا نعبدهم ما عبدناهم، فكونه يمهلنا ويُنعم علينا: دليل على أنه يرضي عبادتنا لهم، ثم ردَّ الله عليهم بقوله: ﴿مَّا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾ يعني أن قولهم بلا دليل وحجة، وإنما هو تخرص منهم ﴿أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ﴾ أي من قبل القرآن، وهذا أيضًا ردَّ عليهم لكونهم ليس لهم كتاب يحتجون به ﴿بَلْ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ﴾ أي على دين وطريقة، والمعنى أنهم ليس لهم حجة، وإنما هم مقلدو آبائهم ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ﴾ الآية المعنى كما أتبع هؤلاء الكفار آباءهم بغير حجة أتبع كل من كان قبلهم من الكفار آباءهم بغير حجة بل بطريق التقليد المذموم ﴿قُلْ أَوْ لَوْ جِئْتُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ﴾ هذا ردَّ على الذين اتبعوا آباءهم، والمعنى قل لهم أتبعونهم ولو جئتم بدين أهدى من الدين الذي وجدتم عليه آباءكم، وقرئ قال أو لو جئتم، والفاعل ضمير يعود على النذير المتقدم، وأما قراءة قل بالأمر فهو خطاب لمحمد ﷺ أمره الله أن يقول ذلك لقريش وقيل هو للنذير المتقدم أمره الله أن يقول ذلك لقومه، والأول أظهر، وعلى هذا تكون هذه الجملة اعتراضًا بين قصة المتقدمين، فإن قوله: ﴿إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾: حكاية عن الكفار المتقدمين، وكذلك قوله: ﴿فَانقَمْنَا مِنْهُمْ﴾: يعني من المتقدمين ﴿إِنِّي بَرَاءٌ﴾ أي بريء وبراء في الأصل مصدر ثم استعمل صفة ولذلك استوى فيه الواحد والجماعة كعدل وشبهه ﴿إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾ يحتمل أن يكون استثناءً منقطعًا، وذلك إن كانوا لا يعبدون الله، أو يكون متصلًا إن كانوا يعبدون الله ويعبدون معه غيره، ولا

سَيِّدِينَ ﴿١٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَقًّا
جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٩﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ
هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقُرَيْتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾ أَهْمُ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ لَنْ نُّسَمِّنَا لَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ
فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سَخِرِيًّا وَرَحِمَتْ رَبُّكَ

على الاستثناء فهو في موضع نصب «سَيِّدِينَ» قال هنا سيهدين، وقال مرة أخرى فهو يهدين، ليدل على أن الهداية في الحال والاستقبال «وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ» ضمير الفاعل في جعلها يعود على إبراهيم عليه السلام، وقيل على الله تعالى، والأول أظهر، والضمير يعود على الكلمة التي قالها وهي إنني براء مما تعبدون، ومعناها التوحيد، ولذلك قيل يعود على الإسلام لقوله هو سماكم المسلمين من قبل، وقيل يعود على لا إله إلا الله، والمعنى متقارب: أي جعل إبراهيم تلك الكلمة ثابتة في ذرئته لعل من أشرك منهم يرجع إلى التوحيد، والعقب هو الولد وولد الولد ما تناسلا أبداً «بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ» الإشارة بهؤلاء إلى قريش، وهذا الكلام متصل بما قبله، لأن قريشاً من عقب إبراهيم عليه السلام فالمعنى لكن هؤلاء ليسوا ممن بقيت الكلمة فيهم، بل متعمهم بالنعم والعافية فلم يشكروا عليها واشتغلوا بها عن عبادة الله «حَتَّى جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ» وهو محمد ﷺ «وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقُرَيْتَيْنِ عَظِيمٍ» الضمير في قالوا لقريش، والقريتان مكة والطائف، ومن القريتين معناها من إحدى القريتين كقولك يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان: أي من أحدهما، وقيل معناه على رجل من رجلين من القريتين، فالرجل الذي من مكة الوليد بن المغيرة، وقيل عتبة بن ربيعة، والرجل الذي من الطائف عروة بن مسعود، وقيل حبيب بن عمير، ومعنى الآية أن قريشاً استبعدوا نزول القرآن على محمد صلى الله عليه وآله وسلم، واقترحوا أن ينزل على أحد هؤلاء، وصفوه بالعظمة يريدون الرئاسة في قومه وكثرة ماله، فرد الله عليهم بقوله: «أَهْمُ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ» يعني أن الله يخص بالنبوة من يشاء من عباده على ما تقتضيه حكمته وإرادته، وليس ذلك بتدبير المخلوقين، ولا بإرادتهم، ثم أوضح ذلك بقوله: «لَنْ نُّسَمِّنَا لَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» أي كما قسمنا المعاش في الدنيا كذلك قسمنا المواهب الدينية، وإذا كنا نمنهمل الحظوظ الفانية الحقيرة، فأولى وأحرى أن لا نمهل الحظوظ الشريفة الباقية «لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سَخِرِيًّا» وهو من التسخير في الخدمة: أي رفعنا بعضهم فوق بعض ليقدم بعضهم بعضاً «وَرَحِمَتْ رَبُّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ» هذا تحشير للدنيا، والمراد برحمة ربك

خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِيُوتِيَهُمْ
سُقْفًا مِّنْ فَضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٢٧﴾ وَلِيُوتِيَهُمْ آبُوبًا وَسُرْرًا عَلَيْنَا يَتَكَبَّرُونَ ﴿٢٨﴾ وَزُخْرَفًا
وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَنْ يَعِشْ عَنِ ذِكْرِ
الرَّحْمَنِ نُقِضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٠﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ
مُهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بَعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَيَبْسُ الْقَرِينُ ﴿٣٢﴾ وَلَنْ

هنا النبوة وقيل الجنة ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ الآية: تحقير أيضا للدنيا، ومعناها
لولا أن يكفر الناس كلهم لجعلنا للكفار سقفا من فضة، وذلك لهوان الدنيا على الله كما
قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: «لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة
ما سقى كافرا منها جرعة ماء» ﴿وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ المعارج الأدراج والسلالم، ومعنى
يظهرون يرتفعون، ومنه «فما استطاعوا أن يُظهِروه» والسرر جمع سرير، والزخرف الذهب،
وقيل أثاث البيت من الستور والنامرق وشبه ذلك وقيل هو التزيق والنقش وشبه ذلك من
التزيين كقولك: «حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وأزينت» ﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنِ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ
نُقِضْ لَهُ شَيْطَانًا﴾ يعش من قولك عشى الرجل إذا أظلم بصره، والمراد به هنا ظلمة القلب
والبصيرة، وقال الزمخشري يعشى بفتح الشين إذا حصلت الآفة في عينيه، ويعشو بضم
الشين إذا نظر نظرة الأعشى وليس به آفة، فالفرق بينهما كالفرق بين قولك عمى وتعمى،
فمعنى القراءة بالضم يتجاهل ويجحد مع معرفته بالحق، والظاهر أن ذلك عبارة عن الغفلة
وإهمال النظر، وذكر الرحمن، وقال الزمخشري يريد به القرآن، وقال ابن عطية يريد به ما
ذكر الله به عباده من المواعظ، فالمصدر مضاف إلى الفاعل، ويحتمل عندي أن يريد ذكر
العبد لله، ومعنى الآية: أن من غفل عن ذكر الله يسر الله له شيطانا يكون له قرينا فتلك
عقوبة على الغفلة عن الذكر بتسليط الشيطان كما أن من داوم على الذكر تباعد عنه الشيطان
﴿وَأِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾ الضمير في إنهم للشياطين، وضمير المفعول في يصدونهم
لمن يعش عن ذكر الرحمن، وجمع الضميرين لأن المراد به جمع ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا﴾ قرىء
جاءنا بضمير الاثنين وهما من يعش وشيطانه، وقرىء بغير ألف على أنه ضمير واحد وهو
من يعش، والضمير في قال لمن يعش، وقيل للشيطان ﴿بَعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ﴾ فيه قولان.
أحدهما أنه يعني المشرق والمغرب، وغلب أحدهما في التشبيه، كما قيل القمران، والآخر
أنه يعني المشرقين والمغربين Made searchable using ScribeTools.com ﴿وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ

يَنْفَعَكُمْ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنْتُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٢٣﴾ أَفَأَنْتُمْ تُسْمِعُ الصُّمَّ لَوْ تَهْدَى الْعَمَى
 وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢٤﴾ فَإِنَّمَا نَذَبْنَا بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ ﴿٢٥﴾ أَوْ نُرِيكَ الَّذِي
 وَعَدْتَهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ ﴿٢٦﴾ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢٧﴾ وَإِنَّهُ
 لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴿٢٨﴾ وَسَأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ
 الرَّحْمَنِ إِلَهًا يُعْبَدُونَ ﴿٢٩﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ

إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنْتُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هذا كلام يقال للكفار في الآخرة، ومعناه أنهم لا
 ينفعهم اشتراكهم في العذاب ولا يجدون راحة التأسي التي يجدها المكروب في الدنيا إذا
 رأى غيره قد أصابه مثل الذي أصابه، والغافل في ينفعكم قوله: ﴿أَنْتُمْ فِي الْعَذَابِ
 مُشْتَرِكُونَ﴾، و﴿إِذْ ظَلَمْتُمْ﴾: تعليل معناه بسبب ظلمكم، وقيل الفاعل مضمَر وهو التبري
 الذي يقتضيه قوله: ﴿يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ﴾ وأنكم على هذا تعليل. والأول
 أرجح ﴿أَفَأَنْتُمْ تُسْمِعُ الصُّمَّ﴾ الآية: خطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، والمراد بالصم
 والعمي الكفار إذ كانوا لا يعقلون براهين الإسلام ﴿فَأِنَّمَا نَذَبْنَا بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ﴾ إما
 مركبة من إن الشرطية وما الزائدة، ومقصد الآية وعيد للكفار، والمعنى إن جعلنا وفاتك
 قبل الانتقام منهم فإننا سنتقم منهم بعد وفاتك، وإن أخرنا وفاتك إلى حين الانتقام منهم فإننا
 عليهم مقتدرون، وهذا الانتقام يحتمل أن يريد به قتلهم يوم بدر وفتح مكة وشبه ذلك من
 الانتقام في الدنيا أو يريد به عذاب الآخرة، وقيل إن الضمير في منهم المنتقمون للمسلمين،
 وأن معنى ذلك أن الله قضى أن ينتقم منهم بالفتن والشدائد، وأنه أكرم نبيه عليه السلام بأن
 توفاه قبل أن يرى الانتقام من أمته، والأول أشهر وأظهر ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ الضمير
 في إنه للقرآن أو للإسلام، والذكر هنا بمعنى الشرف، وقوم النبي صلى الله عليه وآله وسلم
 هم قريش وسائر العرب، فإنهم نالوا بالإسلام شرف الدنيا والآخرة ويكفيك أن فجعوا
 مشارق الأرض ومغاربها وصارت منهم الخلافة والملك، وورد عن ابن عباس أنه لما تزلزلت
 هذه الآية علم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن الأمر بعده لقريش، ويحتمل أنه يريد
 بالذكر التذكير والموعظة، فقومه على هذا أمته كلهم وكل من بلغ إليهم ﴿وَسَوْفَ
 تُسْأَلُونَ﴾ أي تسألون عن العمل بالقرآن وعن شكر الله عليه ﴿وَأَسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ
 مِنْ رُسُلِنَا﴾ إن قيل كيف أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يسأل الرسل المتقدمين وهو
 لم يدركهم؟ فالجواب من ثلاثة أوجه: الأول أنه رآهم ليلة الإسراء. الثاني أن المعنى أسأل
 أمة من أرسلنا قبلك. الثالث أنه لم يرد سؤالهم حقيقة، وإنما المعنى أن شرائعهم متفقة

رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بَيِّنَاتٌ إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرِيهِمْ مِّنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ﴿٥٠﴾ وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا

على توحيد الله بحيث لو سئلوا أهل مع الله آلهة يعبدون لأنكروا ذلك ودانوا بالتوحيد ﴿وَمَا نُرِيهِمْ مِّنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾ الآيات هنا المعجزات كقلب العصا حية، وإخراج اليد بيضاء، وقيل البراهين والحجج العقلية، والأول أظهر ومعنى أكبر من أختها أنها في غاية الكبر والظهور ولم يرد تفضيلها على غيرها من الآيات، إنما المعنى أنها إذا نظرت وجدت كبيرة، وإذا نظرت غيرها وجدت كبيرة فهو كقول الشاعر:

مَنْ تَلَقَّ مِنْهُمْ فَقُلْ لَأَقِيتَ سَيِّدَهُمْ

هكذا قال الزمخشري، ويحتمل عندي أن يريد ما نريهم من آية إلا هي أكبر مما تقدمها، فالمراد أكبر من أختها المتقدمة عليها ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ ظاهر كلامهم هذا التناقض، فإن قولهم يا أيها الساحر يقتضي تكذيبهم له وقولهم ادع لنا ربك يقتضي تصديقه، والجواب من وجهين: أحدهما أن القائلين لذلك كانوا مكذبين، وقولهم ادع لنا ربك: يريدون على قولك وزعمك وقولهم إننا لمهتدون وعدنوا خلافة، والآخر: أنهم كانوا مصدقين، وقولهم يا أيها الساحر إما أن يكون عندهم غير مذموم، لأن السحر كان علم أهل زمانهم وكانهم قالوا يا أيها العالم، وإما أن يكون ذلك اسماً قد ألفوا تسمية موسى به من أول ما جاءهم فنطقوا به بعد ذلك من غير اعتقاد معناه ﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ﴾ يحتمل أنه ناداهم بنفسه أو أمر منادياً ينادي فيهم ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ﴾ قصد بذلك الافتخار على موسى، ومصر هي البلد المعروف وما يرجع إليه، ومتهى ذلك من نهر إسكندرية إلى أسوان بطول النيل ﴿وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي﴾ يعني الخلجان الكبار الخارجة من النيل كانت تجري تحت قصره، وأعظمها أربعة أنهار: نهر الإسكندرية وتيس ودمياط، ونهر طولون ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ أَمْ أَنَا خَيْرٌ﴾ مذهب سيبويه أن أم هنا متصلة معادلة، والمعنى أفلا تبصرون أم تبصرون، ثم وضع قوله أنا خير موضع تبصرون لأنهم إذا قالوا له أنت خير فإنهم عنده بصرء، وهذا من وضع السبب وضع المسبب، وكان الأصل أن يقول أفلا تبصرون أم تبصرون، ثم كتبت في أم تحدي السبب الذي بعد ما

الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٦﴾ فَلَوْلَا أَلْقَىٰ عَلَيْهِ آسُورَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ أَوْ جِلَّةٌ مَّعَهُ الْمَلَائِكَةُ
مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٧﴾ فَاسْتَحَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَسِيقِينَ ﴿٥٨﴾ فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا
مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ
مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ ﴿٦١﴾ وَقَالُوا ءَأَلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا

خير على وجه الإخبار ويوقف على هذا القول على أم وهذا ضعيف، وقيل أم بمعنى بل
فهي منقطعة «مهين» أي ضعيف حقير قاله الزمخشري وغيره «ولا يكاد يبين» إشارة إلى
ما بقي في لسان موسى من أثر الجمرة، وذلك أنها كانت قد أحدثت في لسانه عقدة، فلما
دعا أن تحل أجيبت دعوته وبقي منها أثر كان معه لكنة، وقيل يعني العي في الكلام، وقوله
ولا يكاد يبين: يقتضي أنه كان يبين، لأن كاد إذا نفيت تقتضي الإثبات «فلولا ألقى عليه
أسورة من ذهب» يريد لولا ألقاها الله إليه كرامة له ودلالة على نبوته، والأسورة جمع سوار
وأسوار، وهو ما يجعل في اللراع من الحلبي، وكان الرجال حينئذ يجعلونه «مقترنين» أي
مقترنين به لا يفارقونه أو متقارنين بعضهم مع بعض ليشهدوا له ويقبموا الحججة «فاستحف
قومه» أي طلب خفتهم بهذه المقالة واستهوى عقولهم «أسفونا» أي أغضبونا «فجعلناهم
سلفاً ومثلاً للآخرين» السلف بفتح السين واللام جمع سالف، وقرىء بضمها جمع سليف
ومعناه متقدم: أي تقدم قبل الكفار ليكون موعظة لهم، ومثلاً يعتبرون به لئلا يصيبهم مثل
ذلك «ولما ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدون» روي عن ابن عباس وغيره في
تفسيره هذه الآية أنه لما نزل في القرآن ذكر عيسى ابن مريم والثناء عليه، قالت قريش ما
يريد محمد إلا أن نعبده كما عبدت النصراني عيسى فهذا كان صدودهم من ضربه مثلاً،
حكى ذلك ابن عطية والذي ضرب المثل على هذا هو الله في القرآن، ويصدون بمعنى
يعرضون، وقال الزمخشري: لما قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على قريش إنكم
وما تعبدون من دون الله حصب جهنم امتعضوا من ذلك، وقال عبد الله بن الزبيري أخاصة
لنا ولآلهتنا أم لجميع الأمم فقال ﷺ: «هو لكم ولآلهتكم ولجميع الأمم»، فقال خصمك
ورب الكعبة ألسنت تزعم أن عيسى ابن مريم نبي وتثني عليه خيراً وقد علمت أن النصراني
عبدوه فإن كان عيسى في النار فقد رضينا أن نكون نحن وآلهتنا معه، ففرحت قريش بذلك
وضحكوا وسكت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأنزله الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ
مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُنْعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠١]، ونزلت هذه الآية، فالمعنى على هذا
لما ضرب ابن الزبيري عيسى مثلاً وجادل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعبادته

بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرْتُمْ بِهَا وَاتَّبِعُونَا هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَا يَصُدُّكُمْ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٢﴾ وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿٦٣﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ

النصارى إياه إذا قرئ من هذا المثل يصدون أي يضحكون ويصيحون من الفرح، وهذا المعنى إنما يجري على قراءة يصدون بكسر الصاد بمعنى الضجيج والصياح ﴿وَقَالُوا آلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ﴾ يعنون بهو عيسى، والمعنى أنهم قالوا آلهتنا خير أم عيسى، فإن كان عيسى يدخل النار فقد رضينا أن نكون نحن وآلهتنا معه لأنه خير من آلهتنا، وهذا الكلام من تمام ما قبله على ما ذكره الزمخشري في تفسير الآية التي قبله، وأما على ذكر ابن عطية فهذا ابتداء معنى آخر، وحكى الزمخشري في معنى هذه الآية قولاً آخر، وهو أنهم لما سمعوا ذكر عيسى قالوا نحن أهدى من النصارى لأنهم عبدوا آدمياً ونحن عبدنا الملائكة وقالوا آلهتنا وهم الملائكة خير أم عيسى فمقصدهم تفضيل آلهتهم على عيسى. وقيل إن قولهم أم هو: يعنون به محمداً ﷺ، فإنهم لما قالوا إنما يريد محمد أن نعبد كما عبت النصارى عيسى قالوا آلهتنا خير أم هو يريدون تفضيل آلهتهم على محمد والأظهر أن المراد بهو عيسى وهو قول الجمهور ويدل على ذلك تقدم ذكره ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا﴾ أي ما ضربوا لك هذا المثل إلا على وجه الجدل وهو أن يقصد الإنسان أن يغلب من ينظره سواء غلبه بحق أو بباطل، فإن ابن الزبيري وأمثاله ممن لا يخفى عليه أن عيسى لم يدخل في قوله تعالى: ﴿حَصَبٌ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ٩٨]، ولكنهم أرادوا المغالطة، فوصفهم الله بأنهم قوم خصمون ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ﴾ يعني عيسى والإنعام عليه بالنبوة والمعجزات وغير ذلك ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ﴾ في معناها قولان: أحدهما لو نشاء لجعلنا بدلاً منكم ملائكة يسكنون الأرض ويخلقون فيها بني آدم، فقوله منكم يتعلق ببطل المحذوف أو بخلقهم، والآخر لو نشاء لجعلنا منكم أي لولدنا منكم أولاداً ملائكة يخلقونكم في الأرض كما يخلقكم أولادكم، فإننا قادرون على أن نخلق من أولاد الناس ملائكة فلا تنكروا أن خلقنا عيسى من غير والد، حكى ذلك الزمخشري ﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ الضمير لعيسى وقيل لمحمد ﷺ وقيل للقرآن، فأما على القول بأنه لعيسى أو لمحمد فالمعنى أنه شرط من أشرط الساعة يوجب العلم بها فسمي الشرط علماً لحصول العلم به، ولذلك قرئ

رَبِّي وَرَبِّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿١٤﴾ فَأَخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابٍ يَوْمَ إِلَهِمْ ﴿١٥﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٦﴾ الْأَخْلَاءَ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴿١٧﴾ يَجْعَلُهَا لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿١٨﴾ الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿١٩﴾ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٢٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَلَاحٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٣﴾ إِنَّ الْمَجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يُفْتَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْسُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمْ الظَّالِمِينَ ﴿٢٦﴾ وَنَادَاؤُا يَمَّا لَيْفِضُ عَلَيْكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَنِكْثُونَ ﴿٢٧﴾ لَقَدْ جِئْتُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنْ أَكْثَرْتُمْ الْكِبْرَ لِحَقِّ كَرِهُونَ ﴿٢٨﴾ أَمْ أُبْرِمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْسِبُونَ ﴿٣٠﴾ قُلْ إِنْ كَانَ

فالمعنى أنه يعلمكم بالساعة ﴿وَلَا يُبَيِّنُ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ إنما بين البعض دون الكل لأن الأنبياء إنما يبيّنون أمور الدين لا أمور الدنيا، وقيل بعض بمعنى كل وهذا ضعيف ﴿فَأَخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ﴾ ذكر في مريم ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ﴾ أي ينتظرون، والضمير لقريش أو للأحزاب ﴿الْأَخْلَاءَ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ الأخلاء جمع خليل وهو الصديق، وإنما يُعَادِي الخليل خليله يوم القيامة، لأن الضرر دخل عليه من صحبته، ولذلك استثنى المتقين، لأن النفع دخل على بعضهم من بعض ﴿يَا عِبَادِ﴾ الآية. تقديره يقول الله يوم القيامة للمتقين: ﴿يَا عِبَادِي لَا خَوْفَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ ﴿تُحْبَرُونَ﴾ أي تنعمون وتسرون ﴿وَهُمْ فِيهِ مُبْسُونَ﴾ أي يأسون من الخير ﴿وَنَادَاؤُا يَمَّا لَيْفِضُ عَلَيْكَ﴾ المعنى أنهم طلبوا الموت ليستريحوا من العذاب، وروى أن مالكا يبقى بعد ذلك ألف سنة وحينئذ يقول لهم إنكم ماكنون أي دائمون في النار. ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ بِالْحَقِّ﴾ الآية من كلام الله تعالى لأهل النار، أو من كلام الله لقريش في الدنيا ﴿أَمْ أُبْرِمُوا أَمْرًا﴾ فإِنَّا مُبْرِمُونَ الضمير لكفار قريش، والمعنى أنهم إن أحكموا كيد النبي ﷺ فَإِنَّا مُحْكِمُونَ نصره وحمايته ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ﴾ الآية: روي أنها نزلت في الأخنس بن شريق والأسود بن عبد يغوث اجتماعا وقال الأخنس أترى الله يسمع سرنا، فقال الآخر يسمع نجوانا ولا يسمع سرنا ﴿سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ﴾ السر ما يحدث الإنسان به نفسه أو غيره في خفية، والنجوى ما

لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴿٨١﴾ سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾
 فَذَرَهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ
 إِلَهٌُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ
 وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾ وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّفَعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ

تكلّموا به فيما بينهم ﴿بلى﴾ أي نسمع ورسّلنا مع ذلك تكتب ما يقول والرسل هنا الملائكة
 الحافظون للأعمال ﴿قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين﴾ في تأويل الآية أربعة
 أقوال: الأول أنها احتجاج وردّ على الكفار على تقدير قولهم، ومعناها لو كان للرحمن ولد
 كما يقول الكفار لكنت أنا أول من يعبد ذلك الولد كما يعظم خدّم الملك ولد الملك
 لتعظيم والده، ولكن ليس للرحمن ولد فلست بعباد إلا الله وحده، وهذا نوع من الأدلة
 يستمى دليل التلازم لأنه علّق عبادة الولد بوجوده ووجوده مُحال فعبادته مُحال، ونظير هذا
 أن يقول المالكي إذا قصد الردّ على الحنفي في تحريم النبيذ: إر كان النبيذ غير مُسكر فهو
 حلال لكنه مُسكر فهو حرام، القول الثاني إن كان للرحمن ولد فأنا أول من عبد الله وحده
 وكذبكم في قولكم أن له ولداً، والعبادين على هذين القولين بمعنى العبادة، القول الثالث
 أن العابدين بمعنى المنكرين: يقال عبد الرجل إذا أنف وتكبّر وأنكر الشيء، والمعنى إن
 زعمتم أن للرحمن ولداً فأنا أول المنكرين لذلك، وإن على هذه الأقوال الثلاثة شرطية،
 القول الرابع قال قتادة وابن زيد إن هنا نافية بمعنى ما كان للرحمن ولد وتمّ الكلام، ثم
 ابتداء قوله فأنا أول العابدين، والأول هو الصحيح لأنه طريقة معروفة في البراهين والأدلة،
 وهو الذي عوّل عليه الزمخشري، وقال الطبري هو ملاطفة في الخطاب ونحوه قوله تعالى:
 ﴿وَأَنَا أَوَّلُ إِنَائِكُمْ لَعَلِّي هُدَىٰ أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ: ٢٤] وقال ابن عطية منه قوله تعالى
 في مخاطبة الكفار: ﴿أَيُّنَ شُرَكَائِي﴾ [النحل: ٢٧] يعني شركائي على قولكم ﴿فَذَرَهُمْ﴾
 الآية مُودعة منسوخة بالسيف ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ﴾ أي هو الإله
 لأهل الأرض وأهل السماء والمجروح يتعلّق بإله لأن فيه معنى الوصفية ﴿وَعِنْدَهُ عِلْمُ
 السَّاعَةِ﴾ أي علم زمان وقوعها ﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّفَاعَةَ﴾ أي لا يملك
 كل من عبد من دون الله أن يشفع عند الله، لأن الله لا يشفع أحد عنده إلا بإذنه، فهو
 المالك للشفاعة وحده ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ اختلف هل يعني بمن شهد
 بالحق الشافع أو المشفوع فيه، فإن أراد المشفوع فيه فالاستثناء منقطع والمعنى لا يملكون
 المعبودون شفاعة لكن به، ويحتمل على هذا

يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ وَقِيلَ يَا رَّبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ فَأَصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلِّمْ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾

أن يكون من شهد مفعولاً بالشفاعة على إسقاط حرف الجر تقديره الشفاعة فيمن شهد بالحق، وإن أراد بمن شهد بالحق الشافع فيحتمل أن يكون الاستثناء منقطعاً وأن يكون متصلاً إلا فيمن عبد عيسى والملائكة، والمعنى على هذا لا يملك المعبودون شفاعة إلا من شهد بالحق ﴿وَقِيلَ يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ القيل مصدر كالقول، والضمير يعود على النبي ﷺ، وقرئ قيله بالنصب والخفض وقرئ في غير السبع بالرفع، فأما النصب فقيل هو معطوف على سزهم ونجواهم، وقيل هو معطوف على موضع الساعة لأنها مفعول أضيف إلى المصدر وقيل معطوف على مفعول محذوف تقديره يكتبون أقوالهم وقيله، وأما الخفض فقيل إنه معطوف على لفظ الساعة، ويحتمل أن يكون معطوفاً على قوله بالحق، وأما على الرفع فقيل إنه مبتدأ وخبره ما بعده، وضعف الزمخشري ذلك كله وقال إنه من باب القسم فالنصب والخفض على إضمار حرف القسم كقولك الله لأضربن زيداً والرفع كقولهم أيمن الله ولعمرك، وجواب القسم قوله إن هؤلاء قوم لا يؤمنون كأنه قال أقسم بقيله أن هؤلاء قوم لا يؤمنون ﴿فَأَصْفَحْ عَنْهُمْ﴾ منسوخ بالسيف ﴿وَقُلْ سَلِّمْ﴾ تقديره أطري سلام أي مسالمة، وقيل سلام عليكم على جهة المواعدة وهو منسوخ على الوجهين ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ تهديد.

وَأَن يَكُونَ مِنْ شَهِدٍ مَّفْعُولًا بِالشَّفَاعَةِ عَلَى إِسْقَاطِ حَرْفِ الْجَرِّ تَقْدِيرُهُ الشَّفَاعَةُ فَيَمَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ، وَإِنْ أَرَادَ بِمَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ الشَّافِعَ فَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الِاسْتِثْنَاءُ مَنطِقَةً وَأَنْ يَكُونَ مَتَّصِلًا إِلَّا فَيَمَنْ عَبَدَ عِيسَى وَالْمَلَائِكَةَ، وَالْمَعْنَى عَلَى هَذَا لَا يَمْلِكُ الْمُعْبُودُونَ شَفَاعَةً إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ ﴿وَقِيلَ يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ الْقَيْلُ مَصْدَرٌ كَالْقَوْلِ، وَالضَّمِيرُ يَعُودُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَقُرِئَ قِيلَهُ بِالنَّصْبِ وَالخَفْضِ وَقُرِئَ فِي غَيْرِ السَّبْعِ بِالرَّفْعِ، فَأَمَّا النَّصْبُ فَقِيلَ هُوَ مَعطُوفٌ عَلَى سَزَهُمْ وَنَجْوَاهُمْ، وَقِيلَ هُوَ مَعطُوفٌ عَلَى مَوْضِعِ السَّاعَةِ لِأَنَّهَا مَفْعُولٌ أُضِيفَ إِلَى الْمَصْدَرِ وَقِيلَ مَعطُوفٌ عَلَى مَفْعُولٍ مَحذُوفٍ تَقْدِيرُهُ يَكْتُبُونَ أَقْوَالَهُمْ وَقِيلَهُ، وَأَمَّا الْخَفْضُ فَقِيلَ إِنَّهُ مَعطُوفٌ عَلَى لَفْظِ السَّاعَةِ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مَعطُوفًا عَلَى قَوْلِهِ بِالْحَقِّ، وَأَمَّا عَلَى الرَّفْعِ فَقِيلَ إِنَّهُ مَبْتَدَأٌ وَخَبْرُهُ مَا بَعْدَهُ، وَضَعَفَ الزَّمَخْشَرِيُّ ذَلِكَ كُلَّهُ وَقَالَ إِنَّهُ مِنْ بَابِ الْقَسَمِ فَالنَّصْبُ وَالخَفْضُ عَلَى إِضْمَارِ حَرْفِ الْقَسَمِ كَقَوْلِكَ اللَّهُ لِأَضْرِبَنَّ زَيْدًا وَالرَّفْعُ كَقَوْلِهِمْ أَيْمَنَ اللَّهُ وَلِعْمَرُكَ، وَجَوَابُ الْقَسَمِ قَوْلُهُ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ كَأَنَّهُ قَالَ أَقْسِمُ بِقِيلِهِ أَنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿فَأَصْفَحْ عَنْهُمْ﴾ مَنسُوخٌ بِالسَّيْفِ ﴿وَقُلْ سَلِّمْ﴾ تَقْدِيرُهُ أَطْرِي سَلَامًا أَيْ مَسَالِمَةً، وَقِيلَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ عَلَى جِهَةِ الْمَوَادَعَةِ وَهُوَ مَنسُوخٌ عَلَى الْوَجْهِينِ ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ تَهْدِيدٌ.

سورة الدخان

مكية وآياتها ٥٩ نزلت بعد الزخرف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ ﴿١﴾ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَرَّكَةٍ ﴿٣﴾ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٤﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٥﴾ أَمْرًا مِّنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٦﴾ رَحْمَةً مِّنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٧﴾ رَبِّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ ذكر في الزخرف وهو قسم جوابه إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ، وقيل إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ وهو بعيد ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَرَّكَةٍ﴾ يعني ليلة القدر من رمضان وكيفية إنزاله فيها أنه أنزل إلى السماء الدنيا جملة واحدة، ثم نزل به جبريل على النبي ﷺ شيئاً بعد شيء وقيل معناه أنه ابتداء إنزاله في ليلة القدر، وقيل يعني بالليلة المباركة ليلة النصف من شعبان وذلك باطل، لقوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ مع قوله: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ [البقرة: ١٨٥] ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ معنى يفرق يفصل ويخلص، والأمر الحكيم أرزاق العباد وأجالهم وجميع أمورهم في ذلك العام نسخ من اللوح المحفوظ في ليلة القدر ليتمثل الملائكة ذلك بطول السنة القابلة، وقيل إن هذا يكون ليلة النصف من شعبان وهذا باطل لما قَدَمْنَا ﴿أَمْرًا مِّنْ عِنْدِنَا﴾ مفعول بفعل مضممر على الاختصاص قاله الزمخشري، وقال ابن عطية نصب علم

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿٧﴾ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ
 آبَائِكُمْ الْأُولِينَ ﴿٨﴾ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ﴿٩﴾ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ ﴿١٠﴾
 يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ رَبَّنَا أَكْفِئْنَا عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ أَتَى لَهُمُ الذِّكْرَى
 وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ ﴿١٤﴾ إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ
 عَائِدُونَ ﴿١٥﴾ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْقِمُونَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ
 وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنْ أَدْوَأْ إِلَىٰ عِبَادِ اللَّهِ إِنِّي لَكَرُّ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾ وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي
 آتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿١٩﴾ وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾ وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَرِلُونِ ﴿٢١﴾ فَدَعَا رَبِّي
 أَنْ هَوِّلَآءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾ فَأَسْرِبِعَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُّتَّبِعُونَ ﴿٢٣﴾ وَأَتْرَكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ

السلام، وقيل من إرسال الرحمة والأول أظهر ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾ في
 هذا قولان أحدهما قول علي بن أبي طالب وابن عباس أن الدخان يكون قبل يوم القيامة
 يصيب المؤمن منه مثل الزكام وينضح رؤوس الكافرين والمنافقين وهو من أشراط الساعة،
 وروى حذيفة أن رسول الله ﷺ قال: «إن أول أشراط الساعة الدخان» والثاني قول ابن
 مسعود: إن الدخان عبارة عما أصاب قريشاً حين دعا عليهم رسول الله ﷺ بالجذب فكان
 الرجل يرى دخاناً بينه وبين السماء من شدة الجوع قال ابن مسعود خمس قد مضين:
 الدخان واللزام والبطشة والقمر والدوم ﴿هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ يحتمل أن يكون من كلام الله
 تعالى، أو من قول الناس لما أصابهم الدخان، وهذا أظهر لأن ما بعده من كلامهم باتفاق
 فيكون الكلام متناسقاً ﴿أَتَى لَهُمُ الذِّكْرَى﴾ هذا من كلم الله تعالى وشعناه استبعاد تذكير
 الكفار مع تكذيبهم للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، والواو في قوله وقد جاءهم واو الحال
 ﴿رَسُولٌ مُبِينٌ﴾ يعني محمداً ﷺ ﴿وَقَالُوا مُعَلَّمٌ﴾ أي يعلمه بشر ﴿الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى﴾ قال ابن
 عباس هي يوم القيامة، وقال ابن مسعود هي يوم بدر و﴿رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾ يعني موسى عليه
 السلام ﴿أَنْ أَدْوَأْ إِلَىٰ عِبَادِ اللَّهِ﴾ أن هنا مفسرة نائب مناب القول، وأدوا فعل أمر من الأداء
 وعباد الله مفعول به وهم بنو إسرائيل، والمعنى أرسلوا بني إسرائيل كما قال في طه:
 ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [طه: ٤٧] وقيل عباد الله منادى، والمعنى أدوا إلى الطاعة
 والإيمان يا عباد الله، والأول أظهر ﴿وَأَنْ لَا تَعْلُوا﴾ أي لا تتكبروا ﴿بِسُلْطَانٍ﴾ أي حجة
 وبرهان ﴿أَنْ تَرْجُمُونَ﴾ اختلف هل معناه الرجم بالحجارة أو السب والأول أظهر
 ﴿فَاعْتَرِلُونِ﴾ أي اتركوا وحلوا مسيلي ﴿فَأَسْرِبِعَادِي﴾ هذا أمر من الله لموسى عليه السلام

مُعْرِفُونَ ﴿٢٤﴾ كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَكَاهِنَ ﴿٢٧﴾ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَقَدْ بَعَثْنَا لَبِيئَةَ إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ أَخْتَرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ ﴿٣٢﴾ وَعَايَنَّا لَهُم مِّنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُّبِينٌ ﴿٣٣﴾ إِنَّ هَؤُلَاءَ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَتَوْا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٦﴾

والعباد هنا بنو إسرائيل أي اخرج بهم بالليل ﴿إِنَّكُمْ مُتَّبِعُونَ﴾ إخبار أن فرعون وجنوده يتبعونهم ﴿وَأَتْرَكَ الْبَحْرَ رَهْوًا﴾ أي ساكنًا على هيئته وقيل يابسًا ورُوي أن موسى لما جاوز البحر أراد أن يضربه بعصاه فينطبق كما ضربه فانفلق، فقال الله له اتركه كما هو ليدخله فرعون وقومه فيغرقوا فيه، وقيل معنى رهوًا سهلًا، وقيل منفرجًا ﴿وَعُيُونٍ﴾ يحتمل أن يريد الخلدجان الخارجة من النيل وكانت ثم عيون في ذلك الزمان، وقيل يعني الذهب والفضة وهو بعيد ﴿وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ فيه قولان المنابر والمسكن الحسان ﴿وَنَعْمَةً﴾ من التنعم بالأرزاق وغيرها ﴿فَاكِهِينَ﴾ أي متنعمين، وقيل فرحين وقيل أصحاب فاكهة ﴿كَذَلِكَ﴾ في موضع نصب أي مثل ذلك الإخراج أخرجناهم، أو في موضع رفع تقديره الأمر كذلك ﴿وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ يعني بني إسرائيل حكاه الزمخشري والماوردي وضعفه ابن عطية قال لأنه لم يرو في مشهور التواريخ أن بني إسرائيل رجعوا إلى مصر في ذلك الزمان، وقد قال الحسن إنهم رجعوا إليها، ويدل على أن المراد بنو إسرائيل قوله في الشعراء وأورثناها بني إسرائيل ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾ فيه ثلاثة أقوال: الأول أنه عبارة عن تحقيرهم، وذلك أنه إذا مات رجل خطير قالت العرب في تعظيمه بكت عليه السماء والأرض على وجه المجاز والمبالغة، فالمعنى أن هؤلاء ليسوا كذلك لأنهم أحقر من أن يبالي بهم. الثاني قيل إذا مات المؤمن بكى عليه من الأرض موضع عبادته ومن السماء موضع صعود عمله، فالمعنى أن هؤلاء ليسوا كذلك لأنهم كفار أو ليس لهم عمل صالح. الثالث أن المعنى ما بكى عليهم أهل السماء ولا أهل الأرض، والأول أفصح وهو منزع معروف في كلام العرب ﴿وَكَانُوا مُنظَرِينَ﴾ أي مؤخرين ﴿مِنْ فِرْعَوْنَ﴾ بدل من العذاب ﴿عَالِيًا﴾ أي متكبرًا ﴿أَخْتَرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ أي كنا عالمين بأنهم مستحقون لذلك ﴿عَلَىٰ الْعَالَمِينَ﴾ أي على أهل زمانهم ﴿بَلَاءٌ مُّبِينٌ﴾ أي اختبار ﴿إِنَّ هَؤُلَاءَ﴾ يعني كفار قريش ﴿فَأَتَوْا بِآبَائِنَا﴾ خاطبت قريش بذلك النبي ﷺ وأصحابه على وجه التعجيز، رُوي أنهم طلبوا أن يحيي لهم قصي بن كلاب يسألوه

أَهْمَ خَيْرٌ أَمْ قَوْمٌ تُبِعَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعَيْبٍ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾ إِنَّ شَجَرَةَ الزُّقُوفِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلِي الْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَاعْتَلُوهُ إِلَىٰ سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَذَا مَا كُتِبَ بِهِ تَمَتُّونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُوبٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْخُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَكَهْتَةٍ أَمِينَةٍ ﴿٥٥﴾

وكان مؤمنا وقومه كفارا فذم الله قومه ولم يذمه، وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «ما أدري أكان تبع نبيا أو غير نبي»، ومعنى الآية أقرش أشد وأقوى أم قوم تبع والذين من قبلهم من الكفار، وقد أهلكنا قوم تبع وغيرهم لما كفروا فكذلك نهلك هؤلاء، فمقصود الكلام تهديد «وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ» عطف على قوم تبع: وقيل هو مبتدأ فيوقف على ما قبله والأول أصح «لَا عَيْبِينَ» حال منفية ذكرت في الأنبياء «يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى» المولى هنا يعم الولي والقريب وغير ذلك من الموالي «إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ» استثناء منقطع إن أراد بقوله: «وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ» الكفار، ومتصل إن أراد بذلك جميع الناس «طَعَامُ الْأَثِيمِ» أي الفاجر وهو من الإثم، وقيل يعني أبا جهل فالألف واللام للعهد والأظهر أنها للجنس فتعم أبا جهل وغيره «كَالْمُهْلِ» هو دردي الزيت، وقيل ما يذاب من الرصاص وغيره «فَاعْتَلُوهُ» أي سقوه بتعنيف «ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ» المصبوب في الحقيقة إنما هو الحميم وهو الماء الحار، ولكن جعل المصبوب هنا العذاب المضاف إلى الحميم مجازا لأن ذلك أبلغ وأشد تهويلا، وقد جاء الأصل في قوله يصب من فوق رؤوسهم الحميم «ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ» يقال هذا للكافر على وجه التوبيخ والتهكم به أي كنت العزيز الكريم عند نفسك، وروي أن أبا جهل قال ما بين جليلها أعز مني ولا أكرم فنزلت الآية «تَمَتُّونَ» تفتعلون من المربة وهي الشك «فِي مَقَامٍ أَمِينٍ» قرئ بضم الميم أي موضع إقامة، وفتحها أي موضع قيام والمراد به الجنة والأمين من الأمن أي مأمون فيه، وقيل من الأمانة وصف به المكان مجازا «مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ» السندس الرقيق من الديدباج والإستبرق الغليظ منه «كَذَلِكَ» في موضع رفع أي الأمر كذلك، أو في موضع نصب أي

لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَّهْمَ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضَلَّامِن رَّبِّكَ
 ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ
 مُّرْتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾

مثل ذلك زوجناهم ﴿يَذُوعُونَ فِيهَا﴾ أي يدعون خدامهم ﴿إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى﴾ استثناء منقطع،
 والمعنى لا يذوقون فيها الموت: لكنهم قد ذاقوا الموتة الأولى خاصة قبل ذلك، ولولا
 قوله فيها لكان متصلاً لعموم لفظ الموت، وقيل إلا هنا بمعنى بعد وذلك ضعيف ﴿يَسَّرْنَاهُ﴾
 أي سهلناه والضمير للقرآن ﴿بِلِسَانِكَ﴾ أي بلغتك وهي لسان العرب ﴿فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ
 مُرْتَقِبُونَ﴾ أي ارتقب نصرنا لك وإهلاكهم فإنهم مرتقبون ضد ذلك، ففيه وعد له ووعد
 لهم.

سورة الجاثية

مكية إلا آية ١٤ فمدنية وآياتها ٣٧ نزلت بعد الدخان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمَّ ١ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ٢ إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّمُؤْمِنِينَ ٣ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُتُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ٤ وَأَخْلَفَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿تَنْزِيلُ﴾ ذكر في المزمّل وما بعد ذلك تنبيه على الاعتبار بالموجودات وقد ذكر معناه في مواضع ﴿وَنَزَّلْنَا لَكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ الأفَّاكُ مبالغة من الإفَّاك وهو الكذب، والأثيم من الإثم، وقيل إنها نزلت في النضر بن الحارث ولفظها على العموم ﴿يُصِرُّ﴾ أي يدوم على حاله من الكفر، وإنما عطفه بسم لاستعظام الإصرار على الكفر بعد سماعه آيات الله واستبعاد ذلك في العقل والطبع ﴿وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا﴾ أي إذا بلغه منها شيء ولم يرد العلم الحقيقي ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ﴾ كقوله من ورائه عذاب غليظ، وقد ذكر في إبراهيم ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ يعني الشمس والقمر والملائكة وبنى آدم والحيوانات والنبات وغير ذلك ﴿جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ أي كل نعمة فمن الله تعالى، والمجرور في موضع الحال أو خبر ابتداء مضمّر، وقرأ ابن عباس منه ﴿قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ﴾ أمر الله المؤمنين أن يتجاوزوا عن الكفّار ولا يؤاخذوهم إذا آذوهم، وكان ذلك في صدر

الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَفَصْرِيْفَ الرِّيحِ ؕ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فِآيَاتٍ حَدِيثٍ
 بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ وَيَلْ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُكَلِّمُ عَلَيْهِ ثُمَّ يَصِرُ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ
 يَسْمَعْهَا فَبَشِيرَةٌ لِّعَذَابِ آلِيمٍ ﴿٨﴾ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩﴾ مِنْ
 وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ ۗ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾
 هَذَا هُدًى وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجِزٍ آلِيمٌ ﴿١١﴾ ﷻ اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِيَجْرِيَ
 أَلْفَاكٌ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا
 مِّنْهُ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ
 لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۗ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ
 تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى
 الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ وَءَاتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ
 إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ
 الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ
 الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾ هَذَا بَصِيرَةٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ
 يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ أَجْرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

الإسلام، قيل إنها منسوخة بالسيف، وقيل ليست بمنسوخة لأن احتمال الأذى مندوب إليه على كل حال، وأما القتال على الإسلام فليس من ذلك، وروي أن الآية نزلت في عمر بن الخطاب شتمه رجل من الكفار فأراد عمر أن يبطش به، وأيام الله هي نعمه، فالرجاء على أصله، وقيل أيام الله عبارة عن عقابه، فالرجاء بمعنى الخوف ويغفروا مجزوم في جواب شرط مقدر دل عليه قل، قال الزمخشري حذف معمول القول، والمعنى قل لهم اغفروا يغفروا ﴿لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ فاعل يجزي ضمير يعود على الله، وقرىء بنون المتكلم، وقال ابن عطية إن الآية وعيد، فالقوم على هذا هم الذين لا يرجون أيام الله ويكسبون يعني السيئات، وقال الزمخشري القوم هم الذين آمنوا وجزاؤهم الثواب بما كانوا يكسبون بكظم الغيظ واحتمال المكروه ﴿عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ ذكر في البقرة ﴿بَيِّنَاتٍ مِّنَ الْأَمْرِ﴾ أي معجزات من أمر الدين [Made searchable using ScribeTools.com](http://www.Made-searchable-using-ScribeTools.com) بين ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ

سَوَاءٌ مَّخِيَّتُهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَغَلَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشْوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِمْ يَهْدِيهِمْ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا

اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نُجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا ﴿٢١﴾ أم هنا للإنكار، واجترحوا اكتسبوا، والمراد بالذين اجترحوا السيئات الكفار لمقابلته بالذين آمنوا، ولأن الآية مكية: وقد يتناول لفظها المذنبين من المؤمنين ولذلك يذكر أن الفضيل بن عياض قرأها بالليل فما زال يرذدها ويبكي طول الليل ويقول لنفسه من أي الفريقين أنت، ومعناها إنكار ما حسبه الكفار من أن يكونوا هم والمؤمنون سواء في المحيا والممات، وفي تأويلها مع ذلك قولان: أحدهما أن المراد ليس المؤمنون سواء مع الكفار لا في المحيا ولا في الممات، فإن المؤمنين عاشوا على التقوى والطاعة، والكفار عاشوا على الكفر والمعصية وكذلك ملتهم ليست سواء، والقول الآخر أنهم استوتوا في المحيا في أمور الدنيا من الصحة والرزق فلا يستوتون في الممات، بل يسعد المؤمنون ويشقى الكافرون، فالمراد بها إثبات الجزاء في الآخرة وتفضيل المؤمنين على الكافرين في الآخرة، وهذا المعنى هو الأظهر والأرجح فيكون معنى الآية كقوله: ﴿أَفَتَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾ [القلم: ٢٥]، ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ [ص: ٢٨]، ﴿سَوَاءٌ مَخِيَّتُهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾ هذه الجملة بدل من الكاف في قوله: ﴿كَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ وهي مفسرة للتشبيه، وهي داخلة فيما أنكره الله مما حسبه الكفار وقيل هي كلام مستأنف؛ والمعنى على هذا أن محيا المؤمنين ومماتهم سواء وأن محيا الكفار ومماتهم سواء لأن كل واحد يموت على ما عاش عليه، وهذا المعنى بعيد، والصحيح أنها من تمام ما قبلها على المعنى الذي اخترناه، وأما إعرابها فمن قرأ سواء بالرفع فهو مبتدأ وخبره محياهم ومماتهم والجملة بدل من الجار والمجرور الواقع مفعولاً ثانياً لنجعل، ومن قرأ سواء بالنصب فهو حال أو مفعول ثانٍ لنجعل، ومحياهم فاعل بسواء، لأنه في معنى مستوي ﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ أي ساء حكمهم في تسويتهم بين أنفسهم وبين المؤمنين ﴿لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ معطوف على قوله بالحق، لأن فيه معنى التعليل، أو على تعليل محذوف تقديره خلق الله السموات والأرض ليدل بهما على قدرته ولتجزى كل نفس بما كسبت ﴿اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ﴾ أي أطاعه حتى صار له كالإله ﴿وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ أي على علم من الله سابق، وقيل على علم من هذا الضال بأنه على ضلال، ولكنه يتبع الضلال معاندة ﴿خَتَمَ﴾ ذكر في البقرة ﴿فَمَنْ

الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٨﴾ وَإِذَا تُلَّتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا اتَّبَعْنَا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٩﴾ قُلِ اللَّهُ يُخَيِّبُكُمْ ثُمَّ يُمَسِّكُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُومِدُ بِيَمِينِهِ الْمُبْطِلُونَ ﴿٣١﴾ وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَائِئَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُحْجَرُونَ مَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُمِينِ ﴿٣٤﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُلَّىٰ عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنْتُمْ قَوْمًا مُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَّا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسَدِّقِينَ ﴿٣٦﴾ ﴿٣٧﴾ وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتٍ مَّا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَّا

يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ ﴿٣٧﴾ قال ابن عطية فيه حذف مضاف تقديره من بعد إضلال الله إياه، ويحتمل أن يريد فَمَنْ يَهْدِيهِ غير الله ﴿وَقَالُوا﴾ الضمير لَمَنْ اتخذ إليه هواه أو لقريش ﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ في أربع تأويلات: أحدها أنهم أرادوا يموت قوم ويحيا قوم، والآخر نموت نحن ويحيا أولادنا، الثالث نموت حين كنا عدما أو نطفًا، ونحيا في الدنيا، والرابع نموت الموت المعروف، ونحيا قبله في الدنيا فوقع في اللفظ تقديم وتأخير، ومقصودهم على كل وجه إنكار الآخرة، ويظهر أنهم كانوا على مذهب الدهرية بقولهم: ﴿وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾، فردَّ الله عليهم بقوله: ﴿وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾ الآية ﴿قَالُوا اتَّبَعْنَا بِآبَائِنَا﴾ ذكر في الدخان ﴿قُلِ اللَّهُ يُخَيِّبُكُمْ﴾ الآية: ردَّ على المنكرين للحشر والاستدلال على وقوعه بقدرة الله تعالى على الإحياء والإماتة ﴿وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَائِئَةً﴾ أي تجثو على الركب وتلك هيئة الخائف الدليل ﴿كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا﴾ أي إلى صحائف أعمالها، وقيل الكتاب المنزل عليها، والأول أرجح لقوله: ﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ﴾ الآية: فإن قيل: كيف أضاف الكتاب تارة إليهم وتارة إلى الله تعالى؟ فالجواب أنه أضافه إليهم لأن أعمالهم ثابتة فيه، وأضافه إلى الله تعالى لأنه مالكة، وأنه هو الذي أمر الملائكة أن يكتبوه ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي نأمر الملائكة الحافظين بكتب أعمالكم، وقيل إن الله يأمر الحفظة أن تنسخ أعمال العباد من اللوح المحفوظ، ثم يمسكونه عندهم فتأتي أفعال العباد على ذلك، فتكتبها الملائكة، فذلك هو الاستنساخ وكان ابن عباس يحتج على ذلك بأن يقول: لا يكون الاستنساخ إلا إذا كان الشيء مكتوبًا، ثم قال: لا يكون ذلك ﴿وَحَاقَ﴾ ذكر

كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٣﴾ وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسِفُكُمْ كَمَا نَسِفْنَا لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوِلِكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ نَّاصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ذَلِكَ بِأَنكُمْ أَخَذْتُم آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَعَرَّضْتُمُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا قَالِيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾ قُلِ لِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾

مرآة ﴿الْيَوْمَ نَنسِفُكُمْ﴾ النسيان هنا بمعنى الترك، وأما في قوله نسيتم فيحتمل أن يكون بمعنى الترك أو الذهول ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ من العتبي وهي الرضا.

كانوا به يستهزئون (33) وقيل اليوم ننسفكم كما نسفنا لقاء يومكم هذا وماويلكم النار وما لكم من ناصرين (34) ذلك بأنكم أخذتم آيات الله هزواً وعرضتم الحياة الدنيا قاليوم لا يخرجون منها ولا هم يستعتبون (35) قل لله الحمد رب السموات ورب الأرض رب العالمين (36) وله الكبرياء في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم (37)

مرآة ﴿الْيَوْمَ نَنسِفُكُمْ﴾ النسيان هنا بمعنى الترك، وأما في قوله نسيتم فيحتمل أن يكون بمعنى الترك أو الذهول ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ من العتبي وهي الرضا.

كانوا به يستهزئون (33) وقيل اليوم ننسفكم كما نسفنا لقاء يومكم هذا وماويلكم النار وما لكم من ناصرين (34) ذلك بأنكم أخذتم آيات الله هزواً وعرضتم الحياة الدنيا قاليوم لا يخرجون منها ولا هم يستعتبون (35) قل لله الحمد رب السموات ورب الأرض رب العالمين (36) وله الكبرياء في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم (37)

سورة الأحقاف

مكية إلا الآيات ١٠ و ١٥ و ٣٥
فمدنية وآياتها ٣٥ نزلت بعد الجاثية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ ﴿١﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ
وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُّعْرِضُونَ ﴿٣﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿تَنْزِيلُ﴾ ذكر في الزمر ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ ذكر مراراً ﴿وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ يعني يوم القيامة
﴿أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا﴾ احتجاج على التوحيد وردة على المشركين، فالأمر بمعنى التعجيز
﴿شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ﴾ أي نصيب ﴿أَتُؤْتُونِي بِكِتَابٍ﴾ تعجيز لأنهم ليس لهم كتاب يدل على
الإشراك بالله، بل الكتب كلها ناطقة بالتوحيد ﴿أَوْ أَثَارَةٌ مِنْ عِلْمٍ﴾ أي بقية من علم قديم
يدل على ما يقولون، وقيل معناه من علم تُثبِّرونه أي تستخرجونه، وقيل هو الإسناد، وقيل
هو الخط في الرمل، وكانت العرب تتكهن به، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
كان نبي من الأنبياء يخط في الرمل فَمَنْ وافق خطه فذاك ﴿وَمَنْ أَضَلُّ﴾ الآية. معناها لا
أحد أضل ممن يدعو إليها لا يستجيب له وهي الأصنام فإنها لا تسمع ولا تعقل، ولذلك
وصفها بالغفلة عن دعائهم، لأنها لا تسمعه ﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً﴾ أي كان
الأصنام أعداء للذين عبدوا

خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَتَتُونِي يُحَدِّثُونَ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ عَدْوًا فَأَنْتُمْ تُبْعَثُونَ ﴿٤﴾ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَفْلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿٦﴾ وَإِذْ أَنْتَلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُمْ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٨﴾ قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَيْتُمْ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكُفْرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ

الأصنام من الذين عبدوها، وإنما ذكر الأصنام بضمائر مثل ضمائر العقلاء لأنه أسند إليهم ما يسند إلى العقلاء، من الاستجابة والغفلة والعداوة ﴿قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُمْ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ أي لو افتريته لعاقبني الله على الافتراء عقوبة لا تقدرُونَ على دفعها ولا تملكون شيئاً من رذها عليه فكيف افتريه وأتعرض لعقاب الله ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ أي بما تتكلمون به، يقال أفاض الرجل في الحديث إذا خاض فيه واستمر ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ﴾ البدع والبديع من الأشياء: ما لم ير مثله أي ما كنت أول رسول ولا جئت بأمر لم يجيء به أحد قبلي، بل جئت بما جاء به ناس كثيرون قبلي، فلا شيء تنكرون ذلك ﴿وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ﴾ فيها أربعة أقوال: الأول أنها في أمر الآخرة وكان ذلك قبل أن يعلم أنه في الجنة، وقبل أن يعلم أن المؤمنين في الجنة وأن الكفار في النار، وهذا بعيد، لأنه لم يزل يعلم ذلك من أول ما بعثه الله والثاني أنها في أمر الدنيا: أي لا أدري بما يقضي الله عليّ وعليكم، فإن مقادير الله مغيبة وهذا هو الأظهر. الثالث ما أدري ما يفعل بي ولا بكم من الأوامر والنواهي وما تلزمه الشريعة. الرابع أن هذا كان في الهجرة إذ كلن رسول الله ﷺ قد رأى في المنام أنه يهاجر إلى أرض بها نخل فقلق المسلمون لتأخير ذلك فنزلت هذه الآية ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكُفْرْتُمْ بِهِ﴾ معنى الآية أرايتم إن كان القرآن من عند الله وكفرتم به ألستم ظالمين، ثم حذف قوله ألستم ظالمين وهو الجواب، لأنه دل على أن الله لا يهدي القوم الظالمين ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَيَّ مِثْلِهِ﴾ هذه الجملة معطوفة على الجملة التي قبلها، فالمعنى أرايتم إن اجتمع كون القرآن من عند الله مع شهادة شاهد من بني إسرائيل على مثله ثم آمن به هذا الشاهد وكفرتم أنتم ألستم أضل الناس وأظلم الناس، واختلف في الشاهد المذكور على ثلاثة أقوال: أحدها أنه عبد الله بن

مِثْلِهِ فَمَنْ وَّاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ
كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِنْكَ قَدِيمٌ ﴿١٧﴾ وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبَ
مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّبُنْدَرِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبَشْرَىٰ
لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧﴾

سلام، ف قيل على هذا إن الآية مدنية، لأنه إنما أسلم بالمدينة، وقيل إنها مكية وأخبر
بشهادته قبل وقوعها ثم وقعت على حسب ما أخبر، وكان عبد الله بن سلام يقول في نزلت
الآية، الثاني أنه رجل من بني إسرائيل كان بمكة: الثالث أنه موسى عليه السلام ورجح
ذلك الطبري والضمير في مثله للقرآن أي يشهد على مثله فيما جاء به من التوحيد والوعد
والوعيد، والضمير في آمن للشاهد فإن كان عبد الله بن سلام أو الرجل الآخر فإيمانه بين،
وإن كان موسى عليه السلام، فإيمانه هو تصديقه بأمر محمد ﷺ وتبشير به ﴿وَقَالَ الَّذِينَ
كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ﴾ أي لو كان الإسلام خيرًا ما سبقنا إليه
هؤلاء، والقائلون لهذه المقالة هم أكابر قريش لما أسلم الضعفاء كبلال وعمار وصهيب
وقيل بل قالها كنانة وقبائل من العرب لما أسلمت غفار ومزينة وجهينة، وقيل بل قالها
اليهود لما أسلم عبد الله بن سلام، والأول أرجح لأن الآية مكية وكانت مقالة قريش بمكة
وأما مقالة الآخرين فإنما كانت بعد الهجرة ومعنى الذين آمنوا من أجل الذين آمنوا: أي
قالوا ذلك عنهم في غيبتهم وليس المعنى أنهم خاطبوهم بهذا الكلام لأنه لو كان خطابًا
لقالوا ما سبقتمونا ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِنْكَ قَدِيمٌ﴾ أي لما لم يهتدوا قالوا هذا
إفك قديم ونحو هذا ما جاء في المثل من جهل شيئاً عاداه، ووصفه بالقدم لأنه قد قيل
قديمًا، فإن قيل: كيف تعمل فسيقولون في إذ وهي للماضي والعامل مستقبل؟ فالجواب:
أن العامل في إذ محذوف تقديره إذ لم يهتدوا به ظهر عنادهم فسيقولون، قال ذلك
الزمخشري، ويظهر لي أن إذ هنا بمعنى التعليل لا ظرفية بمعنى الماضي فلا يلزم السؤال،
والمعنى أنهم قالوا هذا إفك بسبب أنهم لم يهتدوا به، وقد جاءت إذ بمعنى التعليل في
القرآن وفي كلام العرب ومنه ﴿وَلَنْ يَنْفَعَكُمْ يَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ﴾ [الزخرف: ٣٩] أي بسبب
ظلمكم ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابٌ مُّوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ الضمير في قبله للقرآن وكتاب موسى هو
التوراة، وإمامًا حال، ومعناه يقتدى به ﴿وَهَذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا﴾ الإشارة بهذا إلى
القرآن، ومعنى مصدق مصدق بما قبله من الكتب، وقد ذكرنا ذلك في البقرة ولسان حال
من الضمير في مصدق،

أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْرِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي بُنِيتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ تَنقِبُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَتَتَجَاوَرُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَ الصَّادِقُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿١٧﴾ وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَا أَتَعَدَانِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِن قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَفِئَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ ءَأَمِنَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٨﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمُورٍ قَدِ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ

واختار هذا ابن عطية ﴿استفأموا﴾ ذكر في حم السجدة ﴿إحسانًا﴾ ذكر في العنكبوت ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾ أي حملته بمشقة ووضعته بمشقة، ويقال كره بفتح الكاف وضمها بمعنى واحد ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ أي مدة حملة ورضاعه ثلاثون شهرًا وهذا لا يكون إلا بأن ينقص من أحد الطرفين، وذلك إما أن يكون مدة الحمل ستة أشهر ومدة الرضاع حولين كاملين، أو تكون مدة الحمل تسعة أشهر ومدة الرضاع حولين غير ثلاثة أشهر، ومن هذا أخذ علي بن أبي طالب رضي الله عنه والعلماء أن أقل مدة الحمل ستة أشهر، وإنما عبر عن مدة الرضاع بالفصال وهو الفطام لأنه ينتهي الرضاع ﴿بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ ذكر في يوسف ﴿وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ هذا حد كمال العقل والقوة، ويقال إن الآية نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وقيل إنها عامة ﴿فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ﴾ أي في جملة أصحاب الجنة كما تقول رأيت فلانًا في الناس أي مع الناس ﴿وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَا﴾ قال مروان بن الحكم نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق حين كفره كان أبوه وأمه يدعوانه إلى الإسلام فيأبى ويقول لهما أف، وأنكرت عائشة رضي الله عنها ذلك، وقالت والله ما نزل في آل أبي بكر شيء من القرآن إلا براءتي، وببطل ذلك قطعاً قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ لأن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق أسلم وكان من خيار المسلمين، وكان له في الجهاد غنى عظيم، وقال السدي ما رأيت أعبد منه، وقال ابن عباس نزلت في ابن لابي بكر ولم يُسمه، ويرد ذلك ما ذكرناه عن عائشة وقيل هي على الإطلاق فيمن كان على هذه الصفة من الكفر والعقوق لوالديه، ويدل على أنها عامة قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ بصيغة الجمع، ولو أراد واحداً بعينه لقال ذلك الذي حَقَّ عليه القول، وقد ذكرنا معنى أف في الإسراء ﴿أَتَعَدَانِي أَنْ أُخْرَجَ﴾ أي أتعدانني

وَالْإِنْسِ إِتْمَهُمْ كَانُوا خَيْرِينَ ﴿١٨﴾ وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُوفيهِمْ أَعْمَالُهُمْ وَهُمْ لَا يظْمُونَ ﴿١٩﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون ﴿٢٠﴾ * وَأذْكَرُ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّتِ النَّذْرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾ قَالُوا أَجِئْنَا لِنُفِكَكَ عَنْ آلِهَتِنَا فَإِنَّا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ إِنَّمَا أَلِمْ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ. وَلِكَيْ أَرْتَكُمْ قَوْمًا بَجهلُونَ ﴿٢٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ

أنا أن أخرج من القبر إلى البعث ﴿وَقَدْ خَلَّتِ النَّذْرُ مِنْ قَبْلِي﴾ أي وقد مضت قرون من الناس ولم يبعث منهم أحد ﴿وَهُمَا يَسْتَعِيثَانِ اللَّهُ﴾ الضمير لوالديه أي يستغيثان بالله من كراهتهما لما يقول منهما ثم يقولان له ويليك ثم يأمرانه بالإيمان: فيقول ما هذا إلا أساطير الأولين: أي قد سطره الأولون في كتبهم، وذلك تكذيب بالبعث والشريعة ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا﴾ أي للمحسنين والمسيئين درجات في الآخرة بسبب أعمالهم، فدرجات أهل الجنة إلى علو، ودرجات أهل النار إلى سفلى، وليوفيهم تعليل بفعل محذوف وبه يتعلق تقديره جعل جزاءهم درجات ليوفيهم أعمالهم ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ﴾ العامل فيه محذوف تقديره اذكر ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ﴾ تقديره يقال لهم أذهبتم طيباتكم؛ والطيبات هنا الملاذ من المآكل وغيرها؛ وقرىء أذهبتم بهمزة واحدة على الخبر وبهمزتين على التوبيخ، والآية في الكفار بدليل قوله يعرض الذين كفروا وهي مع ذلك واعظة لأهل التقوى من المؤمنين، ولذلك قال عمر لجابر بن عبد الله وقد رآه اشتري لحماً أما تخشى أن تكون من أهل هذه الآية ﴿عَذَابَ الْهُونِ﴾ أي العذاب الذي يقترن به هوان ﴿وَأذْكَرُ أَخَا عَادٍ﴾ يعني هوداً عليه السلام ﴿بِالْأَحْقَافِ﴾ جمع حقف وهو الكدس من الرمل واختلف أين كانت فقيل بالشام، وقيل بين عمان ومهرة وقيل بين عمان وحضرموت، والصحيح أن بلاد عاد كانت باليمن ﴿وَقَدْ خَلَّتِ النَّذْرُ﴾ أي تقدمت من قبله ومن بعده، والنذر جمع نذير، فإن قيل: كيف يتصور تقدمها من بعده؟ فالجواب أن هذه الجملة اعتراض وهي إخبار من الله تعالى أنه قد بعث رُسلًا متقدمين قبل هود وبعده، وقيل معنى من خلفه من زمانه ﴿قَالَ إِنَّمَا أَلِمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي قل إن العذاب الذي قلت أئتنا به ليس لي علم متى يكون، وإنما يعلمه الله، وما علي إلا أن أبلغكم ما أرسلت به ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ﴾ العارض السحاب الذي يعرض في أفق السماء،

أَوْ دِيْنَهُمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّطْرًا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤٦﴾ تَدْمُرُ كُلَّ شَيْءٍ
 بِأَمْرِ رَبِّهَا فَاصْبِرُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَكِنَتُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٤٧﴾ وَلَقَدْ مَكَّنَّهُمْ فِيمَا إِن
 مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَرَ وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا
 أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٢٤٨﴾ وَلَقَدْ
 أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَىٰ وَصَرَفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٤٩﴾ فَلَوْلَا نَصْرُهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ
 اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتُرُونَ ﴿٢٥٠﴾ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ
 الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ﴿٢٥١﴾

فسره قوله عارضاً قال الزمخشري وهذا أعرب وأفصح، وروي أنهم كانوا قد قحطوا مدة، فلما رأوا هذا العارض ظنوا أنه مطر ففرحوا به فقال لهم هود عليه السلام: بل هو ما استعجلتم به من العذاب وقوله ريح بدل من ما استعجلتم أو خير ابتداء مضمراً ﴿تَدْمُرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ عموم يراد به الخصوص ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّهُمْ فِيمَا إِن مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ﴾ هذا خطاب لقريش على وجه التهديد أي مكنا عاذاً فيما لم نمكنكم فيه من القوة والأموال وغير ذلك، ثم أهلكتناهم لما كفروا وإن هنا نافية بمعنى ما، وعدل عن ما كراهية لاجتماعها مع التي قبلها، وقيل إن شرطية، وجوابها محذوف تقديره إن مكناكم فيه طغيتم، قال ابن عطية: وهذا تنطع في التأويل ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَىٰ﴾ يعني بلاد عاد وثمود وسبأ وغيرها، والمراد إهلاك أهلها ﴿فَلَوْلَا نَصْرُهُمْ﴾ الآية عرض معناه النفي أي لم تنصرهم آلهتهم التي عبدوا من دون الله ﴿قُرْبَانًا﴾ أي تقربوا بهم إلى الله وقالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله، وانتصاب قرباناً على الحال، ولا يصح أن يكون قرباناً مفعولاً ثانياً لاتخذوا وآلهة بدلاً منه لفساد المعنى، قاله الزمخشري، وقد أجازة ابن عطية ﴿بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ﴾ أي تلفوا لهم وغابوا عن نصرهم حين احتاجوا إليهم ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ﴾ أي أملناهم نحوك، والنفر دون العشرة وروي أن الجن كانوا سبعة وكانوا كلهم ذكراً، لأن النفر الرجال دون النساء، وكانوا من أهل نصيبين، وقيل من أهل الجزيرة، واختلف هل رآهم النبي ﷺ؟ قيل إنه لم يرههم ولم يعلم باستماعهم حتى أعلمه الله بذلك، وقيل بل علم بهم واستعد لهم واجتمع معهم، وقد ورد في ذلك عن عبد الله بن مسعود أحاديث مضطربة، وسبب استماع الجن أنهم لما طردوا من استراق السمع من السماء برجم النجوم قالوا ما هذا إلا لأمر حدث فطافوا بالأرض ينظرون ما أوجب ذلك حتى سمعوا قراءة رسول الله صلى

قَالُوا يَنْقُومَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢٠﴾ يَنْقُومَنَا أَيْ جِئُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمَنُوا بِهِ، يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجْزِكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ وَمَنْ لَا يُحِبِّ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢٢﴾ أَوْلَى يَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْزِ بِخَلْقِهِنَّ بِقَدْرِ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٣﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٢٤﴾ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلِّغْ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا

الله عليه وآله وسلم في صلاة الفجر في سوق عكاظ فاستمعوا إليه وآمنوا به ﴿أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى﴾ في هذا دلالة على أنهم كانوا على دين اليهود وقيل كانوا لم يعلموا ببعث عيسى ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ ذكر في البقرة ﴿دَاعِيَ اللَّهِ﴾ هو رسول الله ﷺ ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ من هنا للتبويض على الأصح أي يغفر لكم الذنوب التي فعلتم قبل الإسلام، وأما التي بعد الإسلام فهي في مشيئة الله، وقيل معنى التبويض أن المظالم لا تغفر وقيل إن من زائدة ﴿وَيُجْزِكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ أي من النار، واختلف الناس هل للجن ثواب زائد على النجاة من النار، أم ليس لهم ثواب إلا النجاة خاصة ﴿وَمَنْ لَا يُحِبِّ دَاعِيَ اللَّهِ﴾ الآية: يحتمل أن يكون من كلام الجن أو من كلام الله تعالى ومعنى ليس بمعجز أي لا يفوت ﴿أَوْ لَمْ يَرَوْا﴾ الآية: احتجاج على بعث الأجساد بخلق السموات والأرض ﴿وَلَمْ يَنْعِي بِخَلْقِهِنَّ﴾ يقال عييت بالأمر إذا لم تعرفه فالمعنى أنه تعالى عليم كيف خلق السموات والأرض وأحكم خلقها فلا شك أنه قادر على إحياء الموتى ﴿بِقَادِرٍ﴾ في موضع رفع لأنه خبر أن وإنما دخلت الباء لاشتمال النفي في أول الآية على أن وخبرها ﴿بَلَى﴾ جواب لما تقدم أي هو قادر على أن يحيي الموتى ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم أي اصبر على تكذيب قومك وأولو العزم هم نوح وإبراهيم وعيسى وموسى، وقيل هم الثمانية عشر المذكورون في سورة الأنعام لقوله: ﴿فِيهِدَاهُمْ أَفْتَدَهُ﴾ [٩٠]، وقيل كل مَنْ لَقِيَ مِنْ أُمَّتِهِ شِدَّةً وَقِيلَ الرُّسُلُ كُلُّهُمْ أَوْلُو عَزْمٍ فَمَنْ الرُّسُلُ عَلَى هَذَا لِبَيَانِ الْجِنْسِ وَعَلَى الْأَقْوَالِ الْمَتَقَدِّمَةِ لِلتَّبْعِيضِ ﴿وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ﴾ أي لا تستعجل نزول العذاب بهم فإنهم صائرون إليه فإنهم إذا هلكوا كأنهم لم يلبثوا في الدنيا إلا ساعة من نهار لاستقصار

سورة محمد

مدنية إلا آية ١٣ فنزلت في الطريق
أثناء الهجرة وآياتها ٣٨ نزلت بعد الحديد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿١﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ
عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني كفار قريش وعموم اللفظ يعتم كل كافر كما أن قوله بعد هذا:
﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ يعني الصحابة وعموم اللفظ يصلح لكل مؤمن ﴿وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾
يحتمل أن يكون صدوا بمعنى أعرضوا فيكون غير متعد أو يكون بمعنى صدوا الناس فيكون
متعدياً وسبيل الله الإسلام والطاعة ﴿أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ أي أبطلها وأحبطها وقيل المراد
بأعمالهم هنا ما أنفقوا في غزوة بدر فإن هذه الآية نزلت بعد بدر واللفظ أعم من ذلك
﴿وَأَمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ﴾ هذا تجريد للاختصاص والاعتناء بعد عموم قوله آمنوا
وعملوا الصالحات ولذلك أكدته بالجملة الاعتراضية، وهو قوله وهو الحق من ربهم
﴿وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ قيل معناه أصلح حالهم وشأنهم وحقبة البال خاطر الذي في القلب وإذا
صلح القلب يصلح الجسد كله فالمعنى إصلاح دينهم بالإيمان والإخلاص والتقوى
﴿فَنَضْرَبُ الرِّقَابَ﴾ أصله

وَأَنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَلَهُمْ ﴿٣﴾ فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبِ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَنتَحْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الرِّوَابَ فَلَمَّا مَتَّ بَعْدُ وَإِمَا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَآنصَرْنَا مِنْهُمْ وَلَكِنْ لَبِلُوا بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿٤﴾ سَيِّدِيهِمْ وَيُصَلِّحْ بِأَلْمِهِمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا هُمْ ﴿٦﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ نَصَرُوا اللَّهَ يُصْرِكُمْ وَيُنَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿٨﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٩﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴿١٠﴾ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَلُهَا ﴿١١﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ ﴿١٢﴾ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ

اقتلوهم ولكن عبر عنه بضرب الرقاب لأنه الغالب في صفة القتل ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَنتَحْتُمُوهُمْ﴾ أي هزمتموهم والإنتحان أن يكثر فيهم القتل والأسر ﴿فَشُدُّوا الرِّوَابَ﴾ عبارة عن الأسر ﴿فَلَمَّا مَتَّ بَعْدُ وَإِمَا فِدَاءً﴾ المن العتق والفداء فك الأسير بمال وهما جائزان فإن مذهب مالك أن الإمام مُخْتَرٌ في الأسارى بين خمسة أشياء وهي المن والفداء والقتل والاسترقاق وضرب الجزية وقيل لا يجوز المن ولا الفداء لأن الآية منسوخة بقوله: ﴿فَأَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ٥] فلا يجوز على هذا إلا قتلهم والصحيح أنها مُحْكَمَةٌ وانتصب منًا وفداءً على المصدرية والعامل فيهما فعلان مضمران ﴿حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ الأوزار في اللغة الأثقال فالمعنى حتى تذهب وتزول أثقالها وهي آلتها وقيل الأوزار الآثام لأن الحرب لا بد أن يكون فيها إثم في أحد الجانبين واختلف في الغاية المرادة هنا فقيل حتى يسلموا الجميع فحينئذ تضع الحرب أوزارها وقيل حتى تقتلوهم وتغلبوهم وقيل حتى ينزل عيسى ابن مريم قال ابن عطية ظاهر اللفظ أنها استعارة يُراد بها التزام الأمر أبدًا كما تقول أنا فاعل ذلك إلى يوم القيامة ﴿ذَلِكَ﴾ تقديره الأمر ذلك ﴿وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَآنصَرْنَا مِنْهُمْ﴾ أو لو شاء الله لأهلك الكفار بغذاب من عنده ولكنه تعالى أراد اختبار المؤمنين وأن يبلو بعض الناس ببعض ﴿عَرَفَهَا لَهُمْ﴾ أي جعلهم يعرفون منازلهم فيها فهو من المعرفة وقيل معناه طيبتها لهم فهو من العرف وهو طيب الرائحة وقيل معناه شرفها ورفعها فهو من الأعراف التي هي الجبال ﴿فَتَعَسَا لَهُمْ﴾ أي عثارًا وهلاكًا وانتصابه على المصدرية والعامل فيه فعل مضمَرٌ وعلى هذا الفعل عطف وأضل أعمالهم ﴿وَاللْكَافِرِينَ أَمْثَلُهَا﴾ أي لكفار قريش أمثال عاقبة الكفار المتقدمين من الدمار والهلاك ﴿مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أي وليهم وناصرهم وكذلك وأن الكافرين لا مولى لهم معناه لا ناصر لهم ولا يصح أن يكون المولى هنا بمعنى السيد لأن

ءَامِنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَنَّوْنَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَشْوَى لَهُمْ ﴿١٦﴾ وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْنَاكَ مِنْهَا فَأَلْهَكْنَاهُمْ فَلا نَاصِرَ لَهُمْ ﴿١٧﴾ أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيْتَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴿١٨﴾ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ حَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَعْفَرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴿١٩﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَءَانَسَهُمْ

الله مولى المؤمنين والكافرين بهذا المعنى ولا تعارض بين هذه الآية وبين قوله وردوا إلى الله مولاهم الحق لأن معنى المولى مختلف في الموضوعين فمعنى مولاهم الحق ربهم وهذا على العموم في جميع الخلق بخلاف قوله مولى الذين آمنوا فإنه خاص بالمؤمنين لأنه بمعنى الولي والناصر ﴿وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ﴾ عبارة عن كثرة أكلهم وعن غفلتهم عن النظر كالبهائم ﴿مَنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْنَاكَ﴾ يعني مكة وخروجه صلى الله عليه وآله وسلم من وقت الهجرة ونسب الإخراج إلى القرية والمراد أهلها لأنهم آذوه حتى خرج ﴿أَهْلَكْنَاهُمْ﴾ الضمير للقرى المتقدمة المذكورة في قوله وكأين من قرية وجمعه حملاً على المعنى والمراد أهلكتنا أهلها ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيْتَةٍ مِنْ رَبِّهِ﴾ أي على حجة ويعني به النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما يعني قريشاً بقوله: ﴿كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ﴾ واللفظ أعم من ذلك ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ﴾ ذكر في الردء ﴿غَيْرِ آسِنٍ﴾ أي غير متغير ﴿كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ﴾ تقديره أمثل أهل الجنة المذكورة كمن هو خالد في النار فحذف هذا على التقدير والمراد به النفي وإنما حذف للدلالة التقدير المتقدم وهو قوله أفمن كان على بيتة من ربه ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ يعني المنافقين وجاء يستمعون بلفظ الجمع رعيًا لمعنى من ﴿قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ رُوِيَ أنه عبد الله بن مسعود ﴿مَاذَا قَالَ آنِفًا﴾ كانوا يقولون ذلك على أحد وجهين إما احتقارًا لكلامه كأنهم قالوا أي فائدة فيه، وإما جهلاً منهم ونسياناً لأنهم كانوا وقت كلامه معرضين عنه وأنفاً معناه الساعة الماضية قريباً وأصله من استأنفت الشيء إذا ابتدأته ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى﴾ يعني المؤمنين والضمير في زادهم لله تعالى أو للكلام الذي قال فيه المنافقون ماذا قال آنفاً وقيل يعني بالذين اهتدوا قومًا من النصارى آمنوا بسيدنا محمد ﷺ فاهتدوا بهم

فَقَوْلُهُمْ ﴿١٧﴾ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَهُمْ ذِكْرُهُمْ ﴿١٨﴾ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيَاكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشَى عَلَيْهِ مِنْ الْمَوْتِ فَأُولَئِكَ لَهُمْ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ حَيْرًا لَهُمْ ﴿٢٠﴾ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ قِيلَ لَكُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢١﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى

الضمير للمنافقين والمعنى هل ينتظرون إلا الساعة لأنها قريبة ﴿فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾ أي علاماتها والذي كان قد جاء من ذلك مبعث سيدنا محمد ﷺ لأنه قال أنا من أشراط الساعة وبعثت أنا والساعة كهاتين ﴿فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَهُمْ ذِكْرُهُمْ﴾ أي كيف لهم الذكرى إذا جاءتهم الساعة بغتة فلا يقدر على عمل ولا تنفعهم التوبة ففاعل جاءتهم الساعة، وذكرهم مبتدأ وخبره الاستفهام المتقدم والمراد به الاستبعاد ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ أي دُم على العلم بذلك واستدل بعضهم بهذه الآية على أن النظر والعلم قبل العمل لأنه قدم قوله فاعلم على قوله واستغفر ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ قيل متقلبكم تصرفكم في الدنيا. ومثواكم إقامتكم في القبور وقيل متقلبكم تصرفكم في اليقظة ومثواكم منامكم ﴿لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ﴾ كان المؤمنون يقولون ذلك على وجه الحرص على نزول القرآن والرغبة فيه لأنهم كانوا يفرحون به ويستوحشون من إبطائه ﴿مُحْكَمَةٌ﴾ يحتمل أن يريد بالمحكمة أي ليس فيها منسوخ، أو يراد متقنة، وقرأ ابن مسعود سورة محدثة ﴿رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ﴾ يعني المنافقين ونظرهم ذلك من شدة الخوف من القتل لأن نظر الخائف قريب من نظر المغشى عليه ﴿فَأُولَى لَهُمْ﴾ في معناه قولان أحدهما أنه بمعنى أحق وخبره على هذا طاعة والمعنى أن الطاعة والقول المعروف أولى لهم وأحق والآخر أن أولى لهم كلمة معناها التهديد والدعاء عليهم كقولك ويل لهم ومنه أولى لك فأولى، فيوقف على أولى لهم على هذا القول ويكون طاعة ابتداء كلام، تقديره طاعة وقول معروف أمثل، أو المطلوب منهم طاعة وقول معروف، وقولهم لك يا محمد طاعة وقول معروف بالاستئتمار دون قلوبهم ﴿فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ﴾ أسند العزم إلى الأمر مجازاً كقولك نهاره: صائم. وأوليله قائم ﴿صَدَقُوا اللَّهَ﴾ يحتمل أن يريد صدق اللسان، أو صدق العزم والنية وهو أظهر ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ هذا خطاب للمنافقين المذكورين خرج

أَبْصَرَهُمْ ﴿٢٢﴾ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَلَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿٢٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ آزَنُوا عَلَى آذَانِهِمْ
 مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمَلَى لَهُمْ ﴿٢٤﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ
 كَرِهُوا مَا نَزَلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٥﴾ فَكَيْفَ إِذَا
 تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبُرَهُمْ ﴿٢٦﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا آسَخَطَ اللَّهُ
 وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٢٧﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ
 أَضْغَانَهُمْ ﴿٢٨﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمُ فَلَغَرْتَهُمْ بِسِمَتِهِمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ
 أَعْمَالَكُمْ ﴿٢٩﴾ وَلَتَبْلُوَنَكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَتَبْلُوا أَخْبَارَكُمْ ﴿٣٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا

من الغيبة إلى الخطاب، ليكون أبلغ في التوبيخ والمعنى هل يتوقع منكم الإفساد في الأرض
 وقطع الأرحام إن توليتهم، ومعنى توليتهم صرتم ولاة على الناس وصار الأمر لكم وعلى هذا
 قيل إنها نزلت في بني أمية وقيل معناها عرضتم عن الإسلام ﴿إِنَّ الَّذِينَ آزَنُوا عَلَى
 آذَانِهِمْ﴾ نزلت في المنافقين الذين نافقوا بعد إسلامهم وقيل نزلت في قوم من اليهود كانوا
 قد عرفوا نبوة سيدنا محمد ﷺ من التوراة ثم كفروا به ﴿سَوَّلَ لَهُمْ﴾ أي زين لهم ورجاهم
 ومناهم ﴿وَأَمَلَى لَهُمْ﴾ أي مد لهم في الأماني والآمال والفاعل هو الشيطان وقيل الله تعالى
 والأول أظهر، لتناسب الضمير بين الفاعلين، في سَوَّلَ وَأَمَلَى ﴿سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ﴾
 قال ذلك اليهود للمنافقين، وبعض الأمر يعنون به مخالفة رسول الله ﷺ ومحاربته ﴿فَكَيْفَ
 إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ أي كيف يكون حالهم إذا توفتتهم الملائكة، يعني ملك الموت ومن
 معه، والفاء رابطة للكلام مع ما قبله والمعنى هذا جزعهم من ذكر القتال فكيف يكون
 حالهم عند الموت ﴿يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ﴾ ضمير الفاعل للملائكة، وقيل إنه للكفار أي
 يضربون وجوه أنفسهم وذلك ضعيف ﴿أَمْ حَسِبَ﴾ الآية: معناها ظن المنافقون أن لن
 يفضحهم الله والضعف الحقد ويراد به هنا النفاق والبغض في الإسلام وأهله ﴿وَلَوْ نَشَاءُ
 لَأَرَيْنَاكُمُ﴾ أي لو نشاء لأريناك المنافقين بأعيانهم حتى تعرفهم بعلامتهم ولكن الله ستر
 عليهم إبقاء عليهم وعلى أقاربهم من المسلمين، ورؤي أن الله لم يذكر واحدا منهم باسمه
 ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ معنى لحن القول مقصده وطريقته وقيل اللحن هو الخفي
 المعنى كالكناية والتعريض والمعنى أنه صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم سيعرفهم من
 دلائل كلامهم، وإن لم يعرفه الله بهم على التعيين ﴿وَلَتَبْلُوَنَكُمْ﴾ أي نختبركم ﴿حَتَّى نَعْلَمَ﴾
 أي نعلمه علما ظاهرا في

وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُصِطُّ
 أَعْمَالَهُمْ ﴿٢٦﴾ ﴿٢٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ ﴿٢٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ
 كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴿٢٧﴾ فَلَا تَهْتُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ
 وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتْرُكَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ﴿٢٨﴾ إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَهْوٌ وَلَهُوَ إِنْ تَوَيْمُوا
 وَتَنَفَّقُوا يُوْتِكُمْ أَجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ ﴿٢٩﴾ إِنْ يَسْأَلْكُمْوهَا فِيمُحِصَّكُمْ تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ
 أَضْغَانَكُمْ ﴿٣٠﴾ هَآئِنْتُمْ هَآؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَن يَبْخُلُ وَمَن يَبْخُلْ

ولكنه أراد إقامة الحجة على عباده بما يصدر منهم وكان الفضيل بن عياض إذا قرأ هذه الآية
 بكى وقال اللهم لا تبليتنا فإنك إذا ابتليتنا فضحتنا وهتكت أستارنا ﴿وَشَاقُّوا الرَّسُولَ﴾ أي
 خالفوه وعادوه، ونزلت الآية في المنافقين وقيل في اليهود ﴿وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ يحتل
 أربعة معانٍ أحدها لا تبطلوا أعمالكم بالكفر بعد الإيمان والثاني لا تبطلوا حسناتكم بفعل
 السيئات ذكره الزمخشري وهذا على مذهب المعتزلة خلافاً للأشعرية فإن مذهبيهم أن
 السيئات لا تبطل الحسنات. والثالث لا تبطلوا أعمالكم بالرياء والعجب، والرابع لا تبطلوا
 أعمالكم بأن تقتطعوها قبل تمامها، وعلى هذا أخذ الفقهاء الآية: وبهذا يستدلون على أن
 من ابتدأ نافلة لم يجز له قطعها، وهذا أبعد هذه المعاني، والأول أظهر لقوله قبل ذلك في
 الكفار أو المنافقين، وسيحبط أعمالهم فكأنه يقول: يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا أعمالكم
 مثل هؤلاء الذين أحبط الله أعمالهم بكفرهم وصدّهم عن سبيل الله ومشاقتهم الرسول ﴿فَلَنْ
 يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ هذا قطع بأن من مات على الكفر لا يغفر الله له وقد أجمع المسلمون على
 ذلك ﴿فَلَا تَهْتُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ﴾ أي لا تضعفوا عن مقاتلة الكفار وتبتدئوهم بالصلح فهو
 كقولهم: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾ [الأنفال: ٦١] ﴿وَلَنْ يَتْرُكَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ أي لن
 ينقصكم أجور أعمالكم يقال وترت الرجل أتره إذا نقصته شيئاً أو أذهبت له متاعاً ﴿وَلَا
 يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ﴾ أي لا يسألكم جميعها إنما يسألكم ما يخف عليكم مثل ربع العشر وذلك
 خفيف ﴿إِنْ يَسْأَلْكُمْوهَا فِيمُحِصَّكُمْ تَبْخَلُوا﴾ معنى يحفكم يلح عليكم والإحفاء أشد السؤال
 وتبخلوا جواب الشرط ﴿وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ﴾ الفاعل الله تعالى أو البخل، والمعنى يُخرج ما
 في قلوبكم من البخل وكرهة الإنفاق ﴿هَؤُلَاءِ﴾ منصوب على التخصيص أو منادى ﴿لِتُنْفِقُوا
 فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ يعني الجهاد والزكاة ﴿وَمَن يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَن نَّفْسِهِ﴾ أي إنما ضرر بخله
 على نفسه فكأنه بخل على نفسه بالثواب الذي يستحقه بالإنفاق ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا

فَإِنَّمَا يَبْخُلُ عَنْ نَفْسِهِ ۗ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ ۗ وَأَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ ۗ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ ﴿٣٤٥﴾

غَيْرَكُمْ ﴿٣٤٥﴾ أي يأت بقوم على خلاف صفتكم بل راغبين في الإنفاق في سبيل الله، فقيل إن هذا الخطاب لقريش، والقوم غيرهم هم الأنصار وهذا ضعيف لأن الآية مدنية نزلت والأنصار حاضران، وقيل الخطاب لكل من كان حينئذ بالمدينة والقوم هم أهل اليمن وقيل فارس.

سورة الفتح

مدنية نزلت في الطريق عند

الانصراف من الحديبية وآياتها ٢٩ نزلت بعد الجمعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ
صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيَبْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيمًا ﴿٣﴾ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نزلت هذه السورة حين انصرف رسول الله ﷺ من الحديبية، لما أراد أن يعتمر بمكة فصده المشركون وقال رسول الله ﷺ لعمر وهما راجعان إلى المدينة، لقد نزلت عليّ سورة هي أحب إليّ من الدنيا وما فيها، ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ يحتمل هذا الفتح في اللغة أن يكون بمعنى الحكم أي حكمنا لك على أعدائك، أو من الفتح بمعنى العطاء كقوله: «ما يفتح الله للناس من رحمة» أو من فتح البلاد واختلف في المراد بهذا الفتح على أربعة أقوال: الأول أنه فتح مكة وعده الله به قبل أن يكون وذكره بلفظ الماضي لتحققه وهو على هذا بمعنى فتح البلاد، الثاني أنه ما جرى في الحديبية من بيعة الرضوان ومن الصلح الذي عقده رسول الله ﷺ مع قريش وهو على هذا بمعنى الحكم أو بمعنى العطاء ويدل على صحة هذا القول أنه لما وقع صلح الحديبية، شق ذلك على بعض المسلمين بشروط كانت فيه حتى أنزل الله هذه السورة، ويتبين أن ذلك الصلح له عاقبة محمودة وهذا هو الأصح،

إِيْمَانًا مَعَ إِيْمَانِهِمْ ۗ وَ لِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَ كَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ ۖ وَالْمُؤْمِنَاتِ
 جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفَّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ۗ وَ كَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا
 عَظِيمًا ﴿٥﴾ وَيُعَذِّبُ الْمُتَنَفِّقِينَ ۖ وَالْمُنَافِقَاتِ ۖ وَالْمُشْرِكِينَ ۖ وَالْمُشْرِكَاتِ ۖ الظَّالِمَاتِ ۖ بِاللَّهِ ظَنُّ السُّوءِ
 عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السُّوءِ ۖ وَ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ۖ وَ لَعَنَهُمْ ۖ وَ أَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَ سَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾ وَ لِلَّهِ جُنُودُ
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَ كَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٧﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا ۖ وَ مُبَشِّرًا ۖ وَ نَذِيرًا ﴿٨﴾ لِيَتُؤْمِنُوا
 بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَ تَعَزَّزُوا وَ تَتَّقُوا ۖ وَ تَتَّقُوا اللَّهَ ۖ وَ سَبِّحُوهُ بُكْرَةً ۖ وَ أَصِيلًا ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا
 يُبَايِعُونَ اللَّهَ ۖ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۖ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ ۖ وَ مَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ

لأنه روي أنها لما نزلت قال بعض الناس ما هذا الفتح وقد صدنا المشركون عن البيت، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال بل هو أعظم الفتوح قد رضي المشركون أن يدفعوكم عن بلادهم بالروح، ورجعوا إليكم في الأمان، الثالث أنه ما أصاب المسلمون بعد الحديدية من الفتوح كفتح خيبر وغيرها، الرابع أنه الهداية إلى الإسلام ودليل هذا القول قوله ليغفر الله لك فجعل الفتح علة للمغفرة ولا حجة في ذلك إذ يتصور في الجهاد وغيره أن يكون علة للمغفرة أيضًا أو تكون اللام للصيرورة والعاقبة لا للتعليل فيكون المعنى إنا فتحنا لك فتحًا مبينًا فكان عاقبة أمرك أن جمع الله لك بين سعادة الدنيا والآخرة بأن غفر لك وأتم نعمته عليك وهداك ونصرك ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ﴾ أي السكون والطمأنينة، يعني سكونهم في صلح الحديدية وتسليمهم بفعل رسول الله ﷺ وقيل معناه الرحمة ﴿الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنُّ السُّوءِ﴾ معناه أنهم ظنوا أن الله يخذل المؤمنين وقالوا لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهلهم أبدًا وقيل معناه أنهم لا يعرفون الله بصفاته فذلك هو ظن السوء به، والأول أظهر بدليل ما بعده ﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السُّوءِ﴾ يحتمل أن يكون خبر أو دعاء ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا﴾ أي تشهد على أمتك ﴿وَتَعَزَّزُوا﴾ أي تعظموه وقيل تنصرونه وقرىء تعززه بزيارين منقوطين، والضمير في تعزروه وتوقروه للنبي ﷺ وفي تسبحوه الله تعالى، وقيل الثلاثة لله ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾ هذا تشريف للنبي ﷺ حيث جعل مبايعته بمنزلة مبايعة الله ثم أكد هذا المعنى بقوله: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ وذلك على وجه التخييل والتمثيل يريد أن يد رسول الله ﷺ التي تعلقو يد المبايعين له هي يد الله في المعنى وإن لم تكن كذلك في الحقيقة وإنما المراد أن عقد ميثاق البيعة مع الرسول عليه الصلاة والسلام، كعقده مع الله كقوله: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [Made searchable using ScribeTools.com] معناه النعمة أو

فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٧﴾ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ
لَنَا يَقُولُونَ بِالسِّنْتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ
بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٨﴾ بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْفَلِبَ الرُّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ
أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَّتُمْ ظَنَ السَّوْءِ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴿١٩﴾ وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ
وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا ﴿٢٠﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ
مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ عَفُورًا رَحِيمًا ﴿٢١﴾ سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَفَازٍ
لِتَأْخُذُوا مَا دَرُونَا نَتَّبِعُكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَكُمُ اللَّهُ
مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٢﴾ قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ

القوة وهذا بعيد هنا ونزلت الآية في بيعة الرضوان تحت الشجرة وسنذكرها بعد ﴿فَمَنْ نَكثَ
فإِنَّمَا يَنْكُثْ عَلَىٰ نَفْسِهِ﴾ يعني أن ضرر نكثه على نفسه ويراد بالنكث هنا نقض البيعة
﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ﴾ الآية: سماهم بالمخلفين لأنهم تخلّفوا عن غزوة
الحديبية، والأعراب هم أهل البوادي من العرب، لما خرج رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم إلى مكة يعتمر رأوا أنه يستقبل عدوًا كثيرًا من قريش وغيرهم ففقدوا عن الخروج معه
ولم يكن إيمانهم متمكنًا فظنوا أنه لا يرجع هو والمؤمنون من ذلك السفر ففضحهم الله في
هذه السورة، وأعلم رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بقولهم واعتذارهم قبل أن يصل
إليهم، وأعلمه أنهم كاذبون في اعتذارهم ﴿يَقُولُونَ بِالسِّنْتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ يحتمل أن
يريد قولهم شغلنا أموالنا وأهلنا لأنهم كذبوا في ذلك أو قولهم فاستغفر لنا لأنهم قالوا
ذلك رياء من غير صدق ولا توبة ﴿قَوْمًا بُورًا﴾ أي هالكين من البوار، وهو الهلاك ويعني به
الهلاك في الدين ﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ﴾ الآية: أخبر الله رسوله صلى الله تعالى عليه وعلى آله
وسلم أن المخلفين عن غزوة الحديبية يريدون الخروج معه إذا خرجوا إلى غزوة أخرى،
وهي غزوة خيبر فأمر الله بمنعهم من ذلك وأن يقول لهم لن تتبعونا ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ
اللَّهِ﴾ أي يريدون أن يبدلوا وعد الله لأهل الحديبية وذلك أن الله وعدهم أن يعرضهم عن
غنيمة مكة غنيمة خيبر وفتحها وأن يكون ذلك مختصًا بهم دون غيرهم. وأراد المخلفون أن
يشاركهم في ذلك فهذا هو ما أرادوا من التبديل وقيل كلام الله قوله فلن تخرجوا معي أبدًا
ولن تقاتلوا معي عدوًا وهذا ضعيف لأن هذه الآية نزلت بعد رجوع رسول الله ﷺ من تبوك
بعد الحديبية بمدة ﴿كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ﴾ يريد وعده باختصاصه أهل الحديبية بغنائم

سَدُّعُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقْبَلُونَهُمْ أَوْ يُسْلَمُونَ فَإِنْ تَطِيعُوا يُؤْتِكُمْ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ
تَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا
عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يَعْذِبهُ اللَّهُ عَذَابًا
أَلِيمًا ﴿١٧﴾ ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ

خبير ﴿فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا﴾ معناه يعز عليكم أن نصيب معكم مالا وغنيمةً وبل هنا للإضراب عن الكلام المتقدم وهو قوله لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل فمعناها رد أن يكون الله حكم بأن لا يتبعوهم وأما بل في قوله تعالى بل كانوا لا يفقهون إلا قليلاً فهي إضراب عن وصف المؤمنين بالحسد وإثبات لوصف المخلفين بالجهل ﴿سَدُّعُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ اختلف في هؤلاء القوم على أربعة أقوال الأول: أنهم هوازن ومن حارب النبي ﷺ في غزوة خيبر والثاني أنهم الروم إذ دعا رسول الله ﷺ إلى قتالهم في غزوة تبوك والثالث أنهم أهل الردة من بني حنيفة وغيرهم الذين قاتلهم أبو بكر الصديق والرابع أنهم الفرس ويتقوى الأول والثاني بأن ذلك ظهر في حياة الرسول ﷺ وقوى المنذر بن سعيد القول الثالث بأن الله جعل حكمهم القتل أو الإسلام ولم يذكر الجزية قال وهذا لا يوجد إلا في أهل الردة قلت وكذلك هو موجود في كفار العرب إذ لا تؤخذ منهم الجزية فيقوى ذلك أنهم هوازن أو يسلمون عطف على تقاتلونهم وقال ابن عطية هو مستأنف ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ﴾ يريد في غزوة الحديبية ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ﴾ الآية معناها أن الله تعالى عذر الأعمى والأعرج والمريض في تركهم للجهد لسبب أعاذهم ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل النار إن شاء الله أحد من أهل الشجرة الذين بايعوا تحتها» وفي الحديث أنهم كانوا ألفاً وأربعمائة وقيل ألفاً وخمسمائة وسبب هذه البيعة أن رسول الله ﷺ لما بلغ الحديبية وهي موضع على نحو عشرة أميال من مكة أرسل عثمان بن عفان رضي الله عنه رسولا إلى أهل مكة يخبرهم أنه إنما جاء ليعتمر وأنه لا يريد حرباً فلما وصل إليهم عثمان حبسه أقاربه كرامة له فصرخ صارخ أن عثمان قد قتل فدعا رسول الله ﷺ الناس إلى البيعة على القتال وأن لا يفتر أحد وقيل بايعوه على الموت ثم جاء عثمان بعد ذلك سالماً وانعقد الصلح بين رسول الله ﷺ وبين أهل مكة على أن يرجع ذلك العام ويعتمر في العام القابل، والشجرة المذكورة كانت سمرة هنالك ثم ذهبت بعد سنين فمرّ عمر بن الخطاب بالموضع في خلافته فاختلف الصحابة في موضعها ﴿Made searchable using ScribeTools.com﴾ وصدق العزم على ما

السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾
 وَعَدَكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً
 لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ
 عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا الْأَدْبَرُ لَمْ يَأْخُذُوا بِكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا
 نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿٢٣﴾ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ
 أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾

بايعوا عليه وقيل من كراهة البيعة على الموت وهذا باطل لأنه ذم للصحابة وقد ذكرنا
 السكينة ﴿وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ يعني فتح خيبر وقيل فتح مكة والأول أشهر أي جعل الله
 ذلك ثوابًا لهم على بيعة الرضوان زيادة على ثواب الآخرة وأما المغانم المذكورة أولاً فهي
 غنائم خيبر وهي المعطوفة على الفتح القريب وأما المغانم الكثيرة التي وعدهم الله وهي
 المذكورة ثانيًا فهي كل ما يغنم المسلمون إلى يوم القيامة والإشارة بقوله فعجل لكم هذه
 إلى خيبر وقيل إن المغانم التي وعدهم هي خيبر والإشارة إلى صلح الحديبية ﴿وَكَفَّ أَيْدِي
 النَّاسِ عَنْكُمْ﴾ أي كف أهل مكة عن قتالكم في الحديبية وقيل كف اليهود وغيرهم عن
 إضرار نسائكم وأولادكم بينما خرجتم إلى الحديبية ﴿وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي تكون هذه
 الفعلة وهي كف أيدي الناس عنكم آية للمؤمنين يستدلون بها على النصر، واللام تتعلق
 بفعل محذوف تقديره فعل الله ذلك لتكون آية ﴿وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا﴾ يعني فتح مكة،
 وقيل فتح بلاد فارس والروم وقيل مغانم هوازن في حنين، والمعنى لم تقدرُوا أنتم عليها
 وقد أحاط الله بها بقدرته ووهبها لكم، وإعراب أخرى عطف على عجل لكم هذه أو
 مفعول بفعل مضمّر تقديره أعطاكم أخرى أو مبتدأ ﴿وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني أهل
 مكة ﴿سُنَّةَ اللَّهِ﴾ أي عاداته والإشارة إلى يوم بدر وقيل الإشارة إلى نصر الأنبياء قديمًا ﴿وَهُوَ
 الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ﴾ رُوِيَ فِي سَبِيحِهَا أَنَّ جَمَاعَةَ مِنْ قَتِيَانَ قَرِيشٍ خَرَجُوا
 إِلَى الْحَدِيبِيَّةِ، لِيَصِيبُوا مِنْ عَسْكَرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَالِدَ بْنِ
 الْوَلِيدِ فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَهَزَمُوهُمْ وَأَسْرَوْا مِنْهُمْ قَوْمًا، وَسَاقُوهُمْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
 فَأَطْلَقَهُمْ، فَكَفَّ أَيْدِيَ الْكُفَّارِ هُوَ أَنْ هَزَمُوا وَأَسْرَوْا وَكَفَّ أَيْدِيَ الْمُؤْمِنِينَ عَنِ الْكُفَّارِ هُوَ
 إِطْلَاقُهُمْ مِنَ الْأَسْرِ وَسَلَامَتُهُمْ مِنَ الْقَتْلِ، وَقَوْلُهُ: ﴿مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ يَعْنِي مِنْ
 بَعْدَمَا أَخَذْتُمُوهُمْ أَسَارَى ﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يَعْنِي أَهْلَ مَكَّةَ ﴿وَصَدَّدُوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ

هُم الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيِ مَعَكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحَلَّهُ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَّوَّهُمْ فَتُصِيبُكُمْ مِنْهُمْ مَعْرَةٌ بَغَيْرِ عِلْمٍ لِيَدْخُلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ الْحَمِيَّةَ فَإِنَّ اللَّهَ سَكَّنَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ

الْحَرَامِ ﴿ يعني أنهم منعوه عن العمرة بالمسجد الحرام عام الحديبية ﴾ وَالْهَدْيِ مَعَكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحَلَّهُ ﴿ الهدى ما يهدى إلى البيت من الأنعام، وكان رسول الله ﷺ قد ساق حينئذ مائة بدنة وقيل سبعين ليهديها، والمعكوف المحبوس ومحلّه موضع نحره يعني مكة والبيت وإعراب الهدى عطف على الضمير المفعول في صدوكم ومعكوفًا حال من الهدى، وأن يبلغ مفعول بالعكف فالمعنى صدوكم عن المسجد الحرام، وصدّوا الهدى عن أن يبلغ محله والعكف المذكور يعني به منع المشركين للهدى عن بلوغ مكة أو حبس المسلمين بالهدى بينما ينظرون في أمورهم ﴾ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ ﴿ الآية تعليل لصرف الله المؤمنين عن استئصال أهل مكة بالقتل وذلك أنه كان بمكة رجال مؤمنون ونساء مؤمنات يخفون إيمانهم فلو سلط الله المسلمين على أهل مكة، لقتلوا أولئك المؤمنين وهم لا يعرفونهم، ولكن كفهم رحمة للمؤمنين الذين كانوا بين أظهرهم، وجواب لولا محذوف تقديره لولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لسأطناكم عليهم ﴿ أَنْ تَطَّوَّهُمْ ﴾ في موضع بدل من رجال ونساء أو بدل من الضمير المفعول في لم تعلموهم والوطء هنا الإهلاك بالسيف وغيره ﴿ فَتُصِيبُكُمْ مِنْهُمْ مَعْرَةٌ ﴾ أي تصيبكم من قتلهم مشقة وكرهه، واختلف هل يعني الإثم في قتلهم أو الدية أو الكفارة أو الملامة أو عيب الكفار لهم بأن يقولوا قتلوا أهل دينهم أو تألم نفوسهم من قتل المؤمنين وهذا أظهر لأن قتل المؤمن الذي لا يعلم إيمانه وهو بين أهل الحرب لا إثم فيه ولا دية، ولا ملامة، ولا عيب، ﴿ لِيَدْخُلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾ يعني رحمة المؤمنين الذين كانوا بين أظهر الكفار بأن كف سيف المسلمين عن الكفار من أجلهم أو رحمة لمن شاء من الكفار بأن يسلموا بعد ذلك واللام تتعلق بمحذوف يدلّ عليه سياق الكلام تقديره كان كفّ القتل عن أهل مكة ليدخل الله في رحمته مَنْ يَشَاءُ ﴿ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ معنى تزيّلوا تميزوا عن الكفار والضمير للمؤمنين المستورين الإيمان أي لو انفصلوا عن الكفار لعذبنا الكفار فقله لعذبنا جواب لو الثانية وجواب الأولى محذوف كما ذكرنا ويحتمل أن يكون لعذبنا جواب لو الأولى وكوّرت لو الثانية تأكيداً ﴿ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ الْحَمِيَّةَ فَإِنَّ اللَّهَ سَكَّنَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَنْفَةَ الْكُفْرِ وَهِيَ مَنَعُهُمْ

وَأَرْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿١٦﴾ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ

للنبي ﷺ والمسلمين عن العمرة ومنعهم من أن يكتب في كتاب الصلح بسم الله الرحمن الرحيم ومنعهم من أن يكتب محمد رسول الله وقولهم لو نعلم أنك رسول الله لاتبعناك، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك والعامل في إذ جعل محذوف تقديره اذكر أو قوله لعذبنا والسكينة هي سكون المسلمين ووقارهم حين جرى ذلك ﴿وَأَرْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ﴾ قال الجمهور هي لا إله إلا الله وقد رُوِيَ ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقيل لا إله إلا الله محمد رسول الله وقيل لا إله إلا الله والله أكبر وهذه كلها متقاربة وقيل هي بسم الله الرحمن الرحيم التي أبى الكفار أن تكتب ﴿وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾ أي كانوا كذلك في علم الله وسابق قضائه لهم وقيل أحق بها من اليهود والنصارى.

﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ﴾ كان رسول الله ﷺ قد رأى في منامه عند خروجه إلى العمرة أنه يطوف بالبيت هو وأصحابه بعضهم محلقون وبعضهم مقصرون، ورُوِيَ أنه أتاه ملك في النوم فقال له: ﴿لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾ الآية: فأخبر الناس برؤياه ذلك فظنوا أن ذلك يكون في ذلك العام فلما صده المشركون عن العمرة عام الحديبية قال المنافقون أين الرؤيا، ووقع في نفوس المسلمين شيء من ذلك فأنزل الله تعالى لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق أي تلك الرؤيا صادقة وسيخرج تأويلها بعد ذلك فاطمأنت قلوب المؤمنين وخرج رسول الله ﷺ في العام المقبل هو وأصحابه فدخلوا مكة واعتصموا وأقاموا بمكة ثلاثة أيام وظهر صدق رؤياه وتلك عمرة القضية ثم فتح مكة بعد ذلك ثم حج هو وأصحابه وصدق في هذا الموضوع يتعدى إلى مفعولين، وبالحق يتعلق بصدق أو بالرؤيا على أن يكون حالاً منها ﴿إِنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ لما كان الاستثناء بمشيئة الله يقتضي الشك في الأمر، وذلك مُحال على الله، اختلف في هذا الاستثناء على خمسة أقوال: الأول أنه استثناء قاله الملك الذي رآه النبي صلى الله عليه وآله وسلم في المنام فحكى الله مقالته كما وقعت والثاني أنه تأديب من الله لعباده ليقولون إن شاء الله في كل أمر مستقبل، والثالث أنه استثناء بالنظر إلى كل إنسان على حدته لأنه يمكن أن يتم له الأمر أو يموت أو يمرض فلا يتم له، والرابع أن الاستثناء راجع إلى قوله آمين لا لدخول المسجد، والخامس أن إن شاء الله بمعنى إذا شاء الله ﴿مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ﴾ الحلق والتقصير من سنة الحج والعمرة، والحلق أفضل من التقصير، لقول رسول الله صلى الله عليه وآله

رُءُوسِكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۗ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٧٧﴾ هُوَ
 الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٨﴾
 مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ۗ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرْتَهُمُ رُكْعًا سَجْدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ

وسلم: «رحم الله المحلّقين ثلاثاً» ثم قال في المرة الأخيرة: «والمقصرين» ﴿فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا﴾ يريد ما قدره من ظهور الإسلام في تلك المدّة فإنه لما انعقد الصلح وارتفعت الحرب ورعب الناس في الإسلام فكان رسول الله ﷺ في غزوة الحديبية في ألف وخمسمائة وقيل ألف وأربعمائة وغزا غزوة الفتح بعدها بعامين ومعه عشرة آلاف ﴿فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ يعني فتح خيبر، وقيل بيعة الرضوان وقيل صلح الحديبية، وهذا هو الأصح لأن عمر قال لرسول الله ﷺ أفتح هو يا رسول الله؟ قال: «نعم». وقيل: هو فتح مكة وهذا ضعيف، لأن معنى قوله من دون ذلك قبل دخول المسجد الحرام وإنما كان فتح مكة بعد ذلك فإن الحديبية كانت عام ستة من الهجرة وعمرة القضية عام سبعة وفتح مكة عام ثمانية ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ ذكر في براءة ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ أي شاهداً بأن محمداً رسول الله أو شاهداً بإظهار دينه ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ يعني جميع أصحابه وقيل من شهد معه الحديبية وإعراب الذين معطوف على محمد ورسول الله صفته وأشداء خبر عن الجميع، وقيل الذين معه مبتدأ وأشداء خبره ورسول الله خبر محمد ورجح ابن عطية هذا والأول عندي أرجح لأن الوصف بالشدة والرحمة يشمل النبي ﷺ وأصحابه، وأما على ما اختاره ابن عطية فيكون الوصف بالشدة والرحمة مختصاً بالصحابة دون النبي ﷺ وما أحق النبي ﷺ بالوصف بذلك لأن الله قال فيه: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]، وقال: ﴿جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلِبْ عَلَيْهِمُ﴾ [التوبة: ٧٣] فهذه هي الشدة على الكفار والرحمة بالمؤمنين ﴿سَيِّمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ﴾ السیما العلامة وفيه ستة أقوال، الأول أنه الأثر الذي يحدث في جبهة المصلّي من كثرة السجود، والثاني أنه أثر التراب في الوجه الثالث أنه صُفرة الوجه من السهر والعبادة، الرابع حُسن الوجه لما ورد في الحديث من كَثُرَتْ صَلَاتُهُ بِاللَّيْلِ حَسُنَ وَجْهُهُ بِالنَّهَارِ وهذا الحديث غير صحيح بل وقع فيه غلط من الراوي فرفعه إلى النبي ﷺ وهو غير مروي عنه، الخامس أنه الخشوع، السادس أن ذلك يكون في الآخرة يجعل الله لهم نوراً من أثر السجود كما يجعل غرة من أثر الوضوء وهذا بعيد لأن قوله: ﴿تَرَاهُمْ رُكْعًا سَجْدًا﴾ وصف حالهم في الدنيا فكيف يكون سيماهم في وجوههم كذلك، والأول أظهر،

وَرِضْوَانًا سَيِّمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ
 أَخْرَجَ شَطْئَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ
 ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٩﴾

عبد الله بن العباس أثر ظاهر من أثر السجود ﴿ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ﴾ أي وصفهم فيها ولم
 الكلام هنا، ثم ابتداء قوله: ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ﴾، وقيل إن مثلهم في الإنجيل
 عطف على مثلهم في التوراة ثم ابتداء قوله كزرع وتقديره هم كزرع، والأول أظهر، ليكون
 وصفهم في التوراة بما تقدم من الأوصاف الحسان وتمثيلهم في الإنجيل بالزرع المذكور بعد
 ذلك وعلى هذا يكون مثلهم في الإنجيل بمعنى التشبيه والتمثيل وعلى القول الآخر يكون
 المثل بمعنى الوصف كمثلهم في التوراة ﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ﴾ هذا مثل ضربته الله للإسلام
 حيث بدأ ضعيفاً، ثم قوي وظهر وقيل الزرع مثل للنبي ﷺ لأنه بعث لوحده وكان كالزرع
 حبة واحدة، ثم كثر المسلمون فهم كالشطاء وهو فراخ السنبلة التي تنبت حول الأصل،
 ويقال بإسكان الطاء وفشلها بمنذ وبدون مذ وهي لغات ﴿فَأَزَرَهُ﴾ أي طهره وهو من الموازنة
 بمعنى المعاونة ويحتمل أن يكون الفاعل الزرع والمفعول شطأه أو بالعكس لأن كل واحد
 منهما يقوي الآخر، وقيل معناه ساواه طولاً فالفاعل على هذا الشطأ ووزان آزره فاعله وقيل
 أفعله، وقرئ بقصر الهمزة على وزن فعل ﴿فَاسْتَغْلَظَ﴾ أي صار غليظاً ﴿فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ
 سُوقِهِ﴾ جمع ساق أي قام الزرع على سوقه، وقيل قوله كزرع يعني النبي ﷺ أخرج شطأه
 بأبي بكر فأزره بعمر فاستغلظ بعثمان فاستوى على سوقه بعلي بن أبي طالب ﴿لِيغِيظَ بِهِمُ
 الْكُفَّارَ﴾ تغليل لما دل عليه المثل المتقدم من قوة المسلمين فهو يتعلق بفعل يدل عليه
 الكلام تقديره جعلهم الله كذلك ليغيب بهم الكفار، وقيل يتعلق بوعد وهو بعيد ﴿مِنْهُمْ﴾
 لبيان الجنس لا للتبعض لأنه وعد عم جميعهم رضي الله عنهم.

سورة الحجرات

مدنية وآياتها ١٨ نزلت بعد المجادلة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ؕ وَأَنْقُوا لِلَّهِ إِنَّا لِلَّهِ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ فيه ثلاثة أقوال أحدها لا تتكلموا بأمر قبل أن يتكلم هو به ولا تقطعوا في أمر إلا بنظره والثاني لا تقدموا الولاية بمحضه فإنه يقدم من شاء، والثالث لا تقدموا بين يديه إذا مشى وهذا إنما يجري على قراءة يعقوب لا تقدموا بفتح التاء والقاف والدال، والأول هو الأظهر لأن عادة العرب الاشتراك في الرأي وأن يتكلم كل أحد بما يظهر له فربما فعل ذلك قوم مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم فنهاهم الله عن ذلك، ولذلك قال مجاهد معناه لا تفتاتوا على الله شيئاً حتى يذكره على لسان رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وإنما قال بين يدي الله لأن النبي ﷺ إنما يتكلم بوحى من الله ﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ أمر الله المؤمنين أن يتأدبوا مع النبي ﷺ بهذا الأدب كرامة له وتعظيماً وسببها أن بعض جفاة الأعراب كانوا يرفعون أصواتهم ﴿أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ﴾ مفعول من أحدهم يتكلم مخالفةً أن تحبط أعمالك إذا فطمت أصواتكم فوق صوته

أَعْمَلَكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصِحِّحُوا عَلَيَّ مَا

أو جهرت له بالقول ﷺ فالمفعول من أجله يتعلق بالفعلين معاً من طريق المعنى، وأما من طريق الإعراب فيتعلق عند البصريين بالثاني وهو لا تجهر وعند الكوفيين بالأول وهو لا ترفعوا أصواتكم، وهذا الإحباط لأن قلة الأدب معه ﷺ والتقصير في توقيره يحبط الحسنات وإن فعله مؤمن، لعظيم ما وقع فيه من ذلك وقيل إن الآية خطاب للمنافقين وهذا ضعيف، لقوله في أولها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ وقوله: ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ فإنه لا يصح أن يقال هذا لمنافق فإنه يفعل جرأة وهو يقصده ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ﴾ نزلت في أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فإنه لما نزلت الآية قبلها قال أبو بكر: والله يا رسول الله لا أكلمتك إلا سراً وكان عمر يخفي كلامه حين يستفهمه النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، ولفظها مع ذلك على عمومه ومعنى امتحن اختبر فوجدها كما يجب مثل ما يختبر الذهب بالنار، فيوجد طيباً، وقيل معناها دربها للتقوى حتى صارت قوية على احتمالها بغير تكلف وقيل معناه أخلصها الله للتقوى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ الحجرات جمع حجرة وهي قطعة من الأرض يحجر عليها بحائط وكان لكل واحدة من أزواج النبي ﷺ حجرة ونزلت الآية في وفد بني تميم قدموا على النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فدخلوا المسجد ودنوا من حجرات أزواج النبي ﷺ ووقفوا خارجها ونادوا يا محمداً اخرج إلينا فكان في فعلهم ذلك جفاء وبداءة وقلة توقير فتربص رسول الله ﷺ مدة ثم خرج إليهم فقال له واحد منهم وهو الأقرع بن حابس: يا محمد إن مدحي زين وذمي شين فقال له رسول الله ﷺ: «ويحك» ذلك الله تعالى ﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ يحتمل وجهين أحدهما أن يكون فيهم قليل ممن يعقل ونفى العقل عن أكثرهم لا عن جميعهم والآخر أن يكون جميعهم ممن لا يعقل وأوقع القلة موضع النفي والأول أظهر في مقتضى اللفظ والثاني أبلغ في الذم ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾ يعني خيراً في الثواب وفي انبساط نفس النبي ﷺ وقضائه حوائجهم وإنكار فعلهم فيه تأديب لهم وتعليم لغيرهم ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ سببها أن النبي ﷺ بعث الوليد بن عقبة بن أبي معيط إلى بني المصطلق ليأخذ زكاتهم فرؤي أنه كان مُعَادِيًا لَهُمْ فَأَرَادَ إِذِ انْتَهَمَ

فَعَلَّمْتُمْ نَادِمِينَ ﴿٦﴾ وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْمُشْوَكَ وَالْعَصِيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاكِبُونَ ﴿٧﴾ فَضَلَّ مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلَيْهِمْ حَكِيمٌ ﴿٨﴾ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا

فرجع من بعض طريقه فكذب عليهم وقال للنبي ﷺ إنهم قد منعوني الصدقة وطرودوني وارتدوا فغضب رسول الله ﷺ وهم بغزوههم ونظر في ذلك فورد وفداهم مُنكرين لذلك ورؤي أن الوليد بن عقبة لما قُرب منهم خرجوا إليه ملتفين له فرأهم على بُعد ففزع منهم وظن بهم الشر فانصرف فقال ما قال، ورؤي أنه بلغه أنهم قالوا لا نعطيهم صدقة ولا نطيعه فانصرف فقال ما قال فالفاسق المُشار إليه في الآية هو الوليد بن عقبة ولم يزل بعد ذلك يفعل أفعال الفساق حتى صلى بالناس صلاة الصبح أربع ركعات وهو سكران ثم قال لهم أزيدكم إن شئتم، ثم هي باقية في كل من أتصف بهذه الصفة إلى آخر الدهر، وقرئ فتيبنا من التيبن وتثبتوا بالثاء من التثبت ويقوي هذه القراءة أنها لما نزلت رؤي أن رسول الله ﷺ قال: «التثبت من الله والعجلة من الشيطان»، واستدل بهذه الآية القائلون بقبول خبر الواحد، لأن دليل الخطاب يقتضي أن خبر غير الفاسق مقبول، قال المنذر البلوطي: وهذه الآية ترد على من قال إن المسلمين كلهم عدول، لأن الله أمر بالتبين قبل القبول، فالمجهول الحال يخشى أن يكون فاسقا ﴿أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ﴾ في موضع المفعول من أجله تقديره مخافة أن تصيبوا قوماً بجهالة، والإشارة إلى قتال بني المصطلق لما ذكر عنهم الوليد ما ذكر ﴿لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ﴾ أي لشقيتكم، والعنت المشقة، وإنما قال لو يطيعكم ولم يقل لو أطاعكم للدلالة على أنهم كانوا يريدون استمرار طاعته عليه الصلاة والسلام لهم، والحق خلاف ذلك، وإنما الواجب أن يطيعوه لا أن يطيعهم، وذلك أن رأي رسول الله ﷺ خير وأصوب من رأي غيره، ولو أطاع الناس في رأيهم لهلكوا، فالواجب عليهم الانقياد إليه والرجوع إلى أمره، وإلى ذلك الإشارة بقوله: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ﴾ الآية ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ اختلف في سبب نزولها، فقال الجمهور هو ما وقع بين المسلمين وبين المتحزبين منهم لعبد الله بن أبي ابن سلول حين مر به رسول الله ﷺ وهو متوجه إلى زيارة سعد بن عبادة في مرضه فبَالَ حمار رسول الله ﷺ فقال عبد الله بن أبي للنبي ﷺ لقد آذاني نتن حمارك فردّ عليه عبد الله بن رواحة وتلاحا الناس حتى وقع بين الطائفتين ضرب بالجريد، وقيل بالحديد، وقيل سبها أن فريقيين

فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِئَءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٢﴾ بَنَاتِيَا الَّذِينَ لَا يُسَخَّرُ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا تُسَاءَلُوا مِنْ نِسَاءِ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ يَسَسُ الْأَسْمَاءُ الْمُسَوِّقُ بَعْدَ

حكمها باقى إلى آخر الدهر وإنما قال اقتتلوا ولم يقل اقتتلا لأن الطائفة في معنى القوم والناس، فهي في معنى الجميع ﴿فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي﴾ أمر الله في هذه الآية بقتال الفئة الباغية، وذلك إذا تبين أنها باغية فأما الفتن التي تقع بين المسلمين، فاختلف العلماء فيها على قولين أحدهما أنه لا يجوز النهوض في شيء منها ولا القتال وهو مذهب سعد بن أبي وقاص وأبي ذر وجماعة من الصحابة رضي الله عنهم، وحثتهم قول رسول الله ﷺ: «قتال المسلم كفر». وأمره عليه الصلاة والسلام بكسر السيوف في الفتن. والقول الثاني أن النهوض فيها واجب لتكف الطائفة الباغية، وهذا قول علي وعائشة وطلحة والزبير وأكثر الصحابة، وهو مذهب مالك وغيره من الفقهاء، وحثتهم هذه الآية فإذا فرعنا على القول الأول، فإن دخل داخل على من اعتزل الفريقين منزله يريد نفسه أو ماله فليدفعه عن نفسه وإن أدى ذلك إلى قتله لقوله ﷺ: «من قتل دون نفسه أو ماله فهو شهيد»، وإذا فرعنا على القول الثاني فاختلف مع من يكون النهوض في الفتن فقبل مع السواد الأعظم وقيل مع العلماء، وقيل مع من يرى أن الحق معه، وحكم القتال في الفتن أن لا يجهز على جريح ولا يطلب هارب، ولا يقتل أسير ولا يقسم فيء ﴿حَتَّى تَفِئَءَ﴾ أي ترجع إلى الحق ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ إنما ذكره بلفظ التثنية لأن أقل من يقع بينهم البغي اثنان، وقيل أراد بالأخوين الأوس والخزرج، وقرئ بين إخوانكم بالياء على الجمع وقرئ بين إخوانكم بالنون على الجمع أيضا ﴿لَا يُسَخَّرُ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ﴾ نهى عن السخرية وهي الاستهزاء بالناس ﴿عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ﴾ أي لعل المسخور منه خير من الساخر عند الله وهذا تعليل للنهي ﴿وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ﴾ لما كان القوم لا يقع إلا على الذكور عطف النساء عليهم ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ أي لا يطعن بعضكم على بعض واللمز العيب سواء كان بقول أو إشارة أو غير ذلك، وسنذكر الفرق بينه وبين الهمز في سورة الهمزة وأنفسكم هنا بمنزلة قوله: ﴿فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ [النور: ٦١] ﴿وَلَا تَنَابَرُوا بِالْألقَابِ﴾ أي لا يدع أحد أحدا بلقب والتنابر بالألقاب التداعي بها وقد أجاز المحدثون أن يقال الأعمش والأعرج ونحوه إذا دعت إليه الضرورة ولم يقصد النقص والاستخفاف ﴿يَسَسُ

الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتَّبِعْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ
الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا

الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ ﴿١١﴾ يريد بالاسم أن يسمّى الإنسان فاسقًا بعد أن سُمّي مؤمنًا، وفي ذلك ثلاثة أوجه: أحدها استقباح الجمع بين الفسق وبين الإيمان، فمعنى ذلك أن من فعل شيئًا من هذه الأشياء التي نهى عنها فهو فاسق وإن كان مؤمنًا، والآخر بثس ما يقوله الرجل للآخر يا فاسق بعد إيمانه، كقولهم لمن أسلم من اليهود يا يهودي، الثالث أن يجعل من فسق غير مؤمن وهذا على مذهب المعتزلة ﴿اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ﴾ يعني ظنّ السوء بالمسلمين، وأما ظنّ الخير فهو حسن ﴿إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ قيل في معنى الإثم هنا الكذب لقوله ﷺ: «الظن أكذب الحديث لأنه قد لا يكون مطابقًا للأمر». وقيل إنما يكون إثمًا إذا تكلم به وأما إذا لم يتكلم به فهو في فسحة لأنه لا يقدر على دفع الخواطر واستدل بعضهم بهذه الآية على صحّة سدّ الذرائع في الشرع لأنه أمر باجتناب كثير من الظن، وأخبر أن بعضه إثم فأمر باجتناب الأكثر من الإثم احترازًا من الوقوع في البعض الذي هو إثم ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ أي لا تبحثوا عن مخبّات الناس وقرأ الحسن تحسّسوا بالحاء والتجسس بالجيم في الشرّ وبالحاء في الخير، وقيل التجسس ما كان من وراء والتحسس بالحاء الدخول والاستعلام ﴿وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ المعنى: لا يذكر أحدكم من أخيه المسلم ما يكره لو سمعه والغيبة هي ما يكره الإنسان ذكره من خلقه أو خلقه أو دينه أو أفعاله أو غير ذلك، وفي الحديث أنه عليه الصلاة والسلام قال: «الغيبة أن تذكر أخاك المؤمن بما يكره»، قيل يا رسول الله وإن كان حقًا، قال: «إذا قلت باطلاً فذلك بهتان» وقد رخص في الغيبة في مواضع منها في التجريح في الشهادة والرواية والنكاح وشبهه وفي التحذير من أهل الضلال ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ شبه الله الغيبة بأكل لحم ابن آدم ميتًا والعرب تشبّه الغيبة بأكل اللحم ثم زاد في تقييده أن جعله ميتًا لأن الجيفة مستقدرة ويجوز أن يكون ميتًا حال من الأخ أو من لحمه وقيل فكرهتموه إخبار عن حالهم بعد التقرير كأنه لما قرّره قال هل يحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتًا أجابوا فقالوا لا نحب ذلك فقال لهم فكرهتموه وبعد هذا محذوف تقديره فكذلك فاكروهوا الغيبة التي هي تشبهه وحذف هذا للدلالة الكلام عليه وعلى هذا المحذوف يعطف قوله واتقوا الله، قاله أبو علي الفارسي، وقال الرماني كراهة هذا اللحم يدعو إليها الطبع وكراهة الغيبة يدعو إليها العقل وهو أحق أن يُجاب لأنّ

فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ ﴿١٧﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٨﴾ قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمَّنَّا قُلْ لَمْ نُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٩﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا

مبالغات كثيرة منها الاستفهام الذي معناه التقرير ومنها جعل ما هو في الغاية من الكراهة موصولاً بالمحبة ومنها إسناد الفعل إلى أحدكم والإشعار بأن أحد من الأحدين لا يحب ذلك ومنها أنه لم يقتصر على تمثيل الغيبة بأكل لحم الإنسان حتى جعله ميتاً ومنها أنه لم يقتصر على تمثيل الغيبة بأكل لحم الإنسان حتى جعله أخاه ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى﴾ الذكر والأنثى هنا آدم وزوجه قال ابن عطية ويحتمل أن يريد الجنس كأنه قال إنا خلقنا كل واحد منكم من ذكر وأنثى والأول أظهر وأصح لقوله ﷺ: «أنتم من آدم وآدم من التراب» ومقصود الآية التسوية بين الناس والمنع مما كانت العرب تفعله من التفاخر بالأحساب، والطعن في الأنساب فبين الله أن الكرم والشرف عند الله ليس بالحسب والنسب وإنما هو بالتقوى قال رسول الله ﷺ: «من أحب أن يكون أكرم الناس فليتيق الله»، وزوي أن سبب هذه الآية أن رسول الله ﷺ أمر بني بياضة أن يزوجوا أبا هند امرأة منهم فقالوا كيف نزوج بناتنا لموالينا؟ ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ الشعوب جمع شعب بفتح الشين وهو أعظم من القبيلة وتحتة القبيلة ثم البطن ثم الفخذ ثم الفصيلة وهم القرابة الأذنون فمضّر وربيعه وأمثالهما شعوباً، وقريش قبيلة، وبني عبد مناف بطن، وبنو هاشم فخذ، ويقال بإسكان الخاء فرقاً بينه وبين الجارحة وبنو عبد المطلب فصيلة. وقيل الشعوب في العجم والقبايل في العرب والأسباط في بني إسرائيل ومعنى لتعارفوا ليعرف بعضهم بعضاً ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمَّنَّا﴾ نزلت في بني أسد بن خزيمة وهي قبيلة كانت تجاور المدينة أظهروا الإسلام وكانوا إنما يحبون المغانم وعرض الدنيا فأكذبهم الله في قولهم آمنا وصدقهم لو قالوا أسلمنا وهذا على أن الإيمان هو التصديق بالقلب والإسلام هو الانقياد بالنطق بالشهادتين والعمل بالجوارح فالإسلام والإيمان في هذا الموضع متباينان في المعنى وقد يكونان متفقان وقد يكون الإسلام أعم من الإيمان فيدخل فيه الإيمان حسماً ورد في مواضع آخر ﴿وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا﴾ معنى لا يلتكم لا ينقصكم شيئاً من أجور أعمالكم وفيه لغتان يقال لات وعليه قراءة نافع لا يلتكم بغير همز، ويقال ألت وعليه قراءة من قرأ لا يالتكم بهمزة قبل اللام، فإن قيل: كيف يعطيهم أجور

وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمْ الصَّادِقُونَ ﴿١٥﴾ قُلْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمُ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾

أعمالهم وقد قال إنهم لم يؤمنوا ولا يقبل عمل إلا من مؤمن؟ فالجواب: أن طاعة الله ورسوله تجمع صدق الإيمان وصلاح الأعمال فالمعنى إن رجعتم عما أنتم عليه من الإيمان بألستكم دون قلوبكم وعملتكم أعمالاً سالحة فإن الله لا يتقصم منها شيئاً ﴿ثُمَّ لَمْ يَزْتَابُوا﴾ أي لم يشكوا في إيمانهم وفي ذلك تعريض بالأعراب المذكورين بأنهم في شك وكذلك قوله في هؤلاء أولئك هم الصادقون تعريض أيضاً بالأعراب إذ كذبوا في قولهم آمنا وإنما عطف ثم لم يرتابوا بشم إشعاراً بثبوت إيمانهم في الأزمنة المتراخية المتطاولة ﴿وَجَاهِدُوا﴾ يريد جهاد الكفار لأنه دليل على صحة الإيمان وبيد أن يريد جهاد النفس والشيطان لقوله بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا﴾ نزلت في بني أسد أيضاً فإنهم قالوا للنبي ﷺ إنا آمنا بك وأتبعناك ولم نحاربك كما فعلت هوازن وخطفان وغيرهم ﴿بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ﴾ أي هداكم للإيمان على زعمكم ولذلك قال: ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾، ويمن عليكم يحتمل أن يكون بمعنى ينعم عليكم أو بمعنى يذكر إنعامه، وهذا أحسن لأنه في مقابلة يمتون عليك.

سورة ق

مكية إلا آية ٣٨ فمدنية وآياتها ٤٥ نزلت بعد المرسلات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ﴿١﴾ بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكٰفِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٢﴾ أَمْ إِذَا
مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ﴿٣﴾ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كَنْبٌ حَفِيفٌ ﴿٤﴾ بَلْ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تكلما على حروف الهجاء في أول سورة البقرة ويختص ﴿ق﴾ بأنه قيل إنه من اسم الله القاهر أو القدير وقيل هو اسم للقرآن وقيل اسم للجبل الذي يحيط بالدنيا ﴿وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾ من المجد وهو الشرف والكرم وجواب هذا القسم محذوف تقديره ما ردوا أمرك بحجة وما كذبوك ببرهان وشبه ذلك وعبر عن هذا المحذوف وقع الإضراب ببل وقيل الجواب ما يلفظ من قول وقيل إن في ذلك لذكرى وقيل قد علمنا ما تنقص الأرض منهم وهذه الأقوال ضعيفة متكلفة ﴿بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِنْهُمْ﴾ الضمير في عجبوا لكفار قريش والمنذر هو سيدنا محمد ﷺ وقيل الضمير لجميع الناس واختاره ابن عطية قال ولذلك قال تعالى ﴿فَقَالَ الْكٰفِرُونَ﴾ أي الكافرون من الناس والصحيح أنه لقريش وقوله: ﴿قَالَ الْكٰفِرُونَ﴾ وضع الظاهر موضع المضمرة لقصد ذمهم بالكفر كما تقول جاءني فلان فقال الفاجر كذا إذا قصدت ذمه وقوله: ﴿مُنذِرٌ مِنْهُمْ﴾ إن كان الضمير لقريش فمعنى منهم

كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيعٍ ﴿٥﴾ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَلَيْتَهَا
 وَزَيَّنَّهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رِوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾
 تَبَصَّرَةٌ وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٨﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جِبْتٍ وَحَبِّ
 الْحَبِيدِ ﴿٩﴾ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ

من قبيلتهم يعرفون صدقه وأمانته وحسبه فيهم وإن كان الضمير لجميع الناس فمعنى منهم إنسان مثلهم، وتعجبهم يحتمل أن يكون من أن بعث الله بشراً أو من الأمر الذي يتضمنه الإنذار وهو الحشر ويؤيد هذا ما يأتي بعد ﴿أَيُّدًا مِثْنَا وَكُنَّا تُرَابًا﴾ العامل في إذا محذوف تقديره أنبعث إذا متنا ﴿ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾ الرجوع مصدر رجعته والمراد به البعث بعد الموت ومعنى بعيد أي بعيد الوقوع عندهم وقيل الرجوع الجواب أي جوابهم هذا بعيد عن الحق وعلى هذا يكون قوله: ﴿ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾ من كلام الله تعالى وأما على الأول فهو حكاية كلام الكفار وهو أظهر ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ﴾ هذا رد على الكفار في إنكارهم للبعث معناه قد علمنا ما تنقص الأرض منهم من لحومهم وعظامهم فلا يصعب علينا بعثهم، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «كل جسد ابن آدم تأكله الأرض إلا عجب الذنب منه خلق وفيه يركب» وقيل المعنى قد علمنا ما يحصل في بطن الأرض من موتاهم والأول قول ابن عباس والجمهور وهو أظهر ﴿وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ﴾ يعني اللوح المحفوظ ومعنى حفيظ جامع لا يشذ عنه شيء وقيل معناه محفوظ من التغيير والتبديل ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ﴾ هذا الإضراب أتبع به الإضراب الأول للدلالة على أنهم جاؤوا بما هو أفبح من تعجبهم وهو التكذيب بالحق الذي هو النبوة وما تضمنته من الإخبار بالحشر وغير ذلك وقال ابن عطية هذا الإضراب عن كلام محذوف تقديره ما أجادوا النظر ونحو ذلك ﴿فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيعٍ﴾ أي مضطرب لأنهم تارة يقولون شاعر وتارة ساحر وغير ذلك من أقوالهم وقيل معناه منكر وقيل ملتبس وقيل مختلط ﴿وَزَيَّنَّاهَا﴾ يعني بالنجوم ﴿وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾ أي من شقوق وذلك دليل على إتقان الصنعة ﴿رِوَاسِيَ﴾ يعني الجبال ﴿مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ أي من كل نوع جميل ﴿مَاءً مُبَارَكًا﴾ يعني المطر كله وقيل الماء المبارك ماء مخصوص ينزله الله كل سنة وليس كل المطر يتصف بالمبارك وهذا ضعيف ﴿حَبِّ الْحَبِيدِ﴾ هو القمح والشعير ونحو ذلك مما يحصد ﴿بَاسِقَاتٍ﴾ أي طويلات ﴿طَلْعٌ نَضِيدٌ﴾ الطلع أول ما يظهر من الثمر وهو أبيض منضد كحب الرمان فما دام ملتصقاً بعبه ببعض فهو نضيد فإذا تفرق

الْمُرُوجُ ﴿١١﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّيِّ وَنَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَابُ
الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدُ ﴿١٤﴾ أَفَعَيَّبْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ
جَدِيدٍ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُمَّا تَوْسُوسٍ بِهِ نَقَسْنَاهُ مِمْحَنٍ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى
الْمُتَلَقِّينَ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ

بخروج النبات من الأرض ﴿وَأَصْحَابُ الرَّسِّ﴾ قوم كانت لهم بئر عظيم وهي الرِّسُّ بعث إليهم نبي فجعلوه في الرِّسِّ ورددوا عليه فأهلكهم الله ﴿وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ﴾ يعني قوم شعيب وقد ذكر ﴿وَقَوْمُ تُبَّعٍ﴾ ذكر في الدخان ﴿فَعَقَّ وَعِيدٌ﴾ أي حل بهم الهلاك ﴿أَفَعَيَّبْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ﴾ يقال عَيَّبَ بِالْأَمْرِ إِذَا لَمْ يَعْرِفْ عِلْمَهُ وَالْخَلْقُ الْأَوَّلُ خَلْقُ الْإِنْسَانِ مِنْ نَظْفَةِ ثَمَّ مِنْ عِلْقَةٍ وَقِيلَ يَعْنِي خَلْقَ آدَمَ، وَقِيلَ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَالْأَوَّلُ أَظْهَرَ، وَمَقْصُودُ الْآيَةِ الْاسْتِدْلَالُ بِالْخَلْقَةِ الْأُولَى عَلَى الْبَعْثِ وَالْهَمْزَةُ لِلْإِنْكَارِ ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ أي هم في شكٍّ من البعث وإنما نكرو الخلق الجديد لأنه كان غير معروف عند الكفار المخاطبين وعرف الخلق الأول لأنه معروف معهود ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾ يعني جنس الإنسان ومعنى تَوْسُوسٍ بِهِ نَفْسُهُ تَحَدِّثُهُ نَفْسَهُ مِنْ فِكْرَتِهَا وَذَلِكَ أَخْفَى الْأَشْيَاءِ وَقِيلَ يَعْنِي آدَمَ وَوَسُوسَتَهُ عِنْدَ أَكْلِهِ مِنَ الشَّجَرَةِ وَالْأَوَّلُ أَظْهَرَ وَأَشْهَرُ ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ هو عرق كبير في العنق وهما وريدان عن يمين وشمال وهذا مثل في فرط القرب، والمراد به قرب علم الله وإطلاعه على عبده وإضافة الحبل إلى الوريد كقولك: مسجد الجامع أو يراد بالحبل العاتق ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّينَ﴾ يعني الْمَلَائِكَةَ الْخَافِظِينَ الْكَاتِبِينَ لِلْأَعْمَالِ، وَالتَّلَقِّيُّ هُوَ تَلَقَّى الْكَلَامَ بِحِفْظِهِ وَكِتَابَتِهِ، وَالْعَامِلُ فِي إِذْ نَحْنُ أَقْرَبُ، وَقِيلَ مَضْمُرُ تَقْدِيرِهِ: إِذْ ذَكَرَ وَاخْتَارَهُ ابْنُ عَطِيَّةٍ ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ أي قَاعِدٌ، وَقِيلَ مَقَاعِدُ بِمَعْنَى مَجَالِسَ، وَرَدَّهُ ابْنُ عَطِيَّةٍ بِأَنَّ الْمَقَاعِدَ إِنَّمَا يَكُونُ مَعَ قَعُودِ الْإِنْسَانِ، وَالْقَاعِدُ يَكُونُ عَلَى جَمِيعِ هَيْئَةِ الْإِنْسَانِ وَإِنَّمَا أَفْرَدَهُ وَهَذَا لِأَنَّ التَّقْدِيرَ عَنِ الْيَمِينِ قَعِيدٌ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ مِنَ الْمُتَلَقِّينَ، فَحَذَفَ أَحَدَهُمَا لِدَلَالَةِ الْآخَرِ عَلَيْهِ، وَقَالَ الْفَرَّاءُ لَفْظُ قَعِيدٌ يَدُلُّ عَلَى الْإِثْنَيْنِ وَالْجَمَاعَةِ فَلَا يَحْتَاجُ إِلَى حَذْفٍ ﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ الْعَتِيدُ الْحَاضِرُ، وَفِي الْحَدِيثِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ مَقْعِدَ الْمَلَائِكَةِ عَلَى الشَّفَتَيْنِ قَلْمُهُمَا اللِّسَانُ وَمِدَادُهُمَا الرَّيْحُ»، وَعُمُومُ الْآيَةِ يَقْتَضِي أَنَّ الْمَلَائِكَةَ يَكْتُبَانِ جَمِيعَ أَعْمَالِ الْعَبْدِ وَلِذَلِكَ قَالَ الْحَسَنُ وَقْتَادَةَ يَكْتُبَانِ جَمِيعَ الْكَلَامِ فَيُثَبِّتُ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ وَيَمْحُو غَيْرَ ذَلِكَ، وَقَالَ عِكْرَهَةَ: إِنَّمَا تَكْتُبُ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَا غَيْرَ ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾ أَي بِلِقَاءِ اللَّهِ أَوْ فِرَاقِ

بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ مَحِيدًا ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمَ الْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عِتِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عِنْدِ ﴿٢٤﴾ مَتَاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا

الدنيا، وفي مصحف عبد الله بن مسعود: وجاءت سكرة الحق بالموت، وكذلك قرأها أبو بكر الصديق، وإنما قال جاءت بالماضي لتحقق الأمر وقربه، وكذلك ما بعده من الأفعال ﴿ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدٌ﴾ أي تفرّ وتهرب، والخطاب للإنسان ﴿سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ السائق مَلَكٌ يسوقه، وأما الشهيد فقيل مَلَكٌ آخر يشهد عليه وهو الأظهر، وقيل صحائف الأعمال، وقيل جوارح الإنسان ﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا﴾ خطاب للإنسان الذي يقتضيه قوله: كل نفس، يريد أنه كان غافلاً عما لَقِيَ في الآخرة، وقيل هو خطاب لسيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، أي كنت في غفلة من هذا القصص وهذا في غاية الضعف لأنه خروج عن سياق الكلام ﴿فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ﴾ قيل كشف الغطاء معانيته أمور الآخرة ﴿فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ أي يُبَصِّرُ ما لم يبصره قبل، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا» ﴿وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عِتِيدٌ﴾ القرين هنا الشيطان الذي كان يغويه، وقيل الملك الذي يتولى عذابه في جهنم، والأول أرجح لأنه هو القرين المذكور بعد، ولقوله نقيض له شيطاناً فهو له قرين، ومعنى قوله: ﴿هَذَا مَا لَدَيَّ عِتِيدٌ﴾، أي هذا الإنسان حاضر لديّ أعتدته ويسرته لجهنم، وكذلك المعنى إن قلنا إن القرين هو المَلَكُ السائق، وإن قلنا إنه أحد الزبانية فمعناه هذا العذاب لديّ حاضر ويحتمل أن يكون ما في قوله: ﴿مَا لَدَيَّ﴾، موصوفة أو موصولة، فإن كانت موصوفة فعتيد وصف لها وإن كانت موصولة، فعتيد بدل منها، أو خبر بعد خبر أو خبر مبتدأ محذوف وما هي خبر المبتدأ على هذه الوجوه، ويحتمل أن يكون عتيد الخبر وتكون ما بدلاً من هذا أو منصوبة بفعل مضمّر ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ﴾ الخطاب للملَكَيْنِ السائق والشهيد، وقيل إنه خطاب لواحد على أن يكون بالنون المؤكدة الخفيفة، ثم أبدل منها ألف أو على أن يكون معناه ألق ألق مثني مبالغة وتأكيداً أو على أن يكون على عادة العرب من مخاطبة الاثنين كقولهم خليلي وصاحبي وهذا كله تكلف بعيد، ومما يدلّ على أن الخطاب لاثنتين قوله: ﴿فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ﴾ ﴿مَتَاعٌ لِلْخَيْرِ﴾ قيل متاع للزكاة المفروضة والصحيح العموم ﴿مُرِيبٌ﴾ شك في الدين فهو من الرّيب بمعنى الشك ﴿الَّذِي جَعَلَ﴾ يحتمل أن يكون مبتدأ وخبره فألقياه وأدخل فيه ألفاً لتضمنه [Made searchable using ScribeTools.com](http://www.scribetoold.com) لقياه تكراراً للتوكيد

عَآخِرَ فَآلِقِيَآءِ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ ﴿قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْعَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَلَا تَخْصِمُونَا لَدَيْ رَبِّنَا وَقَدْ قَدَّمْتَ إِلَيْنَا الْكُفْرَ بِالْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يَبْدُلُ الْقَوْلَ لَدَيْ وَمَا أَنَا بِظَالِمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَنَقُولُ هَلْ مِنْ مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾ وَأَزْلَفَتْ الْجَنَّةُ لِّلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أُوَٰلِيَٰهِ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَن حَفِيَ الرَّحْمَنُ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبِ مُنِيبٍ ﴿٣٣﴾ أَدْخُلُوهَا سَلَامًا ذَٰلِكَ يَوْمَ الْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَّهُمْ مَا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَل

﴿قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْعَيْتُهُ﴾ القرين هنا شيطانه الذي وكل به في الدنيا مبتلا خلاف ومعنى ما أطعته ما أوقعته في الطغيان، ولكنه طغى باختياره وإنما حذف اللواو هنا لأن هذه جملة مستأنفة بخلاف قوله وقال قرينه قبل هذا فإنه عطف ﴿لَا تَخْصِمُونَا لَدَيْ﴾ خطاب للناس وقونائهم من الشياطين ﴿مَا يَبْدُلُ الْقَوْلَ لَدَيْ﴾ أي قد حكمت بتعذيب الكفار فلا تبدل لذلك، وقيل معناه لا يكذب أحد لدي لعلمي بجميع الأمور فالإشارة على هذا إلى قول القرين ما أطعته ﴿وَنَقُولُ هَلْ مِنْ مَّزِيدٍ﴾ الفعل مسند إلى جهنم، وقيل إلى خزنتها من الملائكة، والأول أظهر واختلف هل تكلم جهنم حقيقة أو مجازاً بلهتان الحال، والأظهر أنه حقيقة وذلك على الله يسير، ومعنى قولها: ﴿هَلْ مِنْ مَّزِيدٍ﴾ إنما تطلب الزيادة وكأنت لم تمتلئ وقيل معناه لا مزيد أي ليس عندي موضع للزيادة فهي على هذا قد امتلأت والأول أظهر وأرجح، لما ورد في الحديث لا يزال جهنم يلقي فيها وتقول هل من مزيد حتى يلقي فيها الجبار قدمه، وفي الحديث كلام ليس هذا موضعه، والمزيد يحتمل أن يكون مصدرًا كالمحيض أو اسم مفعول فإن كان مصدرًا فوزنه مفعول وإن كان اسم مفعول فوزنه مفعول ﴿وَأَزْلَفَتْ الْجَنَّةُ﴾ أي قربت ثم أكد كذلك بقوله غير بعيد ﴿لِكُلِّ أُوَٰلِيَٰهِ﴾ أي كثير الرجوع إلى الله فهو من أب يؤوب إذا رجع، وقيل هو المسيح الله من قوله: ﴿يَا أَجْبَالُ أُوَيْبِي مَعَهُ﴾ [سبأ: ١٠] ﴿حَفِيظٌ﴾ أي حافظ لأوامر الله في فعلها ولنواهيها في تركها ﴿مَن حَفِيَ الرَّحْمَنُ بِالْغَيْبِ﴾ أي اتقى الله وهو غائب عن الناس، فالمجرور في موضع الحال ومن خشي بدل أو مبتدأ، فإن قيل: كيف قرن بالخشية الاسم الدال على الرحمة؟ فالجواب إن ذلك لقصد المبالغة في الثناء على من يخشى الله لأنه يخشاه مع علمه برحمته وعفوه، وقال ذلك الزمخشري: ويحتمل أن يكون الجواب عن ذلك أن الرحمن صلوا يستعمل الله صلا الذي ليس بصفة كقولنا الله ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ قيل معناه النظر إلى وجه الأرض، كقوله: ﴿الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] وقيل يعني ما لم يخطر على قلوبهم كما ورد في

مِنْ مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ﴿٣٨﴾ فَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَرَ الشُّجُودِ ﴿٤٠﴾ وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادُ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِيهِ وَنُمِيتُهُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقُّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ

الحديث مما يرويه النبي ﷺ عن ربه أنه قال: «أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر» ﴿هُم أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا﴾ الضمير في هم للقرون المتقدمة، وفي منهم لكفار قريش ﴿فَتَقَبُّوا فِي الْبِلَادِ﴾ أي طافوا فيها وأصله دخولها من أنقابها أو من التنقب عن الأمر، بمعنى البحث عنه ﴿هَلْ مِنْ مَّحِيصٍ﴾ أي قالوا هل من مهرب من الله أو من العذاب ﴿لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ أي قلب واع يعقل ويفهم ﴿أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ أي استمع وهو حاضر القلب ﴿وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ اللغوب الإعياء والتعب ﴿فَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ يعني كفار قريش وغيرهم ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ يحتمل أن يريد التسبيح باللسان، أو يريد الصلاة وقد ذكر الزمخشري فيه الوجهين وقال ابن عطية: معناه صلِّ بإجماع من المتأولين، وهي على هذا إشارة إلى الصلوات الخمس فقبل طلوع الشمس الصبح وقبل الغروب الظهر والعصر ومن الليل المغرب والعشاء، وقيل هي النوافل ﴿وَأَدْبَرَ الشُّجُودِ﴾ قال عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما: الركعتين بعد المغرب وقال ابن عباس هي النوافل بعد الفرائض، وقيل الوتر ﴿وَاسْتَمِعْ﴾ معناه انتظر فهو عامل في يوم يناد على أنه مفعول به صريح، وقيل المعنى استمع لما نقص عليك من أهوال القيامة فعلى هذا لا يكون عاملاً في يوم يناد فيوقف على استمع والأول أظهر ﴿يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادُ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ المنادي هنا إسرافيل الذي ينفخ في الصور، وقيل إنما وصفه بالقرب لأنه يسمعه جميع الخلق، وقيل المكان صخرة بيت المقدس، وإنما وصفها بالقرب لقربها من مكة، وقيل لقربها من السماء، لأنها أقرب إلى الأرض إلى السماء بثمانية عشر ميلاً وهذا ضعيف ﴿يَوْمَ الْخُرُوجِ﴾ يعني خروج الناس من القبور و﴿يَوْمَ تَشَقُّقُ﴾ العامل في هذا الظرف معنى قوله: ﴿حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ أو هو بدل مما قبله ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ﴾ أي بقهار تقهرهم على الإيمان كقوله: ﴿لَسْتُ عَلَيْهِمْ بِمُصِيطِرٍ﴾ وقيل إخبار بأنه ﷺ رؤوف بهم غير جبار عليهم وهذا

عَلَيْنَا سِيرٌ ﴿٤٤﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكَرَ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾

يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ﴿فاطر: ١٨﴾ لأنه لا ينفع التذكير إلا من يخاف.

عَلَيْنَا سِيرٌ ﴿٤٤﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكَرَ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾

عَلَيْنَا سِيرٌ ﴿٤٤﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكَرَ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾

عَلَيْنَا سِيرٌ ﴿٤٤﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكَرَ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾

عَلَيْنَا سِيرٌ ﴿٤٤﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكَرَ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾

عَلَيْنَا سِيرٌ ﴿٤٤﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكَرَ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾

عَلَيْنَا سِيرٌ ﴿٤٤﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكَرَ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾

عَلَيْنَا سِيرٌ ﴿٤٤﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكَرَ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾

عَلَيْنَا سِيرٌ ﴿٤٤﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكَرَ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾

عَلَيْنَا سِيرٌ ﴿٤٤﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكَرَ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾

عَلَيْنَا سِيرٌ ﴿٤٤﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكَرَ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾

سورة الذاريات

مكية وآياتها ٦٠ نزلت بعد الأحقاف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالذَّارِيَاتِ ذُرُورًا ﴿١﴾ فَالْحَمَلَاتِ وِقْرًا ﴿٢﴾ فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا ﴿٣﴾ فَالْمُقْسِمَاتِ أَمْرًا ﴿٤﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴿٥﴾ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ ﴿٦﴾ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُوبِ ﴿٧﴾ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ ﴿٨﴾ يُؤَفِّكُ عَنْهُ مَنَافِكَ ﴿٩﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالذَّارِيَاتِ ذُرُورًا﴾ هي الرياح تذر التراب وغيره، ومنه قوله تعالى: ﴿تَذُرُوهُ الرِّيَّاحُ﴾ [الكهف: ٤٥] وانتصب ذرورًا على المصدرية ﴿فَالْحَمَلَاتِ وِقْرًا﴾ هي السحاب تحمل المطر والوقر الحمل وهو مفعول به ﴿فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا﴾ هي السفن تجري في البحر وإعراب يُسْرًا صفة لمصدر محذوف ومعناه بسهولة ﴿فَالْمُقْسِمَاتِ أَمْرًا﴾ هي الملائكة تقسم أمر الملكوت من الأرزاق والآجال وغير ذلك، وأمرًا مفعول به، وقيل إن الحملات وقرا: السفن، وقيل جميع الحيوان الحامل، وقيل إن الجاريات يسرا: السحاب، وقيل الجوّاري من الكواكب والأول أشهر وهو قول علي بن أبي طالب ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ﴾ هذا جواب القسم ويحتمل توعدون أن يكون من الوعد أو من الوعيد والأظهر أنه يراد به البعث في الآخرة وهو يشمل الوعد والوعيد ﴿وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ﴾ الدين هنا الجزاء، وقيل الحساب ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُوبِ﴾ أي الماء إذا هبت عليه

قُلِ الْخَرَّاصُونَ ﴿١١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي عَمْرٍو سَاهُونَ ﴿١٢﴾ يَسْتَلُونَ أَيَّانَ يَوْمَ الدِّينِ ﴿١٣﴾ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٤﴾ ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنتُمْ بِهِ تَسْتَعِجِلُونَ ﴿١٥﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٦﴾ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٧﴾ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٨﴾ وَإِلَّا تَحَارَ هُمْ

الرياح، وكذلك حبك الزرع وهي الطرائق التي فيه وقيل الحبك النجوم وقيل زينة السماء وقيل حُسن خلقتها وواحد الحبك حبك أو حبيكة ﴿إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ﴾ يحتمل أن يكون خطابًا لجميع الناس لأنهم اختلفوا فمنهم مؤمن ومنهم كافر، ويحتمل أن يكون خطابًا للكفار خاصة لأنهم اختلفوا فقال بعضهم ساحر، وقال بعضهم كاهن، وقال بعضهم شاعر ﴿يُؤْفِكُ عَنْهُ مَنَ أُنْفِكُ﴾ معنى يؤفك يضرف، والضمير في عنه يحتمل أربعة أوجه أحدها أن يكون للنبي صلى الله عليه وآله وسلم أو للقرآن أو للإسلام والمعنى يصرف عن الإيمان به من صرف أي من سبق في علم الله أنه مصروف، الثاني أن يكون الضمير لما توعدون أو للدين والمعنى يصرف عن الإيمان به من صرف. الثالث أن يكون الضمير للقول المختلف والمعنى يصرف عن ذلك القول إلى الإسلام من قضى الله بسعادته، وهذا القول حسن إلا أن عُزف الاستعمال في أفك ويؤفك إنما هو في العُزف من خير إلى شر وهذا من شر إلى خير. الرابع أن يكون الضمير للقول المختلف وتكون عن سببية والمعنى يصرف بسبب ذلك القول من صرف عن الإيمان ﴿قُلِ الْخَرَّاصُونَ﴾ دعاء عليهم كقولهم قاتلك الله، وقيل قتل بمعنى لعن، قال ابن عطية واللفظ لا يقتضي ذلك وقال الزمخشري أصله الدعاء بالقتل، ثم جرى مجرى لعن وقبح، والخراصون الكذابون، وأصل الخرص التخمين والقول بالظن والإشارة إلى الكفار، وقيل إلى الكهان والأول أظهر ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي عَمْرٍو سَاهُونَ﴾ الغمرة ما يغطّي عقل الإنسان وأصله من غمرة الماء والمراد به هنا الجهلة والغفلة عن النظر ﴿يَسْتَلُونَ أَيَّانَ يَوْمَ الدِّينِ﴾ أي يقولون متى يوم الدين على وجه الاستبعاد والاستخفاف ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ هذا جواب عن سؤالهم، ومعنى يفتنون يحرقون ويعذبون، ومنه قيل للحرة فتين لأن الشمس أحرقت حجارته، ويحتمل أن يكون يومهم معربًا والعامل فيه مضمّر تقديره يقع ذلك يوم هم على النار يفتنون، وأن يكون مبيّنًا لإضافته إلى مبني، وعلى هذا يجوز أن يكون في موضع نصب بالفعل المضمّر حسبما ذكرنا أو في موضع رفع والتقدير هو يوم هم على النار يفتنون ﴿ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ﴾ أي يقال لهم ذوقوا حرقتكم ﴿آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ﴾ يعني يأخذون في الجنة ما أعطاهم ربهم من الخيرات والنعيم، وقيل والمعنى آخذين في الدنيا ما آتاهم ربهم من شرعه، والأول أظهر وأرجح للدلالة الكلام عليه ﴿كَانُوا

يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٧﴾ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿١٨﴾ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢١﴾ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ ﴿٢٢﴾

قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ الهجوع النوم وفي معنى الآية قولان: أحدهما وهو الصحيح أنهم كانوا ينامون قليلاً من الليل ويقطعون أكثر الليل بالسهر في الصلاة والتضرع والدعاء، والآخر أنهم كانوا لا ينامون بالليل قليلاً ولا كثيراً، ويختلف الإعراب باختلاف المعنيين فأما على القول الأول ففي الإعراب أربعة أوجه: الأول أن يكون قليلاً خبر كانوا وما يهجعون فاعل بقليلاً، لأن قليلاً صفة مشبهة باسم الفاعل، وتكون ما مصدرية، والتقدير كانوا قليلاً هجوعهم من الليل، والثاني مثل هذا إلا أن ما موصولة والتقدير كانوا قليلاً الذي يهجعون فيه من الليل، والثالث أن تكون ما زائدة، وقليلاً ظرف، والعامل فيه يهجعون، والتقدير كانوا يهجعون وقتاً قليلاً من الليل، والرابع مثل هذا إلا أن قليلاً صفة لمصدر محذوف، والتقدير كانوا يهجعون هجوعاً قليلاً، وأما على القول الثاني ففي الإعراب وجهان: أحدهما أن تكون ما نافية، وقليلاً ظرف، والعامل فيه يهجعون، والتقدير كانوا ما يهجعون قليلاً من الليل، والآخر أن تكون ما نافية، وقليلاً خبر كان، والمعنى كانوا قليلاً في الناس، ثم ابتداء بقوله من الليل ما يهجعون وكلا الوجهين باطل عند أهل العربية، لأن ما النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها فظهر ضعف هذا المعنى لبطلان إعرابه ﴿وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ أي يطلبون من الله مغفرة ذنوبهم، والأسحار آخر الليل، وقد جاء في الحديث أن الله تعالى يقول في الثلث الآخر من الليل: مَنْ يَسْتَغْفِرْنِي فَأَغْفِرْ لَهُ، وقيل معنى يستغفرون يصلون وهذا بعيد من اللفظ ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ الحق هنا نوافل الصدقات، وقيل المراد الزكاة وهذا بعيد لأن الآية مكية، وإنما فرضت الزكاة بالمدينة، وقيل إن الآية منسوخة بالزكاة، وهذا لا يحتاج إليه لأن النسخ إنما يكون مع التعارض، ولا تعارض بين الزكاة والنوافل وتسمية النوافل بالحق كقوله حقاً على المحسنين، وإن كان غير واجب، وقال بعض العلماء حق سوى الزكاة ورجحه ابن عطية واختلف الناس في المحروم حتى قال الشعبي أعياني أن أعلم ما المحروم، وقيل المحروم الذي ليس له في بيت المال سهم، وقيل الذي أجيحت ثمرته، وقيل الذي ماتت ماشيته، وقيل هو الكلب وهذه أمثلة، والمعنى الجامع لها أن المحروم الذي حرمه الله المال بأي وجه كان ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ﴾ إشارة إلى ما في خلقة الإنسان من الآيات والعبر، ولقد قال بعض العلماء فيه أن فيه خمسة آلاف حكمة، وقال بعضهم

هَلْ أُنثِيَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿٢٥﴾
 فَرَأَى إِلَيْكَ أَهْلِيهِ فَجَاءَ بِعَجَلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا
 تَخَفْ وَبَشِّرُوهُ بِعَلِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتْ أَمْرَانُهُ فِي صَرَفٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا
 كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾ * قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوا إِنَّا
 أُرْسِلْنَا إِلَيْكُمْ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَابًا مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾ فَأَخْرَجْنَا

معنى في السماء رزقكم المطر، وقيل القضاء والقدر، ويحتمل أن يكون ما توعدون من الوعد والوعيد والكل في السماء، ولذلك قيل يعني الجنة والنار، وقيل الخير والشر ﴿إِنَّهُ لَحَقُّ﴾ هذا جواب القسم، والضمير لما تقدم من الآيات أو الرزق أو لما توعدون ﴿مَثَلُ مَا أَنْكُم تَنْطِقُونَ﴾ أي حق مثل نطقكم لا يمكن الشك فيه، وما زائدة: وقرئ مثل بالنصب والرفع صفة لحق، والنصب على الحال من حق أو من الضمير المستتر فيه أو صفة لحق وبني لإضافته إلى مبني أو لتركيبه مع ما فيصير نحو أينما وكلما ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾ المراد بالاستفهام في مثل هذا التفضيم والتهويل، وضيف إبراهيم هم الملائكة الذين جاؤوا ليبشروه بالولد وبإهلاك قوم لوط، ووصفهم بالمكرمين لأنهم مكرمون من عند الله، ولأن إبراهيم عليه السلام أكرمهم لأنه خدمهم بنفسه وعجل لهم الضيافة والعامل في إذ دخلوا على هذا: المكرمين، ويحتمل أن يكون العامل فيه محذوف تقديره اذكر ﴿فَقَالُوا سَلَامًا﴾ نصب هذا لأنه في معنى الطلب وهو مفعول بفعل مضمّر، ورفع الثاني لأنه خبر تقديره أمرى سلام، وهذا على أن يكون السلام بمعنى السلامة، وإن كان بمعنى التحية فإنما رفع الثاني ليدل على إثبات السلام فيكون قد حياهم بأكثر ما حيوه وينتصب السلام الأول على هذا على المصدرية تقديره سلمنا عليك سلامًا، ويرفع الثاني بالابتداء تقديره: سلام عليكم قوم منكرون أي لم يعرفهم ﴿قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ يحتمل أن يكون ألا حضا على الأكل أو تكون الهمزة للإنكار دخلت على لا النافية ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ إنما خاف منهم لما لم يأكلوا ﴿وَبَشِّرُوهُ بِعَلِيمٍ عَلِيمٍ﴾ هو إسحق عليه السلام لقوله: ﴿فَبَشِّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ﴾ [هود: ٧١] ﴿فِي صَرَّةٍ﴾ أي صيحة، وذلك قولها: يا ويلتا ألد وأنا عجوز وهو من صر القلم وغيره إذا صوت، وقيل معناه في جماعة من النساء ﴿فَصَكَّتْ وَجْهَهَا﴾ أي ضربته حياء منهم وتعجبا من ولادتها وهي عجوز ﴿وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ تقديره أنا عجوز عقيم فكيف ألد أو تقديره أتلد عجوز عقيم ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ﴾ أي ما شأنكم وخبركم، والخطب أكثر ما يقال في الشدائد ﴿قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾

مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهَا أَنْ يَرْسِلْ مِنْ مِائِةٍ ذَاتِ أَلْجِفِ لُحْمَاءٍ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَصْغُرُونَ ﴿٣٦﴾ وَأَنْ يَرْسِلْ مِنْ مِائِةٍ ذَاتِ أَلْجِفِ لُحْمَاءٍ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَصْغُرُونَ ﴿٣٧﴾ وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّى بِرُكْبِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْتَهُ يَحْضُدُهُ فَنَبَذْتَهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَنْتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْتَهُ كَالرِّيمِ ﴿٤٢﴾ وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَنَّوْا حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذْتَهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَسْتَطْعَمُوا مِنْ قِيَارٍ وَمَا كَانُوا مُنْصَرِفِينَ ﴿٤٥﴾ وَقَوْمٌ نُوحِيَ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٤٦﴾ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ فَفَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مَنذِيرٌ ﴿٥٠﴾

يعني قوم سيدنا لوط وقد ذكرنا الحجارة ومسومة في هود ﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الضمير المجرور لقرية قوم سيدنا لوط لأن الكلام يدل عليها وإن لم يتقدم ذكرها والمراد بالمؤمنين لوط وأهله: أمرهم الله بالخروج من القرية لينجوا من العذاب الذي أصاب أهلها، ووصفهم بالمؤمنين وبالمسلمين لأنهم جمعوا الوصفين وقد ذكرنا معنى الإسلام والإيمان في الأحزاب ﴿وَفِي مُوسَى﴾ معطوف على قوله: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ﴾ أو على قوله: ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً﴾ ﴿فَتَوَلَّى بِرُكْبِهِ﴾ معنى تولى أعرض عن الإيمان وركنه سلطانه وقوته ﴿وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ أي قالوا إن موسى ساحر أو مجنون: فأو للشك أو للتقسيم، وقيل بمعنى الواو وهذا ضعيف ولا يستقيم هنا ﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ أي فعل ما يلام عليه يعني فرعون ﴿الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ وصفها بالعقم لأنها لا بركة فيها من إنشاء المطر أو إلقاح الشجر ﴿كَالرِّيمِ﴾ أي الفاني المنقطع والعموم هنا يراد به الخصوص فيما أذن للريح أن تهلكه ﴿وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَنَّوْا حَتَّىٰ حِينٍ﴾ فيه قولان: أحدهما أن الحين هي الثلاثة الأيام بعد عقرهم الناقة والآخر أن الحين من بعد ما بعث صالح عليه السلام إلى حين هلاكهم، وعلى هذا يكون فعتوا مترتباً بعد تمتعهم، وأما على الأول فيكون إخباراً عن حالهم غير مرتب على ما قبله ﴿فَأَخَذْتَهُمُ الصَّاعِقَةُ﴾ يعني الصيحة التي صاحها جبريل ﴿وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ أي يعاينونها لأنها كانت بالنهار ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾ أي بقوة وانتصاب السماء بفعل مضمرة ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها أن معناه قادرون فهو من الوسع وهو الطاقة، ومنه على الموسع قدره أي القوي على الإنفاق، والآخر جعلنا السماء واسعة أو جعلنا بينها وبين الأرض سعة، والثالث أوسعنا الأرزاق بمطر السماء ﴿فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ﴾ الماهد الـ Made searchable using ScribeTools.com ﴿بَيْنَ﴾ أي نوعين مختلفين

مُنِينٌ ﴿٥٦﴾ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٦﴾ كَذَلِكَ مَا آتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ مِن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٧﴾ أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٧﴾ قَوْلَ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٌ ﴿٥٨﴾ وَذَكَرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ يُنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٩﴾ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مِّثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعِظُونَ ﴿٥٩﴾ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾

كالليل والنهار، والسواد والبياض، والصحة والمرض وغير ذلك ﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾ أمر بالرجوع إليه بالتوبة والطاعة وفي اللفظ تحذير وترهيب ﴿أَتَوَاصَوْا بِهِ﴾ توقيف وتعجب أي هم بمثابة من أوصى بعضهم بعضًا أن يقول ذلك ﴿فَقَوْلُ عَنْهُمْ﴾ منسوخ بالسيف ﴿فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٌ﴾ أي قد بلغت الرسالة فلا لوم عليك ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ قيل معناه خلقتهم لكي أمرهم بعبادتي، وقيل ليتذللوا إليّ فإن جميع الإنس والجن متذلل ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِّزْقٍ﴾ أي ما أريد أن يرزقوا أنفسهم ولا غيرهم ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا﴾ أي لا أريد أن يطعمون لأنّي مُتَزِّهٌ عن الأكل وعن صفات البشر، وأنا غنيّ عن العالمين، وقيل المعنى ما أريد أن يطعموا عبيدي، فحذف المضاف تجوزًا، وقيل معناه ما أريد أن ينفعونني لأنّي غنيّ عنهم، وعبر عن النفع العام بالإطعامه والأول أظهر ﴿الْمَتِينُ﴾ أي الشديد القوة ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا﴾ الذنوب النصيب ويريد به هنا نصيبًا من العذاب، وأصل الذنوب الدلو، والمراد بالذين ظلموا كفار قريش، وبأصحابهم من تقدم من الكفار ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ يحتمل أن يريد يوم القيامة أو يوم هلاكهم بيدر والأول أرجح لقوله في المعارج ﴿ذَلِكَ الْيَوْمَ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ [المعارج: ٤٤] يعني يوم القيامة.

سورة الطور

مكية وآياتها ٤٩ نزلت بعد السجدة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالطُّورِ ﴿١﴾ وَكَتَابٍ مُّسْتَوِيرٍ ﴿٢﴾ فِي رَقٍ مَّنشُورٍ ﴿٣﴾ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ﴿٤﴾ وَالسَّمَاءِ الْمَرْفُوعِ ﴿٥﴾
وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ﴿٦﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوْ فُعٌ ﴿٧﴾ مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ ﴿٨﴾ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ﴿٩﴾ وَتَسِيرُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالطُّورِ﴾ هو الجبل الذي كلم الله عليه موسى عليه السلام، وقيل الطور كل جبل فكأنه أقسم بجنس الجبال ﴿وَكِتَابٍ مُّسْتَوِيرٍ﴾ قيل هو اللوح المحفوظ، وقيل القرآن، وقيل صحائف الأعمال ﴿فِي رَقٍ مَّنشُورٍ﴾ الرق في اللغة الصحيفة، وخصّص في العُزف بما كان من جلد، والمنشور خلاف المطوي ﴿وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ﴾ هو بيت في السماء السابعة يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، لا يعودون إليه أبدًا وبهذا عمرانه، وهو حيال الكعبة، وقيل البيت المعمور الكعبة وعمرانها بالحجاج والطائفين، والأول أظهر، وهو قول عليّ وابن عباس ﴿وَالسَّمَاءِ الْمَرْفُوعِ﴾ يعني السماء ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾ هو بحر الدنيا، وقيل بحر في السماء تحت العرش والأول أظهر وأشهر، ومعنى المسجور المملوء ماء، وقيل الفارغ من الماء، ويروى أن البحار يذهب ماؤها يوم القيامة، واللغة تقتضي الوجهين: لأن اللفظ من الأضداد، وقيل معناه الماء

الْجِبَالِ سَيْرًا ﴿١٠﴾ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَدْعُوكَ إِلَىٰ نَارِ
 جَهَنَّمَ دَعَا ﴿١٣﴾ هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾ أَفَسِحْرُ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾
 أَصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُحْزَنُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ
 وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَكِهِينَ بِمَا ءَانَهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَّاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُوا وَأَشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا
 كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَّكِنِينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ

أن جهنم في البحر ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾ هذا جواب القسم، ويعني عذاب الآخرة ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا﴾ أي تجيء وتذهب، وقيل تدور، وقيل تشقق، والعامل في الظرف واقع ودافع أو محذوف ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ﴾ الخوض التخبط في الأباطيل شبه بخوض الماء ﴿يَوْمَ يَدْعُونَ﴾ أي يدفعون بتعنيف، ويوم بدل من الظرف المتقدم ﴿أَفَسِحْرُ هَذَا﴾ توبيخ للكفار على ما كانوا يقولونه في الدنيا من أن القرآن سحر ﴿أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ توبيخ أيضًا لهم وتهكم بهم أي هل أنتم لا تبصرون هذا العذاب الذي حل بكم كما كنتم في الدنيا لا تبصرون الحقائق ﴿فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا﴾ ليس المراد بذلك الأمر بالصبر ولا النهي عنه وإنما المراد التسوية بين الصبر وعدمه في أن كل واحد من الحالين لا ينفعهم ولا يخفف عنهم شيئًا من العذاب ﴿إِنَّمَا تُحْزَنُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ هذا تعليل لما ذكر من عذابهم، وليس تعليلًا للصبر ولا لعدمه كما قال بعض الناس ﴿فَاكِهِينَ﴾ يحتمل أن يكون معناه أصحاب فاكهة فيكون نحو لابن وتامر أو يكون من الفكاهة بمعنى السرور ﴿وَوَقَّاهُمْ﴾ معطوف على قوله في جنات أو على آتاهم ربهم، أو تكون الواو للحال ﴿كُلُوا وَأَشْرَبُوا﴾ أي يقال لهم كلوا ﴿هَنِيئًا﴾ صفة لمصدر محذوف تقديره كلوا أكلاً هنيئًا، ويحتمل أن يكون وقع موقع فعل تقديره هناكم الأكل والشرب ﴿بِحُورٍ عِينٍ﴾ الحور: جمع حوراء وهي الشديدة بياض العين وسواد سوادها، والعين جمع عيناء وهي الكبيرة العينين مع جمالها، وإنما دخلت الباء في قوله بحور لأنه تضمن قوله زوجهنهم معنى قرانهم، قاله الزمخشري وقال إن الذين آمنوا معطوف على بحور عين أي قرانهم بحور للتلذذ بهن، وبالذين آمنوا للأنس معهم والأظهر أن الكلام تم في قوله: ﴿بِحُورٍ عِينٍ﴾ ويكون والذين آمنوا مبتدأ خبره ألحقنا ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ معنى الآية ما ورد في الحديث الشريف أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: «إن الله يرفع ذرية المؤمن في درجته في الجنة»، وإن كانوا دونه في العمل لتقر بهم عينه، فذلك كرامة للأبناء بسبب الآباء، قيل إن ذلك في الأولاد الذين ماتوا صغارًا،

ذُرِّيَّتَهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾
 وَأَمَدَدْنَاهُمْ بِبَفَاكِهِةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَنْتَازِعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْتِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَيَطُوفُ
 عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ ﴿٢٤﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَسْتَأْذِنُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي
 أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنْ أَلَّهَ عَلَيْنَا وَوَقَفْنَا عَدَابَ السُّمُورِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ
 هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾ فَذَكَرْنَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ

وقيل على الإطلاق في الأبناء المؤمنين، وبإيمان في موضع الحال من الذرية، والمعنى أنهم اتبعوا آباءهم في الإيمان، وقال الزمخشري إن هذا المجرور يتعلق بالحقنا، والمعنى عنده بسبب الإيمان ألحقنا بهم ذريتهم، والأول أظهر، فإن قيل: لِمَ قال بإيمان بالتنكير؟ فالجواب: أن المعنى بشيء من الإيمان لم يكونوا به أهلاً لدرجة آبائهم ولكنهم لحقوا بهم كرامة للأباء، فالمراد تقليل إيمان الذرية ولكنه رفع درجتهم فكيف إذا كان إيماناً عظيماً ﴿وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ أي ما أنقصناهم من ثواب أعمالهم بل وقينا لهم أجورهم، وقيل المعنى ألحقنا ذريتهم بهم وما نقصناهم شيئاً من ثواب أعمالهم بسبب ذلك بل فعلنا ذلك تفضلاً زيادة إلى ثواب أعمالهم والضمير على القولين يعود على الذين آمنوا، وقيل إنه يعود على الذرية ﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ أي مرتهن، فيما أن تُنجيه حسناته، وإما أن تهلكه سيئاته ﴿وَأَمَدَدْنَاهُمْ بِبَفَاكِهِةٍ﴾ الإمداد هو الزيادة مرة بعد مرة ﴿يَنْتَازِعُونَ فِيهَا كَأْسًا﴾ أي يتعاطونها إذ هم جلساء على الشراب ﴿لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْتِيمٌ﴾ اللغو الكلام الساقط والتأيم الذنب فهي بخلاف خمر الدنيا ﴿غِلْمَانٌ لَهُمْ﴾ يعني خدامهم ﴿كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ﴾ اللؤلؤ الجوهر، والمكنون المصون، وذلك لحسنه وقيل هو الذي لم يخرج من الصدف ﴿قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾ أي كنا في الدنيا خائفين من الله، والإشفاق شدة الخوف ﴿السُّمُورُ﴾ أشد الحر وقيل هو من أسماء جهنم ﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ﴾ يحتمل أن يكون بمعنى نعبد، أو من الدعاء بمعنى الرغبة، ومن قبل يعنون في الدنيا قبل لقاء الله ﴿إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾ البر الذي يبر عباده ويحسين إليهم، وقرىء أنه بفتح الهمزة على أن يكون مفعولاً من أجله، أو يكون هذا اللفظ هو المدعو به، وقرىء بكسرهما على الاستئناف ﴿فَذَكَرْنَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾ هذا خطاب للنبي ﷺ أي ذكر الناس ثم نفى عنه ما نسبة إليه الكفار من الكهانة والجنون. ومعنى بنعمة ربك: بسبب إنعام الله عليك ﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ هذا الموضع وفيما بعده

بِهِ رَبِّ الْمُنُونِ ﴿٣٢﴾ قُلْ تَرَبُّوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُرْتَبِّينَ ﴿٣١﴾ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَخْلَامُهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاعُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُهُمْ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٣٤﴾ أَمْ خَلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَيْكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيِّرُونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ لَهُمْ سَائِرٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَعِمَّهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ ﴿٣٩﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ

للاستفهام بمعنى الإنكار، والتربص الانتظار، ورب المنون حوادث الدهر، وقيل الموت، وكانت قريش قد قالت إنما هو شاعر تنتظر به رب المنون فيهلك كما هلك من كان قبله من الشعراء كزهير والنابعة ﴿قُلْ تَرَبُّوا﴾ أمر على وجه التهديد ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَخْلَامُهُمْ بِهَذَا﴾ الأحلام العقول: أي كيف تأمرهم عقولهم بهذا، والإشارة إلى قولهم هو شاعر أو إلى ما هم عليه من الكفر والتكذيب، وإسناد الأمر إلى الأحلام مجاز كقوله أصلاتك تأمرك ﴿أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاعُونَ﴾ أم هنا بمعنى بل، ويحتمل أن تكون بمعنى بل وهمزة الاستفهام بمعنى الإنكار كما هي في هذه المواضع كلها ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُهُ﴾ أي اختلقه من تلقاء نفسه وضمير الفاعل لرسول الله ﷺ وضمير المفعول للقرآن ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ﴾ رد عليهم وإقامة حجة عليهم، والأمر هنا للتعجيز ﴿أَمْ خَلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ﴾ فيه ثلاثة أقوال أحدها أن معناه أم خلقوا من غير رب أنشأهم واستعبدتهم، فهم من أجل ذلك لا يعبدون الله: الثاني أم خلقوا من غير أب ولا أم كالجملات فهم لا يؤمرون ولا ينهون كحال الجمادات: الثالث أم خلقوا من غير أن يحاسبوا ولا يجازوا بأعمالهم فهو على هذا كقوله: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾ [المؤمنون: ١١٥] ﴿أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ معناه أم الخالقون لأنفسهم بحيث لا يعبدون الخالق أم هم الخالقون للمخلوقات بحيث يتكبرون ﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ﴾ المعنى عندهم خزائن الله بحيث يستغنون عن عبادته، وقيل عندهم خزائن الله بحيث يعطون من شاءوا أو يمنعون من شاءوا، ويخصون بالنبوة من شاءوا ﴿أَمْ هُمُ الْمُصَيِّرُونَ﴾ أي الأرباب الغالبون، وقيل المسيطر المسلط القاهر ﴿أَمْ لَهُمْ سُلْمٌ يَسْمَعُونَ فِيهِ﴾ يعني أم لهم سلّم يصعدون به إلى السماء فيسمعون ما تقول الملائكة بحيث يعلمون صحة دعواهم ثم عجزهم بقوله: ﴿فَلْيَأْتِ مُسْتَعِمَّهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ أي بحجة واضحة على دعواهم ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ﴾ معناه أتسألهم على الإسلام أجره فيثقل عليهم غرمها فيشق عليهم أتباعك ﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ﴾ المعنى عندهم علم اللوح المحفوظ فهم يكتبون ما فيه حتى يقولوا لا نبعث وإن بعثنا لا نعذب، وقيل المعنى

يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾ وَإِنْ يَرَوْا
كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ ﴿٤٤﴾ فَذَرَهُمْ حَتَّى يَلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ
لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا
يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَرَ
النُّجُومِ ﴿٤٩﴾

فهم يكتبون للناس سُنتًا وشرائع من عبادة الأصنام وتسيب السوائب وشبه ذلك ﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا﴾ إشارة إلى كيدهم في دار الندوة بالنبي ﷺ حيث تشاوروا في قتله أو إخراجه ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ﴾ أي المغلوبون في الكيد، والذين كفروا يعني من تقدم الكلام فيهم وهم كفار قريش فوضع الظاهر موضع المضمَر، ويحتمل أن يريد جميع الكفار ﴿أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ﴾ المعنى هل لهم إله غير الله يعصمهم من عذاب الله ويمنعهم منه وحصر الله في هذه الآية جميع المعاني التي توجب التكبر والبُعد من الدخول في الإسلام ونفاها عنهم لبيّن أن تكبرهم من غير موجب وكفرهم من غير حجة ﴿وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ﴾ كانوا قد طلبوا أن ينزل عليهم كِسْفًا من السماء، فالمعنى أنهم لو رأوا الكِسْفَ ساقطًا عليهم بلغ بهم الطغيان والجهل والعناد أن يقولوا ليس بكِسْفٍ وإنما هو سحاب مركوم: أي كثيف بعضه فوق بعض ﴿فَذَرَهُمْ﴾ منسوخ بالسيف ﴿يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾ يعني يوم القيامة والصعقة فيه هي النفخة الأولى، وقيل غير ذلك والصحيح ما ذكرنا لقوله في المعارج عن يوم القيامة: ﴿ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ [المعارج: ٤٤]، ﴿عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ﴾ يعني قتلهم يوم بدر وقيل الجوع بالقحط، وقيل عذاب القبر ﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ أي اصبر على تكذيبهم لك وإمهالنا لهم فإننا نُرِيكَ ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها أنه قول سبحان الله، ومعنى حين تقوم من كل مجلس، وقيل أراد حين تقوم وتقعُد، وفي كل حال وجعل القيام مثلاً. الثاني أنه الصلوات النوافل؛ والثالث أنه الصلوات الفرائض، فحين تقوم الظهر والعصر: أي حين تقوم من نوم القائلة، ومن الليل المغرب والعشاء، وإدبار النجوم: الصبح ومن قال هي النوافل جعل إدبار النجوم ركعتي الفجر.

سورة النجم

مكية إلا آية ٣٢ فمدنية وآياتها ٦٢ نزلت بعد الإخلاص

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾
عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها أنها الشريا لأنها غلب عليها التسمية بالنجم، ومعنى هوى غرب وانتشر يوم القيامة، الثاني أنه جنس النجوم، ومعنى هوى كما ذكرنا أو انقضت ترجم الشياطين. الثالث أنه من نجوم القرآن وهي الجملة التي تنزل، وهوى على هذا معناه نزل ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾ هذا جواب القسم، والخطاب لقريش وصاحبكم هو النبي ﷺ فنفى عنه الضلال والغى، والفرق بينهما أن الضلال بغير قصد والغى بقصد وتكسب ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾ أي ليس يتكلم بهواه وشهوته إنما يتكلم بما يوحى الله إليه ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ يعني القرآن ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾ ضمير المفعول للقرآن أو للنبي ﷺ، والشديد القوى: جبريل، وقيل الله تعالى، والأول أرجح لقوله: ﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ﴾ [التكوير: ٢٠] والقوى جمع قوة ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ أي ذو قوة، وقيل ذو هيئة حسنة، والأول هو الصحيح في اللغة ﴿فَاسْتَوَى﴾ أي استوى جبريل في

أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴿١١﴾ أَفَتَمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ

الجو إذ رآه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو بجِراء، وقيل معنى استوى ظهر في صورته على ستمائة جناح قد سد الأفق بخلاف ما كان يتمثل به من الصور إذا نزل بالوحي، وكان ينزل في صورة دحية ﴿وَهُوَ بِالْأَفْقِ الْأَعْلَى﴾ الضمير لجبريل وقيل لسيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم والأول أصح ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾ الضميران لجبريل أي دنا من سيدنا محمد ﷺ فتدلى في الهواء وهو عند بعضهم من المقلوب تقديره فتدلى فدنا ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ القاب مقدار المسافة أي كان جبريل من سيدنا محمد عليهما الصلاة والسلام في القُرب بمقدار قوسين عربيتين، ومعناه من طرف العود إلى الطرف الآخر، وقيل من الوتر إلى العود، وقيل ليس القوس التي يرمى بها، وإنما هي ذراع تُقاس بها المقادير ذكره الثعلبي وقال إنه من لغة أهل الحجاز وتقدير الكلام فكان مقدار مسافة جبريل من سيدنا محمد عليهما الصلاة والسلام مثل أي قوسين ثم حذفت هذه المضافات، ومعنى أو أدنى أو أقرب أو هنا مثل قوله أو يزيدون وأشبه التأويلات فيها أنه إذا نظر إليه البشر احتمل عنده أن يكون قاب قوسين أو يكون أدنى، وهذا الذي ذكرنا أن هذه الضمائر المتقدمة لجبريل هو الصحيح، وقد ورد ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الحديث الصحيح، وقيل إنها لله تعالى، وهذا القول يردّ عليه الحديث والعقل إذ يجب تنزيه الله تعالى عن تلك الأوصاف من الدنو والتدلي وغير ذلك ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَى﴾ في هذه الضمائر ثلاثة أقوال: الأول أن المعنى أوحى الله إلى عبده محمد صلى الله عليه وآله وسلم ما أوحى. الثاني أوحى الله إلى عبده جبريل ما أوحى، وعاد الضمير على الله في القولين لأن سياق الكلام يقتضي ذلك وإن لم يتقدم ذكره، فهو كقوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر: ١]. الثالث أوحى جبريل إلى عبد الله محمد ما أوحى، وفي قوله ما أوحى إبهام مُراد يقتضي التفخيم والتعظيم ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ أي ما كذب فؤاد محمد ﷺ ما رآه بعينه بل صدق بقلبه أن الذي رآه بعينه حق والذي رأى هو جبريل يعني حين رآه بمقدار ملاء الأفق، وقيل رأى ملكوت السموات والأرض، والأول أرجح لقوله: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ وقيل الذي رآه هو الله تعالى، وقد أنكرت ذلك عائشة، وسُئِلَ رسول الله ﷺ هل رأيت ربك؟ فقال: «نوراني أراه» ﴿أَفَتَمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَى﴾ هذا خطاب لقريش، والمعنى أتجادلونه على ما يرى، وكانت قريش قد كذبت لما قال إنه رأى ما رأى ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ أي لقد رأى محمد جبريل عليهما الصلاة والسلام مرة أخرى وهو ليلة الإسراء، وقيل ضمير

رَأَاهُ نَزَلَهُ أُخْرَى ﴿١٦﴾ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ﴿١٤﴾ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ
الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ﴿١٨﴾ أَفَرَأَيْتُمْ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمِنَوَةَ الثَّالِثَةَ
الْأُخْرَى ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ الذَّكْرُ وَلَهُ الْأُنثَى ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى ﴿٢٢﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمِيَتْهُمَا آتَمَّ

محمداً رأى ربّه ليلة الإسراء فقد أعظم الفرية على الله تعالى ﴿عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى﴾ هي شجرة في السماء السابعة قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ثمرتها كالقلال وورقها كآذان الفيلة»، وسميت سدرة المنتهى لأن إليها ينتهي علم كل عالم ولا يعلم ما وراءها إلا الله تعالى وقيل سميت بذلك لأن ما نزل من أمر الله يلتقي عندها فلا يتجاوزها ملائكة العلو إلى أسفل، ولا يتجاوزها ملائكة السفّل إلى أعلى ﴿عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾ يعني أن الجنة التي وعدّها الله عباده هي عند سدرة المنتهى، وقيل هي جنة أخرى تأوي إليها أرواح الشهداء والأول أظهر وأشهر ﴿إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى﴾ فيه إبهام لقصد التعظيم، قال ابن مسعود غشيها فراش من ذهب، وقيل كثرة الملائكة، وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «فغشيها ألوان لا أدري ما هي»، وهذا أولى أن تفسر به الآية ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ أي ما زاغ بصر سيدنا محمد ﷺ عما رآه من العجائب بل أثبتتها وتيقنها، وما طغى: أي ما تجاوز ما رأى إلى غيره ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ يعني ما رأى ليلة الإسراء من السموات والجنة والنار والملائكة والأنبياء وغير ذلك. ويحتمل أن تكون الكبرى مفعولاً أو نعتاً لآيات ربّه، والمعنى يختلف على ذلك ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ وَمِنَوَةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى﴾ هذه أوثان كانت تُعبّد من دون الله فخاطب الله من كان يعبدها من العرب على وجه التوبيخ لهم، وقال ابن عطية: الرؤيا هنا رؤية العين لأن الأوثان المذكورة أجرام مرئية، فأما اللات فصنم كان بالطائف، وقيل كان بالكعبة، وأما العزى فكانت صخرة بالطائف، وقيل شجرة فبعث إليها رسول الله ﷺ خالد بن الوليد فقطعها فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها تدعو بالويل فضربها بالسيف حتى قتلها، وقيل كانت بيتاً تعظمه العرب وأصل لفظ العزى مؤنثة الأعز، وأما مناة فصخرة كانت لهذيل وخزاعة بين مكة والمدينة، وكانت أعظم هذه الأوثان، قال ابن عطية: ولذلك قال تعالى: ﴿الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى﴾ فأكدّها بهاتين الصفتين، وقال الزمخشري الأخرى ذمّ وتحقير أي المتأخرة الوضعية القدر، ومنه وقالت أخراهم لأولاهم ﴿أَلَكُمُ الذَّكْرُ وَلَهُ الْأُنثَى﴾ كانوا يقولون إن الملائكة وهذه الأوثان بنات الله، فأنكر الله عليهم ذلك أي كيف تجعلون لأنفسكم الأولاد الذكور، وتجعلون لله البنات التي هي عندكم حقيرة بغيضة، وقد ذكر هذا المعنى في النحل وغيرها، ويحتمل أن يكون أنكر

وَمَا بَأْسَكُمْ مَّا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ
 الْهُدَى ﴿٢٧﴾ أَمْ لِلإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى ﴿٢٨﴾ فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى ﴿٢٩﴾ وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي
 شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى ﴿٣٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ
 الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْإِنثَى ﴿٣١﴾ وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴿٣٢﴾
 فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣٣﴾ ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ
 ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اهْتَدَى ﴿٣٤﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ اسْتَوُوا بِمَا
 عَمَلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴿٣٥﴾ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعٌ

عليهم جعل هذه الأوثان شركاء لله تعالى مع أنهن إناث والإناث حقيرة بغیضة عندهم ﴿تِلْكَ إِذَا قَسَمْتَ ضَيْرِي﴾ أي هذه القسمة التي قسمت مع جائرة غير عادلة يعني جعلهم الذكور لأنفسهم والإناث لله تعالى ووزن ضيرى فعلى بضم الفاء، ولكنها كُسرَت لأجل الياء التي بعدها ﴿إِنَّ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا﴾ الضمير للأوثان، وقد ذكر هذا المعنى في الأعراف في قوله: ﴿أَتَجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءِ﴾ [٧١] ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾ يعني أنهم يقولون أقوالاً بغير حجة كقولهم إن الملائكة بنات الله، وقولهم إن الأصنام تشفع لهم وغير ذلك ﴿أَمْ لِلإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى﴾ أم هنا للإنكار، والإنسان هنا جنس بني آدم: أي ليس لأحد ما يتمنى بل الأمر بيد الله وقيل إن الإشارة إلى ما طمع فيه الكفار من شفاعاة الأصنام وقيل إلى قول العاصمي بن وائل: ﴿لَأُوتِينَ مَالًا وَوَلَدًا﴾ [مريم: ٧٧]، وقيل هو تمني بعضهم أن يكون نبياً، والأحسن حمل اللفظ على إطلاقه ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ﴾ الآية: رد على الكفار في قولهم إن الأوثان تشفع لهم كأنه يقول الملائكة الكرام لا تُغني شفاعتهم شيئاً إلا بإذن الله فكيف أوثانكم ﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾ معناه أن الملائكة لا يشفعون لشخص إلا بعد أن يأذن الله لهم في الشفاعاة فيه ويرضى عنه ﴿لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْإِنثَى﴾ يعني قولهم إن الملائكة بنات الله، ثم رد عليهم بقوله: ﴿وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ﴾ ﴿ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾ أي إلى ذلك انتهى علمهم لأنهم علموا ما ينفع في الدنيا، ولم يعلموا ما ينفع في الآخرة ﴿لِيَجْزِيَ﴾ اللام متعلقة بمعنى ما قبلها، والتقدير أن الله ملك أمر السموات والأرض ليجزي الذين أساءوا بما عملوا. وقيل يتعلق بصلِّ واهتدى ﴿كَبَائِرَ الْإِثْمِ﴾ ذكرنا الكبائر في النساء ﴿إِلَّا اللَّمَمَ﴾ فيه أربعة أقوال: الأول أنه صغائر الذنوب فالاستثناء على هذا منقطع ^{الاستثناء} أنه ^{الاستثناء} إلا اللام بالذنوب على وجه الفتلة والسقطة دون دوام

الْمَغْفِرَةَ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوْا أَنْفُسَكُمْ
هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ أَنْفَقَ ﴿٣٦﴾ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى ﴿٣٧﴾ وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى ﴿٣٨﴾ أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ
بَرِيءٌ ﴿٣٩﴾ أَمْ لَمْ يُبْتَأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ﴿٤٠﴾ أَلَا نَزَرْنَا نِزْرًا وَنَزَرْنَا أُخْرَى ﴿٤١﴾
وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴿٤٢﴾ وَأَنْ سَعِيهِ سَوْفَ يُرَى ﴿٤٣﴾ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوَّلَى ﴿٤٤﴾ وَأَنْ إِلَى
رَبِّكَ الْمُنْتَهَى ﴿٤٥﴾ وَأَنْتُمْ هُوَ أَصْحَابُكُمْ وَأَبْكَى ﴿٤٦﴾ وَأَنْتُمْ هُوَ أَمَاتٌ وَأَحْيَا ﴿٤٧﴾ وَأَنْتُمْ خَلَقَ الرَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ

عليها. الثالث أنه ما ألموا به في الجاهلية من الشرك والمعاصي: الرابع أنه الهم بالذنوب وحديث النفس به دون أن يفعل ﴿أَجِنَّةٌ﴾ جمع جنين ﴿فَلَا تُزَكُّوْا أَنْفُسَكُمْ﴾ أي لا تسبوا أنفسكم إلى الصلاح والخير، قال ابن عطية: ويحتمل أن يكون نهى عن أن يزكي بعض الناس بعضًا وهذا بعيد لأنه تجوز التزكية في الشهادة وغيرها ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى﴾ الآية: نزلت في الوليد بن المغيرة، وقيل نزلت في العاصي بن وائل ﴿وَأَكْدَى﴾ أي قطع العطاء وأمسك ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ قيل وفي طاعة الله في ذبح ولده، وقيل وفي تبليغ الرسالة، وقيل وفي شرائع الإسلام، وقيل وفي الكلمات التي ابتلاه الله بهن، وقيل وفي هذه العشير الآيات ﴿أَلَا نَزَرْنَا نِزْرًا وَنَزَرْنَا أُخْرَى﴾ ذكر فيما تقدم، وهذه الجملة تفسير لما في صحف إبراهيم وموسى عليهما السلام ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ السعي هنا بمعنى العمل، وظاهرها أنه لا ينتفع أحد بعمل غيره، وهي حجة لمالك في قوله لا يصوم أحد عن وليه إذا مات وعليه صيام، واتفق العلماء على أن الأعمال المالية كالصدقة والعتق يجوز أن يفعلها الإنسان عن غيره، ويصل نفعها إلى من فعلت عنه، واختلفوا في الأعمال البدنية كالصلاة والصيام وقيل إن هذه الآية منسوخة بقوله: ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الطور: ٢١] والصحيح أنها محكمة لأنها خبر والأخبار لا تنسخ وفي تأويلها ثلاثة أقوال: الأول أنها إخبار عما كان في شريعة غيرنا فلا يلزم في شريعتنا الثاني أن للإنسان ما عمل بحق وله ما عمل له غيره بهبة العامل له فجاءت الآية في إثبات الحقيقة دون ما زاد عليها الثالث أنها في الذنوب وقد اتفق أنه لا يحتمل أحد ذنب أحد، ويدل على هذا قوله بعدها: ﴿أَلَا نَزَرْنَا نِزْرًا وَنَزَرْنَا أُخْرَى﴾ وكأنه يقول لا يؤاخذ أحد بذنب غيره ولا يؤاخذ إلا بذنب نفسه ﴿وَأَنْ سَعِيهِ سَوْفَ يُرَى﴾ قيل معناه يراه الخلق يوم القيامة، والأظهر أنه صاحبه لقوله: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧] ﴿وَأَنْ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى﴾ فيه قولان أحدهما أن معناه إلى الله المصير في الآخرة، والآخر أن معناها أن العلوم تنتهي إلى الله ثم يقف العلماء عند

وَالْأُنثَى ﴿٤٥﴾ مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى ﴿٤٦﴾ وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشَاءَ الْأُخْرَى ﴿٤٧﴾ وَأَنَّهُ هُوَ أَعْنَى وَأَقْنَى ﴿٤٨﴾ وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ
الشِّعْرَى ﴿٤٩﴾ وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى ﴿٥٠﴾ وَتَمُودًا فَمَا أَبْقَى ﴿٥١﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ
وَأَطْفَى ﴿٥٢﴾ وَالْمُؤَنَّفِكَ أَهْوَى ﴿٥٣﴾ فَفَسَّنَهَا مَا عَشَى ﴿٥٤﴾ فَيَأْتِي آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى ﴿٥٥﴾ هَذَا نَذِيرٌ مِّنْ

ذلك، وزوي أن رسول الله ﷺ قال: «لا فكرة في الرب» ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾ قيل
معناه أضحك أهل الجنة، وأبكى أهل النار، وهذا تخصيص لا دليل عليه وقيل أبكى السماء
بالمطر وأضحك الأرض بالنبات، وهذا مجاز وقيل خلق في بني آدم الضحك والبكاء
والصحيح أنه عبارة عن الفرح والحزن لأن الضحك دليل على السرور والفرح كما أن البكاء
دليل على الحزن فالمعنى أن الله تعالى أحزن من شاء من عباده، وأسر من شاء ﴿وَأَمَاتَ
وَأَحْيَا﴾ يعني الحياة المعروفة والموت المعروف وقيل أحيا بالإيمان وأمات بالكفر والأول
أرجح، لأنه حقيقة ﴿مِنْ نُطْفَةٍ﴾ يعني المنى ﴿إِذَا تُمْنَى﴾ من قولك أمنى الرجل إذا خرج منه
المنى ﴿النَّشَاءَ الْأُخْرَى﴾ يعني الإعادة للحشر وتُمْنَى يعني أكسب عباده المال، وهو من قنية
المال وهو كسبه وادخاره وقيل معنى ألقى أفقر وهذا لا تقتضيه اللغة، وقيل معناه أرضى
وقيل قنع عبده ﴿الشِّعْرَى﴾ نجم في السماء وتسمى كلب الجبار وهما شعريان وهما
الغميصاء والعبور وخصها بالذكر دون سائر النجوم لأن بعض العرب كان يعبدها ﴿عَادًا
الْأُولَى﴾ وصفها بالأولى لأنها كانت في قديم الزمان، فهي الأولى بالإضافة إلى الأمم
المتأخرة، وقيل إنما سُميت أولى لأن ثم عادًا أخرى متأخرة وهذا لا يصح وقرأ نافع عادًا
الأولى بإدغام تنوين عاد في لام الأولى بحذف الهمزة ونقل حركتها إلى اللام وضغف
المزني والمبرد هذه القراءة وهمز قالون الأولى دون ورش وقرأ الباقون على الأصل بكسر
تنوين عادًا وإسكان لام الأولى ﴿وَتَمُودًا فَمَا أَبْقَى﴾ أي ما أبقى منهم أحدًا وقيل ما أبقى
عليهم ﴿وَالْمُؤَنَّفِكَ أَهْوَى فَفَسَّنَاهَا مَا عَشَى﴾ هي مدينة قوم لوط، ومعنى أهوى طرحها من
علو إلى أسفل وفي قوله ما عشى تعظيم للأمر ﴿فَيَأْتِي آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى﴾ هذا مخاطبة
للإنسان على الإطلاق معناه بأي نعم ربك تشك ﴿هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النَّذِيرِ الْأُولَى﴾ يعني القرآن
أو النبي ﷺ، ومعنى من النذر الأولى من نوعها وصفتها ﴿أَرْزَقْتِ الْآرِزْقَةَ﴾ أي قربت القيامة
﴿كَاشِفَةً﴾ يحتمل لفظه ثلاثة أوجه: أن يكون مصدرًا كالعافية أي ليس لها كشف وأن يكون
بمعنى كاشف والتاء للمبالغة كعلامة وأن يكون صفة لمحدوف تقديره نفس كاشفة أو جماعة
كاشفة ويحتمل معناه وجهين: أحدهما أن يكون من الكشف بمعنى الإزالة أي ليس لها من
يُزيلها إذا وقعت والآخر أن يكون من الإزالة أي ليس لها من

الَّذُرِّ الْأُولَى ﴿٥٦﴾ أَرَفَتِ الْأَرِفَةَ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ أَفَنَ هَذَا الْحَدِيثُ تَعَجَّبُونَ ﴿٥٩﴾
 وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنْتُمْ سَمِيدُونَ ﴿٦١﴾ فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَعَبُدُوهُ ﴿٦٢﴾

هَذَا الْحَدِيثُ تَعَجَّبُونَ ﴿٥٩﴾ الإِشَارَةُ إِلَى الْقُرْآنِ وَتَعْجِبُهُمْ مِنْهُ إِنْكَارُهُ ﴿٥٩﴾ وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ ﴿٦٠﴾ أَيِ
 لَاعِبُونَ لَاهُونَ، وَقِيلَ غَافِلُونَ مَفْرُطُونَ ﴿٦٠﴾ فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَعَبُدُوهُ ﴿٦١﴾ هَذَا مَوْضِعُ سَجْدَةِ عِنْدَ
 الشَّافِعِيِّ وَغَيْرِهِ، وَقَدْ قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ قَرَأَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَسَجَدَ
 وَسَجَدَ كُلُّ مَنْ كَانَ مَعَهُ.

هَذَا الْحَدِيثُ تَعَجَّبُونَ ﴿٥٩﴾ الإِشَارَةُ إِلَى الْقُرْآنِ وَتَعْجِبُهُمْ مِنْهُ إِنْكَارُهُ ﴿٥٩﴾ وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ ﴿٦٠﴾ أَيِ لَاعِبُونَ لَاهُونَ، وَقِيلَ غَافِلُونَ مَفْرُطُونَ ﴿٦٠﴾ فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَعَبُدُوهُ ﴿٦١﴾ هَذَا مَوْضِعُ سَجْدَةِ عِنْدَ الشَّافِعِيِّ وَغَيْرِهِ، وَقَدْ قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ قَرَأَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَسَجَدَ وَسَجَدَ كُلُّ مَنْ كَانَ مَعَهُ.
 وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنْتُمْ سَمِيدُونَ ﴿٦١﴾ فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَعَبُدُوهُ ﴿٦٢﴾

سورة القمر

مكية إلا الآيات ٤٤ و ٤٥
و ٤٦ فمدنية وآياتها ٥٥ نزلت بعد الطارق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾ وَكَذَّبُوا
وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقَرٌّ ﴿٣﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُرْدَجَرٌ ﴿٤﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ﴾ أي قربت القيامة، ومعنى قربها أنها بقي لها من الزمان قليل بالنسبة إلى ما مضى ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ» وأشار بالسبابة والوسطى ﴿وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ هذا إخبار بما جرى في زمان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وذلك أن قريشاً سألنه آية فأراههم انشقاق القمر فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «اشهدوا»، وقال ابن مسعود انشق القمر فرأيته فرقتين فرقة وراء الجبل وأخرى دونه، وقيل معنى انشق القمر أنه ينشق يوم القيامة، وهذا قول باطل تردّه الأحاديث الصحيحة الواردة بانشقاق القمر، وقد اتفقت الأمة على وقوع ذلك وعلى تفسير الآية بذلك إلا من لا يعتبر قوله: ﴿وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ هذه الضمائر لقريش والآية المُشار إليها انشقاق القمر وعند ذلك قالت قريش سحر محمد القمر ومعنى مستمر دائم وقيل معناه ذاهب

حِكْمَةً بَلِّغَهُ فَمَا تَعِنِ النَّذْرُ ﴿٥﴾ فَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكْرٍ ﴿٦﴾ خُشَعًا
 أَبْصَرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾ مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكٰفِرُونَ هَذَا يَوْمٌ
 عَسِرٌ ﴿٨﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدَجَرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ
 فَأَنْصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ
 قُدِّرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ الْأَوْجِ وَدُسِّرِ ﴿١٣﴾ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفْرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ

القوة ﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقَرٌّ﴾ أي كل شيء لا بد له من غاية فالحق يحق والباطل يبطل ﴿وَلَقَدْ
 جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾ الأنبياء هنا يراد بها ما ورد في القرآن من القصص
 والبراهين والمواعظ ومزدجر اسم مصدر بمعنى الازدجار أو اسم موضع بمعنى أنه مظنة أن
 يزدجر به ﴿حِكْمَةً بِالْعَقَّةِ﴾ بدل من ما فيه أو خبر ابتداء مضمرة ﴿فَمَا تُغْنِ النَّذْرُ﴾ يحتمل أن
 تكون ما نافية أو استفهامية لمعنى الاستبعاد والإنكار ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ أي أعرض عنهم
 لعلمك أن الإنذار لا ينفعهم ﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكْرٍ﴾ العامل في يوم مضمرة تقديره
 اذكر أو قوله يخرجون بعد ذلك وليس العامل فيه تول عنهم لفساد المعنى فقد تم الكلام في
 قوله تول عنهم فيوقف عليه وقيل المعنى تول عنهم أي يوم يدع الداع والأول أظهر وأشهر
 والداعي جبريل أو إسرافيل إذ ينفخ في الصور والشيء النكر الشديد الفظيع وأصله من
 الإنكار أي هو منكور لأنه لم ير قط مثله والمراد به يوم القيامة ﴿خُشَعًا أَبْصَارُهُمْ﴾ كناية عن
 الذلة وانتصب خُشَعًا على الحال من الضمير في يخرجون ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾ أي
 من القبور ﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾ شبههم بالجراد في خروجهم من الأرض فكانه استدلال
 على البعث كالاستدلال بخروج النبات وقيل إنما شبههم بالجراد في كثرتهم وأن بعضهم
 يموج في بعض ﴿مُهْطِعِينَ﴾ أي مسرعين وقيل ناظرين إلى الداع ﴿فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا﴾ يعني نوح
 عليه السلام ووصفه هنا بالعبودية تشريفًا له واختصاصًا ﴿وَازْدَجَرَ﴾ أي زجره بالشتم
 والتخويف وقالوا له لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ
 فَأَنْصِرْ﴾ أي قد غلبني الكفار فانتصر لي وانتصر لنفسك، وقالت المتصوفة معناه قد غلبتني
 نفسي حين دعوت على قومي فانتصر متي وهذا بعيد ضعيف ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ
 مُّنْهَمِرٍ﴾ عبارة عن كثرة المطر فكانه يخرج من أبواب، وقيل فتحت في السماء أبواب يومئذ
 حقيقة والمنهمر الكثير ﴿فَالْتَقَى الْمَاءُ﴾ ماء السماء وماء الأرض ﴿عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِّرَ﴾ أي قد
 قضى في الأزل ويحتمل أن يكون المعنى أنه قدر بمقدار معلوم، ورؤي في ذلك أنه علا
 فوق الأرض أربعين ذراعًا ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ الْأَوْجِ وَدُسِّرِ﴾ يعني السفينة والدر هي

مِنْ مُذَكِّرٍ ﴿١٥﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُذَكِّرٍ ﴿١٧﴾ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ ﴿١٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُذَكِّرٍ ﴿٢٢﴾ كَذَّبَتْ

المسامير واحدها دسار، وقيل هي مقادم السفينة، وقيل أضلاعها والأول أشهر ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ عبارة عن حفظ الله ورعيه لها ﴿جَزَاءَ لِمَنْ كَانَ كُفْرًا﴾ أي جزاء لنوح: وقيل جزاء الله تعالى والأول أظهر وانتصب جزاء على أنه مفعول من أجله والعامل فيه ما تقدم من فتح أبواب السماء وما بعده من الأفعال أي جعلنا ذلك كله جزاء لنوح ويحتمل أن يكون قوله كفر من الكفر بالدين والتقدير لمن كفر به فحذف الضمير أو يكون من الكفر بالنعمة لأن نوحًا عليه السلام نعمة من الله كفرها قومه فلا يحتاج على هذا إلى الضمير المحذوف ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَا آيَةً﴾ الضمير للقصة المذكورة أو الفعلة أو السفينة وروي في هذا المعنى أنها بقيت على الجودي حتى نظر إليها أوائل هذه الأمة ﴿فَهَلْ مِنْ مُذَكِّرٍ﴾ تحضيض على الاذكار فيه ملاطفة جميلة من الله لعباده ووزن مذكر مفتعل وأصله مدتكر ثم أبدل من التاء دالاً وأدغمت فيها الدال ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ﴾ توقيف فيه تهديد لقريش والنذر جمع نذير ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ﴾ أي يسرناه للحفظ وهذا معلوم بالمشاهدة فإنه يحفظه الأطفال الأصغر وغيرهم حفظًا بالغًا بخلاف غيره من الكتب وقد روي أنه لم يحفظ شيء من كتب الله عن ظهر قلب إلا القرآن وقيل معنى الآية سهلناه للفهم والاتعاط به لما تضمن من البراهين والحكم البليغة وإنما كرر هذه الآية البليغة وقوله فدوقوا عذابي ونذر لينبه السامع عند كل قصة فيعتبر بها إذ كل قصة من القصص التي ذكرت عبرة وموعظة فختم كل واحدة بما يوقظ السامع من الوعيد في قوله فكيف كان عذاب ونذر ومن الملاطفة في قوله ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ﴿رِيحًا صَرْصَرًا﴾ أي مصوِّتة فهو من الصرير بمعنى الصوت وقيل معناه باردة فهو من الصرّ ﴿يَوْمَ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ﴾ روي أنه كان يوم أربعاء حتى رأى بعضهم أن كل يوم أربعاء نحس وروي أن رسول الله ﷺ قال آخر أربعاء من الشهر يوم نحس مستمر ﴿تَنْزِعُ النَّاسَ﴾ أي تقلعهم من مواضعهم ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ﴾ أعجاز النخل هي أصولها والمنقعر المنقطع فشبّه الله عاذاً لما هلكوا بذلك لأنهم طوال عظام الأجساد كالنخل وقيل كانت الريح تقطع رؤوسهم فتبقى الأجساد بلا رؤوس فشبّههم بأعجاز النخل لأنها دون أغصان وقيل كانوا حفروا حفراً يمتنعون بها من الريح فهلكوا فيها فشبّههم بأعجاز النخل

ثُمُودٌ بِالنَّذْرِ ﴿٢٢﴾ فَقَالُوا أَشْرًا مِمَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذَا لَبِئْنَا صَبَلًا وَسُعْرٍ ﴿٢٣﴾ أَلْقَيْنَا الذِّكْرَ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا
بَلْ هُوَ كَذَابٌ أَشْرٌ ﴿٢٤﴾ سَيَعْمُونَ عَدَا مِنْ الْكَذَابِ الْأَشْرِ ﴿٢٥﴾ إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةَ فَنِنَّةً لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ
وَأَصْطِرْ ﴿٢٦﴾ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ ﴿٢٧﴾ فَادْرَأْ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ ﴿٢٨﴾ فَكَيْفَ
كَانَ عَذَابِي وَنَذْرِي ﴿٢٩﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُخْتَطِرِ ﴿٣٠﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ
لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٣١﴾ كَذَبْتَ قَوْمٌ لَوْطٌ بِالنَّذْرِ ﴿٣٢﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا عَالِ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ
بِسِحْرِ ﴿٣٣﴾ نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ ﴿٣٤﴾ وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنَّذْرِ ﴿٣٥﴾
وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ صَيْفِيهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنَذْرِي ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ صَبَحَهم بِكَرَّةٍ عَذَابٌ
مُتَسَوِّرٌ ﴿٣٧﴾ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنَذْرِي ﴿٣٨﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ جَاءَ عَالِ فِرْعَوْنَ
النَّذْرُ ﴿٤٠﴾ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَآخَذْنَاهُمْ أَخَذَ عَزِيزٌ مُقْتَدِرٌ ﴿٤١﴾ أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكَ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ
مضمرة والمعنى أنهم أنكروا أن يتبعوا بشرًا وطلبوا أن يكون الرسول من الملائكة ثم زادوا
أن أنكروا أن يتبعوا واحدًا وهم جماعة كثيرون ﴿وسُعْرٍ﴾ أي عناد، وقيل معناه جنون،
وقيل معناه هم وغم وأصله من السعير بمعنى النار وكأنه احتراق النفس بالهم ﴿أَلْقَيْنَا الذِّكْرَ
عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا﴾ أنكروا أن يخصه الله بالنبوة دونهم، وذلك جهل منهم، فإن الفضل بيد الله
يؤتاه من يشاء ﴿أَشْرٌ﴾ بطر متكبر ﴿وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ﴾ أي لهم يوم وللناقة يوم
من غير أن يتعدوا على الناقة فالضمير في نبيهم يعود على ثمود وعلى الناقة تغليبا للعقلام،
وقيل إن الضمير لثمود، والمعنى لا يتعدى بعضهم على بعض ﴿كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ﴾ أي
مشهود ﴿فَتَادَرَأُوا صَاحِبَهُمْ﴾ يعني عاقر الناقة واسمه قدار وهو أحيمر ثمود وأشقأها
﴿فَتَعَاطَى﴾ أي اجترأ على أمر عظيم، وهو عقر الناقة وقيل تعاطى السيف ﴿صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾
صاح بها جبريل صيحة فماتوا منها ﴿فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُخْتَطِرِ﴾ الهشيم هو ما تكسر وفتت
من الشجر وغيرها والمحتظر الذي يعمل الحظيرة وهي حائط من الأغصان أو القصب ونحو
ذلك، أو يكون تحليقا للمواشي أو السكنى فشبّه الله ثمود لما هلكوا بما يفتت من الحظيرة
من الأوراق وغيرها، وقيل المحتظر المحترق ﴿حَاصِبًا﴾ ذكر في العنكبوت ﴿فَتَمَارَوْا
بِالنَّذْرِ﴾ تشكروا ﴿وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ صَيْفِيهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ﴾ الضيف هنا هم الملائكة الذين
أرسلهم الله إلى لوط ليهلكوا قومه وكان قومه قد ظنوا أنهم من بني آدم وأرادوا منهم
الفاحشة فطمس الله على أعينهم فاستوت مع وجوههم، وقيل إن الطمس عبارة عن عدم
رؤيتهم لهم وأنهم دخلوا منزل لوط فلم يروا فيه أحدا ﴿أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكَ﴾ هذا

فِي الزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ سَيَهْرَمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ
وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا
مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ
أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّيرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ
مُّسْتَطَرٌّ ﴿٥٣﴾ إِنَّ اللَّيْقِينَ فِي جَنَّتٍ وَنَهْرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقَدِّرٍ ﴿٥٥﴾

خطاب لقريش على وجه التهديد والهمزة للإنكار ومعناه: هل الكفار منكم خير عند الله من الكفار المتقدمين المذكورين بحيث أهلكناهم لما كذبوا الرسل وتنجون أنتم وقد كذبتهم رسلكم، بل الذي أهلكهم يهلككم ﴿أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ﴾ معناه أم لكم في كتاب الله براءة من العذاب ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ﴾ أي نحن نجتمع ونتصّر لأنفسنا بالقتال ﴿سَيَهْرَمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدُّبُرَ﴾ هذا وعد من الله لرسوله بأنه سيهزم جمع قريش وقد ظهر ذلك يوم بدر وفتح مكة ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ﴾ المراد بالمجرمين هنا الكفار وضلالهم في الدنيا، والسعر لهم في الآخرة وهو الاحتراق، وقيل أراد بالمجرمين القدرية لقوله في الردّ عليهم إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ والأول أظهر ﴿يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ﴾ أي يُجْرَوْنَ فيها ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ المعنى أن الله خلق كل شيء بقدر أي بقضاء معلوم سابق في الأزل ويحتمل أن يكون معنى بقدر بمقدار في هيئته وصفته وغير ذلك والأول أرجح وفيه حجة لأهل السنة على القدرية وانتصب كل شيء بفعل مضمّر يفسره خلقناه ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ عبارة عن سرعة التكوين ونفوذ أمر الله والواحدة يراد بها الكلمة وهي قوله: كُنْ ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ﴾ يعني أشياعكم من الكفار ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ﴾ أي كل ما فعلوه مكتوب في صحائف الأعمال ﴿مُسْتَطَرٌّ﴾ أي مكتوب وهو من السطر تقول سَطَرْتُ واستطرت بمعنى واحد والمراد الصغير والكبير من أعمالهم وقيل جميع الأشياء ﴿وَنَهْرٍ﴾ يعني أنهار الماء والخمر واللبن والعسل واكتفى باسم الجنس ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾ أي في مكان مرضي .

سورة الرحمن

مدنية وآياتها ٧٨ نزلت بعد الرعد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّحْمَنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿٢﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴿٤﴾ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴿٥﴾ بِحُسْبَانٍ ﴿٦﴾ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْا فِي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ هذا تعديد نعمة على من علمه الله القرآن وقيل معني علم القرآن جعله علامة وآية لسيدنا محمد ﷺ والأول أظهر وارتفع الرحمن بالابتداء والأفعال التي بعده أخبار متوالية ويدل على ذلك مجيئها بدون حرف عطف ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ قيل جنس الناس وقيل يعني آدم وقيل يعني سيدنا محمد ﷺ ولا دليل على التخصيص والأول أرجح ﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ يعني النطق والكلام ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ أي يجريان في الفلك بحسبان معلوم وترتيب مقدر وفي ذلك دليل على الصانع الحكيم المرید القدير ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ النجم عند ابن عباس النبات الذي لا ساق له كالبقول، والشجر النبات الذي له ساق وقيل النجم جنس نجوم السماء، والسجود عبارة عن التذلل والانقياد لله تعالى وقيل سجود الشمس غروبها وسجود الشجر ظلّه ﴿وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ يعني الميزان المعروف الذي يوزن به الطعام وغيره وكرّر ذكره اهتماماً به وقيل أراد العدل ﴿وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾

الْمِيزَانَ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴿٩﴾ وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴿١٠﴾
 فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ﴿١١﴾ وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ ﴿١٢﴾ فَبِأَيِّ آيَاءِ رَبِّكُمَا
 تُكذِّبَانِ ﴿١٣﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ كَالْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِّنْ
 نَّارٍ ﴿١٥﴾ فَبِأَيِّ آيَاءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ ﴿١٦﴾ رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾ فَبِأَيِّ آيَاءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ ﴿١٨﴾
 مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزُخٌ لَا يُبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ آيَاءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ

أي لا تنقصوا إذا وزنتم ﴿لِلْأَنَامِ﴾ أي للناس وقيل للإنس والجن وقيل الحيوان كله ﴿الْأَكْمَامِ﴾
 يحتمل أن يكون جمع كم بالضم وهو ما يغطي ويلف النخل من الليف وبه شبه كم القميص
 أو يكون جمع كم بكسر الكاف وهو غلاف الثمرة ﴿الْعَصْفِ﴾ ورق الزرع وقيل التين
 ﴿وَالرَّيْحَانُ﴾ قيل هو الريحان المعروف وقيل كل مشوم طيب الريح من النبات وقيل هو
 الرزق ﴿فَبِأَيِّ آيَاءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ﴾ الآء هي الثعم واحدها إلى على وزن معى وقيل إلى
 على وزن قضى وقيل إلى على وزن أمد أو على وزن حصر والخطاب للثقلين الإنس والجن
 بدليل قوله سنفرغ لكم أيها الثقلان زوي أن هذه الآية لما قرأها رسول الله ﷺ سكت
 أصحابه فقال جواب الجن خير من سكوتكم إني لما قرأتها على الجن قالوا لا نكذب بشيء
 من آء ربنا وكرر هذه الآية تأكيداً ومبالغة وقيل إن كل موضع منها يرجع إلى معنى الآية
 التي قبله فليس بتأكيد لأن التأكيد لا يزيد على ثلاث مرات ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ
 كَالْفَخَّارِ﴾ الإنسان هو آدم والصلصال الطين اليابس فإذا طبخ فهو فخار ﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ
 مَّارِجٍ مِّنْ نَّارٍ﴾ الجن يعني إبليس والد الجن والمارج اللهب المضطرب من النار
 ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾ يريد مشرق الشمس والقمر ومغرب الشمس والقمر وقيل
 مشرقى الصيف والشتاء ومغربيهما ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾ ذكر في الفرقان، أي يلتقي ماء
 هذا وماء هذا وذلك إذا نزل المطر في البحر على القول بأن البحر العذب هو المطر، وأما
 على القول بأن البحر العذب هو الأنهار والعيون، فالتقاؤهما بانصباب الأنهار في البحر،
 وأما على قول من قال إن البحرين بحر فارس وبحر الروم، أو بحر القلزم واليمن فضعيف
 لقوله في الفرقان: ﴿هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مَلْحٌ أجاج﴾ [٥٣] وكل واحد من هذه أجاج،
 والمراد بالبحرين في هذه السورة ما أراد في الفرقان ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزُخٌ﴾ أي حاجز يعني جرم
 الأرض، أو حاجز من قدرة الله ﴿لَا يُبْغِيَانِ﴾ أي لا يبغى أحدهما على الآخر بالاختلاط،
 وقيل لا يبغيان على الناس بالفيض ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾ اللؤلؤ كبار الجواهر
 والمرجان صغاره، وقال

وَالْمَرَجَاتُ ﴿٦٦﴾ فَإِنَّ آيَةَ رَبِّكُمَا تُكَذَّبَانِ ﴿٦٧﴾ وَكَذَلِكَ الْمُنشآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴿٦٨﴾ فَإِنَّ آيَةَ رَبِّكُمَا تُكَذَّبَانِ ﴿٦٩﴾ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٧٠﴾ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٧١﴾ فَإِنَّ آيَةَ رَبِّكُمَا تُكَذَّبَانِ ﴿٧٢﴾ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهُ الثَّقَلَانِ ﴿٧٣﴾ فَإِنَّ آيَةَ رَبِّكُمَا تُكَذَّبَانِ ﴿٧٤﴾ يَمَعَشِرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنَّهُ اسْتِغْتَمْتُمْ أَنْ تَفْقَهُوا وَنْ

الصواب، وأما قوله منهما ولا يخرج إلا من أحدهما، فقد تكلمنا عليه في قاطر ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾ يعني السفن وسماها مشبات لأن الناس ينشونها، وقرىء بكسر الشين بمعنى أنها تنشئ السير أو تنشئ الموج، والأعلام الجبال شبه السفن بها ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ الضمير في عليها للأرض يدل على ذلك سياق الكلام وإن لم يتقدم لها ذكر ويعني بمن عليها بني آدم وغيرهم من الحيوان، ولكنه غلب العقلاء ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ الوجه هنا عبارة عن الذات، وذو الجلال صفة للذات لأن من أسمائه تعالى الجليل ومعناه يقرب من معنى العظيم، وأما وصفه بالإكرام فيحتمل أن يكون بمعنى أنه يكرم عباده كما قال: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ أو بمعنى أن عباده يكرمونه بتوحيده وتسبيحه وعبادته ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ المعنى أن كل من في السموات والأرض يسأل حاجته من الله، فمنهم من يسأله بلسان المقال، وهم المؤمنون ومنهم من يسأله بلسان الحال لافتقار الجميع إليه ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ المعنى أنه تعالى يتصرف في ملكوته تصرفاً يظهر في كل يوم من العطاء والمنع، والإماتة والإحياء وغير ذلك ورؤي أن رسول الله ﷺ قرأها فقليل له وما ذلك الشأن؟ قال: «من شأنه أن يغفر ذنباً ويفرج كرباً ويرفع قوماً ويضع آخرين» وسئل بعضهم كيف قال كل يوم هو في شأن والقلم قد جف بما هو كائن إلى يوم القيامة، فقال هو في شأن بيديه لا في شأن يبتديه ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهُ الثَّقَلَانِ﴾ معناه الوعيد كقولك لمن تهذه سأفرغ لعقوبتك وليس المراد التفريغ من شغل ويحتمل أن يريد انتهاء مدة الدنيا، وإنه حينئذ ينقضي شأنها فلا يبقى إلا شأن الآخرة فغير عن ذلك بالتفريغ قال جعفر بن محمد سمي الإنس والجن ثقلين كأنهما ثقلاً بالذنوب ﴿إِنْ اسْتِغْتَمْتُمْ أَنْ تَفْقَهُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا﴾ هذا كلام يقال للجن والإنس يوم القيامة أي إن قدرتم على الهروب والخروج من أقطار السموات والأرض فافعلوا، ورؤي أنهم يفترون يومئذ لما يرون من أهوال القيامة فيجدون سبعة صفوف من الملائكة، قد أحاطت بالأرض فيرجعون وقيل بل خوطبوا بذلك في الدنيا والمعنى إن استطعتم الخروج عن قهر الله وقضائه عليكم فافعلوا وقوله فانفذوا أمر يراد به التعجيز ﴿لَا تَفْقَهُوا إِلَّا

أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ ﴿٣٣﴾ فَيَأْتِيءَ آءِ الْآلَاءِ رَبِّكُمْ تَكْذِبَانِ ﴿٣٤﴾ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوْاظٌ مِّنْ نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْصِرَانِ ﴿٣٥﴾ فَيَأْتِيءَ آءِ الْآلَاءِ رَبِّكُمْ تَكْذِبَانِ ﴿٣٦﴾ فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴿٣٧﴾ فَيَأْتِيءَ آءِ الْآلَاءِ رَبِّكُمْ تَكْذِبَانِ ﴿٣٨﴾ فَيَوْمِئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ ﴿٣٩﴾ فَيَأْتِيءَ آءِ الْآلَاءِ رَبِّكُمْ تَكْذِبَانِ ﴿٤٠﴾ يَعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِمَتِهِمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾ فَيَأْتِيءَ آءِ الْآلَاءِ رَبِّكُمْ تَكْذِبَانِ ﴿٤٢﴾ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿٤٤﴾ فَيَأْتِيءَ آءِ الْآلَاءِ رَبِّكُمْ تَكْذِبَانِ ﴿٤٥﴾ وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ﴿٤٦﴾ فَيَأْتِيءَ آءِ الْآلَاءِ رَبِّكُمْ تَكْذِبَانِ ﴿٤٧﴾

يَسْلُطَانٍ ﴿٣٣﴾ أي لا تقدرُونَ على النفوذ إلا بقوة وليس لكم قوة ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوْاظٌ مِّنْ نَّارٍ وَنُحَاسٌ﴾ الشواظ لهيب النار والنحاس الدخان وقيل هو الصفر يذاب ويصب على رؤوسهم وقرىء شواظ بضم الشين وكسرهما وهما لغتان وقرىء نحاس بالرفع عطف على شواظ وبالخفض عطف على نار ﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ﴾ جواب إذا قوله فيومئذ وقال ابن عطية جوابها محذوف ﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ معنى وردة حمراء كالوردة، وقيل هو من الغرس الورد، قال قتادة السماء اليوم خضراء ويوم القيامة حمراء، والدهان جمع دهن كالزيت وشبهه شبه السماء يوم القيامة به لأنها تُذاب من شدة الهول، وقيل يشبه لمعانها بلمعان الدهن، وقيل إن الدهان هو الجلد الأحمر ﴿فَيَوْمِئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾ السؤال المنفي هنا هو على وجه الاستخبار وطلب المغفرة إذ لا يحتاج إلى ذلك لأن المجرمين يعرفون بسماهم ولأن أعمالهم معلومة عند الله مكتوبة في صحائفهم، وأما السؤال الثابت في قوله: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر: ٩٢] وغيره، فهو سؤال على وجه الحساب والتوبيخ فلا تعارض بين المنفي والمثبت وقيل: إن ذلك باختلاف المواطن والأول أحسن ﴿يَعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِمَاتِهِمْ﴾ يعني بعلامتهم وهي سواد الوجوه وغير ذلك، والمجرمون هنا الكفار بدليل قوله هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون ﴿فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ﴾ قيل معناه: يؤخذ بعض الكفار بناصيته وبعضهم بقدميه، وقيل بل يؤخذ كل واحد بناصيته وقدميه فيطوى ويطرح في النار ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ﴾ الحميم الماء الساخن والآن الشديد الحرارة، وقيل الحاضر من قولك آن الشيء إذا حضر والأول أظهر ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ مقام ربه القيام بين يديه للحساب ومنه يوم يقوم الناس لرب العالمين، وقيل قيام الله بأعماله، ومنه أؤمن هو قائم على كل نفس بما كسبت، وقيل معناه لمن خاف ربه ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهَتِهِمْ كَانُوا عُتُقًا﴾

ذَوَاتَا أَفْتَانٍ ﴿٤٨﴾ فَإِذَا رَكِبَا تَرِكَا تَكْذِبَانَ ﴿٤٩﴾ فِيهَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَإِذَا رَكِبَا تَرِكَا تَكْذِبَانَ ﴿٥١﴾ فِيهَا
 مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَإِذَا رَكِبَا تَرِكَا تَكْذِبَانَ ﴿٥٣﴾ مُكْهَيْنَ عَلَى فُرُشٍ بَطَّائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى
 الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَإِذَا رَكِبَا تَكْذِبَانَ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِئِنَّ أَنْسَ قَبْلَهُمْ وَلَا
 جَانٌّ ﴿٥٦﴾ فَإِذَا رَكِبَا تَكْذِبَانَ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَإِذَا رَكِبَا تَكْذِبَانَ ﴿٥٩﴾
 هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴿٦٠﴾ فَإِذَا رَكِبَا تَكْذِبَانَ ﴿٦١﴾ وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾

لكل خائف على انفراده، أو للصنف الخائف وذلك مبني على قوله لمن خاف مقام ربه هل يراد به واحد أو جماعة، وقال الزمخشري: إنما قال جنتان لأنه خاطب الثقلين فكأنه قال جنة للإنس وجنة للجن، ﴿ذَوَاتَا أَفْتَانٍ﴾ ثنى ذات هنا على الأصل لأن أصله ذوات، قاله ابن عطية، والأفنان جمع فنن وهو الغصن أو جمع فن وهو الصنف من الفواكه وغيرها ﴿مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانٍ﴾ أي نوعان ﴿وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ الجنا هو ما يُجْتَنَى من الثمار ودان قريب، ورؤي أن الإنسان يجتني الفاكهة في الجنة على أي حال كان من قيام أو قعود أو اضطجاع لأنها تتدلى له إذا أرادها وفي قوله جنا الجنتين ضرب من ضرب التجميس ﴿قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ﴾ ذكر في الصافات ﴿لَمْ يَطْمِئِنَّ أَنْسَ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾، المعنى أنهم أبكار، ولم يطمئنه معناه لم يفتضه. وقيل الطمئ الجماع سواء كان لبكر أو غيرها، ونفى أن يطمئنه إنس أو جان، مبالغة وقصدًا للعموم فكأنه قال لم يطمئنه شيء، وقيل أراد لم يطمئ نساء الإنس إنس ولم يطمئ نساء الجن جن، وهذا القول بأن الجن يدخلون الجنة ويثلذذون فيها بما يثلذذ البشر ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾ شبه النساء بالياقوت والمرجان في الحمرة والجمال، وقد ذكرنا المرجان في أول السورة، ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ المعنى أن جزاء من أحسن بطاعة الله أن يُحْسِنَ الله إليه بالجنة، ويحتمل أن يكون الإحسان هنا هو الذي سأل عنه جبريل رسول الله ﷺ فقال له: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك، وذلك هو مقام المراقبة والمشاهدة فجعل جزاء ذلك الإحسان بهاتين الجنتين ويقوي هذا أنه جعل هاتين الجنتين الموصوفتين هنا لأهل المقام العلي، وجعل جنتين دونها لمن كان دون ذلك، فالجنتان المذكورتان أولاً للسابقين، والجنتان المذكورتين ثانيًا بعد ذلك لأصحاب اليمين حسبما ورد في الواقعة، وانظر كيف جعل أوصاف هاتين الجنتين، أعلى من أوصاف الجنتين اللتين بعدهما فقال هنا عينان تجريان وقال في الآخريتين عينان نضاختان، والجري أشد من النضخ وقال هنالك من كل فاكهة زوجان، وقال هنا فاكهة ونخل ورمان، وكذلك صفة الحور هنا أبلغ من صفتها هنالك

فِي أَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾ مُدْهَامَتَانِ ﴿١٤﴾ فِي أَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٥﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ
 نَضَّاحَتَانِ ﴿١٦﴾ فِي أَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٧﴾ فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿١٨﴾ فِي أَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا
 تُكَذِّبَانِ ﴿١٩﴾ فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ ﴿٢٠﴾ فِي أَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴿٢٢﴾
 فِي أَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾ لَمْ يَطْمِئِنَّ أَنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌ ﴿٢٤﴾ فِي أَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٥﴾
 مُتَّكِبِينَ عَلَى رُفُوفٍ خُضْرٍ وَعَبَقَرِي حِسَانٍ ﴿٢٦﴾ فِي أَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٧﴾ بَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ
 وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٨﴾

وكذلك صفة البسط ويفسر ذلك قول رسول الله ﷺ جنتان من ذهب آتيتهما وكل ما فيهما
 وجنتان من فضة آتيتهما وكل ما فيهما ﴿مُدْهَامَتَانِ﴾ أي تضربان إلى السواد من شدة الخضرة
 ﴿عَيْنَانِ نَضَّاحَتَانِ﴾ أي تفوران بالماء والنضح بالخاء المعجمة أشد من النضح بالحاء المهملة
 ﴿فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ خصّ النخل والرمان بالذكر بعد دخولهما في الفاكهة تشريفاً لهما
 وبياناً لفضلهما على سائر الفواكه وهذا هو التجريد ﴿خَيْرَاتٌ حِسَانٌ﴾ خيرات جمع خيرة
 وقال الزمخشري وغيره أصله خيرات بالتشديد ثم خفف كميته وقرىء بالتشديد، قالت أم
 سلمة يا رسول الله أخبرني عن قوله تعالى خيرات حسان قال خيرات الأخلاق حسان
 الوجوه ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ الحور جمع حوراء والمقصورات المحجوبات لأن
 النساء يمدحن بملازمة البيوت ويذمنن بكثرة الخروج والخيام هي البيوت التي من الخشب
 والحشيش ونحو ذلك، وخيام الجنة من اللؤلؤ ﴿مُتَّكِبِينَ عَلَى رُفُوفٍ خُضْرٍ﴾ الرفرف
 البسط، وقيل الوسائد وقيل رياض الجنة ﴿وَعَبَقَرِي حِسَانٍ﴾ العبقرى الطنائف، وقيل
 الزرابي، وقيل الديباج الغليظ، وهو منسوب إلى عبقرى وتزعم العرب أنه بلد الجن فإذا
 أعجبتا شيء نسبته إليه ﴿بَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ﴾ ذكر تبارك في الفرقان وغيرها والاسم هنا يراد
 به المسمى على الأظهر وقرأ الجمهور ذي الجلال بالياء صفة لربك وقرأ ابن عامر بالواو
 صفة للاسم وقد ذكر معنى ذي الجلال والإكرام.

سورة الواقعة

مكية إلا آيتي ٨١ و ٨٢ فمدنيتان وآياتها ٩٦ نزلت بعد طه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لَوْعِنِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ ﴿٣﴾ إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا ﴿٤﴾ وَيُسِفَتِ
الْجِبَالُ سُفًا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا ﴿٦﴾ وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

روى ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال من قرأ سورة الواقعة لم تصبه فاقة أبدًا ولما حضرت ابن مسعود الوفاة قيل له ما تركت لبناتك، قال: تركت لهن سورة الواقعة ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ يعني إذا قامت القيامة فالواقعة اسم من أسماء القيامة، تدل على هولها كالطامة والصاخة وقيل الواقعة الصيحة وهي النفخة في الصور وقيل الواقعة صخرة بيت المقدس، تقع يوم القيامة وهذا بعيد ﴿لَيْسَ لَوْعِنِهَا كَاذِبَةٌ﴾ يحتمل ثلاثة أوجه: الأول أن تكون الكاذبة مصدر كالعافية والمعنى ليس لها كذب ولا رد. الثاني أن تكون كاذبة صفة محذوف كأنه قال ليس لها حال كاذبة أي هي صادقة الوقوع ولا بد وهذا المعنى قريب من الأول. الثالث أن يكون التقدير ليس لها نفس كاذبة أي تكذيب في إنكار البعث لأن كل نفس تؤمن حينئذ ﴿خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ﴾ تقديره هي خافضة رافعة، فينبغي أن يوقف على ما قبله لبيان المعنى والمراد بالخفض والرفع أنها تخفض أقوامًا إلى النار وترفع أقوامًا إلى الجنة،

الْمِيْمَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴿٩﴾ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٠﴾ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَىٰ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مَثْكَبِينَ عَلَيْهَا

وقيل ذلك عبارة عن هولها لأن السماء تنشق والأرض تتزلزل وتمزّ والجبال تنسف فكأنها تخفض بعض هذه الأجرام وترفع بعضها ﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا﴾ أي زلزلت وحزّكت تحريكًا شديدًا وإذا هنا بدل من إذا وقعت ويحتمل أن يكون العامل فيه خافضة رافعة ﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا﴾ أي فتتت وقيل سُيِّرَتْ ﴿هَبَاءٌ مُنَبِّئًا﴾ الهباء ما يتطاير في الهواء من الأجزاء الدقيقة، ولا تكاد تُرَىٰ إلّا في الشمس إذا دخلت على كُوة قاله ابن عباس وقال علي بن أبي طالب هو ما تطاير من حوافر الدواب من التراب، وقيل ما تطاير من شرر النار، فإذا طفى لم يوجد شيئًا والمنبث المتفرق ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾ هذا خطاب لجميع الناس لأنهم ينقسمون يوم القيامة إلى هذه الأصناف الثلاثة وهم السابقون، وأصحاب اليمين، وأصحاب الشمال، فأما السابقون فهم أهل الدرجات العُلا في الجنة، وأما أصحاب اليمين فهم سائر أهل الجنة، وأما أصحاب الشمال فهم أهل النار ﴿فَأَصْحَابُ الْمِيْمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمِيْمَةِ﴾ هذا ابتداء خبر فيه معنى التعظيم، كقولك زيد ما زيد، والميمنة يحتمل أن تكون مشتقة من اليمن وهو ضدّ الشؤم وتكون المشأمة به مشتقة من الشؤم أو تكون الميمنة من ناحية اليمين والمشأمة من ناحية الشمال، واليد الشؤمي هي الشمال وذلك لأن العرب تجعل الخير من اليمين والشرّ من الشمال، أو لأن أهل الجنة يحملون إلى جهة اليمين، وأهل النار يحملون إلى جهة الشمال أو يكون من أخذ الكتاب باليمين أو الشمال ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ الأول مبتدأ والثاني خبره على وجه التعظيم كقولك أنت أنت أو على معنى أن السابقين إلى طاعة الله هم السابقون إلى الجنة، وقيل إن السابقون الثاني صفة للأول أو تأكيد، والخبر أولئك المقربون، والأرجح أن يكون الثاني خبر الأول لأنه في مقابلة قوله أصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة، وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة، وعلى هذا يوقف على السابقون الثاني ويبتدئ بما بعده ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَىٰ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ الثلاثة الجماعة من الناس، فالمعنى أن السابقين من الأولين أكثر من السابقين من الآخرين، والأولون هم أول هذه الأمة والآخرون المتأخرون من هذه الأمة، والدليل على ذلك ما رُوِيَ أن رسول الله ﷺ قال: «الفرقتان في أمّتي» وذلك لأن صدر هذه الأمة خير ممّن بعدهم فكثّر السابقون من السلف الصالح، وقلّوا بعد ذلك ويشهد لذلك قوله ﷺ خير القرون قرني، ثم الذب

مُتَقَابِلِينَ ﴿١٦﴾ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقٍ وَكَأْسٍ مِنْ مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَا يَصُدُّعُونَ عَنْهَا وَلَا
يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَكَهْفُهُمْ مِمَّا يَخْتَفِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ
الْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْتِيهِمْ إِلاَّ قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴿٢٥﴾
وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴿٢٦﴾ فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ ﴿٢٧﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَظِلِّ مَمْدُودٍ ﴿٢٩﴾ وَمَاءٍ

فالسابقون في كل أمة يكثرون في أولها ويقفون في آخرها، وقيل إن الأولين هم من كان في
قبل هذه الأمة والأخرين هم هذه الأمة فيقتضي هذا أن السابقين من الأمم المتقدمة أكثر من
السابقين من هذه الأمة وهذا بعيد، وقيل إن السابقين يراد بهم الأنبياء، لأنهم كانوا في أول
الزمان أكثر مما كانوا في آخره ﴿عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ﴾ السُّرُر جمع سرير والموضونة
المنسوجة وقيل المشبكة بالدز والياقوت، وقيل معناه متواصلة قد أدنى بعضها من بعض
﴿مُتَقَابِلِينَ﴾ أي وجوه بعضهم إلى بعض ﴿وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ الولدان صغار الخدم
والمخلدون الذين لا يموتون، وقيل المقرطون بالخلدات وهي ضرب من الأقراط، والأول
أظهر ﴿بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقٍ﴾ الأكواب جمع كوب وهو الإناء وهو الذي لا أذن له ولا خرطوم
يمسك به والأباريق جمع إبريق وهو الإناء الذي له خرطوم أو أذن يمسك ﴿وَأَكْسِمْ مِنْهَا
مَّعِينٍ﴾ ذكر في الصافات ﴿لَا يُصَدُّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ﴾ أي لا يبلحق رؤوسهم الصداع
الذي يصيب من خمر الدنيا وقيل لا يفرقون عنها فهو من الصدع وهو الفرقة، ومعنى لا
ينزفون لا يسكرون ﴿وَفَكَهْفُهُمْ مِمَّا يَخْتَفِرُونَ﴾ قيل يتخفرون ما شاءوا لكهفها، وقيل مخيرة
مرضية ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾ قدمنا معناه، وقرئ بالرفع على تقدير فيها حور أو عطف على
الضمير في متكئين، أو على ولدان، وبالخفض عطف على المعنى كأنه قال ينعمون بهذا
كله وبحور عين، وقيل خفض على الجوار ﴿كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾ شبههن باللؤلؤ في
البياض ووصفه بالمكنون لأنه أبعد عن تغيير حسنه وسألت أم سلمة رسول الله ﷺ عن هذا
التشبيه فقال: «صفاؤهن كصفاء الدر في الأصداف الذي لا تمسه الأيدي» ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا
لَغْوًا وَلَا تَأْتِيهِمْ﴾ اللغو الكلام الساقط كالفحش وغيره والتأيم مصدر بمعنى لا يؤثم أحد
هناك نفسه ولا غيره ﴿إِلاَّ قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا﴾ انتصب سلاما على أنه بدل من قِيلًا أو صفة له
أو مفعول به لقيل، لأن معناه قولاً، ومعنى السلام على هذا التحية، والمعنى أنهم يفتشون
السلام فيسلمون سلاماً بعد سلام، ويحتمل أن يكون معناه السلامة، فينتصب بفعل مضمير
تقديره أسلموا سلاماً ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾ هذا مبتدأ وخبره قصد به
التعظيم فيوقف عليه ويبتدأ بما بعده ويحتمل أن يكون الخبر في سدر، ويكون ما أصحاب

مَسْكُوبٍ ﴿٣٦﴾ وَفَكَهَمَتِ كَثِيرًا ﴿٣٧﴾ لَا مَقْطُوعَةَ وَلَا مَمْنُوعَةَ ﴿٣٨﴾ وَفُرْشٍ مَرْفُوعَةٍ ﴿٣٩﴾ إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ
إِنشَاءً ﴿٤٠﴾ فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٤١﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٤٢﴾ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٤٣﴾ ثَلَاثَةٌ مِّنَ الْأُولَىٰ ﴿٤٤﴾ وَثَلَاثَةٌ مِّنَ

اليمين اعتراضًا، والأول أحسن، وكذلك إعراب أصحاب الشمال ﴿في سِدْرٍ مَّخْضُودٍ﴾ السدر شجر معروف، قال ابن عطية هو الذي يقال له شجر أم غيلان وهو كثير في بلاد المشرق وهي في بعض بلاد الأندلس دون بعض والمخضود الذي لا شوك له كأنه خضد شوكه، وذلك أن سدر الدنيا له شوك، فوصف سدر الجنة بضد ذلك وقيل المخضود هو الموقر الذي انثنت أغصانه من كثرة حملة فهو على هذا من خضد الغصن إذا ثناه ﴿وَوَطَّحِ مَنضُودٍ﴾ الطلح شجر عظيم كثير الشوك، قاله ابن عطية وقال الزمخشري هو شجر الموز، وحكى ابن عطية هذا عن علي بن أبي طالب وابن عباس وقرأ علي بن أبي طالب وطلع منضود بالعين فليل له إنما هو وطلع بالحاء فقال ما للطلح والجنة فقيل له أنصلحها في المصحف فقال المصحف اليوم لا يغير، والمنضود الذي تنضد بالثمر من أعلاه إلى أسفله حتى لا يظهر له ساق ﴿وَوَظِلٌّ مَّمدُودٍ﴾ أي منبسط لا يزول لأنه لا تنسخه الشمس، وقال رسول الله ﷺ: «إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها أقرؤوا إن شئتم وظل ممدود» وماء مسكوب: أي مصبوب، وذلك عبارة عن كثرته وقيل المعنى أنه جار في غير أخاديد، وقيل المعنى أنه يجري من غير ساقية ولا دلو ولا تعب ﴿لَا مَقْطُوعَةَ وَلَا مَمْنُوعَةَ﴾ أي لا ينقطع إبانها كفاكهة الدنيا، فإن شجر الجنة يثمر في كل وقت ولا تمتنع ببعد تناولها ولا بغير ذلك من وجوه المنع ﴿وَفُرْشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾ هي الأسرة، وقد رُوِيَ ارتفاع السرير منها مسيرة خمسمائة عام وقيل هي النساء وهذا بعيد ﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ﴾ الضمير لنساء الجنة، فإن سياق الكلام يقتضي ذلك، وإن لم يتقدم ذكرهن ولكن تقدم ذكر الفرش وهي تدل على النساء وأما من قال إن الفرش هي النساء فالضمير عائد عليها وقيل يعود على الحور العين المذكورة قبل هذا وذلك بعيد فإن ذلك في وصف جنات السابقين، وهذا في وصف جنات أصحاب اليمين ومعنى إنشاء النساء أن الله تعالى يخلقهن في الجنة خلقًا آخر في غاية الحسن بخلاف الدنيا فالعجوز ترجع شابة والقيحية ترجع حسنة ﴿فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا﴾ رُوِيَ أَنَّهُنَّ دائمات البكارة متى عاود الوطء وجدها بكرا ﴿عُرُبًا﴾ جمع عروب وهي المتوددة إلى زوجها بإظهار محبته وعبر عنهن ابن عباس بأنهن العواشق لأزواجهن وقيل الحسنة الكلام ﴿أَتْرَابًا لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ أي مستويات في السن مع أزواجهن، ورُوِيَ أَنَّهُنَّ يكونون في سن أبناء ثلاث : ﴿أَنشَأْنَاهُنَّ﴾ على

الْآخِرِينَ ﴿٤١﴾ وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ﴿٤٢﴾ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَظِلٍّ مِّنْ يَحْمُومٍ ﴿٤٤﴾ لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٥﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ ﴿٤٧﴾ وَكَانُوا يَقُولُونَ أَإِنذًا مِّنَّا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْلًا إِنَّنَا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٨﴾ أَوْ آبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴿٤٩﴾ قُلْ إِنَّكَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿٥٠﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥١﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ إِلَيْهَا لَآتُونَ الْمُكَدِّبُونَ ﴿٥٢﴾ لَا كَلِمَةَ مِنْ شَعْرٍ مِّنْ زُفُورٍ ﴿٥٣﴾ فَتَالِقُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٥٤﴾ فَشَرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْعَمِيمِ ﴿٥٥﴾ فَشَرِبُونَ شُرْبَ الْهَيْمِ ﴿٥٦﴾ هَذَا نُزِّلَهُمْ يَوْمَ الَّذِينَ ﴿٥٧﴾

ما قلله الزمخشري ويحتمل أن يتعلق بآثرابا، وهذا هو الذي يقتضيه المعنى أي آثرابا لأزواجهن ﴿ثَلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ وَثَلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾ أي جماعة من أول هذه الأمة وجماعة من آخرها وقد قال رسول الله ﷺ: «الفرقتان من أمتي» وفي ذلك ردّ على من قال إنهما من غير هذه الأمة وتأمل كيف جعل أصحاب اليمين ثلّة من الأولين وثلّة من الآخريين بخلاف السابقين فإنهم قليل في الآخريين وذلك لأن السابقين في أول هذه الأمة أكثر منهم في آخرها لفضيلة السلف الصالح وأما أصحاب اليمين فكثير في أولها وآخرها ﴿فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ وَظِلٍّ مِّنْ يَحْمُومٍ﴾ السموم الحرّ الشديد والحميم الماء الحارّ جدًّا واليحموم هو الأسود وظلّ من يحموم هو الدخان في قول الجمهور، وقيل سرادق النار المحيط بأهلها فإنه يرتفع من كل جهة حتى يظلمهم وقيل هو جبل في جهنم ﴿وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ﴾ معنى يصرون يدومون من غير إقلاع والحنث هو الإثم، وقيل هو الشرك، وقيل هو الحنث في اليمين أو اليمين الغموس ﴿إِنذًا مِّنَّا﴾ الآية معناها أنهم أنكروا البعث بعد الموت، وقد ذكرنا قراءة الاستفهاميين في الرعد وآباؤنا في الصافات ﴿إِنهَذَا الضَّالُّونَ﴾ خطابًا لكفار قريش وسائر الكفار ﴿فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ﴾ الضمير للمأكول ﴿فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهَيْمِ﴾ وزن الهيم فعل بضم الفاء، وكسرت الهاء لأجل الباء وهو جمع أهيم وهو الجمل الذي أصابه الهيام بضم الهاء وهو داء مُعَطِّش يشرب معه الجمل حتى يموت أو يسقم والأنثى هيماء، وقيل جمع هائم وهائمة، وقيل الهيم الرمال التي لا تروى من الماء وهو على هذا جمع هيام بفتح الهاء وقرىء شرب بضم الشين واختلف هل هو مصدر أو اسم المشروب وقرىء بالفتح وهو مصدر فإن قيل كيف عطف قوله فشاربون على شاربون ومعناها واحد، فالجواب أن المعنى مختلف لأن الأول يقتضي الشرب مطلقًا والآخر يقتضي الشرب الكثير المشبه لشرب الهيم ﴿هَذَا نُزِّلَهُمْ﴾ النزول أول ما يأكله الضيف فكانه يقول هذا أول عذابهم فما ظنك بسائرهم.

فَنَحْنُ خَلْقَنكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوبِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَيَّ أَنْ يُبَدَّلَ امْتَلَاكُمْ وَنُنشِئْكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُعْرِمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ أَمْجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾

﴿فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ﴾ تحضيض على التصديق إما بالخالق تعالى وإما بالبعث لأن الخلقة الأولى دليل عليه ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ﴾ هذه الآية وما بعدها تتضمن إقامة براهين على الوحدانية وعلى البعث وتتضمن أيضًا وعيد وتعديد نعم ومعنى تُمْنُونَ تقذفون المني في رحم المرأة ﴿أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ﴾ هذا توقيف يقتضي أن يجيبوا عليه بأن الله هو الخالق لا إله إلا هو ﴿نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ﴾ أي جعلناه مقدراً بأجال معلومة وأعمار منها طويل وقصير ومتوسط ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوبِينَ عَلَيَّ أَنْ يُبَدَّلَ امْتَلَاكُمْ وَنُنشِئْكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ المسبوق على الشيء هو المغلوب عليه بحيث لا يقدر عليه ونبدل أمثالكم معناه نهلككم ونستبدل قوماً غيركم، وقيل نمسخكم قرده وخنازير وننشئكم معناه نبعثكم بعد هلاككم وفيما لا تعلمون معناه ننشئكم في خلقة لا تعلمونها على وجه لا تصل عقولكم إلى فهمه فمعنى الآية أن الله قادر على أن يهلكهم وعلى أن يعيّنهم ففيها تهديد واحتجاج على البعث ﴿فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ تحضيض على التذكير والاستدلال بالنشأة الأولى على النشأة الآخرة وفي هذا دليل على صحة القياس ﴿أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾ المراد بالزراعة هنا إنبات ما يزرع وتمام خلقته لأن ذلك مما انفرد الله به ولا يدعيه غيره قال رسول الله ﷺ: «لا يقولن أحدكم زرعت ولكن يقول حرثت» والمراد بالحرث قلب الأرض وإلقاء الزريعة فيها وقد يقال لهذا زرع ومنه قوله يعجب الزراع ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾ الحطام اليابس المفتت وقيل معناه تبن بلا قمح فظلمت تفكّهون أي تطرحون الفاكهة وهي المسرة يقال رجل فكه إذا كان مسروراً منبسط النفس ويقال تفكّه إذا زالت عنه الفكاهة فصار حزينا لأن صيغة تفاعل تأتي لزوال الشيء كقولهم تحرّج وتأثم إذا زال عنه الحرج والإثم فالمعنى صرتم تحزنون على الزرع لو جعله الله حطاماً وقد عبّر بعضهم عن تفكّهون بأن معناه تتفجعون وقيل تندمون وقيل تعجبون وهذه معانٍ متقاربة والأصل ما ذكرنا ﴿إِنَّا لَمُعْرِمُونَ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ تقديره تقولون ذلك لو جعل الله زرعكم حطاماً والمعرم المعذب لأن الغرام هو

أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿٧٦﴾ ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ ﴿٧٧﴾ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكَرَةً
وَمَتَاعًا لِلْمُقِيمِينَ ﴿٧٨﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٧٩﴾ * فَلَا أُقْسِمُ بِمَوْقِعِ النُّجُومِ ﴿٨٠﴾ وَإِنَّهُ
لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٨١﴾ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٨٢﴾ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ ﴿٨٣﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا

النفقة على الزرع والمحروم الذي حرمه الله الخير ﴿مِنَ الْمُزْنِ﴾ هي السحاب، والأجاج الشديد الملوحة، فإن قيل لم تثبت اللام في قوله لو نشاء لجعلناه حطامًا وسقطت في قوله لو نشاء جعلناه أجاجًا؟ فالجواب من وجهين أحدهما أنه أغنى إثباتها أولاً عن إثباتها ثانياً مع قرب الموضوعين والآخر أن هذه اللام تدخل للتأكيد فأدخلت في آية المطعوم دون آية المشروب للدلالة على أن الطعام أوكد من الشراب لأن الإنسان لا يشرب إلا بعد أن يأكل ﴿النَّارَ الَّتِي تُورُونَ﴾ أي تقدهونها من الزناد والزناد قد يكون من حجرين ومن حجر وحديدة ومن شجر وهو المرخ والعفار ولما كانت عادة العرب في زنادهم من شجر، قال الله تعالى: ﴿أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا﴾ أي الشجرة التي تزند النار منها وقيل أراد بالشجرة نفس النار كأنه يقول نوعها أو جنسها فاستعار الشجرة لذلك وهذا بعيد ﴿نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكَرَةً﴾ أي تذكر بنار جهنم ﴿وَمَتَاعًا لِلْمُقِيمِينَ﴾ المتاع ما يتمتع به ويحتمل المقومين أن يكون من الأرض القواء وهي الفيافي ومعنى المقومين الذين دخلوا في القواء ولذلك عبر ابن عباس عنه بالمسافرين ويحتمل أن يكون من قولهم أقوى المنزل إذا خلا فمعناه الذين خلت بطونهم أو موائدهم من الطعام ولذلك عبر بعضهم عنه بالجائعين ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوْقِعِ النُّجُومِ﴾ لا في هذا الموضع وأمثاله زائدة وكأنها زيدت لتأكيد القسم أو لاستفتاح الكلام نحو ألا وقيل هي نافية لكلام الكفار كأنه يقول لا صحة لما يقول الكفار وهذا ضعيف والأول أحسن لأن زيادة لا كثيرة معروفة في كلام العرب ومواقع النجوم فيه قولان أحدهما قال ابن عباس إنها نجوم القرآن إذ نزل على النبي ﷺ مقطوعاً بطول عشرين ستة فكل قطعة منه نجم والآخر قول كثير من المفسرين أن النجوم الكواكب ومواقعها مغاريها ومساقطها، وقيل مواضعها من السماء وقيل انكدارها يوم القيامة ﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ هذه جملة اعتراض بين القسم وجوابه وقوله لو تعلمون اعتراض بين الموصوف وصفته فهو اعتراض في اعتراض، والمقصود بذلك تعظيم المقسم به وهو مواقع النجوم وجواب المقسم إنه لقرآن كريم وأعاد الضمير على القرآن لأن المعنى يقتضيه أو لأنه مذكور على قول من قال إن مواقع النجوم نزول القرآن ﴿فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ﴾ أي مصون والمراد بهذا الكتاب المكنون المصاحف التي كتب فيها القرآن أو صحف القرآن التي بأيدي الملائكة عليهم

الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٦﴾ تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَيَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ

السلام ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ الضمير يعود على الكتاب المكنون، ويحتمل أن يعود على القرآن المذكور قبله إلا أن هذا ضعيف لوجهين أحدهما: أن مس الكتاب حقيقة ومس القرآن مجاز، والحقيقة أولى من المجاز والآخر أن الكتاب أقرب والضمير يعود على أقرب مذکور فإذا قلنا إنه يعود على الكتاب المكنون فإن قلنا إن الكتاب المكنون هو الصحف التي بأيدي الملائكة، فالمطهرون يراد بهم الملائكة لأنهم مطهرون من الذنوب والعيوب والآية إخبار بأنه لا يمسه إلا هم دون غيرهم؛ وإن قلنا إن الكتاب المكنون هو الصحف التي بأيدي الناس، فيحتمل أن يريد بالمطهرين المسلمين، لأنهم مطهرون من الكفر أو يريد المطهرين من الحدث الأكبر وهي الجنابة أو الحيض، فالطهارة على هذا الاغتسال أو المطهرين من الحدث الأصغر، فالطهارة على هذا الوضوء ويحتمل أن يكون قوله لا يمسه خبراً أو نهياً على أنه قد أنكر بعض الناس أن يكون نهياً وقال لو كان نهياً لكان بفتح السين وقال المحققون: إن النهي يصح مع ضم السين لأن الفعل المضاعف إذا كان مجزوماً أو اتصل به ضمير المفرد المذكور ضم عند التقاء الساكنين إبتاعاً لحركة الضمير وإذا جعلناه خبراً فيحتمل أن يقصد به مجرد الإخبار أو يكون خبراً بمعنى النهي وإذا كان لمجرد الإخبار فالمعنى أنه لا ينبغي أن يمسه إلا المطهرون أي هذا حقّه وإن وقع خلاف ذلك واختلف الفقهاء فيمن يجوز له مس المصحف على حسب الاحتمالات في الآية، فأجمعوا على أنه لا يجوز أن لا يمسه كافر لأنه إن أراد بالمطهرين المسلمين، فذلك ظاهر وإن أراد الطهارة من الحدث فالإسلام حاصل مع ذلك وأما الحدث ففيه ثلاثة أقوال: الأول أنه لا يجوز أن يمسه الجنب ولا الحائض ولا المُحدث حدثاً أصغر وهو قول مالك وأصحابه ومنعوا أيضاً أن يحمله بعلاقة أو وسادة وحجتهم الآية على أن يراد بالمطهرين الطهارة من الحدث الأكبر والأصغر وقد احتج مالك في الموطأ بالآية على المسألة ومن حجتهم أيضاً كتاب رسول الله ﷺ إلى عمرو بن حزم أن لا يمس القرآن إلا طاهر، الثاني أنه يجوز مسه للجنب والحائض والمحدث حدثاً أصغر وهو مذهب أحمد بن حنبل والظاهرية وحملوا المطهرون على أنهم المسلمون والملائكة أو جعلوا لا يمسه لمجرد الإخبار، والقول الثالث أنه لا يجوز مسه بالحدث الأصغر دون الأكبر ورخص مالك في نفسه على غير وضوء للمعلم والصبيان لأجل المشقة. واختلفوا في قراءة الجنب للقرآن فمنعه الشافعي وأبو حنيفة مطلقاً وأجازة الظاهرية مطلقاً، وأجاز مالك قراءة الآية اليسيرة. واختلف في قراءة الحائض والنفساء للقرآن عن ظهر

تُكذِّبُونَ ﴿٨٧﴾ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ﴿٨٨﴾ وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ نَنْظُرُونَ ﴿٨٩﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا

﴿أَفِيهِذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ﴾ هذا خطاب للكفار، والحديث المشار إليه هو القرآن، ومدهنون معناه متهاونون وأصله من المدهانة وهي لين الجانب والمواقفة بالظاهر لا بالباطن قال ابن عباس معناه مكذبون ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تُكذِّبُونَ﴾ قال ابن عطية أجمع المفسرون على أن الآية تويخ للقائلين في المطر إنه نزل بنوء كذا وكذا، والمعنى تجعلون شكر رزقكم التكذيب فحذف شكر لدلالة المعنى عليه وقرأ علي بن أبي طالب وتجنجلون شكركم أنكم تكذبون وكذلك قرأ ابن عباس إلا أنه قرأ تكذبون بضم التاء والتشديد كقراءة الجماعة وقراءة علي بفتح التاء وإسكان الكاف من الكذب أي يكذبون في قولهم نزل المطر بنوء كذا ومن هذا المعنى قول رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى يقول أصبح من عبادي مؤمن بي كافر بالكوكب وكافر بي مؤمن بالكوكب فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي وكافر بالكوكب وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكوكب كذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب». والمنهي عنه في هذا الباب أن يعتقد أن للكوكب تأثيراً في المطر وأما مراعاة العوائد التي أجزاها الله تعالى فلا بأس به لقوله ﷺ: «إذا أنشأت بحرفة ثم تشاءمت فتلك عين غديقة»، وقد قال عمر للعباس وهما في الاستسقاء كم بقي من نوء الثريا؟ فقال العباس: العلماء يقولون إنها تعترض في الأفق بعد سقوطها سحاً، قال ابن الطيب فمضت مضت سبع حتى مطروا، وقيل إن معنى الآية تجعلون سبب رزقكم تكذبيكم للنبي ﷺ فإنهم كانوا يقولون إن أمنا به حرمانا الله الرزق كقولهم إن تتبع الهدى معك نخطف من أرضنا فأنكر الله عليهم ذلك وإعراب أنكم على هذا القول مفعول بتجعلون على حذف مضاف تقديره تجعلون سبب رزقكم التكذيب ويحتمل أن يكون مفعولاً من أجله تقديره تجعلون رزقكم حاصلًا من أجل أنكم تكذبون، وأما على القول الأول فإعراب أنكم تكذبون مفعول لا غير ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ﴾ لولا هنا عرض والضمير في بلغت للنفس لأن سياق الكلام يقتضي ذلك وبلوغها للحلقوم حين الموت والفعل الذي دخلت عليه لولا هو قوله ترجعونها أي هلاً رددتم النفس حين الموت، ومعنى الآية احتجاج على البشر وإظهار لعجزهم لأنهم إذا حضر أحدهم الموت لم يقدرُوا أن يردوا روحه إلى جسده، وذلك دليل على أنهم عبيد مهجورون ﴿وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ نَنْظُرُونَ﴾ هذا خطاب لمن يحضر الميت من أقاربه وغيرهم، يعني تنظرون إليه ولا تقدرون له على شيء ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ﴾ يحتمل أن يريد قرب نفسه تعالى بعلمه وإطلاعه أو قرب الملائكة الذين يقبضون الأرواح فيكون من قرب المسافة ﴿وَلَكِنْ لَا تَبْصُرُونَ﴾ إن أزيد بقوله نحن أقرب

بُصُرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينٍ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ
 الْمُقْرَبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتْ نَعِيمٌ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَّةٌ لَكَ مِنْ
 أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمَكْذِبِينَ الضَّالِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنَزْلٌ مِنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَنَصْلَةٌ حَمِيمٍ ﴿٩٤﴾

الملائكة فقوله لا تبصرون من رؤية العين، وإن أراد نفسه تعالى فهو من رؤية القلب ﴿فَلَوْلَا﴾
 إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينٍ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿لولا هنا عرض كالأولى وكررت للتأكيد
 والبيان لما طال الكلام والفعل الذي دخلت عليه لولا الأولى والثانية قوله ترجعونها أي هلاً
 رددتم النفس إلى الجسد إذا بلغت الحلقوم إن كنتم غير مدنين وغير مربوبين ومقهورين
 فافعلوا ذلك إن كنتم صادقين في كفركم وترتيب الكلام فلولا ترجعون النفس إذا بلغت
 الحلقوم إن كنتم غير مدنين فارجعوا إن كنتم صادقين ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقْرَبِينَ﴾ الضمير
 في كان للمتوفى وكرر هنا ما ذكره في أول السورة من تقسيم الناس إلى ثلاثة أصناف
 السابقين وأصحاب اليمين وأصحاب الشمال فالمراد بالمقربين هنا السابقون المذكورون
 هناك ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾ الروح الاستراحة وقيل الرحمة رُوي أن رسول الله ﷺ قرأ فروح
 بضم الراء ومعناه الرحمة وقيل الخلود أي بقاء الروح وأما الريحان فقيل إنه الرزق وقيل
 الاستراحة وقيل الطيب وقيل الريحان المعروف وفي قوله روح وريحان ضرب من ضروب
 التجنيس ﴿فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ معنى هذا على الجملة نجات أصحاب اليمين
 وسعادتهم والسلام هنا يحتمل أن يكون بمعنى السلامة أو التحية والخطاب في ذلك يحتمل
 أن يكون للنبي ﷺ أو لأحد من أصحاب اليمين فإن كان للنبي ﷺ فالسلام بمعنى السلامة
 والمعنى سلام لك يا محمد منهم أي لا ترى منهم إلا السلامة من العذاب وإن كان الخطاب
 لأحد من أصحاب اليمين فالسلام بمعنى التحية والمعنى سلام لك أي تحية لك يا صاحب
 اليمين من إخوانك وهم أصحاب اليمين أي يسلمون عليك فهو كقوله إلاً قياً سلاماً سلاماً
 أو يكون بمعنى السلامة والتقدير سلامة لك يا صاحب اليمين ثم يكون قوله من أصحاب
 اليمين خبر ابتداء مضمّر تقديره أنت من أصحاب اليمين ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمَكْذِبِينَ
 الضَّالِّينَ﴾ يعني الكفار وهم أصحاب الشمال وأصحاب المشأمة ﴿فَنَزْلٌ مِنْ حَمِيمٍ﴾ النزول
 أول شيء يقدم للضيف ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾ الإشارة إلى ما تضمنته هذه السورة من
 أحوال الخلق في الآخرة وحق اليقين معناه الثابت من اليقين. وقيل إن الحق واليقين بمعنى
 واحد فهو من إضافة الشيء إلى نفسه كقوله مسجد الجامع واختار ابن عطية أن يكون
 كقولك في أمر تؤكده ها

إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ﴿٤٥﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾

بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ لما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «اجعلوها في ركوعكم» فلما نزلت سبح اسم ربك الأعلى قال عليه السلام: «اجعلوها في سجودكم» فلذلك استحبت مالك وغيره أن يقول في السجود سبحان ربِّي الأعلى وفي الركوع سبحان ربِّي العظيم وأوجه الظاهرية ويحتمل أن يكون المعنى تسبيح الله بذكر أسمائه والاسم هنا جنس الأسماء والتعظيم صفة للرب أو يكون الاسم هنا واحداً والعظيم صفة له وكأنه أمره أن يسبح بالاسم الأعظم ويؤيد هذا ويشير إليه اتصال سورة الحديد بها وفي أولها التسبيح وجملة من أسماء الله وصفاته، قال ابن عباس اسم الله العظيم الأعظم موجود في ست آيات من أول سورة الحديد، ورؤي أن الدعاء عند قراءتها مُستجاب.

سورة الحديد

مدنية وآياتها ٢٩ نزلت بعد الزلزلة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ هذا التسبيح المذكور هنا وفي أوائل سائر السور المسبَّحات يحتمل أن يكون حقيقة أو أن يكون بلسان الحال لأن كل ما في السموات والأرض دليل على وجود الله وقدرته وحكمته والأول أرجح لقوله: ﴿وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤] وذكر التسبيح هنا وفي الحشر والصف بلفظ الماضي، وفي الجمعة والتغابن بلفظ المضارع، وكل واحد منهما يقتضي الدوام ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ﴾ أي ليس لوجوده بداية ولا لبقائه نهاية ﴿وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ أي الظاهر للعقول بالأدلة والبراهين الدالة على الباطن الذي لا تدركه الأبصار أو الباطن الذي لا تصل العقول إلى معرفة كنه ذاته وقيل الظاهر العالي على كل شيء فهو من قولك ظهرت على الشيء إذا علوت عليه، والباطل الذي بطن كل شيء أي علم باطنه، والأول أظهر وأرجح ودخلت الواو بين هذه الصفات لاعتدالها مع اختلاف معانيها وفي ذلك مطابقة

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٠﴾ لَمْ تَلِكْ أَلْسِنَاتٍ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿١١﴾ يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٢﴾ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٣﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاتُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَن

لفظية، وهي من أحسن أدوات البيان ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ قد ذكر وكذلك ما بعده ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ يعني أنه حاضر مع كل أحد بعلمه وإحاطته. وأجمع العلماء على تأويل هذه الآية بذلك ﴿يُوَلِّجُ اللَّيْلَ﴾ ذكر في الحج ولقمان ﴿وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ﴾ يعني الإنفاق في سبيل الله وطاعته، ورُوي أنها نزلت في الإنفاق في غزوة تبوك وعلى هذا رُوي أن قوله: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا﴾ نزلت في عثمان بن عفان رضي الله عنه، فإنه جهز جيش العسرة يومئذ ولفظ الآية مع ذلك عام وحكمها باقي، لجميع الناس وقوله: ﴿مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ﴾ يعني أن الأموال التي بأيديكم إنما هي أموال الله لأنه خلقها ولكنه متعمك بها وجعلكم خلفاء بالتصرف فيها فأنتم فيها بمنزلة الوكلاء فلا تمنعوها من الإنفاق فيما أمركم مالكمها أن تنفقوها فيه ويحتمل أن يكون جعلكم مستخلفين عن من كان قبلكم فورثتم عنه الأموال فأنفقوها قبل أن تخلفوها لمن بعدكم كما خلفها لكم من كان قبلكم، والمقصود على كل وجه تحريض على الإنفاق وتزهيد في الدنيا ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ معناه أي شيء يمنعكم من الإيمان والرسول يدعوكم إليه بالبراهين القاطعة والمعجزات الظاهرة فقلوه ما لكم استفهام يُراد به الإنكار ولا تؤمنون في موضع الحال من معنى الفعل الذي يقتضيه ما لكم والواو في قوله والرسول يدعوكم واو الحال ﴿وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ﴾ يحتمل أن يكون هذا الميثاق ما جعل في العقول من النظر الذي يؤدي إلى الإيمان، أو يكون الميثاق الذي أخذه على بني آدم حين أخرجهم من ظهر آدم وأشهدهم على أنفسهم ألسنتهم قالوا بلى ﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ﴾ يعني سيدنا محمدا صلى الله تعالى عليه وآله وسلم والعبودية هنا للتشريف والاختصاص والآيات هنا القرآن ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ الآية: معناه أي شيء يمنعكم من الإنفاق في سبيل الله

أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَدْ أُولَيْتَكَ أَعْظَمَ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَاتَلُوا وَكَلَّا وَعَدَّ اللَّهُ
 الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لِمَنْ وُلَّهُ وَاجْرُ
 كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَانُكُمْ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرَىٰ مِنْ
 تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٨﴾ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا
 انظُرُونَا نَقْتِسَبْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَمْ يَأْتِ بِآيَةٍ فِيهَا الرَّحْمَةُ

والله يرث ما في السموات والأرض إذا فني أهلها ففي ذلك تحريض على الإنفاق وتزهيد في الدنيا ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَل﴾ الفتح هنا فتح مكة، وقيل صلح الحديبية، والأول أظهر وأشهر، ومعنى الآية التفاوت في الأجر والدرجات بين من أنفق في سبيل الله وقاتل قبل فتح مكة وبين من أنفق وقاتل بعد ذلك فإن الإسلام قبل الفتح كان ضعيفا والحاجة إلى الإنفاق والقتال كانت أشد ويؤخذ من الآية أن من أنفق في شدة أعظم أجرا ممن أنفق في حال الرخاء وفي الآية حذف دل عليه الكلام تقديره لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل مع من أنفق من بعد الفتح وقاتل ثم حذف ذلك لدلالة قوله أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وفي هذا المعنى قال رسول الله صلى الله عليه وآله وآله وسلّم: «لا تسبوا أصحابي فلو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه»، يعني السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار وخاطب بذلك من جاء بعدهم من سائر الصحابة، ويدخل في الخطاب كل من يأتي إلى يوم القيامة ﴿وَكَلَّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾ أي كل واحدة من الطائفتين الذين أنفقوا وقاتلوا قبل الفتح وبعده وعدم الله الجنة ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ ذكر في البقرة ﴿يَوْمَ تَرَى﴾ العامل في الظرف أجر كريم أو تقدير اذكر ﴿يَسْعَىٰ نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾ قيل إن هذا النور استعارة يراد به الهدى والرضوان والصحيح هو قول الجمهور أنه حقيقة وقد روي ذلك عن رسول الله ﷺ فالمعنى على هذا أن المؤمنين يكون لهم يوم القيامة نور يضيء قدامهم وعن يمين كل واحد منهم وقيل يكون أصله في أيماهم يحملونه فينبسط نوره قدامهم، وروي أن نور كل أحد على قدر إيمانه فمنهم من يكون نوره كالنخلة ومنهم من يضيء ما قرب من قدميه، ومنهم من يضيء مرة ويهمم بالإطفاء مرة، قال ابن عطية ومن هذه الآية أخذ الناس مشي المعتق بالشمعة قدام معتقه إذا مات ﴿بُشْرَاكُمْ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ﴾ أي يقال لهم ذلك ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتِسَبْ مِنْ نُورِكُمْ﴾ يوم بدل من يوم ترى أو متعلق بالفوز العظيم أو بمحدو

وظَهَرُوا مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴿١٢﴾ ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وازتبرتم وقرئتمكم الأمانى حتى جاء أمر الله وعرزكم بالله العرور ﴿١٣﴾ قالوا لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا ماؤنكم النار هي مولنكم وبئس المصير ﴿١٤﴾ ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع

القيامة نوراً فيبقى نور المؤمنين وينطفئ نور المنافقين فيقول المنافقون للمؤمنين انظرونا نقتبس من نوركم أي نأخذ منه ونستضيء به ومعنى انظرونا انتظرونا وذلك لأن المؤمنين يسرعون إلى الجنة كالبرق الخاطف والمنافقون ليسوا كذلك ويحتمل أن يكون من النظر أي انظروا إلينا لأنهم إذا نظروا إليهم استقبلوهم بوجوههم فاستضوا بنورهم ولكن يضعف هذا لأن نظر إذا كان بمعنى النظر بالعين يتعدى إلى وقرئ أنظرونا بهمزة قطع ومعناه أخرنا أي أهملنا في مشيكم حتى نلحقكم ﴿قِيلَ أَرْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾ يحتمل أن يكون هذا من قول المؤمنين أو قول الملائكة ومعناه الطرد للمنافقين والتهكم بهم لأنهم قد علموا أن ليس وراءهم نور، ووراءكم ظرف العامل فيه أرجعوا وقيل إنه لا موضع له من الإعراب وأنه كما لو قال أرجعوا ومعنى هذا الرجوع أرجعوا إلى الموقف فالتمسوا فيه النور أو أرجعوا إلى الدنيا فالتمسوا النور بتحصيل الإيمان أو أرجعوا خائبين وتنحروا عنا فالتمسوا نوراً آخر فلا سبيل لكم إلى هذا النور ﴿فَضْرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ﴾ أي ضرب بين المؤمنين والمنافقين بسور يفصل بينهم وفي ذلك السور باب لأهل الجنة يدخلون منه وقيل إن هذا السور هو الأعراف وهو سور بين الجنة والنار وقيل هو الجدار الشرقي من بيت المقدس وهذا بعيد ﴿بِاطْنِهِ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ باطنه هو جهة المؤمنين وظاهره هو جهة المنافقين وهي خارجة كقوله ظاهر المدينة أي خارجها والضمير في باطنه وظاهره يحتمل أن يكون للسور أو للباب والأول أظهر ﴿يَنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ﴾ أي ينادي المنافقين المؤمنين فيقولون لهم ألم نكن معكم في الدنيا يريدون إظهارهم الإيمان ﴿فَتَنَّتُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ أي أهلكتموها وأضللتموها بالنفاق ﴿وَتَرَبَّصْتُمْ﴾ أي أبطأتم بإيمانكم وقيل تربصتم الدوائر بالنبي ﷺ وبالمسلمين ﴿وَأَزْتَبْتُمْ﴾ أي شككتم في الإيمان ﴿وَقَرَّيْتُمْ الْأَمَانِي﴾ أي طول الأمل والتمني ومن ذلك أنهم كانوا يتمنون أن يهلك النبي ﷺ والمؤمنين أو يهزمون إلى غير ذلك من الأمانى الكاذبة ﴿حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ أي الفتح وظهور الإسلام أو موت المنافقين على الحال الموجبة للعذاب ﴿الْعُرُورُ﴾ هو الشيطان ﴿هِيَ مَوْلَاكُمْ﴾ أي هي أولى بكم وحقيقة المولى الولي الناصر فكان هنا استعارة منه أي لا ولي لكم تأبون إليه إلا النار ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ معنى ألم يأن: ألم يحسن

قُلُوبِهِمْ لِيَذْكُرَ اللَّهُ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ
فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثُرَتْ مِنْهُمْ فَسِقُونَ ﴿١٦﴾ أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْأَبْت
لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّ الْمُصْذِقِينَ وَالْمُصْذِقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضْعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ
أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشَّهَادَةُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ

يقال أنى الأمر إذا حان وقته، وذكر الله يحتمل أن يريد به القرآن أو الذكر أو التذكير
بالمواعظ وهذه آية موعظة وتذكير قال ابن عباس: عُوتِبَ المؤمنون بهذه الآية بعد ثلاثة
عشر سنة من نزول القرآن وسمع الفضيل بن عياض قارئاً يقرأ هذه الآية فقال قد آن فكان
سبب رجوعه إلى الله وَحُكِيَ أن عبد الله بن المبارك أخذ العود في صباه ليضربه فنطق بهذه
الآية فكسره ابن المبارك وتاب إلى الله ﴿وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ﴾ عطف
ولا يكونوا على أن تخشع ويحتمل أن يكون نهياً والمراد التحذير من أن يكون المؤمنون
كأهل الكتب المتقدمة وهم اليهود والنصارى ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ﴾ أي مدة الحياة وقيل
انتظار القيامة، وقيل انتظار الفتح والأول أظهر ﴿أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾
أي يحييها بإنزال المطر وإخراج النبات، وقيل إنه تمثيل للقلوب أي يحيي الله القلوب
بالمواعظ كما يحيي الأرض بالمطر، وفي هذا تأنيس للمؤمنين الذين ندبوا إلى أن تخشع
قلوبهم، والأول أظهر وأرجح لأنه الحقيقة ﴿إِنَّ الْمُصْذِقِينَ وَالْمُصْذِقَاتِ﴾ بتشديد الصاد من
الصدقة وأصله المتصدقين، وكذلك قرأ أبي بن كعب وقرئ بالتخفيف من التصديق أي
صدقوا الرسول عليه الصلاة والسلام، ﴿وَأَقْرَضُوا اللَّهَ﴾ معطوف على المعنى، كأنه قال إن
الذين تصدقوا وأقترضوا، وقد ذكرنا معنى أقترضوا في قوله مَنْ ذَا الَّذِي يَقْرَضُ اللَّهَ
﴿الصَّادِقُونَ﴾ مبالغة من الصدق أو من التصديق، وكونه من الصدق أرجح لأن صيغة فعيل
لا تبنى إلا من فعل ثلاثي في الأكثر، وقد حُكِيَ بناؤها من رباعي كقولهم رجل مسيك من
أمسك ﴿وَالشَّهَادَةُ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ يحتمل أن يكون الشهداء مبتدأ وخبره ما بعده، أو يكون
معطوفاً على الصديقين، فإن كان مبتدأ ففي المعنى قولان: أحدهما أنه جمع شهيد في
سبيل الله فأخبر أنهم عند ربهم لهم أجرهم ونورهم والآخر أنه جمع شاهد، ويراد به الأنبياء
عليهم الصلاة والسلام لأنهم يشهدون على قومهم، وإن كان معطوفاً ففي المعنى قولان،
أحدهما: أنه جمع شهيد فوصف الله المؤمنين بأنهم صديقون وشهداء: أي جمعوا
الوصفين، ورُوِيَ في هذا المعنى أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قال: «مؤمنو أمتي
شهداء» وتلا هذه الآية،

وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٩﴾ أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهَوٌّ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَفَرِّقَهُ مُضْفَرًا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْعُرُورِ ﴿٢٠﴾ سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا

لتكونوا شهداء على الناس ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾ هذا خبر عن الشهداء خاصة إن كان مبتدأ أو خبر عن المؤمنين إن كان الشهداء معطوفاً، ونورهم هو النور الذي يكون لهم يوم القيامة حسبما ذكر في هذه السورة، وقيل هو عبارة عن الهدى والإيمان، ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ﴾ الآية معناها تشبيه الدنيا بالزرع الذي يُنبته الغيث في سرعة تغيره بعد حُسْنِهِ وتحطُّمِهِ بعد ظهوره والكفَّار هنا يراد به الزرَّاع فهو من قوله كفرت الحب إذا سترته تحت الأرض وخصَّصهم بالذكر لأنهم أهل البصر بالزرع والفلاحة، فلا يعجبهم إلا ما هو حقيق أن يعجب، وقيل أراد الكفَّار بالله وخصَّصهم بالذكر لأنهم أشدَّ إعجاباً بالدنيا وأكثر حرصاً عليها ﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أي سابقوا إلى الأعمال التي تستحقون بها المغفرة، فقيل المعنى كونوا في أول صف من القتال، وقيل احضروا تكبيرة الإحرام مع الإمام، وقيل كونوا أول داخل إلى المسجد، وأول خارج منه وهذه أمثلة، والمعنى العام المسابقة إلى جميع الأعمال الصالحات وقد استدلَّ بها قوم على أن الصلاة في أول الوقت أفضل ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ السماء هنا يراد به جنس السموات بدليل قوله في آل عمران، وقد ذكرنا هناك معنى عرضها.

﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾

المعنى أن الأمور كلها مقدرة مكتوبة في اللوح المحفوظ من قبل أن تكون، قال رسول الله ﷺ: «إن الله كتب مقادير الأشياء قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وعرضه على الماء والمصيبة هنا عبارة عن كل ما يصيب من خير أو شر وقيل أراد به المصيبة في العُزف وهو ما يصيب من الشر وخصَّ ذلك بالذكر لأنه أهم على الناس وفي الأرض يعني القحوط والزلازل وغير ذلك وفي أنفسهم يعني الموت، والمرض، والفقير،

إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٦﴾ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٨﴾ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿١٩﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آدَمَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُمَا رِجْسًا وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمُ الْوَادِيَّ وَالْجَبَلَ سَبْعًا عَشْرًا وَمَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ وَلَئِنَّ اللَّهَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٢١﴾ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْنَا الْقُرْآنَ الْعَرَبِيَّ لِنُبَيِّنَ لَكَ آيَاتِهِ وَرُسُلَهُ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ آيَاتِنَا مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَلِيَذَّكَّرَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْإِسْلَامَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴿٢٢﴾ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوا رَافِعَةَ وَرَحْمَةَ وَرَهَابِيئَةً

وغير ذلك ونبرأها معناه نخلقها والضمير يعود على المصيبة أو على أنفسكم أو على الأرض، وقيل يعود على جميعها لأن المعنى صحيح في كلها ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ المعنى فعل الله ذلك وأخبركم به لكيلا تسلموا لقضاء الله ولا تكثرثوا بأمر الدنيا، ومعنى لا تأسوا لا تحزنوا أي فلا تحزنوا على ما فاتكم منها ولا تفرحوا فيها وقرأ الجمهور بما آتاكم بالمد أي بما أعطاكم الله من الدنيا، وقرأ أبو عمرو بما آتاكم بالقصر أي بما جاءكم من الدنيا فإن قيل إن الإنسان لا يملك نفسه أن يفرح بالخير ويحزن للشر كما قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لما أتى بمال كثير اللهم إنا لا نستطيع إلا أن نفرح بما زينت لنا، فالجواب: أن النهي عن الفرح إنما هو عن الذي يقود إلى الكبر والطغيان، وعن الحزن الذي يُخرج عن الصبر والتسليم ﴿كُلُّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ المختال صاحب الخيلاء والفخور شديد الفخر على الناس ﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ﴾ بدل من كل مختال فخور أو خبير ابتداء مضمرة تقديره هم الذين أو منصوب بإضمار أعني أو مبتدأ وخبره محذوف ﴿وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ﴾ الكتاب هنا جنس الكتاب والميزان العدل وقيل الميزان الذي يوزن به وزوي أن جبريل نزل بالميزان ودفعه إلى نوح وقال له مُرُّ قومك يَزُرُوا بِهِ ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ﴾ خبر عن خلقه وإيجاده بالإنزال وقيل بل أنزله حقيقة لأن آدم نزل من الجنة ومعه المطرقة والإبرة ﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ يعني أنه يعمل منه سلاح للقتال ولذلك قال وليعلم الله من ينصره ورسله والمنافع للناس سكك الحرث والمساعير وغير ذلك ﴿فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ أي من ذرية نوح وإبراهيم مهتدون قليلون، وأكثرهم فاسقون لأن منهم اليهود والنصارى وغيرهم و﴿قَفَّيْنَا﴾ ذكر في البقرة ﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوا رَافِعَةَ وَرَحْمَةَ وَرَهَابِيئَةً﴾ وصف أصحاب سيدنا

أَبَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَإِنَّمَا الَّذِينَ
ءَامَنُوا مِنْهُمْ أَجْرُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٧٧﴾ يَدَّأِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَعَامِنُوا بِرَسُولِهِ
يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَعْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧٨﴾ لَوْلَا
يَعْلَمُ أَهْلُ الْكِتَابِ إِلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ

محمد ﷺ، بأنهم رُحماء بينهم ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا﴾ الرهبانية هي الانفراد في الجبال
والانقطاع عن الناس في الصوامع، ورفض النساء وترك الدنيا ومعنى ابتدعوها أي أحدثوها
من غير أن يشرعها الله لهم، وإعراب رهبانية معطوف على رافة ورحمة أي جعل الله في
قلوبهم الرافة والرحمة والرهبانية وابتدعوها صفة للرهبانية والجعل هنا بمعنى الخلق
والمعتزلة يعزبون رهبانية مفعولاً بفعل مضمر يفسره ابتدعوها لأن مذهبهم أن الإنسان يخلق
أفعاله فأعربوها على مذهبهم وكذلك أعربها أبو علي الفارسي وذكر الرهبانية في الوجيهين
﴿مَا كَتَبْنَا عَلَيْهَا إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ﴾ كتبنا هنا بمعنى فرضنا وشرعنا وفي هذا قولان
أحدهما أن الاستثناء منقطع والمعنى ما كتبنا عليهم الرهبانية، ولكنهم فعلوها من تلقاء
أنفسهم ابتغاء رضوان الله والآخر أن الاستئناف متصل والمعنى كتبناها عليهم ابتغاء رضوان
الله والأول أرجح لقوله: ﴿أَبَدَعُوهَا﴾ ولقراءة عبد الله بن مسعود ما كتبناها عليهم لكن
ابتدعوها ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ أي لم يدوموا عليها ولم يحافظوا على الوفاء بها يعني
أن جميعهم لم يراعوها وإن رعاها بعضهم والضمير في رعوها للذين ابتدعوا الرهبانية وكان
يجب عليهم إتمامها وإن لم يكتبها الله سبحانه وتعالى عليهم، لأن من دخل في شيء من
النوافل يجب عليه إتمامه وقيل الضمير لمن جاء بعد الذين ابتدعوا الرهبانية من أتباعهم
﴿وَأَمِنُوا بِرَسُولِهِ﴾ إن قيل كيف خاطب الذين آمنوا وأمرهم بالإيمان وتحصيل الحاصل لا
ينبغي فالجواب من وجهين: أحدهما أن معنى آمنوا هموموا على الإيمان وأثبتوا عليهم
والآخر أنه خطاب لأهل الكتاب فالمعنى يا أيها الذين آمنوا بموسى وعيسى آمنوا بمحمد
صلى الله عليه وآله وسلم ويؤيد هذا قوله يؤتكم كفلين من رحمته أي نصيبين، وقال رسول
الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين رجل من أهل الكتاب آمن
بنيته وآمن بي الحديث ﴿وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾ يحتمل أن يريد النور الذي يسعى بين
أيدي المؤمنين يوم القيامة أو يكون عبارة عن الهدى ويؤيد الأول أنه مذكور في هذه
السورة، ويؤيد الثاني قوله: وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس ﴿لَوْلَا يَعْلَمُ أَهْلُ الْكِتَابِ إِلَّا
يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ لا في قوله لئلا زائدة، والمعنى ليعلم أهل الكتاب

ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾

وكذلك قرأها ابن عباس وقرأ ابن مسعود لكيلا يعلم، والمعنى إن كان الخطاب لأهل الكتاب يا أهل الكتاب آمنوا بمحمد ﷺ ليعلم أهل الكتاب الذين لم يؤمنوا أن لا يقدرُوا على شيء من فضل الله الذي وعد من آمن منكم، وهو تضعيف الأجر والنور والمغفرة، لأنهم لم يسلّموا. فلم ينالوا شيئاً من ذلك، وإن كان الخطاب للمسلمين، فالمعنى: ليعلم أهل الكتاب الذين لم يؤمنوا أنهم لا يقدرُونَ أن ينالوا شيئاً مما أعطى الله المسلمين من ضعيف الأجر والنور والمغفرة، وقد رُوِيَ في سبب نزول الآية: أن اليهود افتخرت على المسلمين فنزلت الآية في الردّ عليهم، وهو يقوِّي هذا القول، ورُوِيَ أيضاً أن سببها أن الذين أسلموا من أهل الكتاب افتخروا على غيرهم من المسلمين بأنهم يؤتيهم الله أجرهم مرتين فنزلت الآية معلّمة أن المسلمين مثلهم في ذلك.

سورة المجادلة

مدنية وآياتها ٢٢ نزلت بعد المنافقون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِمَّن نَسَأَ بِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا الَّتِي وَلَدْنَهُمْ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ نزلت الآية في خولة بنت حكيم، وقيل خولة بنت ثعلبة، وقيل خولة بنت خويلد، وقيل اسمها جميلة وكانت امرأة أوس بن الصامت الأنصاري أخي عبادة بن الصامت فظاهر منها وكان الظهار في الجاهلية يوجب تحريمًا مؤبدًا فلما فعل أوس ذلك جاءت امرأته إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله إن أوسًا أكل شبابي ونشرت له بطني فلما كبرت ومات أهلي ظاهر متي، فقال رسول الله ﷺ: «ما رأيتك إلا قد حرمت عليه»، فقالت: يا رسول الله لا تفعل إنني وحيدة ليس لي أهل سواه فراجعها رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بمثل مقالته فراجعته، فهذا هو جدالها ﴿وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ﴾ كانت تقول اللهم إني أشكو إليك حالي وانفرادي وفقري، ورؤي أنها كانت تقول اللهم إن لي منه صبية صغارًا إن ضممتهم إليّ جاعوا، وإن ضممتهم إليه ضاعوا ﴿وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾ المحاوراة هي المراجعة في الكلام قالت عائشة رضي

وَأَنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مَنَّكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ ﴿٢١﴾ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَابِهِمْ ثُمَّ
الله عنها: سبحان مَنْ وَسَعَ سمعه الأصوات لقد كنت حاضرة وكان بعض كلام خولة يخفى
عليّ وسمع الله كلامها، ونزل القرآن في ذلك فبعث رسول الله صَلَّى اللهُ تَعَالَى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
وَسَلَّمَ إِلَى زَوْجِهَا وَقَالَ لَهُ أَتَعْتَقُ رَقَبَةً، فَقَالَ وَاللَّهِ مَا أَمْلَكُهَا فَقَالَ أَتَصُومُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ،
فَقَالَ وَاللَّهِ مَا أَقْدِرُ، فَقَالَ لَهُ أَتَطْعَمُ سِتِّينَ مَسْكِينًا، فَقَالَ لَا أَجِدُ إِلَّا أَنْ يَعِينَنِي رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِمَعُونَةٍ وَصَلَاةٍ يَرِيدُ الدَّعَاءَ فَأَعَانَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِخَمْسَةِ عَشَرَ
صَاعًا وَقِيلَ بِثَلَاثِينَ صَاعًا وَدَعَا لَهُ فَكَفَّرَ بِالْإِطْعَامِ وَأَمْسَكَ زَوْجَتَهُ ﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِّنْ
نِّسَابِهِمْ﴾ قَرِئَ يَظَاهِرُونَ بِأَلْفٍ بَعْدَ الظَّاءِ وَيَحذفُهَا وَبِالتَّشْدِيدِ وَالتَّخْفِيفِ وَالمَعْنَى وَاحِدٌ وَهُوَ
إِيقَاعُ الظَّهَارِ، وَالظَّهَارُ المَجْمَعُ عَلَيْهِ هُوَ أَنْ يَقُولَ الرَّجُلُ لِامْرَأَتِهِ أَنْتَ عَلَيَّ كَظَهْرِ أُمِّي
وَيَجْرِي مَجْرَى ذَلِكَ عِنْدَ مَالِكٍ تَشْبِيهُ الزَّوْجَةِ بِكُلِّ امْرَأَةٍ مُحْرَمَةٍ عَلَى التَّأْيِيدِ كَالْبِنْتِ وَالْأُخْتِ
وَسَائِرِ المُحْرَمَاتِ بِالنَّسَبِ وَالمُحْرَمَاتِ بِالرِّضَاعِ وَالمَصَاهِرَةِ سِوَاهُ ذِكْرِ لَفْظِ الظَّهْرِ أَوْ لَمْ
يَذْكُرْهُ كَقَوْلِهِ أَنْتَ عَلَيَّ كَأُمِّي أَوْ كَبْطَنِ أُمِّي أَوْ يَدِهَا أَوْ رِجْلِهَا خِلَافًا لِلشَّافِعِيِّ فَإِنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ
عِنْدَهُ لَيْسَ بِظَّهَارٍ لِأَنَّهُ وَقَفَ عِنْدَ لَفْظِ الآيَةِ وَقَاسَ مَالِكٌ عَلَيْهَا لِأَنَّهُ رَأَى أَنَّ المَقْصِدَ تَشْبِيهُ
حَلَالٍ بِحَرَامٍ ﴿مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ﴾ رَدَّ اللهُ بِهَذَا عَلَى مَنْ كَانَ يُوقِعُ الظَّهَارَ وَيَعْتَقِدُهُ حَقِيقَةً وَأَخِيرَ
تَعَالَى أَنْ تَصِيرَ الزَّوْجَةُ أَمَّا بَاطِلٌ فَإِنَّ الأُمَّ فِي الحَقِيقَةِ إِنَّمَا هِيَ الوَالِدَةُ ﴿وَأَنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مَنَّكَرًا
مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا﴾ أَخْبَرَ تَعَالَى أَنَّ الظَّهَارَ مَنْكَرٌ وَزُورٌ فَالْمَنْكَرُ هُوَ الَّذِي لَا تُعْرَفُ لَهُ حَقِيقَةُ
وَالزُّورُ هُوَ الكَذِبُ وَإِنَّمَا جَعَلَهُ كَذِبًا لِأَنَّ المَظَاهِرَ يَصِيرُ امْرَأَتَهُ كَأُمِّهِ وَهِيَ لَا تَصِيرُ كَذَلِكَ أَبَدًا
وَالظَّهَارُ مُحْرَمٌ وَيَدَلُّ عَلَى تَحْرِيمِهِ أَرْبَعَةُ أَشْيَاءَ أَحَدُهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ﴾ فَإِنَّ
ذَلِكَ تَكْذِيبٌ لِلْمَظَاهِرِ وَالثَّانِي أَنَّهُ سَمَّاهُ مَنْكَرًا وَالثَّلَاثُ أَنَّهُ سَمَّاهُ زُورًا وَالرَّابِعُ قَوْلُهُ: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ
لَعَفُوفٌ غَفُورٌ﴾ فَإِنَّ العَفْوَ وَالمَغْفِرَةَ لَا تَقَعُ إِلَّا عَنِ الذَّنْبِ وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ لَازِمٌ لِلْمَظَاهِرِ حَتَّى يَرْفَعَهُ
بِالْكَفَّارَةِ ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَابِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا﴾ اِخْتَلَفَ النَّاسُ فِي مَعْنَى قَوْلِهِ
ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا عَلَى سِتَّةِ أَقْوَالٍ الأَوَّلُ أَنَّهُ إِيقَاعُ الظَّهَارِ فِي الإِسْلَامِ فَالمَعْنَى أَنَّهُمْ كَانُوا
يَظَاهِرُونَ فِي الجَاهِلِيَّةِ فَإِذَا فَعَلُوهُ فِي الإِسْلَامِ فَذَلِكَ عَوْدٌ إِلَيْهِ هَذَا قَوْلُ ابْنِ قَتَيْبَةَ فَتَجِبُ
الْكَفَّارَةُ عِنْدَهُ بِنَفْسِ الظَّهَارِ بِخِلَافِ أَقْوَالٍ غَيْرِهِ فَإِنَّ الكَفَّارَةَ لَا تَجِبُ إِلَّا بِالظَّهَارِ وَالعَوْدُ مَعًا.
الثَّانِي أَنَّ العَوْدَ هُوَ وَطْأُ الزَّوْجَةِ رُؤْيِي ذَلِكَ عَنِ مَالِكٍ فَلَا تَجِبُ الكَفَّارَةُ عَلَى هَذَا حَتَّى يَطْأَ
فَإِذَا وَطِئَ وَجِبَتْ عَلَيْهِ الكَفَّارَةُ سِوَاهُ أَمْسَکِ المَرْأَةِ أَوْ طَلَّقَهَا أَوْ مَاتَتِ الثَّلَاثُ أَنَّ العَوْدَ هُوَ
العِزْمُ عَلَى الوَطْئِ وَرُؤْيِي هَذَا أَيْضًا عَنِ مَالِكٍ فَإِذَا عَزَمَ عَلَى الوَطْئِ وَجِبَتْ الكَفَّارَةُ سِوَاهُ
أَمْسَکِ المَرْأَةِ أَوْ طَلَّقَهَا أَوْ مَاتَتِ الثَّلَاثُ أَيْضًا عَنِ مَالِكٍ فَالْوَطْئُ وَالعِزْمُ عَلَى الوَطْئِ وَالعِزْمُ عَلَى إِمْسَکِ

يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسًا ذَلِكَ تُوعِظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾
فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسًا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَاِطْعَامُ سِتِّينَ مَسْكِينًا ذَلِكَ

الزوجة وهذا أصح الروايات عن مالك . الخامس أنه العزم على الإمساك خاصة وهذا مذهب الشافعي فإذا ظاهر ولم يطلقها بعد الظهار وجبت الكفارة، السادس أنه تكرر الظهار مرة أخرى وهذا مذهب الظاهرية وهو ضعيف لأنهم لا يرون الظهار يوجب حكماً في أول مرة وإنما يوجب في الثانية وإنما نزلت الآية فيمن ظاهر أول مرة فذلك يرد عليهم ويختلف معنى لما قالوا باختلاف هذه الأقوال فأما على قول ابن قتيبة والظاهرية فما مصدرية والمعنى يعودون لقولهم وأما على سائر الأقوال فما بمعنى الذي والمعنى يعودون للوطء الذي حرّمه أو للعزم عليه أو للإمساك الذي تركوه أو للعزم عليه ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ جعل الله الكفارة في الظهار على ثلاثة أنواع مرتبة لا ينتقل إلى الثاني حتى يعجز عن الأول ولا ينتقل إلى الثالث حتى يعجز عن الثاني فالأول تحرير رقبة والثاني صيام شهرين متتابعين والثالث إطعام ستين مسكيناً فأما الرقبة فاشتراط مالك أن تكون مؤمنة لأن مذهبه حمل المطلق على المقيد وجاءت هنا مطلقة وجاءت في كفارة القتل مقيدة بالإيمان وأما صيام الشهرين فاشتراط فيه التتابع فإن أفسد الصائم التتابع باختياره ابتداءً من أوله باتفاق وإن أفسده بعذر كالمرض والنسيان فقال مالك يبني على ما كان فيه وقال أبو حنيفة يبتدىء، ورؤي القولان عن الشافعي، وأما الإطعام فمشهور مذهب مالك أنه مد لكل مسكين بمد هشام واختلف في مد هشام فقيل إنه مدان غير ثلث بمد النبي ﷺ، وقيل إنه مد وثلاث، وقيل إنه مدان وقال الشافعي وابن القصار يطعم مداً بمد النبي صلى الله عليه وآله وسلم لكل مسكين ولا يجزيه إلا كمال عدد الستين فإن أطعم مسكيناً واحداً ستين يوماً لم يجزه عند مالك والشافعي خلافاً لأبي حنيفة وكذلك إن أطعم ثلاثين مرتين والطعام يكون من غالب قوت البلد ﴿مِن قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسًا﴾ مذهب مالك والجمهور أن المسيس هنا يراد به الوطء وما دونه من اللمس والتقبيل فلا يجوز للمظاهر أن يفعل شيئاً من ذلك حتى يكفر. وقال الحسن والثوري أراد الوطء خاصة فأباحا ما دونه قبل الكفارة وذكر الله قوله من قبل أن يتماساً في التحريم والصوم ولم يذكره في الإطعام فاختلف العلماء في ذلك فحمل مالك الإطعام على ما قبله، ورأى أنه لا يكون إلا قبل المسيس وجعل ذلك من المطلق الذي يحمل على المقيد، وقال أبو حنيفة يجوز للمظاهر إذا كان من أهل الإطعام أن يطأ قبل الكفارة لأن الله لم ينص في الإطعام أنه قبل المسيس ﴿ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا﴾ قال ابن عطية الإشارة إلى الرخصة في النقل من

لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادِّثُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
 كَبُتُوا كَمَا كَبَتِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ
 اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ
 يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكْتُوْنَ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةَ إِلَّا هُوَ
 سَادِسُهُمْ وَلَا آدْفَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ
 بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَجَّوْنَ بِالْإِثْمِ
 وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ
 بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ بَصَلَتْهَا فَيَنْسُ الْمَصِيرُ ﴿٨﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَنَجَّيْتُمْ فَلَا تَنَجَّوْا
 بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَنَجَّوْا بِالْبِرِّ وَالنَّقْوَى وَأَتَقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا النَّجْوَى

التحرير إلى الصوم وقال الزمخشري المعنى ذلك البيان والتعليم لتؤمنوا، وهذا أظهر لأنه
 أعم ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادِّثُونَ اللَّهَ﴾ أي يخالفون ويعادون ﴿كَبُتُوا﴾ أي هلكوا وقيل لُعِنوا وقيل
 كبت الرجل إذا بقي خزياناً ونزلت الآية في المنافقين واليهود ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ﴾
 يحتمل أن يكون النجوى هنا بمعنى الكلام الخفي فيكون ثلاثة مضاف إليه بمعنى الجماعة
 من الناس فيكون ثلاثة بدل أو صفة، والأول أحسن ﴿إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ يعني بعلمه وإحاطته
 وكذلك سادسهم، وهو معهم أينما كانوا ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى﴾ نزل في قوم
 من اليهود كانوا يتناجون فيما بينهم ويتغامزون على المؤمنين فنهاهم رسول الله ﷺ عن ذلك
 فعادوا، وقيل نزلت في المنافقين، والأول أرجح لقوله: ﴿وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ
 بِهِ اللَّهُ﴾ لأن هذا من فعل اليهود والأحسن أن المراد والمنافقين معاً لقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى
 الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [المجادلة: ١٤] فنزلت الآية في الطائفتين ﴿وَإِذَا
 جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ﴾ كانت اليهود يأتون رسول الله ﷺ فيقولون السام عليك
 يا محمد بدلاً من السلام عليكم والسام الموت وهو ما أرادوه بقولهم وكان رسول الله صلى
 الله عليه وآله وسلم يقول لهم: «وعليكم» فسمعتهم عائشة يوماً فقالت بل عليكم السام
 واللعنة، فقال رسول الله ﷺ: «مهلاً يا عائشة إن الله يكره الفحش والتفحش»، فقالت أما
 سمعت ما قالوا قال: «أما سمعت ما قلت لهم إني قلت وعليكم» ويريد بقوله ما لم يحيك
 به الله قوله تعالى: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى﴾ ﴿وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا
 يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾ كانوا يأتون رسول الله ﷺ إذ ذاك فقال الله ﷻ ﴿حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ﴾

مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزَنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ أَنْشُرُوا فَأَنْشُرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَوَّحَتْهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ

أي يكفيهم ذلك عذاباً ﴿إِنَّمَا التَّخَوُّي مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزَنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ قيل يعني النجوى بالإثم والعدوان ومعصية الرسول وحذف وصفها بذلك للدلالة الأول عليه وقيل أراد نجوى اليهود والمنافقين ويؤيد هذا قوله ليجزي الذين آمنوا ﴿إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا﴾ اختلف في سبب نزول الآية ف قيل في مقاعد الحرب والقتال وقيل نزلت بسبب ازدحام الناس، في مجلس رسول الله ﷺ وحرصهم على القرب منه وقيل أقام النبي ﷺ، قوماً ليجلس أسيافاً من أهل بدر في مواضعهم، فنزلت الآية ثم اختلفوا هل هي مقصورة على مجلس النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو هي عامة في جميع المجالس، فقال قوم إنها مخصوصة ويدل على ذلك قراءة المجلس بالإنفراد، وذهب الجمهور إلى أنها عامة ويدل على ذلك قراءة المجالس بالجمع وهذا هو الأصح ويكون المجلس بالإنفراد على هذا للجنس والتفسيح المأمور به هو التوسع دون القيام ولذلك قال رسول الله ﷺ: «لا يقيم أحد من مجلسه ثم يجلس الرجل فيه ولكن تفسحوا وتوسعوا» وقد اختلف في هذا النهي عن القيام من المجلس لأخذ هل هو على التحريم أو الكراهة ﴿يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ﴾ أي يوسع لكم في جنته ورحمته ﴿وَإِذَا قِيلَ أَنْشُرُوا فَأَنْشُرُوا﴾ أي إذا قيل لكم ارتفعوا، وقوموا فافعلوا ذلك واختلف في هذا الشئور المأمور به ف قيل إذا دعوا إلى قتال أو صلاة أو فعل طاعة، وقيل إذا أمروا بالقيام من مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لأنه كان يحب الانفراد أحياناً، وربما جلس قوم حتى يؤمروا بالقيام، وقيل المراد القيام في المجلس للتوسع ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ فيها قولان أحدهما يرفع الله المؤمنين العلماء درجات ف قوله والذين أوتوا العلم درجات صفة للذين آمنوا كقوله جاءني العاقل الكريم وأنت تريد رجلاً واحداً، والثاني يرفع الله المؤمنين والعلماء الصنفين جميعاً درجات فالدرجات على الأول للمؤمنين بشرط أن يكونوا علماء وعلى الثاني للمؤمنين الذين ليسوا علماء، وللعلماء أيضاً ولكن بين درجات العلماء وغيرهم تفاوت يوجد في موضع آخر كقوله ﷺ: «فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب»، وقوله عليه الصلاة والسلام: «فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم رجلاً»، وقوله عليه السلام: «يشفع يوم القيامة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء فإذا كان لهم فضل على العابدين

خَيْرٌ ﴿١١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَانِكُمْ صَدَقَةٌ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطَهَرُ
فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٢﴾ أَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَانِكُمْ صَدَقْتُمْ فَإِذَا لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ
عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى
الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكُذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ أَعَدَّ اللَّهُ
لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ
عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٦﴾ لَنْ نَعْفِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا أَوْلَادَهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا
خَالِدُونَ ﴿١٧﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلَّا إِنَّمَا هُمْ

والشهداء، فما ظنك بفضلهم على سائر المؤمنين» ﴿إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ
نَجْوَانِكُمْ صَدَقَةٌ﴾ قال ابن عباس سببها أن قوماً من شبان المسلمين كثرت مناجاتهم للنبي ﷺ
في غير حاجة، لتظهر منزلتهم وكان النبي ﷺ سمحاً لا يرد أحدًا، فنزلت الآية مشددة في
أمر المناجاة، وقيل سببها أن الأغنياء غلبوا الفقراء على مناجاة النبي ﷺ وهذه الآية
منسوخة باتفاق نسخها قوله بعدها: ﴿أَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَانِكُمْ صَدَقَاتٍ﴾ الآية:
فأباح الله لهم المناجاة دون تقديم صدقة بعد أن كان أوجب تقديم الصدقة قبل مناجاته عليه
السلام، واختلف هل كان هذا النسخ بعد أن عمل بالآية أم لا؟ فقال قوم لم يعمل بها أحد
وقال قوم عمل بها علي بن أبي طالب رضي الله عنه روي أنه كان له ديناراً فصرفه بعشرة
دراهم ونجاه عشر مرات تصدق في كل مرة منها بدرهم وقيل تصدق في كل مرة بدينار ثم
أنزل الله الرخصة لمن كان قادراً على الصدقة وأما من لم يجد فالرخصة لم تنزل ثابتة له
بقوله: ﴿فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ التوبة هنا يراد بها عفو
الله عنهم في تركهم للصدقة التي أمروا بها أو تخفيفها بعد وجوبها ﴿فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا
الزَّكَاةَ﴾ أي دوموا على هذه الأعمال التي هي قواعد شرعكم دون ما كنتم قد كلفتكم من
الصدقة عند المناجاة ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ نزلت في قوم من
المنافقين تولوا قوماً من اليهود وهم الذين غضب الله عليهم ﴿مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ﴾ يعني
أن المنافقين ليسوا من المسلمين ولا من اليهود فهو كقوله فيهم: ﴿مُذَبِّبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى
هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ﴾ [النساء: ١٤٣] ﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكُذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ يعني أن
المنافقين كانوا إذا عوتبوا على سوء أقوالهم وأفعالهم حلفوا أنهم ما قالوا ولا فعلوا وقد
صدر ذلك منهم مراراً

الْكٰذِبُونَ ﴿١٨﴾ اَسْتَحُوْذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطٰنُ فَاَنْسَهُمْ ذِكْرُ اللّٰهِ اَوْلٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطٰنِ اَلَا اِنَّ حِزْبَ الشَّيْطٰنِ هُمْ الْخٰسِرُونَ ﴿١٩﴾ اِنَّ الَّذِيْنَ يُحٰدِثُوْنَ اللّٰهَ وَرَسُوْلَهٗٓ اَوْلٰئِكَ فِي الْاٰذَلِيْنَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ اللّٰهُ لَآعْلِيْنَ اَنَا وَرَسُوْلِيْٓ اِنَّ اللّٰهَ قَوِيٌّ عَزِيْزٌ ﴿٢١﴾ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُوْنَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْاٰخِرِ يُوَادُّوْنَ مَنْ حٰدَا اللّٰهَ وَرَسُوْلَهٗٓ وَلَوْ كَانُوْا اٰبَاءَهُمْ اَوْ اَبْنَاءَهُمْ اَوْ اِخْوَانَهُمْ اَوْ عَشِيْرَتَهُمْ اَوْلٰئِكَ كَتَبَ فِيْ قُلُوْبِهِمُ الْاِيْمٰنَ وَاَيَّدَهُمْ بِرُوْحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِيْ مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهٰرُ خٰلِدِيْنَ فِيْهَا رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُمْ وَرَضُوْا عَنْهُ اَوْلٰئِكَ حِزْبُ اللّٰهِ اَلَا اِنَّ حِزْبَ اللّٰهِ هُمُ الْمُفْلِحُوْنَ ﴿٢٢﴾

الجنة ما يستتر به ويتقى به المحذور كالترس، ثم استعمل هنا استعارة لأنهم كانوا يُظهرون الإسلام لتعصم دماؤهم وأموالهم، وقرىء اتخذوا بكسر الهمزة ﴿اَسْتَحُوْذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطٰنُ﴾ أي غلب عليهم وتملك نفوسهم ﴿فِي الْاٰذَلِيْنَ﴾ أي في جملة الأذلين: أي معهم ﴿كَتَبَ اللّٰهُ﴾ أي قضى وقدر ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا﴾ الآية: معناها لا تجد مؤمنا يحب كافرا ولو كان أقرب الناس إليه وهذه حال المؤمن الصادق الإيمان، ولذلك كان الصحابة رضي الله عنهم يقاتلون آباءهم وأبناءهم وإخوانهم إذا كانوا كفارا، فقد قتل أبو عبيدة بن الجراح آباء يوم أحد، وقتل مصعب بن عمير أخاه عزيز بن عمير يوم أحد، ودعا أبو بكر الصديق ابنه يوم بدر للبراز فأمره النبي ﷺ أن يقعد، وقيل إن الآية نزلت في حاطب حين كتب إلى المشركين يخبرهم بأخبار رسول الله ﷺ، والأحسن أنها على العموم، وقيل نزلت فيمن يصحب السلطان وذلك بعيد ﴿يُوَادُّوْنَ﴾ هذه مفاعلة من المودة فتقتضي أن المودة من الجهتين ﴿مَنْ حٰدَا اللّٰهَ﴾ أي عاداه وخالفه ﴿كَتَبَ فِي قُلُوْبِهِمُ الْاِيْمٰنَ﴾ أي أثبتة فيها كأنه مكتوب ﴿وَأَيَّدَهُمْ بِرُوْحٍ مِّنْهُ﴾ أي بلطف وهدى وتوفيق وقيل بالقرآن، وقيل بجبريل ﴿اَوْلٰئِكَ حِزْبُ اللّٰهِ﴾ هذه في مقابلة قوله أولئك حزب الشيطان، والحزب هم الجماعة المتحزبون لمن أضيفوا إليه.

سورة الحشر

مدينة وآياتها ٢٤ نزلت بعد البينة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِنَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نزلت هذه السورة في يهود بني النضير وكانوا في حصون بمقربة من المدينة، وكان بينهم وبين رسول الله ﷺ عهد، فأرادوا غيره فأطلعه الله على ذلك فخرج إليهم وحاصرهم إحدى وعشرين ليلة حتى صالحوه على أن يخرجوا من حصونهم فخرجوا منها وتفرقوا في البلاد ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني بني النضير ﴿لأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾ في معناه أربعة أقوال: أحدها أنه حشر القيامة أي خروجهم من حصونهم أول الحشر والقيام من القبور آخره، ورؤي في هذا المعنى أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لهم: «امضوا هذا أول الحشر، وأنا على الأثر»، الثاني: أن المعنى الأول موضع الحشر وهو الشام، وذلك أن أكثر بني النضير خرجوا إلى الشام، وقد جاء في الأثر أن حشر القيامة إلى أرض الشام، ورؤي في هذا المعنى أن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال لبني النضير: «اخرجوا»، قالوا: إلى أين؟

اللَّهُ فَانْتَهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَدَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي
 الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ ﴿٢﴾ وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَهُمْ
 فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ﴿٣﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤﴾
 مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ ﴿٥﴾ وَمَا أَفَاءَ

الذي هو الجلاء والإخراج، وإخراجهم من حصونهم أول الحشر، وإخراج أهل خيبر
 آخره، الرابع: أن معناه إخراجهم من ديارهم لأول ما حشر لقتالهم لأنه أول قتال قاتلهم
 النبي ﷺ. وقال الزمخشري اللام في قوله لأول بمعنى عند كقولك جئت لوقت كذا ﴿مَا
 ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا﴾ يعني لكثرة عدتهم ومنعة حصونهم ﴿فَأَنآأَهُمُ اللَّهُ﴾ عبارة عن أخذ الله
 لهم ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ أما إخراج المؤمنين فهو هدم أسوار
 الحصون ليدخلوها، وأسند ذلك إلى الكفار في قوله يخربون لأنه كان بسبب كفرهم
 وغدرهم، وأما إخراج الكفار لبيوتهم فلثلاثة مقاصد: أحدها حاجتهم إلى الخشب
 والحجارة لیسدوا بها أفواه الأرزق ويحصنوا ما خربه المسلمون من الأسوار، والثاني ليحملوا
 معهم ما أعجبهم من الخشب والسواري وغير ذلك. الثالث أن لا تبقى مساكنهم مبنية
 للمسلمين فهدموا شحاً عليها ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ﴾ استدلل الذين أثبتوا القياس في
 الفقه بهذه الآية واستدلوا بها بضعف خارج عن معناها ﴿وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ
 لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا﴾ الجلاء هو الخروج عن الوطن، فالمعنى لولا أن كتب الله على بني
 النضير خروجهم عن أوطانهم لعذبهم في الدنيا بالسيف كما فعل بإخوانهم بني قريظة،
 ولهم مع ذلك عذاب النار ﴿شَاقُوا﴾ ذكر في الأنفال ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنَةٍ﴾ اللينة هي النخلة
 وقيل هي الكريمة من النخل، وقيل النخلة التي ليست بعجوة، وقيل ألوان النخل المختلط،
 وسبب الآية أن رسول الله ﷺ لما نزل على حصون بني النضير قطع المسلمون بعض
 نخلهم وأحرقوه فقال بنو النضير ما هذا إلا فساد يا محمد وأنت تهني عن الفساد، فنزلت
 الآية معلمة أن كل ما جرى من قطع أو إمساك فإن الله أذن للمسلمين في ذلك ﴿لِيُخْزِيَ
 الْفَاسِقِينَ﴾ يعني بني النضير، واستدل بعض الفقهاء بهذه الآية على أن كل مجتهد مصيب،
 فإن الله قد صوب فعل من قطع النخل ومن تركها، واختلف العلماء في قطع شجر
 المشركين وتخريب بلادهم فأجازه الجمهور لهذه الآية، وإقرار رسول الله ﷺ على تحريق
 نخل بني النضير، وكرهه قوم لوصية أبي بكر الصديق رضي الله عنه الجيش الذي وجهه إلى
 الشام أن لا يقطعوا شجراً مثمراً ﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ

اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَا كَنَّ اللَّهُ يَسْلُطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَالرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ

وَلَا رِكَابٍ ﴿٦﴾ معنى أفاء الله: جعله فيئا لرسول الله ﷺ، وأوجفتم من الوجيف وهو سرعة السير، والركاب هي الإبل، والمعنى أن ما أعطى الله رسوله من أموال بني النضير لم يمش المسلمون إليه بخيل ولا إبل ولا تعبوا فيه ولا حصلوه بقتال ولكن حصل بتسليط رسوله ﷺ على بني النضير، فأعلم الله من هذه الآية أن ما أخذه من بني النضير وما أخذه من فذك: فهو فيء خاص بالنبى ﷺ يفعل فيه ما يشاء، لأنه لم يوجف عليها ولا قوتلت كبير قتال فهما بخلاف الغنيمة التي تؤخذ بالقتال فأخذ رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم لنفسه من أموال بني النضير قوت عياله وقسم سائرهما في المهاجرين، ولم يعط الأنصار منها شيئا غير أن أبا دجاجة وسهل بن حنيف شكوا فاعطاهما رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم منها سهما، هذا قول جماعة، وقال عمر بن الخطاب كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ينفق منها على أهله نفقة سنة وما بقي جعله في السلاح والكرع عذة في سبيل الله وقال قوم من العلماء وكذلك كل ما فتحه الأئمة مما لم يوجف عليه فهو لهم خاصة يأخذون منه حاجتهم ويصرفون باقيه في مصالح المسلمين ﴿٦﴾ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَالرَّسُولِ ﴿٦﴾ الآية اضطرب الناس في تفسير هذه الآية وحكمها اضطرابا عظيما فإن ظاهرها أن الأموال التي تؤخذ للكفار تكون لله وللرسول ومن ذكر بعد ذلك ولا يخرج منها خمس، ولا تقسم على من حضر الواقعة وذلك يعارض ما ورد في الأنفال من إخراج الخمس، وقسمة سائر الغنيمة على من حضر الواقعة فقال بعضهم إن هذه الآية منسوخة بآية الأنفال وهذا خطأ لأن آية الأنفال نزلت قبل هذه بمدة وقال بعضهم إن آية الأنفال في الأموال التي تغنم ما عدا الأرض، وأن هذه الآية في أرض الكفار قالوا ولذلك لم يقسم عمر بن الخطاب رضي الله عنه أرض مصر والعراق بل تركها لمصالح المسلمين، وهذا التخصيص لا دليل عليه وقيل غير ذلك، والصحيح أنه لا تعارض بين هذه الآية وبين آية الأنفال، فإن آية الأنفال في حكم الغنيمة التي تؤخذ بالقتال وإيجاف الخيل والركاب، فهذا يخرج منه الخمس ويقسم باقيه على الغانمين، وأما هذه الآية ففي حكم الفيء وهو ما يؤخذ من أموال الكفار من غير قتال ولا إيجاف خيل ولا ركاب، وإذا كان كذلك فكل واحدة من الآيتين في معنى غير معنى الأخرى ولها حكم غير حكم الأخرى فلا تعارض

وَأَلْبَسْتَنِي وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةٌ بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِالرُّسُولِ فَخُذُوهُ
 وَمَا نَهَيْكُمْ عَنْهُ فَأَنْتَهُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٧﴾ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ
 دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾

لفظ الغنيمة وقد تقرر في الفقه الفرق بين الفيء والغنيمة، وأن حكمهما مختلف، قاله أبو
 محمد بن الفرس: وهو قول الجمهور وبه قال مالك وجميع أصحابه وهو أظهر الأقوال
 وأما فعل عمر في أرض مصر والعراق، فالصحيح أنه فعل ذلك لمصلحة المسلمين بعد
 استطابة نفوس الغانمين بقوله تعالى: ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾ يريد بغير
 قتال ولا إيجاف خيل ولا ركاب كما كانت أموال بني النضير، ولكنه حذف هذا لقوله في
 الآية قبل هذا ﴿فَمَا أُوجِفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾ فاستغنى بذكر ذلك أولاً عن ذكره
 ثانياً ولذلك لم تدخل الواو العاطفة في هذه الجملة لأنها من تمام الأولى فهي غير أجنبية
 منها فإنه بين في الآية الأولى حكم أموال بني النضير، وبين في هذه الآية حكم ما كان
 مثلها من أموال غيرهم على العموم، ويصرف الفيء فيما يصرف فيه خمس الغنائم لأن الله
 سوى بينهما في قوله ﴿فَلِلَّهِ وَلِلرُّسُولِ وَلِلَّذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾، وقد
 ذكرنا ذلك في الأنفال فأغنى عن إعادته وقد ذكرنا في الأنفال معنى قوله لله وللرسول وما
 بعد ذلك ﴿كَمَنْ لَا يَكُونُ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾ أي كيلا يكون الفيء الذي أفاء الله على
 رسوله من أهل القرى دولة ينتفع به الأغنياء دون الفقراء، وذلك أن رسول الله صلى الله
 عليه وآله وسلم قسم أموال بني النضير على المهاجرين فإنهم كانوا حيثئذ فقراء، ولم يعط
 الأنصار منها شيئاً فإنهم كانوا أغنياء فقال بعض الأنصار لنا سهمنا من هذا الفيء فأنزل الله
 هذه الآية، والدولة بالضم والفتح ما يدول الإنسان أي يدور عليه من الخير، ويحتمل أن
 يكون من المداوله أي كي لا يتداول ذلك المال الأغنياء بينهم ويبقى الفقراء بلا شيء ﴿وَمَا
 آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَأَنْتَهُوا﴾ نزلت بسبب الفيء المذكور: أي ما آتاكم
 الرسول من الفيء فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا، فكانها أمر للمهاجرين بأخذ الفيء ونهي
 للأنصار عنه، ولفظ الآية مع ذلك عام في أوامر رسول الله ﷺ أو نواهي، ولذلك استدلت
 بها عبد الله بن مسعود على المنع من لبس المحترم المخيط ولعن الواشمة والواصلة في
 القرآن لورود ذلك عن رسول الله ﷺ.

﴿لِلْفُقَرَاءِ﴾ هذا بدل من قوله لذي القربى واليتامى والمسكين وابن السبيل ليعين بذلك
 أن المراد المهاجرين ووصفهم بأنهم أخرجوا من ديارهم وأموالهم لأنهم هاجروا من مكة

وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ

وتركوا فيها أموالهم وديارهم ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ هم الأنصار والدار هي المدينة لأنها كانت بلدهم والضمير في قبلهم للمهاجرين، فإن قيل كيف قال تبوؤوا الدار والإيمان وإنما تبوؤوا الدار أي تسكن ولا يتبوأ الإيمان؟ فالجواب من وجهين: الأول أن معناه تبوؤوا الدار وأخلصوا الإيمان فهو كقولك: فعلقتها تبتاً وماءً بارداً: تقديره: علقتها تبتاً وسقيتها ماءً بارداً، الثاني أن المعنى أنهم جعلوا الإيمان كله موطن لهم لتمكّنهم فيه كما جعلوا المدينة كذلك. فإن قيل: قوله من قبلهم يقتضي أن الأنصار سبقوا المهاجرين بنزول المدينة وبالإيمان، فأما سبقهم لهم بنزول المدينة فلا شك فيه لأنها كانت بلدهم، وأما سبقهم لهم بالإيمان فمشكل، لأن أكثر المهاجرين أسلم قبل الأنصار. فالجواب من وجهين: أحدهما أنه أراد بقوله من قبلهم من قبل هجرتهم، والآخر أنه أراد تبوؤوا الدار مع الإيمان معاً أي جمعوا بين الحالتين قبل المهاجرين، لأن المهاجرين إنما سبقوهم بالإيمان لا بتبوء الدار فيكون الإيمان على هذا مفعولاً معه، وهذا الوجه أحسن لأنه جواب عن هذا السؤال وعن السؤال الأول، فإنه إذا كان الإيمان مفعولاً معه لم يلزم السؤال الأول، إذ لا يلزم إلا إذا كان الإيمان معطوفاً على الدار ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا﴾ قيل إن الحاجة هنا بمعنى الحسد، ويحتمل أن تكون بمعنى الاحتجاج على أصلها والضمير في يجدون للأنصار، وفي أوتوا للمهاجرين، والمعنى أن الأنصار تطيب نفوسهم بما يعطاه المهاجرون من الفيء وغيره، ولا يجدون في صدورهم شيئاً بسبب ذلك ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ﴾ أي يؤثرون غيرهم بالمال على أنفسهم ولو كانوا في غاية الاحتياج والخصاصة هي الفاقة. وروى أن سبب هذه الآية أن رسول الله ﷺ لما قسم هذه القرى على المهاجرين دون الأنصار قال للأنصار: «إن شئتم قسمتم للمهاجرين من أموالكم ودياركم وشاركتموهم في هذه الغنيمة وإن شئتم أمسكتم أموالكم وتركتم لهم هذه» فقالوا بل نقسم لهم من أموالنا ونترك لهم هذه الغنيمة، وروى أيضاً أن سببها أن رجلاً من الأنصار أضاف رجلاً من المهاجرين فذهب الأنصاري بالضيف إلى منزله فقالت له امرأته والله ما عندنا إلا قوت الصبيان فقال لها نومي صبيانك وأطفئي السراج، وقدمي ما عندك للضيف ونوهمه نحن أنا نأكل ولا نأكل ففعلاً ذلك فلما غدا على رسول الله ﷺ فقال له عجب الله من فعلكما البارحة ونزلت الآية ﴿وَ﴾ Made searchable using ScribeTools.com سخ النفس هو البخل

الْمُفْلِحُونَ ﴿١٦٠﴾ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٦١﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٦٢﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُوهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَرَ ثُمَّ لَا يُصَرِّفُونَ ﴿١٦٣﴾ لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهَبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿١٦٤﴾ لَا يَقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى

والطمع وفي هذا إشارة إلى أن الأنصار وقاهم الله شح أنفسهم فمدحهم الله بذلك، وبأنهم يؤثرون على أنفسهم وبأنهم لا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتى المهاجرون وأنهم يحبون المهاجرين ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ جَاءُوا هذا معطوف على المهاجرين والأنصار المذكورين قبل فالمعنى أن الفياء للمهاجرين والأنصار ولهؤلاء الذين جاؤوا من بعدهم ويعني بهم الفرقة الثالثة من الصحابة وهم من عدا المهاجرين والأنصار كالذين أسلموا يوم فتح مكة وقيل يعني من جاء بعد الصحابة وهم التابعون ومن تبعهم إلى يوم القيامة وعلى هذا حملها مالك فقال: إن من قال في أحد من الصحابة قول سوء فلا حظ له في الغنيمة والفياء، لأن الله وصف الذين جاؤوا بعد الصحابة بأنهم يقولون ربنا اغفر لنا وإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، فمن قال ضد ذلك فقد خرج عن الذين وصفهم الله ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا﴾ الآية: نزلت في عبد الله بن أبي بن سلول وقوم من المنافقين بحثوا إلى بني النضير، وقالوا لهم اثبتوا في حصونكم فإننا معكم كيف ما تقلت حالكم ﴿وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا﴾ أي لا نسمع فيكم قول قائل ولا نطيع من يأمرنا بخذلانكم ثم كذبهم الله في هذه المواعيد التي وعدوا بها، فإن قيل: كيف قال لئن نصرورهم ليوطن الأديار بعد قوله لا ينصرونهم؟ فالجواب: إن المعنى على الفرض والتقدير أي لو فرضنا أن ينصروهم لوطن الأديار ﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهَبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ﴾ الرهبة هي الخوف، والمعنى أن المنافقين واليهود يخافون الناس أكثر مما يخافون الله ﴿لَا يَقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ﴾ أي لا يقادرون على قتالكم مجتمعين إلا وهم في قرى محصنة بالأسوار والخنادق أو من وراء الحيطان دون أن يخرجوا إليكم ﴿بَأْسُهُمْ شَدِيدٌ﴾ يعني عداوة بعضهم البعض ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾ أي تظن أنهم مجتمعون بالألفة

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿١٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾ لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ

والمودة وقلوبهم متفرقة بالمخالفة والشحناء ﴿كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا﴾ أي هؤلاء اليهود كمثل الذين من قبلهم يعني يهود بني قينقاع فإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أجلاهم عن المدينة قبل بني النضير فكانوا أمثالهم وقيل يعني أهل بدر الكفار، فإنهم قبلهم ومثلاً لهم في أن غلبوا وقهروا والأول أرجح لأن قوله قريباً يقتضي أنهم كانوا قبلهم بمدة سيرة وذلك أوقع على بني قينقاع وأيضاً فإن تمثيل بني النضير ببني قينقاع أليق لأنهم يهود مثلهم، وأخرجوا من ديارهم كما فعل بهم. وذلك هو المراد بقوله: ﴿ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾ وقريباً ظرف زمان ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ﴾ مثل الله المنافقين الذين أغروا يهود بني النضير ثم خذلوهم بعد ذلك بالشیطان فإنه يغوي ابن آدم ثم يتبرأ منه والمراد بالشیطان والإنسان هنا الجنس، وقيل أراد الشيطان الذي أغوى قريشاً يوم بدر وقال لهم إني جار لكم، وقيل المراد بالإنسان برصيص العابد، فإنه استودع امرأة فزين له الشيطان الوقوع عليها فحملت فخاف الفضيحة فزين له الشيطان قتلها فلما وجدت مقتولة تبين ما فعل فتعرض له الشيطان قال له اسجد لي أنجيك فسجد له فتركه الشيطان وقال له إني بريء منك وهذا ضعيف في النقل، والأول أرجح ﴿فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ﴾ الضميران يعودان على الشيطان والإنسان، وفي ذلك تمثيل للمنافقين واليهود ﴿وَلَتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ هذا أمر بأن تنظر كل نفس ما قدمت من أعمالها ليوم القيامة ومعنى ذلك محاسبة النفس لتكف عن السيئات وتزيد من الحسنات، وإنما عبر عن يوم القيامة بغد تقريباً له لأن كل ما هو آت قريب، فإن قيل: لِمَ كَرَّرَ الأَمْرَ بالتقوى؟ فالجواب من وجهين: أحدهما أنه تأكيد، والآخر وهو الأحسن أنه أمر أولاً بالتقوى استعداداً ليوم القيامة، ثم أمر به ثانياً لأن الله خير بما يعملون، فلما اختلف الموجبات كثره مع كل واحد منهما ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ﴾ يعني الكفار والنسوان هنا بحتم أن يكونوا من الكفرة أي نسوا حق الله

خَشِعًا مُّصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٦﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ الْغَيْبُ وَالشَّهَادَةُ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٦٧﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلَّاقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٩﴾

فأنساهم حقوق أنفسهم والنظر لها ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ﴾ الآية: تويخ لابن آدم على قسوة قلبه وقلة خشوعه عند تلاوة القرآن فإنه إذا كان الجبل يخشع ويتصدع لو سمع القرآن فما ظنك بابن آدم ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ أي يعلم ما غاب عن المخلوقين وما شاهده وقيل الغيب الآخرة والشهادة الدنيا، والعموم أحسن ﴿الْقُدُّوسُ﴾ مشتق من التقديس، وهو التنزه عن صفات المخلوقين وعن كل نقص وعيب وصيغة فعول للمبالغة كالسبوح ﴿السَّلَامُ﴾ في معناه قولان: أحدهما الذي سلم عباده من الجور، والآخر السليم من النقائص، وأصله مصدر بمعنى السلامة وصف به مبالغة أو على حذف مضاف تقديره ذو السلام ﴿الْمُؤْمِنُ﴾ فيه قولان: أحدهما أنه من الأمن أي الذي آمن عباده، والآخر أنه من الإيمان أي المصدق لعباده في إيمانهم أو في شهادتهم على الناس يوم القيامة أو المصدق نفسه في أقواله ﴿الْمُهَيْمِنُ﴾ في معناه ثلاثة أقوال الرقيب والشاهد والأمين، قال الزمخشري أصله مؤيمن بالهمزة ثم أبدلت هاء ﴿الْجَبَّارُ﴾ في معناه قولان: أحدهما أنه من الإيجاب بمعنى القهر، والآخر أنه من الجبر أي يجبر عباده برحمته، والأول أظهر ﴿الْمُتَكَبِّرُ﴾ أي الذي له التكبر حقاً ﴿الْبَارِئُ﴾ أي الخالق يقال أبرأ الله الخلق أي خلقهم ولكن البارئ والفاطر يراد بهما الذي برأ الخلق وابتدعه ﴿الْمُصَوِّرُ﴾ أي خالق الصور ﴿لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ قال رسول الله ﷺ: «إن لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة»، قال المؤلف: قرأت القرآن على الأستاذ الصالح أبي عبد الله بن الكماد فلما بلغت إلى آخر سورة الحشر قال لي: ضع يدك على رأسك، فقلت له: ولم ذلك؟ قال: لأنني قرأت على القاضي أبي علي بن أبي الأحوص فلما انتهيت إلى خاتمة الحشر قال لي: ضع يدك على رأسك وأسند الحديث إلى عبد الله بن مسعود، قال: قرأت على النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فلما انتهيت إلى خاتمة الحشر قال لي: «ضع يدك على رأسك»، قلت: ولم ذلك يا رسول الله فذاك أبي وأمي؟ قال: «أقراني جبريل القرآن فلما انتهيت إلى خاتمة الحشر، قال لي: ضع يدك على رأسك يا محمد، قلت: ولم ذلك؟ قال: إن الله تبارك وتعالى افتتح

القرآن فضرِب فيه فلما انتهى إلى خاتمة سورة الحشر أمر الملائكة أن تضع أيديها على رؤوسها فقالت: يا ربنا ولم ذلك؟ قال: إنه شفاء من كل داء إلا السام، والسام الموت».

سورة الممتحنة

مدنية وآياتها ١٣ نزلت بعد الأحزاب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنْ
الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهْدًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ العدو يطلق على الواحد والجماعة، والمراد به هنا كفار قريش وهذه الآية نزلت بسبب حاطب بن أبي بلتعة وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أراد الخروج إلى مكة عام الحديبية فوزى عن ذلك بخبير فشاخ في الناس أنه خارج إلى خيبر وأخبر هو جماعة من كبار أصحابه بقصده إلى مكة منهم حاطب فكتب بذلك حاطب إلى قوم من أهل مكة فجاء الخبر إلى رسول الله ﷺ من السماء فبعث علي بن أبي طالب والزبير والمقداد وقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها طعينة معها كتاب من حاطب إلى المشركين فانطلقوا حتى وجدوا المرأة فقالوا لها أخرجي الكتاب فقالت ما معي كتاب ففتشوا جميع رحلها فما وجدوا شيئاً فقال بعضهم ما معها كتاب فقال علي بن أبي طالب ما كذب رسول الله ﷺ ولا كذب الله، والله لتخرجن الكتاب أو لنجرذنك قالت أعرضوا عني فأخرجته من قرون رأسها، وقيل أخرجته من حجرتها فجاؤا

تُسْرُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمُودَةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَحْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَقَعْلَهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١﴾
 إِنْ يَتَّقَوْكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَسْطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَالسِّنَنَهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾ لَنْ
 نَنفَعَكُمْ أَرْحَامَكُمْ وَلَا أَوْلَادَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ
 أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا

به رسول الله ﷺ فقال لحاطب: «من كتب هذا» قال أنا يا رسول الله ولكن لا تعجل علي فوالله ما فعلت ذلك ارتداداً عن ديني ولا رغبة في الكفر ولكني كنت امرأة مخلصاً في قريش، ولم أكن من أنفسها فأحببت أن تكون لي عندهم يد يرعونني بها في قرابتي، فقال عمر بن الخطاب دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق، فقال رسول الله ﷺ: «صدق حاطب إنه من أهل بدر، وما يدريك يا عمر لعل الله قد أطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم لا تقولوا لحاطب إلا خيراً» فنزلت الآية عتاباً لحاطب وزجراً عن أن يفعل أحد مثل فعله، وفيها مع ذلك تشريف له، لأن الله شهد له بالإيمان في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ ﴿تَلْقَوْنَ إِلَيْهِم بِالْمُودَةِ﴾ عبارة عن إيصال المودة إليهم وألقى يتعدى بحرف جر وبغير حرف جر كقوله: ﴿الْقَيْنْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي﴾ [طه: ٣٩] وهذه الجملة في موضع الحال من الضمير في قوله: ﴿لَا تَتَّخِذُوا﴾ أو في موضع الصفة لأولياء أو استئناف ﴿وَقَدْ كَفَرُوا﴾ حال من الضمير في لا تتخذوا أو في تلقون ﴿يُخْرِجُونَ الرُّسُولَ وَإِنَّا كُفْرًا﴾ أي يخرجون الرسول ويخرجونكم يعني إخراجهم من مكة، فإنهم ضيقوا عليهم وأذوهم حتى خرجوا منها مهاجرين إلى المدينة، ومنهم من خرج إلى أرض الحبشة ﴿أَنْ تُوْمِنُوا﴾ مفعول من أجله أي يخرجونكم من أجل إيمانكم ﴿إِنْ كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي﴾ جواب هذا الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه وهو لا تتخذوا، والتقدير إن كنتم خرجتم جهاداً في سبيلي وابتغاء مرضاتي فلا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء جهاداً مصدر في موضع الحال أو مفعول من أجله وكذلك ابتغاء ﴿إِنْ يَتَّقَوْكُمْ﴾ معناه إن يظفروا بكم ﴿وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ أي تمتوا أن تكفروا فتكونون مثلهم، قال الزمخشري وإنما قال ودوا بلفظ الماضي بعد أن ذكر جواب الشرط بلفظ المضارع لأنهم أرادوا كفركم قبل كل شيء ﴿لَنْ نَنفَعَكُمْ أَرْحَامَكُمْ وَلَا أَوْلَادَكُمْ﴾ إشارة إلى ما قصد حاطب من رعي قرابته ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ﴾ يحتمل أن يكون من الفصل بالحكم بينهم أو من الفصل بمعنى التفريق أي يفرق بينكم وبين قرابتكم يوم القيامة، وقيل إن العامل في يوم القيامة ما قبله وذلك بعيد ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾

بِكُفْرٍ وَبِدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ ۗ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ
لَكَ وَمَا أَمْرُكَ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ۗ رَبَّنَا عَلَيْنِكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنبَأْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً
لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَأَغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٥﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ
يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ۗ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٦﴾ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ
عَادَيْتُمْ مَوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧﴾ لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ
يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِينِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ

بإبراهيم الخليل عليه السلام وبالذين معه في عداوة الكفار والتبري من معنى والذين معه من آمن به من الناس، وقيل الأنبياء الذين كانوا في عصره وقريباً من عصره، ورجح ابن عطية هذا القول بما ورد في الحديث أن إبراهيم عليه السلام قال لزوجته ما على الأرض مؤمن بالله غيري وغيرك ﴿برأء﴾ جمع بريء ﴿كفرنا بكم﴾ أي كذبناكم في أقوالكم، ويحتمل أن يكون عبارة عن إفراط البغض والمقاطعة لهم ﴿إلا قوله إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك﴾ هذا استثناء من قوله أسوة حسنة، فالمعنى اقتدوا بهم في عداوتهم للكفار ولا تقتدوا بهم في هذا، لأن إبراهيم وعد أباه أن يستغفر له فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه، وقيل الاستثناء من التبري والقطيعة، والمعنى تبرأ إبراهيم والذين معه من الكفار إلا أن إبراهيم وعد أباه أن يستغفر له ﴿ربنا عليك توكلنا﴾ هذا من كلام سيدنا إبراهيم عليه السلام والذين معه وهو متصل بما قبل الاستثناء فهو من جملة ما أمروا أن يقتدوا به ﴿ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا﴾ في معناه قولان: أحدهما لا تنصروهم علينا فيكون ذلك لهم فتنة وسبب ضلالهم لأنهم يقولون غلبناهم فيكون ذلك لهم لأننا على الحق وهم على الباطل والآخر: لا تسلطهم علينا فيفتنونا عن ديننا، ورجح ابن عطية هذا، لأنه دعاء لأنفسهم وأما على القول الأول فهو دعاء للكفار ولكن مقصدهم ليس الدعاء للكفار وإنما هو دعاء لأنفسهم بالنصر بحيث لا يفتن الكفار بذلك ﴿عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة﴾ لما أمر الله المسلمين بعداوة الكفار ومقاطعتهم فامتثلوا ذلك على ما كان بينهم وبين الكفار من القرابة فعلم الله صدقهم بهذه الآية ووعدهم بأن يجعل بينهم مودةً وهذه المودة كملت في فتح مكة فإنه أسلم حينئذ سائر قريش. وقيل المودة تزوج النبي ﷺ حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب سيد قريش، ورد ابن عطية هذا القول بأن تزوج أم حبيبة كان قبل نزول هذه الآية ﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين﴾ رخص الله للمسلمين في

فَقُلُوبُكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُكُمْ مِّن دِينِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٤١﴾ بَيَاتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مَهَاجِرَاتٍ فَأَمْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَنِنَنَّ فَإِن عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَأَهِنَّ حُلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاتُوهُم مَّا أَنفَقُوا وَلَا جُنَاحَ

مبيرة من لم يقاتلهم من الكفار، واختلف فيهم على أربعة أقوال: الأول أنهم قبائل من العرب منهم خزاعة وبنو الحارث بن كعب كانوا قد صالحوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم على أن لا يقاتلوه ولا يُعينوا عليه. الثاني أنهم كانوا من كفار قريش لم يقاتلوا المسلمين ولا أخرجوهم من مكة، والآية على هذين القولين منسوخة بالقتال. الثالث أنهم النساء والصبيان، وفي هذا ورد أن أسماء بنت أبي بكر الصديق قالت يا رسول الله إن أُمِّي قَدِمَتْ عَلَيَّ وَهِيَ مُشْرِكَةٌ أَفَاصِلُهَا قَالَ: «نعم صِلِي أُمَّكَ». الرابع أنه أراد من كان بمكة من المؤمنين الذين لم يهاجروا، وأما الذين نهى الله عن مودتهم لأنهم قاتلوا المسلمين وظاهروا على إخراجهم فهم كفار قريش ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مَهَاجِرَاتٍ فَأَمْتَحِنُوهُنَّ﴾ أي اختبروهن لتعلموا صدق إيمانهن، وإنما سماهن مؤمنات لظاهر حالهن، وقد اختلف في هذا الامتحان على ثلاثة أقوال: أحدها أن تستحلف المرأة أنها ما هاجرت لبغضها في زوجها ولا لخوف وغير ذلك من أعراض الدنيا سوى حب الله ورسوله والدار الآخرة، والثاني أن يعرض عليها شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، والثالث أن تعرض عليها الشروط المذكورة بعد هذا من ترك الإشراك والسرقة، وقتل أولادهن وترك الزنا والبهتان، والعصيان، فإذا أقرت بذلك فهو امتحانها قالته عائشة رضي الله تعالى عنها ﴿فَإِن عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ﴾ نزلت هذه الآية إثر صلح الحديبية، وكان ذلك الصلح قد تضمن أن يرد المسلمين إلى الكفار، وكل من جاء مسلماً من الرجال والنساء فنسخ الله أمر النساء بهذه الآية ومنع من رد المؤمنة إلى الكفار إذا هاجرت إلى المسلمين وكانت المرأة التي هاجرت حينئذ أميمة بنت بشر امرأة حسان بن الدحاحة، وقيل سبيعة الأسلمية، ولما هاجرت جاء زوجها فقال يا محمد ردها علينا فإن ذلك في الشرط الذي لنا عليك فنزلت الآية: فامتحنها رسول الله ﷺ فلم يردها وأعطى مهرها لزوجها، وقيل نزلت في أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط هربت من زوجها إلى المسلمين واختلف في الرجال هل حكمهم في ذلك كالنساء فلا تجوز المهادنة على رد من أسلم منهم، أو يجوز حتى الآن على قولين والأظهر الجواز لأنه إنما نسخ ذلك في النساء ﴿لَا هُنَّ حُلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ الكفار وفيه دليل على

هَلِكُمْ أَنْ تَكَفُّوهُنَّ إِذَا بَلَغَتُمُوهُنَّ أُبُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَصَلُّوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلَيْسَ لَكُمْ أَنْفَقُوا ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٦﴾ وَإِنْ فَاتَكُمْ فِتْنَةٌ مِنْ أَرْوَاسِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَلَيْكُمْ

ارتفاع النكاح بين المشركين والمسلمات «وَأَتَوْهُمْ مَا أَنْفَقُوا» يعني أعطوا الكفار ما أعطوا نساءهم من الصدقات إذا هاجرن ثم أباح للمسلمين تزوجهن بالصدقات «وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ» العصم جمع عصمة أي النكاح فأمر الله المسلمين أن يفارقوا نساءهم الكوافر، يعني الشركات من عبدة الأوثان، فالآية على هذا محكمة، وقيل يعني كل كافرة فعلى هذا نسخ منها جواز تزوج الكنائيات لقوله: «وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ» [المائدة: ٥]، ورُوي أن الآية نزلت في امرأة لعمر بن الخطاب كانت كافرة فطلقها «وَأَسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلَيْسَ لَكُمْ أَنْفَقُوا» أي اطلبوا من الكفار ما أنفقتم من الصدقات على أزواجكم اللاتي فررن إلى الكفار، وليطلب الكفار منكم ما أنفقوا على أزواجهم اللاتي هاجرن إلى المسلمين «وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقِبْتُمْ فَاتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَرْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا» معنى فاتكم شيء من أزواجكم إلى الكفار هزوب نساء المسلمين إلى الكفار، والخطاب في قوله فعاقبتهم وآتوا الذين ذهب أزواجهم للمسلمين وقوله فعاقبتهم ليس من العقاب على الذنب وإنما هو من العقبي أي أصبتم عقبي وهي الغنيمة أو من التعاقب على الشيء كما يتعاقب الرجلان على الدابة إذا ركبها هذا مرة وهذا مرة أخرى، فلما كان نساء المسلمين يهربون إلى الكفار ونساء الكفار يهربون إلى المسلمين جعل ذلك كالتعاقب على النساء وسبب الآية أنه لما قال الله: «وَأَسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلَيْسَ لَكُمْ أَنْفَقُوا» قال الكفار لا نرضى بهذا الحكم ولا نعطي صدقات من هربت زوجته إلينا من المسلمين، فأنزل الله هذه الآية الأخرى وأمر الله المسلمين أن يدفعوا الصدقات لمن هربت زوجته من المسلمين إلى الكفار ويكون هذا المدفوع من مال الغنائم على قول من قال إن معنى فعاقبتهم غنمتم، وقيل من مال الفيء، وقيل من الصدقات التي كانت تُدفع للكفار إذا فر أزواجهم إلى المسلمين فأزال الله دفعها إليهم حين لم يرضوا حكمه وهذه الأحكام التي تضمنتها هذه الآية، قد ارتفعت لأنها نزلت في قضايا معينة وهي مهادنة النبي ﷺ مع مشركي العرب ثم زالت هذه الأحكام بارتفاع الهدنة فلا تجوز مهادنة المشركين من العرب إنما هو في حقهم الإسلام أو السيف، وإنما تجوز مهادنة أهل الكتاب والمجوس لأن الله قال في المشركين اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم، وقال في أهل الكتاب حتى يعطوا الجزية، وقال النبي ﷺ في المجوس ستوا بهم سنة أهل الكتاب: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ

فَقَاتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا وَأَتَقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يَبَايِعَنَّكَ عَلَىٰ أَنْ لَا يُشْرَكَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرُقَنَّ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعَهُنَّ وَأَسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَسْأَلُونَ مِنَ

الْمُؤْمِنَاتِ يَبَايِعَنَّكَ ﴿ هذه البيعة بيعة النساء في ثاني يوم الفتح على جبل الصفا، وكان رسول الله ﷺ يبايعهن بالكلام ولا تمس يده يد امرأة ورد هذا في الحديث الصحيح عن عائشة، ورؤي أنه ﷺ لف على يده ثوبًا كثيرًا ثم لمس النساء يده كذلك وقيل إنه غمس يده في إناء فيه ماء ثم دفعه إلى النساء، فغمسن أيديهن فيه ﴿وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ﴾ معناه عند الجمهور أن تنسب المرأة إلى زوجها ولدًا ليس له وكانت المرأة تلتقط الولد، فتقول لزوجها هذا ولدي منك وإنما قال ﴿يَفْتَرِيئَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾ لأن بطنها الذي تحمل فيه الولد بين يديها وفرجها الذي تلده به بين رجليها، واختار ابن عطية أن يكون البهتان هنا على العموم بأن يُنسب للرجل غير ولده أو تفتري على أحد بالقول أو تكذب فيما ائتمنها الله عليه من الحيض والحمل وغير ذلك، وإلى هذا أشار بعض الناس بأن قال بين أيديهن يراد به اللسان والضم وبين الأرجل يراد به الفرج ﴿وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾ أي لا يعصيتك فيما جاءت به الشريعة من الأوامر والنواهي ومن ذلك النهي عن النياحة وشق الجيوب، ووصل الشعر وغير ذلك مما كان نساء الجاهلية يفعلنه، وورد في الحديث أن النساء لما بايعن رسول الله ﷺ هذه المبايعة، فقزرنه على أن لا يسرقن قالت هند بنت عتبة وهي امرأة أبي سفيان بن حرب يا رسول الله إن أبا سفيان رجل شحيح، فهل علي إن أخذت من ماله بغير إذنه، فقال لها: «خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف» فلما قزرنه على أن لا يزنين، قالت هند يا رسول الله أتزني الحرّة؟ فقال عليه الصلاة والسلام: «لا تزني الحرّة» يعني في غالب المرأة، وذلك أن الزنا في قريش إنما كان في الإماء فلما قال ولا يقتلن أولادهن قالت نحن ربيناهم صغارًا وقتلتهم أنت ببدر كبارًا، فضحك رسول الله ﷺ فلما وقفهن على أن لا يعصينه في معروف قالت ما جلسنا هذا المجلس وفي أنفسنا أن نعصيك، وهذه المبايعة للنساء غير معمول بها اليوم، لأنه أجمع العلماء على أنه ليس للإمام أن يشترط عليهن هذا فيما أن تكون منسوخة ولم يذكر الناسخ، أو يكون ترك هذه الشروط لأنها قد تقررت وعلمت من الشرع بالضرورة فلا حاجة إلى اشتراطها ﴿لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ يعني اليهود وكان بعض

الْآخِرَةَ كَمَا يَتَّبِعُ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ ﴿١٣﴾

قريش، والأول أظهر لأن الغضب قد صار عرفاً لليهود كقوله: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ [الفتح: ٧] ﴿قَدْ يَتَّبِعُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَتَّبِعُ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾ مَنْ قَالَ إِنَّ الْقَوْمَ الَّذِينَ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ هُمُ الْيَهُودُ، فَمَعْنَى يَتَّبِعُوا مِنَ الْآخِرَةِ يَتَّبِعُوا مِنْ خَيْرِ الْآخِرَةِ وَالسَّعَادَةِ فِيهَا وَمَنْ قَالَ إِنَّ الْقَوْمَ الَّذِينَ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ هُمُ الْكُفَّارُ قَرَيْشٌ، فَمَعْنَى يَتَّبِعُوا مِنْ جُودِ الْآخِرَةِ، وَصَحَّتْهَا لِأَنَّهُمْ مَكْذُوبُونَ بِهَا تَكْذِيبًا جَزْمًا وَقَوْلُهُ: ﴿كَمَا يَتَّبِعُ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾ يَحْتَمِلُ وَجْهَيْنِ: أَحَدُهُمَا أَنْ يَرِيدَ كَمَا يَتَّبِعُ الْكُفَّارُ الْمَكْذُوبُونَ بِالْبَيْعِ مِنْ بَعْثِ أَصْحَابِ الْقُبُورِ فَقَوْلُهُ مِنْ أَصْحَابِ يَتَّعَلِقُ بِبَيْسٍ وَهُوَ عَلَى حَذْفِ مَضَافٍ، وَالْآخِرُ أَنْ يَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ لِبَيَانِ الْجِنْسِ أَيِ كَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ فِي الْقُبُورِ مِنْ سَعَادَةِ الْآخِرَةِ لِأَنَّهُمْ تَقْنُوا أَنَّهُمْ يَعْذِبُونَ فِيهَا.

سورة الصف

مدنية وآياتها ١٤ نزلت بعد التغابن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ في سببها ثلاثة أقوال أحدها قول ابن عباس أن جماعة قالوا وددنا أن نعرف أحب الأعمال إلى الله فنعمله ففرض الله الجهاد فكرهه قوم فنزلت الآية والآخر أن قوماً من شبان المسلمين كانوا يتحدثون عن أنفسهم في الغزو بما لم يفعلوا ويقولون فعلنا وصنعنا وذلك كذب فنزلت الآية زجرًا لهم والثالث أنها نزلت في المنافقين لأنهم كانوا يقولون للمؤمنين نحن معكم ومنكم ثم يظهر من أفعالهم خلاف ذلك وهذا ضعيف لأنه خاطبهم بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ إلا أن يريد أنهم آمنوا بزعمهم وفيما يظهرون ومع ذلك فحكم الآية على العموم في زجر من يقول ما لا يفعل ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ كان بعض السلف يستحي أن يعظ الناس لأجل هذه الآية ويقول أخاف من مقت الله والمقت هو البغض لريبة أو نحوها وانتصب مقتًا على التمييز وأن تقولوا فاعل وقيل فاعل

يَقْتُلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَّرْصُوعٌ ﴿٤﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا يَشَاءُ اللَّهُ وَتَقُولُونَ كِبْرًا ﴿٥﴾ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَأَنذِرُكُم بِآيَاتِي وَلَذِكْرِ اللَّهِ الَّذِي هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُكْفِرُونَ ﴿٦﴾ وَمِثْرًا رَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي أَسْمُهُ أَحْمَدٌ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٨﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٩﴾

المحذوف أو خبر ابتداء مضمرة ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا﴾ ورود هذه الآية هنا دليل على أن الآية التي قبلها في شأن القتال وقال بعض الناس قتال الرجالة أفضل من قتال الفرسان لأن التراص فيه يتمكن أكثر مما يتمكن للفرسان قاله ابن عطية وهذا ضعيف خفي على قائله مقصد الآية وليس المراد نفس التراص وإنما المراد الثبوت والجد في القتال ﴿كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَّرْصُوعٌ﴾ المرصوص هو الذي يضم بعضه إلى بعض وقيل هو المعقود بالرصاص ولا يبعد أن يكون هذا أصل اللفظ ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا يَشَاءُ اللَّهُ وَتَقُولُونَ كِبْرًا﴾ كانوا يؤذونه بسوء الكلام وبعضيانه وتنقيصه وانظر في الأحزاب ولا تكونوا كالذين آذوا موسى ﴿وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ هذا إقامة حجة عليهم وتوبيخ لهم وتقييح لإذابته مع علمهم بأنه رسول الله ولذلك أدخل قد الدالة على التحقيق ﴿فَلَمَّا رَأَوْا آيَاتِ اللَّهِ قُلُوبُهُمْ﴾ هذه عقوبة على الذنب بذنب وزين القلب هو ميله عن الحق ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ إنما قال موسى يا قوم وقال عيسى يا بني إسرائيل لأنه لم يكن له فيهم أب ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْ مِنَ التَّوْرَةِ﴾ معناه مذكور في البقرة في قوله: ﴿مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ﴾ [٤١] ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ﴾ عن كعب أن الحواريين قالوا لعيسى يا روح الله هل بعدنا من أمة قال نعم أمة أحمد حكماء علماء أتقياء أبرار ﴿أَسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ قال رسول الله ﷺ: «لي خمسة أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وأنا الحاشر الذي يحشر الله الناس على قدمي وأنا العاقب فلا نبي بعدي»، وأحمد مشتق من الحمد ويحتمل أن يكون فعلاً سُمي به أو يكون صفة سُمي بها كأحمد ويحتمل أن يكون بمعنى حامد أو بمعنى محمود كمحمد ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ يحتمل أن يريد عيسى أو محمد عليهما الصلاة والسلام ويؤيد الأول اتصاله بما قبله ويؤيد الثاني قوله وهو يدعى إلى الإسلام لأن الداعي إلى الإسلام هو محمد ﷺ ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ﴾ ذكر في براءة

كِرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذِلُّكُمْ عَلَىٰ تَحْزِينِ نُجَيْكُمْ مِنَ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تَوْمُنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ
وَجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِر لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ
جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسْكَنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ
اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَيُشِرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُوفُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ
أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَتَامَتِ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتِ طَائِفَةٌ فَأَيْدِنَا الَّذِينَ
ءَامَنُوا عَلَىٰ عُدُوتِهِمْ فَاصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴿١٤﴾

﴿تَوْمُنُونَ بِاللَّهِ﴾ الآية تفسير للتجارة المذكورة قال الأخفش هو عطف بيان عليها ﴿يَغْفِر لَكُمْ﴾ جزم في جواب تومنون لأنه بمعنى الأمر وقد قرأه ابن مسعود آمنوا وجاهدوا على الأمر لأنه يقتضي التحضيض ﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا﴾ ارتفع أخرى على أنه خبر ابتداء مضمرة تقديره ولكم نعمة أخرى أو انتصب على أنه مفعول بفعل مضمرة تقديره ويمنحكم أخرى ﴿نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ﴾ تفسير لأخرى فهو بدل منها ﴿وَيُشِرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ قال الزمخشري عطف على تومنون بالله لأنه في معنى الأمر ﴿كُوفُوا أَنْصَارَ اللَّهِ﴾ جمع ناصر وقد غلب اسم الأنصار على الأوس والخزرج سمّاهم الله به وليس ذلك المراد هنا ﴿كَمَا قَالَ عِيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ هذا التشبيه محمول على المعنى لأن ظاهره كونوا أنصار الله كقول عيسى والمعنى كونوا أنصار الله كما قال الحواريون حين قال لهم عيسى من أنصاري إلى الله وقد ذكر في آل عمران معنى الحواريين وأنصاري إلى الله ﴿فَاصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ قيل إنهم ظهروا بالحجة، وقيل إنهم غلبوا الكفار بالقتال بعد رفع عيسى عليه السلام، وقيل إن ظهور المؤمنين منهم هو بمحمد ﷺ.

سورة الجمعة

مدنية وآياتها ١١ نزلت بعد الصف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْقُدُّوسِ﴾ ذكر في الحشر ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾ يعني سيدنا محمدًا ﷺ، والأميين هم العرب، وقد ذكر معنى الأمي في الأعراف ﴿وَأَخْرَجَ مِنْهُمْ﴾ عطفًا على الأميين وأراد بهؤلاء فارس وسئل رسول الله ﷺ من هؤلاء الآخرون فأخذ بيد سلمان الفارسي، وقال: «لو كان العلم بالثريا لثاله رجال من هؤلاء» يعني فارس، وقيل هم الروم ومنهم على هذين القولين يريد به البشرية وفي الدين لا في النسب وقيل هم أهل اليمن وقيل التابعون، وقيل هم سائر المسلمين والأول أرجح لوروده في الحديث الصحيح ﴿لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ أي لم يلحقوا بهم لنفي وسيلحقون وذلك أن لما لذكر الماضي القريب من الحال ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ﴾ إشارة إلى نبوة محمد ﷺ وهداية الناس به ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ﴾ يعني اليهود ومعنى حملوا التوراة كلفوا العمل بها والقيام بأوامرها ونواهيها و﴿لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾ لم يطيعوا أمرها ولم يعملوا بها، شبههم الله بالحمار الذي يحمل الأسفار على

مبين ﴿٢﴾ وءآخريّن منهم لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٤﴾ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن رَعَمْتُمْ أَنفُسَكُمْ أَوْلِيَاءَ لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٧﴾ قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلِّيِّ الْعَلِيِّ وَالشَّهَادَةُ فَيُنشِئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ

ظهره ولم يدر ما فيها ﴿بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله﴾ يعني اليهود الذين كذبوا سيدنا محمد ﷺ وهم الذين حملوا التوراة ولم يحملوها لأن التوراة تنطق بنبوته صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فكل من قرأها ولم يؤمن به فقد خالف التوراة ﴿فتمنوا الموت﴾ ذكر في البقرة ﴿إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله﴾ النداء للصلاة هو الأذان لها ومن في قوله من يوم الجمعة لبيان إذا، وتفسير له وذكر الله يراد به الخطبة والصلاة، ويتعلق بهذه الآية ثمان مسائل الأولى اختلف في الأذان للجمعة هل هو سنة كالأذان لسائر الصلوات أو واجب لظاهر الآية لأنه شرط في السعي لها أن يكون عند الأذان والسعي واجب فالأذان واجب. الثانية كان الأذان للجمعة على عهد رسول الله ﷺ على جدار المسجد وقيل على باب المسجد وقيل كان بين يديه صلى الله عليه وآله وسلم وهو على المنبر وقد كان بنو أمية يأخذون بهذا وبقي بقرطبة زماناً وهو باق في المشرق إلى الآن قال أبو محمد بن الفرس قال مالك في المجموعة إن هشام بن عبد الملك هو الذي أحدث الأذان بين يديه قال وهذا دليل على أن الحديث في ذلك ضعيف. الثالث كان الأذان للجمعة واحداً ثم زاد عثمان رضي الله عنه النداء على الزوراء ليعلم الناس واختلف الفقهاء هل المستحب أن يؤذن فيها اثنان أو ثلاثة: الرابعة، السعي في الآية بمعنى المشي لا بمعنى الجري وقرأ عمر بن الخطاب فامضوا إلى ذكر الله وهذا تفسير للسعي فهو بخلاف السعي في قول رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: ﴿إذا نودي للصلاة فلا تأتونها وأنتم تسعون﴾. الخامسة، حضور الجمعة واجب لحمل الأمر الذي في الآية على الوجوب باتفاق إلا أنها لا تجب على المرأة ولا على الصبي ولا على المريض باتفاق ولا على العبد والمسافر عند مالك و

لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ
وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا مُغْتَرِبًا أَوْ أَكْرَهًا فَلْيَاكُرُوا

رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم: «الجمعة واجبة على كل مسلم في جماعة إلا أربعة: عبد مملوك أو امرأة أو صبي أو مريض وحتتهم في المسافر أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان لا يقيم الجمعة في السفر واختلف هل تسقط الجمعة بسبب المطر أم لا، وهل يجوز للعروس التخلف عنها أم لا، والمشهور أنها لا تسقط عنه لعدم الآية، السابعة، اختلف متى يتعين الإقبال إلى الصلاة فقبل إذا زالت الشمس، وقيل إذا أذن المؤذن وهو ظاهر الآية، السابعة اختلف في الموضوع الذي يجب منه السعي إلى الجمعة فقبل ثلاثة أميال وهو مذهب مالك وقيل ستة أميال وقيل يجب على من كان داخل المصوم، وقيل على من سمع النداء، وقيل على من آواه الليل إلى أهله، الثامنة، اختلف في الوالي هل هو من شرط الجمعة أم لا على قولين، والمشهور سقوطه لأن الله لم يشترطه في الآية ﴿وَذُرُوا النَّبَيْعَ﴾ أمر بترك المبيع يوم الجمعة إذا أخذ المؤمنون في الأذان وذلك على الوجوب فيقتضي تحريم البيع واختلف في البيع الذي يعقد في ذلك الوقت هل يفسخ أم لا واختلف في بيع من لا تلزمهم الجمعة من النساء والعبد هل يجوز في ذلك الوقت أم لا والأظهر جوازه لأنه إنما منع منه من يدعى إلى الجمعة ويجري النكاح في ذلك الوقت مجرى البيع في المنع ﴿فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ هذا الأمر للإباحة باتفاق وحكى الإجماع على ذلك ابن عطية وابن الفرس ﴿وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ قيل معناه طلب المعاش فالأمر على هذا للإباحة وروى عن النبي ﷺ أنه قال: «الفضل المبتغى عيادة مريض أو صلة صديق أو اتباع جنازة» وقيل هو طلب العلم وإن صح الحديث لم يعدل إلى سواه ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا أَنْفَضُوا إِلَيْهَا﴾ سبب الآية أن رسول الله ﷺ كان قائماً على المنبر يخطب يوم الجمعة فأقبلت حير من الشام بطعام وصاحب أمرها دحية بن خليفة الكلبي وكانت عادتهم أن تدخل العير المدينة بالطبل والصياح سروراً بها فلما دخلت العير كذلك انفض أهل المسجد إليها وتركوا رسول الله ﷺ قائماً على المنبر ولم يبق معه إلا اثني عشر رجلاً قال جابر بن عبد الله أنا أحدهم وذكر بعضهم أن منهم العشرة المشهود لهم بالجنة واختلف في الثاني عشرة فقبل عيد الله مسعود وقيل عمار بن ياسر وقيل إنما بقي معه ﷺ ثمانية وروى أنه ﷺ قال لهؤلاء: «لقد كانت الحجارة سومت في السماء على المنفضين» وظاهر الآية يقتضي أن الجماعة شرط في الجمعة وهو مذهب مالك والجمهور إلا أنهم اختلفوا في مقدار الجماعة

عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِوِ وَمِنَ الْجَزَاءِ وَاللَّهُ خَيْرٌ الرَّزِقِينَ ﴿١١﴾

الذين تنعقد بهم الجمعة فقال مالك ليس في ذلك عدد محدود وإنما هم جماعة تقوم بهم قرية وروى ابن الماجشون عن مالك ثلاثون وقال الشافعي أربعون وقال أبو حنيفة ثلاثة مع الإمام وقيل اثني عشر عدد الذين بقوا مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فإن قيل: لِمَ قال انفضوا إليها بضمير المفرد وقد ذكر التجارة واللهو؟ فالجواب من وجهين أحدهما أنه أراد انفضوا إلى اللهو وانفضوا إلى التجارة ثم حذف أحدهما لدلالة الآخر عليه قاله الزمخشري والآخر أنه قال ذلك تهمماً بالتجارة إذ كانت أهم وكانت هي سبب اللهو ولم يكن اللهو سببها قاله ابن عطية ﴿وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾ اختلفوا في القيام في الخطبة هل هو واجب أم لا، وإذا قلنا بوجوبه فهل هو شرط فيها أم لا، فمن أوجبه واشترطه أخذ بظاهر الآية من ذكر القيام ومن لم يوجبه رأى أن ما فعله النبي ﷺ من ذلك لم يكن على الوجوب ومذهب مالك أن من سئته الخطبة الجلوس قبلها والجلوس بين الخطبتين وقال أبو حنيفة لا يجلس بين الخطبتين لظاهر الآية وذكر القيام فيها دون الجلوس، وحجة مالك فعل رسول الله ﷺ ﴿قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِوِ وَمِنَ الْجَزَاءِ﴾ إن قيل لِمَ قدم اللهو هنا على التجارة وقدم التجارة قبل هذا على اللهو؟ فالجواب أن كل واحد من الموضعين جاء على ما ينبغي فيه وذلك أن العرب تارة يبتدون بالأكثر ثم ينزلون إلى الأقل كقولك فلان يخون في الكثير والقليل فبدأت بالكثير ثم أردفت عليه الخيانة فيما دونه وتارة يبتدون بالأقل ثم يرتقون إلى الأكثر كقولك فلان أمين، على القليل والكثير فبدأت بالقليل ثم أردفت عليه الأمانة فيما هو أكثر منه لو عكست في كل واحد من المثاليين لم يكن حسنًا فإنك لو قدمت في الخيانة القليل لعلم أنه يخون في الكثير من باب أولى وأحرى ولو قدمت في الأمانة ذكر الكثير لعلم أنه أمين في القليل من باب أولى وأحرى فلم يكن لذكره بعد ذلك فائدة وكذلك قوله إذا رأوا تجارة أو لهوًا انفضوا إليها. قدم التجارة هنا لبيّن أنهم ينفضون إليها وأنهم مع ذلك ينفضون إلى اللهو الذي هو دونها وقوله خير من اللهو ومن التجارة قدم اللهو لبيّن أن ما عند الله خير من اللهو وأنه أيضًا خير من التجارة التي هي أعظم منه ولو عكس كل واحد من الموضعين لم يحسن.

سورة المنافقون

مدنية وآياتها ١١ نزلت بعد الحج

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ
لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَلِكَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾ كانوا يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم فلذلك كذبهم الله بقوله: ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ أي كذبوا في دعواهم الشهادة بالرسالة، وأما قوله والله يعلم أنك لرسوله فليس من كلام المنافقين وإنما هو من كلام الله تعالى، ولو لم يذكره لكان يوهم أن قوله: ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ إبطال للرسالة، فوسطه بين حكاية المنافقين وبين تكذيبهم ليزيل هذا الوهم وليحقق الرخالة وعلى هذا ينبغي أن يوقف على قوله لرسول الله ﴿جُنَّةً﴾ ذكر في المجادلة ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا﴾ الإشارة إلى سوء عملهم وفضيحتهم وتوبيخهم، وأما قوله: ﴿آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا﴾ فيحتمل وجهين: أحدهما أن يكون فيمن آمن منهم إيماناً صحيحاً ثم نافق بعد ذلك، والآخر أن يريد آمنوا في الظاهر كقوله: ﴿إِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا﴾ [البقرة: ١٤ و١٧] ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾ يعني أنهم حسن الصور ﴿وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ

يَأْتِيهِمْ ءَامَنُوا نَمَّ كَفَرُوا فَطُجِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ
وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأْتِهِمْ خُشْبٌ مُسْتَدَّةٌ يُحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَتَلَهُمُ
اللَّهُ أَنَّى يَذُوقُونَ ﴿١﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَأرُؤُسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ

لِقَوْلِهِمْ ﴿ يعني أنهم فصحاء الخطاب والضمير في قوله وإذا رأيتهم تعجبك وفي قوله تسمع لِقَوْلِهِمْ للنبي ﷺ ولكل مخاطب ﴿ كَأْتِهِمْ خُشْبٌ مُسْتَدَّةٌ ﴾ شبههم بالخشب في قلة أفهامهم فكان لهم منظر بلا مخبر وقال الزمخشري إنما شبههم بالخشب المستدّة إلى حائط لأن الخشب إذا كانت كذلك لم يكن فيها منفعة بخلاف الخشب التي في سقف أو مغروسة في جدار فإن فيها حينئذ منفعة فالتشبيه على هذا في عدم المنفعة، وقيل كانوا يستندون في مجلس رسول الله ﷺ فشبّههم في استنادهم بالخشب المستدّة إلى الحائط ﴿ يُحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ﴾ عبارة عن شدة خوفهم من المسلمين وذلك أنهم كانوا إذا سمعوا صياحا ظنوا أن النبي ﷺ يأمر بقتلهم ﴿ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ﴾ الدعاء عليهم يتضمن ذمهم وتقبيح أحوالهم ﴿ أَنَّى يَذُوقُونَ ﴾ أي كيف يصرفون عن الإيمان مع ظهوره ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَأرُؤُسَهُمْ ﴾ أي أمالوها إعراضا واستكبارا وقصص هذه الآية وما بعدها أن رسول الله ﷺ خرج في غزوة بني المصطلق فبلغ الناس إلى ماء ازدحموا عليه فكان ممن ازدحم عليه جهجاه بن سعيد أجير لعمر بن الخطاب وسانان الجهني حليف لعبد الله بن أبي ابن سلول رأس المنافقين فلطم الجهجاه سنان فغضب سنان ودعا بالأنصار ودعا جهجاه بالمهاجرين فقال عبد الله بن أبي والله ما مثلنا ومثل هؤلاء يعني المهاجرين إلا كما قال الأول سمن كلبك يأكلك ثم قال لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعزّ منها الأذلّ يعني بالأعزّ نفسه وأتباعه ويعني بالأذلّ رسول الله ﷺ ومَن معه، ثم قال لقومه إنما يقيم هؤلاء المهاجرون بالمدينة بسبب معونتكم وإنفاقكم عليهم، ولو قطعتم ذلك عنهم لفرّوا عن مدينتكم فسمعه زيد بن أرقم فأخبر بذلك رسول الله ﷺ فبلغ ذلك عبد الله بن أبي ابن سلول فحلف أنه ما قال من ذلك شيئا وكذب زيदा فنزلت السورة عند ذلك فبعث رسول الله ﷺ إلى زيد وقال: «لقد صدقك الله يا زيد» فخزي عبد الله بن أبي ابن سلول ومقته الناس، فقيل له امض إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغفر لك فلوى رأيه إنكارا لهذا الرأي وقال أمرتوني بالإسلام فأسلمت وأمرتوني بأداء زكاة مالي ففعلت ولم يبق لكم إلا أن تأمروني أن أسجد لمحمد ثم مات عبد الله بن أبي بعد ذلك بقليل وأسندت هذه الأقوال التي قالها عبد الله بن أبي

وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ
 اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٦﴾ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَيْنَا مِنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ
 حَتَّى يَنْقُضُوا بِاللَّهِ خَزَائِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنْفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ لِيهِمْ
 رِجْعًا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَكَ الْأَعْرُ مِنْهَا الْأَدْلُ وَاللَّهُ الْعَزِيزُ الرَّسُولُ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ
 الْمُنْفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَلْهَكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ
 اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ
 أَحَدُكُمْ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَنْ
 يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾

﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ رُوِيَ أَنَّهُ لَمَّا نَزَلَتْ إِنَّ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ
 مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «لَا زِيلَةَ عَلَى السَّبْعِينَ» فَلَمَّا
 فَعَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي وَأَصْحَابُهُ مَا فَعَلُوا شَدَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِي هَذِهِ السُّورَةِ وَأَخْبَرَ أَنَّهُ لَا يَغْفِرُ
 لَهُمْ بَوْجَهَ وَفِي هَذَا نَظَرٍ، لِأَنَّ هَذِهِ السُّورَةَ نَزَلَتْ فِي غَزْوَةِ بَنِي الْمُصَلِّتِ قَبْلَ آيَةِ الْأُخْرَى
 بِمَدَّةٍ ﴿لَا تَلْهَكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ أَي لَا تَشْغَلِكُمْ وَذَكَرَ اللَّهُ هُنَا عَلَى
 الْعَمُومِ فِي الصَّلَاةِ وَاللِّدْعَاءِ وَالْعِبَادَةِ، وَقِيلَ يَعْني الصَّلَاةَ الْمَكْتُوبَةَ وَالْعَمُومِ أَوْلَىٰ ﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ
 مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ عَمُومٌ فِي الزَّكَاةِ وَصَدَقَةِ التَّطَوُّعِ وَالتَّنْفِقِ فِي الْجِهَادِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَقِيلَ يَعْني
 الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ وَالْعَمُومِ أَوْلَىٰ ﴿وَأَكُنْ مِنْ الصَّالِحِينَ﴾ بِالْجُزْمِ عَطْفٌ عَلَى مَوْضِعِ جَوَابِ
 الشَّرْطِ، وَقَرَأَ أَبُو عَمْرٍو فَأَكُونُ بِالنَّصْبِ عَطْفٌ عَلَى فَاصِدَقَ.

وَأَكُنْ مِنْ الصَّالِحِينَ بِالْجُزْمِ عَطْفٌ عَلَى مَوْضِعِ جَوَابِ الشَّرْطِ، وَقَرَأَ أَبُو عَمْرٍو فَأَكُونُ بِالنَّصْبِ عَطْفٌ عَلَى فَاصِدَقَ.

سورة التغابن

مدنية وآياتها ١٨ نزلت بعد التحريم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَسْبِغُ لَكُمْ فِي الْمَغْتَابِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا مِّنْ أَلْفِ نَسْفَةٍ تِزْتَلُّ فَذُرِّهَا وَلَا يَتَذَكَّرُ فِيهَا مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَاكِرًا ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي
خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمَبْتَلٍ وَمَا يَتَذَكَّرُ فِيهَا مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَاكِرًا ﴿٢﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْكُمْ كَافِرًا وَمِنْكُمْ مُّؤْمِنًا﴾ في تأويل الآية وجهان: أحدهما الذي خلقكم فكان يجب على كل واحد منكم الإيمان به لكن منكم من كفر ومنكم من آمن فالكفر والإيمان على هذا هو من اكتساب العبد والآخر أن المعنى هو الذي خلقكم على صنفين فمنكم من خلقه مؤمنًا ومنكم من خلقه كافرًا فالإيمان والكفر على هذا هو ما قضى الله على كل واحد، والأول أظهر، لأنه عطفه على خلقكم بالفاء يقتضي أن الكفر والإيمان واقعان بعد الخلقة لا في أصل الخلقة ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ ذكر معناه في مواضع ﴿وَصُورَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ﴾ تعديد نعمه في حُسن خلقه بني آدم لأنهم أحسن صورة من جميع أنواع الحيوان وإن وجد بعض الناس قبيح المنظر فلا يخرج ذلك عن حُسن الصورة الإنسانية وإنما هو قبيح بالنظر إلى من هو أحسن منه من الناس وقيل يعني العقل والإدراك الذي خلق الإنسان وروى في سورة التغابن ما تطلق على الشكل

وَصَوْرُهُمْ فَاَحْسَنَ صُوْرُهُمْ وَاِلَيْهِ الْمَصِيْرُ ﴿٣﴾ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَاَلْاَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسْرُوْنَ وَمَا تُعْلِنُوْنَ
 وَاَللّٰهُ عَلِيْمٌ بِذٰتِ الصُّدُوْرِ ﴿٤﴾ اَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبُوْا الَّذِيْنَ كَفَرُوْا مِنْ قَبْلُ فذٰقُوْا وَاِيَالَ اٰمِرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ
 اَلِيْمٌ ﴿٥﴾ ذٰلِكَ بِاَنَّهُ كَانَتْ تَاٰبِيْهُمُ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنٰتِ فَعَالُوْا اَبْسَرُ يَهْدُوْنَنا فَكَفَرُوْا وَقَوْلُوْا وَاَسْتَعٰنَى اللّٰهُ وَاَللّٰهُ
 عِنۡى حَمِيْدٌ ﴿٦﴾ زَعَمَ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا اَنْ لَّنْ يَّبْعَثُوْا قُلَّ بَلٰى وَرَبِّىْ لَنُبْعِثَنَّ ثُمَّ لَنَنْبُوْنَ بِمَا عَلَّمْتُمْ وَاَللّٰهُ عَلٰى اللّٰهِ
 يَسِيْرٌ ﴿٧﴾ فَتَاْمَنُوْا بِاللّٰهِ وَرَسُوْلِهِ وَاَلنُّوْرِ الَّذِىْ اَنْزَلْنَا وَاَللّٰهُ بِمَا تَعْمَلُوْنَ حٰخِيْرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ
 ذٰلِكَ يَوْمَ التَّغٰبِنِ وَاَللّٰهُ يَعْمَلُ صٰلِحًا يُكْفِرُ عَنْهُ سَيِّآئِهِ وَاَللّٰهُ جَدَّتْ تَجْرٰى مِنْ تَحْتِهَا
 اَلْاَنْهٰرُ خٰلِدِيْنَ فِيْهَا اَبَدًا ذٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيْمُ ﴿٩﴾ وَاَلَّذِيْنَ كَفَرُوْا وَكَذَّبُوْا بِآيٰتِنَا
 اُوْلٰئِكَ اَصْحٰبُ النَّارِ خٰلِدِيْنَ فِيْهَا وَاَلَّذِيْنَ كَفَرُوْا وَكَذَّبُوْا بِآيٰتِنَا اِلَّا بِاِذْنِ
 اللّٰهِ وَاَلَّذِيْنَ يُوْمِنُوْنَ بِاللّٰهِ يَهْدِ قَلْبُهُ وَاَللّٰهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيْمٌ ﴿١٠﴾ وَاَطِيعُوْا اللّٰهَ وَاَطِيعُوْا الرَّسُوْلَ فَاِنِ
 تَوَلَّيْتُمْ فَاِنَّمَا عَلٰى رَسُوْلِنَا الْبَلٰغُ الْمُبِيْنُ ﴿١١﴾ اَللّٰهُ لَا اِلٰهَ اِلَّا هُوَ وَعَلٰى اللّٰهِ فَلْيَتَوَكَّلِ
 الْمُؤْمِنُوْنَ ﴿١٢﴾ يٰٓاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا اِنَّ مِنْ اَزْوَاجِكُمْ وَاَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ

﴿اَلَمْ يَأْتِكُمْ﴾ خطاب لقريش وسائر الكفار ﴿فَعَالُوْا اَبْسَرُ يَهْدُوْنَنا﴾ معناه انهم استبعدوا ان يرسل الله بشراً أو تكبروا عن اتباع بشر والبشر يقع على الواحد والجماعة ﴿زَعَمَ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا اَنْ لَّنْ يَّبْعَثُوْا﴾ قال عبد الله بن عمر زعم كناية عن كذب ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ﴾ العامل في يوم لتنبؤن أو محذوف تقديره اذكر ويحتمل أن يكون مبتدأ وخبره ذلك يوم التغابن يعني يوم القيامة والتغابن مستعار من تغابن الناس في التجارة وذلك إذا فاز السعداء بالجنة فكانهم غبنوا الأشقياء في منازلهم التي كانوا ينزلون منها لو كانوا سعداء فالتغابن على هذا بمعنى الغبن وليس على المتعارف في صيغة تفاعل من كونه بين اثنين كقولك تضارب وتقاتل إنما هي فعل واحد كقولك تواضع قال ابن عطية وقال الزمخشري يعني نزول السعداء منازل الأشقياء ونزول الأشقياء منازل السعداء والتغابن على هذا بين اثنين قال وفيه تهكم بالأشقياء لأن نزولهم في جهنم ليس في الحقيقة بغبن للسعداء ﴿مَا اَصَابَ مِنْ مُّصِيْبَةٍ اِلَّا بِاِذْنِ اللّٰهِ﴾ يحتمل أن يريد بالمصيبة الرزايا وخصها بالذكر لأنها أهم على الناس أو يريد جميع الحوادث من خير أو شر وبإذن الله عبارة عن قضائه وإرادته تعالى ﴿وَمَنْ يُؤْمِن بِاللّٰهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ قيل معناه من يؤمن بأن كل شيء بإذن الله يهد الله قلبه للتسليم والرضا بقضاء الله وهذا أحسن إلا أن العموم أحسن منه ﴿اِنَّ مِنْ اَزْوَاجِكُمْ وَاَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاخْذَرُوْهُمْ﴾

فَاَحْذَرُوهُمْ^{١٤} وَإِن تَعَفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا أَمْوَالَكُمُ
 وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا
 خَيْرًا لِّأَنْفُسِكُمْ^{١٦} وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ إِن تَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا
 حَسَنًا يَضْعَفَهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ
 الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾

سببها أن قومًا أسلموا وأرادوا الهجرة فنبطهم أزواجهم وأولادهم عن الهجرة فحذروهم الله من طاعتهم في ذلك وقيل نزلت في عوف بن مالك الأشجعي وذلك أنه أراد الجهاد فاجتمع أهله وأولاده فشكوا من فراقه فرق لهم ورجع ثم إنه ندم وهم بمعاقتهم فنزلت الآية محذرة من فتنة الأولاد ثم صرف الله تعالى عن معاقتهم بقوله: ﴿وَإِن تَعَفُوا وَتَصْفَحُوا﴾ الآية ولفظ الآية مع ذلك على عمومه في التحذير ممن يكون للإنسان عدوًا من أهله وأولاده سواء كانت عداوتهم بسبب الدين أو الدنيا ﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ ترغيب في الآخرة وتزهيد في الأموال والأولاد التي فتن الناس بها ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ قيل إن هذا ناسخ لقوله: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾ [آل عمران: ١٠٢] ورؤي أنه لما نزل حق تقاته شق ذلك على الناس حتى نزل ما استطعتم وقيل لا نسخ بينهما لأن حق تقاته معناه فيما استطعتم إذ لا يمكن أن يفعل أحد إلا ما يستطيع وهذه الآية على هذا مبيّنة لتلك وتحرز بالاستطاعة من الإكراه والنسيان وما لا يؤاخذ به العبد وإعراب ما في قوله ما استطعتم ظرفية ﴿خَيْرًا لِّأَنْفُسِكُمْ﴾ منصوب بإضمار فعل لا يظهر عند سيبويه وقيل هو مفعول بأنفقوا لأن الخير بمعنى المال وقيل هو نعت لمصدر محذوف تقديره أنفقوا إنفاقًا خيرًا لأنفسكم ﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ﴾ ذكر في الحشر ﴿إِن تَقْرَضُوا﴾ ذكر في البقرة ﴿وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ ذكر في اللغات.

سورة الطلاق

مدنية وآياتها ١٢ نزلت بعد الإنسان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِقُوهُنَّ لِإِعْذَتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تَخْرُجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبِينَةٍ فَوَ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ إن قيل لِمَ نُودِيَ النَّبِيَّ ﷺ وحده ثم جاء بعد ذلك خطاب الجماعة؟ فالجواب: أنه لما كان حكم الطلاق يشترك فيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأمه، قيل إذا طَلَقْتُمُ خُطَابًا لَهُ وَلَهُمْ وَخَصَّ هُوَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِالنِّدَاءِ تَعْظِيمًا لَهُ، كَمَا يُقَالُ لِرئيسِ القَوْمِ وَكبيرِهِمْ يَا فُلَانِ افْعَلُوا أَيْ افْعَلِ أَنْتَ وَقَوْمُكَ، ولأنه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ هُوَ الْمُبَلَّغُ لِأُمَّتِهِ، فَكَأَنَّهُ قَالَ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتَ أَنْتَ وَأُمَّتُكَ وَقِيلَ تَقْدِيرُهُ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأُمَّتِكَ إِذَا طَلَقْتُمْ وَهَذَا ضَعِيفٌ لِأَنَّهُ يَقْتَضِي أَنَّ هَذَا الْحُكْمَ مُخْتَصٌّ بِأُمَّتِهِ دُونَهُ، وَقِيلَ إِنَّهُ خُوِطِبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِطَلَقْتُمْ تَعْظِيمًا لَهُ، كَمَا تَقُولُ لِلرَّجُلِ الْمُعْظَمِ أَنْتُمْ فَعَلْتُمْ، وَهَذَا أَيْضًا ضَعِيفٌ، لِأَنَّهُ يَقْتَضِي إِخْتِصَاصَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِالْحُكْمِ دُونَ أُمَّتِهِ، وَمَعْنَى إِذَا طَلَقْتُمْ هُنَا إِذَا أُرِدْتُمْ الطَّلَاقَ، وَاخْتَلَفَ فِي الطَّلَاقِ هَلْ هُوَ مُبَاحٌ أَوْ مُكْرَهُ، فَأَمَّا إِذَا كَانَ عَلَى غَيْرِ وَجْهِ السُّنَّةِ فَهُوَ مَمْنُوعٌ وَلَكِنْ يُلْزَمُ، وَأَمَّا الْيَمِينُ

بالطلاق فممنوع ﴿فَطَلَّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ﴾ تقديره طَلَّقُوهُنَّ مستقبلات لعدتهن، ولذلك قرأ عثمان وابن عباس وأبي بن كعب فطَلَّقُوهُنَّ في قبل عدتهن وقرأ ابن عمر لقبل عدتهن ورُوِيَتِ القراءتان عن رسول الله ﷺ ومعنى ذلك كله لا يطلقها وهي حائض، فهو منهى عنه بإجماع لأنه إذا فعل ذلك لم يقع طلاقه في الحال التي أمر الله بها وهو استقبال العدة، واختلف في النهي عن الطلاق في الحيض هل هو معلل بتطويل العدة، أو هو تعبد، والصحيح أنه معلل بذلك، وينبني على هذا الخلاف فروع منها: هل يجوز إذا رضيت به المرأة أم لا؟ ومنها هل يجوز طلاقها في الحيض وهي حامل أم لا؟ ومنها هل يجوز طلاقها قبل الدخول وهي حائض أم لا؟ فالتعليل بتطويل العدة يقتضي جواز هذه الفروع، والتعبد يقتضي المنع، ومن طلق في الحيض لزمه الطلاق، ثم يؤمر بالرجعة على وجه الإيجاب عند مالك وبدون إيجاب عند الشافعي حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر، ثم إن شاء طلق وإن شاء أمسك، حسبما ورد في حديث ابن عمر حين طلق امرأته وهي حائض فذكر ذلك عمر للنبي ﷺ فقال له مَرُّهُ فليراجعها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ثم إن شاء طلق وإن شاء أمسك واشترط مالك أن يطلقها في طهر لم يمسه فيها ليعتد بذلك الطهر فإنه إن طلقها في طهر بعد أن جامعها فيه فلا تدري هل تعتد بالوضع أو بالأقراء فليس طلاقاً لعدتها كما أمر الله ﴿وَأَحْضُوا الْعِدَّةَ﴾ أمر بذلك لما ينبنى عليها من الأحكام في الرجعة والسكنى والميراث وغير ذلك ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يُخْرِجَنَّ﴾ نهى الله سبحانه وتعالى أن يُخْرِجَ الرجل المرأة المطلقة من المسكن الذي طلقها فيه ونهاها هي أن تخرج باختيارها، فلا يجوز لها المبيت خارجاً عن بيتها ولا أن تغيب عنه نهائياً إلا لضرورة التصرف، وذلك لحفظ النسب وصيانة المرأة، فإن كان المسكن مُلْكًا للزوج، أو مُكْتَرَى عنده، لزمه إسكانها فيه، وإن كان المسكن لها فعليه كراؤه مدة العدة وإن كانت قد أمتعته فيه مدة الزوجية ففي لزوم خروج العدة له قولان في المذهب والصحيح لزومه لأن الامتناع قد انقطع بالطلاق ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ﴾ اختلف في هذه الفاحشة التي أباحت خروج المعتدة ما هي؟ على خمسة أقوال الأول أنها الزنا فتخرج لإقامة الحد قاله الليث بن سعد والشعبي. الثاني أنه سوء الكلام مع الأصهار فتخرج ويسقط حقها من السكنى، ويلزمها الإقامة في مسكن تتخذة حفظاً للنسب، قاله ابن عباس ويؤيده قراءة أبي بن كعب، إلا أن يفحشتم عليكم. الثالث أنه جميع المعاصي من القذف والزنا والسرقه وغير ذلك، فمتى فعلت شيئاً من ذلك سقط حقها في السكنى، قاله ابن عباس أيضاً وإليه مال الطبري، الرابع أنه الخروج عن بيتها خروج انتقال فمتى فعلت

يَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾ فَإِذَا بَلَغَ الْأَجَلَ
فَأَمْسَكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ
ذَلِكَ يُوَعِّظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ

مالك في المرأة إذا نشزت في العدة، الخامس أنه النشوز قبل الطلاق، فإذا طلقها بسبب نشوزها فلا يكون عليه سكنى قاله قتادة ﴿لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ المراد به الرجعة عند الجمهور أي أحصوا العدة وامثلوا ما أمرتم به لعل الله يحدث الرجعة لنسائكم، وقيل إن سبب الرجعة المذكورة في الآية تطليق النبي ﷺ لحفصة بنت عمر فأمره الله بمراجعتها ﴿فَإِذَا بَلَغَ الْأَجَلَ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ يريد آخر العدة والإمسك بمعروف هو تحسين العشرة وتوفية النفقة، والفراق بالمعروف هو أداء الصداق والإمتاع حين الطلاق والوفاء بالشروط ونحو ذلك ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ هذا خطاب للأزواج والمأمور به هو الإشهاد على الرجعة عند الجمهور، وقد اختلف فيه هل هو واجب أو مستحب على قولين في المذهب وقال ابن عباس هو الشهادة على الطلاق وعلى الرجعة، وهذا أظهر لأن الإشهاد به يرفع الإشكال والنزاع ولا فرق في هذا بين الرجعة والطلاق، وقد ذكرنا العدالة في البقرة وقوله ذوي عدل يدل على أنه إنما يشهد في الطلاق والنكاح الرجال دون النساء وهو مذهب مالك خلافاً لمن أجاز شهادة النساء في ذلك وقوله منكم يريد من المسلمين وقيل من الأحرار فيؤخذ من ذلك رد شهادة العبيد، وهو مذهب مالك ﴿وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ﴾ هذا خطاب للشهود وإقامة الشهادة يحتمل أن يريد بها القيام فإذا استشهد وجب عليه أن يشهد وهو فرض كفاية، وإلى هذا المعنى أشار ابن القرس ويحتمل أن يريد إقامتها بالحق دون ميل ولا غرض، وبهذا فسره الزمخشري وهو أظهر لقوله الله وهو كقوله: ﴿كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ﴾ [النساء: 135] ﴿ذَلِكَم﴾ إشارة إلى ما تقدم من الأحكام ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ قيل إنها في الطلاق ومعناها من يتق الله فيطلق طليقة واحدة، حسبما تقتضيه السنة، يجعل له مخرجاً بنجواز الرجعة متى تقدم على الطلاق وفي هذا المعنى روي عن ابن عباس أنه قال لمن طلق ثلاثاً إنك لم تتق الله فبانت منك امرأتك ولا أرى لك مخرجاً أي لا رجعة لك وقيل إنها على العموم أي من يتق الله في أقواله وأفعاله يجعل له مخرجاً من كرب الدنيا والآخرة، وقد روي هذا أيضاً عن ابن عباس وهذا أرجح لخمسة أوجه أحدها حمل اللفظ على عمومته فيدخل في ذلك الطلاق وغيره، الثاني أنه روي أنها نزلت في عوف بن مالك الأشجعي وذلك أنه أسر ولده وضيق

مِنْ حَيْثُ لَا يَخْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٦﴾ وَالَّتِي يَبْسُنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نَسَائِكُمْ إِنْ أَرَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَالَّتِي لَمْ يَحِضْنَ

عليه رزقه فشكى ذلك إلى رسول الله ﷺ فأمره بالتقوى فلم يلبث إلا يسيراً وانطلق ولده ووسع الله رزقه، والثالث أنه روي عن رسول الله ﷺ أنه قرأها فقال: «مخرجاً من شبهات الدنيا ومن غمرات الموت ومن شدائد يوم القيامة»، والرابع روي عن النبي ﷺ أنه قال: «إني لأعلم آية لو أخذ الناس بها لكفتهم» ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ الآية: فما زال يقرؤها ويُعِيدها، الخامس قوله: ﴿وَيَرْزُقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَخْتَسِبُ﴾، فإن هذا لا يناسب الطلاق وإنما يناسب التقوى على العموم قال بعض العلماء الرزق على نوعين رزق مضمون لكل حي طول عمره وهو الغذاء الذي تقوم به الحياة وإليه الإشارة بقوله: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦]، «ورزق موعود للمتقين خاصة»، وهو المذكور في هذه الآية ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ أي كافيه بحيث لا يحتاج معه إلى غيره وقد تكلمنا على التوكل في آل عمران ﴿إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ﴾ أي يبلغ ما يريد ولا يُعْجِزه شيء، هذا حصٌّ على التوكل وتأكيده، لأن العبد إذا تحقق أن الأمور كلها بيد الله توكل عليه وحده ولم يعول على سواه ﴿قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ أي مقداراً معلوماً ووقتاً محدوداً ﴿وَاللَّاتِي يَبْسُنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نَسَائِكُمْ إِنْ أَرَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ﴾ روي أنه لما نزل قوله: ﴿وَالْمُطَلَّقاتِ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ [البقرة: ٢٢٨] قالوا يا رسول الله فما عِدَّةٌ من لا قرء لها من صغر أو كبير؟ فنزلت هذه الآية معلمة أن المطلقة إذا كانت ممن لا تحيض فعِدَّتُها ثلاثة أشهر، فقوله: ﴿اللَّاتِي يَبْسُنَ مِنَ الْمَحِيضِ﴾: يعني التي انقطعت حيضتها لكبر سنّها، وقوله: ﴿وَاللَّاتِي لَمْ يَحِضْنَ﴾ يعني الصغيرة التي لم تبلغ المحيض وهو معطوف على اللَّاتِي يَبْسُنُ أو مبتدأ وخبره محذوف تقديره اللَّاتِي لَمْ يَحِضْنَ كذلك، وقوله: ﴿إِنْ أَرَبْتُمْ﴾ هو من الريب بمعنى الشك وفي معناه قولان أحدهما إن اربتم في حكم عِدَّتِها فاعلموا أنها ثلاثة أشهر والآخر إن اربتم في حيضها هل انقطع أو لم ينقطع فهي على التأويل الأول في التي انقطعت حيضتها لكبر سنّها حسبما ذكرنا وهو الصحيح وهي على التأويل الثاني في المرتابة وهي التي غابت عنها الحيضة وهي في سنّ من تحيض وقد اختلف العلماء في عِدَّتِها على ثلاثة أقوال: أحدها أنها ثلاثة أشهر خاصة حسبما تقتضيه الآية على هذا التأويل، والآخر أنها ثلاثة أشهر بعد تسعة أشهر تستبرأ بها أمد الحمل وهذا مذهبه

وَأُولَاتِ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ. وَمَنْ يَنْقِ اللَّهُ بِحَجَلٍ لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴿١﴾ ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْنَا وَمَنْ يَنْقِ اللَّهُ يُكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمَ لَهُ أَجْرًا ﴿٢﴾ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ

أنها تعتد بالأقراء ولو بقيت ثلاثين سنة حتى تبلغ سن من لا تحيض وهو مذهب الشافعي وأبي حنيفة «وَأُولَاتِ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ» هذه الآية عند مالك والشافعي وأبي حنيفة وسائر العلماء عامة في المطلقات والمتوفى عنهن فمتى كانت إحداهن حاملاً فعذتها وضع حملها وقال علي بن أبي طالب وابن عباس إنما هذه الآية في المطلقات الحوامل فهن اللاتي عذتهن وضع حملهن وأما المتوفى عنها إذا كانت حاملاً فعذتها عندهما أبعد الأجلين إما الوضع أو انقضاء الأربعة الأشهر وعشرًا فحجة الجمهور حديث سبيعة الأسلمية أنها كانت زوجًا لسعد بن خولة فتوفى عنها في حجة الوداع وهي حبلى فلما وضعت خطبها أبو السنايل بن بعكك فسألت رسول الله ﷺ فقال لها: «إنكحي من شئت». وقد ذكر أن ابن عباس رجع إلى هذا الحديث لما بلغه ولو بلغ عليًا رضي الله عنه لرجع إليه وقال عبد الله بن مسعود إن هذه الآية التي نزلت في سورة النساء القصصية يعني سورة الطلاق نزلت بعد الآية التي في البقرة «وَالَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْكُمْ وَيَذُرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا» فهي مخصصة لها حسبما قاله جمهور العلماء «أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ» أمر الله بلسكان المطلقة طول العدة فأما المطلقة غير المبتوتة فيجب لها على زوجها السكنى والنفقة باتفاق، وأما المبتوتة ففيها ثلاثة أقوال: أحدها أنها يجب لها السكنى دون النفقة وهو مذهب مالك والشافعي، والثاني يجب لها السكنى والنفقة وهو مذهب أبي حنيفة، والثالث أنها ليس لها سكنى ولا نفقة، فحجة مالك حديث فاطمة بنت قيس وهو أن زوجها طلقها البتة، فقال لها رسول الله ﷺ: «ليس لك عليه نفقة»، فيؤخذ من هذا أن لها السكنى دون النفقة، وحجة من أوجب لها السكنى: قول عمر بن الخطاب: لا ندع آية من كتاب ربنا لقول امرأة إني سمعت رسول الله ﷺ وهو يقول: «لها السكنى والنفقة»، وحجة من لا يجعل لها سكنى ولا نفقة أن في بعض الروايات عنها أنها قالت لم يجعل لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نفقة ولا سكنى، وقوله: «مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ» معناه: أسكنوهن مكانًا من بعض مساكنكم فمن للتبعيض، ويفسر ذلك قول قتادة لو لم يكن له إلا بيت واحد أسكنها في بعض جوانبه «مِنْ وَجْدِكُمْ» الوجد هو الطاقة والسعة في المال فالمعنى أسكنوهن مسكنًا مما تقدرون عليه، وإعراجه عطف بيان لقوله حيث سكنتم ويجوز في الوجد ضم الواو وفتحها وكسرها وهو بمعنى واحد، والضم أكثر وأشهر «وَأَنْ كُنَّ

وَجَدِكُمْ وَلَا نُنَازِرُهُنَّ لِضَيْتُهُنَّ عَلَيْنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَمَلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ
 أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأَنْتُمْ يُنْفِقُونَ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاَسَرْتُمْ فَمَنْعُكُمْ لِأُخْرَى ﴿٧﴾ لِيُنْفِقَ ذُو
 سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يَكْلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ
 اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٨﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرِيْبَةٍ عَنَتْ عَن أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسِبْنَهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا
 نُكْرًا ﴿٩﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿١٠﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي

أُولَاتٍ حَمَلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ اتفق العلماء على وجوب النفقة في العدة للمطلقة الحامل عملاً بهذه الآية سواء كان الطلاق رجعيًا أو بائنًا واتفقوا على أن للمطلقة غير الحامل النفقة في العدة إذا كان الطلاق رجعيًا فإن كان بائنًا فاختلّفوا في نفقتها حسبما ذكرناه وأما المتوفى عنها زوجها إذا كانت حاملاً فلا نفقة لها عند مالك والجمهور لأنهم رأوا أن هذه الآية إنما هي في المطلقات وقال قوم لها النفقة في التركة ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ المعنى إن أرضع هؤلاء الزوجات المطلقات أولادكم فآتوهن أجره الرضاع وهي النفقة وسائر المؤن حسبما ذكر في كتب الفقه ﴿وَإِنَّكُمْ بِمَعْرُوفٍ﴾ هذا خطاب للرجال والنساء والمعنى أن يأمر كل واحد صاحبه بخير من المسامحة والرفق والإحسان وقيل معنى اتصروا تشاوروا ومنه ﴿إِنَّ الْمَلَآءَ يَأْتِمُرُونَ بِكَ﴾ [القصص: ٢٠] ﴿وَإِنْ تَعَاَسَرْتُمْ فَمَنْعُكُمْ لَهُ أُخْرَى﴾ المعنى إن تشطّطت الأم على الأب في أجره الرضاع وطلبت منه كثيرًا فللاب أن يسترضع لولده امرأة أخرى بما هو أرفق له إلا أن لا يقبل الطفل غير ثدي أمه فتجبر حينئذ على رضاعه بأجرة مثلها ومثل الزوج ﴿لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ﴾ أمر بأن ينفق كل واحد على مقدار حاله ولا يكلف الزوج ما لا يطيق ولا تضيق الزوجة بل يكون الحال معتدلاً وفي الآية دليل على أن النفقة تختلف باختلاف أحوال الناس وهو مذهب مالك خلافاً لأبي حنيفة فإنه اعتبر الكفاية. ومن عجز عن نفقة امرأته فمذهب مالك والشافعي أنها تطلق عليه خلافاً لأبي حنيفة وإن عجز عن الكسوة دون النفقة ففي التطبيق عليه قولان في المذهب ﴿فَحَاسِبْنَهَا حِسَابًا شَدِيدًا﴾ أي حاسبنا أهلها قيل يعني الحساب في الآخرة وكذلك العذاب المذكور بعده وقيل يعني في الدنيا وهذا أرجح لأنه ذكر عذاب الآخرة بعد ذلك في قوله: ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾، أو لأن قوله حاسبناها وعذبناها بلفظ الماضي فهو حقيقة فيما وقع مجاز فيما لم يقع فمعنى حاسبناها أي آخذناهم بذنوبهم ولم يغتفر لهم شيء من صغائرهم والعذاب هو عقابهم في الدنيا والنكر هو الشديد الذي لم يعهد مثله ﴿قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ رسول هو محمد ﷺ

الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٥﴾ رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مَبِينَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا ﴿١٦﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِئَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٧﴾

وإعراب رسولاً مفعول بفعل مضمرة تقديره أرسل رسولاً وهذا الذي اختاره ابن عطية وهو أظهر الأقوال وقيل إن الذكر والرسول معاً يراد بهما القرآن والرسول على هذا بمعنى الرسالة وقيل إنهما يراد بهما القرآن على حذف مضاف تقديره ذكراً ذا رسول وقيل رسولاً مفعول بالمصدر الذي هو الذكر. وقال الزمخشري: الرسول هو جبريل بدل من الذكر لأنه نزل به أو سمي ذكراً لكثرة ذكره لله وهذا كله بعيد ﴿وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ لا خلاف أن السموات سبع وأما الأرض فاختلف فيها فقيل إنها سبع أرضين لظاهر هذه الآية ولقوله ﷺ: «مَنْ غَضِبَ شَبْرًا مِنْ أَرْضِ طَوْقِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ سَبْعِ أَرْضِينَ» وقيل إنما هي واحدة فقوله مثلهن على القول الأول يعني به المماثلة في العدد وعلى القول الثاني يعني به المماثلة في عظم الجرم وكثرة العمار وغير ذلك والأول أرجح ﴿يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ يحتمل أن يريد بالأمر الوحي أو أحكام الله وتقديره لخلقه.

سورة التحريم

مدنية وآياتها ٦٢ نزلت بعد الحجرات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَأْتِيهَا النَّبِيُّ لِمَ تَحْرِمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْنِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١﴾ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ
أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾ وَإِذْ أَسْرَأَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَأَتْ بِهِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ لِمَ تَحْرِمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ في سبب نزولها روايتان إحداهما أن رسول الله ﷺ جاء يوماً إلى بيت زوجه حفصة بنت عمر بن الخطاب فوجدها قد مرّت لزيارة أبيها فبعث إلى جاريتها مارية فجامعها في البيت فجاءت حفصة فقالت يا رسول الله ما كان في نساءك أهون عليك منّي أتفعل هذا في بيتي وعلى فراشي فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مترضياً لها: «أيرضيك أن أحرمها؟» قالت: نعم، فقال: «إني قد حرمتها»، والرواية الأخرى أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يدخل على زوجه زينب بنت جحش فيشرب عندها عسلاً؛ فانفتحت عائشة وحفصة وسودة بنت زمعة على أن تقول له من دنا منها أكلت مغافير والمغافير صمغ العرطف وهو حلّو كرية الريح ففعلن ذلك، فقال رسول الله ﷺ: «لا ولكنني شربت عسلاً»، فقلن له جرت نحلة العرطف فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لا أنا»
أرهبه فدخل بعد ذلك

على زينب فقالت ألا أسقيك من ذلك؟ فقال: «لا حاجة لي به»، فنزلت الآية عتابًا له على أن يضيق على نفسه بتحريم الجارية أو تحريم العسل، والرواية الأولى أشهر وعليها تكلم الناس في فقه السورة، وقد خرج الرواية الثانية البخاري وغيره ولتكلم على فقه التحريم، فأما تحريم الطعام والمال وسائر الأشياء ما عدا النساء، فلا يلزم ولا شيء عليه عند مالك، وأوجب عليه أبو حنيفة الكفارة، وأما تحريم الأمة فإن نوى به العتق لزم وإن لم ينو به ذلك لم يلزم وكان حكمه ما ذكرنا في الطعام وأما تحريم الزوجة فاختلف الناس فيه على أقوال كثيرة فقال أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وابن عباس وعائشة وغيرهم إنما يلزم فيه كفارة يمين وقال مالك في المشهور عنه ثلاث تطليقات في المدخول بها وينوي في غير المدخول بها فيحكم بما نوى من طلقة أو اثنتين أو ثلاث، وقال ابن الماجشون هي ثلاث في الوجهين ورؤي عن مالك أنها طلقة بائنة، وقيل طلقة رجعية «تَبْتَعِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ» أي تطلب رضا أزواجك بتحريم ما أحل الله لك يعني تحريمه للجارية ابتغاء رضا حفصة، وهذا يدل على أنها نزلت في تحريم الجارية وأما تحريم العسل فلم يقصد فيه رضا أزواجه وإنما تركه لرائحته «وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ» في هذا إشارة إلى أن الله غفر له ما عاتبه عليه من التحريم على أن عتابه في ذلك إنما كان كرامة له وإنما وقع العتاب على تضييقه عليه السلام على نفسه وامتناعه مما كان له فيه أرب ويئس ما قال الزمخشري في أن هذا كان منه زلة لأنه حرم ما أحل الله وذلك قلة أدب على منصب النبوة «قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ» التحلة هي الكفارة وأحال تعالى هنا على ما ذكر في سورة المائدة من صفتها واختلف في المراد بها هنا فأما على قول من قال إن الآية نزلت في تحريم الجارية فاختلف في ذلك فمن قال إن التحريم يلزم فيه كفارة يمين استدلل بها ومن قال إن التحريم يلزم فيه طلاق قال إن الكفارة هنا إنما هي لأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حلف وقال والله لا أطؤها أبدًا وأما على القول بأن الآية نزلت في تحريم العسل فاختلف أيضًا فمن أوجب في تحريم الطعام كفارة قال هذه الكفارة للتحريم ومن قال لا كفارة فيه قال إنما هذه الكفارة لأنه حلف ألا يشربه وقيل هي في يمينه عليه السلام أن لا يدخل على نسائه شهرًا «وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ» يحتمل أن يكون المولى بمعنى الناصر أو بمعنى السيد الأعظم «وَإِذْ أَسْرَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا» اختلف في هذا الحديث على ثلاثة أقوال أحدها أنه تحريم الجارية فإنه لما حرمها قال لحفصة لا تخبري بذلك أحدًا والآخر أنه قال إن أبا بكر وعمر يليان الأمر من بعده والثالث أنه قوله شربت عسلًا والأول أشهر وبعض أزواجه حفصة «فَلَمَّا تَبَأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ» كانت حفصة قد أخبرت

وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِي الْعَلِيمُ
 الْخَيْرُ ﴿٣﴾ إِنْ نُوْبًا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَعَتْ قُلُوبُكُمْ وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ
 وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُمْ أَرْوَاجًا خَيْرًا

عائشة بما أسر إليها رسول الله ﷺ من تحريم الجارية فأخبر الله رسوله عليه السلام بذلك فعاقب حفصة على إفشائها لسره فطلقها ثم أمره الله بمراجعتها فراجعها وقيل لم يطلقها فقوله فلما نبأت به حذف المفعول وهو عائشة وقوله وأظهره الله عليه أي أطلعه على إخبارها به وقوله عرف بعضه على عاتب حفصة على بعضه وأعرض عن بعض حياءً وتكريماً فإن من عادة الفضلاء التغافل عن الزلات والتقصير في العتاب وقرىء عرف بالتخفيف من المعرفة ﴿فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا﴾ أي لما أخبر النبي ﷺ حفصة بأنها قد أفشت سره ظنت بأن عائشة هي التي أخبرته فقالت له من أنبأك هذا؟ فلما أخبرها أن الله هو الذي أنبأه سكتت وسلمت ﴿إِنْ تَوْبًا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَعَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ هذا خطاب لعائشة وحفصة وتوبيتهما مما جرى منهما في قصة تحريم الجارية أو العسل ومعنى صغت أي مالت عن الصواب وقرأ ابن مسعود زاغت والمعنى إن توبوا إلى الله فقد صدر منكما ما يوجب التوبة ﴿وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ﴾ المعنى إن تعاونتما عليه ﷺ بما يسوؤه من إفراط الغيرة وإفشاء سره ونحو ذلك فإن له من ينصره ومولاه هنا يحتمل أن يكون بمعنى السيد الأعظم فيوقف على مولاه ويكون جبريل مبتدأ وظهير خبره وخبر ما عطف عليه ويحتمل أن يكون المولى هنا بمعنى الولي الناصر فيكون جبريل معطوف فيوصل مع ما قبله ويوقف على صالح المؤمنين ويكون الملائكة مبتدأ وظهير خبره وهذا أظهر وأرجح لوجهين: أحدهما أن معنى الناصر أليق بهذا الموضع فإن ذلك كرامة للنبي ﷺ وتشريفاً له، وأما إذا كان بمعنى السيد فذلك يشترك فيه النبي ﷺ مع غيره، لأن الله تعالى مولى جميع خلقه بهذا المعنى فليس في ذلك إظهار مزية له، الوجه الثاني أنه ورد في الحديث الصحيح أنه لما وقع ذلك جاء عمر إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا رسول الله ما يشق عليك من شأن النساء فإن كنت طلقتهن فإن الله معك وملائكته وجبريل معك وأبو بكر معك وأنا معك، فنزلت الآية موافقة لقول عمر فقوله يقتضي معك النصره ﴿وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ اختلف في صالح هل هو مفرد أو جمع محذوف النون للإضافة فعلى القول بأنه مفرد هو أبو بكر، وقيل علي بن أبي طالب، وعلى القول بأنه جمع فهو على العموم في كل صالح ﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَنَّ﴾

تَمَكَّنْ مُسَابِلَتِ مُؤْمِنَتِ قَنْتَتِ تَبَيَّتِ عَيْدَاتِ سَبَّحَتْ تَبَيَّتِ وَأَبْكَارًا ﴿٦٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا
 أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غُلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا
 أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَدُوا الْيَوْمَ إِنَّا كُنَّا بِكُمْ نَاعِلُونَ ﴿٦٨﴾
 يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ
 وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ

بموافقته ولقد قال عمر حينئذ للنبي ﷺ والله يا رسول الله لئن أمرتني بضرب عنق حفصة لضربت عنقها، وقد ذكرنا معنى الإسلام والإيمان والقنوت، والسيئات معناه الصائمات قاله ابن عباس وقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وقيل معناه مهاجرات وقيل ذاهبات إلى الله لأن أصل السياحة الذهاب في الأرض وقوله: ﴿تَبَيَّتِ وَأَبْكَارًا﴾، قال بعضهم المراد بالأبكار هنا مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون فإن الله يزوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم إياهما في الجنة وهذا يفتر إلى نقل صحيح ودخلت الواو هنا للتقسيم ولو سقطت لاختل المعنى لأن التوبة والبكارة لا يجتمعان، وقال الكوفيون هي واو الثمانية وذلك ضعيف ﴿قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ أي أطيعوا الله وأمروا أهلكم بطاعته لتقوا أنفسكم وأهليكم بطاعته من النار فعبر بالمسبب وهو وقاية النار عن السبب وهو الطاعة ﴿وَقُودُهَا﴾ ذكر في البقرة ﴿مَلَائِكَةٌ غُلَاظٌ شِدَادٌ﴾ يعني زبانية النار وغلظهم وشدتهم يحتمل أن يريد في أجرامهم وفي قساوة قلوبهم ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ قيل إن هذا تأكيد لقوله: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ﴾، وقيل إن معنى لا يعصون امتثال الأمر، ومعنى يفعلون ما يؤمرون جدهم ونشاطهم فيما يؤمرون به من عذاب الناس ﴿لَا تَعْتَدُوا الْيَوْمَ﴾ يعني يوم القيامة ويحتمل أن يكون هذا خطاب من الله للكفار أو خطاب من الملائكة ﴿تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ قال عمر بن الخطاب التوبة النصوح هي أن تتوب من الذنب ثم لا تعود إليه أبداً ولا تريد أن تعود وقيل معناه توبة خالصة فهو من قولهم غسل ناصح إذا خلص من الشمع، وقيل هو أن تضيق على التائب الأرض بما رحبت كتوبة الثلاثة الذين خلفوا قال الزمخشري وُضِعَتْ التوبة بالنصح على الإسناد المجازي والنصح في الحقيقة صفة التائبين وهو أن ينصحوا بالتوبة أنفسهم وقد تكلمنا على التوبة في قوله: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا﴾ [النور: ٣١] في النور ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ﴾ العامل في يوم يحتمل أن يكون ماقبله أو ما بعده أو محذوف تقديره: اذكر، والوقوف والابتداء يختلف على ذلك ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ يحتمل أن يكون معطوفاً على النبي أو مبتدأ وخبره بعده ﴿تُورَهُمْ يَسْعَى﴾ ذكر في الحديد ﴿يَجَاهِدُ

تُورْهُمُ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَيَأْمِنُهُمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا آتِنَا لَنَا نُورَنَا وَأَعْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾ يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ جَهْدِ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلَظَ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبئس الْمَصِيرُ ﴿٩﴾ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا أُمَّرَاتَ نُوحٍ وَأُمَّرَاتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أُمَّرَاتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَبِغْنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَبِغْنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا إِتْقَانُ الْإِسْلَامِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِنِينَ ﴿١٢﴾

الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ ﴿٨﴾ ذكر في براءة ﴿أُمَّرَاتَ نُوحٍ وَأُمَّرَاتَ لُوطٍ﴾ قيل اسم امرأة نوح والهة، واسم امرأة لوط والعة، وهذا يفتقر إلى صحة نقل ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ قال ابن عباس خيانة امرأة نوح في أنها كانت تقول إنه مجنون وخيانة امرأة لوط بأنها كانت تخبر قومه بأضيافه إذا قدموا عليه، وكانتا مع ذلك كافرتين، وقيل خانتا بالزنا، وأنكر ابن عباس ذلك وقال ما زنت امرأة نبي قط تنزيهاً من الله لهم عن هذا النقص، وضرب الله المثل بهاتين المرأتين للكفار الذين بينهم وبين الأنبياء وسائل كأنه يقول لا يغني أحد عن أحد ولو كان أقرب الناس إليه كقرب امرأة نوح وامرأة لوط من أزواجهما وقيل هذا مثال لأزواج النبي ﷺ فيما ذكر في أول السورة وهذا باطل لأن الله إنما ضربه للذين كفروا. وامرأة فرعون اسمها آسية وكانت قد آمنت بموسى عليه السلام فبلغ ذلك فرعون فأمر بقتلها، فدعت بهذا الدعاء فقبض الله روحها، ورؤي في قصصها غير هذا مما يطول وهو غير صحيح ﴿مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ﴾ تعني كفره وظلمه، وقيل مضاجعته لها وهذا ضعيف ﴿أَخْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ يعني الفرج الذي هو الجارحة وإحصانها له هو صيانتها وعفتها عن كل مكروه ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا﴾ عبارة عن نفخ جبريل في فرجها، فخلق الله فيه عيسى عليه السلام وأضاف الله الروح إلى نفسه إضافة مخلوق إلى خالقه، وفي ذلك تشريف له ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا إِتْقَانُ الْإِسْلَامِ﴾ يحتمل أن يريد بها الكتب التي أنزل الله أو كلامه مع الملائكة وغيرهم، وكتابه بالإنفراد يحتمل أن يريد به التوراة أو الإنجيل أو جنس الكتب وقرىء بالجمع يعني جميع كتب الله ﴿مِنْ الْقَانِنِينَ﴾ أي من العابدين، فإن قيل: لِمَ قال من القانتين بجمع المذكور وهي أنثى؟

سورة الملك

مكية وآياتها ٣٠ نزلت بعد الطور

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَسْئَلُكُمْ إِنَّكُمْ أَعْسَنُ عَمَلًا
وَهُوَ الْعَزِيزُ الْمُغْوِرُ ﴿٢﴾ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَلُّتٍ فَأَرْجِعْ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ورد في الحديث أن رسول الله ﷺ كان يقرأ هذه السورة كل ليلة إذا أخذ مضجعه وأنه عليه الصلاة والسلام قال: إنها تنجي من عذاب القبر ﴿تَبَارَكَ﴾ فعل مشتق من البركة، وقيل معناه تعظيم وهو مختص بالله تعالى ولم ينطق له بمضارع ﴿بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ يعني ملك السموات والأرض والدنيا والآخرة، وقيل يعني ملك الملوك في الدنيا فهو كقوله مالك الملك والأول أعم وأعظم ﴿خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾ يعني موت الخلق وحياتهم، وقيل الموت الدنيا لأن أهلها يموتون، والحياء الآخرة لأنها باقية فهو كقوله: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾ [العنكبوت: ٦٤] وهو على هذا وصف بالمصدر والأول أظهر ﴿لِيَسْئَلُكُمْ﴾ أي ليختبركم واختبار الله لعباده إنما هو لتقوم عليهم الحجة بما يصدر منهم وقد كان الله علم ما يفعلون قبل كونه والمعنى ليلوكم فيجازيكم بما ظهر منكم ﴿إِنَّكُمْ أَعْسَنُ عَمَلًا﴾ رُوِيَ أن رسول الله ﷺ قرأها فقال: «أيكم أحسن عملاً وأشدكم لله خوفاً وأورع عن محارم

الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِنْ فُطُورٍ ﴿٢﴾ ثُمَّ أَرْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحٍ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ﴿٥﴾ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا

الله وأسرع في طاعة الله ﴿سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا﴾ أي بعضها فوق بعض، والطباق مصدر وُصفت به السموات أو على حذف مضاف تقديره ذوات طباق وقيل إنه جمع طبقة ﴿مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ﴾ أي من قلة تناسب وخروج عن الإلتقان، والمعنى أن خلقه السموات في غاية الإلتقان وقيل أراد خلقه جميع المخلوقات ولا شك أن جميع المخلوقات متقنة ولكن تخصيص الآية بخلق السموات أظهر لورودها بعد قوله خلق سبع سموات طباقًا فبان قوله ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت بيان وتكميل ما قبله والخطاب في قوله ما ترى وارجع البصر وما بعده للنبي ﷺ أو لكل مخاطب ليعتبر ﴿فَأَرْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِنْ فُطُورٍ﴾ الفطور الشقوق جمع فطر، وهو الشق وإرجاع البصر ترديده في النظر، ومعنى الآية الأمر بالنظر إلى السماء فلا يرى فيها شقاق ولا خلل بل هي ملتزمة مستوية ﴿ثُمَّ أَرْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾ أي انظر نظرًا بعد نظر للثبوت والتحقق، وقال الزمخشري معنى الثنية في كرتين التكثير لا مرتين خاصة، كقولهم لبيك فإن معناه إجابات كثيرة ﴿يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ الخاسيء هو المبعد عن الشيء الذي طلبه، والحسير هو الكليل الذي أدركه التعب فمعنى الآية أنك إذا نظرت إلى السماء مرة بعد مرة لترى فيها شقاقًا أو خللاً رجوع بصرك ولم تر شيئاً من ذلك فكأنه خاسيء لأنه لم يحصل له ما طلب من رؤية الشقاق والخلل وهو مع ذلك كليل من شدة النظر وكثرة التأمل ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحٍ﴾ السماء الدنيا هي القريبة منا، والمصابيح يُراد بها النجوم فإن كانت النجوم كلها في السماء الدنيا فلا إشكال، وإن كانت في غيرها من السموات فقد زينت السماء الدنيا، لأنها ظاهرة فيها لنا ويحتمل أن يريد أنه زين السماء الدنيا بالنجوم التي فيها دون التي في غيرها على أن القول بموضع الكواكب وفي أي سماء هي لم يرد في الشريعة ﴿وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ﴾ أي جعلنا منها رجوماً، لأن الكواكب الثابتة ليست ترجم الشياطين فهو كقولك: أكرمت بني فلان إذا أكرمت بعضهم، والرجوم جمع رجم وهو مصدر سمي به ما يُرجم به، قال الزمخشري معنى كون النجوم رجوماً للشياطين والشهب تنقض من النجوم لرجم الشياطين الذين يسترقون السمع من السماء فالشهب الراجمة منفصلة من نار الكواكب لا أن الراجمة هي الكواكب أنفسها لأنها ثابتة في الفلك قال قتادة خلق الله النجوم لثلاثة أشياء زينة السماء ورجوم

رَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ. وَيَسَّ الْمَصِيرُ ﴿٦﴾ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهيقًا وَهِيَ تَفُورٌ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلْتُمْ خَزَنَتَهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحِّقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١١﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾ وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ أَوْ أَحْجَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْتَسُوا فِي مَنَازِكِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴿١٥﴾

السَّعِيرِ ﴿١٠﴾ يعني للشياطين ﴿سَمِعُوا لَهَا شَهيقًا﴾ الشهيق أقبح ما يكون من صوت الحمار ويعني به هنا ما يسمع من صوت جهنم لشدة غليانها وهولها أو شهيق أهلها، والأول أظهر ﴿وَهِيَ تَفُورٌ﴾ أي تغلي بأهلها غليان القدر بما فيها ﴿تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ﴾ أي تكاد جهنم يفصل بعضها عن بعض لشدة غيظها على الكفار، فيحتمل أن تكون هي المغتظة بنفسها ويحتمل أن يريد غيظ الزبانية والأول أظهر لأن حال الزبانية يُذكر بعد هذا وغيظ النار يحتمل أن يكون حقيقة بإدراك يخلقه الله لها أو يكون عبارة عن شدتها ﴿كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ﴾ أي كلما أُلْقِيَ في جهنم جماعة من الكفار سألتهم الزبانية هل جاءكم من نذير أي رسول وهذا السؤال على وجه التوبيخ وإقامة الحججة عليهم، ولذلك اعترفوا فقالوا بلى قد جاءنا نذير، وقوله كلما يقتضي أن يقال ذلك لكل جماعة تلقى في النار ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ﴾ يحتمل أن يكون من قول الملائكة للكفار أو من قول الكفار للرسول في الدنيا ﴿وَقَالُوا﴾ الضمير للكفار أي لو كنا نسمع كلام الرُّسُل ونعقل الصواب ما كنا في أصحاب السعير ﴿فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ﴾ اعترفهم هذا في وقت لا ينفعهم الاعتراف وذنبهم هنا يراد به تكذيب الرُّسُل ﴿فَسُحِّقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ انتصب فسحِّقًا بفعل مضمر على معنى الدعاء عليهم ﴿بِالْغَيْبِ﴾ فيه قولان أحدهما أن معناه وهم غائبون عن الناس ففي ذلك وصف لهم بالإخلاص والآخر أن الغيب ما غاب عنهم من أمور الآخرة وغيرها على أن هذا القول إنما يحسن في قوله يؤمنون بالغيب ﴿وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ أَوْ أَحْجَرُوا بِهِ﴾ المعنى سواء جهرتم أو أسررتم فإن الله يعلم الجهر والسر ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ هذا برهان على أن الله تعالى يعلم كل شيء لأن الخالق يعلم مخلوقاته ويحتمل أن يكون من خلق فاعلاً يراد به الخالق والمفعول محذوف تقديره ألا يعلم الخالق خلقه أو يكون من خلق مفعولاً والفاعل مضمر تقديره ألا يعلم الله من خلق والأول أرجح لأن من خلق إذا كان مفعولاً اختص بمن يعقل والمعنى الأول يعلم من يعقل ومن لا يعقل ﴿الْأَرْضَ ذُلُولًا﴾ فعول هنا بمعنى مفعول أي

ءَأَمِنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورٌ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْمَوْنَ كَيْفَ نَذِيرٍ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفَقَتْ أجنابَهُنَّ وَيُقِضْنَ مَا يُمَسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾ أَمْ نَظُنُّ أَنَّا لَمَّا كُنَّا فِي الْأَرْضِ لَكُم مَّرْكُومٌ ﴿٢٠﴾ أَمْ نَظُنُّ أَنَّا لَمَّا كُنَّا فِي الْأَرْضِ لَكُم مَّرْكُومٌ ﴿٢١﴾ أَمْ نَظُنُّ أَنَّا لَمَّا كُنَّا فِي الْأَرْضِ لَكُم مَّرْكُومٌ ﴿٢٢﴾ أَمْ نَظُنُّ أَنَّا لَمَّا كُنَّا فِي الْأَرْضِ لَكُم مَّرْكُومٌ ﴿٢٣﴾ أَمْ نَظُنُّ أَنَّا لَمَّا كُنَّا فِي الْأَرْضِ لَكُم مَّرْكُومٌ ﴿٢٤﴾ أَمْ نَظُنُّ أَنَّا لَمَّا كُنَّا فِي الْأَرْضِ لَكُم مَّرْكُومٌ ﴿٢٥﴾ أَمْ نَظُنُّ أَنَّا لَمَّا كُنَّا فِي الْأَرْضِ لَكُم مَّرْكُومٌ ﴿٢٦﴾ أَمْ نَظُنُّ أَنَّا لَمَّا كُنَّا فِي الْأَرْضِ لَكُم مَّرْكُومٌ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَظُنُّ أَنَّا لَمَّا كُنَّا فِي الْأَرْضِ لَكُم مَّرْكُومٌ ﴿٢٨﴾ أَمْ نَظُنُّ أَنَّا لَمَّا كُنَّا فِي الْأَرْضِ لَكُم مَّرْكُومٌ ﴿٢٩﴾ أَمْ نَظُنُّ أَنَّا لَمَّا كُنَّا فِي الْأَرْضِ لَكُم مَّرْكُومٌ ﴿٣٠﴾ أَمْ نَظُنُّ أَنَّا لَمَّا كُنَّا فِي الْأَرْضِ لَكُم مَّرْكُومٌ ﴿٣١﴾ أَمْ نَظُنُّ أَنَّا لَمَّا كُنَّا فِي الْأَرْضِ لَكُم مَّرْكُومٌ ﴿٣٢﴾ أَمْ نَظُنُّ أَنَّا لَمَّا كُنَّا فِي الْأَرْضِ لَكُم مَّرْكُومٌ ﴿٣٣﴾ أَمْ نَظُنُّ أَنَّا لَمَّا كُنَّا فِي الْأَرْضِ لَكُم مَّرْكُومٌ ﴿٣٤﴾ أَمْ نَظُنُّ أَنَّا لَمَّا كُنَّا فِي الْأَرْضِ لَكُم مَّرْكُومٌ ﴿٣٥﴾ أَمْ نَظُنُّ أَنَّا لَمَّا كُنَّا فِي الْأَرْضِ لَكُم مَّرْكُومٌ ﴿٣٦﴾ أَمْ نَظُنُّ أَنَّا لَمَّا كُنَّا فِي الْأَرْضِ لَكُم مَّرْكُومٌ ﴿٣٧﴾ أَمْ نَظُنُّ أَنَّا لَمَّا كُنَّا فِي الْأَرْضِ لَكُم مَّرْكُومٌ ﴿٣٨﴾ أَمْ نَظُنُّ أَنَّا لَمَّا كُنَّا فِي الْأَرْضِ لَكُم مَّرْكُومٌ ﴿٣٩﴾ أَمْ نَظُنُّ أَنَّا لَمَّا كُنَّا فِي الْأَرْضِ لَكُم مَّرْكُومٌ ﴿٤٠﴾ أَمْ نَظُنُّ أَنَّا لَمَّا كُنَّا فِي الْأَرْضِ لَكُم مَّرْكُومٌ ﴿٤١﴾ أَمْ نَظُنُّ أَنَّا لَمَّا كُنَّا فِي الْأَرْضِ لَكُم مَّرْكُومٌ ﴿٤٢﴾ أَمْ نَظُنُّ أَنَّا لَمَّا كُنَّا فِي الْأَرْضِ لَكُم مَّرْكُومٌ ﴿٤٣﴾ أَمْ نَظُنُّ أَنَّا لَمَّا كُنَّا فِي الْأَرْضِ لَكُم مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾ أَمْ نَظُنُّ أَنَّا لَمَّا كُنَّا فِي الْأَرْضِ لَكُم مَّرْكُومٌ ﴿٤٥﴾ أَمْ نَظُنُّ أَنَّا لَمَّا كُنَّا فِي الْأَرْضِ لَكُم مَّرْكُومٌ ﴿٤٦﴾ أَمْ نَظُنُّ أَنَّا لَمَّا كُنَّا فِي الْأَرْضِ لَكُم مَّرْكُومٌ ﴿٤٧﴾ أَمْ نَظُنُّ أَنَّا لَمَّا كُنَّا فِي الْأَرْضِ لَكُم مَّرْكُومٌ ﴿٤٨﴾ أَمْ نَظُنُّ أَنَّا لَمَّا كُنَّا فِي الْأَرْضِ لَكُم مَّرْكُومٌ ﴿٤٩﴾ أَمْ نَظُنُّ أَنَّا لَمَّا كُنَّا فِي الْأَرْضِ لَكُم مَّرْكُومٌ ﴿٥٠﴾ أَمْ نَظُنُّ أَنَّا لَمَّا كُنَّا فِي الْأَرْضِ لَكُم مَّرْكُومٌ ﴿٥١﴾ أَمْ نَظُنُّ أَنَّا لَمَّا كُنَّا فِي الْأَرْضِ لَكُم مَّرْكُومٌ ﴿٥٢﴾ أَمْ نَظُنُّ أَنَّا لَمَّا كُنَّا فِي الْأَرْضِ لَكُم مَّرْكُومٌ ﴿٥٣﴾ أَمْ نَظُنُّ أَنَّا لَمَّا كُنَّا فِي الْأَرْضِ لَكُم مَّرْكُومٌ ﴿٥٤﴾ أَمْ نَظُنُّ أَنَّا لَمَّا كُنَّا فِي الْأَرْضِ لَكُم مَّرْكُومٌ ﴿٥٥﴾ أَمْ نَظُنُّ أَنَّا لَمَّا كُنَّا فِي الْأَرْضِ لَكُم مَّرْكُومٌ ﴿٥٦﴾ أَمْ نَظُنُّ أَنَّا لَمَّا كُنَّا فِي الْأَرْضِ لَكُم مَّرْكُومٌ ﴿٥٧﴾ أَمْ نَظُنُّ أَنَّا لَمَّا كُنَّا فِي الْأَرْضِ لَكُم مَّرْكُومٌ ﴿٥٨﴾ أَمْ نَظُنُّ أَنَّا لَمَّا كُنَّا فِي الْأَرْضِ لَكُم مَّرْكُومٌ ﴿٥٩﴾ أَمْ نَظُنُّ أَنَّا لَمَّا كُنَّا فِي الْأَرْضِ لَكُم مَّرْكُومٌ ﴿٦٠﴾ أَمْ نَظُنُّ أَنَّا لَمَّا كُنَّا فِي الْأَرْضِ لَكُم مَّرْكُومٌ ﴿٦١﴾ أَمْ نَظُنُّ أَنَّا لَمَّا كُنَّا فِي الْأَرْضِ لَكُم مَّرْكُومٌ ﴿٦٢﴾ أَمْ نَظُنُّ أَنَّا لَمَّا كُنَّا فِي الْأَرْضِ لَكُم مَّرْكُومٌ ﴿٦٣﴾ أَمْ نَظُنُّ أَنَّا لَمَّا كُنَّا فِي الْأَرْضِ لَكُم مَّرْكُومٌ ﴿٦٤﴾ أَمْ نَظُنُّ أَنَّا لَمَّا كُنَّا فِي الْأَرْضِ لَكُم مَّرْكُومٌ ﴿٦٥﴾ أَمْ نَظُنُّ أَنَّا لَمَّا كُنَّا فِي الْأَرْضِ لَكُم مَّرْكُومٌ ﴿٦٦﴾ أَمْ نَظُنُّ أَنَّا لَمَّا كُنَّا فِي الْأَرْضِ لَكُم مَّرْكُومٌ ﴿٦٧﴾ أَمْ نَظُنُّ أَنَّا لَمَّا كُنَّا فِي الْأَرْضِ لَكُم مَّرْكُومٌ ﴿٦٨﴾ أَمْ نَظُنُّ أَنَّا لَمَّا كُنَّا فِي الْأَرْضِ لَكُم مَّرْكُومٌ ﴿٦٩﴾ أَمْ نَظُنُّ أَنَّا لَمَّا كُنَّا فِي الْأَرْضِ لَكُم مَّرْكُومٌ ﴿٧٠﴾ أَمْ نَظُنُّ أَنَّا لَمَّا كُنَّا فِي الْأَرْضِ لَكُم مَّرْكُومٌ ﴿٧١﴾ أَمْ نَظُنُّ أَنَّا لَمَّا كُنَّا فِي الْأَرْضِ لَكُم مَّرْكُومٌ ﴿٧٢﴾ أَمْ نَظُنُّ أَنَّا لَمَّا كُنَّا فِي الْأَرْضِ لَكُم مَّرْكُومٌ ﴿٧٣﴾ أَمْ نَظُنُّ أَنَّا لَمَّا كُنَّا فِي الْأَرْضِ لَكُم مَّرْكُومٌ ﴿٧٤﴾ أَمْ نَظُنُّ أَنَّا لَمَّا كُنَّا فِي الْأَرْضِ لَكُم مَّرْكُومٌ ﴿٧٥﴾ أَمْ نَظُنُّ أَنَّا لَمَّا كُنَّا فِي الْأَرْضِ لَكُم مَّرْكُومٌ ﴿٧٦﴾ أَمْ نَظُنُّ أَنَّا لَمَّا كُنَّا فِي الْأَرْضِ لَكُم مَّرْكُومٌ ﴿٧٧﴾ أَمْ نَظُنُّ أَنَّا لَمَّا كُنَّا فِي الْأَرْضِ لَكُم مَّرْكُومٌ ﴿٧٨﴾ أَمْ نَظُنُّ أَنَّا لَمَّا كُنَّا فِي الْأَرْضِ لَكُم مَّرْكُومٌ ﴿٧٩﴾ أَمْ نَظُنُّ أَنَّا لَمَّا كُنَّا فِي الْأَرْضِ لَكُم مَّرْكُومٌ ﴿٨٠﴾ أَمْ نَظُنُّ أَنَّا لَمَّا كُنَّا فِي الْأَرْضِ لَكُم مَّرْكُومٌ ﴿٨١﴾ أَمْ نَظُنُّ أَنَّا لَمَّا كُنَّا فِي الْأَرْضِ لَكُم مَّرْكُومٌ ﴿٨٢﴾ أَمْ نَظُنُّ أَنَّا لَمَّا كُنَّا فِي الْأَرْضِ لَكُم مَّرْكُومٌ ﴿٨٣﴾ أَمْ نَظُنُّ أَنَّا لَمَّا كُنَّا فِي الْأَرْضِ لَكُم مَّرْكُومٌ ﴿٨٤﴾ أَمْ نَظُنُّ أَنَّا لَمَّا كُنَّا فِي الْأَرْضِ لَكُم مَّرْكُومٌ ﴿٨٥﴾ أَمْ نَظُنُّ أَنَّا لَمَّا كُنَّا فِي الْأَرْضِ لَكُم مَّرْكُومٌ ﴿٨٦﴾ أَمْ نَظُنُّ أَنَّا لَمَّا كُنَّا فِي الْأَرْضِ لَكُم مَّرْكُومٌ ﴿٨٧﴾ أَمْ نَظُنُّ أَنَّا لَمَّا كُنَّا فِي الْأَرْضِ لَكُم مَّرْكُومٌ ﴿٨٨﴾ أَمْ نَظُنُّ أَنَّا لَمَّا كُنَّا فِي الْأَرْضِ لَكُم مَّرْكُومٌ ﴿٨٩﴾ أَمْ نَظُنُّ أَنَّا لَمَّا كُنَّا فِي الْأَرْضِ لَكُم مَّرْكُومٌ ﴿٩٠﴾ أَمْ نَظُنُّ أَنَّا لَمَّا كُنَّا فِي الْأَرْضِ لَكُم مَّرْكُومٌ ﴿٩١﴾ أَمْ نَظُنُّ أَنَّا لَمَّا كُنَّا فِي الْأَرْضِ لَكُم مَّرْكُومٌ ﴿٩٢﴾ أَمْ نَظُنُّ أَنَّا لَمَّا كُنَّا فِي الْأَرْضِ لَكُم مَّرْكُومٌ ﴿٩٣﴾ أَمْ نَظُنُّ أَنَّا لَمَّا كُنَّا فِي الْأَرْضِ لَكُم مَّرْكُومٌ ﴿٩٤﴾ أَمْ نَظُنُّ أَنَّا لَمَّا كُنَّا فِي الْأَرْضِ لَكُم مَّرْكُومٌ ﴿٩٥﴾ أَمْ نَظُنُّ أَنَّا لَمَّا كُنَّا فِي الْأَرْضِ لَكُم مَّرْكُومٌ ﴿٩٦﴾ أَمْ نَظُنُّ أَنَّا لَمَّا كُنَّا فِي الْأَرْضِ لَكُم مَّرْكُومٌ ﴿٩٧﴾ أَمْ نَظُنُّ أَنَّا لَمَّا كُنَّا فِي الْأَرْضِ لَكُم مَّرْكُومٌ ﴿٩٨﴾ أَمْ نَظُنُّ أَنَّا لَمَّا كُنَّا فِي الْأَرْضِ لَكُم مَّرْكُومٌ ﴿٩٩﴾ أَمْ نَظُنُّ أَنَّا لَمَّا كُنَّا فِي الْأَرْضِ لَكُم مَّرْكُومٌ ﴿١٠٠﴾

مذلولة فهي كركوب وحلوب ﴿فَامشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾ قال ابن عباس هي الجبال وقيل الجوانب والنواحي وقيل الطرق والمعنى تعديد النعمة في تسهيل المشي على الأرض فاستعار لها الذل والمناكب تشبيهاً بالدواب ﴿وَالْيَئِيسُ السُّورُ﴾ يعني البعث يوم القيامة ﴿أَأَمِنْتُمْ﴾ الآية مقصودها التهديد والتخويف للكفار وكذلك الآية التي بعدها ﴿تَمُورُ﴾ ذكر في الطور ﴿حَاصِبًا﴾ يحتمل أن يريد حجارة أو ريحاً شديدة ﴿نَذِيرٍ﴾ بمعنى الإنذار وكذلك النكير بمعنى الإنكار ﴿أَوْ لَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَاتٍ﴾ تنبيه على الاعتبار بطيران الطيور في الهواء من غير شيء يمسكها وصافات جمع صافة وهي التي تبسط جناحها للطيران والقبض ضم الجناحين إلى الجنب وعطف يقبض على صافات لأن الفعل في معنى الاسم تقديره قابضات فإن قيل لم يقل قابضات على طريقة صافات؟ فالجواب أن بسط الجناحين هو الأصل في الطيران كما أن مد الأطراف هو الأصل في السباحة فذكر بصيغة اسم الفاعل لدوامه وكثرته، وأما قبض الجناحين فإنما يفعله الطائر قليلاً للاستراحة والاستعانة فذكر بلفظ الفعل لقلته ﴿أَمْ نَظُنُّ أَنَّا لَمَّا كُنَّا فِي الْأَرْضِ لَكُم مَّرْكُومٌ﴾ خطاب للكفار على وجه التوبيخ والتهديد وإقامة الحجّة عليهم ودخلت أم التي يراد بها الإنكار على من فأدغمت فيها وكذلك آمن هذا الذي يرزقكم والضمير في أمسك الله أي من يرزقكم إن منع الله رزقه، ﴿بَلْ لَّجُؤًا﴾ أي تمادوا في العتو والنفور عن الإيمان ﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ﴾ الآية توقيف على الحاليتين، أيهما أهدى والمراد بها توبيخ الكفار، وفي معناها قولان: أحدهما أن المشي هنا استعارة في سلوك طريق الهدى والضلال في الدنيا، والآخر أنه حقيقة في المشي في الآخرة لأن الكافر يحمل على المشي إلى جهنم على وجهه فأما على القول الأول فقيل إن الذي يمشي مُكِبًّا أبو جهل والذي يمشي سوياً سيدنا محمد ﷺ، وقيل حمزة وقيل هي على

الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٦﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٧﴾ قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٢٨﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيِّئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ ﴿٢٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِي اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿٣٠﴾ قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ أَمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٣١﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ ﴿٣٢﴾

الثاني، والمكب هو الذي يقع على وجهه يقال أكب الرجل وكبه غيره فالمعنى دون همزة والقاصر بالهمزة بخلاف سائر الأفعال ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾ الضمير للكفار والوعد يراد به البعث أو عذابهم في الدنيا ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ﴾ ضمير الفاعل للكفار وضمير المفعول للعذاب الذي يتضمنه الوعد ﴿زُلْفَةً﴾ أي قريباً وقيل عياناً ﴿سَيِّئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي ظهر فيها السوء لما حلّ بها ﴿وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ﴾ تفتعلون من الدعاء أي تطلبون وتستعجلون به والقائلون لذلك الملائكة أو يقال لهم بلسان الحال ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِي اللَّهُ﴾ الآية سببها أن الكفار كانوا يتمنون هلاك النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين فأمره الله أن يقول لهم: ﴿إِنْ أَهْلَكَنِي اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا﴾ فإنكم لا تنجون من العذاب الأليم على كل حال والهلاك هنا يحتمل أن يراد به الموت أو غيره ومعنى من يجير الكافرين من عذاب أليم: من يمنعهم من العذاب ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا﴾ الآية احتجاج على المشركين والغور مصدر وصف به فهو بمعنى غاير أي ذاهب في الأرض والمعين الكثير واختلف وزنه فعيل أو مفعول فالمعنى إن غار ماؤكم الذي تشربون هل يأتيكم غير الله بماء معين.

سورة القلم

مكية إلا من آية ١٧ إلى غاية آية ٣٣ ومن
آية ٤٨ إلى غاية آية ٥٠ فمدنية وآياتها ٥٢ نزلت بعد العلق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ت وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَا أَنْتَ بِعِيمَةٍ رَّبِّكَ يُمَجِّدُونَ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ
لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ فَسَتَبْصُرُ وَيُبْصِرُونَ ﴿٥﴾ بِأَيْدِيكُمْ أَلْمُفْتُونَ ﴿٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ن﴾ حرف من حروف الهجاء وقد تقدم الكلام عليها في البقرة ويختص ﴿ن﴾ بأنه
قيل إنه حرف من الرحمن فإن حروف الرحمن ألف ولام وحاء وميم ون وقيل نون هنا
يراد به الحوت وزعموا أنه الحوت الأعظم الذي عليه الأرضون السبعة وهذا لا يصح على
أن نون بمعنى الحوت معروف في اللغة ومنه ذو النون وقيل إن نون هنا يراد به الدواة وهذا
غير معروف في اللغة ويبطل قول من قال إنه الحوت أو الدواة بأنه لو كان كذلك لكان
معرباً بالرفع أو النصب أو الخفض وكان في آخره تنوين فكونه موقوفاً دليل على أنه حرف
هجاء نحو ألم وغيره من حروف الهجاء الموقوفة ﴿وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ اختلف فيه على
قولين أحدهما أنه القلم الذي كتب به اللوح المحفوظ فالضمير في يسطرون للملائكة
والآخر أنه القلم المعروف عند الناس أقسم الله به لما فيه من المنافع والحكم والضمير في
يسطرون على هذا لبني

سَبِيلِهِ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٧﴾ فَلَا تُطِيعُ الْمُكْذِبِينَ ﴿٨﴾ وَدَوَّاءُ لَوْ تَدَّهْنُ فَيَذْهَبُ ﴿٩﴾ وَلَا تُطِيعُ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٌ مَشَّامٌ بِنَيْمٍ ﴿١١﴾ مَنَاعٌ لِّلْحَبْرِ مُعْتَدٍ أَيْبٍ ﴿١٢﴾ عَيْتَلٌ بَعْدَ ذَلِكَ زَيْبٍ ﴿١٣﴾ أَنْ

لمحمد ﷺ معناه نفي نسبة الكفار له من الجنون وبنعمة ربك اعتراض بين ما وخبرها كما تقول أنت بحول الله أفضل والمجرور في موضع الحال وقال الزمخشري إن العامل فيه بمجنون ﴿غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ ذكر في فصلت ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ هذا ثناء على خلق رسول الله ﷺ قالت عائشة رضي الله عنها كان خلق رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ القرآن تعني التأدب بآدابه وامتثال أوامره وعبر ابن عباس عن الخلق بالدين والشرع وذلك رأس الخلق وتفصيل ذلك أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ جمع كل فضيلة وحاز كل خصلة جميلة، فمن ذلك شرف النسب ووفور العقل وصحة الفهم وكثرة العلم وشدة الحياء وكثرة العبادة والسخاء والصدق والشجاعة والصبر والشكر والمروءة والتودد والاقتصاد والزهد والتواضع والشفقة والعدل والعفو وكظم الغيظ ووصلة الرحم وحسن المعاشرة وحسن التدبير وفصاحة اللسان وقوة الحواس وحسن الصورة وغير ذلك حسنها ورد في أخباره وسيره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ولذلك قال عليه الصلاة والسلام بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ، وقال الجنيد سمي خلقه عظيماً لأنه لم تكن له همة سوى الله عز وجل ﴿فَسْتَبْصِرْ وَيُبَصِّرُونَ بَأْيَكُمْ الْمَفْتُونُ﴾ قيل إن المفتون هنا بمعنى المجنون ويحتمل غير ذلك من معاني الفتنة والخطاب في قوله فستبصر للنبي ﷺ وفي قوله ويبصرون لكفار قريش واختلف في الباء التي في قوله بآيكم على أربعة أقوال الأول أنها زائدة، الثاني أنها غير زائدة والمعنى بآيكم الفتنة فأوقع المفتون موقع الفتنة كقولهم ما له معقول أي عقل، الثالث أن الباء بمعنى في والمعنى في أي فريق منكم المفتون واستحسن ابن عطية هذا، الرابع أن المعنى بآيكم فتنة المفتون ثم حذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه ﴿وَدَوَّاءُ لَوْ تَدَّهْنُ فَيَذْهَبُ﴾ المداهنة هي الملاينة والمداراة فيما لا ينبغي، ورؤي أن الكفار قالوا للنبي ﷺ لو عبدت آلهتنا لعبدنا إلهك فنزلت الآية ولم ينتصب فيدهنون في جواب التمني بل رفعه بالعطف على تدهن قاله ابن عطية وقال الزمخشري هو خبر مبتدأ محذوف تقديره فهم يدهنون ﴿حَلَّافٍ﴾ كثير الحلف في الحق والباطل ﴿مُهِينٍ﴾ هو الضعيف الرأي والعقل قال ابن عطية هو من مهن إذا ضعف فالميم فاء الفعل، وقال الزمخشري هو من المهانة وهي الذلة والحقارة وقال ابن عباس المهين الكذاب ﴿هَمَّازٍ﴾ هو الذي يعيب الناس ﴿مَشَّامٍ بِنَيْمٍ﴾ أي كثير المشي بالنميمة يقال نميم ونميمة بمعنى واحد قال رسول الله ﷺ: «لا

كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُلِّيَ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾ سَنَسِمْهُ عَلَى
الْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَنْوُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا

يدخل الجنة تمام» ﴿مَتَاعٌ لِلْخَيْرِ﴾ أي شحيح لأن الخير هنا هو المال وقيل معناه متاع من
الخير أي يمنع الناس من الإسلام، والعمل الصالح ﴿مُعْتَدٍ﴾ هو من العدوان وهو الظلم
﴿أثيم﴾ من الإثم وهو ارتكاب المحرمات ﴿عُتْلٌ﴾ أي غليظ الجسم قاسي القلب بعيد
الفهم كثير الجهل ﴿زَنِيمٌ﴾ أي ولد زنا؛ وقيل هو الذي في عنقه زنة كزنة الشاة التي تعلق
في حلقها، وقيل معناه مريب قبيح الأفعال وقيل ظلوم، وقيل لئيم وقوله بعد ذلك أي بعد
ما ذكرنا من عيوبه، فهذا الترتيب في الوصف لا في الزمان واختلف في الموصوف بهذه
الأوصاف الذميمة، فقيل لم يقصد بها شخص معين بل كل من أتصف بها وقيل المقصود
بها الوليد بن المغيرة لأنه وصفه بأنه ذو مال وبنين، وكذلك كان، وقيل أبو جهل وقيل
الأخنس بن شريق ويؤيد هذا أنه كانت له زنة في عنقه، قال ابن عباس عرفناه بزنته وكان
لقيط من ثقيف ويُعد في بني زهرة فيصح وصفه بزنيمة على القولين، وقيل الأسود بن عبد
يغوث ﴿أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ﴾ في موضع مفعول من أجله يتعلق بقوله لا تطع أي لا تطعه
بسبب كثرة ماله وبنيه، ويجوز أن يتعلق بما بعده، والمعنى على هذا أنه قال في القرآن:
﴿أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾، لأنه ذو مال وبنين يتكبر بماله وبنيه والعامل في أن كان على هذا فعل
من المعنى ولا يجوز أن يعمل فيه قال الذي هو جواب إذا لأن ما بعد الشرط لا يعمل فيما
قبله والأول أظهر وقد تقدم معنى أساطير الأولين ﴿سَنَسِمْهُ عَلَى الْخُرْطُومِ﴾ أصل الخرطوم
أنف السبع ثم استعير للإنسان استخفافاً به وتقيباً له والمعنى نجعل له سمة وهي العلامة
على خرطوم، واختلف في هذه السمة قيل هي الضربة بالسيف يوم بدر، وقيل علامة من
نار تُجَعَلُ على أنفه في جهنم وقيل علامة تُجَعَلُ على أنفه يوم القيامة ليعرف بها ﴿إِنَّا
بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾ أي بلونا قريشاً كما بلونا أصحاب الجنة وكانوا إخوة من
بني إسرائيل لهم جنة، روي أنها بمقربة من صنعاء فحلفوا أن لا يعطوا مسكيناً منها شيئاً
وباتوا عازمين على ذلك، فأرسل الله على جنتهم طائفاً من نار فأحرقتها فلما أصبحوا إلى
جنتهم لم يروها فحسبوا أنهم أخطؤوا الطريق ثم تبينوا فعرفوها وعلموا أن الله عاقبهم فيها
بما قالوا فندموا وتابوا إلى الله ووجه تشبيه قريش أصحاب الجنة أن الله أنعم على قريش
بيعت محمد صلى الله تعالى عليه وسلم كما أنعم على أصحاب الجنة بالجنة فكفر هؤلاء
بهذه النعمة كما فعل

طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ فَأَيُّمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَنَنَادُوا مُصِيبِينَ ﴿٢١﴾ أَنْ أَعِدُوا عَلَيْنَا حَزْزًا إِنْ كُنْتُمْ صَرِيمِينَ ﴿٢٢﴾ فَأَنْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَنْ لَا يَدْخُلَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَعَدُوا عَلَى حَزْرٍ قَادِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَوْمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا يَا بَرِّئْنَا إِنَّا كُنَّا طَالِعِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَا أَنْ يُبَدِّلَنَا

لشدة القحط حين دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأصحاب الجنة لما هلكت جنتهم ﴿إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصِيبِينَ﴾ أي حلفوا أن يقطعوا غلة جنتهم عند الصباح وكانت الغلة ثمرا ﴿وَلَا يَسْتَثْنُونَ﴾ في معناه ثلاثة أقوال أحدها لم يقولوا إن شاء الله حين حلفوا ليصرمها والآخر لا يستثنون شيئا من ثمرها إلا أخذوه لأنفسهم والثالث لا يتوقفون في رأيهم ولا ينتهوا عنه أي لا يرجعون عنه ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ﴾ قال الغزاة الطائف الأمر الذي يأتي بالليل ﴿فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾ فيه أربعة أقوال الأول أصبحت كالليل لأنها اسودت لما أصابها والصريم في اللغة الليل الثاني أصبحت كالنهار لأنها ابيضت كالحصيد ويقال صريم لليل والنهار الثالث أن الصريم الرماد الأسود بلغة بعض العرب الرابع أصبحت كالمصرومة أي المقطوعة ﴿فَنَنَادُوا مُصِيبِينَ﴾ أي نادى بعضهم بعضا حين أصبحوا وقال بعضهم لبعض ﴿أَعِدُوا عَلَيْنَا حَزْزًا﴾ أي جنتكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَرِيمِينَ﴾ أي حاصدين لثمرتها ﴿يَتَخَفَتُونَ﴾ يكلم بعضهم بعضا في السر ويقولون ﴿لَا يَدْخُلُهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ﴾ وأن في قوله أن اغدوا وأن لا يدخلها حرف عبارة وتفسير ﴿وَعَدُوا عَلَى حَزْرٍ قَادِرِينَ﴾ في الحرد أربعة أقوال الأول أنه المنع الثاني أنه القصد الثالث أنه الغضب الرابع أن الحرد اسم للجنة وقادرين يحتمل أن يكون من القدرة أي قادرين في زعمهم أو من التقدير بمعنى التضييق أي ضيقوا على المساكين ﴿إِنَّا لَضَالُونَ﴾ أي أخطأنا طريق الجنة قالوا ذلك لما لم يعرفوها فلما عرفوها ورأوا ما أصابها قالوا ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ أي حرمانا الله خيرها ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾ أي خيرهم وأفضلهم ومنه أمة وسطا أي خيالا ﴿لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ أي تقولون سبحان الله وقيل هو عبارة عن طاعة الله وتعظيمه وقيل أراد الاستثناء في اليمين كقولهم إن شاء الله والأول أظهر لقولهم بعد ذلك سبحان ربنا والمعنى أن هذا الذي هو أفضلهم كان قد حضهم على التسييح ﴿يَتَلَوْمُونَ﴾ أي يلوم بعضهم بعضا على ما كانوا عزموا عليه من منع المساكين أو على غفلتهم عن التسييح بدليل قوله ألم أقل لكم لولا تسبحون ﴿عَسَىٰ رَبُّنَا أَنْ يُبَدِّلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا﴾ يحتمل أنهم طلبوا البديل في الدنيا أو في الآخرة والأول أرجح لأنه روي عن ابن مسعود أن الله أبدلهم جنة يحمل البغل منها عنقودا

خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴿٢٦﴾ كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٍ النَّعِيمِ ﴿٢٨﴾ أَفَتَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿٢٩﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٠﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣١﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ لَكُمْ آيْمَانٌ عَلَيْنَا بَلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٣﴾ سَلِّمُوا إِلَيْهِمْ بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴿٣٤﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فُلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٣٥﴾ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَىٰ

﴿كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ﴾ أي مثل هذا العذاب الذي ينزل بأهل الجنة ينزل بقريش ﴿أَفَتَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾ الهمزة للإنكار أي كيف يسوي الله بين المسلمين والمجرمين بل يجازي كل أحد بعمله والمراد بالمجرمين هنا الكفار ﴿مَا لَكُمْ﴾ توبيخ للكفار وما مبتدا ولكم خبره وتم الكلام هنا فينبغي أن يوقف عليه ﴿كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ توبيخ آخر أي كيف تحكمون بأهوائكم وتقولون ما ليس لكم به علم ﴿إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ﴾ هذه الجملة معمول تدرسون وكان أصل إن الفتح وكسرت لأجل اللام التي في خبرها وتخبرون معناه تختارون لأنفسكم ومعنى الآية هل لكم كتاب من عند الله تدرسون فيه أن لكم ما تختارونه لأنفسكم ﴿أَمْ لَكُمْ آيْمَانٌ عَلَيْنَا بَلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ المعنى هل حلفنا لكم أيمانا أن لكم ما تحكمون ومعنى بالغة ثابتة واصلة إلى يوم القيامة، وقوله إن لكم هو جواب القسم الذي يقتضيه الأيمان ولذلك أكده بـإن واللام وما تحكمون هو اسم إن دخلت عليه اللام المؤكدة ﴿سَلِّمُوا إِلَيْهِمْ بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ﴾ أي يا محمد أسأل قريشا أيهم زعيم بهذه الأمور، والزعيم هو الضامن للأمر القائم به ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فُلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ﴾ هذا تعجيز للكفار، ومعناه إن كان لكم شركاء يقدرتون على شيء فأتوا بهم، واختلف هل قوله فليأتوا بهم في الدنيا، أي أحضروهم حتى يرى حالهم أو يقال لهم ذلك يوم القيامة: والشركاء هم المعبودون من الأصنام وغيرها وقال الزمخشري معناه أم لكم ناس يشاركونكم في هذا القول، ويوافقونكم عليه فأتوا بهم يعني أنهم لا يوافقهم أحد عليه، والأول أظهر ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ قال المتأولون ذلك عبارة عن هول يوم القيامة وشدته، وفي الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ينادي مُنَادٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِتَتَّبِعَ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ فَيَتَّبِعُ الشَّمْسُ مَنْ كَانَتْ تَعْبُدُ الشَّمْسَ وَيَتَّبِعُ الْقَمَرُ مَنْ كَانَتْ تَعْبُدُ الْقَمَرَ وَيَتَّبِعُ كُلُّ أَحَدٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ ثُمَّ تَبْقَىٰ هَذِهِ الْأُمَّةُ وَغَيْرَاتُهَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَعَهُمْ مُنَافِقُوهُمْ فَيَقَالُ لَهُمْ مَا شَأْنُكُمْ فَيَقُولُونَ نَتَنظَرُ رَبَّنَا قَالَ فَيَجِئُهُمُ اللَّهُ فِي غَيْرِ الصُّورَةِ الَّتِي عَرَفُوهُ فَيَقُولُ أَنَا رَبُّكُمْ فَيَقُولُونَ نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ، قَالَ فَيَقُولُ أَتَعْرِفُونَهُ بَعْلَامَةً تَرَوْنَهَا فَيَقُولُونَ نَعَمْ فَيُكْشَفُ لَهُمْ عَن سَاقٍ فَيَقُولُونَ نَعَمْ أَنْتَ رَبَّنَا وَيَخْرُونَ لِلدِّقِّينَ عِظْمًا وَاحِدًا فَلَا

السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذُلٌّ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ ﴿٤٣﴾ فَذَرْنِي
وَمَنْ يَكْذِبْ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ
أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَعْرَمٍ مُمْثَلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ ﴿٤٧﴾ فَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ
الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَوْلَا أَنْ تَدَارَكُ رِعْمَةً مِنْ رَبِّهِ لَئِيدٌ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَاجْنِبْ لِرَبِّهِ
فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا

يستطيعون سجودًا» وتأويل الحديث كتأويل الآية «وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ» تفسيره في الحديث
الذي ذكرنا، فإن قيل كيف يدعون في الآخرة إلى السجود وليست الآخرة دار تكليف؟
فالجواب: أنهم يدعون إليه على وجه التوبيخ لهم على تركهم السجود في الدنيا لا على
وجه التكليف والعبادة «وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ» أي قد كانوا في الدنيا
يدعون إلى السجود فيمتنعون منه وهم سالمون في أعضائهم قادرين عليه «فَذَرْنِي وَمَنْ
يَكْذِبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ» تهديد للمكذبين بالقرآن وإعراب من يكذب يفعل معه أو معطوف،
وقد ذكرنا في الأعراف سنستدرجهم وما بعده «أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا» معناه أنت لا تسألهم أجره
على الإسلام فتثقل عليهم فلا عذر لهم في تركهم الإسلام، وقد فسرتنا هذا وما بعده في
الطور «فَأَصْبِرْ» يقتضي مسالمة للكفار، نسيخت بالسيف «وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ» هو
يونس عليه السلام وسماه صاحب الحوت لأن الحوت ابتلعه وهو أيضًا ذو النون والنون هو
الحوت، وقد ذكرنا قصته في الأنبياء والصفقات، فهي الله محمدًا ﷺ أن يكون مثله في
الضجر والاستعجال حتى ذهب مغاضبًا، وروى أن هذه الآية نزلت لما هم النبي ﷺ أن
يدعو على الكفار «إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ» هذا آخر ما جرى ليونس ونداؤه هو قوله في بطن
الحوت لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، والمكظوم الشديد الحزن «لَئِيدٌ
بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ» هو جواب لولا والمنفي هو الذم لا نبذه بالعراء فإنه قد قال في
الصفقات فنبذناه بالعراء فالمعنى لولا رحمة الله لنبذ بالعراء وهو مذموم لكنه نبذ وهو غير
مذموم وقد ذكرنا العراء في الصفقات «وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ» عبارة
عن شدة عداوتهم وإن مخفقة من الثقبلة بدليل دخول اللام وليزلقونك معناه يهلكونك
كقولك نظر فلان إلى عدوه نظرة كاد يصرعه وأصله من زلق القدم، وقرئ بفتح الياء
وضمها وهما لغتان وقيل إن المعنى يأخذونه بالعين وكان ذلك في بني أسد كان الرجل
منهم يجوع ثلاثة أيام فلا يتكلم على شيء إلا أصابه بالعين فأراد بعضهم أن يصيب

هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٥١﴾

النبي ﷺ فعصمه الله من ذلك، وقال الحسن دواء من أُصيب بالعين قراءة هذه الآية ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ يعني القرآن أو هو موعظة وتذكير للخلق.

سورة الحاقة

مكية وآياتها ٥٢ نزلت بعد الملك

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَاقَّةُ ﴿١﴾ مَا الْحَاقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَا أُذْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ﴿٣﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِعَادٍ بِالْقَارِعَةِ ﴿٤﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأَهْلِكُوا
بِالطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا عَادٌ فَأَهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَفَنِيَةً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْحَاقَّةُ﴾ هي القيامة ووزنها فاعلة سُميت الحاقة لأنها تحق أي يصح وجودها، ولا ريب في وقوعها ولأنها حقت لكل أحد جزاء عمله أو لأنها تبدى حقائق الأمور ﴿مَا الْحَاقَّةُ﴾ ما استفهامية يراد بها التعظيم وهي مبتدأ وخبرها ما بعده والجملة خبر الحاقة، وكان الأصل الحاقة ما هي ثم وضع الظاهر موضع المضمرة زيادة في التعظيم والتهويل، وكذلك و﴿وَمَا أُذْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ﴾ لفظه استفهام والمراد به التعظيم والتهويل ﴿بِالْقَارِعَةِ﴾ هي القيامة سُميت بذلك لأنها تفرع القلوب بأهوالها ﴿بِالطَّاغِيَةِ﴾ يعني الصيحة التي أخذت ثمود وسُميت بذلك لأنها جاوزت الحد في الشدة، وقيل الطاغية مصدر فكانه قال أهلكوا بطغيانهم، فهو كقوله كذبت ثمود بطغواها وقيل هي صفة لمحذوف تقديره أهلكوا بسبب الفعل الطاغية أو الفئة الطاغية والباء على هذين القولين سببية وعلى القول الأول كقولك قتلت زيداً بالسيف ﴿بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ ذكر في فصلت، وعاتية أي شديدة وسُميت بذلك

أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعْجَازٌ مُخْلِ حَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾
 وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ ﴿٩﴾ فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً ﴿١٠﴾ إِنَّا لَمَّا طَغَا
 الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ ﴿١١﴾ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيهَا أَذُنٌ وَعِيشَةٌ ﴿١٢﴾ فَاذْفَحُوا فِي الصُّورِ نَفْحَةً وَاجِدَةٌ ﴿١٣﴾

لأنها عنت على عادٍ، وقيل عنت على خزائنها فخرجت بغير إذنه ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَنِعَ لَيَالٍ﴾ رُوِيَ أنها بَدَت صبيحة يوم الأربعاء لثمانٍ بقين من شوال، وتمادت بهم إلى آخر يوم الأربعاء تكملة الشهر ﴿حُسُومًا﴾ قال ابن عباس معناه كاملة متتابعة لم يتخللها غير ذلك، وقيل معناه شؤماً وقيل هو جمع حاسم من الحسم وهو القطع أي قطعتم بالإهلاك فحسوماً على القول الأول والثاني مصدر في موضع الحال، وعلى الثالث حال أو مفعول من أجله ﴿فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى﴾ جمع صريع وهو المطروح بالأرض، والضمير المجرور يعود على منازلهم لأن المعنى يقتضيها وإن لم يتقدم ذكرها أو على الأيام والليالي، أو على الريح ﴿كَأَنَّهُمْ أُعْجَازٌ مُخْلِ حَاوِيَةٍ﴾ تقدم في القمر معنى تشبيههم بأعجاز النخل، والحاوية هي التي حَلَّتْ من طول بلائها وفسادها ﴿مِّن بَاقِيَةٍ﴾ أي من بقية، وقيل من فئة باقية وقيل إنه مصدر بمعنى البقاء ﴿وَمَنْ قَبْلَهُ﴾ يريد مَنْ تقدم قبله من الأمم الكافرة وأقربهم إليه قوم شعيب، والظاهر أنهم المراد لأن عادًا وثمود قد ذكرا وقوم لوط هم المؤتفكات وقوم نوح قد أُشير إليهم في قوله لما طغى الماء حملناكم في الجارية، وقرئ بكسر القاف وفتح الباء ومعناه جنده وأتباعه ﴿بِالْخَاطِئَةِ﴾ إما أن يكون مصدرًا بمعنى الخطيئة أو صفة لمحذوف تقديره بالفعل الخاطئة ﴿فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ﴾ إن عاد الضمير على فرعون وقومه، فالرسول موسى عليه السلام، وإن عاد على المؤتفكات: فالرسول لوط عليه السلام، وإن عاد على الجميع، فالرسول اسم جنس أو بمعنى الرسالة ﴿رَابِيَةً﴾ أي عظيمة وهي من قولك ربا الشيء إذا كثر ﴿طَغَى الْمَاءُ﴾ عبارة عن كثرته، فيحتمل أن يريد أنه طغى على أهل الأرض أو على خزائنه وقت طوفان نوح عليه السلام ﴿حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾ هي السفينة، فإن أراد سفينة نوح فمعنى حملناكم حملنا آباءكم لأن كل مَنْ على الأرض من ذرية نوح وأولاده الثلاثة الذين كانوا معه في السفينة، وإن أراد جنس السفن فالخطاب على حقيقته ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً﴾ الضمير للفعل وهي الحمل في السفينة وقيل للسفينة، فإن أراد جنس السفن: فالمعنى أنها تذكرة بقدرة الله ونعمته لمن ركب أو سمع بها وإن أراد سفينة نوح فقد قيل إن الله أبقاها حتى رأى بعض عيدانها أول هذه الأمة ﴿وَتَعِيهَا أَذُنٌ وَعِيشَةٌ﴾ الضمير يعود على ما عاد عليه ضمير لنجعلها لعلنا نذكر أن من الناس من الأذن العيشة هي التي تفهم ما

وَحَمَلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ﴿١٥﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١٦﴾ وَأَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فِيهِنَّ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةً ﴿١٧﴾ وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ﴿١٨﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٩﴾ فَأَمَّا مَنْ أَوْفَكَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَقْرَأُوا كِتَابِيَةَ ﴿٢٠﴾ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلْكٌ

تسمع وتحفظه، يقال وعيت العلم إذا حصلت، ولذلك عبر بعضهم عنها بأنها التي عقلت عن الله، وروى أن رسول الله ﷺ قال لعلي بن أبي طالب: «إني دعوت الله أن يجعلها أذنك يا علي»، قال علي فما نسيت بعد ذلك شيئاً سمعته، قال الزمخشري: إنما قال أذن واعية بالتوحيد والتنكير للدلالة على قلة الوعاة ولتوبيخ الناس بقلة من بقي منهم، وللدلالة على أن الأذن الواحدة إذا عقلت عن الله تعالى فهي المعتبرة عند الله دون غيرها. **نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ** يعني نفخة الصور وهي الأولى **﴿فَدُكَّتَا﴾** الضمير للأرض والجبال، ومعنى **دُكَّتَا** ضرب بعضها ببعض حتى تندق، وقال الزمخشري: الدك أبلغ من الدق، وقيل معناه بسطت حتى تستوي الأرض والجبال **﴿وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾** أي قامت القيامة، وقيل وقعت صخرة بيت المقدس وهذا ضعيف **﴿وَاهِيَةً﴾** أي مسترخية ساقطة القوة، ومنه قولهم دار واهية أي ضعيفة الجدران **﴿وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا﴾** الملك هنا اسم جنس والأرجاء الجوانب واحداها رجا مقصور، والضمير يعود على السماء، والمعنى أن الملائكة يكونون يوم القيامة على جوارب السماء لأنها إذا وهيت وقفوا على أطرافها، وقيل يعود على الأرض لأن المعنى يقتضيه وإن لم يتقدم ذكرها، وروى في ذلك أن الله يأمر الملائكة فتقف صفوفاً على جوانب الأرض والأول أظهر وأشهر **﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةً﴾** قال ابن عباس هي ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم أحد عدتهم وقيل ثمانية أملاك رؤوسهم تحت العرش وأرجلهم تحت الأرض السابعة، ويؤيد هذا ما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «هو اليوم أربعة»، فإذا كان يوم القيامة قواهم الله بأربعة سواهم **﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ﴾** خطاب لجميع العالم والعرض البعث أو الحساب **﴿خَافِيَةٌ﴾** أي حال خافية من الأعمال والسرائر ويحتمل المعنى لا يخفى من أجسادهم لأنهم يحشرون حفاة عراة **﴿فَأَمَّا مَنْ أَوْفَى كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾** الكتاب هنا صحائف الأعمال **﴿هَؤُلَاءِ أَقْرَأُوا كِتَابِيَةَ﴾** هاؤم اسم فعل، قال ابن عطية معناه تعالوا وقال الزمخشري هو صوت يفهم منه معنى خذ، وكتابه مفعول يطلبه هاؤم واقروا من ضمير المعنى تقديره هاؤم كتاب اقرءوا كتابي ثم حذف للدلالة الآخر عليه وعمل فيه العامل، الثاني وهو اقرءوا عند البصريين، والعامل الأول هو هاؤم عند الكوفيين، والدليل على صحة قول البصريين أنه لو عمل الأول لقال اقرؤوه، والهاء في كتابيه للوقف

حَسَابِيَةَ ﴿٢٠﴾ فَهَوِيَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا
 أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أَوْقَىٰ كَنْبَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَةَ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرَمَا
 حَسَابِيَةَ ﴿٢٦﴾ يَلْتَنَهَا كَأَنَّ الْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيهِ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَتِي ﴿٢٩﴾ خُدُوهُ فَعُلُوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ
 لَجَّجِمَ صَلْوَهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا

وكذلك في حسابيه وماليه وسلطانيه وكان الأصل أن تسقط في الوصل لكنها ثبتت فيه مراعاة
 لخط المصحف وقد أسقطها في الوصل بعضهم، ومعنى الآية أن العبد الذي يعطى كتابه
 يمينه يقول للناس اقرأوا كتابيه على وجه الاستبشار والسرور بكتابه ﴿إِنِّي ظَنَنْتُ﴾ الظن هنا
 بمعنى اليقين ﴿رَاضِيَةٍ﴾ أي ذات رِضًا كقولهم تامر لصاحب التمر قال ابن عطية ليست بياء
 اسم فاعل، وقال الزمخشري يجوز أن يكون اسم فاعل نسب الفعل إليها مجازًا وهو
 لصاحبها حقيقة ﴿قُطُوفُهَا﴾ جمع قطف وهو ما يُجْتَنَى من الثمار ويُقَطَف كالعنقود ﴿دَانِيَةٌ﴾
 أي قريبة، ورُوي أن العبد يأخذها بفمه من شجرها على أي حال كان من قيام أو جلوس أو
 اضطجاع ﴿أَسْلَفْتُمْ﴾ أي قَدَّمْتُمْ من الأعمال الصالحة ﴿فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ أي الماضية يعني
 أيام الدنيا ﴿وَأَمَّا مَنْ أَوْقَىٰ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ﴾ هم الكفار بدليل قوله إنه كان لا يؤمن بالله العظيم
 فجعل علة إعطائهم كتبهم بشمالهم عدم إيمانهم، وأما المؤمنون فيعطون كتبهم بأيمانهم،
 لكن اختلف فيمن يدخل النار منهم، هل يُعطى كتابه قبل دخول النار أو بعد خروجه منها؟
 وهذا أرجح لقوله: ﴿هَآؤُمْ أَقْرَأُوا كِتَابِيَةَ﴾ لأن هذا كلام سرور فيبعد أن يقوله من يحمل إلى
 النار ﴿فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَةَ﴾ أي يتمنى أنه لم يعط كتابه وقال ابن عطية يتمنى أن
 يكون معدومًا لا يجري عليه شيء والأول أظهر ﴿يَا لَيْتَنِي كَأَنَّ الْقَاضِيَةَ﴾ أي ليت الموتة
 الأولى كانت القاضية بحيث لا يكون بعدها بعث ولا إحياء ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَتِي﴾ يحتمل
 أن يكون نفيًا أو استفهامًا يراد به النفي ﴿هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَتِي﴾ أي زال عني ملكي وقدرتي
 وقيل ذهب عني حجتي ﴿خُدُوهُ﴾ خطاب للزبانية يقوله لهم الله تعالى أو الملائكة بأمر الله
 ﴿فَعُلُوهُ﴾ أي اجعلوا غلاً في عنقه؛ ورُوي أنها نزلت في أبي جهل ﴿ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا﴾
 معنى ذرعها أي طولها، واختلف في هذا الذراع فقيل إنه الذراع المعروف، وقيل بذراع
 الملك وقيل في الذراع سبعون باعًا، كل باع ما بين مكة والكوفة والله درّ الحسن البصري
 في قوله الله أعلم بأي ذراع هي وجعلها سبعين ذراعًا لإرادة وصفها بالطول فإن السبعين من
 الأعداد التي تقصد بها العرب التكثير، ويحتمل أن تكون هذه السلسلة لكل واحد من أهل
 النار أو تكون بين جميعهم

يُحْضِرُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿٢٦﴾ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غَنِينٍ ﴿٢٤﴾ لَا يَأْكُلُونَ إِلَّا
الْمَطْطُونِ ﴿٢٧﴾ فَلَا أَقْسِمُ بِمَا تُبْصَرُونَ ﴿٢٨﴾ وَمَا لَا تَبْصُرُونَ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٣٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ
قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٣١﴾ وَلَا يَقُولُ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَدْكُرُونَ ﴿٣٢﴾ نَزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَوْ لَقَوْلٌ عَلَيْنَا بِقَضِ
السلسلة تدخل في فم الكافر وتخرج من دبره، فاسلكوه على هذا من المقلوب في المعنى
كقولهم أدخلت القلنسوة في رأسي وروى أنها تلثوي عليه حتى تعمه وتضغظه بالكلام على
هذا على وجه وهو المسلوك فيها، وإنما قدم قوله في سلسلة على اسلكوه لإرادة التحصير
أي لا تسلكوه إلا في هذه السلسلة وكذلك قدم الحميم على صلوه لإرادة التحصير أيضا
«طعام المسكين» يحتمل أنه أراد طعام مبيكين فوضع الاسم مواضع المضمهر أو يقدره لا
يحض على بذل طعام المسكين وأضاف الطعام إلى المسكين لأن له إليه نسبة ووصفه وبأنه
لا يحض على طعام المسكين يدل على أنه لا يطعمه من باب أو يورثه فإنه الآية تدل على
عظم الصدقة وفضلها، لأنه قرن منع طعام المسكين بالكفر لله «فليس له اليوم هاهنا
حميم» فيه قولان أحدهما ليس له صديق والآخو ليس له ضراب «ولا طعام إلا من
غنيين» فإن الحميم الماء الحار، والغنيين صديه أهل النار ههنا أهل عبال وقيل مشجوا
ياكله أهل النار، وقال الطغويون هو ما يجزي من الجراح إذا غسلت وهو غطين من الغفل
«الخالطون» جمع خاطيء وهو الذي يفعل هذه الطوائف متعلما والمخيط الذي يفضله
بغير تعنت «فلا أقسم» لا زائدة غير نافية «بما تبصرون وما لا تبصرون» يعني جميع
الأشياء لأنها تنقسم إلى ما يبصر وما لا يبصر كالدنيا والآخرة والانس والجن والاسلام
والأرواح وغير ذلك «إنه لقول رسول كريم» هذا جواب القسم والضمير للقرآن والرسول
الكريم جبريل وقيل لمحمد عليه الصلاة والسلام «قليلًا ما تؤمنون» قال ابن عطية يحتمل
أن تكون ما نافية، فنفي إيمانهم بالجملة أو تكون مصدرية فوصف إيمانهم بالقليلة، وقال
الزمخشري القلة هنا بمعنى العدم، أي تؤمنون ولا تذكرون البتة «ولو تقول علينا بعض
الأقويل» القول هو أن ينسب إلى أحد ما لم يقل، ومعنى الآية لو تقول علينا لمحمد
لواقبته، ففي ذلك برهان على أن القرآن من عند الله «لأخذنا منه باليمين» حال ابن عباس
اليمين عند القرة ومعناه لو تقول علينا لأخذنا بقوتنا وقيل هي عبارة عن الهوا كما يقال
لمن يستجن أخذ بيده ويميته، قال الزمخشري معناه لو تقول علينا لقتلناه، ثم صور صورة
القتل ليكون أهول، وعبر عن ذلك بقوله لأخذنا منه باليمين لأن السيف إذا أراد أن
يضرب المقتول في جسده أخذ بيده اليمنى ليكون ذلك أشد عليه لنظره إلى السيف

الْأَقَابِلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُ
 لَتَذِكْرٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُ لِحَقُّ الْيَقِينِ ﴿٥١﴾
 فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾

﴿الْوَتِينَ﴾ نياط القلب، وهو عرق إذا قطع مات صاحبه، فالمعنى لقتلناه ﴿فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ الحاجز المانع، والمعنى لو عاقبناه لم يمنعه أحد منكم ولم يدفع عنه وإنما جمع حاجزين لأن أحد في معنى الجماعة ﴿وَإِنَّهُ لَتَذِكْرٌ﴾ الضمير للقرآن وقيل لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم والأول أظهر ﴿وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ أي حسرة عليهم في الآخرة، لأنهم يتأسفون إذا رأوا ثواب المؤمنين ﴿وَإِنَّهُ لِحَقُّ الْيَقِينِ﴾ قال الكوفيون هذا من إضافة الشيء إلى نفسه، كقولك: مسجد الجامع، وقال الزمخشري المعنى عين اليقين ومحض اليقين، وقال ابن عطية ذهب الحدائق إلى أن الحق مضاف إلى الأبلغ من وجوهه.

سورة المعارج

مكية وآياتها ٤٤ نزلت بعد الحاقة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُمْ دَافِعٌ ﴿٢﴾ مِّنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعْرَجُ
الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾ فَأَصْبَرَ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّمَا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ مَنْ قرأ سائل بالهمز احتمل معنيين أحدهما أن يكون بمعنى الدعاء أي دعا داع بعذاب واقع، وقد تكون الإشارة إلى قول الكفار أمطر علينا حجارة من السماء وكان الذي قالها النضر بن الحارث، والآخر أن يكون بمعنى الاستخبار أي سأل سائل عن عذاب واقع، والباء على هذا بمعنى عن وتكون الإشارة إلى قوله متى هذا الوعد وغير ذلك، وأما مَنْ قرأ سال بغير همز فيحتمل وجهين. أحدهما: أن يكون مخففاً من المهموز، فيكون فيه المعنيان المذكوران، والثاني أن يكون من سال السيل إذا جرى ويؤيد ذلك قراءة ابن عباس سال سيل، وتكون الباء على هذا كقولك ذهبت بزيد وإذا كان من السيل احتمل وجهين: أحدهما أن يكون شبه العذاب في شدته وسرعة وقوعه بالسيل وثانيهما أن تكون حقيقة قال زيد بن ثابت في جهنم وإد يقال له سائل فتلخص من هذا أن في القراءة بالهمز يحتمل معنيين وفي القراءة بغير همز أربعة معانٍ ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾

بِرُؤُونِهِ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَزَلَتْهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ﴿٩﴾ وَلَا يَسْتَلُ

يحتمل أن يتعلق بواقع وتكون اللام بمعنى على أو تكون صفة للعذاب أو يتعلق بسأل إذا كانت بمعنى دعا أي دعا للكافرين بعذاب أو تكون مستأنفاً كأنه قال هو للكافرين ﴿مَنْ اللَّهُ﴾ يحتمل أن يتعلق بواقع أي واقع من عند الله أو بدافع أي ليس له دافع من عند الله أو يكون صفة للعذاب أو مستأنفاً ﴿ذِي الْمَعَارِجِ﴾ جمع معرج وهو المصعد إلى علو كالسلم والمدارج التي يرتقى بها قال ابن عطية هي هنا مستعارة في الفضائل والصفات الحميدة وقيل هي المراقي إلى السماء وهذا أظهر لأنه فسرها بما بعدها من عروج الملائكة ﴿وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ أي إلى عرشه ومن حيث تهبط أوامره وقضاياه فالعروج هو من الأرض إلى العرش والروح هنا جبريل عليه السلام بدليل قوله نزل به الروح الأمين على قلبك وقيل الروح ملائكة حَفَظَةٌ على الملائكة وهذا ضعيف مفتقر إلى صحة نقل وقيل الروح جنس أرواح الناس وغيرهم ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ اختلف في هذا اليوم على قولين: أحدهما أنه يوم القيامة والآخر أنه في الدنيا والصحيح أنه يوم القيامة لقول رسول الله ﷺ في حديث مانع الزكاة ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤذي زكاتها إلا صفحت له صفائح من نار يكوى بها جبينه وجنبه وظهره في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد يعني يوم القيامة ثم اختلف هل مقداره خمسون ألف سنة حقيقة وهذا هو الأظهر أو هل وصف بذلك لشدة أهواله كما يقال يوم طويل إذا كان فيه مصائب وهموم وإذا قلنا إنه في الدنيا فالمعنى أن الملائكة والروح يعرجون في يوم لو عرج فيه الناس لعرجوا في خمسين ألف سنة وقيل الخمسون ألف سنة هي مدة الدنيا والملائكة تعرج وتنزل في هذه المرة وهذا كله على أن يكون قوله في يوم يتعلق بتعرج ويحتمل أن يكون في يوم صفة للعذاب فيتعين أن يكون اليوم يوم القيامة والمعنى على هذا مستقيم ﴿فَاضْبِرْ﴾ هذا متصل بما قبله من العذاب وغيره أي اصبر على أقوال الكافرين حتى يأتيهم العذاب ولذلك وصفه بالقرب مبالغة في تسلية النبي ﷺ ﴿إِنَّهُمْ يَرُؤُونَهُ بَعِيدًا﴾ يحتمل أن يعود الضمير على العذاب أو على اليوم الذي مقداره خمسين ألف سنة والبعيد يحتمل أن يراد به بُعد الزمان أو بُعد الإمكان وكذلك القُرب يحتمل أن يراد به قُرب الزمان لأن كل آتٍ قريب ولأن الساعة قد قربت وقرب الإمكان لقدرة الله عليه ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ﴾ يوم هنا بدل من يوم كان مقداره خمسين ألف سنة أو بدل من الضمير المنصوب في نراه أو منصوب بقوله قريباً أو بقوله يود المجرم أو بفعل مضمر تقديره اذكر والمهل هو دردي الزيت شبه السماء به في سوادها وانكدار أنوارها

حَمِيمًا ﴿١٦﴾ يُبْصِرُ وَهُمْ يُبْصِرُونَ الْمُحْرَمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابٍ يَوْمَئِذٍ بِبَنِيهِ ﴿١٧﴾ وَصَدْحَتِهِ وَأَخِيهِ ﴿١٨﴾
 وَفَضِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْتِيهِ ﴿١٩﴾ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ حَمِيمًا يُنْجِيهِ ﴿٢٠﴾ كَلَّا إِنَّهَا لَأُنزِلَتْ ﴿٢١﴾ تَدْعُوا مَنْ
 أَزْبَرْتُمْ ﴿٢٢﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَى ﴿٢٣﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿٢٤﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٥﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ
 مَنُوعًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا الْمَصْلِينَ ﴿٢٧﴾ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴿٢٨﴾ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ ﴿٢٩﴾

تلونه ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ﴾ العهن هو الصوف شبه الجبال به في انتفاشه وتخلخل
 أجزائه وقيل هو الصوف المصبوغ ألواناً فيكون التشبيه في الانتفاش وفي اختلاف الألوان
 لأن الجبال منها بيض وسود وخمر ﴿وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾ الحميم هنا الصديق والطمعني
 لا يسأل أحد من حميمه نصره ولا إعانة لعلمه أنه لا يقدر له على شيء، وقيل لا يسأله عن
 حاله لأن كل أحد مشغول بنفسه ﴿يُبْصِرُ وَهُمْ يُبْصِرُونَ﴾ يقال بصر الرجل بالرجل إذا رأى وبصرته إياه
 بالتشديد إذا أرىته إياه والضميران يعودان على الحميمين لأنهما في معنى الجمع، والمعنى
 أن كل حميم يبصر حميمه يوم القيامة فيراه ولكنه لا يسأله ﴿وَصَدْحَتِهِ﴾ يعني بمرأته
 ﴿وَفَضِيلَتِهِ﴾ يعني القرابة الأقرين ﴿تُؤْتِيهِ﴾ أي ترضه فيحتمل أن يرثه ترضته في الاختصاص
 إليها أو في نصرته وحفظه من المضرات ﴿ثُمَّ يُنْجِيهِ﴾ الفاعل الافتداء الذي يقتضيه لو يفتدي
 وهذا الفعل معطوف على لو يفتدي وإنما عطفه بتم إشعاراً بجعد النجاة وامتناعها ولذلك
 وجره عن ذلك بقوله: ﴿كَلَّا إِنَّهَا لَأُنزِلَتْ﴾ الضمير للنار لأن العذاب يدل عليها، ويحتمل أن
 يكون ضمير القصة وفسره بالخبر ولطى علم لجهنم مشتق من اللطى بمعنى اللهب ﴿تَدْعُوا مَنْ
 أَزْبَرْتُمْ﴾ الشوى أطراف الجسد وقيل جلد الرأس فالصعني أن النار تزعها ثم تعود وتزاحة
 بالرفع بدل من لطى أو خبر ابتداء مضمرة أو خبر لأنها إن جعلنا لطى منصوباً على
 التخصيص أو بدل من الضمير، أو خبر ثانٍ لأنها إن جعلنا لطى خبر لها وتزاحة بالرفع
 حال ﴿تَدْعُوا مَنْ أَزْبَرْتُمْ وَتَوَلَّى﴾ يعني الكفار الذين تولوا عن الإسلام ودعواها لهم عبارة عن
 أخذها لهم وقال ابن عباس تدعوهم حقيقة بأسمائهم وأسماء آبائهم، وقيل معناه تهلك
 حكاية الخليل عن العرب ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَى﴾ يقال أوعيت المال وغيره إذا جمعته في وعاء
 فالمعنى جمع المال وجعله في وعاء وهذه إشارة إلى قوم من أغنياء الكفار جمعوا المال من
 غير حله ومنعوه من حقه ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ الإنسان هنا اسم جنس بالدليل الاستعانة
 منه به سئل أحمد بن يحيى مؤلف الفصيح عن الهلوع فقال قد فسره الله فلا تفسره أين الحق
 تفسره وهو قوله ﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ وذكره الله على وجه الذي
 لهذه الخلاق، ولذلك استثنى منه المصلين لأن صلاتهم تحمّلهم على قلة الكثرات بالدنيا

للسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَالَّذِينَ هُمْ مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ زَعُونَ ﴿٣٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ قَائِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا قَبْلَكَ مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰ أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ

فلا يجزعون من شرّها ولا يبخلون بخيرها ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾ الدوام عليها هو المواظبة بطول العمر والمحافظة عليها المذكورة بعد ذلك هي أداؤها في أوقاتها وتوفية الطهارة لها ﴿حَقُّ مَعْلُومٍ﴾ قد ذكرنا في الذاريات معنى حق والسائل والمحروم، ووصفه هنا بالمعلوم إن أراد الزكاة فهي معلومة المقدار شرعاً وإن أراد غيرها فمعنى المعلوم أن العبد يجعل على نفسه وظيفة معلومة عنده ﴿غَيْرُ مَأْمُونٍ﴾ أي لا يكون أحد أماناً منه فإن الأمن من عذاب الله حرام فلا ينبغي للعبد أن يُزِيلَ عنه الخوف حتى يدخل الجنة ﴿لَأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ﴾ ذكر في المؤمنين وكذلك لفروجهم حافظون ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ﴾ قال ابن عباس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وقال الجمهور يعني الشهادة عند الحكام ثم اختلف على هذا في معنى القيام بها ف قيل هو التحقيق لها كقوله ﷺ: «على مثل الشمس فاشهدوا» وقيل هو المبادرة إلى أداؤها من غير امتناع فأما إن دُعِيَ الشاهد إلى الأداء فهو واجب عليه وأما إذا لم يُدْعَ إلى الأداء فالشهادة على ثلاثة أقسام أحدها حقوق الناس، فلا يجوز أداؤها حتى يدعوه صاحب الحق إلى ذلك، والثاني حقوق الله التي يستدام فيها التحريم كالطلاق والعتق والأحباس، فيجب أداء الشهادة بذلك دُعِيَ أو لم يُدْعَ، الثالث حقوق الله التي لا يُستدام فيها التحريم كالحدود فهذا ينبغي ستره، حتى يدعى إليه ﴿فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قَبْلَكَ مُهْطِعِينَ﴾ أي مُسْرِعِينَ مُقْبِلِينَ إِلَيْكَ بِأَبْصَارِهِمْ، كان رسول الله ﷺ إذا أقبل الكفار ينظرون إليه ويستمعون قراءته، ومعنى قَبْلَكَ في جهتك وما يليك ﴿عِزِينَ﴾ أي جماعات شتى وهو جمع عِزَّة بتخفيف الزاي وأصله عزوة، وقيل عزهه ثم حذفت لامها وجمعت بالواو والنون عوضاً من اللام المحذوفة ﴿أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾ كانوا يقولون إن كان ثم جنة فنحن أهلها ﴿كَلَّا﴾ ردع لهم عما طمعوا فيه من دخول الجنة ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِّمَّا يَعْلَمُونَ﴾ خلقناهم من ما يعلمون

بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤١﴾ فَذَرَهُمْ يَخُوضُوا وَطَعِبُوا حَتَّىٰ يُلْقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَانَهُمْ إِلَىٰ نُصَبٍ يُوَفِّضُونَ ﴿٤٣﴾ خَشَعَةً أَبْصَرُهُمْ تَرَهِقُهُمْ ذَلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾

المقصود بهذا الكلام ثلاثة أوجه أحدها: تحقير الإنسان والرد على المتكبرين كما قال بعضهم إن الإنسان خلق من نطفة مذرة ويصير جيفة قذرة وهو فيما بين ذلك يحمل العذرة، الثاني الرد على الكفار في طمعهم أن يدخلوا الجنة كأنه يقول إنا خلقناكم مما خلقنا منه الناس، فلا يدخل أحد الجنة إلا بالعمل الصالح لأنكم سواء في الخلقة، الثالث الاحتجاج على البعث بأن الله خلقهم من ماء مهيين فهو قادر على أن يعيدهم كقوله: ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةٍ مِن مَّنِي يُمْنِي﴾ [القيامة: ٣٧] إلى آخر السورة ﴿فَلَا أُقْسِمُ﴾ معناه أقسم ولا زائدة ﴿بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ﴾ ذكر في الصافات ﴿إِنَّا لَقَادِرُونَ عَلَىٰ أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾ تهديد للكفار بإهلاكهم وإبدال خير منهم ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ أي مغلوبين والمعنى إنا لا نعجز عن التبديل المذكور أو عن البعث ﴿فَلَرَوْهُمْ﴾ وعيد لهم وفيه مهادنة منسوخة بالسيف ﴿يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ﴾ يعني يوم القيامة بدليل أنه أبدل منه ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾ وهي القبور ﴿كَانَتْهُمْ إِلَىٰ نُصَبٍ يُوَفِّضُونَ﴾ النصب الأصنام، وأصله كل ما نصب إلى الإنسان فهو يقصد إليه مسرعاً من علم أو بناء أو غير ذلك وفيه لغات فتح النون وإسكان الصاد وضم النون وإسكان الصاد وضمها ويوفضون معناه يسرعون والمعنى أنهم يسرعون الخروج من القبور إلى المحشر كما يسرعون المشي إلى أصنامهم في الدنيا.

سورة نوح

مكتبة وآياتها ٢٨ نزلت بعد النحل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَنْقُوهُ وَأَطِيعُوا ۖ يَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿أَنْ أَنْذِرْ﴾ و﴿أَنْ أَعْبُدُوا﴾ يحتمل أن تكون مفسرة أو مصدرية على تقدير بأن أنذر وبيان اعبدوا والأول أظهر ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ يحتمل أن يريد عذاب الآخرة أو الغرق الذي أصابهم ﴿يَغْفِرُ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ من هنا للتبويض أي يغفر لكم ما فعلتم من الذنوب قبل أن تسلموا لأن الإسلام يجب ما قبله ولم يضمن أن يغفر لهم ما بعد إسلامهم، لأن ذلك في مشيئة الله تعالى وقيل إن من هنا زائدة وذلك باطل لأن من لا تُزاد عند سيويه إلا في غير الواجب وقيل هي لبيان الجنس وقيل لابتداء الغاية وهذان القولان ضعيفان في المعنى والأول هو الصحيح لأن التبويض فيه متجه ﴿وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ ظاهر هذا يقتضي أنهم إن فعلوا ما أمروا به أخروا إلى أجلٍ مسمى وإن لم يفعلوا لم يؤخروا وذلك يقتضي القول بالأجلين وهو مذهب المعتزلة وعلى هذا حملها الزمخشري، وأما على مذهب أهل السنة فهي من المشكلات متأه لعلها عطفة فقال لسبب للمعتزلة في الآية مجال لأن المعنى

أَجَلُ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ فَلَا تَدْعُوا إِلَىٰ ذَعْوَتِ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَرُدُّهُمْ دُعَايَ
إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُنْتُ مَدْعُوهُمْ لِيَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ لِئَصْغَفُوا نِيبَاتِهِمْ وَأَصْرُوا
وَأَسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جَهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ

أن نوحًا عليه الصلاة والسلام لم يعلم هل هم ممن يؤخر أو ممن يعاجل ولا قال لهم إنكم تؤخرون عن أجل قد حان لكن قد سبق في الأزل إما ممن قضي له بالإيمان والتأخير أو ممن قضي له بالكفر والمعاجلة وكان نوحًا عليه السلام قال لهم آمنوا يظهر في الوجود أنكم ممن قضي له بالإيمان والتأخير وإن بقيتم على كفركم يظهر في الوجود أنكم ممن قضي عليه بالكفر والمعاجلة فكان الاحتمال الذي يقتضيه ظاهر الآية إنما هو فيما يبرزه الغيب من حالهم إذ يمكن أن يبرز إما الإيمان والتأخير وإما الكفر والمعاجلة وأما عند الله فالحال الذي يكون منهم معلوم مقدر محتوم وأجلهم كذلك معلوم مقدر محتوم ﴿إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ﴾ هذا يقتضي أن الأجل محتوم كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤] وفي هذا حجة لأهل السنة ولقوية للتأويل الذي ذكرنا وفيه أيضًا رد على المعتزلة في قولهم بالأجلين ولما كان كذلك قال الزمخشري إن ظاهر هذا مناقض لما قبله من الوعد بالتأخير إن آمنوا وتأول ذلك على مقتضى مذهبه بأن الأجل الذي لا يؤخر هو الأجل الثاني وذلك أن قوم نوح قضى الله أنهم إن آمنوا عمرهم الله مثلاً ألف عام وإن لم يؤمنوا عمرهم تسعمائة عام فالألف عام هي التي تؤخر إذا جاءت والتسعمائة عام هي التي وعدوا بالتأخير عنها إلى الألف عام إن آمنوا ﴿دَعْوَتُهُمْ لِيَغْفِرَ لَهُمْ﴾ أي دعوتهم ليؤمنوا فتغفر لهم فذكر المغفرة التي هي سبب عن الإيمان ليظهر قبح إغراضهم عنه فإنهم أعرضوا عن سعادتهم ﴿جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ﴾ فعلوا ذلك لئلا يسمعوا كلامه فيحتمل أنهم فعلوا ذلك حقيقة أو يكون عبارة عن إفراط إغراضهم حتى كأنهم فعلوا ذلك ﴿وَأَسْتَفْشَوْا نِيبَاتِهِمْ﴾ أي جعلوها عشاة عليهم لئلا يسمعوا كلامه أو لئلا يراهم ويحتمل أنهم فعلوا ذلك حقيقة أو يكون عبارة عن إغراضهم ﴿وَأَصْرُوا﴾ أي دعوموا على كفرهم ﴿دَعْوَتُهُمْ جَهَارًا﴾ إعراب جهاراً مصدر من المعنى كقولك فعد القرفصاء أو صفة لمصدر محذوف تقديره دعا جهاراً أو مصدر في موضع الحال أي مجاهرًا ﴿ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾ ذكر أولاً أنه دعاهم بالليل والنهار، ثم ذكر أنه دعاهم جهاراً، ثم ذكر أنه جمع بين الجهر والإسرار، وهذه غاية الجهد في التوضيح وتبليغ الرسالة صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال ابن عطية الجهار دعاهم في المحافل ومواضع اجتماعهم

أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١١﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١٢﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَنْبِيئٍ وَيَجْعَلَ لَكُمُ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلَ لَكُمُ أَنْهَارًا ﴿١٣﴾ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٤﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٥﴾ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٦﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٧﴾ وَاللَّهُ أُنَبِّتُكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٨﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٩﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿٢٠﴾ لَتَسْلُكُوهَا

والإسرار دعاء كل واحد على حدته ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾ مفعول من الدر وهو كثرة الماء، وفي الآية دليل على أن الاستغفار يوجب نزول الأمطار ولذلك خرج عمر بن الخطاب إلى الاستسقاء فلم يزد على أن استغفر ثم انصرف فقيل له ما رأيناك استسقيت فقال والله لقد استسقيت أبلغ الاستسقاء ثم نزل المطر وشكا رجل إلى الحسن الجذب فقال له استغفر الله ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ فيه أربع تأويلات: أحدها أن الوقار بمعنى التوقير والكرامة فالمعنى ما لكم لا ترجون أن يوقركم الله في دار ثوابه قال ذلك الزمخشري وقوله الله على هذا بيان للموقر ولو تأخر لكان صفة لوقارا. والثاني أن الوقار بمعنى التؤدة والتثبت والمعنى ما لكم لا ترجون لله وقارا متثبتين حتى تتمكنون من النظر بوقاركم وقوله الله على هذا مفعول دخلت عليه اللام كقولك ضربت لزيد وإعراب وقارا على هذا مصدر في موضع الحال، الثالث أن الرجاء هنا بمعنى الخوف والوقار بمعنى العظمة والسلطان فالمعنى ما لكم لا تخافون عظمة الله وسلطانه والله على هذا صفة للوقار في المعنى، الرابع أن الرجاء بمعنى الخوف والوقار بمعنى الاستقرار من قولك وقر بالمكان إذا استقر فيه والمعنى ما لكم لا تخافون الاستقرار في دار القرار إما في الجنة أو النار ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ أي طورًا بعد طور، يعني أن الإنسان كان نطفة ثم علقه ثم مضغه إلى سائر أحواله، وقيل الأطوار الأنواع المختلفة، فالمعنى أن الناس على أنواع في ألوانهم وأخلاقهم وألستهم وغير ذلك ﴿طِبَاقًا﴾ ذكر في الملك ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾ القمر إنما هو في السماء الدنيا وساغ أن يقول فيهن لما كان في إحداهن فهو في الجميع كقولك، فلان في الأندلس، إذا كان في بعضها والشمس في السماء الرابعة وقيل في الخامسة وجعل القمر نورًا والشمس سراجًا، لأن ضوء السراج أقوى من النور فإن السراج هو الذي يضيء فيبصر به والنور قد يكون أقل من ذلك ﴿وَاللَّهُ أُنَبِّتُكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ هذا عبارة عن إنشائهم من تراب الأرض ونباتًا مصدر على غير المصدر أو يكون تقديره أنبتكم فنبتم إنباتًا ويحتمل أن يكون منصوبًا على الحال ﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا﴾ يعني بالدفن ﴿وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ يعني بالبعث من القبور ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا﴾

مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنِّهْم عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالَهُ وَوَلَدَهُ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا مَكْرًا كَبِيرًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا لَا تَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدًا وَلَا سَمَوَاتٍ وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴿٢٤﴾ مِمَّا حَظَيْتَابِهْمُ أُغْرِقُوا فَأَدْخَلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِن دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا ﴿٢٥﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْنَهُمْ يَهْلِكُوا

بعضهم من لفظ البساط أن الأرض بسيطة غير كروية خلافاً لما ذهب إليه أهل التعديل وفي ذلك نظر ﴿سُبُلًا فِجَاجًا﴾ ذكر في الأنبياء ﴿وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالَهُ وَوَلَدَهُ إِلَّا خَسَارًا﴾ يعني اتبعوا أغنياءهم وكبراءهم وقرىء ولده بفتححتين وولد بضم الواو وسكون اللام وهما بمعنى واحد ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا كَبِيرًا﴾ الكبار بالتشديد أبلغ من الكبار بالتخفيف والكبار بالتخفيف أبلغ من الكبير ﴿وَقَالُوا لَا تَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدًا وَلَا سَمَوَاتٍ﴾ هذه أسماء أصنامهم، كان قوم نوح يعبدونها ورؤي أنها أسماء رجال صالحين كانوا في صدر الدنيا، فلما ماتوا صورهم أهل ذلك العصر من حجارة وقالوا ننظر إليها لتتذكر أعمالهم الصالحة، فهلك ذلك الجيل وكثر تعظيمهم من بعدهم لتلك الصور حتى عبدوها من دون الله ثم انتقلت تلك الأصنام بأعيانها وقيل بل الأسماء فقط إلى قبائل العرب، فكان وُدًا لكلب بدومة الجندل وكان سَوَاعٍ لهذيل وكان يَغُوثَ لمراد وكان يعوق لهمذان وكان نَسْرًا لذي الكلاع من حمير وقرىء وُدًا بفتح الواو وضمتها وهما لغتان ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا﴾ الضمير للرؤساء من قوم نوح والمعنى أضلوا كثيرًا من أتباعهم وهذا من كلام نوح عليه السلام، وكذلك ﴿لَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا﴾ من كلامه وهو دعاء عليهم وقال الزمخشري إنه معطوف على قوله: ﴿رَبِّ إِنِّهْم عَصَوْنِي﴾ والتقدير قال رب إنهم عصوني وقال: ﴿لَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا﴾ ﴿مِمَّا حَظَيْتَابِهْمُ أُغْرِقُوا﴾ هذا من كلام الله إخبارًا عن أمرهم، وما زائدة للتأكيد وإنما قدّم هذا المجرور للتأكيد أيضًا لبيان أن إغراقهم وإدخالهم النار، إنما كان بسبب خطاياهم وهي الكفر وسائر المعاصي ﴿فَأَدْخَلُوا نَارًا﴾ يعني جهنم وعبر عن ذلك بالفعل الماضي لأن الأمر محقق وقيل أراد عرضهم على النار وعبر عنه بالإدخال ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَارًا﴾ ديارًا من الأسماء المستعملة في النفي العام يقال ما في الدار ديار أي ما فيها أحد وزنه فيعال وكان أصله ديوار ثم قلبت الواو ياء وأدغمت في الباء وليس وزنه فعال لأنه لو كان كذلك لقليل دوار لأنه مشتق من الدور أو من الدار، ورؤي أن نوحًا عليه السلام لم يتدع على قومه بهذا الدعاء إلا بعد أن يش من إيمانهم وبعد أن أخرج الله كل مؤمن من أصنامهم ﴿رَبِّ أَنْفِرْ لِي

عِبَادِكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاكِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا
وَاللَّمُومِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا نَبَارًا ﴿٢٨﴾

وَلِوَالِدَيَّ ﴿﴾ يؤخذ من هذا أن سُنَّةَ الدعاء أن يقدم الإنسان الدعاء لنفسه على الدعاء لغيره وكان ولدا نوح عليه السلام مؤمنين قال ابن عباس لم يكن لنوح ابن كافر ما بينه وبين آدم عليهما السلام واسم والد نوح لمك بن متوشلخ وأمه شمخانت أنوش، حكاه الزمخشري ﴿وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا﴾ قيل بيته المسجد وقيل السفينة وقيل شريعته سماها بيتاً استعارة وهذا بعيد وقيل داره وهذا أرجح لأنه الحقيقة ﴿وَاللَّمُومِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ هذا دعاء بالمغفرة لكل مؤمن ومؤمنة على العموم، وفيه دليل على جواز ذلك خلافاً لمن قال من المتأخرين أنه لا يجوز الدعاء بالمغفرة لجميع المؤمنين على العموم، وهذا خطأ وتضييق لرحمة الله الواسعة، قال بعض العلماء إن الإله الذي استجاب لنوح عليه السلام فأغرق بدعوته جميع أهل الأرض الكفار حقيق أن يستجيب له فيرحم بدعوته جميع المؤمنين والمؤمنات ﴿تَبَارًا﴾ أي هلاكاً والله أعلم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىكَ الْكِتَابَ الْعَرَبِيَّ الَّذِي لَمْ يَجْعَلْ لَكَ فِيهِ حَسْبًا وَلَا حِزْبًا لِيَتَّبِعَ الْإِنسَانُ مَتَابِعَهُ أَلَمْ يَجْعَلِ الْهِنْدَ وَالْعَرَبَ شِجْرًا أَلَمْ يَجْعَلِ الْعَرَبَ عَرَبِيًّا وَالْأَسْوَثَ عَرَبِيًّا وَالْأَسْوَثَ عَرَبِيًّا وَالْأَسْوَثَ عَرَبِيًّا

سورة الجن

وَمَا يُعِيبُ عَلَىكَ الْفَلَاحُ وَالْجَلَا لَوْلَا أَنَّ رَجُلًا مِّنَ الْجِنِّ سَمِعَ عَرَبِيًّا إِذْ دَخَلَ عَلَيْكُمْ صُلْحَ الْمُؤْمِنِينَ وَرَبِّطَهُمْ بِهِمْ سِمَاطَ الْوَعْدِ فَذَرَىٰ ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْيَمِّ لَمِيمًا فَذَرَىٰ سَائِرَ الْجِنِّ فَضْحَحُوا وَغَدَوْنَ حَزْبًا فَوَسَّوْا لَهُمْ ظُلُمَاتٍ لَّيْلًا مَّا يُبْصَرُونَ فَذَرَىٰ لَهُمْ لُجَّتًا حَرِيمَةً فَلَمَّا أَفَلَاحَا بَخَسُوا مَعَهُمْ فَنِظَّ لِحُجَّتِهِمْ أَصْحَابُ الْإِنْفِاقِ فَذَرَىٰ الْجِنِّ الْوَحْشَ وَالنَّارُ الْوَعْدِ وَأَنزَلْنَا السَّمَاءَ مَطَرًا فَطَبَخُوا فِي الدَّخَانِ عَذَابَ لَّيْلٍ مَّرْمَرًا فَذَرَىٰ الْجِنِّ الْوَحْشَ وَالنَّارُ الْوَعْدِ وَأَنزَلْنَا السَّمَاءَ مَطَرًا فَطَبَخُوا فِي الدَّخَانِ عَذَابَ لَّيْلٍ مَّرْمَرًا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ۝٢ وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صُحْبَةً وَلَا وَلَدًا ۝٣ وَأَنَّهُ كَانَ يَفُولُ سَفِينًا عَلَى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾ تقدمت في الأحقاف قصة هؤلاء الجن الذين استمعوا القرآن من النبي ﷺ وأسلموا ﴿فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾ أي قال كذلك بعضهم لبعض وعجبًا مصدر وصف به للمبالغة لأن العجب مصدر قولك عجبت عجبًا وقيل هو على حذف مضاف تقديره ذا عجب ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا﴾ جدُّ الله جلالة وعظمته وقيل معناه من قولك فلان مجدود إذا استغنى وقرىء أنه في هذا الموضع بفتح الهمزة وكسرهما وكذلك فيما بعده إلى قوله وإنا منَّا المسلمون فأما الكسر فاستثناف أو عطف على إنا سمعنا ولكنه كسر في معمول القول فيكون عطف عليه من قول الجن وأما الفتح فقيل إنه عطف على قوله أنه استمع نفر وهذا خطأ من طريق المعنى لأن قوله استمع نفر في موضع معمول أوحى فيلزم أن يكون المعطوف عليه مما أوحى وأن لا يكون من كلام الجن وقيل إنه معطوف على الضمير المجرور في قوله آمنا به وهذا ضعيف لأن الضمير المجرور لا يعطف

اللَّهُ شَطَطًا ﴿١﴾ وَأَنَا ظَنَّنَا أَنَّ لَنْ نَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿٢﴾ وَأَنْتَ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٣﴾ وَأَنْتُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا ﴿٤﴾ وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلَمَّتًا حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَبًا ﴿٥﴾ وَأَنَا كُنَّا نَقَعُدُّ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْمَعُ الْآنَ

عليه إلا بإعادة الخافض وقال الزمخشري هو معطوف على محل الجار والمجرور في أمنا به كأنه قال صدقناه وصدقنا أنه تعالى جد ربنا وكذلك ما بعده ولا خلاف في فتح ثلاث مواضع وهي: أنه استمع، وأن لو استقاموا، وأن المساجد لله؛ لأن ذلك مما أوحى لا من كلام الجن ﴿وَأَنْتَ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا﴾ هذا من كلام الجن وسفيهم أبوهم إبليس، وقيل هو اسم جنس لكل سفيه منهم واختار ذلك ابن عطية، والشطط التعدي ومجازة الحد ﴿وَأَنَا ظَنَّنَا أَنَّ لَنْ نَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ أي ظننا أن الأقوال التي كان الإنس والجن يقولونها على الله صادقة وليست بكذب لأننا ظننا أنه لا يكذب أحد على الله ﴿وَأَنْتَ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ﴾ تفسير هذا ما روي أن العرب كانوا إذا حل أحد منهم بوادٍ صاح بأعلى صوته يا عزيز هذا الوادي إني أعوذ بك من السفهاء الذين في طاعتك ويعتقد أن ذلك الجن الذي بالوادي يحميه ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ ضمير الفاعل للجن وضمير المفعول للإنس والمعنى أن الجن زادوا الإنس ضلالاً وإنما لما عاذوا بهم أو زادوهم تخويفاً لما رأوا ضعف عقولهم، وقيل ضمير الفاعل للإنس وضمير المفعول للجن والمعنى أن الإنس زادوا الجن تكبراً وطغياناً لما عاذوا بهم حتى كان الجن يقول أنا سيد الجن والإنس ﴿وَأَنْتُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا﴾ الضمير في ظنوا لكفار الإنس وظننتم خطاب الجن بعضهم لبعض، فالمعنى أن كفار الإنس والجن ظنوا أن لن يبعث الله أحداً، والبعث هنا يحتمل أن يريد به بعث الرسل أو البعث من القبور ﴿وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلَمَّتًا حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَبًا﴾ هذا إخبار عن ما حدث عند مبعث النبي ﷺ من منع الجن من استراق السمع من السماء ورجمهم واللمس المس واستعير هنا للطلب، والحرس اسم مفرد في معنى الحراس كالخدم في معنى الخدام، ولذلك وصف بشديد وهو مفرد ويحتمل أن يريد به الملائكة الحراس أو النجوم الحارسة وكرر الشهب لاختلاف اللفظ ﴿وَأَنَا كُنَّا نَقَعُدُّ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ﴾ المقاعد جمع مقعد وقد فسر رسول الله ﷺ صورة قعود الجن أنهم كانوا واحداً فوق واحد فمتى أحرق الأعلى طلع الذي تحته مكانه فكانوا يسترقون الكلمة فيلقونها إلى الكهان ويزيدون معها ثم يزيد الكهان للكلمة مائة كذبة ﴿فَ﴾

يَعِدُّ لَهُمْ شَهَابًا مَرَصَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرُّ أَرِيدُ يَمِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾ وَأَنَا مِنَّا
 الصَّالِحُونَ وَمِمَّا دُونَ ذَلِكَ كَثِيرٌ مِمَّا لَا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُعْجِزَهُمُ
 هَرَبًا ﴿١١﴾ وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْمَدْيَةَ ءَامَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٢﴾ وَأَنَا مِنَّا
 الْمُسْلِمُونَ وَمِمَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ﴿١٣﴾ وَأَمَا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ
 حَطَبًا ﴿١٤﴾ وَالْوِاسْتِقَامَ عَلَى الطَّرِيقَةِ لِأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً عَذَقًا ﴿١٥﴾ لِنَفْسِنَهُمْ فِيهِ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ

كالحرّاس للحارس وقال ابن عطية هو مصدر وصف به ومعناه منتظر قال بعضهم إن رمي
 الجن بالشجور إنما حدث بعد مبعث النبي ﷺ واختار ابن عطية والزمخشري أنه كان قبل
 المبعث قليلاً، ثم زاد بعد المبعث وكثر حتى منع الجن من استراق السمع بالكلية والدليل
 أنه كان قبل المبعث قول رسول الله ﷺ لأصحابه وقد رأى كوكباً: «انقض ما كنتم تقولون
 لهذا في الجاهلية؟» قالوا: كنا نقول ولد ملك أو مات ملك، فقال رسول الله ﷺ: «ليس
 الأمر كذلك» ثم وصف استراق الجن للسمع وقد ذكر شعراء الجاهلية ذلك في أشعارهم
 ﴿وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرُّ أَرِيدُ يَمِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ الآية: قال ابن عطية معناه لا ندرى أي من الناس
 بهذا النبي فيرشدوا، أو يكفرون به فينزل بهم الشر؟ وقال الزمخشري معناه لا ندرى هل
 أراد الله بأهل الأرض خيراً أو شراً من عذاب أو رحمة أو من خذلان أو من توقيق؟ ﴿وَأَنَا
 مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِمَّا دُونَ ذَلِكَ﴾ أي من قوم دون ذلك فحذف الموصوف وأراد به الذين ليس
 صلاحهم كاملاً أو الذين ليس لهم صلاح فإن دون قد تكون بمعنى أقل أو بمعنى غير ﴿كثيراً
 طَرِيقٍ قَدَدًا﴾ الطرائق المذاهب والسير وشبهها والقدد المختلفة وهو جمع قدة وهذا بيان
 للقسم المذكورة قبل وهو على حذف مضاف أي كنا ذوي طرائق ﴿وَأَنَا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُعْجِزَهُمُ
 اللَّهُ فِي الْأَرْضِ﴾ الظن هنا بمعنى العلم، وقال ابن عطية هذا إخبار منهم عن حالهم بعد
 إيمانهم ويحتمل أن يكونوا اعتقدوا هذا الاعتقاد قبل إسلامهم ﴿سَمِعْنَا الْهَدْيَ﴾ يعنون
 القرآن ﴿فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا﴾ البخس النقص والظلم، والرهق تحمل ما لا يطاق،
 وقال ابن عباس البخس نقص الحسنات، والرهق الزيادة في السيئات ﴿وَمِمَّا الْقَاسِطُونَ﴾
 يعني الظالمين: يقال قسط الرجل إذا جار، وأقسط بالألف إذا عدل وهامنا انتهى ما حكاه
 الله من كلام الجن، وأما قوله فلن أسلم فأولئك تحرّوا رشداً يحتمل أن يكون من بقية
 كلامهم أو يكون ابتداء كلام الله تعالى وهو الذي اختاره ابن عطية، وأما قوله: ﴿وَأَنْ لَوْ
 أَسْتَقَامُوا﴾ فهو من كلام الله باتفاق وليس من كلامهم ﴿تَحَرَّوْا﴾ أي قصصوا الرشداً ﴿وَأَنْ لَوْ
 أَسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لِأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً عَذَقًا﴾ الماء العذب الكثير وذلك استعارة في توسيع

يَسْلُكُهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ وَأَنْتُمْ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّي لَنْ يُخِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ وَمَنْ

الرزق والطريقة هي طريقة الإسلام وطاعة الله فالمعنى لو استقاموا على ذلك لوسع الله أرزاقهم فهو كقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦] وقيل هي طريقة الكفر والمعنى على هذا لو استقاموا على الكفر لوسع الله عليهم في الدنيا أملاكهم استدراجاً ويؤيد هذا قوله: ﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ والاول أظهر، والضمير في استقاموا يحتمل أن يكون للمسلمين أو للقاسطين المذكورين أو لجميع الجن أو للجن الذين سمعوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو لجميع الخلق ﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ إن كانت الطريقة الإيمان والطاعة، فمعنى الفتنة الاختبار هل يسلمون أم لا وإن كانت الطريقة الكفر فمعنى الفتنة الإضلال والاستدراج ﴿يَسْلُكُهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ معنى يسلكه يدخله والصعد الشديد المشقة وهو مصدر صعد يصعد ووصف بالمصدر للمبالغة يقال فلان في صعد أي في مشقة وقيل صعداً جبلاً في النار ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ﴾ أراد المساجد على الإطلاق وهي بيوت عبادة الله، ورؤي أن الآية نزلت بسبب تغلب قريش على الكعبة، وقيل أراد الأعضاء التي يسجد عليها واحدها مسجد بفتح الجيم وهذا بعيد، وعطف أن المساجد لله على أوحى إليّ أنه استمع وقال الخليل معنى الآية لأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً، أي لهذا السبب فلا تعبدوا غير الله ﴿وَأَنْتُمْ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ عبد الله هنا محمد ﷺ ووصفه بالعبودية اختصاصاً له وتقريباً وتشريفاً وقال الزمخشري أنه سماه هنا عبد الله ولم يقل الرسول أو النبي لأن هذا واقع في كلام رسول الله ﷺ عن نفسه لأنه مما أوحى إليه فذكر ﷺ نفسه على ما يقتضيه التواضع والتذلل وهذا الذي قاله بعيد مع أنه إنما يمكن على قراءة أنه لما قام بفتح الهمزة فيكون عطفاً على أوحى إليّ أنه استمع وأما على القراءة بالكسر على الاستئناف فيكون إخباراً من الله أو من جملة كلام الجن فيبطل ما قاله ﴿كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ اللبد الجماعات واحدها لبدة والضمير في كادوا يحتمل أن يكون للكفار من الناس أي كادوا يجتمعون على الرد عليه وإبطال أمره أو يكون للجن الذين استمعوا أي كادوا يجتمعون عليه لاستماع القرآن والبركة به ﴿مُلْتَحَدًا﴾ أي ملجأ ﴿إِلَّا بَلَاغًا﴾ بدل من ملتحداً أي لا أجد ملجأ إلا بلاغ الرسالة ويحتمل أن يكون استثناء منقطعاً ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ قال الزمخشري هو بمعنى بلاغاً كائناً

يَعْصُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴿٢٦﴾ حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَيَسْجُدُوا لَهُمْ
 أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٧﴾ قُلْ إِنْ أَدْرِي مَا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لِكُلِّ فِرْقٍ أَمْدًا ﴿٢٨﴾ عَلَيْنَا
 الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٢٩﴾ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَيَمْنُ
 خَلْفَهُ رِصْدًا ﴿٣٠﴾ لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴿٣١﴾

من الله ويحتمل عندي أن يكون متعلقًا ببلاغًا والمعنى بلاغ من الله ﴿وَرَسُولَاتِهِ﴾ قال
 الزمخشري إنه معطوف على بلاغًا كأنه قال إلا التبليغ والرسالة، ويحتمل أن يكون ﴿وَرَسُولَاتِهِ﴾
 معطوفًا على اسم الله ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ جمع
 خالدين على معنى من يعص الله لأنه في معنى الجمع والآية في الكفار وحملها المعتزلة على
 عصاة المؤمنين لأن مذهبهم خلودهم في النار والدليل على أنها في الكفار وجهان أحدهما
 أنها مكية والسورة المكية إنما الكلام فيها مع الكفار والآخرة دلالة ما قبلها وما بعدها على
 أن المراد بها الكفار ﴿حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ﴾ تعلق حتى بقوله يكونون عليه ليبدأ
 وجعلت غاية لذلك والمعنى أنهم يكفرونه ويتظاهرون عليه حتى إذا رأوا ما يوعدون قال
 ذلك الزمخشري وقال أيضًا يجوز أن يتعلق بمحذوف يدل على المعنى كأنه قيل لا يزالون
 على ما هم عليه من الكفر حتى إذا رأوا ما يوعدون وهذا أظهر ﴿قُلْ إِنْ أَدْرِي مَا
 تُوعَدُونَ﴾ إن هنا نافية والمعنى قل لا أدري أقرب ما توعدون أم بعيد وعبر عن بعده
 بقوله: ﴿أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمْدًا﴾ ويعني بما توعدون قتلهم يوم بدر أو يوم القيامة ﴿فَلَا يُظْهِرُ
 عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ﴾ أي لا يطلع أحدًا على علم الغيب إلا من ارتضى
 وهم الرسل فإنه يُطلعهم على ما شاء من ذلك ومن في قوله من رسول لبيان الجنس لا
 للتبعض والرسل هنا يحتمل أن يراد بهم الرسل من الملائكة وعلى هذا حملها ابن عطية أو
 الرسل من بني آدم وعلى هذا حملها الزمخشري واستدل بها على نفي كوامات الأولياء
 الذين يدعون المكاشفات فإن الله خص الأطلاع على الغيب بالرسل دون غيرهم وفيها أيضًا
 دليل على إبطال الكهانة والتنجيم وسائر الوجوه التي يدعي أهلها الأطلاع على الغيب لأنهم
 ليسوا من الرسل ﴿فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رِصْدًا﴾ للمعنى أن الله يسلك من بين
 يدي الرسل ومن خلفه ملائكة يكونون رصداً يحفظونه من الشياطين وقد ذكرنا رصداً في
 هذه السورة قال بعضهم ما بعث الله رسولاً إلا ومعه ملائكة يحرسونه حتى يبلغ رسالة ربه
 ﴿لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ﴾ في الفاعل يعلم ثلاثة أقوال: الأول أي ليعلم الله أن
 الرسل قد بلغوا رسالات ربهم أي يعلمه موجوداً وقد كان علم ذلك قبل كونه الثاني ليعلم

محمد أن الملائكة الرصد أبلغوا رسالات ربهم . الثالث ليعلم من كفر أن الرسل قد بلغوا الرسالة والأول أظهر وجمع الضمير في أبلغوا وفي ربهم حملاً على المعنى لأن من ارتضى من رسول يراد به جماعة ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ أي أحاط الله بما عند الرسل من العلوم والشرائع وهذه الجملة معطوفة على قوله ليعلم لأن معناه أنه قد علم قال ذلك ابن عطية ويحتمل أن تكون هذه الجملة في موضع الحال ﴿وَأَخَصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ هذا عموم في جميع الأشياء وعدداً منصوب على الحال أو تمييز أو مصدر من معنى أحصى .

سورة المزمل

مكية إلا الآيات ١٠ و ١١
و ٢٠ فمدنية وآياتها ٢٠ نزلت بعد القلم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَأْتِيهَا الْمَزْمَلُ ﴿١﴾ فُرُّ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ يَصْفَهُ أَوْ انْقَضَ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدَ عَلَيْهِ وَرَتِلَ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾
إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأًا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴿٦﴾ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَأْتِيهَا الْمَزْمَلُ﴾ نداء للنبي ﷺ ووزن المزمل متفعل فأصله متزمل ثم سكنت التاء وأدغمت في الزاي وفي تسمية النبي ﷺ بالمزمل ثلاثة أقوال أحدها أنه كان في وقت نزول الآية متزملًا في كساء أو لحاف والتزمل الالتفاف في الثياب بضم وتشمير هذا قول عائشة والجمهور، والثاني أنه كان قد تزمل في ثيابه للصلاة، الثالث أن معناه المتزمل للنبوة أي المتشمر المجذ في أمرها والأول هو الصحيح لما ورد في البخاري ومسلم أن رسول الله ﷺ لما جاءه المَلَك وهو في غار جِراء في ابتداء الوحي رجع ﷺ إلى خديجة ترعد فرائضه فقال: «زملوني زملوني» فنزلت يا أيها المدثر وعلى هذا نزلت يا أيها المزمل فالمزمل على هذا تزمله من أجل الرعب الذي أصابه أول ما جاءه جبريل وقال الزمخشري كان نائمًا في قطيفة فنودي يا أيها المزمل ليبين الله الحالة التي كان عليها من التزمل في القطيفة لأنه سبب للنوم الثقيل المانع من قيام الليل وهذا القول بعيد غير سديد، وقال السهيلي في نداءه

بالمزمل فائدتان: إحداهما الملاطفة فإن العرب إذا قصدت ملاطفة المخاطب نادوه باسم مشتق من حالته التي هو عليها كقول النبي صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لَعَلِّي: «قم أبا تراب»، والفائدة الثانية التنبيه لكل متزمل راقد بالليل ليتنبه إلى ذكر الله لأن الاسم المشتق من الفعل يشترك فيه المخاطب وكل من اتصف بتلك الصفة ﴿قُمِ اللَّيْلُ﴾ هذا الأمر بقيام الليل اختلف هل هو واجب أو مندوب، فعلى القول بالندب فهو ثابت غير منسوخ، وأما على القول بالوجوب ففيه ثلاثة أقوال: أحدها أنه فرض على النبي ﷺ وحده ولم يزل فرضاً عليه حتى توفي، الثاني أنه فرض عليه وعلى أمته فقاموا حتى انتفخت أقدامهم، ثم نسخ بقوله في آخر السورة: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ﴾ الآية: وصار تطوعاً هذا قول عائشة رضي الله عنها وهو الصحيح، واختلف كم بقي فرضاً فقالت عائشة عاماً وقيل ثمانية أشهر وقيل عشرة أعوام فالآية الناسخة على هذا مدنية، الثالث أنه فرض عليه ﷺ وعلى أمته وهو ثابت غير منسوخ، ولكن ليس الليل كله إلا ما تيسر منه وهو مذهب الحسن وابن سيرين ﴿إِلَّا قَلِيلًا نُّصَفَهُ أَوْ انْقُصَ مِنْهُ قَلِيلًا أَوْ زِدْ عَلَيْهِ﴾ في معنى هذا الكلام أربعة أقوال: الأول وهو الأشهر والأظهر أن الاستثناء من الليل وقوله نصفه بدل من الليل أو من قليلاً، وجعل النصف قليلاً بالنسبة إلى الجميع والضميران في قوله: أو انقص منه، أو زد عليه: عائدان على النصف والمعنى أن الله خيره بين ثلاثة أحوال وهو أن يقوم نصف الليل أو ينقص من النصف قليلاً أو يزد عليه. الثاني: قال الزمخشري إلا قليلاً استثناء من النصف كأنه قال نصف الليل إلا قليلاً فخيرته على هذا بين حالتين وهما أن يقوم أقل من النصف أو أكثر منه وهذا ضعيف، لأن قوله أو انقص منه قليلاً تضمن معنى النقص من النصف فلا فائدة زائدة في استثناء القليل من النصف، القول الثالث قال الزمخشري أيضاً: يجوز أن يريد بقوله أو انقص منه قليلاً نصف النصف وهو الربع ويكون الضمير في قوله أو زد عليه يعود على ذلك، أي زد على الربع فيكون ثلثاً فيكون التخيير على هذا بين قيام النصف أو الثلث أو الربع، وهذا أيضاً بعيد، القول الرابع قال ابن عطية: يحتمل أن يكون معنى إلا قليلاً الليالي التي يمنعه العذر من القيام فيها، والمراد بالليل على هذا الليالي فهو جنس وهذا بعيد لأنه قد فسر هذا القليل المستثنى بما بعد ذلك من نصف الليل أو النقص منه أو الزيادة عليه، فدل ذلك على أن المراد بالليل المستثنى بعض أجزاء الليل لا بعض الليالي، فإن قيل: لم قيد النقص من النصف بالقلة فقال أو انقص منه قليلاً وأطلق في الزيادة فقال أو زد عليه ولم يقل قليلاً؟ فالجواب: أن الزيادة تحسن فيها الكثرة فلذلك لم يقيداً بالقلة بخلاف النقص فإنه لو أطلقه لاحتمل

طويلاً ﴿٧﴾ وَأَذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً ﴿٨﴾ رَبُّ الشَّرْقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾

والمَدَّ وإشباع الحركات وبيان الحروف، وذلك مُعين على التفكر في معاني القرآن بخلاف الهد الذي لا يقفه صاحبه ما يقول وكان رسول الله ﷺ يقطع قراءته حرفاً حرفاً ولا يميز بآية رحمة إلا وقف وسأل ولا يميز بآية عذاب إلا وقف وتعوذ ﴿إِنَّا سَأَلْنَاكَ عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ هذه الآية اعتراض بين آية قيام الليل، والقول الثقيل هو القرآن واختلف في وصفه بالثقل على خمسة أقوال أحدها أنه سُمي ثقيلاً لما كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يلقاه من الشدة عند نزول الوحي عليه حتى أن جبينه ليتفصد عرقاً في اليوم الشديد البرد، وقد كان يثقل جسمه عليه الصلاة والسلام بذلك حتى إنه إذا أُوجي إليه وهو على ناقته بركت به، وأوجي إليه وفخذه على فخذ زيد بن ثابت فكادت أن ترض فخذ زيد والثقل على هذا حقيقة، الثاني أنه ثقیل على الكفار بإعجازه ووعيده، الثالث أنه ثقيل في الميزان، الرابع أنه كلام له وزن ورجحان، الخامس أنه ثقيل لما تضمن من التكليف والأوامر والنواهي، وهذا اختيار ابن عطية وعلى هذا يناسب الاعتراض بهذه الآية، قيام الليل لمشقة ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ﴾ في الناشئة سبعة أقوال: الأول أنه النفس الناشئة بالليل أي التي تنشأ من مضجعتها وتقوم للصلاة، الثاني الجماعات الناشئة الذين يقومون للصلاة، الثالث العبادة الناشئة بالليل أي تحدث فيه، الرابع الناشئة القيام بعد النوم فمن قام أول الليل قبل أن ينام فلم يقم ناشئة، الخامس الناشئة القيام أول الليل بعد العشاء، السادس الناشئة بعد المغرب والعشاء، السابع ناشئة الليل ساعاته كلها ﴿هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا﴾ يحتمل معنيين أحدهما: أثقل وأصعب على المصلي ومنه قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «اللَّهُمَّ اشْدُدْ وَطْأَتَكَ عَلَى مَضْرٍ» والأثقل أعظم أجراً فالمعنى تحريض على قيام الليل لكثرة الأجر. الثاني أشد ثبوتاً من أجل الخلوة وحضور الذهن والبعد عن الناس ويقرب هذا من معنى ﴿أَقْرَبُ قِيَالًا﴾ وقرىء وطئاً بكسر الواو على وزن فعال ومعناه موافقة أي يوافق القلب اللسان بحضور الذهن ﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا﴾ السبح هنا عبارة عن التصرف في الاشتغال والمعنى يكفيك النهار للتصرف في أشغالك وتفرغ بالليل لعبادة ربك وقيل المعنى إن فاتك شيء من صلاة الليل فأذه بالنهار فإنه طويل يسع ذلك ﴿وَأَذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ﴾ قيل معناه قل بسم الله الرحمن الرحيم في أول صلاتك واللفظ أعم من ذلك ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً﴾ أي انقطع إليه بالعبادة والتوكل عليه وحده وقيل التبتل رفض الدنيا وتبتيلاً مصدر على غير قياس ﴿فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ الوكيل هو القائم بالأمور والذي تُوكَل إليه الأشياء فهو أمر بالتوكل على الله ﴿وَأَضْبِرْ عَلَيَّ مَا

وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١١﴾ وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهَلُمْ قَلِيلًا ﴿١٢﴾ إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٣﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٤﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيرًا مَّهِيلًا ﴿١٥﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٦﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْدًا وَبِيلًا ﴿١٧﴾ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ﴿١٨﴾ السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ

يَقُولُونَ﴾ أي على ما يقول الكفار والآية منسوخة بالسيف وقيل إنما المنسوخ المهادنة التي يقتضيها قوله: ﴿أَهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ وأما الصبر فمأمور به في كل وقت ﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ﴾ هذا تهديد لهم وانتصب المكذبين على أنه مفعول معه أو معطوف ﴿أُولِي النَّعْمَةِ﴾ أي التمتع في الدنيا ورُوي أن الآية نزلت في بني المغيرة وهم قوم من قريش كانوا متنعمين في الدنيا ﴿أَنكَالًا﴾ جمع نكل وهو القيد من الحديد. رُوي أنها قيود سود من نار ﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ﴾ شجرة الزقوم ومعنى ذا غُصَّة أي يغص به آكلوه وقيل هو شوك يعترض في حلوقهم لا ينزل ولا يخرج ورُوي أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قرأ هذه الآية فصعق ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ﴾ أي تهتز وتزلزل والعامل في يوم معنى الكلام المتقدم وهو ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالًا﴾ ﴿وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيرًا مَّهِيلًا﴾ الكتيب كدس الرمل والمهيل اللين الرخو الذي تهيله الريح أي تنشره وزنه مفعول والمعنى أن الجبال تصير إذا نسفت يوم القيامة مثل الكتيب ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا﴾ خطاب لجميع الناس لأن رسول الله ﷺ بُعث إلى الناس كافة وقال الزمخشري هو خطاب لأهل مكة ﴿شَاهِدًا عَلَيْكُمْ﴾ أي يشهد على أعمالكم من الكفر والإيمان والطاعة والمعصية وإنما يشهد على من أدركه لقوله ﷺ: «أقول كما قال أخي عيسى وكنت عليهم شهيدًا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم» ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾ يعني موسى عليه السلام وهو المراد بقوله: «فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ﴾ فاللام للعهد ﴿أَخْدًا وَبِيلًا﴾ أي عظيمًا شديدًا ﴿يَوْمًا﴾ مفعول به وناصبه تتقون أي كيف تتقون يوم القيامة وأهواله إن كفرتم وقيل هو مفعول به على أن يكون كفرتم بمعنى جحدتم، وقيل هو ظرف أي كيف لكم بالتقوى يوم القيامة ويحتمل أن يكون العامل فيه محذوف تقديره اذكروا قوله السماء منفطر به ﴿يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾ الولدان جمع وليد وهو الطفل الصغير والشيب بكسر الشين جمع أشيب ووزنه فعل بضم الفاء وكسرت لأجل الياء، ويجعل يحتمل أن يكون مسندًا إلى الله تعالى أو إلى اليوم، والمعنى أن الأطفال يشبهون يوم القيامة، فقيل إن ذلك حقيقة، وقيل إنه عبارة عن هول ذلك اليوم، وقيل إنه عبارة عن الضمير

بِهِ كَانَ وَعَدُّهُ مَفْعُولًا ﴿١٨﴾ إِنَّ هَذِهِ تَذَكُّرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿١٩﴾ ﴿إِنَّ رَبَّكَ بِمَا عَمِلْتُمْ لَخَبِيرٌ﴾
 أَنْكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلثِي اللَّيْلِ وَيُنْصَفُ وَثُلُثُهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَوْ كَانَ مِنْ حِطَّةٍ
 فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَأْهُ مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ لِيَبْتَغُوا

المجروحون يعود على اليوم أي تنفطر السماء لشدة هوله ويحتمل أن يعود على الله أي تنفطر بأمره وقدرته والأول أظهر والسماء مؤنثة وجاء منفطر بالتذكير لأن تأنيثها غير حقيقي أو على الإضافة تقديره ذات انفطار أو لأنه أراد السقف ﴿كَانَ وَعَدُّهُ مَفْعُولًا﴾ الضمير في وعده يحتمل أن يعود على اليوم أو على الله والأول أظهر لأنه ملفوظ به ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذَكُّرَةٌ﴾ الإشارة إلى ما تقدم من المواعظ والوعيد ﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ يريد سبيل التقرب إلى الله ومعنى الكلام حض على ذلك وترغيب فيه ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلثِي اللَّيْلِ﴾ هذه الآية نزلت ناسخة لما أمر به في أول السورة من قيام الليل ومعناها أن الله يعلم أنك ومن معك من المسلمين تقومون قيامًا مختلفًا مرة يكثر ومرة يقل، لأنكم لا تقدرتون على إحصاء أوقات الليل وضبطها فإنه لا يقدر على ذلك إلا الله فخفف عنكم وأمركم أن تقرأوا ما تيسر من القرآن ﴿وَيُنْصَفُ وَثُلُثُهُ﴾ من قرأها بالخفيل فهو عطف على ثلثي الليل أي تقوم أقل من ثلثي الليل وأقل من نصفه وثلثه ومن قرأ بالنصب فهو عطف على أدنى أي تقوم أدنى من ثلثي الليل وتقوم نصفه تارة وثلثه تارة ﴿وَطَائِفَةٌ﴾ يعني المسلمين وهو معطوف على الضمير الفاعل في تقوم ﴿عَلِمَ أَنْ لَوْ كَانَ مِنْ حِطَّةٍ يَتُوبُ﴾ الضمير يعود على ما يفهم من سياق الكلام أي لن تحصوا تقدير الليل، وقيل معناه لن تطيقوه أي لن تطيقوا قيام الليل كله ﴿فَاتَّبَعُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾ أي إذا لم تقدرُوا على قيام الليل كله فقوموا بعضه واقروا في صلاتكم بالليل ما تيسر من القرآن، وهذا الأمر للندب، وقال ابن عطية هو للإباحة عند الجمهور وقال قوم منهم الحسن وابن سيرين هو فرض لا بد منه ولو أقل ما يمكن حتى قال بعضهم من صلى الوتر فقد امتثل هذا الأمر، وقيل كان فرضًا ثم نسخ بالصلوات الخمس، وقال بعضهم هو فرض على أهل القرآن دون غيرهم ﴿عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَىٰ﴾ ذكر الله في هذه الآية الأعداء التي تكون لبني آدم تمنعهم من قيام الليل فمنها المرض ومنها السفر للتجارة وهي الضرب في الأرض لابتغاء فضل الله ومنها الجهاد ثم كثر الأمر بقراءة ما تيسر تأكيدًا للأمر به أو تأكيدًا للتخفيف وهذا أظهر لأنه ذكره بأثر الأعداء ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ يعني المكتوبتين ﴿وَأَقْرَأُوا اللَّهَ﴾ معناه

مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَءَاخِرُونَ يَقْتُلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَأَقْرَأُوا مَا تَشَاءُ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا
 اللَّهُ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا نُقِذِمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا وَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ
 رَحِيمٌ ﴿٢٠﴾

تصدقوا، وقد ذكر في البقرة ﴿هُوَ خَيْرٌ﴾ نصب خيرًا لأنه مفعول ثانٍ لتجدوه والضمير
 فصل ﴿وَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ﴾ قال بعض العلماء إن الاستغفار بعد الصلاة مستنبط من هذه الآية
 وكان رسول الله ﷺ إذا سلم من صلاته استغفر ثلاثًا.

سورة المدثر

مكية وآياتها ٥٦ نزلت بعد المزمل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَأْتِيهَا الْمَدْثَرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنْذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبِّكَ فَكْبِّرْ ﴿٣﴾ وَتَبَاكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَالرَّجْزَ فَاهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمَنَّ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٦﴾ وَرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴿٧﴾ فَإِذَا نُفِرَ فِي النَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَأْتِيهَا الْمَدْثَرُ﴾ وزنه متفعل ومعناه الذي تدر في كساء أو ثياب وتسميته بذلك كتسميته بالمزمل حسبما ذكرنا في موضعه وقال السهيلي: في ندائه بالمدثر ثلاثة فوائد: الاثنان اللتان ذكرتا في المزمل وفائدة ثالثة وهي أن العرب يقولون النذير العريان للنذير الذي يكون في غاية الجذ والتشمير والنذير بالثياب ضد هذا فكأنه تنبيه على ما يجب من التشمير، وقيل إن هذه أول سورة نزلت من القرآن: والصحيح أن سورة اقرأ نزلت قبلها ﴿قُمْ فَأَنْذِرْ﴾ أي أُنذر الناس وهذه بعثة عامة ﴿وَرَبِّكَ فَكْبِّرْ﴾ أي عظمه ويحتمل أن يريد قول الله أكبر ويؤيد ذلك ما روي عن أبي هريرة أن المسلمين قالوا بِمِ نَفْتَحِ صَلَاتِنَا فَنَزَلَتْ وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ وقوله وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ: من المقلوب الذي يقرأ من أوله وآخره ﴿وَتَبَاكَ فَطَهِّرْ﴾ فيه ثلاثة أقوال أحدها أنه حقيقة في تطهير الثياب من النجاسة واختلف في هذا هل يحمل على الوجوب فتكون إزالة النجاسة واجبة أو على الندب فتكون سنة، والآخر أنه يراد به الطهارة

يَسِيرٌ ﴿١٠﴾ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَيْنَ يَدَيْهِ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عِينِدًا ﴿١٦﴾ سَأَرَّهُنَّ صَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُمْ فَكَرُوا فَذَرَهُمْ حَسْرَةً ﴿١٨﴾

من الذنوب والعيوب فالثياب على هذا مجاز، الثالث: أن معناه لا تلبس الثياب من مكسب خيبت ﴿وَالرُّجْزَ فَأَهْجُرْ﴾ فيه ثلاثة أقوال، أحدها: أن الرجز الأوثان، رُوِيَ ذلك عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وهو قول عائشة، والآخر أن الرجز السخط والعذاب وهذا أصله في اللغة فمعناه اهجر ما يؤدي إليه ويوجبه، الثالث: أنه المعاصي والفجور، قال بعضهم كل معصية رجز ﴿وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْبِرُ﴾ يحتمل قوله تمنن أن يكون بمعنى العطاء أو بمعنى المنّ وهو ذكر العطاء وشبهه، أو بمعنى الضعف فإن كان بمعنى العطاء ففيه وجهان، أحدهما: أن معناه لا تعط شيئًا لتأخذ أكثر منه، قال بعضهم هذا خاص بالنبي ﷺ ومباح لأئمة، والآخر: لا تعط الناس عطاءً وتستكثره، لأن الكريم يستقل ما يعطي وإن كثيرًا، وإن كان من المنّ بالشيء ففيه وجهان، الأول: لا تمنن على الناس بنبوئتك تستكثر بأجر أو مكسب تطلبه، الثاني: لا تمنن على الله بعملك تستكثر أعمالك وتقع لك بها إعجاب وإن كان من الضعف فمعناه لا تضعف عن تبليغ الرسالة وتستكثر ما حملناك من ذلك ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ أي اصبر لوجهه وطلب رضاه، ويحتمل أن يريد الصبر على المكاره والمصائب، أو على إذابة الكفار له، أو على العبادة ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ﴾ يعني نفخ في الصور، ويحتمل أن يريد النفخة الأولى والثانية ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ هذا وعيد وتهديد، ونزلت الآية في الوليد بن المغيرة باتفاق، وفي معنى وحيدًا ثلاثة أقوال: أحدها: رُوِيَ أنه كان يلقب الوحيد، أي لا نظير له في ماله وشرفه وكونه وحيدًا نعمة عددها الله عليه، الثاني: أن معناه خلقتة منفردًا ذليلاً، الثالث: أن معناه خلقتة وحدي فوحيدًا على هذا من صفة الله تعالى وإعراجه على هذا حال من الضمير الفاعل في قوله خلقت وهو على القولين الأولين حال من الضمير المفعول ﴿وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا﴾ أي كثيرًا، واختلف في مقداره فقيل: ألف دينار، وقيل عشرة آلاف دينار، وقيل يعني الأرض لأنها مدت ﴿وَبَيْنَ شُهُودًا﴾ أي حضورًا، ورُوِيَ أنه كان له عشرة من الأولاد، وقيل ثلاثة عشرة لا يفارقونه، وأسلم منهم ثلاثة وهم: خالد وهشام وعمار ﴿وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا﴾ أي بسطت له في الدنيا بالمال والقوة وطيب العيش ﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ﴾ أي يطمع في الزيادة على ما أعطاه الله، وهذا غاية الحرص ﴿كَلَّا﴾ زجر عما طمع فيه من الزيادة ﴿عِينِدًا﴾ أي معانداً مخالفاً، والآيات هنا يراد بها القرآن لأن الـ

فَقِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأَصْلِيهِ سَقَرٌ ﴿٢٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَاحٍ لِلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ

صَعُودًا ﴿٣١﴾ الصعود العقبة الصعبة، ورُوي عن النبي ﷺ أنها عقبة في جهنم كلما صعدها الإنسان ذاب ثم يعود، فالمعنى سأشق عليه بتكليفه الصعود فيها ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴾ أي فكر فيما يقول، وقدر في نفسه ما يقول في القرآن أي هيأ كلامه، رُوي أن الوليد سمع القرآن فأعجبه وكاد يسلم، ودخل على أبي بكر الصديق فعاتبه أبو جهل، وقال له إن قريشاً قد أبغضتكم لمقاربتكم أمر محمد وما يخلصكم عندهم إلا أن تقول في كلام محمد قولاً يرضيهم، فافتتن وقال أفعل ذلك ثم فكر فيما يقول في القرآن فقال: أقول شعر ما هو شعر، أقول كهانة ما هو بكهانة، أقول إنه سحر وإنه قول البشر ليس منزلاً من عند الله ﴿فَقِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ دعاء عليه ودم وكبره تأكيداً لذمه وتقبيح حاله قاله ابن عطية: ويحتمل أن يكون مقتضاه استحسان منزعه الأول حين أعجبه القرآن، فيكون قوله قتل لا يراد به الدعاء عليه وإنما هو كقولهم قاتل الله فلائنا ما أنجعه يريدون التعجب من حاله واستعظام وصفه، وقال الزمخشري يحتمل أن يكون ثناء عليه على طريقة الاستهزاء أو حكاية بقول قريش تهكمًا بهم ﴿ثُمَّ نَظَرَ﴾ أي نظر في قوله ﴿ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ﴾ البسور هو تقطيب الوجه وهو أشد من العبوس، وفعل ذلك من حسده للنبي ﷺ أي عبس في وجهه عليه الصلاة والسلام، أو عبس لما ضاقت عليه الحيل ولم يدر ما يقول ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ﴾ أي عرض عن الإسلام ﴿سِحْرٌ يُؤْتَرُ﴾ أي ينقل عن تقدم ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ﴾ تعظم لها وتهويل ﴿لَا تَبْقِي وَلَا تَذَرُ﴾ مبالغة في وصف عذابها أي لا تدع غاية من العذاب إلا أذاقته إيها أو لا تبقي شيء ألقى فيها إلا أهلكته وإذا أهلك لم تدره هالكاً بل يعود للعذاب ﴿لَوَاحٍ لِلْبَشَرِ﴾ بمعنى لواحة مغيرة يقال لوحة السفر إذا غيره والبشر جمع بشرة وهي الجلد، فالمعنى أنها تحرق الجلود وتسودها وقيل لواحة من لاح إذا ظهر والبشر الناس أي تلوح للناس، وقال الحسن تلوح لهم من مسيرة خمسمائة عام ﴿تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ يعني الزبانية خزنة جهنم فقيل لهم تسعة عشر ملكاً وقيل تسعة عشر صفًا من الملائكة والأول أشهر ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً﴾ سبب الآية أنه لما نزل عليها تسعة عشر قال أبو جهل: أيهجز عشرة منكم عن واحد من هؤلاء التسعة عشر أن يبسطوا به، فنزلت الآية ومعناها أنهم ملائكة لا طاقة لكم بهم ورُوي أن الواحد منهم يرمي بالجبل على الكفار ﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ

كَفَرُوا لَيْسَتَيْنِ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ وَزَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَيَقُولُ
الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ
رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾ كَلَّا وَالْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا
لَإِحْدَى الْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا لِلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَن شَاءَ مِنْكُمْ أَن يَتَّقَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا

كَفَرُوا ﴿٣١﴾ أي جعلناهم هذا العدد ليفتن الكفار بذلك ويطمعوا أن يغلبوهم ويقولون ما قالوا
﴿لَيْسَتَيْنِ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ﴾ أي ليعلم أهل التوراة والإنجيل أن ما أخبر به محمد ﷺ
من عدد ملائكة النار حق لأنه موافق لما في كتبهم ﴿وَلَا يَرْتَابَ﴾ أي لا يشك ﴿الَّذِينَ أَوْتُوا
الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ أن ما قاله محمد ﷺ حق، فإن قيل: كيف نفى عنهم الشك بعد أن
وصفهم باليقين والمعنى واحد وهو تكرار؟ فالجواب أنه لما وصفهم باليقين نفى عنهم أن
يشكوا فيما يستقبل بعد يقينهم الحاصل الآن فكأنه وصفهم باليقين في الحال والاستقبال
وقال الزمخشري ذلك مبالغة وتأکید ﴿وَلَيَقُولُ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ المرض عبارة عن
الشك وأكثر ما يطلق الذين في قلوبهم مرض على المنافقين فإن قيل هذه السورة مكية ولم
يكن حينئذ منافقون وإنما حدث المنافقون بالمدينة، فالجواب من وجهين أحدهما أن معناه
يقول المنافقون إذا حدثوا فيه إخبار بالغيب والآخر أن يريد من كان بمكة من أهل الشك،
وقولهم: ﴿مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا﴾: استبعاد لأن يكون هذا من عند الله ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ
رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ يحتمل القصد بهذا وجهين أحدهما وصف جنود الله بالكثرة أي هم من
كثرتهم لا يعلمهم إلا الله والآخر رفع اعتراض الكفار على التسعة عشر أي لا يعلم أعداد
جنود الله إلا هو لأن منهم عددًا قليلًا ومنهم عددًا كثيرًا حسبما أراد الله ﴿وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى
لِلْبَشَرِ﴾ الضمير لجهنم أو للآيات المتقدمة ﴿كَلَّا﴾ ردع للكفار عن كفرهم وقال الزمخشري
هي إنكار لأن تكون لهم ذكرى ﴿إِذَا أَدْبَرَ﴾ أي ولَّى وقرئ دبر بغير ألف والمعنى واحد
وقيل معناه دبر الليل والنهار أي جاء في دبره ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ﴾ أي أضاء ومنه الإسفار
بصلاة الصبح ﴿إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ﴾ الضمير لجهنم أو للآيات والنذارة أي هي من الأمور
العظام والكبر جمع كبرى وقال ابن عطية جمع كبيرة والأول هو الصحيح ﴿نَذِيرًا لِلْبَشَرِ﴾
تميز أو حال من إحدى الكبر وقيل النذير هنا الله فالعامل فيه على هذا محذوف وهذا
ضعيف وقيل هو حال من هذه السورة أي قم فأندر نذيرًا وهذا بعيد قال الزمخشري هو من
بدع التفسير ﴿لِمَن شَاءَ مِنْكُمْ أَن يَتَّقَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ التقديم عبارة عن تقديم سلوك طريق
الهدى والتأخر ضده ولـ

أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِي جَنَّتٍ يَسَاءُ لَوْ أَنَّ ﴿٤٠﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَوْ نَكُنْ مِنَ
 الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نَطْعُمُ الْمَسْكِينِ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَحْرُضُ مَعَ الْخَافِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نَكْذِبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٤٦﴾
 حَتَّىٰ آتَانَا الْيَقِينَ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَفَعَّلُهُمْ شَفَعَةُ الشَّفِيعِينَ ﴿٤٨﴾ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَانَتْهُمْ حُمْرٌ
 مُسْتَنْفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُنشُورَةً ﴿٥٢﴾ كَلَّا بَلْ لَأَ

معناه الوعيد كقوله فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفِرْ وَعَلَىٰ هَذَا أَعْرَبَ الزمخشري أن يتقدم مبتدأ ولمن شاء خبره والأول أظهر ﴿رَهِينَةٌ﴾ قال ابن عطية الهاء في رهينة للمبالغة أو على تأنيث النفس وقال الزمخشري لينبت بتأنيث رهين لأن فعلاً بمعنى مفعول يستوي فيه المذكور والمؤنث وإنما هي بمعنى الرهن أي كل نفس رهن عند الله بعملها ﴿إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ﴾ أي أهل السعادة فإنهم فكروا رقابهم بأعمالهم الصالحة كما فكأ الراهن رهينه بأداء الحق وقال علي بن أبي طالب أصحاب اليمين هم الأطفال لأنهم لا أعمال لهم يرتنون بها وقال ابن عباس هم الملائكة ﴿يَسَاءَ لَوْ أَنَّ عَنِ الْمُجْرِمِينَ﴾ أي يسأل بعضهم بعضاً عن أحوال المجرمين الذين في النار ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ﴾ أي ما أدخلكم النار وهذا خطاب للمجرمين يحتمل أن خاطبهم به المسلمون أو الملائكة فأجابوهم بقولهم: ﴿لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾ وما بعده أي هذا الذي أوجب إدخالهم النار، وإنما أخو التكذيب بيوم الدين تعظيماً له لأنه أعظم جرائمهم ﴿نَحْرُضُ﴾ الخوض هو كثرة الكلام بما لا ينبغي من الباطل وشبهه ﴿حَتَّىٰ آتَانَا الْيَقِينَ﴾ هو الموت عند المفسرين وقال ابن عطية: إنما يقين الذي أرادوا ما كانوا يكذبون به في الدنيا، فيتيقنونه بعد الموت ﴿فَمَا تَفَعَّلُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ إنما ذلك لأنهم كفار، وأجمع العلماء أنه لا يشفع أحد في الكفار، وجمع الشافعين دليل على كثرتهم كما ورد في الآثار، تشفع الملائكة والأنبياء والعلماء والشهداء والصلحاء حتى ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ﴾ يعني كفار قريش ﴿كَانَتْهُمْ حُمْرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ﴾ المستنفرة يفتح الفاء التي استنفرها الفزع وبالكسر بمعنى النافرة شبه الكفار بالحمر النافرة في جهلهم ونفورهم عن الإسلام ويعني حمر الوحش، ﴿فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾ قال ابن عباس: القسيورة الرماة وقال أيضاً هو الأسد، وقيل أصوات الناس، وقيل الرجال الشداد، وقيل سواد أول الليل ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُنشُورَةً﴾ المعنى يطمع كل إنسان منهم أن ينزل عليه كتاباً من الله، ومعنى منشورة منشورة غير مطوية أي طريقة كما كتبت لم تطو بعد وذلك أنهم قالوا للرسول ﷺ لا نتبعك حتى تأتي كل واحد منا بكتاب من السماء فيه من رب العالمين إلى فلان بن فلان نؤمر باتباعك ﴿كَلَّا﴾ ردع عما أرادوه ﴿بَلْ لَأَيْحَاقُونَ

يَخَافُونَ الْآخِرَةَ ﴿٥٣﴾ كَلَّا إِنَّهُ تَذَكُّرٌ ﴿٥٤﴾ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذُكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ
هُوَ أَهْلُ النَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾

الآخِرَةَ ﴿٥٣﴾ أي هذه هي العلة والسبب في إعراضهم ﴿كَلَّا﴾ تأكيد للردع الأول أو ردع عن عدم خوفهم الآخرة ﴿إِنَّهُ تَذَكُّرٌ﴾ الضمير لما تقدم من الكلام أو للقرآن بجملته ﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ﴾ فاعل شاء ضمير يعود على من، وفي ذلك حِصٌّ وترغيب وقيل الفاعل هو الله ثم قيد فعل العبد بمشيئة الله ﴿هُوَ أَهْلُ النَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾ أي هو أهل لأن يتقى لشدة عقابه، وهو أهل لأن يغفر الذنوب لكرمه وسعة رحمته وفضله.

سورة القيامة

مكية وآياتها ٤٠ نزلت بعد القارعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴿١﴾ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ ﴿٣﴾ بَلْ أَعْدَدْنَا لِكُلِّ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ ﴿٤﴾ بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ﴿٥﴾ يَسْتَلْ أَيَّانَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴿٦﴾ فَإِذَا بَرَأَ الْبَصُرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿لَا أُقْسِمُ﴾ في الموضعين معناه أقسم ولا زائدة لتأكيد القسم وقيل هي استفتاح كلام بمنزلة ألا وقيل هي نفي لكلام الكفار ﴿بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ هي التي تلوم نفسها على فعل الذنوب أو التقصير في الطاعات، فإن النفوس على ثلاثة أنواع فخيرها النفس المطمئنة وشترها النفس الأمارة بالسوء وبينهما النفس اللوامة، وقيل اللوامة هي المذمومة الفاجرة، وهذا بعيد لأن الله لا يقسم إلا بما يعظم من المخلوقات ويستقيم إن كان لا أقسم نفيًا للقسم ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ﴾ الإنسان هنا للجنس أو الإشارة به للكفار المنكرين للبعث ومعناه أيظن أن لن نجتمع عظامه للبعث بعد فنائها في التراب، وهذه الجملة هي التي تدل على جواب القسم المتقدم ﴿بَلَى﴾ تقديره نجمعها ﴿قَادِرِينَ﴾ منصوب على الحال من الضمير في نجمع والتقدير نجمعها ونحن قادرون ﴿عَلَىٰ أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾ البنان الأصابع، وفي المعنى قولان: أحدهما أنه إخبار بالقدرة على البعث أي قادرين على

الْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجَمَعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفْرُجُ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَوْمَئِذٍ
الْمُسْتَسْقِرُّ ﴿١٢﴾ يُنَبِّئُ الْإِنْسَانَ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ لَوَّىٰ مَعَادِيرُهُ ﴿١٥﴾ لَا

أن نسوي أصابعه أي نخلقها بعد فنائها مستوية متقنة، وإنما خص الأصابع دون سائر الأعضاء لدقة عظامها وتفريقها والآخر أنه تهديد في الدنيا، أي قادرين على أن نجعل أصابعه مستوية ملتصقة كيد الحمار وخف الجمل فلا يمكنه تصريف يديه في منفعه والأول أليق بسياق الكلام ﴿بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ﴾ هذه الجملة معطوفة على أيحسب الإنسان، ويجوز أن يكون استفهاماً مثلها أو تكون خبراً وليست بل هنا للإضراب عن الكلام الأول بمعنى إبطاله وإنما هي للخروج منه إلى ما بعده، وليفجر معناه ليفعل أفعال الفجور وفي معنى أمامه ثلاثة أقوال: أحدها أنه عبارة عما يستقبل من الزمان، أي يفجر بقية عمره الثاني أنه عبارة عن اتباع أغراضه وشهوته يقال مشى فلان قدامه إذا لم يرجع عن شيء يريد به والضمير على هذين القولين يعود على الإنسان، الثالث أن الضمير يعود على يوم القيامة والمعنى يريد الإنسان أن يفجر قبل يوم القيامة ﴿يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ أيان معناها متى وهذا السؤال على يوم القيامة هو على وجه الاستخفاف والاستبعاد ﴿بَرَقَ الْبَصَرُ﴾ هذا إخبار عن يوم القيامة، وقيل عن حالة الموت وهذا خطأ لأن القمر لا يخسف عند موت أحد، ولا يجمع بينه وبين الشمس وبرق بفتح الراء معناه لمع وصار له برق، وقرئ بكسر الراء ومعناه تحير من الفزع، وقيل معناه شخص فيتقارب بمعنى الفتح والكسر ﴿وَحَسَفَ الْقَمَرُ﴾ ذهب ضوءه، يقال خسف هو وخسفه الله والخسوف للقمر والكسوف للشمس، وقيل الكسوف ذهاب بعض الضوء، والخسوف ذهاب جميعه وقيل بمعنى واحد ﴿وَجَمَعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ في جمعهما ثلاثة أقوال: أحدها أنهما يجمعان حيث يطلعهما الله من المغرب، والآخر أنهما يجمعان يوم القيامة، ثم يقذفان في النار، وقيل في البحر، فتكون النار الكبرى. الثالث أنهما يجمعان فيذهب ضوءهما ﴿لَا وَزَرَ﴾ أي لا ملجأ ولا مغيث ﴿بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ أي بجميع أعماله ما قدم منها في أول عمره وما أخر في آخره، وقيل ما تقدم في حياته وما أخر من سنة أو وصية بعد مماته، وقيل ما قدم لنفسه من ماله وما أخر منه لورثته ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ في معناه قولان: أحدهما: أنه شاهد على نفسه بأعماله إذ تشهد عليه جوارحه يوم القيامة، والآخر: أنه حجة بيّنة لأن خلقته تدل على خالقه فوصف بالبصارة مجازاً لأن من نظف نفسه بالحق، الأمارات تتبطله ما بعده كأنه قال ينبؤ الإنسان يومئذ بأعماله بل هو يشهد بأعماله وإن لم يبا بها، وكذلك يلتئم مع قوله: ﴿وَلَوْ

تَحْرِكُ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعَجَّلَ بِهِ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴿١٩﴾ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذُرُونَ الْآخِرَةَ ﴿٢١﴾ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ

أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ ﴿٢٤﴾ ويكون هو جواب لو حسبنا نذكره ﴿وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ﴾ فيه قولان، أحدهما: أن المعاذير الأعذار أي الإنسان يشهد على نفسه بأعماله ولو اعتذر عن قبائحها والآخر أن المعاذير الستور أي الإنسان يشهد على نفسه يوم القيامة ولو سدل الستور على نفسه في الدنيا حين يفعل القبائح ﴿لَا تَحْرِكُ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعَجَّلَ بِهِ﴾ الضمير في به يعود على القرآن دلّت على ذلك قرينة الحال وسبب الآية أن رسول الله ﷺ كان إذا نزل عليه جبريل بالقرآن يحرك به شفتيه مخافة أن ينساه لحينه، فأمره الله أن ينصت ويستمع، وقيل كان يخاف أن ينسى القرآن فكان يدرسه حتى غلب عليه ذلك وشقّ عليه فنزلت الآية والأول هو الصحيح لأنه ورد في البخاري وغيره ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ ضمن الله له أن يجمعه في صدره فلا يحتاج إلى تحريك شفتيه عند نزوله، ويحتمل قرآنه هنا وجهين، أحدهما: أن يكون بمعنى القراءة فإن القرآن قد يكون مصدرًا من قرأت، والآخر: أن يكون معناه تأليفه في صدره فهو مصدر من قولك قرأت الشيء أي جمعته ﴿فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ أي إذا قرأه جبريل فاجعل قراءة جبريل قراءة الله لأنها من عنده، ومعنى أتبع قرآنه اسمع قراءته وأتبعها بذهنك لتحفظها، وقيل أتبع القرآن في الأوامر والنواهي ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ أي علينا أن نبينه لك ونجعلك تحفظه، وقيل علينا أن نبين معانيه وأحكامه، فإن قيل ما مناسبة قوله لا تحرك به لسانك الآية لما قبلها فالجواب أنه لعله نزل معه في حين واحد فجعل على ترتيب النزول ﴿بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾ أي تحبون الدنيا، وهذا الخطاب توبيخ للكفار ومن كان على مثل حالهم في حب الدنيا و﴿كَلَّا﴾ ردع عن ذلك ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ﴾ بالضاد أي ناعمة، ومنه نصره النعيم ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ هذا من النظر بالعين، وهو نص في نظر المؤمنين إلى الله تعالى في الآخرة وهو مذهب أهل السنة، وأنكره المعتزلة وتأولوا ناطرة بأن معناها منتظرة، وهذا باطل لأن نظر بمعنى انتظر يتعدى بغير حرف جر، تقول نظرتك أي انتظرتك، وأما المتعدى بإلى فهو من نظر العين، ومنه قوله: ﴿وَمِنْهُمْ مَن يَنْظُرُ إِلَيْكَ﴾ [يونس: ٤٣] وقال بعضهم إلى هنا ليست بحرف جر وإنما هي واحد الألاء بمعنى التعم وهذا تكلف في غاية البعد، وتأوله الزمخشري بأن معناه كقول الناس فلان ناظر إلى فلان إذا كان يرتجيه ويتعلق به وهذا بعيد وقد جاء عن النبي ﷺ في النظر إلى الله أحاديث صحيحة مستفيضة صريحة المعنى لا تحتمل التأويل فهي تفسير للآية ﴿بِاسْمِهِ﴾ أي عابسة

يَوْمَئِذٍ بِأَسْرَةٍ ﴿٢٤﴾ تَنْظُرُ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾ كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾
وَأَلْتَفَتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَيْ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾ فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى ﴿٣١﴾ وَلَكِنْ كَذَبَ وَتَوَلَّى ﴿٣٢﴾ ثُمَّ
ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَمْتَطِي ﴿٣٣﴾ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى ﴿٣٥﴾ أَيْحَسِبَ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ
يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْتَنَى ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى ﴿٣٨﴾ فَعَلَّ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَلِكَ

تظهر عليها الكآبة والبسور أشد من العبوس ﴿تَنْظُرُ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ أي مصيبة قاصمة الظهر والظن هنا يحتمل أن يكون على أصله أو بمعنى اليقين ﴿إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ﴾ يعني حالة الموت والتراقي جمع ترقوة وهي عظام أعلى الصدر والفاعل بلغت نفس الإنسان دل على ذلك سياق الكلام وهو عبارة عن حال الحشرجة وسياق الموت ﴿وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ﴾ أي قال أهل المريض من يرقه عسى أن يشفيه وقيل معناه أن الملائكة تقول من يرقى بروحه أي يصعد بها إلى السماء فالأول من الرقية وهو أشهر وأظهر والثاني من الرقي وهو العلو ﴿وَوَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ﴾ أي تيقن المريض أن ذلك الحال فراق الدنيا وفراق أهله وماله ﴿وَأَلْتَفَتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾ هذا عبارة عن شدة كرب الموت وسكراته أي التفت ساقه على الأخرى عند السياق وقيل هو مجاز كقوله: «كشفت الحرب عن ساقها» إذا اشتدت وقيل معناه ماتت ساقه فلا تحمله وقيل التفت أي لفها الكافر إذا كفر وفي قوله: ﴿السَّاقُ﴾ و﴿الْمَسَاقُ﴾ ضرب من ضروب التجنيس ﴿إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾ هذا جواب إذا بلغت التراقي والمساق مصدر من السوق كقوله: ﴿إِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ [آل عمران: ٢٨] ﴿فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى﴾ لا هنا نافية وصدق هنا يحتمل أن يكون من التصديق بالله ورسله أو من الصدقة ونزلت هذه الآية وما بعدها في أبي جهل ﴿يَمْتَطِي﴾ أي يتبختر في مشيته وذلك عبارة عن التكبر والخيلاء وكانت هذه المشية معروفة في بني مخزوم الذين كان أبو جهل منهم ﴿أَوْلَى لَكَ﴾ وعيد وتهديد ﴿فَأَوْلَى﴾ وعيد ثانٍ ثم كرر ذلك تأكيداً ورُوي أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لبب أبا جهل وقال له إن الله يقول لك: ﴿أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى﴾ فنزل القرآن بموافقة ذلك ﴿أَيْحَسِبَ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ هذا توبيخ ومعناه أيظن أن يُتْرَكَ من غير بعث ولا حساب ولا جزاء، فهو كقوله: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾ [المؤمنون: ١١٥]، والإنسان هنا جنس، وقيل نزلت في أبي جهل ولا يبعد أن يكون سببها خاصاً ومعناها عام ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْتَنَى﴾ النطفة النقطة ويُمنى من قولك أمني الرجل ومعنى الآية الاستدلال بخلقة الإنسان على بعثه كقوله: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [يس: ٧٩] و﴿فَخَلَقَ فَسَوَّى﴾ أي

يَقْدِرُ عَلَىٰ أَنْ يُخْرِجَ الْكُوفَةَ ﴿٥٦﴾ ﴿٥٥﴾ ﴿٥٤﴾ ﴿٥٣﴾ ﴿٥٢﴾ ﴿٥١﴾ ﴿٥٠﴾ ﴿٤٩﴾ ﴿٤٨﴾ ﴿٤٧﴾ ﴿٤٦﴾ ﴿٤٥﴾ ﴿٤٤﴾ ﴿٤٣﴾ ﴿٤٢﴾ ﴿٤١﴾ ﴿٤٠﴾ ﴿٣٩﴾ ﴿٣٨﴾ ﴿٣٧﴾ ﴿٣٦﴾ ﴿٣٥﴾ ﴿٣٤﴾ ﴿٣٣﴾ ﴿٣٢﴾ ﴿٣١﴾ ﴿٣٠﴾ ﴿٢٩﴾ ﴿٢٨﴾ ﴿٢٧﴾ ﴿٢٦﴾ ﴿٢٥﴾ ﴿٢٤﴾ ﴿٢٣﴾ ﴿٢٢﴾ ﴿٢١﴾ ﴿٢٠﴾ ﴿١٩﴾ ﴿١٨﴾ ﴿١٧﴾ ﴿١٦﴾ ﴿١٥﴾ ﴿١٤﴾ ﴿١٣﴾ ﴿١٢﴾ ﴿١١﴾ ﴿١٠﴾ ﴿٩﴾ ﴿٨﴾ ﴿٧﴾ ﴿٦﴾ ﴿٥﴾ ﴿٤﴾ ﴿٣﴾ ﴿٢﴾ ﴿١﴾

خلقها بشراً فسوى صورته أي أهنها ﴿اليسر﴾ ذلك يقادر على أن يخرج القومى ﴿هذا﴾ تقرير واحتجاج، ويروي أن رسول الله ﷺ كان إذا قرأ آخر هذه السورة قال بلى وفي رواية سبحانك اللهم بلى.

فصالة فليس رأياً ﴿٥٦﴾ ﴿٥٥﴾ ﴿٥٤﴾ ﴿٥٣﴾ ﴿٥٢﴾ ﴿٥١﴾ ﴿٥٠﴾ ﴿٤٩﴾ ﴿٤٨﴾ ﴿٤٧﴾ ﴿٤٦﴾ ﴿٤٥﴾ ﴿٤٤﴾ ﴿٤٣﴾ ﴿٤٢﴾ ﴿٤١﴾ ﴿٤٠﴾ ﴿٣٩﴾ ﴿٣٨﴾ ﴿٣٧﴾ ﴿٣٦﴾ ﴿٣٥﴾ ﴿٣٤﴾ ﴿٣٣﴾ ﴿٣٢﴾ ﴿٣١﴾ ﴿٣٠﴾ ﴿٢٩﴾ ﴿٢٨﴾ ﴿٢٧﴾ ﴿٢٦﴾ ﴿٢٥﴾ ﴿٢٤﴾ ﴿٢٣﴾ ﴿٢٢﴾ ﴿٢١﴾ ﴿٢٠﴾ ﴿١٩﴾ ﴿١٨﴾ ﴿١٧﴾ ﴿١٦﴾ ﴿١٥﴾ ﴿١٤﴾ ﴿١٣﴾ ﴿١٢﴾ ﴿١١﴾ ﴿١٠﴾ ﴿٩﴾ ﴿٨﴾ ﴿٧﴾ ﴿٦﴾ ﴿٥﴾ ﴿٤﴾ ﴿٣﴾ ﴿٢﴾ ﴿١﴾

سورة الإنسان

مدنية وآياتها ٣١ نزلت بعد الرحمن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ
بَّتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ إِنَّا أَعْتَدْنَا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ هل هنا بمعنى التقرير لا لمجرد الاستفهام، وقيل هل بمعنى قل، والإنسان هنا جنس، والحين الذي أتى عليه حين كان معدومًا قبل أن يخلق، وقيل الإنسان هنا آدم والحين الذي أتى عليه حين كان طينًا قبل أن ينفخ فيه الروح وهذا ضعيف لوجهين أحدهما قوله: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِن نُّطْفَةٍ﴾ وهو هنا جنس باتفاق إذ لا يصح هنا في آدم، والآخر أن مقصد الآية تحقير الإنسان ﴿مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾ أي أخلاط واحدها مشج بفتح الميم والشين وقيل مشج بوزن عدل، وقال الزمخشري ليس أمشاج بجمع وإنما هو مفرد كقولهم برمة أعشار، ولذلك أوقع صفة للمفرد واختلف في معنى الأخلاط هنا فقيل أخلاط الدم والبلغم والصفراء والسوداء، وقيل اختلاط ماء الرجل والمرأة ورُوي أن عظام الإنسان، وعصبه من ماء الرجل، وأن لحمه وشحمه من ماء المرأة. Made searchable using ScribeTools.com

لِّلْكَافِرِينَ سَلَاسِلًا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا
كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِالْإِدْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ
مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعَمُونَ أَلْطَعَامَ عَلَىٰ حَيْدِهِ مَسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نَطَعُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً

﴿نَبْتَلِيهِ﴾ أي نختبره وهذه الجملة في موضع الحال أي خلقناه مبتلين له وقيل معناه نصرفه في بطن أمه نطفة ثم علقه ﴿فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ هذا معطوف على خلقنا الإنسان ومن جعل نبتليه بمعنى نصرفه في بطن أمه فهذا عطف عليه، وقيل إن نبتليه مؤخر في المعنى أي جعلناه سميعًا بصيرًا لنبتليه وهذا تكلف بعيد ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ﴾ أي سبيل الخير والشر ولذلك قسم الإنسان إلى قسمين شاكرا أو كفورا وهما حالان من الضمير في هديناه والهدى هنا بمعنى بيان الطريقين وموهبة العقل الذي يميّز به بينهما ويحتمل أن يكون بمعنى الإرشاد أي هدى المؤمن للإيمان والكافر للكفر قل كل من عند الله ﴿سَلَاسِلًا﴾ من قرأه بغير تنوين فهو الأصل إذ هو لا ينصرف لأنه جمع لا نظير له في الآحاد ومن قرأه بالتنوين فله ثلاث توجيهات أحدها أنها لغة لبعض العرب يصرفون كل ما لا ينصرف إلا أفعل والآخر أن النون بدل من حرف الإطلاق وأجرى الوصل مجرى الوقف والثالث أن يكون صاحب هذه القراءة راوية للشعر قد عوّد لسانه صرف ما لا ينصرف فجرى على ذلك ﴿الْأَبْرَارَ﴾ جمع بار أو بر ومعناه العاملون بالبر وهو غاية التقوى والعمل الصالح حتى قال بعضهم الأبرار هم الذين لا يؤذون الذر ﴿مِن كَأْسٍ﴾ ذكر في الصافات معنى الكأس ومن هنا يحتمل أن تكون للتبويض أو لابتداء الغاية ﴿مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ أي تمزج الخمر بالكافور وقيل المعنى أنه كافور في طيب رائحته كما تمدح طعاما فتقول هذا مسك ﴿عَيْنًا﴾ بدل من كافورا على القول بأن الخمر تُمزج بالكافور أو بدل من موضع من كأس على القول الآخر كأنه قال يشربون خمرا خمرة عين وقيل هو مفعول يشربون وقيل منصوب بإضمار فعل ﴿يَشْرَبُ بِهَا﴾ قال ابن عطية الباء زائدة والمعنى يشربها وهذا ضعيف لأن الباء إنما تُراد في مواضع ليس هذا منها وإنما هي كقولك شربت الماء بالعتسل لأن العين المذكورة تمزج بها الكأس من الخمر ﴿عِبَادُ اللَّهِ﴾ وصفهم بالعبودية وفيه معنى التشريف والاختصاص. كقوله: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان: ٦٣] ﴿يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ أي يفجرونها حيث شاؤوا من منازلهم تفجيرا سهلا لا يصعب عليهم وفي الأثر أن في قصر النبي ﷺ في الجنة عينا تفجر إلى قصور الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والمؤمنين ﴿مُسْتَطِيرًا﴾ أي منتشرًا شائعا ومنه استطار الفجر إذا انشق ضوءه ﴿وَيُطْعَمُونَ أَلْطَعَامَ﴾ نزلت هذه الآية وما بعدها في علي بن

وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبَّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَتَطِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَدْتُمْ اللَّهَ شَرًّا ذَلِكَ الْيَوْمَ وَلَقَدْهُمْ نَضْرَةً
 وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَيْنَهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا
 زَمَهْرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَائِبَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلَّتْ أَقْطُوفُهَا نَدْلِيلًا ﴿١٤﴾ وَيَطَّافُ عَلَيْهِمْ بِمَا يَشَاءُونَ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ

أبي طالب وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم فإنهم كانوا صائمين فلما وضعوا
 فطورهم ليأكلوه جاء مسكين فرفعه له وباتوا طاوين وأصبحوا صائمين فلما وضعوا
 فطورهم جاء يتيم فدفعوه له وباتوا طاوين وأصبحوا صائمين فلما وضعوا فطورهم جاء أسير
 فدفعوه له وباتوا طاوين والآية على هذا مدنية لأن عليًا إنما تزوج فاطمة بالمدينة وقيل إنما
 هي مكية وليست في علي **﴿عَلَى حُبِّهِ﴾** الضمير للطعام أي يطعمونه مع حبه والحاجة إليه
 فهو كقوله: **﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾** [آل عمران: ٩٢] وقوله: **﴿وَيُؤْتِرُونَ
 عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾** [الحشر: ٩] ففي قوله: **﴿عَلَى حُبِّهِ﴾** تميم وهو من
 أدوات البيان وقيل الضمير لله وقيل للإطعام المفهوم من يطعمون والأول أرجح وأظهر
﴿مُسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ قد ذكرنا المسكين واليتيم وأما الأسير ففيه خمسة أقوال أحدها أن
 الأسير الكافر بين المسلمين ففي إطعامه أجر لأنه في كل ذي كبد رطبة أجر وقيل نسخ ذلك
 بالسيف والآخر أنه الأسير المسلم إذا خرج من دار الحرب لطلب الفدية والثالث أنه
 المملوك الرابع أنه المسجون الخامس أنه المرأة لقوله **﴿لَقَوْلِهِ ﷺ: «استوصوا بالنساء خيرا لأنهن
 عوان عندكم»** وهذا بعيد والأول أرجح لأنه زوي أن النبي **﴿ﷺ﴾** كان يؤتى بالأسير المشرك
 فيدفعه إلى بعض المسلمين ويقول: **﴿أحسن إليه﴾** **﴿إِنَّمَا نَطْعِمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ﴾** عبارة عن
 الإخلاص لله ولذلك فسروه وأكدوه بقولهم: **﴿لَا تُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾** والشكور
 مصدر كالشكر ويحتمل أنهم قالوا هذا الكلام بألسنتهم أو قالوه في نفوسهم فهو عبارة عن
 النية والقصد **﴿يَوْمًا عَبُوسًا﴾** وصف اليوم بالعبوس مجاز على وجهين أحدهما أن يوصف
 اليوم بصفة أهله كقولهم نهاره صائم وليله قائم وزوي أن الكافر يعبس يومئذ حتى يسيل
 الدم من عينيه مثل القطران والآخر يشبه في شدته بالأسد العبوس **﴿قَمَطِيرًا﴾** قال ابن
 عباس معناه طويل وقيل شديد **﴿وَلَقَاهُمْ نَضْرَةٌ وَسُرُورًا﴾** النضرة التنعم وهذا في مقابلة
 عبوس الكافر وقوله وقاهم ولقاهم من أدوات البيان **﴿بِمَا صَبَرُوا﴾** أي بصبرهم على الجوع
 وإيثار غيرهم على أنفسهم حسبما ذكرنا من قصة علي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله
 عنهم، وقد ذكرنا الأرائك **﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمَهْرِيرًا﴾** عبارة عن اعتدال هوائها أي
 ليس فيها حر ولا برد، و **﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمَهْرِيرًا﴾** لغة طيبىء، والمعنى

قَوَارِيرًا ﴿١٥﴾ قَوَارِيرًا مِنْ فَضَّةٍ قَدَرُهَا تَقْدِيرُ ﴿١٦﴾ وَتَسْقُونَ فِيهَا كَأْسًا كَانَتْ مِنْ أَرْجَافٍ رَاجِيًا ﴿١٧﴾ عِثًا فِيهَا تَشْمَلُ
 سَكَبِيلًا ﴿١٨﴾ وَيُطَوَّفُ عَلَيْهِمْ ولَدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذْ كُنُّوا فِيهَا حَسْبَهُمْ لَوْ لَوْ أَنَّ مُشْرَكَا ﴿١٩﴾ هُوَ إِذْ رَأَيْتَ نَمْرًا يَمْعًا

سَلَابًا بِأَلْفٍ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ مِنَ الْإِسْمِ الْإِلهِ لَأَجَلَ الْبَلَدِ لِيُكَلِّمَهُنَّ سَلَابًا ﴿٢٠﴾ لِيُخَبِّرَهُنَّ

على هذا أن للجنة ضياء فلا يحتاج فيها إلى شمس ولا قمر ﴿وَدَانِيَةٌ عَلَيْهِمْ ظِلُّهَا﴾ معناه أن ظلال الأشجار منتدلية عليهم قريبة منهم وإحزاب دانية معطوفة على متكئين بالذلال الرمخشوي هو معطوف على الجملة التي قبلها وهي لا يرون فيها شمس ولا زوالها في هذه الجملة هي حكمهم المقررة تقديره نحو راجين فيها شمسك ولا زوالها في هذه الجملة هو قوله للدلالة على أن الأمرين ليجتمعان لهم أي لجامعين بين البعد عن الطر والبرق وبين وقوفه الظلال، وقيل هو صفة لجملة عطف بها أو كقولك ﴿فَلَا تَرَى عَالَمًا﴾ وصالح وقيل هو معطوف به عليها أي رجعة لمخرى دانية عليهم ظلالها ﴿وَدَانِيَةٌ عَلَيْهِمْ ظِلُّهَا﴾ جمع ظرفية وهو المعنوق من الفحل والظلمة، وتدلها هو أن تتدلى على الأرض وهو من ركن أهل الجنة يقطعون الفلوكه على أي جالده كانوا من قيام أو جلوس أو اصطحابها، لأنها تتدلى لهم كما يريدون، وهذه الجملة في مواضع الخلال من دانية أي دائية التي سطلت لتطوفها أو المعطوفة عليها ﴿بِنَانِيَةٍ﴾ هي جمع إناء موزنها أفضلة وقده ذكرها المذكورات في الواقعة ﴿قَوَارِيرًا﴾ القوارير هي الزجاج، فإن قيل كيف يتفق أنها زجاج أمع قوله من فضة قال فالجواب أن المراد أنها في أصلها من فضة أو هي تشبه الزجاج في صفاتها وشيئها، وأصلها هي من زجاج وجعلها من فضة على وجه التشبيه لسرف الفضة وإيضاحها، ومن قرأ قوارير بغير تنوين فهو ظلي الأصيل وقوله فعلى مطلقا ذكرنا عن سلاسل ﴿قَدَرُهَا تَقْدِيرُ﴾ هذه صفة للقولين والمعنى قدرها على قدر الأكف أو على قدر ما يحتاجون لمن الشراب فقال مجاهد فهي ولا تغيض ولا تفيض، وقيل قدرها على حسب ما يشتهون، والضمير الفاعل في قدرها يحتمل أن يكون للشاربين بها أو للغنائين بها ﴿مِنْ أَرْجَافٍ رَاجِيًا﴾ هو كما ذكرنا في مزاجها كقوله ﴿سَلْسَبِيلًا﴾ معناه يسلسل متقاد الجرية، وقيل سهل الانحدار أي السلسل كما يقال سلسل سلسل وسلسل وسلسل بمعنى واحد وزيدت البلة في الترتيب للسلسل في سلاسته فصارت الكلمة خماسية، وقيل سلسل سهل أمر سلسلا مفعول به وهذا في غاية الضعف ﴿وَلَدَانٌ مُخَلَّدُونَ﴾ ذكر في الواقعة ﴿لَوْ لَوْ أَنَّ مُشْرَكَا﴾ شبههم باللوثة في الضمير نحو البياض وبالمنثور منه في أكثرهم وانتشارهم في القصص ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ نَمْرًا﴾ مفعول رأيت مخدوف ليكون الكلام على الإطلاق في كل ما يخرى فيها ثم ظرف مكان، وقال الفراء تقديره رأيت ما ثم فيما مفعولة ثم حذف، قال الرمخشوي وهذا خطاب لأن ثم صفة لها ولا يجوز

وَمَلَكًا كَبِيرًا ﴿٢٦﴾ عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُوعًا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَنَهُمْ رَبُّهُمْ سَرَابًا طَهُورًا ﴿٢٧﴾ إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا ﴿٢٨﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا ﴿٢٩﴾ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٣٠﴾ وَادْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٣١﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُمْ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٣٢﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا نَقِيلًا ﴿٣٣﴾ نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَلُهُمْ بَدِيلًا ﴿٣٤﴾ إِنَّ هُدْيَهُ تَذَكُّرٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ

حذف الموصول وترك الصلة ﴿مَلَكًا كَبِيرًا﴾ يعني كثرة ما أعطاهم الله حتى إن أدنى أهل الجنة منزلة له مثل الدنيا وعشرة أمثاله معه، حسبما ورد في الحديث وقيل أراد أن الملائكة تسلم عليهم، وتستأذن عليهم، فهم بذلك كالمملوك ﴿عَلَيْهِمْ﴾ بسكون الياء مبتدأ خبره ﴿ثِيَابٌ سُنْدُسٍ﴾ أي ما يعلوهم من الثياب ثياب سندس، وقرىء بالنصب على الحال، من الضمير في يطوف عليهم أو في حسبتهم. وقال ابن عطية العامل فيه لقاهاهم أو جزاهم، وقال أيضًا يجوز أن ينتصب على الظرف لأن معناه فوقاهم، وقد ذكرنا معنى السندس والإستبرق وقرىء ﴿خُضْرٌ﴾ بالخفض صفة لسندس وبالرفع صفة لثياب ﴿وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ بالرفع عطف على ثياب، وبالخفض عطف على سندس ﴿وَحُلُوعًا﴾ وزنه فعلوا معناه جعل لهم حلبي ﴿أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ﴾ ذكرنا الأساور في الكهف، فإن قيل كيف قال هنا أساور من فضة، وفي موضع آخر أساور من ذهب؟ فالجواب أن ذلك يختلف باختلاف درجات أهل الجنة، قال رسول الله ﷺ: «جنتان من ذهب آيتهما وما فيهما وجنتان من فضة آيتهما وما فيهما فلعل الذهب للمقرئين، والفضة لأهل اليمين ويحتمل أن يكون أهل الجنة لهم أساور من فضة ومن ذهب معاً ﴿سَرَابًا طَهُورًا﴾ أي ليس بنجس كخمر الدنيا، وقيل معناه أنه لم تعصره الأقدام، وقيل معناه لا يصير بولاً ﴿إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً﴾ أي يقال لهم هذا يقوله الله تعالى والملائكة ﴿آثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ أو هنا للتنويع فالمعنى لا تُطِعِ النوعين، فاعلاً للإثم ولا كفوراً، وقيل هي بمعنى الواو أي جامعاً للوصفين لأن هذه هي حالة الكفار، وَرُويَ أَنَّ الآية نزلت في أبي جهل، وقيل أن الأثم عتبة بن ربيعة، والكفور الوليد بن المغيرة، والأحسن أنها على العموم، لأن لفظها عام، وإن كان سبب نزولها خاصاً ﴿بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ هذا أمر بذكر الله في كل وقت، وقيل إشارة إلى الصلوات الخمس، فالبكرة صلاة الصبح، والأصيل الظهر والعصر، ومن الليل المغرب والعشاء ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾ أي الدنيا والإشارة إلى الكفار واليوم الثقيل يوم القيامة، ووصفه بالثقل عبارة عن هوله وشدته ﴿وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ﴾ الأ

رَبِّهِ سَيِّئًا ﴿٢٦﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٧﴾ يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٨﴾

تَبْدِيلًا ﴿٢٦﴾ أَي أهلكناهم وأبدلنا منهم غيرهم وقيل مسخناهم فبدلنا صورهم وهذا تهديد ﴿٢٧﴾ إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ ﴿٢٨﴾ الإِشَارَةُ إِلَى الْآيَةِ أَوْ السُّورَةِ أَوْ الشَّرِيعَةِ بِجَمَلَتِهَا ﴿فَمَنْ شَاءَ﴾ تَحْضِيضٌ وَتَرْغِيبٌ ثُمَّ قَيَّدَ مَشِيئَتَهُمْ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ ﴿وَالظَّالِمِينَ﴾ مَنْصُوبٌ بِفِعْلِ مَضْمَرٍ تَقْدِيرُهُ وَيُعَذَّبُ الظَّالِمِينَ.

سورة المرسلات

مكية إلا آية ٤٨ فمدنية وآياتها ٥٠ نزلت بعد الهمزة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ﴿١﴾ فَأَلْصَقْنَ عَصْفًا ﴿٢﴾ وَالتَّنَشِيرِ نَشْرًا ﴿٣﴾ فَأَلْفَرَقْنَ فَرَقًا ﴿٤﴾ فَأَلْمَلَقَيْنِ ذِكْرًا ﴿٥﴾
عَدْرًا أَوْ نُدْرًا ﴿٦﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ ﴿٧﴾ فَإِذَا التُّجُومُ طُمِسَتْ ﴿٨﴾ وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا الْجِبَالُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اختلف في معنى المرسلات والعاصفات والناشرات والفارقات على قولين: أحدهما أنها الملائكة والآخر أنها الرياح فعلى القول بأنها الملائكة سَمَّاهُمُ الْمُرْسَلَاتُ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَرْسَلُهُمْ بِالْوَحْيِ وَغَيْرِهِ وَسَمَّاهُمُ الْعَاصِفَاتُ لِأَنَّهُمْ يَعْصِفُونَ كَمَا تَعْصِفُ الرِّيحُ فِي سُرْعَةٍ مُضِيهِمْ إِلَى امْتِثَالِ أَوْامِرِ اللَّهِ تَعَالَى، وَسَمَّاهُمُ نَاشِرَاتُ لِأَنَّهُمْ يَنْشُرُونَ أَجْنَحَتَهُمْ فِي الْجَوِّ، وَيَنْشُرُونَ الشَّرَائِعَ فِي الْأَرْضِ، أَوْ يَنْشُرُونَ صَحَائِفَ الْأَعْمَالِ وَسَمَّاهُمُ الْفَارِقَاتُ لِأَنَّهُمْ يَفْرُقُونَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَعَلَى الْقَوْلِ بِأَنَّهَا الرِّيحَ، سَمَّاهَا الْمُرْسَلَاتُ لِقَوْلِهِ: ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ﴾ [الروم: ٤٨] وَسَمَّاهَا الْعَاصِفَاتُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿رِيحٌ عَاصِفٌ﴾ [يونس: ٢٢] أَيْ شَدِيدَةٌ وَسَمَّاهَا النَّاشِرَاتُ لِأَنَّهَا تَنْشُرُ السَّحَابَ فِي الْجَوِّ مِنْهُ قَوْلُهُ: ﴿يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾ [الروم: ٤٨] وَسَمَّاهَا الْفَارِقَاتُ لِأَنَّهَا تَفْرُقُ بَيْنَ السَّحَابِ وَمِنْهُ قَوْلُهُ: ﴿وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا﴾ [الروم: ٤٨] وَأَلَّا [Made searchable using ScribeTools.com](http://ScribeTools.com) الذِّكْرَ لِلْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ

نُسِفَتْ ﴿١١﴾ وَإِذَا الرُّسُلُ أَقْبَتْ ﴿١٢﴾ لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ﴿١٣﴾ لِيَوْمِ الْفَصْلِ ﴿١٤﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الْفَصْلِ ﴿١٥﴾
 وَبَلِّغِ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٦﴾ إِلَىٰ هَاهُنَا ﴿١٧﴾ ثُمَّ تَتَّبِعُهُمُ الْآخِرِينَ ﴿١٨﴾ كَذَلِكَ نَفْعَلُ
 بِالْمُجْرِمِينَ ﴿١٩﴾ وَبَلِّغِ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٠﴾ أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَهِينٍ ﴿٢١﴾ فَجَعَلْنَاهُمْ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ

السلام والأظهر في المرسلات والعاصفات أنها الرياح لأن وصف الريح بالعصف حقيقة والأظهر في الناشرات والفارقات أنها الملائكة لأن الوصف بالفارقات أليق بهم من الرياح ولأن الملقيات المذكورة بعدها هي الملائكة ولم يقل أحد إنها الرياح ولذلك عطف المتجانسين بالفاء فقال: ﴿وَالْمُرْسَلَاتُ﴾ ﴿فَالْعَاصِفَاتُ﴾ ثم عطف ما ليس من جنسها بالواو فقال: ﴿وَالنَّاشِرَاتُ﴾ ثم عطف عليه المتجانسين بالفاء وقد قيل في المرسلات والملقيات أنهم الأنبياء عليهم السلام ﴿عُرْفًا﴾ معناه فضلاً وإنعاماً وانتصابه على أنه مفعول من أجله وقيل معناه متابعة وهو مصدر في موضع الحال وأما عصفاً ونشراً ورفقاً فمصادر وأما ذكراً فمفعول به ﴿عَدْرًا أَوْ نَذْرًا﴾ العذر فستره ابن عطية وغيره بمعنى إغذار الله إلى عباده لثلاً تبنى لهم حجة أو عذر وفسره الزمخشري بمعنى الاعتذار يقال عذرت إذا عذرت الإساءة والنذر نذراً فمن الإنذار وهو التخويف وقرىء بضم الذال في الموضعين وبإسكانها ويحتمل أن يكونا مصدرين فيكون نصبهما على البدل من ذكراً أو مفعولاً بذكر أو يحتمل أن يكون عذراً جمع عذير أو عاذر ونذراً جمع نذير فيكون نصبهما على الحال ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ﴾ يعني البعث والجزاء وهو جواب القسم ﴿فَإِذَا التُّجُومُ طُمِسَتْ﴾ أي زال ضوءها وقيل مُحِيت ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ﴾ أي انشقت ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُفَّتْ﴾ أي صارت غباراً ﴿وَإِذَا الرُّسُلُ أَقْبَتْ﴾ أي جعل لها وقت معلوم فحان ذلك الوقت وجمعت للشهادة على الأمم يوم القيامة وقرىء وقتت بالواو وهو الأصل والهمزة بدل من الواو ﴿لَأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ﴾ هو من الأجل كما أن التوقيت من الوقت وفيه توقيف يراد به تعظيم لذلك اليوم ثم بيته بقوله: ﴿لِيَوْمِ الْفَصْلِ﴾ أي يفصل فيه بين العباد ثم عظمه بقوله: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الْفَصْلِ وَبَلِّغِ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ تكرر في هذه السورة قيل إنه تأكيد وقيل بل في كل آية ما يقتضي التصديق فجاء ويل يومئذ للمكذبين راجعاً إلى ما قبله في كل موضع منها ﴿أَلَمْ تَهْلِكِ الْأُولَى﴾ يعني الكفار المتقدمين كفوم نوح وغيرهم ﴿ثُمَّ تَتَّبِعُهُمُ الْآخِرِينَ﴾ يعني قريباً وغيرهم من الكفار بمحمد ﷺ وهذا وعيد لهم ظهر مصداقه يوم بدر وغيره ﴿كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾ أي مثل هذا الفعل نفعل بكل مجرم يعني الكفار ﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَهِينٍ﴾ يعني المن، والمهين الضعيف ﴿فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾ يعني رحم المرأة وبطنها ﴿إِلَىٰ قَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾

قَدْرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٧﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ ﴿٢٦﴾ وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾ أَلَّا تَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَاءَ
وَأَمْوَاتًا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رِوْاسِيًّا سَلَخًا وَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾ أَنْطَلِقُوا إِلَى مَا
كُتِبَ بِهِ تَكْذِبُونَ ﴿٢٩﴾ أَنْطَلِقُوا إِلَى ظِلِّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُعْنَى مِنَ اللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرْمِي
بِشَكْرٍ كَالْفَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾ وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾ هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا
يُؤَذِّنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾ هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْتُمْ وَالْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ

يعني وقت الولادة وهو معلوم عند تسعة أشهر أو أقل منها أو أكثر ﴿فَقَدَرْنَا﴾ بالتشديد من التقدير وبالتخفيف من القدرة فإذا كان من القدرة اتفق مع قوله فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ وإذا كان من التقدير فهو تجنيس ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا﴾ الكفات من كفت إذا ضم وجمع فالمعنى أن الأرض تكفت الأحياء على ظهرها والموتى في بطنها وانتصب أحياء وأمواتاً على أنه مفعول بكفاتاً لأن الكفات اسم لما يضم ويجمع فكأنه قال جامعة أحياء وأمواتاً ويجوز أن يكون المعنى تكفتهم أحياء وأمواتاً فيكون نصيبهما على الحال من الضمير وإنما نكر أحياء وأمواتاً للتفخيم ودلالة على كثرتهم ﴿رِوْاسِيًّا﴾ يعني الجبال ﴿شَامَخَاتٍ﴾ أي مرتفعات ﴿مَاءَ فُرَاتًا﴾ أي حلوا ﴿أَنْطَلِقُوا﴾ خطاب للمكذبين وقرأ يعقوب بفتح اللام على أنه فعل ماضٍ ثم كرره لبيان المنطلق إليه ﴿إِلَى ظِلِّ﴾ [الواقعة: ٤٣] يعني دخان جهنم ومنه: ﴿ظِلٌّ مِنْ يَخْمُومٍ﴾ ﴿ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ﴾ أي يتفرع من الدخان ثلاث شعب فتظلمهم بينما يكون المؤمنون في ظلال العرش وقيل إن هذه الآية في عبدة الصليب لأنهم على ثلاث شعب فيقال لهم انطلقوا إليه ﴿لَا ظَلِيلٍ﴾ نفى عنه أن يظلمهم كما يظلم العرش المؤمنين ونفى أيضاً أن يمنع عنهم اللهب ﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرِّ كَالْفَصْرِ﴾ الضمير في أنها لجهنم والقصر واحد القصور وهي الديار العظام شبه الشرر به في عظمته وارتفاعه في الهواء وقيل هو الغليظ من الشجر واحده قصرة كجمرة وجمر ﴿كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ﴾ في الجمالات قولان أحدهما أنها جمع جمال شبه بها الشرر وصف على ظاهره لأن لون النار يضرب إلى الصفرة وقيل صفر هنا بمعنى سود يقال جمل أصفر أي أسود وهذا أليق بوصف جهنم الثاني أن الجمالات قطع النحاس الكبار فكأنه مشتق من الجملة وقرئ جمالات بضم الجيم وهي قلوس السفن وهي حبالها العظام ﴿هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ﴾ هذا في مواطن وقد يتكلمون في مواطن أخر لقوله: ﴿نَوْمَةٌ تَأْتِي كَأَنَّهُ نَفْسٌ تَحَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا﴾ [النحل: ١١١] ﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكَيْرٍ﴾ يريد بهم ويريس بيمينهم في الدنيا وتقرب عليه ﴿كُلُوا﴾

كَيْدٌ فَكِيدُونَ ﴿٣٨﴾ وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلِّ وَعُيُونٍ ﴿٤٠﴾ وَقَوَّكِهِ مِمَّا يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٤١﴾
 كُلُوا وَأَشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٢﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٤٣﴾ وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٤﴾ كُلُوا
 وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ ﴿٤٥﴾ وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٧﴾ وَيَلُّ
 يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٨﴾ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿٤٩﴾

وَأَشْرَبُوا ﴿٣٨﴾ يقال لهم ذلك في الجنة بلسان الحال أو بلسان المقال ﴿هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾
 نصب هنيئًا على الحال أو على الدعاء ﴿كُلُوا وَتَمَتَّعُوا﴾ خطاب للكفار على وجه التهديد
 تقديره قل لهم كلوا وتمتعوا قليلاً في الدنيا ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ﴾ هذا إخبار
 عن حال الكفار في الدنيا وذكر الركوع عبارة عن الصلاة وقيل معنى اركعوا اخشعوا
 وتواضعوا وقيل هو إخبار عن حال المنافقين يوم القيامة لأنهم إذا قيل لهم اركعوا لا
 يقدرين على الركوع كقوله: ﴿وَيَدْعُونَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [القلم: ٤٢] والأول
 أشهر وأظهر ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ الضمير للقرآن.

سورة النبأ

مكتبة وآياتها ٤٠ نزلت بعد المعارج

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ ﴿٢﴾ الَّذِي هُرِّفَ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مَهْدًا ﴿٦﴾ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ أصل عم عن ما ثم أدمغت النون في الميم وحذفت ألف ما لأنها استفهامية تقديرها عن أي شيء يتساءلون وليس المراد بها هنا مجرد الاستفهام وإنما المراد تفخيم الأمر والضمير في يتساءلون لكفار قريش أو لجميع الناس ومعناه يسأل بعضهم بعضًا ﴿عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ﴾ هو ما جاءت به الشريعة من التوحيد والبعث والجزاء وغير ذلك ويتعلق عن النبي بفعل محذوف يفسره الظاهر تقديره يتساءلون عن النبي ووقعت هذه الجملة جوابًا عن الاستفهام وبيانًا للمسؤول عنه كأنه لما قال عم يتساءلون أجاب فقال يتساءلون عن النبي العظيم وقيل يتعلق عن النبي بيتساءلون الظاهر والمعنى على هذا لأي شيء يتساءلون عن النبي العظيم والأول أفصح وأبرع وينبغي على ذلك أن يوقف على قوله عم يتساءلون ﴿الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾ إن كان الضمير في يتساءلون لكفار قريش فاختلافهم أن منهم من يقطع بالكذب ومنهم من يشك Made searchable using ScribeTools.com

لِبَاسًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١٢﴾ وَبَدَّلْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٣﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَاجًا ﴿١٤﴾ وَأَنْزَلْنَا
 مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً فَجَاجًا ﴿١٥﴾ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٦﴾ وَجَعَلْنَا أَلْفَافًا ﴿١٧﴾ إِذْ هُمْ أَفْصَلُ كَانَ مِيقَاتِنَا ﴿١٨﴾
 يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتِيهِمْ أَفْوَاجًا ﴿١٩﴾ وَفَتَحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ﴿٢٠﴾ وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ
 سَرَابًا ﴿٢١﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢٢﴾ لِلطَّاعِينَ نَجَاتًا ﴿٢٣﴾ لِلَّذِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ﴿٢٤﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا

وغير ذلك وإن كان الضمير لجميع الناس فاختلف فهم أن منهم المؤمن والكافر ﴿كَلَّا سَيُغْلَمُونَ﴾ ردع وتهديد ثم كثره للتأكيد ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا﴾ أي فراشًا، وإنما ذكر الله تعالى هنا هذه المخلوقات على جهة التوقيف ليقيم الحجة على الكفار فيما أنكروه من البعث كأنه يقول إن الإله الذي قدرنا على خلق هذه المخلوقات العظام قادر على إحياء الناس بعد موتهم، ويحتمل أنه ذكرها حجة على التوحيد لأن الذي خلق هذه المخلوقات هو الإله وحده لا شريك له ﴿وَالْجِبَالُ أَوْتَادًا﴾ شبهها بالأوتاد لأنها تمسك الأرض أن تميد ﴿وَأَخْلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا﴾ أي من زوجين ذكرًا وإناثًا، وقيل معناه أزوجناكم في الأزواجكم وألصقناكم بالسننكم ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾ أي راحة لكم، وقيل معناه قطعنا للأعمال والنصران والسبت القطع وقيل معناه موتًا لأن النوم هو الموت الأصغر ومنه قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تُمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ [الزمر: ٤٢] ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾ شبهه بالثياب التي تلبس لأنه ستر من الجوان ﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾ أي تطلب فيه المعيشة، فهو على حذف مضاف تقديره ذا معاش، وقال الزمخشري معناه يُعَاش فيه فجعله بمعنى الحياة في مقابلة السبات الذي بمعنى الموت ﴿وَبَدَّلْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾ يعني السموات ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَاجًا﴾ يعني الشمس والوهج التوقد الشديد الإضاءة، وقيل السراج الذي يضطرط من شدة لهبه ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً فَجَاجًا﴾ يعني المطر والتمعضرات هي السحاب وهو مأخوذ من العصر لأن السحاب ينحصر فيزل منه الماء، أو من العصرة بمعنى الإغاثة ومنه وقية يعصرون، وقيل هي السموات وقيل الرياح والتجاج السريع الاندفاع ﴿لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا﴾ الحب هو القمح والشعير وسائر الحبوب والنبات هو العشب ﴿وَجَعَلْنَا أَلْفَافًا﴾ أي ملتفة وهو جمع لف بضم اللام، وقيل بالكسر وقيل لا وأخذ له ﴿كَانَ مِيقَاتِنَا﴾ أي في وقت معلوم ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾ يعني نفخة القيام من القبور ﴿فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ أي جماعات ﴿فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾ أي تفتتح فتكون فيها شقق كالابواب ﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ﴾ أي حُمِلت ﴿فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ عبارة عن تلاشيها وفتاتها والسراب في اللغة ما يظهر على البعد أنه ماء وليس ذلك المراد هنا وإنما هو تشبيه في أنه لا شيء ﴿مِرْصَادًا﴾ أي موضع التمرصد

وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَعَسَاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَاءً وَفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَابًا ﴿٣٥﴾ جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ يَوْمَ يَقُومُ

والرصد هو الارتقاب والانتظار، أي تنتظر الكفار ليدخلوها وقيل معناه طريقًا للمؤمنين يمرّون عليه إلى الجنة لأن الصراط منصوب على جهنم ﴿مَابًا﴾ أي مرجعًا ﴿لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ جمع حقبة أو حقب وهي المدة الطويلة من الدهر غير محدودة، وقيل إنها محدودة ثم اختلف في مقدارها، فروي عن النبي ﷺ أنها ثمانون ألف سنة، وقال ابن عباس ثلاثون سنة وقيل ثلثمائة سنة، وعلى القول بالتحديد فالمعنى أنهم يبقون فيها أحقابًا كلما انقضى حقب جاء آخر إلى غير نهاية وقيل إنه كان يقتضي أن مدة العذاب تنقضي، ثم نسخ بقوله: ﴿فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ وهذا خطاب لأن الأخبار لا تنسخ، وقيل هي في عصاة المؤمنين الذي يخرجون من النار، وهذا خطأ لأنها في الكفار لقوله: ﴿وَكُذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ وقيل معناها أنهم يبقون أحيانًا لا يذوقون فيها بردًا ولا شرابًا ثم يبذل لهم نوع آخر من العذاب ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾ أي لا يذوقون برودة تخفف عنهم حرّ النار وقيل لا يذوقون ماء باردًا وقيل البرد هنا النوم والأول أظهر ﴿إِلَّا حَمِيمًا وَعَسَاقًا﴾ استثناء من الشراب وهو متصل والحميم الماء الحارّ والعساق صديد أهل النار وقد ذكر في سورة داود ﴿جَزَاءً وَفَاقًا﴾ أي موافقًا أعمالهم لأن أعمالهم كفر وجزاؤهم النار، ووفقًا مصدر وصف به أو هو على حذف مضاف تقديره ذو وفاق ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾ هذا مثل لا يرجون لقاءنا وقد ذكر ﴿كِذَابًا﴾ بالتشديد مصدر بمعنى تكذيب وبالتخفيف بمعنى الكذب أو المكاذبة وهي تكذيب بعضهم لبعض ﴿فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ قال رسول الله ﷺ: «ما نزل في أهل النار أشدّ من هذه الآية» ﴿مَفَازًا﴾ أي موضع فوز يعني الجنة ﴿حَدَائِقَ﴾ أي بساتين ﴿وَكوَاعِبَ﴾ جمع كاعب وهي الجارية التي خرج ثديها ﴿أَتْرَابًا﴾ أي على سنّ واحد ﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾ أي ملأى وقيل صافية والأول أشهر ﴿عَطَاءً حِسَابًا﴾ أي كافيًا من أحسب الشيء إذا كفاه، وقيل معناه على حسب أعمالهم ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ﴾ بالرفع مبتدأ أو خبر ابتداء مضمّر وبالخفض صفة لربك، والرحمن بالخفض صفة وبالرفع خبر المبتدأ أو خبر ابتداء مضمّر ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾ قال ابن عطية الضمير للكفار أي لا يملكون أن يخاطبوه بمقدرة ولا غير

الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَلِكَ الْيَوْمَ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا ﴿٣٩﴾ إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلْبَسْنِي كُنْتُ تَرَابًا ﴿٤٠﴾

الزمخشري الضمير لجميع الخلق أي ليس بأيديهم شيء من خطاب الله ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ﴾ قيل هو جبريل وقيل ملك عظيم يكون هو وحده صفاً والملائكة صفاً، وقيل يعني أرواح بني آدم فهو اسم جنس ويوم يتعلق بلا يملكون أو لا يتكلمون ﴿لَا يَتَكَلَّمُونَ﴾ الضمير للملائكة والروح أي تمنعهم الهيبة من الكلام إلا من بعد أن يأذن الله لهم وقول الصواب يكون في ذلك الموطن على هذا وقيل الضمير للناس خاصة والصواب المشار إليه قول لا إله إلا الله أي من قالها في الدنيا ﴿ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ﴾ أي الحق وجوده ووقوعه ﴿فَمَنْ شَاءَ﴾ تخصيص وترغيب ﴿عَذَابًا قَرِيبًا﴾ يعني عذاب الآخرة ووصفه بالقرب لأن كل آت قريب أو لأن الدنيا على آخرها ﴿يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ المرء هنا عموم في المؤمن والكافر، وقيل هو المؤمن وقيل هو الكافر والعموم أحسن لأن كل أحد يرى ما عمل لقوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [الزلزلة: ٧] الآية ﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تَرَابًا﴾ تمتي أن يكون يوم القيامة تراباً فلا يُحَاسَب ولا يُجَازَى، وقيل تمتي أن يكون في الدنيا تراباً أي لم يُخَلَق، ورؤي أن البهائم تُحشَر ليقترص لبعضهم من بعض ثم تُرد تراباً فيتمني الكافر أن يكون تراباً مثلها، وهذا يقوي الأول، وقيل الكافر هنا إبليس يتمني أن يكون خلق من تراب مثل آدم وذريته لما رأى ثوابهم وقد كان احتقر التراب في قوله: ﴿خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢].

سورة النازعات

مكية وآياتها ٤٦ نزلت بعد النبأ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ﴿١﴾ وَالنَّشِيطَاتِ نَشْطًا ﴿٢﴾ وَالسَّيِّحَاتِ سَبْحًا ﴿٣﴾ فَالسَّيِّدَاتِ سَبْحًا ﴿٤﴾ فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ﴿٥﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ ﴿٧﴾ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾ أَبْصَرُهَا خَشِيعَةٌ ﴿٩﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اختلف في معنى النازعات والناشطات والسابقات والسابحات والمدبرات، فقيل إنها الملائكة وقيل النجوم، فعلى القول بأنها الملائكة سمّاهم نازعات لأنهم ينزعون نفوس بني آدم من أجسادها وناشطات لأنهم ينشطونها أي يخرجونها فهو من قولك نشطت الدلو من البئر إذا أخرجتها وسابحات لأنهم يسبحون في سيرهم أي يسرعون فيسبقون فيدبرون أمور العباد والرياح والمطر وغير ذلك حسبما يأمرهم الله وعلى القول بأنها النجوم سمّاهم نازعات لأنها تنزع من المشرق إلى المغرب وناشطات لأنها تنشط من برج إلى برج وسابحات لأنها تسبح في الفلك ومنه كلُّ في فلك يسبحون فتسبق في جريها فتدبر أمرًا من علم الحساب، وقال ابن عطية لا أعلم خلافاً أن المدبرات أمراً الملائكة وحكى الزمخشري فيها ما ذكرنا وقد قيل في النازعات والناشطات أنها النفوس تنزع من معنى النزح بالموت فتنشط من الأجساد، وقيل في السابقات والسابحات والناشطات أنما الخيا وأنما السفن ﴿غَرْقًا﴾ إن قلنا النازعات

يَقُولُونَ أَوِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ﴿١٦﴾ أَوِذَا كُنَّا عِظَامًا نَّخْرَةً ﴿١٧﴾ قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّا

الملائكة ففي معنى غرقاً وجهان: أحدهما أنها من الغرق أي تغرق الكفار في جهنم والآخر أنه من الإغراق في الأمر بمعنى المبالغة فيه أي تبالغ في نزعها فتقطع الفلك كله، وإن قلنا إنها النفوس فهو أيضاً من الإغراق أي تغرق في الخروج من الجسد والإعراب غرقاً مصدر في موضع الحال، ونشطاً وسبحاً وسبقاً مصادراً، وأمراً مفعول به، وجواب القسم محذوف وهو بعث الموتى بدلالة ما بعده عليه من ذكر القيامة، وقيل الجواب يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة على تقدير حذف لام التأكيد، وقيل هو ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى﴾ وهذا بعيد لبعده عن القسم ولأنه إشارة إلى قصة فرعون لا لمعنى القسم ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ﴾ قيل الراجفة النفخة الأولى في الصور والرادفة النفخة الثانية لأنها تتبعها ولذلك سماها رادفة من قولك ردفت الشيء إذا تبعته، وفي الحديث أن بينهما أربعين عاماً، وقيل الراجفة الموت والرادفة القيامة، وقيل الراجفة الأرض، من قوله: ﴿تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ﴾ [المزمل: ١٤] والرادفة السماء لأنها تنشق يومئذ والعامل في يوم ترجف محذوف وهو الجواب المقدر تقديره لتبعثن يوم ترجف الراجفة وإن جعلنا يوم ترجف الجواب فالعامل في يوم معنى قوله: ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾ وقوله: ﴿تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ﴾ في موضع الحال ويحتمل أن يكون العامل فيه تتبعها ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾ أي شديدة الاضطراب والوجيف والوجيب بمعنى واحد وارتفع قلوب بالابتداء وواجفة خبره، وقال الزمخشري: واجفة صفة والخبر أبصارها خاشعة ﴿أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ﴾ كناية عن الذل والخوف وإضافة الأبصار إلى القلوب على تجوز والتقدير قلوب أصحابها ﴿يَقُولُونَ أَيْنَا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ أَيْنَا عِظَامًا نَّخْرَةً﴾ هذا حكاية قول الكفار في الدنيا، ومعناه على الجملة إنكار البعث فالهمزة في قوله: ﴿أَيْنَا لَمَرْدُودُونَ﴾ للإنكار ولذلك اتفق العلماء على قراءته بالهمزتين إلا أن منهم من سهل الثانية ومنهم من خففها واختلفوا في إذا كنا عظاماً نخرة فمنهم من قرأه بهمزة واحدة لأنه ليس بموضع استفهام ولا إنكار ومنهم من قرأه بهمزتين تأكيداً للإنكار المتقدم ثم اختلفوا في معنى الحافرة على ثلاثة أقوال: أحدها أنها الحالة الأولى يقال رجع فلان في حافرته إذا رجع إلى حالته الأولى فالمعنى أيننا لمردودون إلى الحياة بعد الموت والآخر أن الحافرة الأرض بمعنى محفورة فالمعنى أيننا لمردودون إلى وجه الأرض بعد الدفن في القبور والثالث أن الحافرة النار والعظام النخرة البالية المتعفنة وقرىء ناخرة بالفتح ويجذف الألف وهما بمعنى واحد إلا أن حذف الألف أبلغ لأن فعل أبلغ من فاعل وقيل معناه العظام المجوفة التي تمر بها الريح فيسمع لها نخير والعامل في إذا

هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾ هَلْ أُنَبِّئُكَ حَدِيثَ مُوسَى ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَنْ تَرْكَبَهُ ﴿١٨﴾ وَاهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى ﴿١٩﴾ فَأَرْسَلْنَا آيَةَ الْكُبْرَى ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَى ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَذْبَرَ يَسْعَى ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَى ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى ﴿٢٦﴾ ءَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ

كنا محذوف تقديره إذا كنا عظامًا نبعث ويحتمل أن يكون العامل فيه مردودون في الحافرة ولكن إنما يجوز ذلك على قراءة إذا كنا بهمزة واحدة على الخبر ولا يجوز على قراءته بهمزتين لأن همزة الاستفهام لا يعمل ما قبلها فيما بعدها ﴿قَالُوا تِلْكَ إِذَا كُرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ الكرة الرجعة والخاسرة منسوبة إلى الخسران كقوله عيشة راضية أي ذات رضى أو معناه خاسر أصحابها ومعنى هذا الكلام أنهم قالوا إن كان البعث حقًا فكررتنا خاسرة لأننا ندخل النار ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ يعني النفخة في الصور للقيام من القبور وهذا من كلام الله تعالى ردًا على الذين أنكروا البعث كأنه يقول لا تظنوا أنه صعب على الله هو عليه يسير وإنما ينفخ نفخة واحدة في الصور فيقوم الناس من قبورهم ﴿فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾ إذا هنا فجائية والساهرة وجه الأرض والباء ظرفية والمعنى إذا نفخ في الصور حصلوا بالأرض أسرع شيء ﴿هَلْ أُنَبِّئُكَ﴾ توقيف وتنبيه وليس المراد به مجرد الاستفهام ﴿طُوًى﴾ ذكر في طه ﴿أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ﴾ تفسير للنداء ﴿هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَنْ تَرْكَبَهُ﴾ أن تتطهر من الكفر والذنوب والعيوب والردائل وقال بعضهم تركى تسلم وقيل تقول لا إله إلا الله والأول أعم ﴿الآيَةُ الْكُبْرَى﴾ قلب العصا حية وإخراج اليد بيضاء وجعلهما واحدة لأن الثانية تتبع الأولى ويحتمل أن يريد الأولى وحدها ﴿ثُمَّ أَذْبَرَ يَسْعَى﴾ الإدبار كناية عن الإعراض عن الإيمان ويسعى عبارة عن جده في الكفر وفي إبطال أمر موسى عليه السلام وقيل هو حقيقة أي قام من مجلسه يفرض من مجالسة موسى أو يهرب من العصا لما صارت ثعبانًا ﴿فَحَشَرَ﴾ أي جمع جنوده وأهل مملكته ﴿فَنَادَى﴾ أي نادى قومه وقال لهم ما قال ويحتمل أنه ناداهم بنفسه أو أمر من يناديهم والأول أظهر ورؤي أنه قام فيهم خطيبًا فقال ما قال ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾ النكال مصدر بمعنى التنكيل والعامل فيه أخذه الله لأنه بمعناه وقيل العامل محذوف والآخرة هي دار الآخرة والأولى الدنيا فالمعنى نكال الآخرة بالنار ونكال الأولى بالغرق وقيل الآخرة قوله: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ والأولى قوله ما علمت لكم من إله غيري وقيل بالعكس فالمعنى أخذه الله وعاقبه على كلمة الآخرة وكلمة الأولى ﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ﴾ هذا توقيف ف

سَمَكَهَا فَسَوَّلَهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغَطَّشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴿٢٩﴾ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا
وَمَرَعَهَا ﴿٣١﴾ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ﴿٣٢﴾ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴿٣٣﴾ فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَةُ الْكُبْرَى ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ
الْإِنْسَانُ مَا سَعَى ﴿٣٥﴾ وَبُرْزَتِ الْجَحِيمِ لِمَنْ يَرَى ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَنْ طَغَى ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ
هِيَ الْمَأْوَى ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٤١﴾ يَسْتَوُونَكَ
عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِنَهَا ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَنِ يَخْشَاهَا ﴿٤٥﴾

الأجساد بعد فنائها ﴿رَفَعَ سَمَكَهَا﴾ السمك غلظ السماء وهو الارتفاع الذي بين سطح السماء الأسفل الذي يلينا وسطحها الأعلى الذي يلي ما فوقها ومعنى رفعه أنه جعله مسيرة خمسمائة عام وقيل السمك السقف ﴿فَسَوَّاهَا﴾ أي اتقن خلقتها وقيل جعلها مستوية ليس فيها مرتفع ولا منخفض ﴿وَأَغَطَّشَ لَيْلَهَا﴾ أي جعله مظلمًا يقال غطش الليل إذا أظلم وأغطشه الله ﴿وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾ أي أظهر ضوء الشمس في وقت الضحى وأضاف الضحى والليل إلى السماء من حيث أنهما ظاهران منها وفيها ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ أي بسطها واستدل بها من قال إن الأرض بسيطة غير كروية وقد ذكرنا في فصلت الجمع بين هذا وبين قوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ﴾ [البقرة: ٢٩، وفصلت: ١١] ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرَعَاهَا﴾ نسب الماء والمرعى إلى الأرض لأنهما يخرجان منها فإن قيل لما قال أخرج بغير حرف العطف؟ فالجواب أن هذه الجملة في موضع الحال وتفسير لما قبلها قاله الزمخشري ﴿وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا﴾ أي أثبتها ونصب الجبال بفعل مضممر يدل عليه الظاهر وكذلك الأرض ﴿مَتَاعًا لَكُمْ﴾ تقديره فعل ذلك كله تمتيعًا لكم منه ﴿وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ لأن بني آدم والأنعام يتنعمون بما ذكر ﴿الطَّامَةُ﴾ هي القيامة وقيل النفخة الثانية واشتقاقها من قولك لهم الأمر إذا علا وغلب ﴿وَبُرْزَتِ الْجَحِيمِ لِمَنْ يَرَى﴾ أي أظهرت لكل من يرى فيها لا تخفى على أحد ﴿مَقَامَ رَبِّهِ﴾ ذكر في سورة الرحمن ﴿وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ أي ردها عن شهواتها وأغراضها الفاسدة قال بعض الحكماء إذا أردت الصواب فانظر هواك وخالفه وقال سهل التستري لا يسلم من الهوى إلا الأنبياء وبعض الصديقين ﴿أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ ذكر في الأعراف ﴿فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِنَهَا﴾ أي من ذكر زمانها فالمعنى لست في شيء من ذكر ذلك قالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله ﷺ يسأل عن الساعة كثيرًا فلما نزلت هذه الآية انتهى ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا﴾ أي منتهى علمها لا يعلم متى تكون إلا هو وحده ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَنِ يَخْشَاهَا﴾ أي إنما بعثت لتنذر بها وليس عليك الإخبار بوقتها وخص الإنذار بمن يخشاهما

كَانَ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَسُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ﴿٤٦﴾

لأنه هو الذي ينفعه الإنذار ﴿لَمْ يَلْبَسُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ أخبر أنهم إذا رأوا الساعة ظنوا أنهم لم يلبسوا في الدنيا أو في القبور إلا عشية يوم أو ضحى يوم وأضاف الضحى كذلك إلى العشيّة لما بينهما من الملاسة إذ هما في يوم واحد.

سورة عبس

مكية وآياتها ٤٢ نزلت بعد النجم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَبَسَ وَتَوَلَّى ۙ (١) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ۚ (٢) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهِ يُزَيِّجُ ۚ (٣) أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى ۚ (٤) أَمَا مِنْ
أَسْتَفْتَى ۙ (٥) فَأَنْتَ لَمْ تَصَدَّى ۙ (٦) وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى ۙ (٧) وَأَمَا مِنْ جَاءَكَ يَسْعَى ۙ (٨) وَهُوَ يَخْشَى ۙ (٩) فَأَنْتَ عَنْهُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سبب نزول صدر هذه السورة أن رسول الله ﷺ كان حريصاً على إسلام قريش وكان يدعو أشرافهم إلى الله تعالى ليسلموا فيسلم بإسلامهم غيرهم فبينما هو مع رجل من عظمائهم قيل هو الوليد بن المغيرة وقيل عتبة بن ربيعة وقيل أمية بن خلف، وقال ابن عباس كانوا جماعة إذ أقبل عبد الله ابن أم مكتوم الأعمى فقال يا رسول الله علمني مما علمك الله، وكرّر ذلك وهو لا يعلم عنه بتشاغله بالقوم فكره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قطع الأعمى كلامه فعبس وأعرض عنه وذهب الرجل الذي كان مع رسول الله ﷺ فنزلت الآية فكان رسول الله ﷺ إذا رأى عبد الله ابن أم مكتوم بعد ذلك يقول: «مرحباً بمن عاتبني فيه ربي وببسط له رداءه وقد استخلفه على المدينة مرتين» ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾ أي عبس في وجه الأعمى وأعرض عنه قال ابن عطية في مخاطبته بلفظ الغائب مبالغة في العتب لأن في ذلك بعض الإعراض وقال الزمخشري في الإخبار بالغيبة زيادة في الإنكار،

لَّهُنَّ ﴿١٦﴾ كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ ﴿١٢﴾ فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾ قِيلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرُهُ ﴿١٧﴾ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴿١٨﴾ مِنْ نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ ﴿١٩﴾ ثُمَّ السَّبِيلَ

وقال غيرهما هو إكرام للنبي ﷺ وتنزيه له عن المخاطبة بالعتاب وهذا أحسن ﴿أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى﴾ في موضع مفعول من أجله وهو منصوب بتولى أو عبس وذكر ابن أم مكتوم بلفظ الأعمى ليدل أن عماه هو الذي أوجب احتقاره وفي هذا دليل على أن ذكر هذه العاهات جائز إذا كانت لمنفعة أو يشهد صاحبها ومنه قول المحدثين سليمان الأعمش وعبد الرحمن الأعرج وغير ذلك ﴿وَمَا يُذْرِكُ﴾ أي أي شيء يُطْلَعُكَ على حال هذا الأعمى ﴿لَعَلَّهُ يَزْكِي﴾ أو يتطهر وينتفع في دينه بما يسمع منك، ﴿أَمَّا مَنْ اسْتَعْنَى فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى﴾ أي تتعرض للغني رجاء أن يسلم ﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزْكِي﴾ أي لا حرج عليك أن لا يتزكى هذا الغني ﴿وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى﴾ إشارة إلى عبد الله ابن أم مكتوم، ومعنى يسعى يسرع في مشيه من حرصه في طلب الخير ﴿وَهُوَ يَخْشَى﴾ أي يخشى الله أو يخاف الكفار وإذابتهم له على أتباعك وقيل جاء وليس معه من يقوده، فكان يخشى أن يقع وهذا ضعيف ﴿فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى﴾ أي تشتغل عنه بغيره من قولك لهيت عن الشيء إذا تركته، وزوي أن رسول الله ﷺ تأذّب بما آذبه الله في هذه السورة فلم يُعْرِضْ بعدها عن فقير ولا تعرض لغني، وكذلك أتبعه فضلاء العلماء، فكان الفقراء في مجلس سفیان الثوري كالأمراء وكان الأغنياء يتمنون أن يكونوا فقراء ﴿كَلَّا﴾ ردع عن معاودة ما وقع العتاب فيه ﴿إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾ فيه وجهان، أحدهما: أن هذا الكلام المتقدم تذكرة أو موعظة للنبي ﷺ والآخر أن القرآن تذكرة لجميع الناس فلا ينبغي أن يؤثر فيه أحد على أحد، وهذا أرجح لأنه يناسبه: فمن شاء ذكره، وما بعده، وأنت الضمير في قوله إنها تذكرة على معنى القصة أو الموعظة أو السورة أو القراءة وذكرها في قوله: ﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ﴾ على معنى الوعظ أو الذكرى والقرآن ﴿فِي صُحُفٍ﴾ صفة لتذكرة أي ثابتة في صحف وهي الصحف المنسوخة من اللوح المحفوظ وقيل هي مصاحف المسلمين ﴿مَرْفُوعَةٍ﴾ إن كانت الصحف المصاحف فمعناه مرفوعة المقدار وإن كانت صحف الملائكة فمعناه كذلك أو مرفوعة في السماء ومطهرة أي منزّهة عن أيدي الشياطين ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ﴾ هي الملائكة، والسفرة جمع سافر وهو الكاتب؛ لأنهم يكتبون القرآن وقيل لأنهم سفراء بين الله وبين عباده، وقيل يعني القراء من الناس والأول أرجح وقد قال رسول الله ﷺ: «الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة» أي أنه يعمل مثل عملهم في كتابة القرآن وتلاوته

يَسْرُهُ ﴿٢٤﴾ ثُمَّ أَمَانَهُ فَأَقْبَرَهُ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِذَا سَاءَ أَنْشَرُهُ ﴿٢٦﴾ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرُهُ ﴿٢٧﴾ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ﴿٢٨﴾
 أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴿٢٩﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ﴿٣٠﴾ فَأَبْثْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٣١﴾ وَعَبْنَا وَقَضَبْنَا ﴿٣٢﴾ وَرَبْتُونَا وَتَحَلَّا ﴿٣٣﴾
 وَحْدَايِقَ غَلْبًا ﴿٣٤﴾ وَفَكَهَمَهُ وَابًّا ﴿٣٥﴾ مَنَعْنَا لَكُمُ الْكُرْ وَلَا تَعْمَلِكُمُ ﴿٣٦﴾ فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاحَةُ ﴿٣٧﴾ يَوْمَ يَبْرِ الْمَرْءُ مِنَ

على ما جرت به عادة العرب من الدعاء بهذا اللفظ، ومعناه تقييح حاله وأنه ممن يستحق أن يقال له ذلك، وقيل معناه لعن وهذا بعيد ﴿مَا أَكْفَرَهُ﴾ تعجب من شدة كفره مع أنه كان يجب عليه خلاف ذلك ﴿مِن أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ توقيف وتقرير ثم أجاب عنه بقوله: ﴿مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ﴾ يعني المنى ومقصد الكلام تحقير الإنسان ومعناه أنه يجب عليه أن يعظم الرب الذي خلقه ﴿فَقَدَّرَهُ﴾ أي هَيَّأَ لما يصلح له ومنه خلق كل شيء فقدّره تقديراً، وقيل معناه جعله على مقدار معلوم في إعطائه وأجله ورزقه وغير ذلك ﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسْرَهُ﴾ نصب السبيل بفعل مضمّر فسرّه يسره، وفي معناه ثلاثة أقوال أحدها: يسر سبيل خروجه من بطن أمه والآخر أنه سبيل الخير والشر لقوله: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِنَّمَا شَاكَرًا وَإِنَّمَا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٢٣]، الثالث سبيل النظر السديد المؤدي إلى الإيمان، والأول أرجح لعطفه على قوله من نطفة خلقه فقدّره وهو قول ابن عباس ﴿ثُمَّ أَمَانَهُ فَأَقْبَرَهُ﴾ أي جعله ذا قبر يقال قبرت الميت إذا دفنته وأقبرته إذا أمرت أن يدفن ﴿ثُمَّ إِذَا سَاءَ أَنْشَرَهُ﴾ أي بعثه من قبره يقال نشر الميت إذا قام وأنشره الله والإشارة بإذا شاء ليوم القيامة، أي الوقت الذي يقدر أن ينشره فيه ﴿كَلَّا﴾ ردع للإنسان عما هو فيه ﴿لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ﴾ أي لم يقض الإنسان على تطاول عمره ما أمره الله، قال بعضهم لا يقضي أحد أبداً جميع ما افترض الله عليه إذ لا بد للعبد من تفریط ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾ أمر بالاعتبار في الطعام كيف خلقه الله بقدرته ويسره برحمته فيجب على العبد طاعته وشكره ويقبح معصيته والكفر به، وقيل فليظنر إلى طعامه إذا صار رجعيًا فينظر حقارة الدنيا وخساسة نفسه، والأول أشهر وأظهر في معنى الآية على أن القول الثاني صحيح وانظر كيف فسره بقوله: ﴿أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا﴾ وما بعده ليعدّد النعم ويظهر القدرة وقرىء إنا صببنا الماء بفتح الهمزة على البدل من الطعام ﴿ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ﴾ يعني يخرج النبات منها ﴿حَبًّا﴾ يعني القمح والشعير وسائر الحبوب ﴿وَقَضَبْنَا﴾ قيل هي النصفصة، وقيل هي علف البهائم واختار ابن عطية أنها البقول وشبهها مما يؤكل رطبًا ﴿غَلْبًا﴾ أي غليظة ناعمة ﴿وَأَبًّا﴾ الأب المرعى عند ابن عباس والجمهور، وقيل التبن وقد توقف في تفسيره أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ﴿الصَّاحَةُ﴾ القيامة وهي مشتقة من قولك صخ الأذن إذا أصمها بشدة صياحه فكانه إشارة إلى النفخة في الصور أو

أَخِيهِ ﴿٢٤﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٢٥﴾ وَصَاحِبِيهِ وَبَنِيهِ ﴿٢٦﴾ لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٢٧﴾ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٢٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٢٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٥﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤٦﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرَةُ ﴿٤٧﴾ الْفَجْرَةُ ﴿٤٧﴾

إلى شدة الأمر حتى يصخّ من يسمعه لصعوبته وقيل هي من قولك أصاخ للحديث إذا استمعه والأول هو الموافق للاشتقاق ﴿نَفِرُ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾ الآية ذكر فرار الإنسان من أحبائه ورتبهم على ترتيبهم في الحنو والشفقة فبدأ بالأقلّ وختم بالأكثر لأن الإنسان أشدّ شفقة على بنيه من كل من تقدّم ذكره وإنما يفترّ منهم لاشتغاله بنفسه؛ وقيل إن فراره منهم لثلا يطالبوه بالتبعات والأول أرجح وأظهر، لقوله: ﴿لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ أي هو مشغول بشأنه من الحساب والثواب والعقاب، حتى لا يسعه ذكر غيره، وانظر قول الأنبياء عليهم السلام يومئذ نفسي نفسي ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ﴾ أي مضيئة من السرور، وهو من قولك أسفر الصبح إذا أضاء ﴿عَلَيْهَا غَبَرَةٌ﴾ أي غبار والقتره أيضا الغبار قال ابن عطية: الغبرة من العبوس والكرب كما يقتر وجه المهموم والمريض، والقتره هي غبار الأرض، وقال الزمخشري الغبرة غبار يعلوها والقتره سواد فيعظم قبحها باجتماع الغبار والسواد.

سورة التكوير

مكية وآياتها ٢٩ نزلت بعد المسد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾
وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾ وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سُيِّلَتْ ﴿٨﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ذكر الله في هذه السورة أهوال يوم القيامة، وما يعتري الموجودات حينئذ من التغيير ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ قال ابن عباس: ذهب ضوءها وأظلمت وقيل رمي بها وقيل اضمحلت وأصله من تكوير العمامة لأنها إذا لفت زال انبساطها وصغر جرمها ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾ أي تساقطت من مواضعها، وقيل تغيرت والأول أرجح لأنه موافق لقوله: ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ﴾ [الانفطار: ٢] وَرُوي أن الشمس والنجوم تُطرح في جهنم ليراها من عبدها، كما قال: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ٩٨] ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ أي حملت وبعد ذلك تفتت فتصير هباء ثم تتلاشى ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ العشار جمع عشراء وهي الناقة الحامل التي مرّ لحملها عشرة أشهر وهي أنفس ما عند العرب وأعزها فلا تعطل إلا من شدة الهول، وتعطيلها هو تركها سائبة أي ترك حلبها ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ أي جمعت وفي صفة حشرها ثلاثة أقوال: أحدها أنها تُحشر أي تُبعث

بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِرَتْ ﴿١٢﴾ وَإِذَا الْجَنَّةُ
أُزْلِفَتْ ﴿١٣﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾ فَلَا أَقْسِمُ بِالْخُنُوسِ ﴿١٥﴾ الْجَوَارِ الْكُنُوسِ ﴿١٦﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَسَ ﴿١٧﴾

يوم القيامة ليقْتَصَّ لبعضها من بعض ثم تكون ترابًا والآخر أنها تُحشَّر بموتها دفعة واحدة عند هول القيامة قاله ابن عباس وقال إنها لا تُبْعَث وأنه لا يحضر القيامة إلاّ الإنس والجن والثالث أنها تجمع في أول أهوال القيامة وتفترق في الأرض فذلك حشرها ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ فيه ثلاثة أقوال أحدها ملئت وفجر بعضها إلى بعض حتى تعود بحرًا واحدًا والآخر ملئت نيرانًا لتعذيب أهل النار والثالث فرغت من مائها ويست وأصله من سجرت الثور إذا ملأها فالقول الأول والثاني أليق بالأصل . والأول والثالث موافق لقوله فجرت : ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ فيه ثلاثة أقوال أحدها أن التزويج بمعنى التنويع لأن الأزواج هي الأنواع فالمعنى جعل الكافر مع المؤمن والمؤمن مع المؤمن والثاني زُوِّجَتْ نفوس المؤمنين بزوجاتهم من الحور العين والثالث زُوِّجَتْ الأرواح والأجساد أي رُدَّت إليها عند البعث والأول هو الأرجح ، لأنه رُوِيَ عن النبي ﷺ وعن عمر بن الخطاب وابن عباس ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ الموءودة هي البنت التي كان بعض العرب يدفنها حية من كراهته لها ومن غيرته عليها فتسأل يوم القيامة بأيّ ذنب قُتلت على وجه التوبيخ لقاتلتها وقرأ ابن عباس ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ بضم القاف وسكون اللام وضم التاء واستدلّ ابن عباس بهذه الآية على أن أولاد المشركين في الجنة لأن الله ينتصر لهم ممن ظلمهم ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ هي صحف الأعمال تُنشر ليقرأ كلّ أحد كتابه ، وقيل هي الصحف التي تتطاير بالأيمان والشمائل بالجزاء ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾ الكشط هو التقشير كما يكشط جلد الشاة حين تُسلخ وكشط السماء هو طيها كطي السجل قاله ابن عطية وقيل معناه كُشِفَتْ وهذا أليق بالكشط ﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِرَتْ﴾ أي أوقدت وأحميت ﴿وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾ أي قربت ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ﴾ هذا جواب إذا المكررة في المواضع قبل هذا ومعناه علمت كل نفس ما أحضرت من عمل فلفظ النفس مفرد يُراد به الجنس والعموم وقال ابن عطية إنما أفردها لبيّن حقارتها ودلتها وقال الزمخشري هذا من عكس كلامهم الذي يقصد به الإفراط فيما يعكس عنه كقوله : ﴿رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الحجر : ٢] ومعناه التكثير وكذلك هنا معناه أعمّ الجموع ﴿مَّا أَحْضَرَتْ﴾ عبارة عن الحسنات والسيئات ﴿فَلَا أَقْسِمُ﴾ ذكرت نظائره ﴿بِالْخُنُوسِ الْجَوَارِ الْكُنُوسِ﴾ يعني الدراري السبعة وهي الشمس والقمر وزحل وعطارد و

وَالصُّبْحُ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُطَاعٌ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَقَدْ رَآهُ بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ﴿٢٥﴾ فَأَتَيْنَ تَذَهْبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾

أي تتفهقر فيكون النجم في البرج ثم يكثر راجعاً وهي جوارى في الفلك وهي تنكنس في أبراجها أي تستتر وهو مشتق من قولك كنس الوحش إذا دخل كناسه وهو موضعه وقيل يعني الدراري الخمسة لأنها تستتر بضوء الشمس وقيل يعني النجوم كلها لأنها تخنس في جريها وتكنس بالنهار أي تستتر وتختفي بضوء الشمس وقيل يعني بقر الوحش فالخنس على هذا من خنس الأنف والكنس من سكنها في كناسها ﴿وَاللَّيْلُ إِذَا عَمَّسَ﴾ يقال عمس الليل إذا كان غير مستحكم الظلام فليل ذلك في أوله وقيل في آخره وهذا أرجح لأن آخر الليل أفضل ولأنه أعقبه بقوله ﴿وَالصُّبْحُ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ أي استطار واتسع ضوؤه ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ الضمير للقرآن والرسول الكريم جبريل وقيل محمد صلى الله عليه وآله وسلم قال السهيلي لا يجوز أن يقال إنه محمد عليه السلام لأن الآية نزلت في الرد على الذين قالوا إن محمداً قال القرآن فكيف يخبر الله أنه قوله وإنما أراد جبريل وأضاف القرآن إليه لأنه جاء به وهو في الحقيقة قول الله تعالى وهذا الذي قال السهيلي لا يلزم فإنه قد يضاف إلى محمد ﷺ، لأنه تلقاه عن جبريل عليه السلام وجاء به إلى الناس ومع ذلك فالأظهر أنه جبريل لأنه وصفه بقوله ذي قوة وقد وصف جبريل بهذا لقوله: ﴿شَدِيدُ الْقُوَى ذُو مِرَّةٍ﴾ [النجم: ٥] ﴿عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ﴾ يتعلق بذى قوة، وقيل بمكين وهذا أظهر والمكين الذي له مكانة أي جاء وتقريب ﴿مُطَاعٌ ثَمَّ أَمِينٌ﴾ هذا الظرف إشارة إلى الظرف المذكور قبله وهو عند ذي العرش أي مطاع في ملائكة ذي العرش ﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ﴾ هو محمد ﷺ باتفاق ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ﴾ ضمير الفاعل لمحمد ﷺ وضمير المفعول لجبريل عليه السلام وهذه الرؤية له بغار جراء على كرسي بين السماء والأرض. وقيل الرؤية التي رآه عند سدره المنتهى في الإسراء ووصف هذا الأفق بالمبين لأنه زوي أنه كان في المشرق من حيث تطلع الشمس وأيضاً فكل أفق فهو مبين ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ الضمير للنبي ﷺ ومن قرأ بالضاد فمعناه بخيل أي لا يبخل بأداء ما ألقى إليه من الغيب، وهو الوحي، ومن قرأ بالطاء فمعناه متهم أي لا يتهم على الوحي بل هو أمين عليه ورجح بعضهم هذه القراءة بأن الكفار لم ينسبوا محمداً ﷺ إلى البخل بالوحي بل اتهموه فنفى عنه

ذلك ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ﴾ الضمير للقرآن ﴿فَأَيُّنَ تَدَّهَبُونَ﴾ خطاب لكفار قريش أي ليس لكم زوال عن هذه الحقائق وقد تقدم تفسير بقية السورة في نظائره فيما تقدم.

سورة الانفطار

مكية وآياتها ١٩ نزلت بعد النزاعات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ أَنْفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا الْكُوَاكِبُ انْتَثَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴿٤﴾ عَلِمْتَ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا السَّمَاءُ أَنْفَطَرَتْ﴾ أي انشقت ﴿وَإِذَا الْكُوَاكِبُ انْتَثَرَتْ﴾ أي سقطت من مواضعها ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِرَتْ﴾ أي فرغت وقيل فجر بعضها إلى بعض فاختلط ﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾ أي نبشت على الموتى الذين فيها وقال الزمخشري أصله من البعث والبحث فضمت إليها الراء والمعنى بحثت وأخرج موتاها ﴿عَلِمْتَ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ هذا هو الجواب ومعناه علمت كل نفس جميع أعمالها وقيل ما قدمت في حياتها وما أخرت مما تركته بعد موتها من سنة سنتها أو وصية أوصت بها وأفردت النفس والمراد به العموم حسبا ذكرنا في التكوير ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ﴾ خطاب لجنس بني آدم ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ هذا توبيخ وعتاب معناه أي شيء غرَّكَ بِرَبِّكَ حتى كفرت به أو عصيته أو غفلت عنه فدخل في العتاب الكفار وعصاة المؤمنين ومن يغفل عن الله في بعض الأحيان من الصالحين وروي أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلَّم قرأ ما غرَّكَ بِرَبِّكَ الكريم فقال: «غرّه جهله» وقال

فَعَدَلَك ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكْبِكَ ﴿٨﴾ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالَّذِينَ ﴿٩﴾ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾
 كِرَامًا كَنِينِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ يَصَلُونَهَا
 يَوْمَ الَّذِينَ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ﴿١٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الَّذِينَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الَّذِينَ ﴿١٨﴾ يَوْمَ
 لَا تَمَلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ سَعِيًّا ﴿١٩﴾ وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ﴿٢٠﴾

عمر: غرّه جهله وحمقه وقرأ إنه كان ظلوما جهولا، وقيل غره الشيطان المسلط عليه وقيل غره ستر الله عليه وقيل غره طمعه في عفو الله عنه ولا تعارض بين هذه الأقوال لأن كل واحد منها مما يغز الإنسان إلا أن بعضها يغز قوماً وبعضها يغز قوماً آخرين فإن قيل ما مناسبة وصفه بالكريم هنا للتوبيخ على الغرور؟ فالجواب أن الكريم ينبغي أن يُعبد ويُطاع شكراً لإحسانه ومقابلة لكرمه ومن لم يفعل ذلك فقد كفر النعمة وأضاع الشكر الواجب ﴿فَعَدَلَك﴾ بالتشديد والتخفيف أي عدل أعضائك وجعلها متوازية فلم يجعل إحدى اليدين أطول من الأخرى ولا إحدى العينين أكبر من الأخرى ولا إحداهما كحلى والأخرى زرقاء ولا بعض الأعضاء أبيض وبعضها أسود وشبه ذلك من الموازنة ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكْبِكَ﴾ المجرور يتعلق بركبك وما زائدة والمعنى ركبك في أي صورة شاء من الحُسن والقُبْح والطول والقصر والذكورة والأنوثة وغير ذلك من اختلاف الصور، ويحتمل أن يتعلق المجرور بمحذوف تقديره ركبك حاصلاً في أي صورة وقيل يتعلق بعدلك على أن يكون بمعنى صرفك إلى أي صورة شاء وهذا بعيد، ولا يمكن إلا مع قراءة عدلك بالتخفيف ﴿كَلَّا﴾ ردع عن الغرور المذكور قبل، والتكذيب المذكور بعد ﴿بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالَّذِينَ﴾ هذا خطاب للكفار والذين هنا يحتمل أن يكون بمعنى الشريعة أو الحساب أو الجزاء ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ﴾ يعني الملائكة الذين يكتبون أعمال بني آدم ﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ يعلمون الأعمال لمشاهدتهم لها، وأما ما لا يُرى ولا يُسمع من الخواطر والنيات والذُكر بالقلب فقيل: إن الله ينفرد بعلم ذلك وقيل إن الملك يجد لها ريحاً يدركها به ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ في هذه الآية وفيما بعدها من أدوات البيان المطابقة والترصيع ﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ﴾ فيه قولان أحدهما أن معناه لا يخرجون منها إذا دخلوها والآخر لا يغيبون عنها في البرزخ قبل دخولها لأنهم يعرضون عليها غدواً وعشيّاً ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الَّذِينَ﴾ تعظيم له وتهويل وكرره للتأكيد والمعنى أنه من شدته بحيث لا يدري أحد مقدار هولاه وعظمتها ﴿يَوْمَ لَا تَمَلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ سَعِيًّا﴾ أي لا يقدر أحد على منفعة أحد وقرىء يوم بالرفع على البدل من يوم الدين أو

يجاوزون يوم الدين أو النصب على المفعولية بإضمار فعل تقديره اذكر ويجوز أن يفتح لإضافته إلى غير متمكن وهو في موضع رفع.

وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُرًا ﴿١٠٠﴾

وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُرًا ﴿١٠٠﴾

وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُرًا ﴿١٠٠﴾

وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُرًا ﴿١٠٠﴾

وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُرًا ﴿١٠٠﴾

وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُرًا ﴿١٠٠﴾

وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُرًا ﴿١٠٠﴾

وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُرًا ﴿١٠٠﴾

وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُرًا ﴿١٠٠﴾

وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُرًا ﴿١٠٠﴾

وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُرًا ﴿١٠٠﴾

وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُرًا ﴿١٠٠﴾

وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُرًا ﴿١٠٠﴾

سورة المطففين

مكية وآياتها ٣٦ نزلت
بعد العنكبوت وهي آخر سورة نزلت بمكة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ التطفيف في اللغة هو البخس والنقص وفسره بذلك الزمخشري واختاره ابن عطية وقيل هو تجاوز الحد في زيادة أو نقصان واختاره ابن الفرس وهو الأظهر لأن المراد به هنا بخس حقوق الإنسان في المكيال والميزان بأن يزيد الإنسان على حقه أو ينقص من حق غيره وسبب نزول السورة أنه كان بالمدينة رجل يقال له أبو جهينة له مكيالان يأخذ بالأوفى ويعطي بالأنقص فالسورة على هذا مدنية وقيل مكية لذكر أساطير الأولين وقيل نزل بعضها بمكة ونزل أمر التطفيف بالمدينة إذ كانوا أشد الناس فسادًا في هذا المعنى فأصلحهم الله بهذه السورة ﴿الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾ معنى اکتالوا على الناس قبضوا منهم بالكيل فعلى بمعنى من وإنما أبدلت منها لما تضمن الكلام من معنى التحامل عليهم ويجوز أن يتعلق على الناس بيستوفون وقدم المفعول لإفادة التخصيص ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ أو وزنوههم يخسرون

لَفِي سَجِينٍ ﴿٧﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَجِينٌ ﴿٨﴾ كِتَابٌ مَرْقُومٌ ﴿٩﴾ وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَكْذِبُونَ يَوْمَ

الرجل وأخسره غيره إذا جعله يخسر، وكالوهم معناه كالوا لهم أو وزنوهم معناه وزنوا لهم، ثم حذف حرف الجزر فانتصب المفعول لأن هذين الفعلين يتعدى كل واحد منهما تارة بنفسه وتارة بحرف الجزر يقال كِلْتَاكَ وَكِلْتَا لَكَ وَوَزْنَتْكَ وَوَزَنْتُ لَكَ بمعنى واحد وحذف المفعول الثاني وهو المكييل والموزون والواو التي هي ضمير الفاعل للمطففين والهاء الذي هي ضمير المفعول للناس فالمعنى إذا كالوا أو وزنوا لهم طعاماً أو غيره مما يُكَالُ أو يُوزَنُ يُخْسِرُونَهُمْ حَقُوقَهُمْ، وقيل إن هم في كالوهم أو وزنوهم تأكيد للضمير الفاعل وَرُوي عن حمزة أنه كان يقف على كالوا ووزنوا ثم يبتدىء هم ليبين هذا المعنى وهو ضعيف من وجهين، أحدهما: أنه لم يثبت في المصحف ألف بعد الواو في كالوا ووزنوا فدل ذلك على أن هم ضمير المفعول والآخر أن المعنى على هذا أن المطففين إذا تولوا الكيل أو الوزن نقصوا وليس ذلك بمقصود لأن الكلام واقع في الفعل لا في المباشر، ألا ترى أن اكتالوا على الناس معناه قبضوا منهم وكالوهم ووزنوهم معناه دفعوا لهم فقابل القبض بالدفع وأما على هذا الوجه الضعيف فهو خروج عن المقصود، قال ابن عطية **ظاهر الآية أن الكيل والوزن على الباعين وليس ذلك بالجليّ** قال صدر الآية في المشتريين فهم الذين يستوفون أو يشاؤون ويطلبون الزيادة وقوله وإذا كالوهم أو وزنوهم في الباعين فهم الذين يخسرون المشتري **﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾** يعني يوم القيامة، وهذا تهديد للمطففين وإنكار لفعلهم وكان عبد الله بن عمر إذا مرّ بالباع يقول له أتق الله وأوف الكيل فإن المطففين يوقفون يوم القيامة لعظمة الرحمن **﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾** الظرف منصوب بقوله مبعوثون وقيل بفعل مضمر أو بدل من يوم عظيم، وقيام الناس يوم القيامة على حسب اختلافهم فمنهم من يقوم خمسين ألف سنة وأقل من ذلك حتى أن المؤمن يقوم على قدر صلاة مكتوبة **﴿كَلَامٌ﴾** ردع عن التطفيف أو افتتاح كلام **﴿إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سَجِينٍ﴾** كتاب الفجار هو ما يكتب من أعمالهم، والفجار هنا يحتمل أن يريد به الكفار أو المطففين وإن كانوا مسلمين، والأول أظهر لقوله بعد هذا: **﴿وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾** وسجين اسم علم منقول من صفة على وزن فعيل للمبالغة وقد عظم أمره بقوله: **﴿مَا أَدْرَاكَ مَا سَجِينٌ﴾** ثم فسره بأنه كتاب مرقوم أي مسطور بين الكتابين وهو كتاب جامع يكتب فيه أعمال الشياطين والكفار والفجار وهو مشتق من السجن بمعنى الحبس لأنه سبب الحبس والتصديق في جهنم ولأنه في مكان الهوان والعذاب كالسجن، فقد روي عن النبي ﷺ أنه في الأرض السفلى، وروي عنه أنه في بئر هناك، وحكى كعب عن التوراة أنه في شجرة

الدِّينِ ﴿١١﴾ وَمَا يَكْذِبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا ثُلَّى عَلَيْهِ ءَايَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَنْبَارِ لَفِي عِلِّيَّينَ ﴿١٨﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَابٌ مَرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ الْأَنْبَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتْمُهُ مِسْكٌَ ﴿٢٦﴾ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْأُمْنَا فَسُونَ ﴿٢٧﴾

سوداء هنالك، وقال ابن عطية يحتمل أن يكون معنى الآية أن عدد الفجار في سجين أي كتبوا هنالك في الأزل ﴿أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ قد ذكر ﴿بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ أي غطى على قلوبهم ما كسبوا من الذنوب فطمس بصائرهم فصاروا لا يعرفون الرشد من الغي وفي الحديث أن العبد إذا أذنب ذنباً صارت نكتة سوداء في قلبه فإذا زاد ذنب آخر زاد السواد فلا يزال كذلك حتى يتغطى وهو الرين ﴿لَمَحْجُوبُونَ﴾ حجب الكفار عن الله على أن المؤمنين لا يحجبون وقد استدلل بها مالك والشافعي على صحة رؤية المؤمن لله في الآخرة وتأولها المعتزلة أن معناها محجوبون عن رحمته ﴿إِنَّ كِتَابَ الْأَنْبَارِ لَفِي عِلِّيَّينَ﴾ عليون اسم علم للكتاب الذي تكتب فيه الحسنات وهذا جمع منقول من صفة علي، على وزن فعيل للمبالغة وقد عظمه بقوله: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ﴾ ثم فسره بقوله: ﴿كِتَابٌ مَرْقُومٌ﴾ وهو مشتق من العلو لأنه سبب في ارتفاع الدرجات في الجنة، أو لأنه مرفوع في مكان علي فقد روي عن النبي ﷺ أنه تحت العرش، وقال ابن عباس: هو الجنة وارتفع كتاب مرقوم في الموضوعين على أنه خير مبتدأ مضمرة تقديره هو كتاب، وقال ابن عطية: كتاب مرقوم خبر إن والظرف ملغى وهذا تكلف يفسد به المعنى، وقد روي في الأثر ما روي في الآية وهو أن الملائكة تصعد بصحيفة فيها عمل العبد فإن رضي الله قال اجعلوه في عِلِّيَّينَ، وإن لم يرضه قال اجعلوه في سَجِينِ ﴿يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ يعني الملائكة المقربين ﴿الْأَرَائِكِ﴾ قد ذكر ﴿يَنْظُرُونَ﴾ روي عن النبي ﷺ أنه قال: «ينظرون إلى أعدائهم في النار» وقيل ينظرون إلى الجنة وما أعطاهم الله فيها ﴿نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾ أي بهجته ورويقه، كما يرى في وجوه أهل الرفاهية والعافية والخطاب في تعرف للنبي صلى الله عليه وآله وسلم أو لكل مخاطب من غير تعيين ﴿يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ﴾ الرحيق الخمر الصافية والمختوم فسره الله بأن ختامه مسك، وقرئ ختامه بألف بعد التاء، وخاتمه بألف بعد الخاء وبفتح التاء وكسرها وفي معناه ثلاثة أقوال: أحدها أنه من الختم على الشيء، بمعنى جعل الطابع عليه فالمعنى أنه ختم على

وَمِرَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُونَ ﴿٣٢﴾ وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى الْأَرَآئِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ تُؤِيبُ الْكُفَّارَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾

إذا قصد حفظها، وصيانتها، الثاني أنه من ختم الشيء أي تمامه فمعناه خاتم شربه مسك أي يجد الشارب عند آخر شربه رائحة المسك ولذته، الثالث أن معناه مزاجه مسك أي يمزج الشراب بالمسك، وهذا خارج عن اشتقاق اللفظ ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ التنافس في الشيء هو الرغبة فيه، والمغالاة في طلبه والتزاحم عليه ﴿وَمِرَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ﴾ تسنيم اسم لعين في الجنة، يشرب منها المقرَّبون صرفًا ويمزج منه الرحيق الذي يشرب منه الأبرار، فدل ذلك على أن درجة المقرَّبين فوق درجة الأبرار، فالمقرَّبون هم السابقون والأبرار هم أصحاب اليمين ﴿عَيْنًا﴾ منصوب على المدح بفعل مضمر، أو على الحال من تسنيم ﴿يَشْرَبُ بِهَا﴾ بمعنى يشربها فالباء زائدة ويحتمل أن يكون بمعنى يشرب منها أو كقولك شربت الماء بالعسل ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ﴾ نزلت هذه الآية في صناديد قريش، كأبي جهل وغيره مرَّ بهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه وجماعة من المؤمنين، فضحكوا منهم واستخفوا بهم ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ﴾ أي يغمز بعضهم إلى بعض ويشير بعينيه والضمير في مرَّوا يحتمل أن يكون للمؤمنين أو للكفار، والضمير في يتغامزون للكفار لا غير ﴿فَكِهِينَ﴾ من الفكاهة وهي اللهو أي يتفكهون بذكر المؤمنين، والاستخفاف بهم قاله الزمخشري ويحتمل أن يريد يتفكهون بنعيم الدنيا ﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُونَ﴾ أي إذا رأى الكفار المؤمنين نسبوهم إلى الضلال، وقيل إذا رأى المؤمنون الكفار نسبوهم إلى الضلال والأول أظهر وأشهر ﴿وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ﴾ أي ما أرسل الكفار حافظين على المؤمنين، يحفظون أعمالهم ويشهدون برئيتهم أو ضلالهم وكأنه قال كلامهم بالمؤمنين فضول منهم ﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾ يعني باليوم يوم القيامة إذ قد تقدّم ذكره فيضحك المؤمنون فيه من الكفار كما ضحك الكفار منهم في الدنيا ﴿هَلْ تُؤِيبُ الْكُفَّارَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ معنى تُؤِيبُ جُوزِي يقال ثوبه وأثابه إذا جازاه وهذه الجملة يحتمل أن تكون متصلة بما قبلها في موضع مفعول ينظرون فتوصل مع ما قبلها أو تكون توقيفًا فيوقف قبلها ويكون معمول ينظرون محذوفًا حسبما ذكرنا في ينظرون الذي قبل هذا وهذا أرجح لاتفاق الموضعين .

سورة الانشقاق

مكية وآياتها ٢٥ نزلت بعد الانفطار

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾ وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٥﴾ يَكَايُهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ أَوْفَىٰ كِتَابًا بِيَمِينِهِ ﴿٧﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ اختلف في هذا الانشقاق هل هو تشققها بالغمام أو انفتاحها أبواباً، وجواب إذا محذوف ليكون أبلغ في التهويل إذ يقدر السامع أقصى ما يتصوره وحذف للعلم به اكتفاء بما في سورة التكوير والانفطار من الجواب وقيل الجواب ما دلّ عليه فملاقية: أي إذا السماء انشقت لقي الإنسان ربه، وقيل الجواب أذنت على زيادة الواو وهذا ضعيف ﴿وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا﴾ معنى أذنت في اللغة استمعت وهو هنا عبارة عن طاعتها لربها وأنها انقادت لله حين أراد انشقاقها وكذلك طاعة الأرض لما أراد مدها وإلقاء ما فيها ﴿وَحُقَّتْ﴾ أي حق لها أن تسمع وتطيع لربها أو حق لها أن تشق من أهوال القيامة وهذه الكلمة من قولهم هو حقيق بكذا أو محقوق به أي يجب عليه أن يفعله فالمعنى يحق على السماء أن تسمع وتطيع لربها أو يحق عليها أن تشق، ويحتمل أن يكون أصله حقت بفتح الحاء وضم القاف على

فَسَوْفَ يَحَاسِبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ وِرَاءَ ظَهْرِهِ ﴿١٠﴾
فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُمْ ظَنُّوا أَن لَّنْ يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰ إِنَّ

حركتها إلى الحاء ﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ﴾ أي زال ما عليها من الجبال حتى صارت مستوية ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾ أي ألقَتْ ما في جوفها من الموتى للحشر وقيل ألقَتْ ما فيها من الكنوز وهذا ضعيف لأن ذلك يكون وقت خروج الدجال قبل القيامة والمقصود ذكر يوم القيامة وتخَلَّتْ أي بقيت خالية مما كان فيها ﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ﴾ خطاب للجنس ﴿إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ الكدح في اللغة هو الجَدُّ والاجتهاد والسرعة فالمعنى أنك في غاية الاجتهاد في السير إلى ربك لأن الزمان يطير وأنت في كل لحظة تقطع حطًا من عمرك القصير فكأنك سائر مسرع إلى الموت ثم تلاقي ربك، وقيل المعنى إنك ذو جدِّ فيما تعمل من خير أو شر ثم تلقى ربك فيجازيك به والأول أظهر لأن كادح تعذى بآلى لما تضمن معنى السير ولو كان بمعنى العمل لقال لربك ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾ ذكر في الحاقَّة ﴿فَسَوْفَ يُحَاسِبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ يحتمل أن يكون اليسير بمعنى قليل أو بمعنى هين سهل، وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ نَوَقَشَ الْحِسَابَ عَذَبٌ» فقالت عائشة: ألم يقل الله فسوف يحاسب حسابًا يسيرًا؟ فقال رسول الله ﷺ: «إنما ذلك العرض وأما مَنْ نَوَقَشَ الْحِسَابَ فِيهِلِكَ». وفي الحديث أيضًا عن رسول الله ﷺ: «إِنِ اللَّهُ يُدْنِي الْعَبْدَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَضَعَ كَنْفَهُ عَلَيْهِ فَيَقُولُ فَعَلْتَ كَذَا وَكَذَا وَيَعْدُدُّ عَلَيْهِ ذُنُوبَهُ ثُمَّ يَقُولُ سَتَرْتَهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ، وَرُوِيَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ حَاسَبَ نَفْسَهُ فِي الدُّنْيَا هَوَّنَ اللَّهُ عَلَيْهِ حِسَابَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» ﴿وَيَنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾ أي يرجع إلى أهله في الجنة مسرورًا بما أعطاه الله والأهل زوجاته في الجنة من نساء الدنيا أو من الحور العين ويحتمل أن يريد قرابته من المؤمنين وبذلك فسره الزمخشري ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ وِرَاءَ ظَهْرِهِ﴾ يعني الكافر وروى أن هاتين الآيتين نزلتا في أبي سلمة بن عبد الأسد وكان من فضلاء المؤمنين وفي أخيه أسود وكان من غُتاة الكافرين ولفظها أعم من ذلك فإن قيل كيف قال في الكافر هنا أن يؤتى كتابه وراء ظهره وقال في الحاقَّة بشماله؟ فالجواب من وجهين أحدهما أن يديه تكونان مغلولتين إلى عنقه وتجعل شماله وراء ظهره فيأخذ بها كتابه وقيل تدخل يده اليسرى في صدره وتخرج من ظهره فيأخذ بها كتابه ﴿يَدْعُوا ثُبُورًا﴾ أي يصيح بالويل والثبور ﴿إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾ أي كان في الدنيا مسرورًا مع أهله متنعمًا غافلًا عن الآخرة وهذا في مقابلة ما حُكِيَ عن المؤمن أنه ينقلب إلى أهله مسرورًا في الجنة وهو

رَبِّهِ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ﴿١٥﴾ فَلَا أَمْسِمُ بِالسَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ﴿١٨﴾ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ ﴿٢١﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يَكْذِبُونَ ﴿٢٢﴾ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا

ضد ما حكي عن المؤمنين في الجنة من قولهم: ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾ [الطور: ٢٦] ﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ﴾ أي لا يرجع إلى الله والمعنى أنه يكذب بالبعث ﴿بَلَى﴾ أي يحور ويبعث ﴿فَلَا أَمْسِمُ﴾ ذكر في نظائره ﴿بِالسَّفَقِ﴾ هي الحمرة التي تبقى بعد غروب الشمس وقال أبو حنيفة هو البياض وقيل هو النهار كله وهذا ضعيف والأول هو المعروف عند الفقهاء وعند أهل اللغة ﴿وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾ أي جمع وضَم ومنه الوسق وذلك أن الليل يضم الأشياء ويسترها بظلامه ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ﴾ أي إذا كمل ليلة أربعة عشر ووزن اتسق افتعل وهو مشتق من الوسق فكأنه امتلاً نوراً وفي الآية من أدوات البيان لزوم ما لا يلزم لالتزام السين قبل القاف في وسق واتسق ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ الطبق في اللغة له معنيان أحدهما ما طابق غيره يقال هذا طبق لهذا إذا طابقه والآخر جمع طبقة فعلى الأول يكون المعنى لتركبن حالاً بعد حال كل واحدة منها مطابقة للأخرى وعلى الثاني يكون المعنى لتركبن أحوالاً بعد أحوال هي طبقات بعضها فوق بعض ثم اختلف في تفسير هذه الأحوال وفي قراءة تركبن فاما من قرأ بضم الباء فهو خطاب لجنس الإنسان وفي تفسير الأحوال على هذا ثلاثة أقوال أحدها أنها شذائد الموت ثم البعث ثم الحساب ثم الجزاء والآخر أنها كون الإنسان نطفة ثم علقة إلى أن يخرج إلى الدنيا ثم إلى أن يهرم ثم يموت والثالث لتركبن سنن من كان قبلكم وأما من قرأ تركبن بفتح الباء فهو خطاب للإنسان على المعاني الثلاثة التي ذكرنا وقيل هي خطاب للنبي ﷺ ثم اختلف القائلون بهذا على ثلاثة أقوال أحدها لتركبن مكابدة الكفار حالاً بعد حال والآخر لتركبن فتح البلاد شيئاً بعد شيء والثالث لتركبن السموات في الإسراء بعد سماء وقوله عن طبق في موضع الصفة لطبقاً أو في موضع حال من الضمير في تركبن قاله الزمخشري ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ الضمير لكفار قريش والمعنى أي شيء يمنعونهم من الإيمان ﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ﴾ هذا موضع سجدة عند الشافعي وغيره لأن رسول الله ﷺ سجد فيها وليست عند مالك من عزائم السجديات ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني المذكورين ووضع الظاهر موضع الضمير ليصفهم بالكفر ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾ أي بما يجمعون في صدورهم من الكفر والتكذيب أو بما يجمعون في صحائفهم

سورة البروج

مكية وآياتها ٢٢ نزلت بعد الشمس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾ قُلْ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ النَّارِ ذَاتِ
الْوُقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ البروج هي المنازل المعروفة وهي اثنا عشر، تقطعها الشمس في السنة، وقيل هي النجوم العظام لأنها تتبرج أي تظهر ﴿وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ﴾ هو يوم القيامة باتفاق وقد ذُكر عن رسول الله ﷺ ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ يحتمل الشاهد والمشهد أن يكون من الشهادة على الأمر أو يكون من معنى الحضور وحذف المعمول وتقديره مشهد عليه أو مشهد به أو مشهد فيه، وقد اضطرب الناس في تفسير الشاهد والمشهد اضطراباً عظيماً ويتلخص من أقوالهم في الشاهد ستة عشر قولاً يقابلها في المشهد اثنان وثلاثون قولاً، الأول: أن الشاهد هو الله تعالى لقوله: ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٧٩]؛ والمشهد على هذا يحتمل ثلاثة أوجه، أحدها أن يكون الخلق بمعنى أنه يشهد عليهم والآخر أن تكون الأعمال بمعنى أنه يشهد بها والثالث أن يكون يوم القيامة بمعنى أن يشهد فيه أي يحضر للحساب والجزاء. أن الشاهد محمد

صلى الله عليه وآله وسلم لقوله: ﴿وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣] والمشهود على هذا يحتمل أن يكون أمته لأنه يشهد عليهم أو أعمالهم لأنه يشهد بها أو يوم القيامة لأنه يشهد فيه أي يحضر أو تقع فيه الشهادة على الأمة، القول الثالث: أن الشاهد أمة محمد ﷺ لقوله: ﴿لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣] والمشهود على هذا سائر الأمم لأنهم يشهدون عليهم أو أعمالهم أو يوم القيامة، القول الرابع أن الشاهد هو عيسى عليه السلام والمشهود أمته لقوله: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ [المائدة: ١١٧] أو أعمالهم، أو يوم القيامة. الخامس أن الشاهد جميع الأنبياء، والمشهود أممهم لأن كل نبي يشهد على أمته، أو يشهد القول بأعمالهم أو يوم القيامة لأنه يشهد فيه، القول السادس أن الشاهد الملائكة الحفظة والمشهود على هذا الناس، لأن الملائكة يشهدون عليهم أو الأعمال لأن الملائكة يشهدون بها أو يوم القيامة أو صلاة الصبح لقوله: ﴿إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: ٧٨] القول السابع أن الشاهد جميع الناس، لأنهم يشهدون يوم القيامة أي يحضرونها والمشهود يوم القيامة لقوله: ﴿فَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾ [هود: ١٠٣] والقول الثامن أن الشاهد الجوارح والمشهود عليه أصحابها لقوله: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ﴾ [النور: ٢٤] أو الأعمال لأن الجوارح تشهد بها يوم القيامة لأن الشهادة تقع فيه، القول التاسع أن الشاهد الله والملائكة وأولو العلم لقوله: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ١٨] والمشهود به الوجدانية، القول العاشر الشاهد جميع المخلوقات والمشهود به وجود خالقها وإثبات صفاته من الحياة والقدرة وغير ذلك، القول الحادي عشر أن الشاهد النجم لما ورد في الأحاديث لا صلاة بعد العصر حتى يطلع الشاهد وهو النجم والمشهود على هذا الليل والنهار لأن النجم يشهد بانقضاء النهار ودخول الليل القول الثاني عشر أن الشاهد الحجر الأسود والمشهود الناس الذين يحجون. القول الثالث عشر روي عن النبي ﷺ أن الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة وذلك أن يوم الجمعة يشهد بالأعمال ويوم عرفة يشهده جمع عظيم من الناس، القول الرابع عشر أن الشاهد يوم عرفة والمشهود يوم النحر قاله علي بن أبي طالب. القول الخامس عشر أن الشاهد يوم التروية والمشهود يوم عرفة. القول السادس عشر أن الشاهد يوم الاثنين والمشهود يوم الجمعة ﴿قَتَلَ أَصْحَابَ الْأَخْذُودِ﴾ الكلام هنا في ثلاثة فصول: الأول في جواب القسم وفيه أربعة أقوال أحدها أنه قوله: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ [البروج: ١٢] والثاني أنه ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [البروج: ١٠] وهذان القولان ضعيفان لبعد القسم من الجواب، وثالثها أنه ﴿قَتَلَ أَصْحَابَ

الأخْدُودُ ﴿ تقديره لقد قتل ورابعها أنه محذوف يدل عليه قتل أصحاب الأخدود تقديره لقد قتل هؤلاء الكفار كما قتل أصحاب الأخدود وذلك أن الكفار من قريش كانوا يعذبون من أسلم من قومهم ليرجعوا عن الإسلام فذكر الله قصة أصحاب الأخدود وعيدًا للكفار وتأييسًا للمسلمين المعديين، الفصل الثاني في تفسير لفظها، فأما قتل فاختلف هل هو دعاء أو خبر واختلف هل هو بمعنى القتل حقيقة أو بمعنى اللعن، وأما الأخدود فهو الشق في الأرض كالخندق وشبهه، وأما أصحاب الأخدود فيحتمل أن يريد بهم الكفار الذين كانوا يحرقون المؤمنين في الأخدود أو يريد المؤمنين الذين حرقوا فيه فيكون القتل حقيقة خبر، أو الأول أظهر. الفصل الثالث في قصة أصحاب الأخدود وفيها أربعة أقوال: الأول ما ورد عن رسول الله ﷺ في حديث طويل معناه: أن ملكًا كافرًا أسلم أهل بلده، فأمر بالأخدود فخذ في أفواه السكك وأضرم فيها النيران فقال من لم يرجع عن دينه فألقوه فيها ففعلوا حتى جاءت امرأة ومعها صبي لها فتقاعست أن تقع فيها فقال لها الغلام يا أمه اصبري فإنك على الحق. الثاني أن ملكًا زنى بأخته ثم أراد أن يحلل للناس نكاح الأخوات فأطاعه قوم ومنهم أخذ المجوس ذلك، وعصاه قوم فحفر لهم الأخدود فأحرقهم فيه بالنار. القول الثالث أن نبي أصحاب الأخدود كان حبشيًا وأن الحبشة بقيّة أصحاب الأخدود. القول الرابع أن أصحاب الأخدود ذو نواس المذكورة في قصة عبد الله بن التامر التي وقعت في السير، ويحتمل أن يكون ذو نواس الملك الذي ذكره النبي ﷺ فيتنفق هذا القول مع الأول فإن ذا نواس حفر أخدوداً فأوقد فيه نيراناً وألقى فيها كل من وخذ الله تعالى واتبع العبد الصالح عبد الله بن التامر ﴿النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ﴾ النار بدل من الأخدود وهو بدل اشتمال والوقود ما توقد به النار والقصد وصف النار بالشدّة والعظم ﴿إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ﴾ الضمير للكفار الذين كانوا يحرقون المؤمنين في الأخدود وهم أصحاب الأخدود على الأظهر والعامل في إذ قوله قتل فرؤي أن النار أحترقت من المؤمنين عشرين ألفاً، وقيل سبعين ألفاً فقتل على هذا بمعنى لعن أي لعنوا حين قعدوا على النار لتحريق المؤمنين ورؤي أن الله بعث على المؤمنين ريحاً فقبضت أرواحهم وخرجت النار فأحترقت الكفار الذين كانوا عليها فقتل على هذا بمعنى القتل الحقيقي أي قتلهم النار؛ وقيل الضمير في إذ هم للمؤمنين والأول أشهر وأظهر لقوله: ﴿وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾ يحتمل أن يكون بمعنى الشهادة أي يشهد بعضهم لبعض عند الملك بأنه فعل ما أمره الملك من التحريق أو يشهدون بذلك على أنفسهم يوم القيامة أو يكون الضمير أمكانه ذلك الفعل ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ﴾ أي ما انكر الكفار على المؤمنين إلا أنهم آمنوا بالله وهذا لا ينبغي

بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ
فَنَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴿١١﴾ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُمْ
هُوَ بَدِئٌ وَيُعِيدُهُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَالٌ لِمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلْ أُنَبِّئُكَ حَدِيثَ
الْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَنَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ
مَجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾

أن ينكر فإن قيل لِمَ قال أن يؤمنوا بلفظ المضارع ولم يقل آمنوا بلفظ الماضي لأن القصة قد وقعت؟ فالجواب أن التعذيب إنما كان على دوامهم على الإيمان ولو كفروا في المستقبل لم يعذبوهم فلذلك ذكره بلفظ المستقبل فكأنه قال إلا أن يدوموا على الإيمان ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ إن كانت هذه الآية في أصحاب الأخدود فالفتنة هنا بمعنى الإحراق وإن كانت في كفار قريش فالفتنة بمعنى المحنة والتعذيب وهذا أظهر لقوله: ﴿ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا﴾ لأن أصحاب الأخدود لم يتوبوا بل ماتوا على كفرهم وأما قريش فمنهم من أسلم وتاب وفي الآية دليل على أن الكافر إذا أسلم يغفر له ما فعل في حال كفره لقوله ﷺ: «الإسلام يجب ما قبله» ﴿وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ يحتمل أن يكون في الآخرة فيكون تأكيداً لعذاب جهنم أو نوعاً من العذاب زيادة إلى عذاب جهنم ويحتمل أن يريد في الدنيا وذلك على رواية أن الكفار أصحاب الأخدود أحرقتهم النار ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ البطش الأخذ بقوة وسرعة ﴿إِنَّهُ هُوَ بَدِئٌ وَيُعِيدُ﴾ أي يبدئ الخلق بالنشأة الأولى ويُعيدهم بالنشأة الآخرة للبعث وقيل يبدئ البطش ويعيده أي يبسط بهم في الدنيا والآخرة والأول أظهر وأرجح لقوله إنه يبدئ الخلق ثم يعيده وقد ذكرنا الودود في اللغات ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ﴾ أضاف العرش إلى الله وخصه بالذكر لأن العرش أعظم المخلوقات والمجيد من المجد وهو الشرف ورفعة القدر وقرىء المجيد بالرفع صفة لذو العرش وبالخفض صفة للعرش ﴿هَلْ أُنَبِّئُكَ﴾ توقيف يُراد به التنبيه وتعظيم الأمر والمراد بذكر الجنود تهديد الكفار وتأنيس النبي ﷺ ﴿وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ﴾ تهديد لهم معناه لا يفوتونه بل يصيبهم عذابه إذا شاء ﴿فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾ يعني اللوح المحفوظ الذي في السماء وقرىء: محفوظ بالخفض صفة للوح وبالرفع صفة للقرآن أي حفظه الله من التبديل والتغيير أو حفظه المؤمنين في صدورهم.

سورة الطارق

مكية وآياتها ١٧ نزلت بعد البلد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴿٢﴾ النُّجُومُ الثَّاقِبُ ﴿٣﴾ إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ تُبْلَى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ﴾ هذه السماء التي أقسم الله بها هي المعروفة وقيل أراد المطر لأن العرب قد تسميه سماء وهذا بعيد والطارق في اللغة ما يطرق أي يجيء ليلاً وقد فسره الله هنا بأنه النجم الثاقب وهو يطلع ليلاً ومعنى الثاقب المضيء أو المرتفع فليل أراد جنس النجوم وقيل الثريا لأنه الذي تطلق عليه العرب النجم وقيل زُحَل لأنه أرفع النجوم إذ هو في السماء السابعة ﴿إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ هذا جواب القسم ومعناه عند الجمهور أن كل نفس من بني آدم عليها حافظ يكتب أعمالها يعني الملائكة الحَفَظَةُ وَرُوي عن النبي ﷺ في تفسير هذه الآية أن لكل نفس حَفَظَةُ من الله يذبون عنها كما يذب عن العسل ولو وكل المرء إلى نفسه طرفة عين لا اختطفته الآفات والشياطين وإن صحَّ هذا الحديث فهو المعمول عليه وقرئ لما عليها بتخفيف الميم وعلى هذا تكون إن مخففة من الثقيلة واللام للتأكيد وما زائدة وقرئ

السَّرَائِرُ ﴿١٠﴾ فَأَلْوَمِن قُوَّةً وَلَا نَاصِرَ ﴿١١﴾ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ﴿١٢﴾ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ﴿١٣﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ ﴿١٤﴾

النفي ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ يَسْمَ خُلِقَ﴾ حذف ألف ما لأنها استفهامية وجوابها خلق من ماء دافق وسُمي المنّي ماءً دافقاً من الدفق بمعنى الدفع فقليل معناه مدفوق وصاحبه هو الدافق في الحقيقة قال سيبويه هو على النسب أي ذو دفق، وقال ابن عطية يصح أن يكون الماء دافقاً لأن بعضه يدفع بعضاً ومقصود الآية إثبات الحشر فأمر الإنسان أن ينظر أصل خلقته ليعلم أن الذي خلقه من ماء دافق قادر على أن يعيده ووجه اتصال هذا الكلام بما قبله أنه لما أخبر أن كل نفس عليها حافظ يحفظ أعمالها أعقبه بالتنبيه على الحشر حيث تُجازى كل نفس بأعمالها ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ الضمير في يخرج للماء وقال ابن عطية يحتمل أن يكون للإنسان وهذا بعيد جداً والترائب عظام الصدر واحدها تريبة وقيل هي الأطراف كاليدين والرجلين، وقيل هي عَصارة القلب، ومنها يكون الولد، وقيل هي الأضلاع التي أسفل الصلب، والأول هو الصحيح المعروف في اللغة ولذلك قال ابن عباس: هي موضع القلادة ما بين ثديي المرأة، ويعني صلب الرجل وترائبه وصلب المرأة وترائبها، وقيل أراد صلب الرجل وترائب المرأة ﴿إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ﴾ الضمير في إنه الله تعالى وفي رجعه للإنسان، والمعنى أن الله قادر على رجوع الإنسان حياً بعد موته، والمراد إثبات البعث، وقيل إن المعنى رده ماء كما كان أول مرة، وقيل رده من الكبير إلى الشباب، وقيل الضمير في رجعه للماء الدافق، والمعنى رده في الإسخيل أو في الصلب وهذا كله ضعيف بعيد والقول الأول هو الصحيح المشهور ﴿يَوْمَ تَبْلَى السَّرَائِرُ﴾ يعني يوم القيامة، والسرائر جمع سريرة وهي ما أسر العبد في قلبه من العقائد والنيات وما أخفى من الأعمال وبلاؤها هو تعرفها والإطلاع عليها، وزوي عن النبي ﷺ أن السرائر الإيمان والصلاة والزكاة والغسل من الجنابة وهذه معظمها فلذلك خصها بالذكر، والعامل في يوم قوله رجعه أي يرجعه يوم تبلى السرائر، واعترض بالفصل بينهما وأجيب بقوة المصدر في العمل، وقيل العامل قادر واعترض بتخصيص القدرة بذلك اليوم وهذا لا يلزم لأن القدرة وإن كانت مطلقة فقد أخبر الله أن البعث إنما يقع في ذلك اليوم وقال من احترز من الاعتراضين في القولين المتقدمين: العامل فعل مضمون من المعنى تقديره يرجعه يوم تبلى السرائر، وهذا كله على المعنى الصحيح في رجعه، وأما على الأقوال الأخر فالعامل في يوم مضمون تقديره اذكر ﴿فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾ الضمير للإنسان ولما كان دفع المكارة في الدنيا إما بقوة الإنسان أو بنصرة غيره له أخبره الله أنه يعدمها يوم القيامة ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾ المراد بالرجع عند الجمهور المطر وسماه رجعاً بالمصدر لأنه الرجح كل عام أو لأنه يرجع إلى

وَمَا هُوَ بِأَهْرَاقٍ ﴿١٥﴾ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٦﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٧﴾ فَمَهَلٌ الْكَافِرِينَ أَمْهَلُهُمْ رُوَيْدًا ﴿١٨﴾

الأرض، وقيل يرجع السحاب الذي فيه المطر، وقيل هو مصدر رجوع الشمس والكواكب من منزلة إلى منزلة ﴿وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾ يعني ما تصدع عنه الأرض من النبات، وقيل يعني ما في الأرض من الشقاق والخنادق وشبهها ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ فَضْلٍ﴾ الضمير للقرآن، لأن سياق الكلام يقتضيه والفصل معناه الذي فصل بين الحق والباطل كما قيل له فرقان والهزل اللهو يعني أنه جد كله ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾ الضمير لكفار قريش وكيدهم هو ما دبروه في شأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الإضرار به وإبطال أمره ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ هذا تسمية للعقوبة باسم الذنب للمشاكلة بين الفعلين ﴿فَمَهَلٌ الْكَافِرِينَ﴾ أي لا تستعجل عليهم بالعقوبة لهم أو بالدعاء عليهم وهذا منسوخ بالسيف ﴿أَمْهَلُهُمْ رُوَيْدًا﴾ أي إمهالاً يسيراً قليلاً يعني إلى قتلهم يوم بدر أو إلى الدار الآخرة وجعله يسيراً لأن كل آت قريب ولفظ رويداً هذا صفة لمصدر محذوف وقد تقع بمعنى الأمر بالتساهل كقولك رويداً يا فلان وكرر الأمر في قوله أمهلهم وخالف بينه وبين لفظ مهل لزيادة التسكين والتصبير قاله الزمخشري.

سورة الأعلى

مكية وآياتها ١٩ نزلت بعد التكوير

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ﴿٢﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ﴿٣﴾ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُ غَنَاءً أَحْوَى ﴿٥﴾ سُنُقِرُكَ فَلَآ تُنْسَى ﴿٦﴾ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى ﴿٧﴾ وَيُبَيِّرُكَ لِلْيُسْرَى ﴿٨﴾ فَذَكَّرْ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

«سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى» التسيب في اللغة التنزيه وذكر الاسم هنا يحتمل وجهين: أحدهما أن يكون المراد المسمى ويكون الاسم صلة كالزائد، ومعنى الكلام سَبِّحْ رَبَّكَ أَي نَزِّهْهُ عَمَّا لَا يَلِيْقُ بِهِ، وَقَدْ يَتَخَرَّجُ ذَلِكَ عَلَى قَوْل مَنْ قَالَ إِنَّ الْأِسْمَ هُوَ الْمُسَمَّى، وَالْآخَرُ أَنَّ يَكُونُ الْأِسْمَ مَقْصُودًا بِالذِّكْرِ وَيَحْتَمِلُ الْمَعْنَى عَلَى هَذَا أَرْبَعَةَ أَوْجُهٍ، الْأَوَّلُ: تَنْزِيهِ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى عَنِ الْمَعَانِي الْبَاطِلَةِ كَالْتَشْبِيهِ وَالتَّعْطِيلِ، الثَّانِي: تَنْزِيهِ أَسْمَاءِ اللَّهِ عَنِ أَنْ يُسَمَّى بِهَا صَنْمٌ أَوْ وَثْنٌ، الثَّلَاثُ: تَنْزِيهِ أَسْمَاءِ اللَّهِ عَنِ أَنْ تُدْرَكَ فِي حَالِ الْغَفْلَةِ دُونَ خُشُوعٍ، الرَّابِعُ: أَنَّ الْمُرَادَ قَوْلَ سُبْحَانَ اللَّهِ وَلَمَّا كَانَ التَّسْبِيحُ بِاللِّسَانِ لَا بَدَّ فِيهِ مِنْ ذِكْرِ الْأِسْمِ أَوْ قَعِ التَّسْبِيحِ عَلَى الْأِسْمِ وَهَذَا الْقَوْلُ هُوَ الصَّحِيحُ وَيُؤَيِّدُهُ مَا وَرَدَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ إِذَا قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ قَالَ سُبْحَانَ رَبِّي الْأَعْلَى وَأَنَّهَا لَمَّا نَزَلَتْ قَالَ اجْعَلُوهَا فِي سَجُودِكُمْ فَذَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ هُوَ التَّسْبِيحُ بِاللِّسَانِ مَعَ مُوَافَقَةِ الْقَلْبِ وَلَا بَدَّ فِي التَّسْبِيحِ بِاللِّسَانِ مِنْ ذِكْرِ اسْمِ اللَّهِ تَعَالَى فَلِذَلِكَ

قال سَبَّحَ اسم ربك الأعلى مع أن التسييح في الحقيقة إنما هو لله تعالى لا لاسمه وإنما ذكر الاسم لأنه هو الذي يوصل به إلى التسييح باللسان وعلى هذا يكون موافقاً في المعنى لقوله: ﴿فَسَبَّحْ بِأَسْمِ رَبِّكَ﴾ لأن معناه نزه الله بذكر اسمه ويؤيد هذا ما رُوِيَ عن ابن عباس أن معنى سَبَّحَ صَلَّ بِاسْمِ رَبِّكَ أي صَلَّ واذكر في الصلاة اسم ربك، والأعلى يحتمل أن يكون صفة للرب أو للاسم والأول أظهر ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى﴾ حذف مفعول خلق وسَوَّى لقصد الإجمال الذي يفيد العموم والمراد خلق كل شيء فسواه أي أتقن خلقته وانظر ما ذكرنا في قوله: ﴿فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ﴾ [الانفطار: ٧] ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾ قدر بالتشديد يحتمل أن يكون من القدر والقضاء أو من التقدير والموازنة بين الأشياء، وقرئ بالتخفيف فيحتمل أن يكون من القدرة أو التقدير وحذف المفعول ليفيد العموم فإن كان من التقدير فالمعنى قدر لكل حيوان ما يصلحه فهداه إليه وعزفه وجه الانتفاع به، وقيل هدى ذكور الحيوان إلى وطء الإناث لبقاء النسل وقيل هدى المولود عند وضعه إلى مص الثدي وقيل هدى الناس للخير والشر والبهايم للمراتع وهذه الأقوال أمثلة والأول أعم وأرجح فإن هداية الإنسان وسائر الحيوانات إلى مصالحها باب واسع فيه عجائب وغرائب، وقال الفراء المعنى هدى وأضلّ واكتفى بالواحدة لدلالاتها على الأخرى وهذا بعيد ﴿وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى﴾ المرعى هو النبات الذي ترعاه البهائم، والغثاء هو النبات اليابس المحتطم، وأحوى معناه أسود وهو صفة لغثاء والمعنى أن الله أخرج المرعى أخضر فجعله بعد خضرته غثاء أسود لأن الغثاء إذا قَدِمَ تَعَفَّنَ واسودَّ، وقيل: إن أحوى حال من المرعى، ومعناه: الأخضر الذي يضرب إلى السواد وتقديره الذي أخرج المرعى أحوى فجعله غثاء، وفي هذا القول تكلف ﴿سَنُقَرِّبُكَ فَلَا تَنْسَى﴾ هذا خطاب للنبي ﷺ وعده الله أن يقرئه القرآن فلا ينساه، وفي ذلك معجزة له عليه الصلاة والسلام لأنه كان أمياً لا يكتب وكان مع ذلك لا ينسى ما أقرأه جبريل عليه السلام من القرآن، وقيل معنى الآية كقوله: ﴿لَا تُحْرَكْ بِهِ لِسَانُكَ﴾ [القيامة: ١٦] الآية: فإنه عليه الصلاة والسلام كان يحرك به لسانه إذا أقرأه جبريل خوفاً أن ينساه فضمن الله له أن لا ينساه، وقيل ﴿فَلَا تَنْسَى﴾: نهي عن النسيان وقد علم الله أن ترك النسيان ليس في قدرة البشر فالمراد الأمر بتعاهده حتى لا ينساه وهذا بعيد لإثبات الألف في تنسى ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ فيه وجهان: أحدهما أن معناه لا تنسى إلا ما شاء الله أن تنساه أو نسيها والآخر أنه لا ينسى شيئاً ولكن قال إلا ما شاء الله تعظيماً لله بإسناد الأمر إليه كقوله: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ [الأنعام: ١٢٨] على بعض الأقوال وعبر الزمخشري [Made searchable using ScribeTools.com](http://www.Made-searchable-using-ScribeTools.com) في الأول أظهر فإن

إِنْ نَفَعَتِ الذُّكْرَى ٩ سَيَذَكُرُ مِنْ يَخْشَى ١٠ وَنَجَّيْنَاهَا الْأَشْقَى ١١ الَّذِي يَصَلِي النَّارَ الْكُبْرَى ١٢ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ١٣ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ١٤ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ١٥ بَلْ تُؤَثِّرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ١٦ وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ١٧ إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى ١٨ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ١٩

النسيان جائز على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيما أراد الله أن يرفعه من القرآن أو فيما قضى الله أن ينساه ثم يذكره ومن هذا قول النبي ﷺ حين سمع قراءة عباد بن بشير رحمه الله: «لقد أذكرني كذا وكذا آية كنت قد نسيتها» **«وَيُؤَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى»** عطف على سنقرؤك ومعناه توفيقك للأمور المرضية التي توجب لك السعادة، وقيل معناه للشرعية اليسرى من قوله عليه الصلاة والسلام: «دين الله يُسر» أي سهل لا حرج فيه **«فَذَكَّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذُّكْرَى»** المراد بهذا الشرط توبيح الكفار الذين لا تنفعهم الذكرى، واستبعاد تأثير الذكرى في قلوبهم كقولك قد أوصيتك لو سمعت، وقيل المعنى ذكّر إن نفعت الذكرى وإن لم تنفع واقتصر على أحد القسمين لدلالة الآخر عليه وهذا بعيد وليس عليه الرونق الذي على الأول **«سَيَذَكُرُ مَنْ يَخْشَى»** أي من يخاف الله **«وَيَنَجِّيْنَاهَا الْأَشْقَى»** يعني الكافر وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة، والضمير المفعول للذكرى **«النَّارَ الْكُبْرَى»** هي نار جهنم وسماها كبرى بالنظر إلى نار الدنيا وقيل سماها كبرى بالنظر إلى غيرها من نار جهنم فإنها تتفاضل، وبعضها أكبر من بعض وكلا القولين صحيح إلا أن الأول أظهر ويؤيده قول رسول الله ﷺ: «ناركم هذه التي توقدون جزءاً من سبعين جزءاً من نار جهنم» **«ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى»** أي لا يموت فيستريح ولا يحيا حياة هنيئة وعطف هذه الجملة بضم لأن هذه الحالة أشد من صلي النار فكانها بعده في الشدة **«قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى»** يحتمل أن يكون بمعنى الطهارة من الشرك والمعاصي أو بمعنى الطهارة للصلاة أو بمعنى أداء الزكاة وعلى هذا قال جماعة إنها يوم الفطر والمعنى أدى زكاة الفطر **«وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ»** في طريق المصلى إلى أن يخرج الإمام وصلى صلاة العيد، وقد روي عن النبي ﷺ وقيل المراد أدى زكاة ماله وصلى الصلوات الخمس **«إِنَّ هَذَا»** الإشارة إلى ما ذكر من التزهيد في الدنيا والترغيب في الآخرة أو إلى ما تضمنته السورة أو إلى القرآن بجملته، والمعنى أنه ثابت في كتب الأنبياء المتقدمين كما ثبت في هذا الكتاب.

سورة الغاشية

مكية وآياتها ٢٦ نزلت بعد الذاريات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ﴿١﴾ وَجُوهٌُ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْفَى
مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ﴿٥﴾ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيحٍ ﴿٦﴾ لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ ﴿٧﴾ وَجُوهٌُ يَوْمَئِذٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿هَلْ أَتَاكَ﴾ توقيف يراد به التنبيه والتفخيم للأمر، وقيل هل بمعنى قد وهذا ضعيف
﴿الْغَاشِيَةِ﴾ هي القيامة لأنها تغشى جميع الخلق، وقيل هي النار من قوله وتغشى وجوههم
النار وهذا ضعيف لأنه ذكر بعد ذلك قسمين أهل الشقاوة وأهل السعادة ﴿خَاشِعَةٌ﴾ أي ذليلة
﴿عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ﴾ هو من النصب بمعنى التعب وفي المراد بهم ثلاثة أقوال: أحدها أنهم
الكفار ويحتمل على هذا أن يكون عملهم ونصبهم في الدنيا لأنهم كانوا يعملون أعمال
السوء ويتعبون فيها أو يكون في الآخرة فيعملون فيها عملاً يتعبون فيه من جرّ السلاسل
والأغلال وشبه ذلك ويكون زيادة في عذابهم: الثاني أنها في الرهبان الذين يجتهدون في
العبادة ولا تُقبل منهم لأنهم على غير الإسلام وبهذا تأولها عمر بن الخطاب رضي الله عنه
وبكى رحمة لراهب نصراني رآه مجتهداً فعاملة ناصبة على هذا في الدنيا وناصبة إشارة إلى
اجتهادهم في العمل أو التمسك بالدين في الآخرة إلا النصب الثالث أنها في القدرية

تَأْعَمَةٌ ﴿٨﴾ لَسَعِيهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَةً ﴿١١﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَارٌ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزُرَائِيٌّ مَبْنُوتَةٌ ﴿١٦﴾ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ

وقد رُوِيَ أن رسول الله ﷺ ذكر القدرية فبكى وقال إن فيهم المجتهد ﴿تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آتِيَةٍ﴾ أي شديدة الحرّ ومنه حميم آن ووزن آتية هنا فاعلة بخلاف آتية من فضة فإن وزنه أفعله ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيحٍ﴾ في الضريح أربعة أقوال: أحدها أنه شوك يقال له البشرك وهو سُمُّ قاتل وهذا أرجح الأقوال لأن أرباب اللغة ذكروه ولأن النبي ﷺ قال: «الضريح شوك في النار». الثاني أنه الزقوم لقوله: «إن شجرة الزقوم طعام الأثيم». الثالث أنه نبات أخضر مُتَمَتِّن يَنْبِت في البحر وهذا ضعيف، الرابع أنه وإد في جهنم وهذا ضعيف لأن ما يجري في الوادي ليس بطعام إنما هو شراب والله دَرَّ مَنْ قَالَ الضريح طعام أهل النار فإنه أعمّ وأسلم من عهدة التعيين واشتقاقه عند بعضهم من المضارعة بمعنى المشابهة لأنه يشبه الطعام الطيب وليس به، وقيل هو بمعنى مضرع للبدن أي مضجع قيل إن العرب لا تعرف هذا اللفظ، فإن قيل: كيف قال هنا ليس لهم طعام إلا من ضريح وقال في الحاقة ولا طعام إلا من غسلين؟ فالجواب أن الضريح لقوم والغسلين لقوم أو يكون أحدهما في حال والآخر في حال ﴿لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ﴾ هذه الجملة صفة لضريح أو لطعام نفى عنه منفعة الطعام وهي التسمين وإزالة الجوع ﴿وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ﴾ أي متنعمة في الجنة أو يظهر عليها نضرة النعيم ﴿لَسَعِيهَا رَاضِيَةٌ﴾ أي راضية في الآخرة لأجل سعيها وهو عملها في الدنيا ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ يحتمل أن يكون من علو المكان أو من علو المقدار أو الوجهين ﴿لَا تَسْمَعُ فِيهَا لِأَغِيَةً﴾ هو من لغو الكلام ومعناه الفحش وما يُكره فيحتمل أن يريد كلمة لاغية أو جماعة لاغية ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾ يحتمل أن يريد جنس العيون أو واحدة شرفها بالتعيين ﴿وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ﴾ قد ذكرنا أكواب ومعنى موضوعة حاضرة معدة بشرابها وفي قوله مرفوعة وموضوعة مطابقة ﴿وَنَمَارِقُ﴾ جمع نمرقة وهي الوسادة ﴿وَزُرَائِيٌّ﴾ هي بسط فاخرة وقيل هي الطنافس واحدها زربية ﴿مَبْنُوتَةٌ﴾ أي متفرقة وذلك عبارة عن كثرتها وقيل مبسوطة ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ﴾ حضّ على النظر في خلقتها لما فيها من العجائب في قوتها وانقيادها مع ذلك لكل ضعيف وصبرها على العطش وكثرة المنافع التي فيها من الركوب والحمل عليها وأكل لحومها وشرب ألبانها وأبوالها وغير ذلك وقيل أراد بالإبل السحاب وهذا بعيد وإنما حمل فائله عليه مناسبتها للسماء والأرض والجبال والصحيح أن المراد الحيوان المعروف وإنما ذكره لما فيه من العجائب ولاعتناء العرب به إذ كانت

كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ
 سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكَرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾
 فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴿٢٦﴾

معاشيهم في الغالب منه وهو أكثر المواشي في بلادهم ﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾ أي قاهر
 متسلط وهذا من المنسوخ بالسيف ﴿إِلَّا مَنْ تَوَلَّى﴾ استثناء منقطع معناه لكن من تولى
 ﴿وَكَفَرَ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ﴾ وقيل هو استثناء من مفعول فذكر والمعنى ذكر كل أحد إلا من تولى
 حتى يثبت منه فهو على هذا متصل، وقيل هو استثناء من قوله لست عليهم بمسيطر أي لا
 تسلط إلا على من تولى وكفر وهو على هذا متصل ولا نسخ فيه إذ لا موادة فيه وهذا بعيد
 لأن السورة مكية والموادة بمكة ثابتة ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾ أي رجوعهم والآية تهديد.

سورة الفجر

مكية وآياتها ٣٠ نزلت بعد الليل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴿٣﴾ وَآيَاتِ إِذَا سَرَ ﴿٤﴾ هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حَجْرِ ﴿٥﴾ أَلَمْ تَرَ ﴿٦﴾ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿١﴾ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٢﴾ الَّتِي لَمْ يُخَلِّقْ مِثْلَهَا فِي الْعَالَمِ ﴿٣﴾ أَلَمْ تَرَ ﴿٤﴾ وَتَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْفَجْرِ﴾ أقسم الله تعالى بالفجر وهو الطالع كل يوم كما أقسم بالصبح، وقيل أراد صلاة الفجر وقيل أراد النهار كله، وقيل فجر يوم الجمعة وقيل فجر يوم النحر وقيل فجر ذي الحجة ولا دليل على هذه التخصيصات وقيل أراد انفجار العيون من الحجارة وهذا بعيد والأول أظهر وأشهر ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ هي عشر ذي الحجة عند الجمهور وقيل العشر الأول من المحرم وفيها عاشوراء وقيل العشر الأواخر من رمضان وقيل العشر الأول منه ﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾ رُوِيَ عن النبي ﷺ أن الشفع يوم النحر والوتر يوم عرفة، ورُوِيَ عنه عليه الصلاة والسلام أنها الصلوات منها شفع ووتر وقيل الشفع التنقل بالصلاة مثنى مثنى والوتر الركعة الواحدة المعروفة وقيل الشفع العالم والوتر الله لأنه واحد وقيل الشفع آدم وحواء والوتر الله تعالى، وقيل الشفع الصفا والمروة والوتر البيت الحرام، وقيل الشفع أبواب الجنة لأنها ثمانية والوتر أبواب النار لأنها سبعة وقيل الشفع قران الحج والوتر إفراده وقيل المراد

الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبَلَدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لِبِالْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْنَلَهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ

الأعداد منها شفع ووتر فهذه عشرة أقوال وقرىء الوتر بفتح الواو وكسرهما وهما لغتان ﴿وَاللَّيْلَ إِذَا يَسَّرَ﴾ أي إذا يذهب فهو كقوله والليل إذ أدبر وقيل أراد يسري فيه فهو على هذا كقولهم ليله قائم والمراد على هذا ليلة جمع لأنها التي يسري فيها والأول أشهر وأظهر ﴿هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ﴾ هذا توكيف يراد به تعظيم الأشياء التي أقسم بها والحجر هنا هو العقل كأنه يقول إن هذا لقسم عظيم عند ذوي العقول وجواب القسم محذوف وهو ليأخذن الله الكفار ويدل على ذلك ما ذكره بعده من أخذ عاد ثمود وفرعون ﴿إِرْمَ﴾ هي قبيلة عاد سُميت باسم أحد أجدادها كما يقال هاشم لبني هاشم وإعرا به بدل من عاد أو عطف بيان وفائدته أن المراد عاد الأولى فإن عادًا الثانية لا يسمون بهذا الاسم وقيل إرم اسم مدينتهم فهو على حذف مضاف تقديره: بعد عاد إرم، ويدل على هذا قراءة ابن الزبير بعد إرم على الإضافة من غير تنوين عاد وامتنع إرم من الصرف على القولين للتعريف والتأنيث ﴿ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ مَنْ قَالَ إِرْمَ قَبِيلَةَ قَالَ الْعِمَادَ أَعْمَدَةَ بِنَانِهِمْ أَوْ أَعْمَدَةَ بِيوتِهِمْ مِنَ الشَّعْرِ لِأَنَّهُمْ كَانُوا أَهْلَ عَمُودٍ وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ ذَلِكَ كِنَايَةٌ عَنِ طُولِ أَبْدَانِهِمْ وَمَنْ قَالَ إِرْمَ مَدِينَةَ فَالْعِمَادُ الْحِجَارَةُ الَّتِي بَنِيَتْ بِهَا وَقِيلَ الْقُصُورُ وَالْأَبْرَاجُ ﴿الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾ صِفَةٌ لِلْقَبِيلَةِ لِأَنَّهُمْ كَانُوا أَعْظَمَ النَّاسِ أَجْسَامًا يُقَالُ كَانَ طُولُ الرَّجُلِ مِنْهُمْ أَرْبَعِمِائَةَ ذِرَاعٍ أَوْ صِفَةٌ لِلْمَدِينَةِ وَهَذَا أَظْهَرَ لِقَوْلِهِ فِي الْبِلَادِ لِأَنَّهَا كَانَتْ أَحْسَنَ مَدَائِنِ الدُّنْيَا وَرُوِيَ أَنَّهَا بَنَاهَا شَدَّادُ بَنِ عَادَ فِي ثَلَاثِمِائَةِ عَامٍ وَكَانَ عَمْرُهُ تِسْعِمِائَةَ عَامٍ وَجَعَلَ قُصُورَهَا مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَأَسَاطِينَهَا مِنَ الزَّبْرِجْدِ وَالْيَاقُوتِ وَفِيهَا أَنْوَاعُ الشَّجَرِ وَالْأَنْهَارُ الْجَارِيَّةُ، وَرُوِيَ أَنَّهُ سَمِعَ ذَكَرَ الْجَنَّةَ فَأَرَادَ أَنْ يَعْمَلَ مِثْلَهَا فَلَمَّا أَتَمَّهَا وَسَارَ إِلَيْهَا بِأَهْلِ مَمْلَكَتِهِ أَهْلَكَهُمُ اللَّهُ بِصِيحَةٍ وَكَانَتْ هَذِهِ الْمَدِينَةُ بِالْيَمَنِ، وَرُوِيَ أَنَّ بَعْضَ الْمُسْلِمِينَ مَرَّ بِهَا فِي خِلَافَةِ مُعَاوِيَةَ، وَقِيلَ هِيَ دِمَشْقُ، وَقِيلَ الْإِسْكَانْدَرِيَّةُ وَهَذَا ضَعِيفٌ ﴿جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ﴾ أَي نَقَبُوهُ وَنَحْتُوا فِيهِ بِيوتًا وَالْوَادِي مَا بَيْنَ الْجَبَلَيْنِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهَا مَاءٌ، وَقِيلَ أَرَادَ وَادِي الْقُرَى ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ﴾ ذَكَرَ فِي سُورَةِ دَاوُدَ ﴿الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ﴾ صِفَةٌ لِعَادٍ وَثَمُودَ وَفِرْعَوْنَ وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَنْصُوبًا عَلَى الدَّمِّ أَوْ خَبِرَ ابْتِدَاءً مُضْمَرٌ ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾ اسْتِعَارَةٌ السُّوْطَ لِلْعَذَابِ لِأَنَّهُ يَقْتَضِي مِنَ التَّكْرَارِ مَا لَا يَقْتَضِيهِ السِّيفُ وَغَيْرُهُ قَالَهُ ابْنُ عَطِيَّةَ، وَقَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: ذَكَرَ السُّوْطَ

فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمٌ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانٌ ﴿١٦﴾ كَلَّا بَلْ لَا تَكْفُرُونَ

السوط أهون من القتل ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ عبارة عن أنه تعالى حاضر بعلمه في كل مكان وكل زمان وريب على كل إنسان وأنه لا يفوته أحد من الجبارة والكفار وفي ذلك تهديد لكفار قريش وغيرهم والمرصاد المكان الذي يترقب فيه الرصد ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ﴾ الابتلاء هو الاختبار واختبار الله لعبده لتقوم الحجة على العبد بما يبدو منه وقد كان الله عالمًا بذلك قبل كونه والإنسان هنا جنس وقيل نزلت في عتبة بن ربيعة وهي مع ذلك على العموم فيمن كان على هذه الصفة وذكر الله في هذه الآية ابتلاء للإنسان بالخير ثم ذكر بعده ابتلاءه بالشر كما قال في: ﴿وَتَبَلَّوْكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ﴾ [الأنبياء: ٣٥] ولأنكر عليه قوله حين الخير: ﴿رَبِّي أَكْرَمٌ﴾ وقوله حين الشر: ﴿رَبِّي أَهَانٌ﴾ ويتعلق بالآية سؤالان: السؤال الأول: لم أنكرك الله على الإنسان قوله ربي أكرمني ربي أهانني والجواب من وجهين: أحدهما أن الإنسان يقول ربي أكرمني على وجه الفخر بذلك والكبر لا على وجه الشكر ويقول ربي أهانني على وجه التشكي من الله وقلة الصبر والتسليم لقضاء الله، فأنتكر عليه ما يقتضيه كلامه من ذلك فإن الواجب عليه أن يشكر على الخير ويصبر على الشر. والآخر أن الإنسان اعتبر الدنيا فجعل بسط الرزق فيها كرامة وتضييقه إهانة وليس الأمر كذلك فإن الله قد يبسط الرزق لأعدائه ويضيقه على أوليائه فأنتكر الله عليه اعتبار الدنيا والغفلة عن الآخرة وهذا الإنكار من هذا الوجه على المؤمن وأما الكافر فإنما اعتبر الدنيا لأنه لا يصدق بالآخرة ويرى أن الدنيا هي الغاية فأنتكر عليه ما يقتضيه كلامه من ذلك. السؤال الثاني: إن قيل قد قال الله فأكرمه فأثبت إكرامه فكيف أنكرك عليه قوله ربي أكرمني؟ فالجواب من ثلاثة أوجه: الأول أنه لم ينكر عليه ذكره للإكرام وإنما أنكرك عليه ما يدل عليه كلامه من الفخر وقلة الشكر أو من اعتبار الدنيا دون الآخرة حسبما ذكرنا في معنى الإنكار. الثاني أنه أنكرك عليه قوله ربي أكرمني إذا اعتقد أن إكرام الله له باستحقاقه للإكرام على وجه التفضل والإنعام كقول قارون إنما أوتيته على علم عندي. الثالث أن الإنكار إنما هو لقوله ربي أهانني لا لقوله ربي أكرمني فإن قوله ربي أكرمني اعتراف بنعمة الله وقوله ربي أهانني شكاية من فعل الله ﴿فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ﴾ أي ضيقه وقرىء بتشديد الدال وتخفيفها بمعنى واحد وفي التشديد مبالغة وقيل معنى التشديد جعله على قدر معلوم ﴿كَلَّا﴾ زجر عما أنكرك من قول الإنسان ﴿بَلْ لَا تَكْفُرُونَ الْيَتِيمَ﴾ هذا ذم لما ذكر من الأعمال القبيحة ومعنى هذا الإضراب ببل كأنه أنكرك على الإنسان ما تقدم ثم قال بل تفعلون ما هو شر من ذلك وهو ألا تكرموا اليتيم وما ذكر بعده، قال رسول الله ﷺ: «أحب البيوت إلى الله بيت فيه يتيم مكرم»

الْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحْضُونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا ﴿١٩﴾
 وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾ كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا
 صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجَاءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي
 قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴿٢٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وِثْقَاهُ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾ يَا أَيُّهَا النَّفْسُ

﴿وَلَا تَحْضُونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾ الحَضُّ على الأمر هو الترغيب فيه ومن لا يحض غيره على أمر فلا يفعله هو كأنه ذم لترك طعام المسكين، والطعام هنا بمعنى الإطعام، وقيل هو على حذف مضاف تقديره لا تحضون على بذل طعام المسكين وقرئء تحاضون بفتح الحاء وألف بعدها بمعنى لا يحض بعضكم بعضاً ﴿وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا﴾ التراث هو ما يورث عن الميت من المال والثاء فيه بدل من الواو، واللحم الجمع واللف، والتقدير أكلاً ذا لمّ وهو أن يأخذ في الميراث نصيبه ونصيب غيره لأن العرب كانوا لا يعطون من الميراث أنثى ولا صغيراً بل ينفرد به الرجال ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ أي شديداً كثيراً وهذا ذم للحرص على المال وشدة الرغبة فيه ﴿دُكَّتِ الْأَرْضُ﴾ أي سُويت جبالها ﴿دَكًّا دَكًّا﴾ أي دكاً بعد دك كما تقول تعلمت العلم باباً باباً ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ تأويله عند المتأولين جاء أمره وسلطانه وقال المنذر بن سعيد معناه ظهوره للخلق هنالك وهذه الآية وأمثالها من المشكلات التي يجب الإيمان بها من غير تكييف ولا تمثيل ﴿وَالْمَلَكُ﴾ هو اسم جنس فإنه روي أن الملائكة كلهم يكونون صفوفاً حول الأرض ﴿صَفًّا صَفًّا﴾ أي صففاً بعد صف قد أحدقوا بالجن والإنس ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾ قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم: «يؤتى يومئذ بجهنم معها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجزونها ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ﴾ يومئذ بدل من إذا دكّت ويتذكّر هو العامل وهو جواب إذا دكّت، والمعنى أن الإنسان يتذكر يوم القيامة لأعماله في الدنيا ويندم على تفريطه وعصيانه والإنسان هنا جنس، وقيل يعني عتبة بن ربيعة، وقيل أمية بن خلف ﴿وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ﴾ هذا على حذف تقديره أتى له الانتفاع بالذكرى كما تقول ندم حين لم تنفعه الندامة ﴿يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ فيه وجهان: أحدهما أنه يريد الحياة في الآخرة فالمعنى يا ليتني قدّمت عملاً صالحاً وقت حياتي فاللام على هذا كقوله كتبت لعشر من الشهر ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدٌ﴾ من قرأ بكسر الذال من يعذب، والثاء من يوثق فالضمير في عذابه ووثاقه لله تعالى والمعنى أن الله يتولى عذاباً

الْمُطْمِئِنَّةُ ﴿٧٧﴾ أَرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مَّرْضِيَةً ﴿٧٨﴾ فَأَدْخِلْنِي فِي عَبْدِي ﴿٧٩﴾ وَأَدْخِلْنِي جَنَّتِي ﴿٨٠﴾

لا يعذب أحد مثل عذابه، ولا يوثق أحد مثل وثاقه، وهذه قراءة الكسائي وزوي أن أبا عمرو رجع إليها وهي قراءة حسنة، وقد رويت عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمِئِنَّةُ﴾ أي الموقنة يقينًا قد اطمأنت به بحيث لا يتطرق إليها شك في الإيمان، وقيل المطمئنة التي لا تخاف حينئذ ويؤيد هذا قراءة أبي بن كعب، «يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْأَمَنَةُ الْمُطْمِئِنَّةُ» ﴿أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ هذا الخطاب والنداء يكون عند الموت، وقيل عند البعث وقيل عند انصراف الناس إلى الجنة أو النار، والأول أرجح، لما زوي أن أبا بكر سأل عن ذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم فقال له: «يَا أبا بكر إن الملك سيقولها لك عند موتك» ﴿رَاضِيَةً﴾ معناه راضية بما أعطاه الله أو راضية عن الله ومعنى المرضية مرضية عند الله، أو أرضاها الله بما أعطاه ﴿فَادْخُلِي فِي عَبْدِي﴾ أي ادخلي في جملة عبادي الصالحين. وقرئ فادخلي في عبدي بالتوحيد معناه ادخلي في جسده وهو خطاب للنفس ونزلت هذه الآية في حمزة وقيل في خبيب بن عددي الذي صلبه الكفار بمكة ولفظها يعم كل نفس مطمئنة.

سورة البلد

مكية وآياتها ٢٠ نزلت بعد ق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴿١﴾ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴿٢﴾ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدٌ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ﴿٤﴾
أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴿٥﴾ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَا لَا لَبْدًا ﴿٦﴾ أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ لَكُمْ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ أراد مكة باتفاق، وأقسم بها تشریفًا لها ولا زائدة ﴿وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ هذه جملة اعتراض بين القسم وما بعده وفي معناها ثلاثة أقوال: أحدها أن المعنى أنت حالٌ بهذا البلد أي ساكن لأن السورة نزلت والنبى صلى الله عليه وآله وسلم بمكة، والآخر أن معنى حِلٌّ تستحلُّ حُرمتك ويؤذيك الكفار مع أن مكة لا يحلُّ فيها قتل صيد ولا بشر ولا قطع شجر، وعلى هذا قيل لا أقسم يعني لا أقسم بهذا البلد وأنت تلحقك فيه إذابة. الثالث أن معنى حِلٌّ حلال يجوز لك في هذا البلد ما شئت من قتل الكفار وغير ذلك مما لا يجوز لغيرك وهذا هو الأظهر لقوله ﷺ: «إن هذا البلد حرام حرمة الله يوم خلق السموات والأرض، ولم يحل لأحد قبلي ولا يحل لأحد بعدي وإنما أحل لي ساعة من نهار يعني يوم فتح مكة»، وفي ذلك اليوم أمر عليه الصلاة والسلام بقتل ابن خطل وهو متعلق بأستار الكعبة فأنقذ ابنه من مكة ففتح مكة كان عام ثمانية من الهجرة؟

عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدْيَيْنَهُ النَّجْدَيْنِ ﴿١٥﴾ فَلَا أَقْنَحَمَ الْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَا أَدْرَبَكَ مَا

فالجواب أن هذا وعد بفتح مكة كما تقول لمن تعده بالكرامة أنت مكرم يعني فيما يستقبل وقيل إن السورة على هذا مدنية نزلت يوم الفتح، وهذا ضعيف ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدٌ﴾ فيه خمسة أقوال: أحدها أنه أراد آدم وجميع ولده، الثاني نوح وولده، الثالث إبراهيم وولده، الرابع سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام وولده، الخامس جنس كل والد ومولود وإنما قال وما ولد ولم يقل ومن ولد: إشارة إلى تعظيم المولود كقوله: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ﴾ [آل عمران: ٣٦] قاله الزمخشري ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ أي يكابد المشقات من هموم الدنيا والآخرة قال بعضهم لا يكابد أحد من المخلوقات ما يكابد ابن آدم وأصل الكبد من قولك كبد الرجل فهو أكبد إذا وجعت كبده وقيل معنى في كبد واقفاً منتصب القامة وهذا ضعيف والإنسان على هذين القولين جنس، وقيل الإنسان آدم عليه السلام ومعنى في كبد على هذا في السماء وهذا ضعيف والأول هو الصحيح ﴿أَيُّخْسَبُ أَنْ لَنْ يِقْدَرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾ فيه قولان، أحدهما أن معناه أیظن أن لن يقدر أحد على بعثه وجزائه، والآخر: أیظن أن لن يقدر أحد أن يغلبه، فعلى الأول نزلت في جنس الإنسان الكافر، وعلى الثاني نزلت في رجل معين وهو أبو الأشد رجل من قريش كان شديد القوة، وقيل عمرو بن عبد ود وهو الذي اقتحم الخندق بالمدينة وقتله علي بن أبي طالب ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا﴾ أي كثيراً وقرىء لبداً بضم اللام وكسرهما وهو جمع لبدة بالضم والكسر بمعنى الكثرة ونزلت الآية عند قوم في الوليد بن المغيرة فإنه أنفق مالا في إفساد أمر رسول الله ﷺ وقيل في الحارث بن عامر بن نوفل وكان قد أسلم وأنفق في الصدقات والكفارات، فقال لقد أهلكت مالي منذ تبعت محمداً ﴿أَيُّخْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ﴾ يحتمل أن يكون هذا تكديباً له في قوله أهلكت مالا لبداً أو إشارة إلى أنه أنفقه رياء ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ أي طريقي الخير والشر فهو كقوله: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٣]، وليس الهندي هنا بمعنى الإرشاد وقيل يعني ثديي الأم ﴿فَلَا أَقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾ الافتحام الدخول بشدة ومسقة والعقبة عبارة عن الأعمال الصالحة المذكورة بعهد وجعلها عقبة استعارة من عقبة الجبل لأنها تصعب ويشق صعودها على النفوس، وقيل هو جبل في جهنم له عقبة لا يجاوزها إلا من عمل هذه الأعمال ولا هنا تخصيص بمعنى هلاً وقيل هي دعاء وقيل هي نافية واعتراض هذا القول بأن لا النافية إذا دخلت على الفعل الماضي لزم تكرارها وأجاب الزمخشري بأنها مكررة في المعنى، والتقدير: فلا اقتحم العقبة ولا فك رقبة ولا أطعم مسكيناً وقال الزجاج قوله: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [البلد: ١٧] يدل على التكرار لأن التقدير فلا اقتحم

الْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالرَّحْمَةِ ﴿١٧﴾ أُولَئِكَ أَحَبُّ الْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤَصَّدَةٌ ﴿٢٠﴾

العقبة ولا آمن ﴿وَمَا أَذْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ﴾ تعظيم للعقبة ثم فسرها بفك الرقبة وهو إعتاقها وبالإطعام وقرىء فك رقبة بضم الكاف وخفض الرقبة، وهو على هذا تفسير للعقبة وفتح الكاف ونصب الرقبة وهو تفسير لاقتحم وفك الرقبة هو عتقها، قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً مُّؤْمِنَةً أَعْتَقَ اللَّهُ بِكُلِّ عَضْوٍ مِنْهَا عَضْوًا مِنْهُ مِنَ النَّارِ». وقال أعرابي لرسول الله ﷺ: «دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ أَنْجُو بِهِ فَقَالَ: «فُكُّ الرِّقْبَةِ وَأَعْتَقَ النَّسْمَةَ»، فقال الأعرابي ليس هذا واحد. فقال رسول الله ﷺ: «لَا إِعْتَاقَ النَّسْمَةَ أَنْ تَنْفَرِدَ بِعَتْقِهَا، وَفُكُّ الرِّقْبَةِ أَنْ تَعِينَ فِي ثَمْنِهَا». وأما فك أسارى المسلمين من أيدي الكافرين فإنه أعظم أجرًا من العتق لأنه واجب ولو استغرقت فيه أموال المسلمين ولكنه لا يجري في الكفارات عن عتق رقبة ﴿أَوْ إِطْعَامٍ﴾ مَنْ قَرَأَ فُكًّا بِالرَّفْعِ قَرَأَ إِطْعَامًا بِالْعَطْفِ مَصْدَرٌ عَلَى مَصْدَرٍ وَمَنْ قَرَأَ فُكًّا بِالْفَتْحِ قَرَأَ إِطْعَامًا بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ وَالْمِيمِ فَعَطْفٌ فَعَلًا عَلَى فَعَلٍ ﴿فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبٍ﴾ أي مجاعة يقال سغب الرجل إذا جاع ﴿يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾ أي ذا قرابة فيه أجر إطعام اليتيم وصلة الرحم ﴿أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ أي ذا حاجة، يقال ترب الرجل إذا افتقر وهو مأخوذ من الصدقة بالتراب ورؤي عن النبي ﷺ أنه الذي مأواه المزابل ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ ثم هنا للتراخي في الرتبة لا في الزمان وفيها إشارة إلى أن الإيمان أعلى من العتق والإطعام، ولا يصح أن يكون للترتيب في الزمان لأنه لا يلزم أن يكون الإيمان بعد العتق والإطعام ولا يقبل عمل إلا من مؤمن ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ أي وصى بعضهم بعضًا بالصبر على قضاء الله وكان هذا إشارة إلى صبر المسلمين بمكة على إذابة الكفار ﴿وَتَوَاصَوْا بِالرَّحْمَةِ﴾ أي وصى بعضهم بعضًا برحمة المساكين وغيرهم، وقيل الرحمة كل ما يؤدي إلى رحمة الله ﴿الْمَيْمَنَةِ﴾ جهة اليمين و﴿الْمَشْأَمَةِ﴾ جهة الشمال، ورؤي أن الميمنة عن يمين العرش ويحتمل أن يكونا من اليمن والشؤم ﴿نَارٌ مُّؤَصَّدَةٌ﴾ أي مطبقة مغلقة يقال أوصدت الباب إذا أغلقته وفيه لغتان الهمزة وترك الهمزة.

سورة الشمس

مكية وآياتها ١٥ نزلت بعد القدر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ﴿١﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا لِلنَّهَارِ ﴿٢﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّهَا ﴿٣﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ﴿٤﴾ وَالسَّمَاءِ وَمَا
بَنَاهَا ﴿٥﴾ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ﴿٦﴾ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾ الضحى ارتفاع الضوء وكماله والضحاء بالفتح والمد بعد ذلك إلى الزوال وقيل الضحى النهار كله، والأول هو المعروف في اللغة ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَّهَا﴾ أي تبعها وفي اتباعه لها ثلاثة أقوال: أحدها أنه يتبعها في كثرة الضوء لأنه أضوء الكواكب بعد الشمس ولا سيما ليلة البدر والآخر أنه يتبعها في طلوعه لأنه يطلع بعد غروبها وذلك في النصف الأول من الشهر والضمير الفاعل للنهار لأن الشمس تنجلي بالنهار فكأنه هو الذي جلاها وقيل الضمير الفاعل لله وقيل الضمير المفعول للظلمة أو الأرض أو الدنيا وهذا كله بعيد لأنه لم يتقدم ما يعود الضمير عليه ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا﴾ أي يغطيها وضمير المفعول للشمس وضمير الفاعل ليل على الأصح ﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا﴾ قيل إن ما في قوله وما بناها وما طحاها وما سواها موصولة بمعنى من والمراد الله تعالى وقيل إنها مصدرية كأنه قال والسماء وبنائها، وضعف الزمخشري ذلك بقوله: ﴿فَأَلْهَمَهَا﴾ فإن المراد الله باتفاق، وهذا

رَكَعًا ﴿٩﴾ وَقَدْ حَابَ مَنْ دَسَّهَا ﴿١٠﴾ كَذَّبَتْ ثُمُودُ بِطَغْوَيْهَا ﴿١١﴾ إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذُنُوبِهِمْ

القول يؤدي إلى فساد النظم، وضعف بعضهم كونها موصولة بتقديم ذكر المخلوقات على الخالق فإن قيل: لِمَ عدل عن من إلى قوله ما في قول من جعلها موصولة؟ فالجواب أنه فعل ذلك لإرادة الوصفية كأنه قال والقادر الذي بناها ﴿طَحَاهَا﴾ أي مدها ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ تسوية النفس إكمال عقلها وفهمها، فإن قيل: لِمَ نكر النفس؟ فالجواب من وجهين: أحدهما أنه أراد الجنس كقوله: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أُخْضِرَتْ﴾ [التكوير: ١٤] والآخر أنه أراد نفس آدم والأول هو المختار ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ أي عزفها طريق الفجور والتقوى وجعل لها قوة يصح معها اكتساب أحد الأمرين، ويحتمل أن تكون الواو بمعنى أو، كقوله: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٣] ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ رَكَعًا﴾ هذا جواب القسم عند الجمهور، وقال الزمخشري: الجواب محذوف تقديره ليدمدن الله على أهل مكة لتكذيبهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما دمدم على قوم ثمود لتكذيبهم صالحًا عليه الصلاة والسلام، قال وأما قد أفلح فكلام تابع لقوله: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ على سبيل الاستطراد وهذا بعيد، والفاعل بزكاه ضمير يعود على من، والمعنى قد أفلح من زكى نفسه أي طهرها من الذنوب والعيوب، وقيل الفاعل ضمير الله تعالى، والأول أظهر، ﴿وَقَدْ حَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ أي حقرها بالكفر والمعاصي وأصله دسس بمعنى أخفى فكانه أخفى نفسه لما حقرها وأبدل من السين الأخيرة حرف علة كقولهم قضيت أظفاري وأصله قصصت ﴿بِطَغْوَاهَا﴾ هو مصدر بمعنى الطغيان قلبت فيه الياء واوا على لغة من يقول طغيت والباء الخافضة كقولك كتبت بالقلم أو سببية والمعنى بسبب طغيانها وقال ابن عباس معناه كذبت ثمود بعذابها ويؤيده قوله فأمأ ثمود فأهلكوا بالطاغية ﴿إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا﴾ العامل في إذ كذبت أو طغواها ومعنى انبعث خرج لعقر الناقة بسرعة ونشاط وأشقاها هو الذي عقر الناقة وهو أخيمر ثمود واسمه قدار بن سالف ويحتمل أن يكون أشقاها واقعا على جماعة لأن أفعل التي للتفضيل إذا أضفته يستوي فيه الواحد والجمع والأول أظهر وأشهر ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ﴾ يعني صالحًا عليه السلام ﴿نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا﴾ منصوب بفعل مضمرة تقديره احفظوا ناقة الله أو احذروا ناقة الله وسقياها، شربها من الماء، ﴿فَعَقَرُوهَا﴾ نسب العقر إلى جماعة لأنهم اتفقوا عليه وبارشه واحد منهم ﴿فَدَمْدَمَ﴾ عبارة عن إنزال العذاب بهم وفي قوله ﴿بِذُنُوبِهِمْ﴾ بسبب ذنبيهم وهو

فَسَوَّاهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ﴿١٥﴾

التكذيب أو عقر الناقة ﴿فَسَوَّاهَا﴾ قال ابن عطية معناه فسوى القبيلة في الهلاك لم يقل أحد منهم وقال الزمخشري الضمير للدمدمة أي سواها بينهم ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾ ضمير الفاعل لله تعالى والضمير في عقباها للدمدمة والتسوية وهو الهلاك أي لا يخاف عقابته إهلاكهم ولا درك عليه في ذلك كما يخاف الملوك من عاقبة أعمالهم وفي ذلك احتقار لهم وقيل إن ضمير الفاعل لصالح وهذا بعيد وقرئ فلا يخاف بالفاء موبالوا وقيل في القراءة بالواو أن الفاعل أشقاها والجملة في موضع الحال أي انبعث ولم يخف عقبي فعلته وهذا بعيد.

فَسَوَّاهَا (14) وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا (15) التفسير: قال ابن عطية معناه فسوى القبيلة في الهلاك لم يقل أحد منهم وقال الزمخشري الضمير للدمدمة أي سواها بينهم ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾ ضمير الفاعل لله تعالى والضمير في عقباها للدمدمة والتسوية وهو الهلاك أي لا يخاف عقابته إهلاكهم ولا درك عليه في ذلك كما يخاف الملوك من عاقبة أعمالهم وفي ذلك احتقار لهم وقيل إن ضمير الفاعل لصالح وهذا بعيد وقرئ فلا يخاف بالفاء موبالوا وقيل في القراءة بالواو أن الفاعل أشقاها والجملة في موضع الحال أي انبعث ولم يخف عقبي فعلته وهذا بعيد.

سورة الليل

مكية وآياتها ٢١ نزلت بعد الأعلى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى ﴿١﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى ﴿٢﴾ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ﴿٣﴾ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى ﴿٤﴾ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى
وَأَنْفَقَ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴿٦﴾ فَسَنِيسِرُوهُ لِلْيُسْرَى ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ﴿٩﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾ أي يغطي وحذف المفعول وهو الشمس لقوله والليل إذا يغشاها أو النهار لقوله يغشى الليل النهار أو كل شيء يستره الليل ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى﴾ أي ظهر وتبين والنهار من طلوع الشمس واليوم من طلوع الفجر ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾ ما بمعنى من والمراد بها الله تعالى وعدل عن مَنْ لقصد الوصف كأنه قال والقادر الذي خلق الذكر والأنثى وقيل هي مصدرية وروى ابن مسعود أن النبي ﷺ قرأ والذكر والأنثى ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى﴾ هذا جواب القسم ومعناه إن عملكم مختلف فمنه حسنات ومنه سيئات وشتى جمع شتيت ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى﴾ أي أعطى ماله في الزكاة والصدقة وشبه ذلك أو أعطى حقوق الله من طاعته في جميع الأشياء واتقى الله ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾ أي بالخصلة الحسنة وهي الإسلام ولذلك عبّر عنها بعضهم بأنها لا إله إلا الله أو بالمشوبة الحسنى وهي الجنة وقيل يعني الأجر والثواب علم

فَسَيَسِّرُهُ الْعَسْرَى ﴿١٠﴾ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى ﴿١١﴾ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى ﴿١٢﴾ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى ﴿١٣﴾
فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴿١٥﴾ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴿١٦﴾ وَسَيَجْزِيهَا الْآتَى ﴿١٧﴾
الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى ﴿١٩﴾ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ
يَرْضَى ﴿٢١﴾

نهيه للطريقة اليسرى وهي فعل الخيرات وترك السيئات وضد ذلك تيسيره للعسرى ومنه قوله ﷺ: «اعملوا فكل ميسر لما خُلق له» أي يهتوه الله لما قدر له ويسهل عليه فعل الخير أو الشر ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى﴾ أي بخل بماله أو بطاعة الله على الإطلاق فيحتمل الوجهين لأنه في مقابلة أعطى كما أن استغنى في مقابلة اتقى وكذلك كذب بالحسنى في مقابلة صدق بالحسنى ونيسره للعسرى في مقابلة نيسره لليسرى، ومعنى استغنى استغنى عن الله فلم يطعه واستغنى بالدنيا عن الآخرة، ونزلت آية المدح في أبي بكر الصديق، لأنه أنفق ماله في مرضاة الله، وكان يشتري من أسلم من العبيد فيعتقهم، وقيل نزلت في أبي الدرداء وهذا ضعيف، لأنها مكينة وإنما أسلم أبو الدرداء بالمدينة وقيل إن آية الذم نزلت في أبي سفيان بن حرب وهذا ضعيف لقوله: ﴿فَسَيَسِّرُهُ لِّلْعَسْرَى﴾ وقد أسلم أبو سفيان بعد ذلك ﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى﴾ هذا نفي، أو استفهام بمعنى الإنكار، واختلف في معنى تردى على أربعة أقوال: الأول تردى أي هلك فهو مشتق من الردى وهو الموت، أو تردى أي سقط في القبر، أو سقط في جهنم، أو تردى بأكفانه من الرداء ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى﴾ أي بيان الخير والشر، وليس المراد الإرشاد عند الأشعرية خلافا للمعتزلة ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى﴾ خطاب من الله أو من النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم على تقدير قل ﴿لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى﴾ استدلال المرجحة بهذه الآية على أن النار لا يدخلها إلا الكفار لقوله: ﴿الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾، وتأولها الناس بثلاثة أوجه أحدها أن المعنى لا يصلها صلي خلود إلا الأشقى، والآخر أنه أراد نارا مخصوصة، الثالث أنه أراد بالأشقى كافرا معيناً وهو أبو جهل وأميه بن خلف وقابل به الأتقى وهو أبو بكر الصديق فخرج الكلام مخرج الممدوح والذم على الخصوص لا مخرج الإخبار على العموم ﴿يَتَزَكَّى﴾ من أداء الزكاة أو من الزكاة أي يصير زكياً عند الله أو يتطهر من ذنوبه وهذا الفعل بدل من يؤتى ماله أو حال من الضمير ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى﴾ أي لا يفعل الخير جزاء على نعمة أنعم بها عليه أحد فيما تقدم بل يفعله ابتداءً خالصاً لوجه الله، وقيل: المعنى لا يقصد جزاء من أحد في المستقبل على ما يفعل والأول أظهر ويؤيده ما روي أن سبب الآية أن أبا بكر الصديق لما

أعتق بلالاً قالت قريش كان لبلال عنده يد متقدمة فنفى الله قولهم ﴿إِلَّا أَيْتَعَاءَ وَجَهَ رَبِّي﴾
استثناء منقطع ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾ وعد بأن يرضيه الله في الآخرة.

سورة الضحى

مكية وآياتها ١١ نزلت بعد الفجر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوْفَ
يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرَىٰ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَجِدَكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَائِلًا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالضُّحَىٰ﴾ ذكر في الشمس وضحاها ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ فيه أربعة أقوال: إذا أقبل وإذا أدبر وإذا أظلم وإذا سكن أي استقر واستوى أو سكن فيه الناس والأصوات ومنه ليلة ساجية إذا كانت ساكنة الريح وطرف ساج أي ساكن غير مضطرب النظر وهذا أقرب في الاشتقاق وهو اختيار ابن عطية ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ بتشديد الدال من الوداع وقرىء بتخفيفها بمعنى ما تركك والوداع مبالغة في الترك ﴿وَمَا قَلَىٰ﴾ أي ما أبغضك وحذف ضمير المفعول من قلى وآوى وهدى وأغنى اختصارًا لظهور المعنى ولموافقة رؤوس الآي وسبب الآية أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أبطأ عليه الوحي، فقالت قريش إن محمدًا ودَّعه ربّه وقلاه فنزلت الآية تكذيبيًا لهم وقيل رُمي عليه الصلاة والسلام بحجر في أصبعه فدميت فمكث ليلتين أو ثلاثًا لا يقوم فقالت له امرأة ما أرى شيطان محمد إلا قد تركه فنزلت الآية: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ﴾ أي الدار الآخرة خير لك من الدنيا

فَأَغْنَى ﴿٨﴾ تَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرَ ﴿٩﴾ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾

قال ابن عطية: ويحتمل أن يريد بالآخرة حاله بعد نزول هذه السورة، ويريد بالأولى حاله قبل نزولها، وهذا بعيد والأول أظهر وأشهر ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ رُوِيَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَمَّا نَزَلَتْ: «إِذَا لَا أَرْضَى أَنْ يَبْقَى وَاحِدٌ مِنْ أُمَّتِي فِي النَّارِ» قَالَ بَعْضُهُمْ هَذِهِ أَرْجَى آيَةٍ فِي الْقُرْآنِ، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضَاهُ أَنْ اللَّهُ وَعَدَهُ بِالْفَقْرِ فِي الْجَنَّةِ بِمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنَ النَّعْمِ وَالخُدْمِ وَقِيلَ رَضَاهُ فِي الدُّنْيَا بِفَتْحِ مَكَّةَ وَغَيْرِهِ وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ وَعَدَ يَعْطَمُ كُلَّ مَا أَعْطَاهُ اللَّهُ فِي الْآخِرَةِ وَكُلَّ مَا أَعْطَاهُ فِي الدُّنْيَا مِنَ النَّصْرِ وَالْفَتْوحِ وَكَثْرَةِ الْمُسْلِمِينَ وَغَيْرِ ذَلِكَ ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾ عَدَّدَ اللَّهُ نِعْمَةً عَلَيْهِ فِيمَا مَضَى مِنْ عَمْرِهِ لِيُقَيِّسَ عَلَيْهِ مَا يَسْتَقْبَلُ فَتَطْيِبُ نَفْسَهُ وَيَقْوَى رَجَاءَهُ وَوَجَدَ فِي هَذِهِ الْمَوَاضِعِ تَتَعَدَّى إِلَى مَفْعُولِينَ وَهِيَ بِمَعْنَى عِلْمٍ فَالْمَعْنَى أَلَمْ تَكُنْ يَتِيمًا فَآوَاكَ وَذَلِكَ أَنَّ وَالِدَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ تَوَفَّى وَتَرَكَهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ ثُمَّ مَاتَتْ أُمُّهُ وَهُوَ ابْنُ خَمْسَةِ أَعْوَامٍ، وَقِيلَ ثَمَانِيَةَ فَكَفَلَهُ جَدُّهُ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ ثُمَّ مَاتَ وَتَرَكَهُ ابْنُ اثْنَيْ عَشَرَ عَامًا فَكَفَلَهُ عَمُّهُ أَبُو طَالِبٍ، وَقِيلَ لِجَعْفَرِ الصَّادِقِ لِمَ نَشَأَ النَّبِيُّ ﷺ يَتِيمًا؟ فَقَالَ: لِثَلَاثِ أَسْبَابٍ يَكُونُ عَلَيْهِ حَقٌّ لِمَخْلُوقٍ ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾ فِيهِ سِتَّةُ أَقْوَالٍ: أَحَدُهَا: وَجَدَكَ ضَالًّا عَنْ مَعْرِفَةِ الشَّرِيعَةِ فَهَدَاكَ إِلَيْهَا فَالضَّلَالُ عِبَارَةٌ عَنِ التَّوْقِيفِ فِي أَمْرِ الدِّينِ حَتَّى جَاءَهُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَهُوَ كَقَوْلِهِ: ﴿مَا كُنْتُ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾ [الشورى: ٥٢] وَهَذَا هُوَ الْأَظْهَرُ وَهُوَ الَّذِي اخْتَارَهُ ابْنُ عَطِيَّةٍ وَغَيْرُهُ وَمَعْنَاهُ لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ تَفْصِيلَ الشَّرِيعَةِ وَفُرُوعَهَا حَتَّى بَعَثَهُ اللَّهُ وَلَكِنَّهُ مَا كَفَرَ بِاللَّهِ وَلَا أَشْرَكَ بِهِ لِأَنَّهُ كَانَ مَعْصُومًا مِنْ ذَلِكَ قَبْلَ النَّبُوَّةِ وَبَعْدَهَا. وَالثَّانِي وَجَدَكَ فِي قَوْمِ ضَلَالٍ فَكَانَتْ وَاحِدٌ مِنْهُمْ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَعْبُدُ مَا يَعْبُدُونَ وَهَذَا قَرِيبٌ مِنَ الْأَوَّلِ. وَالثَّلَاثُ وَجَدَكَ ضَالًّا عَنِ الْهَجْرَةِ فَهَدَاكَ إِلَيْهَا، وَهَذَا ضَعِيفٌ، لِأَنَّ السُّورَةَ نَزَلَتْ قَبْلَ الْهَجْرَةِ. الرَّابِعُ وَجَدَكَ خَامِلَ الذِّكْرِ لَا تَعْرِفُ فَهَدَى النَّاسَ إِلَيْكَ وَهَدَاهُمْ بِكَ وَهَذَا بَعِيدٌ عَنِ الْمَعْنَى الْمَقْصُودِ. الْخَامِسُ أَنَّهُ مِنَ الضَّلَالِ عَنِ الطَّرِيقِ وَذَلِكَ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ضَلَّ فِي بَعْضِ شُعْبِ مَكَّةَ وَهُوَ صَغِيرٌ فَرَدَّهُ اللَّهُ إِلَى جَدِّهِ، وَقِيلَ بَلْ ضَلَّ مِنْ مُرْضِعَتِهِ حَلِيمَةَ فَرَدَّهُ اللَّهُ إِلَيْهَا، وَقِيلَ بَلْ ضَلَّ فِي طَرِيقِ الشَّامِ حِينَ خَرَجَ إِلَيْهَا مَعَ أَبِي طَالِبٍ. السَّادِسُ أَنَّهُ بِمَعْنَى الضَّلَالِ مِنَ الْمَحَبَّةِ أَيْ وَجَدَكَ مُجَبًّا لِلَّهِ فَهَدَاكَ إِلَيْهِ وَمِنْهُ قَوْلُ إِخْوَةِ يُوسُفَ لِأَبِيهِمْ: ﴿تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾ [يوسف: ٩٥] أَيْ مَحَبَّتِكَ لِيُوسُفَ وَبِهَذَا كَانَ يَقُولُ شَيْخُنَا الْأَسْتَاذُ أَبُو جَعْفَرِ بْنِ الزَّبِيرِ ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾ الْعَائِلُ الْفَقِيرُ يُقَالُ عَالَ الرَّجُلُ فَهُوَ عَائِلٌ إِذَا كَانَ

المال وغناؤه صلى الله عليه وآله وسلم هو أن أعطاه الله الكفاف، وقيل هو رخصه بما أعطاه الله، وقيل المعنى وجدك فقيراً إليه فأغناك به ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ أي لا تغلبه على ماله وحقه لأجل ضعفه أو لا تقهره بالمنع من مصلحته ووجوه القهر كثيرة والنهي يعم جميعها ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ النهر هو الانتهاز والزجر والنهي عنه أمر بالقول الحسن والدعاء للسائل كما قال تعالى: ﴿فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٨]، ويحتمل السائل أن يراد به سائل الطعام والمال وهذا هو الأظهر، والسائل عن العلم والدين وقي قوله تقهر وتنهى لزوم ما لا يلزم من التزام الهاء قبل الراء ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ قيل معناه بئ القرآن وبلغ الرسالة والصحيح أنه عموم في جميع النعم قال رسول الله ﷺ: «التحدث بالنعم شكر» ولذلك كان بعض السلف يقول لقد أعطاني الله كذا ولقد صليت البارحة كذا وهذا إنما يجوز إذا كان على وجه الشكر أو ليقتدى به فأمّا على وجه الفخر والرياء فلا يجوز، وانظر كيف ذكر الله في هذه السورة ثلاث نعم ثم ذكر في مقابلتها ثلاث وصايا فقابل قوله: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا﴾ بقوله: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾، وقابل قوله: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا﴾ بقوله: ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾، على قول من قال إنه السائل عن العلم وقابله بقوله: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ على القول الآخر، وقابل قوله: ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾ بقوله: ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ على القول الأظهر، وقابله بقوله: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ على القول الآخر.

سورة ألم نشرح

مكية وآياتها ٨ نزلت بعد الضحى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ ﴿٨﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ هذا لصدرة توقيف معناه إثبات شرح صدره ﷺ وتعدد ما ذكر بعده من النعم وشرح صدره ﷺ هو اتساعه لتحصيل العلم وتنويره بالحكمة والمعرفة، وقيل هو شق جبريل لصدرة في صغره أو في وقت الإسراء حين أخرج قلبه وغسله ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾ فيه ثلاثة أقوال: الأول قول الجمهور أن الوزر الذنوب ووضعها هو غفرانها فهو كقوله: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢]، وهذا على قول من جوز صغائر الذنوب على الأنبياء أو على أن ذنوبه كانت قبل النبوة، الثاني أن الوزر هو أنقال النبوة وتكاليفها ووضعها على هذا هو إعانته عليها وتمهيد عذره بعدما بلغ الرسالة، الثالث أن الوزر هو تحييره قبل النبوة إذ كان يرى أن قومه على ضلال ولم يأت من الله أمر واضح فوضعه على هذا هو بالنبوة والهدى للشريعة ﴿الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ﴾ عبارة عن ثقل الوزر المذكور وشدة

وهي صفات مغفورة لهم لهمم بها وتحسّروهم عليها فهي ثقيلة عندهم لشدة خوفهم من الله، وهي خفيفة عند الله وهذا كما جاء في الأثر إن المؤمن يرى ذنوبه كالجبل يقع عليه والمنافق يرى ذنوبه كالذباب تطير فوق أنفه. واشتقاق أنقض ظهره من نقض البنيان وغيره أو من النقيض وهو الصوت فكأنه يسمع لظهره نقيض كنقيض ما يحمل عليه شيء ثقيل ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ أي نوهنا باسمك وجعلناه شهيرًا في المشارق والمغرب وقيل معناه اقتران ذكره بذكر الله في الأذان والخطب والتشهد وفي مواضع من القرآن، وقد روي في هذا حديث أن الله قال له: إذا ذكرت ذكرت معي فإن قيل لِمَ قال لك ذكرك ولك صدرك مع أن المعنى مستقل دون ذلك؟ فالجواب أن قوله لك يدل على الاعتناء به والاهتمام بأمره ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ هذا وعد لما يسر بعد العسر وإنما ذكره بلفظ مع التي تقتضي المقاربة ليدل على قرب اليسر من العسر فإن قيل ما وجه ارتباط هذا مع ما قبله؟ فالجواب أنه ﷺ كان بمكة هو وأصحابه في عُسْر من إذابة الكفار ومن ضيق الحال ووعد الله باليسر وقد تقدم تعديد النعم تسليّةً وتأنيساً لطيبين نفسه ويقوى رجاءه كأنه يقول إن الذي أنعم عليك بهذه النعم سينصرك ويظهرهك ويبدل لك هذا العسر بيسر قريب. ولذلك كرر إن مع العسر يسراً مبالغة وقال ﷺ: «لن يغلب عسر يسرين» وقد روي ذلك عن عمر وابن مسعود وتأويله أن العسر المذكور في هذه السورة واحد، لأن الألف واللام للعهد كقولك جاءني رجل فأكرمت الرجل واليسر اثنان لتكثيره وقيل: إن اليسر الأول في الدنيا والثاني في الآخرة ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾ هو من النصب بمعنى التعب والمعنى إذا فرغت من أمر فاجتهد في آخر ثم اختلف في تعيين الأمرين فقيل إذا فرغت من الفرائض فانصب في النوافل وقيل إذا فرغت من الصلاة فانصب في الدعاء وقيل إذا فرغت من شغل دنياك فانصب في عبادة ربك ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَأَرْعِبْ﴾ قدم الجار والمجرور ليدل على الحصر أي لا ترغب إلا إلى ربك وحده.

وهو ما دل على أن العسر المذكور في هذه السورة واحد، لأن الألف واللام للعهد كقولك جاءني رجل فأكرمت الرجل واليسر اثنان لتكثيره وقيل: إن اليسر الأول في الدنيا والثاني في الآخرة ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾ هو من النصب بمعنى التعب والمعنى إذا فرغت من أمر فاجتهد في آخر ثم اختلف في تعيين الأمرين فقيل إذا فرغت من الفرائض فانصب في النوافل وقيل إذا فرغت من الصلاة فانصب في الدعاء وقيل إذا فرغت من شغل دنياك فانصب في عبادة ربك ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَأَرْعِبْ﴾ قدم الجار والمجرور ليدل على الحصر أي لا ترغب إلا إلى ربك وحده.

سورة التين

مكية وآياتها ٨ نزلت بعد البروج

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ۝٣ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤ ثُمَّ رَدَدْتُهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ۝٥ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٦ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالزَّيْتُونِ وَالزَّيْتُونِ﴾ فيها قولان: الأول أنه التين الذي يؤكل والزيتون الذي يُعَصَّر أقسم الله بهما لفضيلتهما على سائر الثمار رُوِيَ أن رسول الله ﷺ أكل مع أصحابه تينًا فقال: «لو قلت إن فاكهة نزلت من الجنة لقلت هذه لأن فاكهة الجنة بلا عجم فكلوه فإنه يقطع البواسير وينفع من النقرس»، وقال ﷺ: «نعم السواك الزيتون فإنه من الشجرة المباركة هي سواكي وسواك الأنبياء من قبلي». القول الثاني أنهما موضعان ثم اختلف فيهما فقيل هما جبلان بالشام أحدهما بدمشق ينبت فيه التين والآخر بإيلياء ينبت فيه الزيتون فكانه قال ومنابت التين والزيتون، وقيل التين مسجد دمشق والزيتون مسجد بيت المقدس، وقيل التين مسجد نوح والزيتون مسجد إبراهيم والأظهر أنهما الموضعان من الشام وهما اللذان كان فيهما مولد عيسى ومسكنه وذلك أن الله ذكر بعد هذا الطور الذي كَلَّمَ عليه موسى والبلد الذي بعث منه مع

بِالَّذِينَ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ ﴿٧﴾

سيناء وطلع من ساعد وهو موضع عيسى وظهر من جبال باران وهي مكة وأقسم الله بهذه المواضع التي ذكر في التوراة لشرفها بالأنبياء المذكورين ﴿وَطُورِ سَيْنِينَ﴾ هو الجبل الذي كلم الله عليه موسى وهو بالشام وأضافه الله إلى سينين ومعنى سينين مبارك فهو من إضافة الموصوف إلى الصفة، وقيل معناه ذو الشجر واحدا سينة قاله الأخفش وقال الزمخشري ويجوز أن يعرب إعراب الجمع المذكور بالواو والياء وأن يلزم الياء وتحريك النون بحركات الإعراب ﴿وَهَذَا بَلَدِ الْأَمِينِ﴾ هو مكة باتفاق والأمين من الأمانة أو من الأمن لقوله: ﴿اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا﴾ [البقرة: ١٢٦] ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ فيه قولان: أحدهما أن أحسن التقويم هو حُسن الصورة وكمال العقل والشباب والقوة وأسفل سافلين الضعف والهزم والخرف فهو كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ نَعْمَرَهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ﴾ [يس: ٦٨] وقوله: ﴿ثُمَّ جَعَلْ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾ [الروم: ٥٤] وقوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ يغلد هذا غير متصل بما قبله والاستثناء على هذا القول منقطع بمعنى لكن لأنه خارج عن معنى الكلام الأول. والآخر أن حُسن التقويم الفطرة على الإيمان وأسفل سافلين الكفر أو تشويه الصورة في النار والاستثناء على هذا متصل لأن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لم يردوا أسفل سافلين ﴿غَيْرِ مَمْنُونٍ﴾ قد ذكر ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدَ بِالذِّينِ﴾ فيه قولان: أحدهما أنه خطاب للنبي ﷺ والدين شريعته والمعنى أي شيء يكذبك بالدين بعد هذه الدلائل التي تشهد بصحة نبوتك والآخر أنه خطاب للإنسان الكافر والدين على هذا الشريعة أو الجزاء الأخروي ومعنى يكذبك على هذا يجعلك كاذبًا لأن من أنكر الحق فهو كاذب والمعنى أي شيء يجعلك كاذبًا بسبب كفرك بالدين بعد أن علمت أن الله خلقك في أحسن تقويم ثم ردك أسفل سافلين ولا شك أنه يقدر على بعثك كما قدر على هذا فلا شيء تكذب بالبعث والجزاء ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ﴾ تقرير ووعد للكفار بأن يحكم عليهم بما يستحقون وكان رسول الله ﷺ إذا قرأها قال: «بلى وأنا على ذلك من الشاهدين».

سورة العلق

مكية وآياتها ١٩ وهي أول ما نزل من القرآن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ
 الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَاطِفٌ ﴿٦﴾ أَنْ رَأَاهُ اسْتَغْفَىٰ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجُوعَ ﴿٨﴾ أَرَأَيْتَ الَّذِي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نزل صدرها بغار حراء، وهو أول ما نزل من القرآن حسبما ورد عن عائشة في الحديث الذي ذكرناه في أول الكتاب ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ فيه وجهان: أحدهما أن معناه اقرأ القرآن مفتتحاً باسم ربك أو متبركاً باسم ربك وموضع باسم ربك نصب على الحال ولذا كان تقديره مفتتحاً فيحتمل أن يريد ابتداء القراءة بقول بسم الله الرحمن الرحيم أو يريد الابتداء باسم الله مطلقاً والوجه الثاني أن معناه اقرأ هذا اللفظ وهو باسم ربك الذي خلق فيكون باسم ربك مفعولاً وهو المقروء ﴿الَّذِي خَلَقَ﴾ حذف المفعول لقصد العموم كأنه قال الذي خلق كل شيء ثم خصص خلقه الإنسان لما فيه من العجائب والعبير ويحتمل أنه أراد الذي خلق الإنسان كما قال ﴿الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ [الرحمن: ٣] ثم فسره بقوله: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ والعلق جمع علقة، وهي النطفة من الدم والمراد بالإنسان هنا جنس بني آدم، ولا

يَنْهَى ٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّى ١٠ أَرَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى ١١ أَوْ أَمَرَ بِالْتَّقْوَى ١٢ أَرَيْتَ إِنْ كَذَبَ وَتَوَلَّى ١٣ أَمْ

تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ [الحج: ٥] لأنه أراد كل واحد علي حدته ولم يدخل آدم في الإنسان هنا لأنه لم يخلق من علقه وإنما خلق من طين ﴿أَقْرَأُ فَذُرِّيَّةُ الْأَكْرَمِ﴾ كَرَّرَ الْأَمْرَ بِالْقِرَاءَةِ تَأْكِيدًا وَالْوَاوُ لِلْحَالِ وَالْمَقْصُودُ تَأْنِيثُ النَّبِيِّ ﷺ كَأَنَّهُ يَقُولُ أَفْعَلْ مَا أَمَرْتُ بِهِ فَإِنَّ رَبَّكَ كَرِيمٌ وَصِيغَةٌ أَفْعَلُ لِلْمِبَالِغَةِ ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ هَذَا تَفْسِيرٌ لِلْأَكْرَمِ فَدَلَّ عَلَى أَنَّ نِعْمَةَ التَّعْلِيمِ أَكْبَرُ نِعْمَةٍ، وَخَصَّ مِنَ التَّعْلِيمَاتِ الْكِتَابَةَ بِالْقَلَمِ لِمَا فِيهَا مِنْ تَخْلِيدِ الْعُلُومِ وَمَصَالِحِ الدِّينِ وَالدُّنْيَا، وَقَرَأَ ابْنُ الزَّبِيرِ عَلَّمَ النُّخْطَ بِالْقَلَمِ ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ يَحْتَمِلُ أَنْ يَرِيدَ بِهَذَا التَّعْلِيمِ الْكِتَابَةَ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُهَا فِي أَوَّلِ أَمْرِهِ أَوْ يَرِيدُ التَّعْلِيمَ لِكُلِّ شَيْءٍ عَلَى الْإِطْلَاقِ، وَقِيلَ إِنَّ الْإِنْسَانَ هُنَا سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ ﷺ وَالْأَظْهَرُ أَنَّهُ جَنَسُ الْإِنْسَانَ عَلَى الْعَمُومِ ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَ طَافٍ﴾ نَزَلَ هَذَا وَمَا بَعْدَهُ إِلَى آخِرِ السُّورَةِ فِي أَبِي جَهْلٍ بَعْدَ نَزُولِ صَدْرِهَا بِمُدَّةٍ، وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ يَطْغَى بِكَثْرَةِ مَالِهِ وَيَبَالِغُ فِي عِدَاوَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَكَلَّا هُنَا يَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ زَجْرًا لِأَبِي جَهْلٍ أَوْ بِمَعْنَى حَقًّا أَوْ اسْتَفْتَاخًا ﴿أَنْ رَأَاهُ اسْتَفْتَى﴾ فِي مَوْضِعِ الْمَفْعُولِ مِنْ أَجْلِهِ أَيِ يَطْغَى مِنْ أَجْلِ غِنَاهُ وَالرُّؤْيَا هُنَا بِمَعْنَى الْعِلْمِ بِدَلِيلِ إِعْمَالِ الْفِعْلِ فِي الضَّمِيرِ وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ إِلَّا فِي أَفْعَالِ الْقُلُوبِ وَالْمَعْنَى رَأَى نَفْسَهُ اسْتَعْنَى، وَاسْتَعْنَى هُوَ الْمَفْعُولُ الثَّانِي ﴿إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى﴾ هَذَا تَهْدِيدٌ لِأَبِي جَهْلٍ وَأَمْثَالِهِ ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى عَبْدًا إِذَا صَلَّى﴾ اتَّفَقَ السُّنَنُوسُونَ أَنَّ الْعَبْدَ الَّذِي صَلَّى هُوَ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ ﷺ وَأَنَّ الَّذِي نَهَاهُ أَبُو جَهْلٍ لَعَنَهُ اللَّهُ وَسَبَّبَ الْآيَةَ أَنَّ أَبَا جَهْلٍ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ يَصَلِّي فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَهَمَّ بِأَنْ يَصِلَ إِلَيْهِ وَيَمْنَعَهُ مِنَ الصَّلَاةِ وَرَوِيَّ أَنَّهُ قَالَ لَمَّا رَأَيْتَهُ يَصَلِّي لِأَطَانٍ عَنَفَهُ فَجَاءَهُ وَهُوَ يَصَلِّي ثُمَّ انصَرَفَ عَنْهُ مَرْعُوبًا فَقِيلَ لَهُ مَا هَذَا فَقَالَ لَقَدْ اعْتَرَضَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ خَنْدَقٌ مِنْ نَارٍ وَهَوْلٌ وَأَجْنَحَةٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَوْلَا مَا مَنِي لَأَخْتَطَفْتَهُ الْمَلَائِكَةُ عَضْوًا عَضْوًا» ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى أَوْ أَمَرَ بِالْتَّقْوَى﴾ أَرَأَيْتَ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي قَبْلَهُ وَالَّذِي بَعْدَهُ بِمَعْنَى أَخْبَرَنِي فَكَأَنَّهُ سَأَلَ يَفْتَقِرُ إِلَى جَوَابٍ وَفِيهَا مَعْنَى التَّعْجِيبِ وَالتَّوْقِيفِ وَالتَّخْطَابِ فِيهَا يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ لِلنَّبِيِّ ﷺ أَوْ لِكُلِّ مَنْ خَاطَبَ مِنْ خَيْرٍ تَعْيِينٌ وَهِيَ تَتَعَدَّى إِلَى مَفْعُولَيْنِ وَجَاءَتْ بَعْدَهَا إِنْ الشَّرْطِيَّةُ فِي مَوْضِعَيْنِ وَهِيَ قَوْلُهُ: ﴿إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى﴾، وَقَوْلُهُ: ﴿إِنْ كَذَبَ وَتَوَلَّى﴾ فَيَحْتَاجُ إِلَى الْكَلَامِ فِي مَفْعُولِي أَرَأَيْتَ فِي الْمَوَاضِعِ الثَّلَاثَةِ وَفِي جَوَابِ الشَّرْطَيْنِ وَفِي الضَّمَائِرِ الْمُتَّصِلَةِ بِهَذِهِ الْأَفْعَالِ وَهِيَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى وَتَوَلَّى وَكَذَبَ وَتَوَلَّى عَلَى مَنْ تَعُودُ هَذِهِ الضَّمَائِرُ فَقَالَ الْإِسْلَامِيُّ إِنَّ قَوْلَهُ الَّذِي يَنْهَى هُوَ الْمَفْعُولُ الْأَوَّلُ لِقَوْلِهِ أَرَأَيْتَ الْأَوَّلَى وَأَنَّ الْجُمْلَةَ الشَّرْطِيَّةَ بَعْدَ ذَلِكَ فِي مَوْضِعِ

يَعْلَمُ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنْتَه لِنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلَئِدُعُ نَادِيَهُ ﴿١٧﴾ سَنَدُعُ
الزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا نَطْعُهُ وَأَسْجُدُّ وَاقْتَرِبُ ﴿١٩﴾

المفعول الثاني وكررت رأيت بعد ذلك للتأكيد فهي زائدة لا تحتاج إلى مفعول وإن قوله ألم يعلم بأن الله يرى هو جواب قوله إن كذب وتولى فهو في المعنى جواب للشرطين معاً وأن الضمير في قوله إن كان على الهدى أو أمر بالتقوى للذي نهى عن الصلاة وهو أبو جهل وكذلك الضمير في قوله إن كذب وتولى وتقدير الكلام على هذا أخبرني عن الذي ينهى عبداً إذا صلى إن كان هذا الناهي على الهدى أو كذب وتولى ألم يعلم بأن الله يرى جميع أحواله من هداه وضلاله وتكذيبه ونهيه عن الصلاة وغير ذلك فمقصود الآية تهديد له وزجر وإعلام بأن الله يراه، وخالفه ابن عطية في الضمائر فقال إن الضمير في قوله إن كان على الهدى أو أمر بالتقوى للعبد الذي صلى وأن الضمير في قوله إن كذب وتولى للذي نهى عن الصلاة وخالفه أيضاً في جعله رأيت الثانية مكررة للتأكيد وقال إنها في المواضع الثلاثة توقيف وأن جوابه في المواضع الثلاثة قوله ألم يعلم بأن الله يرى فإنه يصلح مع كل واحد منها، ولكنه جاء في آخر الكلام اختصاراً وخالفهما أيضاً الغزنوي في الجواب فقال إن جواب قوله إن كان على الهدى محذوف فقال إن تقديره إن كان على الهدى أو أمر بالتقوى أليس هو على الحق واتباعه واجب، والضمير على هذا يعود على العبد الذي صلى وفاقاً لابن عطية ﴿لَئِن لَّمْ يَنْتَه لِنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾ أوعد أبا جهل إن لم ينته عن كفره وطغيانه أن يؤخذ بناصيته فيلقى في النار، والناصية مقدم الرأس فهو كقوله: ﴿فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ﴾ [الرحمن: ٤١] والسفع هنا الجذب والقبض على الشيء وقيل هو الإحراق من قولك سفعته النار وأكد لفسفعا باللام والنون الخفيفة وكتبت في المصحف بالألف مراعاة للوقف ويظهر لي أن هذا الوعيد نفذ عليه يوم بدر حين قتل وأخذ بناصيته فجز إلى القلب ﴿نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ أبدل ناصية من الناصية ووصفها بالكذب والخطيئة تجوزاً والكاذب الخاطيء في الحقيقة صاحبها والخطيء الذي يفعل الذنب متعمداً والمخطيء الذي يفعله بغير قصد ﴿فَلَئِدُعُ نَادِيَهُ﴾ النادي والندى المجلس الذي يجتمع فيه الناس وكان أبو جهل قد قال أيتوعدني محمد فوالله ما بالوادي أعظم نادياً مني فنزلت الآية تهديداً وتعجيزاً له، والمعنى فليدع أهل ناديه لنصرته إن قدروا على ذلك ثم أوعده بأن يدعوه له زبانية جهنم وهم الملائكة الموكلون بالعذاب والزبانية في اللغة الشرط واحدهم زبينة وقيل زبني وفي الحديث أن رسول الله ﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾ أي

سورة القدر

مكية وآياتها ٥ نزلت بعد عبس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ نَزَّلَ الْمَلَكُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَّمَ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴿٥﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اختلف الناس في ليلة القدر على ستة عشر قولاً وهي أنها ليلة إحدى وعشرين من رمضان وليلة ثلاث وعشرين وليلة خمس وعشرين وليلة سبع وعشرين وليلة تسع وعشرين فهذه خمسة أقوال في ليالي الأوتار من العشر الأواخر من رمضان على قول من ابتدأ عدتها من أول العشر وقد ابتدأ بعضهم عدتها من آخر الشهر فجعل ليالي الأوتار ليلة ثلاثين لأنها الأولى وليلة ثمان وعشرين لأنها الثانية وليلة ستة وعشرين لأنها الخامسة وليلة أربع وعشرين لأنها السابعة وليلة اثنين وعشرين لأنها التاسعة فهذه خمسة أقوال آخر فتلك عشرة أقوال والقول الحادي عشر أنها تدور في العشر الأواخر ولا تثبت في ليلة واحدة منه . الثاني عشر أنها مخفية في رمضان كله وهذا ضعيف لقوله ﷺ التمسوها في العشر الأواخر . الثالث عشر أنها مخفية في العام كله . الرابع عشر أنها ليلة النصف من شعبان وهذان القولان باطلان لأن الله

أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ﴿ [البقرة: ١٨٥] فدل ذلك على أن ليلة القدر في رمضان. القول الخامس عشر أنها رفعت بعد النبي ﷺ وهذا ضعيف. القول السادس عشر أنها ليلة سبعة عشر من رمضان لأن وقعة بدر كانت صبيحة هذه الليلة. وأوجح الأقوال أنها ليلة إحدى وعشرين من رمضان أو ليلة ثلاث وعشرين أو ليلة سبع وعشرين فقد جاءت في هذه الليالي الثلاث أحاديث صحيحة خرّجها مسلم وغيره والأشهر أنها ليلة سبع وعشرين ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ الضمير في أنزلناه للقرآن دلّ على ذلك سياق الكلام وفي ذلك تعظيم للقرآن من ثلاثة أوجه: أحدها أنه ذكر ضميره دون اسمه الظاهر دلالة على شهرته والاستغناء عن تسميته، والثاني أنه اختار لإنزاله أفضل الأوقات والثالث أن الله أسند إنزاله إلى نفسه وفي كيفية إنزاله في ليلة القدر قولان أحدهما أنه ابتداء إنزاله فيها والآخر أنه أنزل القرآن فيها جملة واحدة إلى السماء ثم نزل به جبريل إلى الأرض بطول عشرين سنة وقيل المعنى أنزلناه في شأن ليلة القدر وذكرها وهذا ضعيف وسُميت ليلة القدر من تقدير الأمور فيها أو من القدر بمعنى الشرف ويترجح الأول بقوله فيها يفرق كل أمر حكيم ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾ هذا تعظيم لها قلل بعضهم كل ما قال فيه ما أدراك فقد علمه النبي ﷺ وما قال فيه ما يدريك فإنه لا يعلمه ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ معناه أن من قامها كتب الله له أجر العبادة في ألف شهر قال بعضهم يعني في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر وفي الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» وسبب الآية أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ذكر رجلاً ممن تقدّم عبد الله ألف شهر فعجب المسلمون من ذلك ورأوا أن أعمارهم تنقص عن ذلك فأعطاهم الله ليلة القدر وجعلها خيراً من العبادة في تلك المدة الطويلة. ورُوِيَ أن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهما حوثب حين بايع معاوية فقال إن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم رأى في المنام بني أمية ينزون على منبره. نزو القردة وأعلمه أنهم يملكون أمر الناس ألف شهر فاهتمّ لذلك فأعطاه الله ليلة القدر وهي خير من ملك بني أمية ألف شهر ثم كشف الغيب أنه كان من بيعة الحسن لمعاوية إلى قتل مروان الجعدي آخر ملوك بني أمية بالمشرق ألف شهر ﴿تَنْزِيلُ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ الروح هنا جبريل عليه السلام وقيل صنف من الملائكة لا تراهم الملائكة إلا تلك الليلة وتنزلهم هو إلى الأرض، وقيل إلى السماء الدنيا وهو تعظيم لليلة القدر ورحمة للمؤمنين القائمين فيها ﴿مَنْ كَفَّلَ أَمْرًا﴾ هذا متعلق بما قبله والمعنى أن الملائكة ينزلون ليلة القدر من أجل كل أمر يقضي الله في ذلك العام فإنه رُوِيَ أن الله يعلم الملائكة بكل ما يكون في ذلك العام من الأفعال والأزواق وغير

ذلك ليتمثلوا ذلك في العام كله، وقيل على هذا المعنى أن من بمعنى الباء أي ينزلون بكل أمر وهذا ضعيف وقيل إن المجرور يتعلق بعده والمعنى أنها سلام من كل أمر أي سلامة من الآفات قال مجاهد لا يصيب أحد فيها داء والأظهر أن الكلام تمّ عند قوله من كل أمر ثم ابتداء قوله سلام هي واختلف في معنى سلام فقيل إنه من السلامة وقيل إنه من التحية لأن الملائكة يسلمون على المؤمنين القائمين فيها وكذلك اختلف في إعرابه فقيل سلام هي مبتدأ وخبر وهذا يصحّ سواء جعلناه متصلاً مع ما قبله أو منقطعاً عنه وقيل سلام خبر مبتدأ مضمّر تقديره أمرها سلام أو القول فيها سلام وهي مبتدأ خبره حتى مطلع الفجر أي هي دائمة إلى طلوع الفجر ويختلف الوقف باختلاف الإعراب وقال ابن عباس إن قوله هي إشارة إلى أنها ليلة سبع وعشرين لأن هذه الكلمة هي السابعة والعشرين من كلمات السورة.

سورة البينة

مدنية وآياتها ٨ نزلت بعد الطلاق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُوا صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ ﴿٣﴾ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ذكر الله الكفار ثم قسمهم إلى صنفين أهل الكتاب والمشركين وذكر أن جميعهم لم يكونوا منفكين حتى تأتيهم البينة وتقوم عليهم الحجة ببعث رسول الله ﷺ ومعنى منفكين منفصلين ثم اختلف في هذا الانفصال على أربعة أقوال: أحدها أن المعنى لم يكونوا منفصلين عن كفرهم حتى تأتيهم البينة لتقوم عليهم الحجة. الثاني لم يكونوا منفصلين عن معرفة نبوة سيدنا محمد ﷺ حتى بعثه الله. الثالث اختاره ابن عطية وهو لم يكونوا منفصلين عن نظر الله وقدرته حتى يبعث الله إليهم رسولا يقيم عليهم الحجة. الرابع وهو الأظهر عندي أن المعنى لم يكونوا لينفصلوا من الدنيا حتى بعث الله لهم سيدنا محمداً ﷺ فقامت عليهم الحجة لأنهم لو انفصلت الدنيا دون بعثه لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فلما بعثه الله لم يبق لهم عذر ولا حجة فمنفكين على هذا كقولك لا تبرح أو لا تزول حتى يكون كذا وكذا ﴿رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ يعني سيدنا محمداً ﷺ وإعرابه بدل من البينة أو خبر ابتداء مضمرة

الْبَيْتَةُ ﴿٤﴾ وَمَا أَمَرُوا إِلَّا ليعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴿٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ

﴿يَتْلُوا صُحُفًا مُطَهَّرَةً﴾ يعني القرآن في صحفه ﴿فِيهَا كُتِبَ قِيَمَةٌ﴾ أي قِيَمَةٌ بالحق مستقيمة المعاني ووزن قِيَمَةٌ فيعلة وفيه مبالغة قال ابن عطية هذا على حذف مضاف تقديره فيها أحكام كتب ولا يحتاج إلى هذا الحذف لأن الكتب بمعنى المكتوبات ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيْتَةُ﴾ أي ما اختلفوا في نبوة سيدنا محمد ﷺ إلا من بعد ما علموا أنه حق ويحتمل أن يريد تفرقهم في دينهم كقوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ﴾ [هود: ١١٠] وإنما خصّ الذين أوتوا الكتاب بالذكر هنا بعد ذكرهم مع غيرهم في أول السورة لأنهم كانوا يعلمون صحة نبوة سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بما يجدون في كتبهم من ذكره ﴿وَمَا أَمَرُوا﴾ الآية: معناها: ما أمروا في التوراة والإنجيل إلا بعبادة الله ولكنهم حرّفوا وبدّلوا ويحتمل أن يكون المعنى ما أمروا في القرآن إلا بعبادة الله فلا شيء ينكرونه ويكفرون به ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ استدلال المالكية بهذا على وجوب النية في الوضوء وهو بعيد لأن الإخلاص هنا يراد به التوحيد وترك الشرك أو ترك الرياء وذلك أن الإخلاص مطلوب في التوحيد وفي الأعمال وهذا الإخلاص في التوحيد هو الشرك الجلي وهذا الإخلاص في الأعمال هو الشرك الخفي وهو الرياء قال رسول الله ﷺ: «الرياء الشرك الأصغر»، وقال ﷺ فيما يرويه عن ربه إنه تعالى يقول: «أنا أغنى الأغنياء عن الشرك فمن عمل عملاً أشرك فيه غيري تركته وشريكه»، واعلم أن الأعمال ثلاثة أنواع مأمورات ومنهيات ومباحات فأما المأمورات فالإخلاص فيها عبارة عن خلوص النية لوجه الله بحيث لا يشوبها بنية أخرى فإن كانت كذلك فالعمل خالص مقبول وإن كانت النية لغير وجه الله من طلب منفعة دنيوية أو مدح أو غير ذلك فالعمل رياء محض مردود وإن كانت النية مشتركة ففي ذلك تفصيل فيه نظر واحتمال وأما المنهيات فإن تركها دون نية خرج عن عهدها ولم يكن له أجر في تركها وإن تركها بنية وجه الله حصل له الخروج عن عهدها مع الأجر وأما المباحات كالأكل والنوم والجماع وشبه ذلك فإن فعلها بغير نية لم يكن له فيها أجر وإن فعلها بنية وجه الله فله فيها أجر فإن كل مباح يمكن أن يصير قربة إذا قصد به وجه الله مثل أن يقصد بالأكل القوة على العبادة ويقصد بالجماع التعفّف عن الحرام ﴿حُنَفَاءَ﴾ جمع حنيف وقد ذكر ﴿وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ تقديره الملة القِيَمَةُ أو الجماعة القِيَمَةُ وقد

هُم شُرَّ الْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَأَوْهُمْ جَزَأَتْ رَبِّهِمْ جَعَلَتْ عَدْنٍ قَعْرِي مِنْ مَحْضِهَا الْأَنْهَرُ خَلِيدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ

رَبُّهُ ﴿٨﴾

وأقام الصلاة وإيتاء الزكاة هو دين الإسلام فلا شيء لا يدخلون فيه ﴿البقرة﴾ الخلق لأن الله برأهم وأوجدهم بعد العدم وقرىء بالهمز وهو الأصل وبالياء وهو تخفيف من المهموز وهو أكثر استعمالاً عند العرب ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ اختلف هل هذا في الدنيا أو في الآخرة فرضاهم عن الله في الدنيا هو الرضا بقضائه والرضا بدينه قال رسول الله ﷺ «ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً»، ورضاهم عنه في الآخرة: هو رضاهم بما أعطاهم الله فيها، أو رضا الله عنهم. لما ورد في الحديث أن الله يقول يا أهل الجنة هل تريدون شيئاً أزيدكم فيقولون يا ربنا وأي شيء نريد وقد أعطيتنا ما لم نعتد أخذاً من العالمين فيقول عندي أفضل من ذلك وهو رضواني فلا أسخط عليكم أبداً ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ أي لمن خافه وهذا دليل على فضل الخوف قال رسول الله ﷺ: «خوف الله رأس كل حكمة».

سورة الزلزلة

مدنية وآياتها ٨ نزلت بعد النساء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا ﴿٥﴾ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُسْرُوا أَعْمَالَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَنْ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ﴾ أي حُرِّكَتْ واهتزَّت ﴿زِلْزَالَهَا﴾ مصدر وإنما أضيف إليها تهويلاً كأنه يقول الزلزلة التي تليق بها على عظم جرمها ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ يعني الموتى الذين في جوفها وذلك عند النفخة الثانية في الصور وقيل هي الكنوز وهذا ضعيف لأن إخراجها للكنوز وقت الدجال ﴿وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا﴾ أي يتعجب من شأنها فيحتمل أن يريد جنس الإنسان أو الكافر خاصة لأنه الذي يرى حينئذ ما لا يظن ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ هذه عبارة عما يحدث فيها من الأهوال فهو مجاز وحديث بلسان الحال وقيل هو شهادتها على الناس بما عملوا على ظهرها فهو حقيقة وتحديث يتعدى إلى مفعولين حذف المفعول منهما والتقدير تحدث الخلق أخبارها وانتزع بعض المحدثين من قوله تحدث أخبارها أن قول المحدث حدثنا وأخبارنا أخبارنا وتحدث هو العامل في إذا ويومئذ بدل من إذا ويجوز أن يكون العامل في إذا مضمراً وتحدث عامل في يومئذ

يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾

﴿يَأْنِ رَبِّكَ أَوْحَى لَهَا﴾ الباء سببية متعلقة بتحدث أي تحدثه بسبب أن الله أوحى لها ويحتمل أن يكون بأن الله أوحى لها بدلاً من إخبارها وهذا كما تقول محدثت كذا وحديث بكذا والمعنى على هذا تحدث بحديث الوحي لها وهذا الوحي يحتمل أن يكون إلهاماً أو كلاماً بواسطة الملائكة ولها بمعنى إليها، وقيل معناه أوحى إلى الملائكة من أجلها وهذا بعيد ﴿يَوْمَئِذٍ يَصُدُّرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا﴾ معنى أشتاتاً مختلفين في أحوالهم وواحد الأشتات شت وصدرو الناس هو انصرافهم من موضع وردهم فقيل الورد هو الدفن في القبور والصدر هو القيام للبعث وقيل الورد القيام للحشر والصدر الانصراف إلى الجنة والنار وهذا أظهر وفيه يعظم التفاوت بين أحوال الناس فيظهر كونهم أشتاتاً ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ المثقال هو الوزن والذرة هي النملة الصغيرة، والرؤية هنا ليست برؤية بصر وإنما هي عبارة عن الجزاء وذكر الله مثقال الذرة تبييناً على ما هو أكثر منه من طريق الأولى كأنه قال من يعمل قليلاً أو كثيراً وهذه الآية هي في المؤمنين لأن الكافر لا يجازي في الآخرة على حسناته إذ لم تقبل منه واستدل أهل السنة بهذه الآية أنه لا يخلد مؤمن في النار لأنه إذا خلد لم ير ثواباً على إيمانه وعلى ما عمل من الحسنات، وروي عن عائشة أنها تصدقت بحبة عنب فقيل لها في ذلك فقالت كم فيها من مثقال ذرة، وسمع رجلاً هذه الآية عند رسول الله ﷺ فقال حسبي الله لا أبالي أن أسمع غيرها ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ هذا على عمومه في حق الكافر وأما المؤمنون فلا يجازون بذنوبهم إلا بستة شروط: وهي أن تكون ذنوبهم كبائر وأن يموتوا قبل التوبة منها وأن لا تكون لهم حسنات أرجح في الميزان منها وأن لا يشفع فيهم وأن لا يكون ممن استحق المغفرة بعمل كاهل بدر وإن لا يغفر الله عنهم فإن المؤمن العاصي في مشيئة الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له.

سورة العاديات

مكية وآياتها ١١ نزلت بعد العصر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ﴿١﴾ فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا ﴿٢﴾ فَالْمَغِيرَاتِ صَبْحًا ﴿٣﴾ فَأَنْزَلَ بِهِ نَفْعًا ﴿٤﴾ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ﴿٥﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾ وَإِنَّكُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ لَشَاهِدٌ ﴿٧﴾ وَإِنَّكُمْ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اختلف في العاديات والموريات والمغيرات هل يراد بها الخيل أو الإبل وعلى القول بأنها الخيل اختلف هل يعني خيل المجاهدين أو الخيل على الإطلاق وعلى القول بأنها الإبل اختلف هل يعني إبل غزوة بدر أو إبل المجاهدين مطلقًا أو إبل الحجاج أو الإبل على الإطلاق ومعنى العاديات التي تعدو في مشيها، والضبح هو تصويت جهير عند العدو الشديد ليس بصهال وهو مصدر منصوب على تقدير يضبحن ضبحًا أو هو مصدر في موضع الحال تقديره العاديات في حال ضبحها، والموريات من قولك أوريت النار إذا أوقدتها والقدح هو صكّ الحجارة فيخرج منها شعلة نار وذلك عند ضرب الأرض لأرجل الخيل أو الإبل وإعراب قدحًا كإعراب صبحًا والمغيرات من قولك أغارت الخيل إذا خرجت للإغارة على الأعداء وصبحًا ظرف زمان لأن عادة أهل الغارة في الأكثر أن يخرجوا في الصباح ﴿فَأَنْزَلَ بِهِ نَفْعًا﴾ هذه الـ Made searchable using ScribeTools.com في تقدير التي تعدو

﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعِثَ مَا فِي الْقُبُورِ ﴿٩﴾ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ﴿١٠﴾ إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾

والنقع الغبار والضمير المجرور للوقت المذكور وهو الصبح فالباء ظرفية أو لكان الذي يقتضيه المعنى فالباء أيضًا ظرفية أو للعدو وهو المصدر الذي يقتضيه العاديات فالباء سببية ومعنى أثن حركن والضمير الفاعل للإبل أو للخيل أي حركن الغبار عند مشيهم ﴿فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا﴾ معنى وسطن توسطن وجمعًا اختلف هل المراد به جمع من الناس أو المزدلفة لأن اسمها جمع والضمير المجرور للوقت أو للمكان أو للعدو أو للنقع ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ هذا جواب القسم والكنود الكفور للنعمة فالتقدير إن الإنسان لنعمة ربه لكفور والإنسان جنس، وقيل الكنود العاصي وقال بعض الصوفية الكنود هو الذي يعبد الله على عوض ﴿وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾ الضمير للإنسان أي هو شاهد على نفسه بكنوده وقيل هو الله تعالى على معنى التهديد والأول أرجح لأن الضمير الذي بعده للإنسان باتفاق فيجري الكلام على نسق واحد ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ الخير هنا المال كقوله إن ترك خيرًا والمعنى أن الإنسان شديد الحب للمال فهو ذم لحيته والحرص عليه وقيل الشديد البخيل والمعنى على هذا أنه بخيل من أجل حب المال والأول أظهر ﴿إِذَا بُعِثَ مَا فِي الْقُبُورِ﴾ أي بحث عند ذلك عبارة عن البعث ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾ أي جمع ما في الصحف وأظهر محصلًا أو ميز خيره من شره ﴿إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾ الضمير في ربهم وبهم يعود على الإنسان لأنه يراد به الجنس وفي هذه الجملة وجهان: أحدهما أن هذه الجملة معمول أفلا يعلم فكان الأصل أن تفتح إن ولكنها كسرت من أجل اللام التي في خبرها والثاني أن تكون هذه الجملة مستأنفة ويكون معمول أفلا يعلم محذوفًا ويكون الفاعل ضميرًا يعود على الإنسان والتقدير أفلا يعلم الإنسان حاله وما يكون منه إذا بعث ما في القبور وهذا هو الذي قاله ابن عطية ويحتمل عندي أن يكون فاعل أفلا يعلم ضميرًا يعود على الله والمفعول محذوف والتقدير أفلا يعلم الله أعمال الإنسان إذا بعث ما في القبور ثم استأنف قوله ﴿إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾ على وجه التأكيد أو البيان للمعنى المتقدم والفاعل في إذا بعث على هذا الوجه هو أفلا يعلم والفاعل فيه على مقتضى قول ابن عطية هو المفعول المحذوف وإذا هنا ظرفية بمعنى حين ووقت وليست بشرطية والفاعل في يومئذ خير وإنما خص ذلك اليوم القيامة لأنه يوم الجزاء بقصد التهديد مع أن الله خير على الإطلاق.

وإنما خص ذلك اليوم القيامة لأنه يوم الجزاء بقصد التهديد مع أن الله خير على الإطلاق.

سورة القارعة

مكية وآياتها ١١ نزلت بعد قريش

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٣﴾ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ
الْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ﴿٥﴾ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴿٦﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْقَارِعَةُ﴾ من أسماء القيامة لأنها تفرع القلوب بهولها وقيل هي النفخة في الصور لأنها تفرع الأسماع ﴿مَا الْقَارِعَةُ﴾ مبتدأ وخبر في موضع خبر القارعة والمراد به تعظيم شأنها وكذلك ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾ العامل في الظرف محذوف دل عليه القارعة تقديره تفرع في يوم والفراش هو الطير الصغير الذي يشبه البعوض ويدور حول المصباح والمبثوث هو المنتشر المتفرق شبه الله الخلق يوم القيامة به في كثرتهم وانتشارهم وذلتهم ويحتمل أنه شبههم به لتساقطهم في جهنم كما يتساقط الفراش في المصباح قال بعض العلماء الناس في أول قيامهم من القبور كالفراش المبثوث لأنهم يجيئون ويذهبون على غير نظام ثم يدعوهم الداعي فيتوجهون إلى ناحية المحشر فيكونون حينئذ كالجراد المنتشر لأن الجراد يقصد إلى جهة واحدة، وقيل الفراش هنا الجراد الصغير وهو ضعيف ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾ صوف الأحمر وقيل

سورة التكاثر

مكية وآياتها ٨ نزلت بعد الكوثر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَلْهَكُمُ التَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴿٢﴾ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾
كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴿٧﴾ ثُمَّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿أَلْهَاكُمْ التَّكَاثُرُ﴾ هذا خبر يُراد به الوعظ والتوبيخ ومعنى ألهاكم شغلكم والتكاثر المَبَاهَاة بكثرة المال والأولاد وأن يقول هؤلاء نحن أكثر ويقول هؤلاء نحن أكثر ولما قرأها النبي ﷺ قال: «يقول ابن آدم مالي مالي وليس لك من مالك إلا ما أكلت فأفريت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت» ﴿حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها أن معناه حتى مُتُّم فأراد بزيارة المقابر الدفن فيها. الثاني أن معناه حتى ذكرتم الموتى الذين في المقابل فعبر بزيارتها عن التفاخر بمن فيها لأن بعض العرب تفاخر بأبائهم الموتى فالمعنى ألهاكم التكاثر حتى بلغتم فيه إلى ذكر الموتى. الثالث أن معناه زيارة المقابر حقيقة لتعظيم أهلها والتفاخر بهم فيقال هذا قبر فلان ليشهر ذكره ويعظم قدره ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ زجر وتهديد ثم كثره للتأكيد وعطفه بضم إشارة إلى أن الثاني أعظم من الأول، وقيل الأول تهديد للكفار والثاني تهديد للمؤمنين لأن ما يحل بكم، أو

لَتَسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴿٨﴾

تعلمون أن القرآن حقّ أو تعلمون أنكم كنتم على خطأ في اشتغالكم بالدنيا، وإنما حذفه لقصد التهويل فيقدر السامع أعظم ما يخطر بباله ﴿لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾ جواب لو محذوف تقديره لو تعلمون لاذجرتم واستعددتهم للآخرة فينبغي الوقف على اليقين ومعمول لو تعلمون محذوف أيضاً وعلم اليقين مصدر ومعنى علم اليقين العلم الذي لا يشكّ فيه قال بعضهم هو من إضافة الشيء إلى نفسه كقولك دار الآخرة وقال الزمخشري معناه علم الأمور التي تتيقنونها بالمشاهدة ﴿لَتَرْوُنَّ الْجَحِيمَ﴾ هذا جواب قسم محذوف وهو تفسير لمفعول لو تعلمون تقديره: لو تعلمون عاقبة أمركم ثم فسرها بأنها رؤية الجحيم والتفسير بعد الإبهام يدلّ على التهويل والتعظيم والنخبات لجميع الناس فهو كقوله وإن منكم إلا واردها وقيل للكفار خاصة فالرؤية على هذا يراد بها الدخول فيها ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ هذا تأكيد للرؤية المتقدمة وعطفه بثم للتهويل والتفخيم والعين هنا من قولك عين الشيء نفسه وذاته أي لترونها الرؤية التي هي نفس اليقين ﴿ثُمَّ لَتَسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ هذا إخبار بالسؤال في الآخرة عن نعيم الدنيا فقيل النعيم الأمن والصحة وقيل الطعام والشراب وهذه أمثلة والصواب العموم في كل ما يتلذذ به قال رسول الله ﷺ: «بيت يكتك وخرقة تواريك وكسرة تشدّ قلبك وما سوى ذلك فهو نعيم»، وقال ﷺ: «كلّ نعيم فمستؤول عنه إلا نعيم في سبيل الله»، وأكل ﷺ يوماً مع أصحابه رطباً وشربوا عليه ماء فقال لهم: «هذا من النعيم الذي تسألون عنه».

سورة والعصر

مكية وآياتها ٣ نزلت بعد الشرح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكْفُورٌ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْعَصْرِ﴾ فيه ثلاثة أقوال: الأول أنه صلاة العصر أقسم الله بها لفضلها قال رسول الله ﷺ: «الذي تفوته صلاة العصر كأنما وتر أهله وماله». الثاني أنه العشي أقسم به كما أقسم بالضحى ويؤيد هذا قول أبي بن كعب سألت رسول الله ﷺ عن العصر فقال: «أقسم ربكم بآخر النهار». والثالث أنه الزمان ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكْفُورٌ﴾ الإنسان جنس ولذلك استثنى منه الذين آمنوا فهو استثناء متصل ﴿وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ﴾ أي وصى بعضهم بعضاً بالحق وبالصبر فالحق هو الإسلام وما يتضمنه وفيه إشارة إلى كذب الكفار وفي الصبر إشارة إلى صبر المؤمنين على إذابة الكفار لهم بمكة.

سورة الهمزة

مكية وآياتها ٩ نزلت بعد القيامة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾ الَّذِي جَمَعَ مَا لَا وَعَدَّدُهُ ﴿٢﴾ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدُهُ ﴿٣﴾ كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ
فِي الْحُطْمَةِ ﴿٤﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطْمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ اللَّهِ الْمَوْقَدَةُ ﴿٦﴾ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْآفِئَةِ ﴿٧﴾ إِنَّهَا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ هو على الجملة الذي يعيب النفس ويأكل أعراضهم واشتقاقه من الهمز واللمز وصيغة فعلة للمبالغة واختلف في الفرق بين الكلمتين فقيل الهمز في الحضور واللمز في الغيبة وقيل بالعكس وقيل الهمز باليد والعين واللمز باللسان، وقيل: هما سواء ونزلت السورة في الأحنس بن شريق لأنه كان كثير الوقعة في الناس وقيل في أمية بن خلف وقيل في الوليد بن المغيرة ولفظها مع ذلك على العموم في كل من اتصف بهذه الصفات ﴿وَعَدَّدُهُ﴾ أي أحصاه وحافظ على عدده ألا ينقص فتمعه من الخيرات، وقيل معناه استعدده وأذخره عدة لحوادث الدهر ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدُهُ﴾ أي يظن بقرط جهله واعتراه أن ماله يخلده في الدنيا وقيل يظن أن ماله يوصله إلى دار الخلد ﴿كَلَّا﴾ ردة عليه فيما ظنه ﴿لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطْمَةِ﴾ هذا جواب قسم محذوف والحطمة هي جهنم وإنما سميت حطمة لأنها تحطم ما يلقي فيها وتلتهبه وقد عظمها بقوله: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾ ثم فسرها بآياتها

عَلَيْهِمْ مُّؤَصَّدَةٌ ﴿٨﴾ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴿٩﴾

﴿نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْنِدَةِ﴾ أي تبلغ القلوب بإحراقها قال ابن عطية يحتمل أن يكون المعنى أنها تطلع على ما في القلوب من العقائد والنيات بإطلاع الله إياها ﴿مُؤَصَّدَةٌ﴾ مغلقة ﴿فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾ العمدة جمع عمود وهو عند سيبويه اسم جمع، وقرئ عمدة بضمين، والعمود هو المستطيل من حديد أو خشب والممددة الطويلة، وفي المعنى قولان: أحدهما أن أبواب جهنم أغلقت عليهم ثم مُدَّت على أبوابها عمد تشديداً في الإغلاق والثقف كما تثقف أبواب البيوت بالعمد وهو على هذا متعلق بمؤصدة، والآخر أنهم موثقون مغلولون في العمدة فالمجرور على هذا في موضع خبر مبتدأ مضمرة تقديره هم موثقون في عمد.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الفيل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 أَلَمْ نَجْعَلِ الْفِيلَ حِمْلًا
 وَجَعَلْنَا بَيْنَ يَدَيْهِ جَبَلًا
 وَجَعَلْنَا خَلْفَهُ أَمَّا مِثْقَالًا

مكية وآياتها ٥ نزلت بعد الكافرون

وَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الْفِيلَ
 وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ
 وَجَعَلْنَا غَمَامَهُمْ رِيًّا
 فَجَعَلْنَاهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾
 أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضَلُّلٍ ﴿٢﴾
 وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا
 أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾
 فَجَعَلْنَاهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نزلت هذه السورة منبّهة على العبرة في قصة الفيل التي وقعت في عام مولد رسول الله ﷺ فإنها تدلّ على كرامة الله للكعبة وإنعامه على قريش بدفع العدو عنهم فكان يجب عليهم أن يعبدوه ولا يُشركوا به وفيها مع ذلك عجائب من قدرة الله وشدة عقابه، وقد ذكرت القصة في كتب السير وغيرها واختصارها أن أبرهة ملك الحبشة بنى بيتًا باليمن وأراد أن يحجّ الناس إليه كما يحجّون إلى الكعبة فذهب أعرابي وأحدث في البيت فغضب أبرهة وحلف أن يهدم الكعبة فاحتفل في جموعه وركب الفيل وقصد مكة فلما وصل قريبًا منها فرّ أهلها إلى الجبال وأسلموا له الكعبة وأخذ لعبد المطلب ماتني بعير فكلّمه فيها فقال له كيف تكلمني في الإبل ولا تكلمني في الكعبة وقد جئت لهدمها وهي شرفك وشرف قومك فقال له أنا ربّ الإبل وإن للبيت ربًّا سيمنعه فبرك الفيل بذئ الغميس ولم يتوجّه إلى مكة فكانوا إذا وجهوه إلى غيرها هروا وإذا وجهوه إليها توقف ولو وضعوه بالحديد فبينما هم كذلك

أرسل الله عليهم طيورًا سودًا وقيل خُضْرًا عند كل طائر ثلاثة أحجار في منقاره ورجليه فرمتهم الطيور بالحجارة فكان الحجر يقتل من وقع عليه ورُوي أنه كان يدخل في رأسه ويخرج من دبره ووقع في سائرهم الجدرى والأسقام وانصرفوا فماتوا في الطريق متفرقين في المراحل وتقطع أبرهة أنملة أنملة ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ﴾ معناه ألم تعلم وكيف في موضع نصب بفعل ربك لا بألم ترّ والجملة معمول ألم ترّ ﴿فِي تَضَلِيلٍ﴾ أي إبطال وتخسير ﴿أَبَابِيلَ﴾ معناه جماعات شيئًا بعد شيء قال الزمخشري واحدها أبالة وقال جمهور الناس هو جمع لا واحد له من لفظه ﴿بِحِجَارَةٍ﴾ رُوي أن كل حجر منها كان فوق العدسة ودون الحمصة قال ابن عباس إنه أدرك عند أم هانئ نحو قفتين من هذه الحجارة وأنها كانت مخططة بخمرة ورُوي أنه كان على كل حجر اسم من يقع عليه مكتوبًا ﴿سِجِّيلٍ﴾ قد ذكر ﴿كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾ العصف ورق الزرع وتبته والمراد أنهم صاروا رميمًا وفي تشبيههم به ثلاثة أوجه الأول أنه شبيههم بالتبن إذا أكلته الدواب ثم رائته فجمع التلف والخسة ولكن الله كنى عن هذا على حسب أدب القرآن. الثاني أنه أراد ورق الزرع إذا أكلته الدود. الثالث أنه أراد ﴿كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾ زرعه وبقي هو لا شيء.

سورة قريش

مكية وآياتها ٤ نزلت بعد التين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾ الَّذِي
أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَءَامَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ﴿٤﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾ قريش هم حي من عرب الحجاز الذين هم من ذرية معد بن عدنان إلا أنه لا يقال قريشي إلا لمن كان من ذرية النضر بن كنانة وهم ينقسمون إلى أفخاذ وبيوت نحو بني هاشم وبني أمية وبني مخزوم وغيرهم وإنما سُميت القبيلة قريشاً لتقرشهم والتقرش التكسب وكانوا تجاراً، وعن معاوية أنه سأل ابن عباس لِمَ سُميت قريش قريشاً؟ قال: لدابة في البحر تأكل ولا تؤكل وتعلو ولا تُعلى، وكانوا ساكنين بمكة، وكان لهم رحلتان في كل عام للتجارة رحلة في الشتاء إلى اليمن ورحلة في الصيف إلى الشام، وقيل كانت الرحلتان جميعاً إلى الشام، وقيل كانوا يرحلون في الصيف إلى الطائف حيث الماء والظل، فيقيمون بها ویرحلون في الشتاء إلى مكة لسكناهم بها والإيلاف مصدر من قولك ألفت المكان إذا ألفتته وقيل هو منقول منه بالهمزة يقال ألفت الرجل الشيء وألفه إياه غيره فالمعنى على القول الأول أن قريشاً أَلَفُوا رحلة

الشتاء والصيف وعلى الثاني أن الله أليفهم الرحلتين واختلف في تعلق قوله لإيلاف قريش على ثلاثة أقوال: أحدها أنه يتعلق بقوله فليعبدوا والمعنى فليعبدوا الله من أجل إيلافهم الرحلتين فإن ذلك نعمة من الله عليهم. الثاني أنه يتعلق بمحذوف تقديره اعجبوا لإيلاف قريش. الثالث أنه يتعلق بسورة الفيل والمعنى أن الله أهلك أصحاب الفيل لإيلاف قريش فهو يتعلق بقوله فجعلهم أو بما قبله من الأفعال ويؤيد هذا أن السورتين في مصحف أبي بن كعب سورة واحدة لا فصل بينهما وقد قرأهما عمر في ركعة واحدة من المغرب، وذكر الله الإيلاف أولاً مطلقاً ثم أبدل منه الإيلاف المقيد بالرحلتين تعظيماً للأمر ونصب رحلة لأنه مفعول بإيلافهم وقال رحلة وأراد رحلتين فهو كقول الشاعر:

كلوا في بعض بطنكم تعفوا

﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾ هذا إقامة حجة عليهم بملاطفة واستدعاء لهم وتذكير بالنعم والبيت هو المسجد الحرام ﴿الَّذِي أَطَعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ﴾ يحتمل أن يريد إطعامهم بسبب الرحلتين فقد روي أنهم كانوا قبل ذلك في شدة وضيق حال حتى أكلوا الجيف ويحتمل أن يريد إطعامهم على الإطلاق فقد كان أهل مكة ساكنين بوادٍ غير ذي زرع ولكن الله أطعمهم مما يجلب إليهم من البلاد بدعوة أبيهم إبراهيم عليه الصلاة والسلام وهو قوله: ﴿وَأَزْرُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ [إبراهيم: ٣٧] ﴿وَأَمَّنَّهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ يحتمل أن يريد أمنهم من خوف أصحاب الفيل ويحتمل أن يريد أمنهم في بلدهم بدعوة إبراهيم في قوله: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا﴾ [البقرة: ١٢٦] وقد فسرناه في موضعه أو يعني أمنهم في أسفارهم لأنهم كانوا في رحلتهم آمنين لا يتعرض لهم أحد بسوء وكان غيرهم من الناس تؤخذ أموالهم وأنفسهم وقيل أمنهم من الجذام فلا يرى بمكة مجذوماً قال الزمخشري: التنكير في جوع وخوف لشدتها.

سورة الماعون

مكية ثلاث الآيات الأول،

مدنية الباقى : وآياتها ٧ نزلت بعد التكاثر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْدينِ ﴿١﴾ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحِضُّ عَلَى طَعَامِ
الْمَسْكِينِ ﴿٣﴾ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ الَّذِينَ هُمْ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْدينِ﴾ قيل إن هذا نزل في أبي جهل وأبي سفيان بن حرب وقيل هو مطلق والدين هنا الملة أو الجزاء ﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ﴾ أي يدفعه بعضه وهذا الدفع يحتمل أن يكون عن إطعامه، والإحسان إليه أو عن ماله وحقوقه وهذا أشد والذي لا يحض على طعام المسكين لا يطعمه من باب أولى وهذه الجملة هي جواب أرايت لأن معناها أخبرني فكانه سؤال وجواب والمعنى انظر الذي كذب بالدين تجد فيه هذه الأخلاق القبيحة والأعمال السيئة وإنما ذلك لأن الدين يحمل صاحبه على فعل الحسنات وترك السيئات فمقصود الكلام ذم الكفار وأحوالهم ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ قيل إن هذا نزل في عبد الله بن أبي بن سلول المنافق والسورة على هذا نصفها مكِّي ونصفها مدني قاله أبو زيد السهيلي وذلك أن ذكر أبي جهل وغيره من الكفار أكثر ما جاء في السور المكية وذكر السهو عن الصلاة والرياء فيها إنما هو من صفة الذين كانوا

يُرَاءُونَ ﴿١﴾ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴿٧﴾

بالمدينة لا سيما على قول من قال إنها في عبد الله بن أبي، وقيل إنها مكية كلها وهو الأشهر ونزل آخرها على هذا في رجل أسلم بمكة ولم يكن صحيح الإيمان، وقيل مدنية، والسهو عن الصلاة هو تركها أو تأخيرها تهاوناً بها، وقد سُئِلَ رسول الله ﷺ عن الذين هم عن صلاتهم ساهون قال: «الذين يؤخرونها عن وقتها»، وقال عطاء بن يسار الحمد لله الذي قال: «عن صلاتهم ساهون» ولم يقل في صلاتهم ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ﴾ هو من الرياء أي صلاتهم رياء للناس لا لله ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ وصف لهم بالبخل وقلة المنفعة للناس. وفي الماعون أربعة أقوال: الأول أنه الزكاة، الثاني أنه المال بلغة قريش. الثالث أنه الماء، الرابع أنه ما يتعاطاه الناس بينهم كالآنية والفأس والدلو والمقَصّ، وسُئِلَ رسول الله ﷺ ما الشيء الذي لا يحلّ منعه؟ فقال: «الماء والنار والملح» وزاد في بعض الطرق الإبرة والخميرة.

سورة الكوثر

مكية وآياتها ٣ نزلت بعد العاديات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴿٣﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ هذا خطاب للنبي ﷺ والكوثر بناء مبالغة من الكثرة وفي تفسيره سبعة أقوال: الأول حوض النبي ﷺ، الثاني أنه الخير الكثير الذي أعطاه الله في الدنيا والآخرة قاله ابن عباس وتبعه سعيد بن جبير، فإن قيل إن النهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله فالمعنى أنه على العموم. الثالث أن الكوثر القرآن. الرابع أنه كثرة الأصحاب والأتباع. الخامس أنه التوحيد. السادس أنه الشفاعة، السابع أنه نور وضعه الله في قلبه ولا شك أن الله أعطاه هذه الأشياء كلها، ولكن الصحيح أن المراد بالكوثر الحوض لما ورد في الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «أندرون ما الكوثر؟ هو نهر أعطانيه الله وهو الحوض آتيته عدد نجوم السماء» ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾ فيه خمسة أقوال: الأول أنه أمره بالصلاة على الإطلاق وينحر الهدى والضحايا، الثاني أنه ﷺ كان يضحى قبل صلاة العيد فأمره أن يصلي ثم ينحر فالمقصود على هذا تأخير نحر الأضاحي عن الصلاة، الثالث

أن الكفار يصلون مكاء وتصدية وينحرون للأصنام فقال الله لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم صلّ لربك وحده وانحر له أي لوجهه لا لغيره فهو على هذا أمر بالتوحيد والإخلاص. الرابع أن معنى انحر ضع يدك اليمنى على اليسرى عند صدرك في الصلاة فهو على هذا من النحر وهو الصدر. الخامس أن معناه ارفع يديك عند نحر في افتتاح الصلاة ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ الشانئ هو المبغض وهو من الشنآن بمعنى العداوة ونزلت هذه الآية في العاصي بن وائل، وقيل في أبي جهل على وجه الردّ عليه إذ قال إن محمدًا أبتّر أي لا ولد له ذكر فإذا مات استرحنا منه وانقطع أمره بموته فأخبر الله أن هذا الكافر هو الأبتّر وإن كان له أولاد لأنه مبتور من رحمة الله أي مقطوع عنها ولأنه لا يذكر إذا ذكر إلا باللعنة بخلاف النبي ﷺ فإن ذكره خالد إلى آخر الدهر مرفوع على المنابر والصوامع مقرون بذكر الله والمؤمنون من زمانه إلى يوم القيامة أتباعه فهو كوالدهم.

سورة الكافرون

مكية وآياتها ٦ - نزلت بعد الماعون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ يَتَّيْبُهَا الْكُفْرُونَ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ ﴿٤﴾ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سبب هذه السورة أن قوماً من قريش منهم الوليد بن المغيرة وأمية بن خلف والعاصي بن وائل وأبو جهل ونظراؤهم قالوا يا محمد أتبع ديننا وتتبع دينك أعبد آلهتنا سنة ونعبد إلهك سنة فقال: «معاذ الله أن نشرك بالله شيئاً» ونزلت السورة في معنى البراءة من آلهتهم ولذلك قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قرأها فقد برىء من الشرك» ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ هذا إخبار أنه لا يعبد أصنامهم، فإن قيل لِمَ كرّر هذا المعنى بقوله: ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ﴾؟ فالجواب من وجهين أحدهما قال الزمخشري وهو أن قوله ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ يريد في الزمان المستقبل وقوله: ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ﴾ يريد به فيما مضى أي ما كنت قطّ عابداً ما عبدتم فيما سلف فكيف تطلبون ذلك مني الآن، الثاني قاله ابن عطية وهو أن قوله: ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ لما كان يحتمل أن يراد به زمان الحال خاصة قال ولا أنا عابد ما عبدتم أي أبداً ما عشت لأن لا النافية إذا دخلت على الفعل المضارع خلصته للاستقبال

بقوله لا أعبد لا يحتمل أن يراد به الحال ويحتمل عندي أن يكون قوله لا أعبد ما تعبدون يراد به في المستقبل على حسب ما تقتضيه لا من الاستقبال ويكون قوله: ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ﴾ يريد به في الحال فيحصل من المجموع نفي عبادته للأصنام في الحال والاستقبال ومعنى الحال في قوله: ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ﴾ ثم أظهر من معنى الماضي الذي قاله الزمخشري ومن معنى الاستقبال فإن قولك ما زيد بقائم بنفي الجملة الاسمية يقتضي الحال ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَّا أَعْبُدُ﴾ هذا إخبار أن هؤلاء الكفار لا يعبدون الله كما قيل لنوح إنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن إلا أن هذا في حق قوم مخصوصين ماتوا على الكفر وقد روي أن هؤلاء الجماعة المذكورين هم أبو جهل والوليد بن المغيرة والعاصي بن وائل والأسود بن المطلب وأمّية بن خلف وأبي بن خلف وابن الحجاج وكلهم ماتوا كفارًا فإن قيل لم قال ما أعبد بما دون من التي هي موضوعة لمن يعقل؟ فالجواب من ثلاثة أوجه: أحدها أن ذلك لمناسبة قوله لا أعبد ما تعبدون فإن هذا واقع على الأصنام التي لا تعقل ثم جعل ما أعبد على طريقته لتناسب اللفظ. الثاني أنه أراد الصفة كأنه قال لا أعبد الباطل ولا تعبدون الحق قاله الزمخشري. الثالث أن ما مصدرية والتقدير لا أعبد عبادتكم ولا تعبدون عبادتي وهذا ضعيف، فإن قيل لم كرر هذا المعنى واللفظ فقال بعد ذلك ولا أنتم عابدون ما أعبد مرة أخرى؟ فالجواب من وجهين: أحدهما قول الزمخشري وهو أن الأول في المستقبل والثاني فيما مضى والآخر قاله ابن عطية وهو أن الأول في الحال والثاني في الاستقبال فهو حتم عليهم أن لا يؤمنوا أبدًا ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ أي لكم شرككم ولي توحيدى وهذه براءة منهم وفيها مسالمة منسوخة بالسيف.

سورة النصر

نزلت بمنى في حجة الوداع فتعدّ مدنية
وهي آخر ما نزل من السور وآياتها ٣ نزلت بعد التوبة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ
بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سأل عمر بن الخطاب جماعة من الصحابة رضي الله عنهم عن معنى هذه السورة فقالوا إن الله أمر رسول الله ﷺ بالتسبيح والاستغفار عند النصر والفتح وذلك على ظاهر لفظها فقال لابن عباس بمحضرهم يا عبد الله ما تقول أنت؟ قال هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه الله بقربه إذا رأى النصر والفتح فقال عمر ما أعلم منها إلا ما علمت وقد قال بهذا المعنى ابن مسعود وغيره ويؤيده قول عائشة إن رسول الله ﷺ لما فتح مكة وأسلم العرب جعل يكثر أن يقول سبحانك اللهم وبحمدك اللهم إني أستغفرك يتأول القرآن أي هذه السورة وقال لها مرة: «ما أراه إلا حضور أجلي». وقال ابن عمر نزلت هذه السورة بمنى أيام التشريق في حجة الوداع وعاش رسول الله ﷺ بعدها ثمانين يومًا أو نحوها وقال ابن مسعود هذه السورة تسمى سورة التوديع ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ يعني بالفتح فتح مكة والطائف وغيرها من البلاد التي فتحها رسول الله ﷺ وقال ابن عباس إن النصر صلح

الحديبية والفتح فتح مكة وقيل النصر إسلام أهل اليمن والإخبار بذلك كله قبل وقوعه إخبار بغيب فهو من أعلام النبوة ﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ أي جماعات وذلك أنه أسلم بعد فتح مكة بشر كثير، فقد رُوِيَ أن رسول الله ﷺ كان معه في فتح مكة عشرة آلاف وكان معه في غزوة تبوك سبعون ألفًا وقال أبو عمر بن عبد البر لم يمّت رسول الله ﷺ وفي العرب رجل كافر وقد قيل إن عدد المسلمين عند موته مائة ألف وأربعة عشر ألفًا ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ﴾ قد ذكر التسبيح والاستغفار ومعنى بحمد ربك فيما تقدّم، فإن قيل لِمَ أمره الله بالتسبيح والحمد والاستغفار عند رؤية النصر والفتح وعند اقتراب أجله؟ فالجواب أنه أمر بالتسبيح والحمد ليكون شكرًا على النصر والفتح وظهور الإسلام وأمره بذلك وبالاستغفار عند اقتراب أجله ليكون ذلك زاد للأخرة وعدة للقاء الله.

سورة المسد

مكية وآياتها ٥ نزلت بعد الفاتحة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۝ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۝ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سببها أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] صعد رسول الله ﷺ على الصفا فنادى بأعلى صوته يا صباحاه فاجتمعت إليه قريش فقال لهم إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد ثم أنذرهم عموماً وخصوصاً فقال له أبو لهب تباً لك لهذا جمعنا فنزلت السورة ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ معنى تبّت خسرت والتباب هو الخسران وأبو لهب هو عبد العزى بن عبد المطلب بن هاشم وهو عم رسول الله ﷺ وكان من أشد الناس عداوة له فإن قيل لِمَ ذكره الله بكنيته دون اسمه؟ فالجواب من ثلاثة أوجه أحدها أن كنيته كانت أغلب عليه من اسمه كأبي بكر وغيره ويقال إنه كُتِيَ بأبي لهب لتلهب وجهه جمالاً. الثاني أنه لما كان اسمه عبد العزى عدل عنه إلى الكنية. الثالث أنه لما كان من أهل النار واللهب كناه أبا لهب وليناسب ذلك قوله: ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾ يحتمل أن تكون ما نافية أو استفهامية يراد بها النفي وماله هو رأس

ماله وما كسب الربح أو ماله ما ورث وما كسب هو ما اكتسبه لنفسه وقيل ماله جميع ماله وما كسب ﴿سَيُضِلُّنَا نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ هذا حتم عليه بدخول النار ومات بعد ذلك كافرًا ﴿وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ اسم امرأته أم جميل بنت حرب بن أمية وهي أخت أبي سفيان وعمّة معاوية في وصفها بحمالة الحطب أربعة أقوال: أحدها أنها كانت تحمل حطبًا وشوكًا فتلقيه في طريق النبي ﷺ لتؤذيه. الثاني أن ذلك عبارة عن مشيها بالنميمة يقال فلان يحمل الحطب بين الناس أي يوقد بينهم نار العداوة بالنمائم. الثالث أنه عبارة عن سعيها بالمضرة على المسلمين يقال فلان يحطب على فلان إذا قصد الإضرار به. الرابع أنه عبارة عن ذنوبها وسوء أعمالها ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ الجيد العنق والمسد الليف، وقيل الحبل المفتول وفي المراد به ثلاثة أقوال: الأول أنه إخبار عن حملها الحطب في الدنيا على القول الأول وفي ذلك تحقير لها وإظهار لخساسة حالها. والآخر أنه حالها في جهنم يكون كذلك أي يكون في عنقها حبل. الثالث أنها كانت لها قلادة فاخرة، فقالت لأنفقتها على عداوة محمد فأخبر عن قلادتها بحبل المسد على جهة التفاؤل والذم لها بتبرجها ويحتمل قوله وامرأته وما بعده وجوها من الإعراب يختلف الوقف باختلافها وهي أن يكون امرأته مبتدأ وحمالة الحطب خبره، أو يكون حمالة الحطب نعت والخبر في جيدها حبل من مسد أو يكون امرأته معطوفًا على الضمير في يصلى وحمالة الحطب نعت أو خبر ابتداء مضمرة.

سورة الإخلاص

مكية وآياتها ٤ نزلت بعد الناس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ① اللَّهُ الصَّمَدُ ② لَمْ يَكُنْ لَكَ يَوْمَ تُولَدُ ③ وَلَمْ يَكُنْ لَكَ كُفُوًا ④ أَحَدٌ ⑤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سبب نزول هذه السورة أن اليهود دخلوا على رسول الله ﷺ فقالوا يا محمد صف لنا ربك وانسبه فإنه وصف نفسه في التوراة ونسبها، فارتعد رسول الله ﷺ حتى خر مغشياً عليه ونزل عليه جبريل بهذه السورة، وقيل إن المشركين قالوا لرسول الله ﷺ أنسب لنا ربك فنزلت وعلى الرواية الأولى تكون السورة مدنية، لأن سؤال اليهود بالمدينة وعلى الرواية الثانية تكون مكية، واختلف في معنى قوله ﷺ: «قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن». فقيل إن ذلك في الثواب أي لمن قرأها من الأجر مثل أجر من قرأ ثلث القرآن، وقيل إن ذلك فيما تضمنته من المعاني والعلوم وذلك أن علوم القرآن ثلاثة توحيد وأحكام وقصص، وقد اشتملت هذه السورة على التوحيد فهي ثلث القرآن بهذا الاعتبار وهذا أظهر وعليه حمل ابن عطية الحديث. ويؤيده أن في بعض روايات الحديث إن الله جزأ القرآن ثلاثة أجزاء، فجعل قل هو الله أحد جزءاً من أجزاء القرآن وخرج النسائي أن رسول الله ﷺ سمع رجلاً يقرأها

فقال: «أما هذا فقد غفر له»، وفي رواية أنه قال: «وجب له الجنة»، وخرَجَ مسلم أن رسول الله ﷺ بعث رجلاً على سريّة فكان يقرأ لأصحابه في الصلاة قُلْ هو الله أحد فلما رجعوا ذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «سَلُوهُ لَأَيِّ شَيْءٍ يَصْنَعُ ذَلِكَ» فسألوه فقال: لأنها صفة الرحمن فأنا أحب أن أقرأها، فقال رسول الله ﷺ: «أخبروه أن الله يحبّه» وفي رواية خرَجها الترمذي أنه ﷺ قال للرجل: «حَبَّكَ إِيَّاهَا أَدْخَلَكَ الْجَنَّةَ»، وخرَجَ الترمذي أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ قَرَأَ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ مَرَّةً كُلَّ يَوْمٍ غُفِرَتْ لَهُ ذُنُوبُ خَمْسِينَ سَنَةً إِلَّا أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ ذَنْبٌ» ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ الضمير هنا عند البصريين ضمير الأمر والشأن والذي يُراد به التعظيم والتفخيم، وإعراجه مبتدأ وخبره الجملة التي بعده وهي المفسرة له والله مبتدأ وأحد خبره وقيل الله هو الخير وأحد بدل منه وقيل الله بدل وأحد هو الخير وأحد له معنيان أحدهما أن يكون من أسماء النفي التي لا تقع إلا في غير الواجب كقولك ما جاءني أحد وليس هذا موضع هذا المعنى وإنما موضعه قوله ولم يكن له كفوًا أحد والآخر أن يكون بمعنى واحد وأصله وحد بواو ثم أبدل من الواو همزة وهذا هو المراد هنا واعلم أن وصف الله تعالى بالواحد له ثلاثة معانٍ كلها صحيحة في حق الله تعالى. والأول أنه واحد لا ثاني معه فهو نفي للعدد. والثاني أنه واحد لا نظير له ولا شريك له كما تقول فلان واحد عصره أي لا نظير له والثالث أنه واحد لا ينقسم ولا يتبعض والأظهر أن المراد في السورة نفي الشريك لقصد الرد على المشركين ومنه قوله تعالى: ﴿وَالْهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ﴾ [الكهف: ١١٠] قال الزمخشري أحد وصف بالوحدانية ونفي الشركاء قلت وقد أقام الله في القرآن براهين قاطعة على وحدانيته وذلك في القرآن كثير جداً وأوضحها أربعة براهين: الأول قوله: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ﴾ [النحل: ١٧] لأنه إذا ثبت أن الله تعالى خالق لجميع الموجودات لم يمكن أن يكون واحد منها شريكاً له. والثاني قوله: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢]. والثالث قوله: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَأَبْتَغُوا إِلَيَّ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٤٢]. والرابع قوله: ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [المؤمنون: ٩١] وقد فسرنا هذه الآيات في مواضعها وتكلمنا على حقيقة التوحيد في قوله: ﴿وَالْهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ﴾ [الكهف: ١١٠] ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ في معنى الصمد ثلاثة أقوال: أحدها أن الصمد الذي يصمد إليه في الأمور أي يلجأ إليه، والآخر أنه الذي لا يأكل ولا يشرب فهو كقوله: ﴿وَهُوَ يَطْعَمُ وَلَا يَطْعَمُ﴾ [الأنعام: ١٤]. والثالث أنه الذي لا جوف له، والأول هو المراد هنا على الأظهر ورجحه ابن عطية بأن الله مُوجِدٌ

بأنفسها ورجحه شيخنا الأستاذ أبو جعفر بن الزبير بورود معناه في القرآن حيثما أورد نفي الولد عن الله تعالى كقوله في مريم: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ [البقرة: ١١٦] ثم أعقبه بقوله: ﴿إِنَّ كُلَّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنُ عَبْدًا﴾ [مريم: ٩٣] وقوله: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَتَى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ﴾ [البقرة: ١١٧] وقوله: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١١٦] وكذلك هنا ذكره طبع بقوله: ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ فيكون برهاناً على نفي الولد، قال الزمخشري: صمد فعل بمعنى مفعول لأنه مصمود إليه في الحوائج ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ هذا رد على كل من جعل لله ولداً فبهمهم النصارى في قولهم: «عيسى ابن الله» واليهود في قولهم: «عزيز ابن الله» والعرب في قولهم: «الملائكة بنات الله» وقد أقام الله البراهين في القرآن على نفي الولد وأوضحها أربعة أقوال: الأول، أن الولد لا بد أن يكون من جنس والده، والله تعالى ليس له جنس فلا يمكن أن يكون له ولد وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾ [المائدة: ٨٥] فوصفهما بصفة الحدوث لينفي عنهما صفة القدم فتبطل مقالة الكفار. والثاني، أن الوالد إنما يتخذ ولداً للحاجة إليه والله لا يفتقر إلى شيء فلا يتخذ ولداً وإلى هذا أشار بقوله: ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ﴾ [يونس: ٦٨]. الثالث: أن جميع الخلق عباد الله والعبودية تنافي النبوة وإلى هذا أشار بقوله تعالى: ﴿إِنَّ كُلَّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنُ عَبْدًا﴾ [مريم: ٩٣]. الرابع: أنه لا يكون له ولد إلا لمن له زوجة والله تعالى لم يتخذ زوجة فلا يكون له ولد وإلى هذا الإشارة بقوله تعالى: ﴿أَتَى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ﴾ [الأنعام: ١٠١] ﴿وَلَمْ يُؤَلَّذْ﴾ هذا رد على الذين قالوا انسب لنا ربك وذلك أن كل مولود محدث والله تعالى هو الأول الذي لا افتتاح لوجوده القديم الذي كان ولم يكن معه شيء غيره فلا يمكن أن يكون مولوداً تعالى عن ذلك ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ الكفو هو النظير والمماثل قال الزمخشري يجوز أن يكون من الكفاءة في النكاح فيكون نفيًا للصحابة وهذا بعيد والأول هو الصحيح ومعناه أن الله ليس له نظير ولا شبيه ولا مثل ويجوز في كفوًا ضم الفاء وإسكانها مع ضم الكاف وقد قرئ بالوجهين ويجوز أيضاً كسر الكاف وإسكان الفاء ويجوز كسر الكاف وفتح الفاء والمد ويجوز فيه الهمزة والتسهيل وانتصب كفوًا على أنه خبر كان وأحد اسمها قال ابن عطية ويجوز أن يكون كفوًا حالاً لكونه كان صفة للنكرة فقدم عليها، فإن قيل لم قدم المجرور وهو له على اسم كان وخبرها وشأن الظرف إذا وقع غير خبر أن يؤخر؟ فالجواب من وجهين: أحدهما أنه قدم للاعتناء به والتعظيم لأنه ضمير الله تعالى وشأن العرب تقديم

ما هو أهم وأولى . والآخر أن هذا المجرور به يتم معنى الخبر وتكمل فائدته فإنه ليس المقصود نفي الكفو مطلقاً إنما المقصود نفي الكفو عن الله تعالى فلذلك اعتنى بهذا المجرور الذي يحرز هذا المعنى فقدم فإن قيل إن قوله: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ يقتضي نفي الولد والكفو فلم نص على ذلك بعده؟ فالجواب أن هذا من التجريد وهو تخصيص الشيء بالذكر بعد دخوله في عموم ما تقدم كقوله تعالى: ﴿وَمَلَأْنِيكَتَهُ وَرُسُلَهُ وَجِبْرِيْلَ وَمِيكَالَ﴾ [البقرة: ٩٨] ويفعل ذلك لوجهين يصح كل واحد منهما هنا أحدهما الاعتناء ولا شك أن نفي الولد والكفو عن الله ينبغي الاعتناء به للرد على من قال خلاف ذلك من الكفار. والآخر الإيضاح والبيان فإن دخول الشيء في ضمن العموم ليس كالنص عليه فنص على هذا بيانا وإيضاحا للمعنى ومبالغة في الرد على الكفار وتأكيذا لإقامة الحجة عليهم.

سورة الفلق

مكية وآياتها ٥ نزلت بعد الفيل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴿١﴾ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِنْ شَرِّ
النَّفَّاثِ فِي الْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ تقدم معنى أعوذ في التعوذ ومعنى رب في اللغات والفتحة، وفي الفلق ثلاثة أقوال: الأول أنه الصبح ومنه فالق الإصباح قال الزمخشري هو فعل بمعنى مفعول، الثاني: أنه كل ما يفلقه الله كفلق الأرض عن النبات والجبال عن العيون والسحاب عن المطر والأرحام عن الأولاد والحب والنوى وغير ذلك، الثالث: أنه جب في جهنم، وقد روي هذا عن رسول الله ﷺ ﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ هذا عموم في جميع المخلوقات وشركهم على أنواع كثيرة أعادنا الله منها وما هنا موصولة أو موصوفة أو مصدرية ﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ فيه ثمانية أقوال: الأول أنه الليل إذا أظلم ومنه قوله تعالى: ﴿إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ﴾ [الإسراء: ٧٨] وهذا قول الأكثرين وذلك لأن ظلمة الليل ينتشر عندها أهل الشر من الإنس والجن ولذلك قال في المثل: الليل أخفى للويل. الثاني أنه القمر. خرج النسائي أن رسول الله ﷺ رأى القمر فقال يا عائشة: «استعيذي بالله من شر هذا فإنه الغاسق إذا وقب»

ووقوبه هذا كسوفه لأن وقب في كلام العرب يكون بمعنى الظلمة والسواد وبمعنى الدخول فالمعنى إذا دخل في الكسوف أو إذا أظلم به. الثالث أنه الشمس إذا غربت والوقوب على هذا المعنى الظلمة أو الدخول. الرابع أن الغاسق النهار إذا دخل في الليل وهذا قريب من الذي قبله، الخامس أن الغاسق سقوط الثريا وكانت الأقسام والطاعون تهيج عنده، ورؤي أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «النجم هو الغاسق فيحتمل أن يريد الثريا». السادس أنه الذكر إذا قام حكى النقاش هذا القول عن ابن عباس. السابع قال الزمخشري يجوز أن يراد بالغاسق الأسود من الحيات ووقبه ضربه. الثامن أنه إبليس حكى ذلك السهيلي ﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ النفث شبه النفخ دون تغل وريق قاله ابن عطية وقال الزمخشري هو النفخ مع ريق وهذا النفث ضرب من السحر وهو أن ينفث على عقد تعقد في خيط أو نحوه على اسم مسحور فيضره ذلك وحكى ابن عطية أنه حدّثه ثقة أنه رأى عند بعض الناس بصحراء المغرب خيطاً أحمر قد عقدت فيه عقد على فصلان وهي أولاد الإبل فمنعها بذلك رضاع أمهاتها فكان إذا حلّ عقدة جرى ذلك الفصيل إلى أمه فوضع في الحين قال الزمخشري إن في الاستعاذة من النفاثات ثلاثة أوجه: أحدها أن يستعاذ من مثل عملهنّ وهو السحر ومن اتّمن في ذلك والثاني أن يستعاذ من خداعهنّ للناس وفتنهنّ. والثالث أن يستعاذ مما يصيب من الشرّ عند نفثهنّ والنفاثات بناء مبالغة والموصوف محذوف تقديره النساء النفاثات والجماعة النفاثات أو النفوس النفاثات والأول أصحّ لأنه رؤي أنه إشارة إلى بنات لبيد بن الأعصم اليهودي وكُنّ ساحرات سحرن هنّ وأبوهنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعقدن له إحدى عشرة عقدة فأنزل الله المعوذتين إحدى عشرة آية بعدد العقد وشفى الله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فإن قيل لِمَ عَرَفَ النَّفَّاثَاتِ بِالْأَلْفِ وَاللَّامِ وَنَكَّرَ مَا قَبْلَهُ وَهُوَ غَاسِقٌ وَمَا بَعْدَهُ وَهُوَ حَاسِدٌ مَعَ أَنَّ الْجَمِيعَ مُسْتَعَاذٌ مِنْهُ؟ فَالْجَوَابُ أَنَّهُ عَرَفَ النَّفَّاثَاتِ لِيَفِيدَ الْعَمُومَ لِأَنَّ كُلَّ نَفَاثَةٍ شَرِّيرَةٌ بِخِلَافِ الْغَاسِقِ وَالْحَاسِدِ فَإِنَّ شَرَّهُمَا فِي بَعْضِ دُونَ بَعْضٍ ﴿مِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ الحسد خلق مذموم طبعاً وشرعاً قال رسول الله ﷺ: «الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب». وقال بعض العلماء الحسد أول معصية عصي الله بها في السماء والأرض أما في السماء فحسد إبليس لآدم وأما في الأرض فقتل قابيل لأخيه هابيل بسبب الحسد ثم إن الحسد على درجات الأولى أن يحب الإنسان زوال النعمة عن أخيه المسلم وإن كانت لا تنتقل إليه بل يكره إنعام الله على غيره ويتألم به، الثانية أن يحب زوال تلك النعمة لرغبته فيها رجاء انتقالها إليه، الثالثة أن يتمنى لنفسه مثل تلك النعمة من غير أن

والحاسد يضر نفسه ثلاث مضرّات أحدها: اكتساب الذنوب لأن الحسد حرام، الثانية بمقوّم الأدب مع الله تعالى فإن حقيقة الحسد كراهية إنعام الله على عبده وإعراضه عن الله في فعله، الثالثة تألم قلبه من كثرة همّه وغمّه فترغب إلى الله أن يجعلنا محسودين لا حاسدين فإن المحسود في نعمة والحاسد في كرب ونقمة والله درّ القائل:

وإني لأرحم حَسَادِي لِفِرْطِهَا ضَمَّتْ صُدُورَهُمْ مِنَ الْأَوْغَارِ
نَظَرُوا صَنِيعَ اللَّهِ بِي فَعَيُونَهُمْ فِي جَنَّةٍ وَقُلُوبَهُمْ فِي نَارِ
وقال آخر:

إن يحسدوني فإنني غير لائمهم قبلي من الناس أهل الفضل قد حسدوا
فدام لي ولهم ما بي وما بهم ومات أكثرنا غيظًا بما يجد

ثم إن الحسود لا تزال عداوته ولا تنفع مداراته وهو ظالم يشاكي كأنه مظلوم ولقد صدق القائل:

كلّ العداوة قد ترجى إزالتها إلاّ عداوة من عاداك من حسد
وقال حكيم الشعراء:

وأظلم خلق الله من بات حاسدًا لمن بات في نعمته يتقلب

قال ابن عطية قال بعض الحدّاق هذه السورة خمس آيات وهي مراد الناس بقولهم للحاسد الذي يخاف منه العين الخمسة على عينك، فإن قيل لم قال إذا وقب وإذا حسد فقيد إذا التي تقتضي تخصيص بعض الأوقات؟ فالجواب أن شرّ الحاسد ومضرّته إنما تقع إذا أمضى حسده فحينئذ يضرّ بقوله أو بفعله أو بإصابته بالعين فإن عين الحسود قاتلة وأما إذا لم يمض حسده ولم يتصرّف بمقتضاه فشره ضعيف ولذلك قال رسول الله ﷺ: «ثلاث لا ينجو منهن أحد الحسد والظن والطيرة» فمخرجه من الحسد أن لا يبقى ومخرجه من الظن أن لا يحقّق ومخرجه من الطيرة ألا يرجع، فلهذا خصّه بقوله إذا وقب، فإن قيل إن قوله من شرّ ما خلق عموم يدخل تحته كل ما ذكر بعده فلاي شيء ذكر ما بعده؟ فالجواب أن هذا من التجريد للاعتناء بالمذكور بعد العموم ولقد تأكد ما ذكر في هذه السورة بعد العموم بسبب السحر الذي سحر اليهود رسول الله ﷺ وشدة حسدهم له.

سورة الناس

مكية وآياتها ٦ نزلت بعد الفلق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَهِ النَّاسِ ﴿٣﴾ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ
الْخَفَّاسِ ﴿٤﴾ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴿٦﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ إن قيل لِمَ أضاف الرب إلى الناس خاصة وهو رب كل شيء؟ فالجواب أن الاستعاذة وقعت من شر الوسوس في صدور الناس فخصهم بالذكر لأنهم المعوذون بهذا التعويذ والمقصودون هنا دون غيرهم ﴿مَلِكِ النَّاسِ إِلَهِ النَّاسِ﴾ هذا عطف بيان فإن قيل لِمَ قدم وصفه تعالى برب ثم بملك ثم بآله؟ فالجواب أن هذا على الترتيب في الارتقاء إلى الأعلى وذلك أن الرب قد يطلق على كثير من الناس فيقال فلان رب الدار وشبه ذلك فبدأ به لاشتراك معناه وأما الملك فلا يوصف به إلا أحد من الناس وهم الملوك ولا شك أنهم أعلى من سائر الناس فلذلك جاء به بعد الرب وأما الإله فهو أعلى من الملك ولذلك لا يدعي الملوك أنهم آلهة وإنما الإله واحد لا شريك له ولا نظير فلذلك ختم به فإن قيل لِمَ أظهر المضاف إليه وهو الناس في المرة الثانية والثالثة فهلاً أضمره في المرتين لتقا

فالجواب أنه لما كان عطف بيان حسن فيه البيان وهو الإظهار دون الإضمار وقصد أيضًا الاعتناء بالمكزّر ذكره كقول الشاعر:

لا أرى الموت يسبق لموت شيء يغصّ الموت بالغني والفقير

﴿الْوَسْوَاسِ﴾ هو مشتق من الوسوسة وهي الكلام الخفي فيحتمل أن يكون الوسواس بمعنى الموسوس فكأنه اسم فاعل وهذا يظهر من قول ابن عطية الوسواس من أسماء الشيطان ويحتمل أن يكون مصدرًا ويصف به الموسوس على وجه المبالغة كعدّل وصوم أو على حذف مضاف تقديره ذي الوسواس وقال الزمخشري إنما المصدر وسواس بالكفر ﴿الْحَنَاسِ﴾ معناه الراجع على عقبه المستمر أحيانًا وذلك متمكّن في الشيطان فإنه يوسوس فإذا ذكر العبد الله وتعوّد به منه تباعد عنه ثم رجع إليه عند الغفلة عن الذكر وهو يخس في تباعده ثم في رجوعه بعد ذلك ﴿الَّذِي يَوْسُوسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾ وسوسة الشيطان في صدر الإنسان بأنواع كثيرة منها إفساد الإيمان والتشكيك في العقائد فإن لم يقدر على ذلك أمره بالمعاصي فإن لم يقدر على ذلك ثبطه عن الطاعات فإن لم يقدر على ذلك أدخل عليه الرياء في الطاعات ليحبطها فإن سلم من ذلك أدخل عليه العجب بنفسه واستكثار عمله ومن ذلك أنه يوقد في القلب نار الحسد والحقد والغضب حتى يقرؤ الإنسان إلى شرّ الأعمال وأقبح الأحوال وعلاج وسوسته بثلاثة أشياء واحدها الإكثار من ذكر الله وثانيها الإكثار من الاستعاذة بالله منه ومن أنفع شيء في ذلك قراءة هذه السورة وثالثها مخالفته والعزم على عصيانه فإن قيل لِمَ قال في صدور الناس ولم يقل في قلوب الناس؟ فالجواب أن ذلك إشارة إلى عدم تمكّن الوسوسة وأنها غير حالة في القلب بل هي محومة في الصدر حول القلب ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ هذا بيان لجنس الوسواس وأنه يكون من الجن ومن الناس ثم إن الموسوس من الإنس يحتمل أن يريد من يوسوس بخدعه وأقواله الخبيثة فإنه شيطان كما قال تعالى: ﴿شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ﴾ [الأنعام: ١١٢] أو يريد به نفس الإنسان إذ تأمره بالسوء فإنها أمارة بالسوء والأول أظهر وقيل من الناس معطوف على الوسواس كأنه قال أعوذ من شرّ الوسواس من الجنة ومن شرّ الناس وليس الناس على هذا ممّن يوسوس والأول أظهر وأشهر فإن قيل لِمَ ختم القرآن بالمعوذتين وما الحكمة في ذلك؟ فالجواب من ثلاثة أوجه: الأول قال شيخنا الأستاذ أبو جعفر بن الزبير لما كان القرآن من أعظم النعم على عباده والنعم مظنة الحسد فحتم بما يطفئ الحسد من الاستعاذة بالله. الثاني يظهر لي أن المعوذتين ختم بهما لأن رسول الله ﷺ قال: «فيهما أنزلت عليّ آيات لم ير مثلهن قط»، كما قال في فاتحة الكتاب لم ينزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الفرقان مثلها

فافتتح القرآن بسورة لم ينزل مثلها واختتم بسورتين لم ير مثلهما ليجمع حُسن الافتتاح والاختتام ألا ترى أن الخطب والرسائل والقصائد وغير ذلك من أنواع الكلام إنما ينظر فيها إلى حُسن افتتاحها واختتامها. الوجه الثالث يظهر لي أيضًا أنه لما أمر القارئ أن يفتتح قراءته بالتعوذ من الشيطان الرجيم ختم القرآن بالمعوذتين ليحصل الاستعاذة بالله عند أول القراءة وعند آخر ما يقرأ من القراءة فتكون الاستعاذة قد اشتملت على طرفي الابتداء والانتهاج وليكون القارئ محفوظًا بحفظ الله الذي استعاذ به من أول أمره إلى آخره وبالله التوفيق لا رب غيره.

كَمَلَّ كِتَابَ التَّسْهِيلِ لِعُلُومِ التَّنْزِيلِ بِحَمْدِ اللَّهِ وَعُونِهِ وَحُسْنِ تَوْفِيقِهِ

البريد الإلكتروني هو وسيلة للتواصل الإلكتروني، حيث يتم إرسال الرسائل والبيانات بين أجهزة الكمبيوتر المتصلة بشبكة. يتم إرسال الرسائل عبر الإنترنت، مما يجعلها أسرع وأسهل من البريد التقليدي. يمكن إرسال الرسائل إلى أي مكان في أي وقت، مما يجعلها أداة مفيدة للتواصل الشخصي والعمل.

البريد الإلكتروني هو وسيلة للتواصل الإلكتروني، حيث يتم إرسال الرسائل والبيانات بين أجهزة الكمبيوتر المتصلة بشبكة.

فهرس الجزء الثاني
من
كتاب التسهيل لعلوم التنزيل

Handwritten text, possibly a signature or name, located in the center of the page.

فهرس الجزء الثاني من كتاب التسهيل لعلوم التنزيل

تفسير سورة مريم

٣	الآيات : ١ - ٣
٤	الآيات : ٤ - ١٠
٥	الآيات : ١١ - ٢٢
٦	الآيات : ٢٣ - ٢٧
٧	الآيات : ٢٨ - ٣٧
٨	الآيات : ٣٨ - ٥٠
٩	الآيات : ٥١ - ٥٨
١٠	الآيات : ٥٩ - ٦٦
١١	الآيات : ٦٧ - ٧٤
١٢	الآيات : ٧٥ - ٨٣
١٣	الآيات : ٨٤ - ٩٧
١٤	الآية : ٩٨

تفسير سورة طه

١٥	الآيات : ١ - ٥
١٦	الآيات : ٦ - ١٤
١٧	الآيات : ١٥ - ٢٦
١٨	الآيات : ٢٧ - ٣٩

١٩	الآيات: ٤٠ - ٥١
٢٠	الآيات: ٥٢ - ٥٧
٢١	الآيات: ٥٨ - ٦٦
٢٢	الآيات: ٦٧ - ٨٠
٢٣	الآيات: ٨١ - ٨٧
٢٤	الآيات: ٨٨ - ٩٤
٢٥	الآيات: ٩٥ - ٩٧
٢٦	الآيات: ٩٨ - ١٠٨
٢٧	الآيات: ١٠٩ - ١١٨
٢٨	الآيات: ١١٩ - ١٢٩
٢٩	الآيات: ١٣٠ - ١٣٢
٣٠	الآيات: ١٣٣ - ١٣٥

تفسير سورة الأنبياء

٣١	الآيتان: ١ و ٢
٣٢	الآيات: ٢ - ١١
٣٣	الآيات: ١١ - ٢١
٣٤	الآيات: ٢٢ - ٢٦
٣٥	الآيات: ٢٧ - ٣٣
٣٦	الآيات: ٣٤ - ٣٨
٣٧	الآيات: ٣٩ - ٤٦
٣٨	الآيات: ٤٧ - ٥٨
٣٩	الآيات: ٥٩ - ٦٨
٤٠	الآيات: ٦٩ - ٧٧
٤١	الآيتان: ٧٨ و ٧٩
٤٢	الآيات: ٨٠ - ٨٥
٤٣	الآيات: ٨٦ - ٩٠
٤٤	الآيات: ٩١ - ٩٧
٤٥	الآيات: ٩٨ - ١٠٤
٤٦	الآيات: ١٠٥ - ١١٠
٤٧	الآيتان: ١١١ و ١١٢

تفسير سورة الحج

٤٨	الآية: ١
٤٩	الآيات: ٢ - ٤
٥٠	الآيات: ٥ - ١١
٥١	الآيات: ١٢ - ١٤
٥٢	الآيات: ١٥ - ١٧
٥٣	الآيات: ١٨ - ٢٢
٥٤	الآيات: ٢٣ - ٢٥
٥٥	الآيات: ٢٦ - ٢٨
٥٦	الآيات: ٢٩ - ٣٢
٥٧	الآيات: ٣٣ - ٣٥
٥٨	الآيات: ٣٦ - ٣٩
٥٩	الآيات: ٤٠ - ٤٥
٦٠	الآيات: ٤٦ - ٥١
٦١	الآيتان: ٥٢ و٥٣
٦٢	الآيات: ٥٤ - ٦٠
٦٣	الآيات: ٦١ - ٦٦
٦٤	الآيات: ٦٧ - ٧٢
٦٥	الآيات: ٧٣ - ٧٧
٦٦	الآية: ٧٨

تفسير سورة المؤمنون

٦٧	الآيات: ١ - ٥
٦٨	الآيات: ٦ - ١٣
٦٩	الآيات: ١٤ - ٢٠
٧٠	الآيات: ٢١ - ٣١
٧١	الآيات: ٣٢ - ٤٣
٧٢	الآيات: ٤٤ - ٥٣
٧٣	الآيات: ٥٤ - ٦٣
٧٤	الآيات: ٦٤ - ٧٠
٧٥	الآيات: ٧١ - ٧٦

٧٦	الآيات: ٧٧ - ٩٠
٧٧	الآيات: ٩١ - ٩٨
٧٨	الآيات: ٩٩ - ١٠٦
٧٩	الآيات: ١٠٧ - ١١٨

تفسير سورة النور

٨٠	الآية: ١٢
٨٢	الآيتان: ٢ - ٣
٨٣	الآيات: ٤ - ٧
٨٤	الآيات: ٨ - ١٠
٨٥	الآيات: ١١ - ١٦
٨٦	الآيات: ١٧ - ٢١
٨٧	الآيات: ٢٢ - ٢٦
٨٨	الآيات: ٢٧ - ٣٠
٩٠	الآية: ٣١
٩١	الآية: ٣٢
٩٢	الآيتان: ٣٣ و ٣٤
٩٤	الآيات: ٣٥ - ٣٨
٩٥	الآيتان: ٣٩ و ٤٠
٩٦	الآيات: ٤١ - ٤٩
٩٧	الآيات: ٥٠ - ٥٦
٩٨	الآيات: ٥٧ - ٥٩
٩٩	الآية: ٦٠
١٠٠	الآيتان: ٦١ و ٦٢
١٠١	الآيتان: ٦٣ و ٦٤

تفسير سورة الفرقان

١٠٢	الآيتان: ١ و ٢
١٠٣	الآيات: ٣ - ٩
١٠٤	الآيات: ١٠ - ١٧
١٠٥	الآيات: ١٨ - ٢١

١٠٦	الآيات : ٢٢ - ٢٨
١٠٧	الآيات : ٢٩ - ٣٥
١٠٨	الآيات : ٣٦ - ٤٤
١٠٩	الآيات : ٤٥ - ٥٢
١١٠	الآيات : ٥٣ - ٥٨
١١١	الآيات : ٥٩ - ٦٢
١١٢	الآيات : ٦٣ - ٧١
١١٣	الآيات : ٧٢ - ٧٧

تفسير سورة الشعراء

١١٤	الآيات : ١ - ٤
١١٥	الآيات : ٥ - ٢٠
١١٦	الآيات : ٢١ - ٣٠
١١٧	الآيات : ٣١ - ٦٠
١١٨	الآيات : ٦١ - ٧٥
١١٩	الآيات : ٧٦ - ١٠٠
١٢٠	الآيات : ١٠٢ - ١٣١
١٢١	الآيات : ١٣٢ - ١٥٨
١٢٢	الآيات : ١٥٩ - ١٨٤
١٢٣	الآيات : ١٨٥ - ٢٠٤
١٢٤	الآيات : ٢٠٥ - ٢٢١
١٢٥	الآيات : ٢٢٢ - ٢٢٧

تفسير سورة النمل

١٢٦	الآيات : ١ - ٣
١٢٧	الآيات : ٤ - ١٣
١٢٨	الآيات : ١٤ - ١٩
١٢٩	الآيات : ٢٠ - ٢٧
١٣٠	الآيات : ٢٨ - ٣٧
١٣١	الآيات : ٣٨ - ٤٢
١٣٢	الآيات : ٤٣ - ٤٦

١٣٣	الآيات: ٤٧ - ٥٥
١٣٤	الآيات: ٥٦ - ٦٣
١٣٥	الآيات: ٦٤ و ٦٥
١٣٦	الآيات: ٦٦ - ٨٠
١٣٧	الآيات: ٨١ - ٨٧
١٣٨	الآيات: ٨٨ - ٩٣

تفسير سورة القصص

١٣٩	الآيات: ١ - ٣
١٤٠	الآيات: ٤ - ١٢
١٤١	الآيات: ١٣ - ١٨
١٤٢	الآيات: ١٩ - ٢٣
١٤٣	الآيات: ٢٤ - ٢٦
١٤٤	الآيات: ٢٧ - ٣٥
١٤٥	الآيات: ٣٦ - ٤٤
١٤٦	الآيات: ٤٥ - ٤٩
١٤٧	الآيات: ٥٠ - ٥٦
١٤٨	الآيات: ٥٧ - ٦١
١٤٩	الآيات: ٦٢ - ٦٧
١٥٠	الآيات: ٦٨ - ٧٥
١٥١	الآيات: ٧٦ - ٧٨
١٥٢	الآيات: ٧٩ - ٨٣
١٥٣	الآيات: ٨٤ - ٨٨

تفسير سورة العنكبوت

١٥٤	الآيات: ١ - ٣
١٥٥	الآيات: ٤ - ١١
١٥٦	الآيات: ١٢ - ١٨
١٥٧	الآيات: ١٩ - ٢٦
١٥٨	الآيات: ٢٧ - ٣٨
١٥٩	الآيات: ٣٩ - ٤٥

١٦٠	الآيات : ٤٦ - ٤٨
١٦١	الآيات : ٤٩ - ٥٦
١٦٢	الآيات : ٥٧ - ٦٧
١٦٣	الآيتان : ٦٨ و ٦٩

تفسير سورة الروم

١٦٤	الآيات : ١ - ٤
١٦٥	الآيات : ٥ - ١٠
١٦٦	الآيات : ١١ - ٢٤
١٦٧	الآيات : ٢٥ - ٢٩
١٦٨	الآيات : ٣٠ - ٣٥
١٦٩	الآيات : ٣٦ - ٤٣
١٧٠	الآيات : ٤٤ - ٥٣
١٧١	الآيات : ٥٤ - ٦٠

تفسير سورة لقمان

١٧٢	الآيات : ١ - ٥
١٧٣	الآيات : ٦ - ١٥
١٧٤	الآيات : ١٦ - ٢٦
١٧٥	الآيات : ٢٧ - ٣١
١٧٦	الآيات : ٣٢ - ٣٤

تفسير سورة السجدة

١٧٧	الآيات : ١ - ٣
١٧٨	الآيات : ٤ - ١٢
١٧٩	الآيات : ١٣ - ٢٠
١٨٠	الآيات : ٢١ - ٣٠

تفسير سورة الأحزاب

١٨١	الآيتان : ١ و ٢
١٨٢	الآيات : ٣ - ٦
١٨٣	الآيات : ٧ - ١١
١٨٤	الآيات : ١٢ - ١٨

١٨٥	الآيات : ١٩ - ٢٢
١٨٦	الآيات : ٢٣ - ٢٧
١٨٧	الآيات : ٢٨ - ٣١
١٨٨	الآيات : ٣٢ - ٣٤
١٨٩	الآيتان : ٣٥ و ٣٦
١٩٠	الآيات : ٣٧ - ٣٩
١٩١	الآيات : ٤٠ - ٤٩
١٩٢	الآيتان : ٥٠ و ٥١
١٩٤	الآية : ٥٢
١٩٥	الآيتان : ٥٣ و ٥٤
١٩٦	الآيات : ٥٥ - ٥٨
١٩٧	الآيات : ٥٩ - ٦٦
١٩٨	الآيات : ٦٧ - ٧١
١٩٩	الآيتان : ٧٢ و ٧٣

تفسير سورة سبأ

٢٠٠	الآية : ١
٢٠١	الآيات : ٢ - ٨
٢٠٢	الآيات : ٩ - ١٢
٢٠٣	الآيتان : ١٣ و ١٤
٢٠٤	الآيات : ١٥ - ١٨
٢٠٥	الآيات : ١٩ - ٢٢
٢٠٦	الآيات : ٢٣ - ٣٠
٢٠٧	الآيات : ٣١ - ٣٦
٢٠٨	الآيات : ٣٧ - ٤٤
٢٠٩	الآيات : ٤٥ - ٤٩
٢١٠	الآيات : ٥٠ - ٥٤

تفسير سورة فاطر

٢١١	الآية : ١
٢١٢	الآيات : ٢ - ٩
٢١٣	الآيتان : ١٠ و ١١

٢١٤	الآيات : ١٢ - ١٧
٢١٥	الآيات : ١٨ - ٢٤
٢١٦	الآيات : ٢٥ - ٣١
٢١٧	الآيات : ٣٢ - ٣٦
٢١٨	الآيات : ٣٧ - ٤٢
٢١٩	الآيات : ٤٣ - ٤٥

تفسير سورة يس

٢٢٠	الآيات : ١ - ٦
٢٢١	الآيات : ٧ - ١٣
٢٢٢	الآيات : ١٤ - ٢٦
٢٢٣	الآيات : ٢٧ - ٣٦
٢٢٤	الآيات : ٣٧ - ٤١
٢٢٥	الآيات : ٤٢ - ٤٧
٢٢٦	الآيات : ٤٨ - ٥٧
٢٢٧	الآيات : ٥٨ - ٦٨
٢٢٨	الآيات : ٦٩ - ٧٥
٢٢٩	الآيات : ٧٦ - ٨١
٢٣٠	الآيتان : ٨٢ و ٨٣

تفسير سورة الصافات

٢٣١	الآيات : ١ - ٦
٢٣٢	الآيات : ٧ - ١٠
٢٣٣	الآيات : ١١ - ٢٥
٢٣٤	الآيات : ٢٦ - ٤١
٢٣٥	الآيات : ٤٢ - ٥٤
٢٣٦	الآيات : ٥٥ - ٦٨
٢٣٧	الآيات : ٦٩ - ٨٩
٢٣٨	الآيات : ٩٠ - ٩٦
٢٣٩	الآيات : ٩٧ - ١٠١
٢٤٠	الآيات : ١٠٢ - ١١٧
٢٤١	الآيات : ١١٨ - ١٤١

٢٤٢	الآيات : ١٤٢ - ١٥١
٢٤٣	الآيات : ١٥٢ - ١٦٥
٢٤٤	الآيات : ١٦٦ - ١٧٨
٢٤٥	الآيات : ١٧٩ - ١٨٢

تفسير سورة ص

٢٤٦	الآيات : ١ - ٤
٢٤٧	الآيات : ٥ - ٧
٢٤٨	الآيات : ٨ - ١٤
٢٤٩	الآيات : ١٥ - ١٨
٢٥٠	الآيات : ١٩ - ٢١
٢٥١	الآيتان : ٢٢ و ٢٣
٢٥٢	الآيتان : ٢٤ و ٢٥
٢٥٣	الآيات : ٢٦ - ٣٠
٢٥٤	الآيات : ٣١ - ٣٣
٢٥٥	الآيات : ٣٤ - ٣٨
٢٥٦	الآيات : ٣٩ - ٤٣
٢٥٧	الآيات : ٤٤ - ٥١
٢٥٨	الآيات : ٥٢ - ٦٠
٢٥٩	الآيات : ٦١ - ٧٠
٢٦٠	الآيات : ٧١ - ٨٧
٢٦١	الآية : ٨٨

تفسير سورة الزمر

٢٦٢	الآيتان : ١ و ٢
٢٦٣	الآيتان : ٣ و ٤
٢٦٤	الآيتان : ٥ و ٦
٢٦٥	الآيات : ٧ - ٩
٢٦٦	الآيات : ١٠ - ١٨
٢٦٧	الآيات : ١٩ - ٢٢
٢٦٨	الآيات : ٢٣ - ٢٨
٢٦٩	الآيات : ٢٩ - ٣٧

٢٧٠	الآيات : ٣٨ - ٤٤
٢٧١	الآيات : ٤٥ - ٥٢
٢٧٢	الآيات : ٥٣ - ٥٥
٢٧٣	الآيات : ٥٦ - ٦٤
٢٧٤	الآيات : ٦٥ - ٧٠
٢٧٥	الآيات : ٧١ - ٧٥

تفسير سورة غافر

٢٧٦	الآيات : ١ - ٣
٢٧٧	الآيات : ٤ - ١٠
٢٧٨	الآيات : ١١ - ١٦
٢٧٩	الآيات : ١٧ - ٢٦
٢٨٠	الآيات : ٢٧ - ٣٠
٢٨١	الآيات : ٣١ - ٣٦
٢٨٢	الآيات : ٣٧ - ٤٦
٢٨٣	الآيات : ٤٧ - ٥٦
٢٨٤	الآيات : ٥٧ - ٦٣
٢٨٥	الآيات : ٦٤ - ٧٦
٢٨٦	الآيات : ٧٧ - ٨٢
٢٨٧	الآيات : ٨٣ - ٨٥

تفسير سورة فصلت

٢٨٨	الآيات : ١ - ٤
٢٨٩	الآيات : ٥ - ١٠
٢٩٠	الآيات : ١١ - ١٤
٢٩١	الآيات : ١٥ - ٢٣
٢٩٢	الآيات : ٢٤ - ٢٩
٢٩٣	الآيات : ٣٠ - ٤٠
٢٩٤	الآيات : ٤١ - ٤٤
٢٩٥	الآيات : ٤٥ - ٥١
٢٩٦	الآيات : ٥٢ - ٥٤

تفسير سورة الشورى

٢٩٧	الآيات: ١ - ٤
٢٩٨	الآيات: ٥ - ١٠
٢٩٩	الآيات: ١١ - ١٤
٣٠٠	الآيات: ١٥ - ١٨
٣٠١	الآيات: ١٩ - ٢٢
٣٠٢	الآيات: ٢٣ - ٢٥
٣٠٣	الآيات: ٢٦ - ٣٤
٣٠٤	الآيات: ٣٥ - ٣٨
٣٠٥	الآيات: ٣٩ - ٤٣
٣٠٦	الآيات: ٤٤ - ٥٠
٣٠٧	الآيات: ٥١ - ٥٣

تفسير سورة الزخرف

٣٠٨	الآيات: ١ - ٤
٣٠٩	الآيات: ٥ - ١٤
٣١٠	الآيات: ١٥ - ١٨
٣١١	الآيات: ١٩ - ٢٦
٣١٢	الآيات: ٢٧ - ٣١
٣١٣	الآيات: ٣٢ - ٣٨
٣١٤	الآيات: ٣٩ - ٤٥
٣١٥	الآيات: ٤٦ - ٥١
٣١٦	الآيات: ٥٢ - ٥٧
٣١٧	الآيات: ٥٨ - ٦٣
٣١٨	الآيات: ٦٤ - ٨٠
٣١٩	الآيات: ٨١ - ٨٥
٣٢٠	الآيات: ٨٦ - ٨٩

تفسير سورة الدخان

٣٢١	الآيات: ١ - ٦
٣٢٢	الآيات: ٧ - ٢٣
٣٢٣	الآيات: ٢٤ - ٣٦

٣٢٤	الآيات : ٣٧ - ٥٥
٣٢٥	الآيات : ٥٦ - ٥٩

تفسير سورة الجاثية

٣٢٦	الآيات : ١ - ٤
٣٢٧	الآيات : ٥ - ٢٠
٣٢٨	الآيات : ٢١ - ٢٣
٣٢٩	الآيات : ٢٤ - ٣٢
٣٣٠	الآيات : ٣٥ - ٣٧

تفسير سورة الأحقاف

٣٣١	الآيات : ١ - ٣
٣٣٢	الآيات : ٤ - ٩
٣٣٣	الآيات : ١٠ - ١٣
٣٣٤	الآيات : ١٤ - ١٧
٣٣٥	الآيات : ١٨ - ٢٣
٣٣٦	الآيات : ٢٤ - ٢٩
٣٣٧	الآيات : ٣٠ - ٣٤
٣٣٨	الآية : ٣٥

تفسير سورة محمد

٣٣٩	الآيتان : ١ و ٢
٣٤٠	الآيات : ٣ - ١١
٣٤١	الآيات : ١٢ - ١٦
٣٤٢	الآيات : ١٧ - ٢٢
٣٤٣	الآيات : ٢٣ - ٣١
٣٤٤	الآيات : ٣٢ - ٣٧
٣٤٥	الآية : ٣٨

تفسير سورة الفتح

٣٤٦	الآيات : ١ - ٣
٣٤٧	الآيات : ٤ - ٩
٣٤٨	الآيات : ١٠ - ١٥

٣٤٩	الآيتان: ١٦ و ١٧
٣٥٠	الآيات: ١٨ - ٢٤
٣٥١	الآية: ٢٥
٣٥٢	الآية: ٢٦
٣٥٣	الآيتان: ٢٧ و ٢٨
٣٥٤	الآية: ٢٩

تفسير سورة الحجرات

٣٥٥	الآية: ١
٣٥٦	الآيات: ٢ - ٥
٣٥٧	الآيات: ٦ - ٨
٣٥٨	الآيتان: ٩ و ١٠
٣٥٩	الآية: ١١
٣٦٠	الآيات: ١٢ - ١٤
٣٦١	الآيات: ١٥ - ١٨

تفسير سورة ق

٣٦٢	الآيات: ١ - ٤
٣٦٣	الآيات: ٥ - ١٠
٣٦٤	الآيات: ١١ - ١٨
٣٦٥	الآيات: ١٩ - ٢٥
٣٦٦	الآيات: ٢٦ - ٣٥
٣٦٧	الآيات: ٣٦ - ٤٣
٣٦٨	الآيتان: ٤٤ و ٤٥

تفسير سورة الذاريات

٣٦٩	الآيات: ١ - ٩
٣٧٠	الآيات: ١٠ - ١٧
٣٧١	الآيات: ١٨ - ٢٣
٣٧٢	الآيات: ٢٤ - ٣٤
٣٧٣	الآيات: ٣٥ - ٤٩
٣٧٤	الآيات: ٥٠ - ٦٠

تفسير سورة الطور

٣٧٥	الآيات: ١ - ٩
٣٧٦	الآيات: ١٠ - ٢٠
٣٧٧	الآيات: ٢١ - ٢٩
٣٧٨	الآيات: ٣٠ - ٤١
٣٧٩	الآيات: ٤٢ - ٤٩

تفسير سورة النجم

٣٨٠	الآيات: ١ - ٨
٣٨١	الآيات: ٩ - ١٢
٣٨٢	الآيات: ١٣ - ٢٢
٣٨٣	الآيات: ٢٣ - ٣١
٣٨٤	الآيات: ٣٢ - ٤٤
٣٨٥	الآيات: ٤٥ - ٥٥
٣٨٦	الآيات: ٥٦ - ٦٢

تفسير سورة القمر

٣٨٧	الآيات: ١ - ٤
٣٨٨	الآيات: ٥ - ١٤
٣٨٩	الآيات: ١٥ - ٢٢
٣٩٠	الآيات: ٢٣ - ٤٢
٣٩١	الآيات: ٤٣ - ٥٥

تفسير سورة الرحمن

٣٩٢	الآيات: ١ - ٧
٣٩٣	الآيات: ٨ - ٢١
٣٩٤	الآيات: ٢٢ - ٣٢
٣٩٥	الآيات: ٣٣ - ٤٧
٣٩٦	الآيات: ٤٨ - ٦٢
٣٩٧	الآيات: ٦٣ - ٧٨

تفسير سورة الواقعة

٣٩٨	الآيات : ١ - ٧
٣٩٩	الآيات : ٨ - ١٥
٤٠٠	الآيات : ١٦ - ٣٠
٤٠١	الآيات : ٣١ - ٣٩
٤٠٢	الآيات : ٤٠ - ٥٦
٤٠٣	الآيات : ٥٧ - ٧٠
٤٠٤	الآيات : ٧١ - ٧٨
٤٠٥	الآيات : ٧٩ - ٨١
٤٠٦	الآيات : ٨٢ - ٨٤
٤٠٧	الآيات : ٨٥ - ٩٤
٤٠٨	الآيتان : ٩٥ و ٩٦

تفسير سورة الحديد

٤٠٩	الآيات : ١ - ٣
٤١٠	الآيات : ٤ - ٩
٤١١	الآيات : ١٠ - ١٢
٤١٢	الآيات : ١٣ - ١٥
٤١٣	الآيات : ١٦ - ١٨
٤١٤	الآيات : ١٩ - ٢١
٤١٥	الآيات : ٢٢ - ٢٦
٤١٦	الآيتان : ٢٧ و ٢٨
٤١٧	الآية : ٢٩

تفسير سورة المجادلة

٤١٨	الآية : ١
٤١٩	الآية : ٢
٤٢٠	الآية : ٣
٤٢١	الآيات : ٤ - ٩
٤٢٢	الآية : ١٠

٤٢٣	الآيات : ١١ - ١٧
٤٢٤	الآيات : ١٨ - ٢٢

تفسير سورة الحشر

٤٢٥	الآية : ١
٤٢٦	الآيات : ٢ - ٥
٤٢٧	الآية : ٦
٤٢٨	الآيتان : ٧ و ٨
٤٣٠	الآيات : ٩ - ١٣
٤٣١	الآيات : ١٤ - ٢٠
٤٣٢	الآيات : ٢١ - ٢٤

تفسير سورة الممتحنة

٤٣٥	الآيات : ١ - ٣
٤٣٦	الآيات : ٤ - ٨
٤٣٧	الآية : ٩
٤٣٨	الآية : ١٠
٤٣٩	الآيتان : ١١ و ١٢
٤٤٠	الآية : ١٣

تفسير سورة الصف

٤٤١	الآيات : ١ - ٣
٤٤٢	الآيات : ٤ - ٨
٤٤٣	الآيات : ٩ - ١٤

تفسير سورة الجمعة

٤٤٤	الآية : ١
٤٤٥	الآيات : ٢ - ٨
٤٤٦	الآيتان : ٩ و ١٠
٤٤٧	الآية : ١١

تفسير سورة المنافقون

٤٤٨	الآيتان: ١ و ٢
٤٤٩	الآيتان: ٣ و ٤
٤٥٠	الآيات: ٥ - ١١

تفسير سورة التغابن

٤٥١	الآيتان: ١ و ٢
٤٥٢	الآيات: ٣ - ١٣
٤٥٣	الآيات: ١٤ - ١٨

تفسير سورة الطلاق

٤٥٦	الآيتان: ١ و ٢
٤٥٧	الآية: ٣
٤٥٨	الآيتان: ٤ و ٥
٤٥٩	الآيات: ٦ - ٩
٤٦٠	الآيات: ١٠ - ١٢

تفسير سورة التحريم

٤٦١	الآيتان: ١ و ٢
٤٦٣	الآيتان: ٣ و ٤
٤٦٤	الآيات: ٥ - ٧
٤٦٥	الآيات: ٨ - ١٢

تفسير سورة الملك

٤٦٦	الآيتان: ١ و ٢
٤٦٧	الآيات: ٣ - ٥
٤٦٨	الآيات: ٦ - ١٥
٤٦٩	الآيات: ١٦ - ٢٣
٤٧٠	الآيات: ٢٤ - ٣٠

تفسير سورة القلم

٤٧١	الآيات : ١ - ٦
٤٧٢	الآيات : ٧ - ١٣
٤٧٣	الآيات : ١٤ - ١٨
٤٧٤	الآيات : ١٩ - ٣١
٤٧٥	الآيات : ٣٢ - ٤١
٤٧٦	الآيات : ٤٢ - ٥١
٤٧٧	الآية : ٥٢

تفسير سورة الحاقة

٤٧٨	الآيات : ١ - ٦
٤٧٩	الآيات : ٧ - ١٣
٤٨٠	الآيات : ١٤ - ١٩
٤٨١	الآيات : ٢٠ - ٣٣
٤٨٢	الآيات : ٣٤ - ٤٣
٤٨٣	الآيات : ٤٤ - ٥٢

تفسير سورة المعارج

٤٨٤	الآيات : ١ - ٥
٤٨٥	الآيات : ٦ - ٩
٤٨٦	الآيات : ١٠ - ٢٤
٤٨٧	الآيات : ٢٥ - ٤٠
٤٨٨	الآيات : ٤١ - ٤٤

تفسير سورة نوح

٤٨٩	الآيات : ١ - ٣
٤٩٠	الآيات : ٤ - ٩
٤٩١	الآيات : ١٠ - ١٩
٤٩٢	الآيات : ٢٠ - ٢٦
٤٩٣	الآيتان : ٢٧ و ٢٨

تفسیر سورة الجن

٤٩٤	الآيات : ٣ - ١
٤٩٥	الآيات : ٨ - ٤
٤٩٦	الآيات : ١٦ - ٩
٤٩٧	الآيات : ٢٢ - ١٧
٤٩٨	الآيات : ٢٨ - ٢٣

تفسیر سورة المزمل

٥٠٠	الآيات : ٦ - ١
٥٠٢	الآيات : ٩ - ٧
٥٠٣	الآيات : ١٧ - ١٠
٥٠٤	الآيتان : ١٩ و ١٨
٥٠٥	الآية : ٢٠

تفسیر سورة المدثر

٥٠٦	الآيات : ٩ - ١
٥٠٧	الآيات : ١٨ - ١٠
٥٠٨	الآيات : ٣٠ - ١٩
٥٠٩	الآيات : ٣٨ - ٣١
٥١٠	الآيات : ٥٢ - ٣٩
٥١١	الآيات : ٥٦ - ٥٣

تفسیر سورة القيامة

٥١٢	الآيات : ٧ - ١
٥١٣	الآيات : ١٥ - ٨
٥١٤	الآيات : ٢٣ - ١٦
٥١٥	الآيات : ٣٩ - ٢٤
٥١٦	الآية : ٤٠

تفسير سورة الإنسان

٥١٧	الآيات : ١ - ٣
٥١٨	الآيات : ٤ - ٨
٥١٩	الآيات : ٩ - ١٤
٥٢٠	الآيات : ١٥ - ١٩
٥٢١	الآيات : ٢٠ - ٢٨
٥٢٢	الآيات : ٢٩ - ٣١

تفسير سورة المرسلات

٥٢٣	الآيات : ١ - ٩
٥٢٤	الآيات : ١٠ - ٢١
٥٢٥	الآيات : ٢٢ - ٣٨
٥٢٦	الآيات : ٣٩ - ٥٠

تفسير سورة النبأ

٥٢٧	الآيات : ١ - ٩
٥٢٨	الآيات : ١٠ - ٢٣
٥٢٩	الآيات : ٢٤ - ٣٧
٥٣٠	الآيات : ٣٨ - ٤٠

تفسير سورة التازعات

٥٣١	الآيات : ١ - ٩
٥٣٢	الآيات : ١٠ - ١٢
٥٣٣	الآيات : ١٣ - ٢٧
٥٣٤	الآيات : ٢٨ - ٤٥
٥٣٥	الآية : ٤٦

تفسير سورة عبس

٥٣٦	الآيات : ١ - ٩
٥٣٧	الآيات : ١٠ - ١٩

٥٣٨ الآيات : ٢٠ - ٣٣

٥٣٩ الآيات : ٣٤ - ٤٢

تفسير سورة التكوير

٥٤٠ الآيات : ١ - ٨

٥٤١ الآيات : ٩ - ١٧

٥٤٢ الآيات : ١٨ - ٢٩

تفسير سورة الانقطار

٥٤٣ الآيات : ١ - ٦

٥٤٤ الآيات : ٧ - ١٩

تفسير سورة المطفنين

٥٤٧ الآيات : ١ - ٦

٥٤٨ الآيات : ٧ - ١٠

٥٤٩ الآيات : ١١ - ٢٦

٥٥٠ الآيات : ٢٧ - ٣٦

تفسير سورة الانشقاق

٥٥١ الآيات : ١ - ٧

٥٥٢ الآيات : ٨ - ١٤

٥٥٣ الآيات : ١٥ - ٢٤

٥٥٤ الآية : ٢٥

تفسير سورة البروج

٥٥٥ الآيات : ١ - ٧

٥٥٨ الآيات : ٨ - ٢٢

تفسير سورة الطارق

٥٥٩ الآيات : ١ - ٨

٥٦٠	الآيات : ٩ - ١٣
٥٦١	الآيات : ١٤ - ١٧

تفسير سورة الأعلى

٥٦٢	الآيات : ١ - ٨
٥٦٤	الآيات : ٩ - ١٩

تفسير سورة الفاشية

٥٦٥	الآيات : ١ - ٧
٥٦٦	الآيات : ٨ - ١٦
٥٦٧	الآيات : ١٧ - ٢٦

تفسير سورة الفجر

٥٦٨	الآيات : ١ - ٨
٥٦٩	الآيات : ٩ - ١٤
٥٧٠	الآيتان : ١٥ و ١٦
٥٧١	الآيات : ١٧ - ٢٦
٥٧٢	الآيات : ٢٧ - ٣٠

تفسير سورة البلد

٥٧٣	الآيات : ١ - ٧
٥٧٤	الآيات : ٨ - ١١
٥٧٥	الآيات : ١٢ - ٢٠

تفسير سورة الشمس

٥٧٦	الآيات : ١ - ٨
٥٧٧	الآيات : ٩ - ١٣
٥٧٨	الآيتان : ١٤ و ١٥

تفسير سورة الليل

٥٧٩	الآيات: ١ - ٩
٥٨٠	الآيات: ١٠ - ٢١

تفسير سورة الضحى

٥٨٢	الآيات: ١ - ٧
٥٨٣	الآيات: ٨ - ١١

تفسير سورة الانشراح

٥٨٥	الآيات: ١ - ٨
-----	-------	---------------

تفسير سورة التين

٥٨٧	الآيات: ١ - ٦
٥٨٨	الآيتان: ٧ و ٨

تفسير سورة العلق

٥٨٩	الآيات: ١ - ٨
٥٩٠	الآيات: ٩ - ١٣
٥٩١	الآيات: ١٤ - ١٩

تفسير سورة القدر

٥٩٣	الآيات: ١ - ٥
-----	-------	---------------

تفسير سورة البتة

٥٩٦	الآيات: ١ - ٣
٥٩٧	الآيتان: ٤ و ٥
٥٩٨	الآيات: ٦ - ٨

تفسير سورة الزلزلة

٥٩٩	الآيات : ١ - ٦
٦٠٠	الآيتان : ٧ و ٨

تفسير سورة العاديات

٦٠١	الآيات : ١ - ٨
٦٠٢	الآيات : ٩ - ١١

تفسير سورة القارعة

٦٠٣	الآيات : ١ - ٦
٦٠٤	الآيات : ٧ - ١١

تفسير سورة التكاثر

٦٠٥	الآيات : ١ - ٧
٦٠٦	الآية : ٨

تفسير سورة العصر

٦٠٧	الآيات : ١ - ٣
-----------	----------------

تفسير سورة الهمة

٦٠٨	الآيات : ١ - ٧
٦٠٩	الآيتان : ٨ و ٩

تفسير سورة الفيل

٦١٠	الآيات : ١ - ٥
-----------	----------------

تفسير سورة قريش

٦١٢	الآيات : ١ - ٤
-----------	----------------

تفسير سورة الماعون

٦١٤	الآيات: ١ - ٥
٦١٥	الآيات: ٦ و ٧

تفسير سورة الكوثر

٦١٦	الآيات: ١ - ٣
-----	---------------

تفسير سورة الكافرون

٦١٨	الآيات: ١ - ٦
-----	---------------

تفسير سورة النصر

٦٢١	الآيات: ١ - ٣
-----	---------------

تفسير سورة المسد

٦٢٢	الآيات: ١ - ٥
-----	---------------

تفسير سورة الإخلاص

٦٢٤	الآيات: ١ - ٤
-----	---------------

تفسير سورة الفلق

٦٢٩	الآيات: ١ - ٥
-----	---------------

تفسير سورة الناس

٦٣١	الآيات: ١ - ٦
-----	---------------